الملف الوثائقي

للدكتورة

عائشة عبد الرحمن

(بنت الشاطئ)

المجلد الثالث

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الملف الوثائقى

للدكتورة

عائشة عبد الرحمن

(بنت الشاطئ)

المجلد الثالث

التاريخ: ٦ / ١ / ١٩٦١

قضايا أدبية

حبر على ورق

لماذا صادرت انجلترا كتاب الليدى تشاترلى
ولم تصادر أفلام الخلاعة والمجون ؟

جيوش المخرجين والممثلين
لا تستطيع أن تقف أمام
قلم كاتب ملهم قوى

((اتصالنا بقضايا الفكر والادب ، شرقية او غربية ، ضرورة لايجوز ان نختلف عليها ، وانما يكون الخلاف حول موقفنا من هذه القضايا

وقد ثارت معركة بين كتاب الصحافة عندنا ، حول قضية ((عشيق اللادى شاترلى)) ثم هدأت وفترت، دون ان نستخلص من هذه القضية مغزاها الذى يعنينا، بل دون ان نلتفت الى دلالتها على خطر القصة حين تنشر حبرا على ورق، فتتصدى الدولة لمصادرتها ، ولا تفكر فى مصادرة مشاهد الاغراء اذ تعرض على الشاشة مجسمة مرئية ، حافلة بدواعى الاثارة ، مستغلة لها الاضواء والظلال ، والالوان والانغام، والاصوات والحركات))

التاريخ: ٦ /١ / ١٩٦١



الاميرة مرجريت



الامبراطورة ثريا

قضايا الادب والفكر ، غير محدودة بزمان ولا مكان ، ولا هى مختصة باقليم او مصر ...

ذلك لان انسانية الفن ، تجعل من هذه القضايا موضوعا مشتركا لاينفرد به شرق أو غرب ، وتراثا عاما لايخص جيلا دون جيل .

والذين يشفقون على شرقيتنا من نقل اصداء القضايا الادبية فى الغرب ، ينسون أن هذه القضايا ملك للانسانية جميعا . ومن عجب أن تشغل الصحف زمانا، بغراميات الاميرات ثريا ومرجريت وجريس ، ومغامرات نجوم الجاذبية وملكات الاغراء ، دون أن نسمع من ينكر شغلنا بذاك العبث ، كما سمعنا « الدكتور يوسف ادريس » يغضب لاهتمام بعض الكتاب بقضية أدبية فى لندن ، ويرى فيه « مثلا على انسياقنا وراء بعض القضايا ، لا لاهمية خاصة بها ، ولكن كمجرد صدى لضجة مماثلة تحدث فى لندن أو باريس او روما ، وهو انجاه نكاد بفضله أن نفقد انفسنا والارض التى نقف عليها » كنص عبارة الدكتور ادريس .

والواقع أن لكل قضية ادبية او فكرية ، اهميتها ومغزاها . وتتبع اصدائها أمر ضرورى ، لا لكى نقف عندها ، أو نرددها مايقال هناك ، ولكن لنهتدى الى ماوراءها من دلالة تعنينا ، ولنستخلص منها ماقد يصحح فهما خاطئا ، أو مايجدى على حياتنا الادبية بصفة خاصة .

ولناخذ قضية « عشيق اللادى شاترلى » مثلا !

لقد يبدو من الغريب فى عصرنا ، أن تتصدى دولة مثل انجلترا ، لتحول دون نشر القصة كاملة كما كتبها لورانس :

والقصة لاتتصل بالسياسة من قريب أو بعيد .

لكنها تتصل بالاخلاق . وهذه واحدة!

لقضية الصراع بين الفن والخلق ، قضية عامة مشتركة ، لم يبت فيها برأى حاسم قاطع ، ومن هنا تخرج القصة الانجليزية من دائرتها المحدودة فى لندن ، الى المجال الادبى العام ..

فليست قصة لورانس ، الا حلقة من ذلك الصراع الطويل العنيد ، واى حكم نقضى عليها ، يجب أن تهتم به الدوائر الادبية فى شرق وغرب ..

واخرى .. ان دولة ما ، تصدت

التاريخ: ٦ / ١ / ١٩٦١

لمصادرة عمل أدبي . وهذا بدوره ، يلفت الى نزاع طويل حاد ، حول حرية الاديب وحق الدولة في مصادرتها، اذا قدرت ان في ممارسة هذه الحرية خطرا على سلامة الجماعة .

وبهذا أيضا ، تخرج القضية من نطاقه الاقليمي ،وتفقد صفة الخصوصية التي تجعلها من شأن الانجليز وحدهم .

ثم يبقى بعد ذلك كله مغزى ذو خطر:
فلسائل ان يسأل :اين لادي تشاترلي، من جين مانسفيلد مثلا ، في خلاعتها وتفننها في الاثارة الجنسية !

و ((جين)) انجليزية لحما ودما ، ولم تفكر انجلترا في مصادرة أفلامها المثيرة ، كما صادرت فعلا ، قصة لورانس

بل انها لتستورد من باريس وهوليوود وروما ،مزيدا من « البضاعة اياها » في غير تحرج أو حذر

لماذا ؟

لماذا والمشهد على الشاشة احفل بالاغراء وادعى الى الاثارة ، لما فيه من تجسيم وتشخيص ،وتفنن في التصوير والاخراج ، واستغلال للاجواء والالوان والظلال، والانغام والاصوات والحركات؟

لماذا والقصة على الشاشة ، يحشد لها جيش من ذوي الخبرة والبراعة في الاخراج والتمثيل والدعاية ، بينما لا تعدو القصة المطبوعة ، عملا فرديا يسجله صاحبه حبرا على ورق !!

والجواب : لان الكتاب اخطر من الفيلم ..

والورقة أبقى أثرا من الشاشة ..

والحبر الاسود اعمق تأثيرا من الاضواء والالوان والانغام مجتمعة ..

وقلم الاديب فردا ،أقوى من جيش المخرجين والمصورين والممثلين ،والممثلات والراقصات ..

وللبيان سحره ، لاينافسه فيه غيره

وللكلمة المقروءة ، سلطانها الذي مابعده سلطان ..

فالفيلم يشاهد ، ثم ينسى ..

واثره عابر ، لا يلبث ان يتوه في ضجيج الحياة وزحمة الشواغل والمشاغل .

وليس الامر كذلك في قصة قوية بقلم نادر ملهم ، مطبوعة في كتاب يشتريه القارىء ، ويحمله معه ، ويستبقيه ليخلو أليه كلما اراد ، بعيدا عن كل ضجيج ، ومشغولا به عن كل ما سواه

فليس بمستغرب ان تصادر انجلترا قصة لورانس مطبوعة حبرا على ورق ، ولا تفكر في مصادرتها لو انها عرضت « فيلما على الشاشة » مع غيرها من الافلام الصاخبة المثيرة .

وقد اعتدنا أن نستهين بما هو حبر على ورق ، ونضربه مثلا على تفاهة الوقع وضآلة الاثر ، وقضية قصة لورانس جديرة بأن تصحح هذا الفهم الخاطىء، وتلفتنا الى خطر مانستهين به وتستحدث قيمة جديدة للحبر على الورق !

بنت الشاطىء

التاريخ: ١٣ / ١ / ١٩٦١

اللغة المستعارة .. فى حديقة النبى

هل قدر الدكتور ثروت عكاشة فى ترجمته البارعة لحديقة النبى أنه يعيدها إلى لغتها الأم ؟

يكتب جبران بالانجليزية ، وهو شرقي الروح والمزاج ، عربي الفكر والوجدان . ولهذا كانت ترجمة آثاره الى العربية ، اخراجا للنص من لغته المستعارة ، ورجوعا به الى الاصل . فهل تنبه الدكتور ثروت عكاشة الى هنا حين ترجم حديقة النبى ؟



ثروت عكاشة



خليل جبران

لم اومن قط بقدرة الترجمة على نقل نص ادبي من لغته الاولى الى لغة ثانية.

انما تفلح الترجمة حين يكون النص علميا ، اذ هو بطبيعته موضوعي ، ودلالة اللفظ فيه محددة ، او يجب ان تكون كذلك . وقلما تتدخل ذاتية العالم في الاداء — لفظا او عبارة — الا بمقدار اذا جاوزته اخلت بعلمية الموضوع وجارت عليه .

وليس الامر كذلك في النص الادبي الذي يصدر عن ذات الاديب ، ويؤدي مشحونا بمشاعره وانفعالاته ، ويتحرر اللفظ فيه من جمود الدلالة المعجمية وقيودها ، بما يحمل من روح الاديب ؛ وما يحف به من ظلال موحية ، تاتيه من التجربة الذاتية لصاحبه ، في استعمال هذا اللفظ ، وترتبط بذكريات واجواء وظروف ، في دنياه الخاصة .

ومن اجل هذا كانت دلالة اللفظ في النص الادبي ، محددة بتجربة صاحبه ، بحيث يصعب ان تستبدل فيه كلمة باخرى وان اشتركتا في الدلالة المعجمية . ونحن في دراسة النصوص الادبية نعاني ما نعاني حين نحاول تفسير لفظ باخر من لغته ، فكيف اذا كانت المحاولة نقلا للنص الى لغة اخرى ، ولكل لغة اسرارها الخاصة في التعبير ، واسلوبها المتميز في الاداء ؟

سؤال خطر ببالي حين تلقيت «حديقة النبي » مترجمة الى العربية ، من الانجليزية التي كتبها بها « جبران »

وكنت مشفقة من عجز « الدكتور ثروت عكاشة » عن نقل هذا النص الادبي العالي ، متاثرة في هذا الاشفاق برايي في الترجمة ، بوجه عام .

وحين وجدت الترجمة العربية مرتفقة بالاصل الانجليزي ، ظننت ان الفرصة امامي مهياة ، لكي استشهد بحديقة النبي ، على مدى جور الترجمة على روح النص في لغته الاولى . غير اني لم اكد أتابع قراءة الحديقة في الترجمة العربية ، مقابلة على الاصل الانجليزي ، حتى لفتني من البداية ، أن الترجمة محتفظة بروح النص ، امينة على دلالته ؛ مبقية على رمزيته بكل ايحائها المثير !

وكدت أتهم رايي الاول في الترجمة . لولا أن تنبهت الى السر الذي من اجله استبقت « حديقة النبي » في العربية كل ما لها من روعة وسحر وايحاء .

ذلك أن « جبران » وهو يكتبها بالانجليزية ، كان شرقي الروح والمزاج ، عربي الفكر والوجدان . فترجمته الى العربية اخراج للنص من لغته المستعارة ، ورجوع به الى الاصل ، والعربية هنا أقدر على التعبير عن وجدان « جبران » وافكاره وتاملاته ، من تلك الانجليزية التي استعارها وأتقنها وكتب بها باقتدار .

ومنذ تنبهت الى هذا السر ، لم يعد يدهشني ان اجد « جبران » في الترجمة العربية لحديقة النبي ، اقرب الينا فكرا وروحا ومزاجا ، من قراءته في انجليزيته المستعارة .

فهل ترى « الدكتور ثروت عكاشة » قد تنبه الى هذا السر ، وقدر انه انما يعيد « حديقة النبي » الى أصلها العربي ولغتها الام ؟

انه لم يشر الى هذا ، على ما له من اهمية وخطر ، بل صرح في المقدمة ، بان « جبران » في الحديقة كان مستلهما روح الشرق ، وهي عبارة تشعرنا بان الدكتور ثروت لم يلمح اصالة جبران عربيا شرقيا ، وليس مجرد مستلهم روح هذا الشرق .

والمقدمة ذاتها ، ترجح أن الدكتور المترجم قد فاته أن يلتفت الى هذه الاصالة ، — — — —

والا لما مر سريعا بالدور الذى لعبته الحديقة فى عقائد الشرق وفى خيالاتهم وادابهم وانطلق يحدثنا فى اطالة وعلى مهل، عن المذاهب الفلسفية والادبية والفنية فى الغرب ، وموقف كل منها من الطبيعة . وهو حديث شيق بلا ريب ، لكنه باعد بيننا وبين جبران فى حديقة النبى ، وخيل الينا اننا سوف نقرا اثرا ادبيا من ادب الطبيعة ، وان هذه الحديقة ليست الا كما قال الدكتور ثروت ، رمزا الى الطبيعة وقد بررت هذه الرمزية فيه ، ذلك الحديث الطويل عن المذاهب الادبية والفنية والفلسفية ، وبررت كذلك استطرادا الى الكلام من تنسيق الحدائق فى بلدان اوربا ، وذكر حدائق قصر فرساى وبساتين اللوار وحديقة الحمراء بغرناطة ، فاذا طالعنا حديقة النبى بعد هذا كله ، الفينا « جبران » لا يرمز بها الى الطبيعة ؛ بقدر ما يرمز بها الى ثمار الحكمة والنبوة وهو فيه شرقى صميم ، يترنم باناشيد « المصطفى » فى حديقته ، ويودعها خلاصة حكمته وأسرار تأملاته . والحديقة هنا ـ فيما ارى ـ اقرب الى الجو الدينى والافق الروحى ، منها الى جو الطبيعيين فى الفلسفة والادب والفن . ولعل الدكتور ثروت لو تنبه الى اصالة الشرقية العربية فى جبران ، لما شغل بحديثه هذا عن تلك المذاهب الغربية ، ولو قف طويلا عند الحديقة الشرقية الكبرى التى لم يشر اليها الدكتور ثروت ، واعنى بها « الجنة » التى صورتها اديانا ، وتمثلها المؤمنون منا ، واطنب فى وصفها الشراح والمفسرون للكتب السماوية ، وتاثر بها الادب العربى فى مثل جنة « الغفران » لابى العلاء المعرى ، ذلك الاثر الفريد الذى انتقل الى اوربا عن طريق اسبانيا ، وكان هناك عندما ابدع « دانتى » فردوسه فى « الكوميديا » الالهية التى لم يذكرها المترجم مع ما ذكر من حدائق فرساى واللوار وغرناطة .

وعلى قدر ما وفق الدكتور ثروت ، فى ترجمة النص الانجليزى بعربية بارعة ، يتالق فيها فن جبران وتتجلى براعته البيانية وشاعريته الملهمة ، افلت منه سر « جبران » فى مواقف قليلة ، وكان جديرا بالا يخطئه ، لو قدر انه بترجمته حديقة النبى الى العربية ، انما ينقلها من لغة مستعارة ، ويردها الى اصلها !

ويبدو هذا بوضوح ، فى النشيد الذى اختاره « الدكتور ثروت » نفسه ، وصدر به الكتاب

« هيموا وراء الجمال واتبعوه ، وان قادكم الى شفا الهاوية ..

« اتبعوه ، فان انتقدتم الجمال انتقدتم كل شيء ..

« وكونوا حديقة غير ذات اسوار وكرمة لا حارس لها ، وكنزا مباحا ينال منه كل عابر ».

« عيشوا نهبا لسرق السارق ، وغش الغاش وخداع الخدع .

« اجل ! كونوا صيد الخديعة وارتعوا فى حبائلها ، ولو سخر منكم الناس فلبس هذا كله بضائركم ... انكم عندها سوف تشرفون من عليائكم ، وتبتسمون ! »

وحين تقابل هذه الترجمة ، على النص الانجليزى للنشيد ، لن تنكر منها — فى الظاهر — الا عدول المترجم عن المصدر الى فعل الامر ، ومثل هذا التصرف قد يكون من حقه ، لولا انه هنا اضاع جوهر المعنى وروح جبران :

فالنص الانجليزى

« To be robbed , cheated , deceived,ay, misled and trapped and then mocked , yet with it all to look down from the height of your larger self and smile . »

ومن هذا النص ، يبدو لنا ان النشيد لم يتم ، وان المقطع الذى اختاره المترجم منه ، مبتور لم ينته بهذا الابتسام ممن يشرفون من عليائهم ، لان السياق متصل بين كل هذه الجمل هكذا :

« ان تسرقوا ، وان تخدعوا ... وان تقادوا خطأ الى الفخ فيسخر بكم ، وان تطلوا — مع ذلك كله — من علياء نفسكم الكبيرة وتبتسموا .. »

ولم يتم الكلام بعد ...

لان تمامه فى المقطع التالى من النشيد حيث يقول جبران :

« عالمين ان الربيع سيوافى حديقتكم من بعد ، ليرقص على أوراق الشجر ، وان الخريف سيقبل لينضج اعنابكم ، مدركين ان ايديكم لن تخلو من الرزق ما دامت نافذة واحدة من نوافذكم تطل على المشرق ، مدركين أن جميع من يعدهم الناس اشرارا ولصوصا وغاشين ومخادعين هم اخوانكم فى الحاجة . ولعلكم انتم على شاكلة هؤلاء جميعا ، فى عين اهل النعيم الذين يسكنون المدينة المحجبة فوق هذه المدينة »

والاتيان بالمقطع الاول — فى صدر الكتاب — مبتورا هكذا ، افقده كل سره !

والتصرف فى الصياغة ، بجعل المصدر فعل امر ، اضاع حكمة المصطفى ، فجعله يحضنا على الغفلة ، ويأمرنا بان نعيش نهبا لسرق السارق وغش الخادع ، ويدفعنا الى ان نرتع فى حبال الخديعة ونكون صيدا لها ! مع انه فى « النص » يغرينا بالتسامح والاحتمال ، ويلفتنا الى ان كنوز الخير لن تنفد بالسرقة مادامت هناك فى حديقتنا نافذة تطل على المشرق الوضاء ، ثم يأخذنا بشيء من التواضع ، حين يذكرنا بان اللصوص والخادعين هم اخواننا فى الحاجة ، وربما لم نكن عند السماء خيرا من هؤلاء الذين يسميهم الناس لصوصا وخادعين !

وشتان بين قول جبران بلغته المستعرة :

« To be robbed , cheated , deceived »

وبين الترجمة العربية :

« عيشوا نهبا لسرق السارق ، وغش الغاش .. اجل كونوا صيد الخديعة وارتعوا فى حبائلها »

وحتى لو فرضنا ان النص الانجليزى يحتمل مثل هذا التصرف ، فان الذى نعرفه من روح جبران — فى النشيد المصطفى — يأباه .

وما يعنينى فقدان احاسب على حرفية الترجمة ، فالاصل فيها ان نتذوق روح النص الادبى فى اللغة المكتوب بها ، ثم نؤديه باللغة التى نترجمه اليها . ولكن السيد المترجم هنا ، بتصرفه الذى يبدو لاول وهلة هينا يسيرا ، غير المعنى واضاع حكمة المصطفى . ولو قدر له انما يعيد نشيد جبران الى اصله العربى ، لما اخطأه — فى هذا الموقف — حس المعنى وجوهر الفكرة ، وروح المصطفى المتألقة فى شرقيته الاصيلة ، وراء ذلك الزى المستعار .

اقول هذا وانا اعلم ان السيد المترجم لن يضيق به ، انما هو منى الا فرط حرص على كمال هذا الاثر الرائع الذى اثرى به « الدكتور ثروت عكاشة » حياتنا الادبية ، وهيأ به فى اريحية فنية وبذل سخى ، زادا روحيا ووجدانيا لابناء هذا الجيل ممن لم يدركوا عصر « جبران »

بنت الشاطىء

التاريخ: ١٣ / ١ / ١٩٦١

بريد الأدب



طه حسين — العقاد — السباعي

المقال الذى نشرته صفحة الادب منذ اسبوعين ، بهذا العنوان للدكتورة بنت الشاطىء ، لم يرض كثيرا من القراء ! وليسوا سواء ؛ ففريق منهم انكر على الكاتبة قسوة النقد ، واخرون لم يعجبهم ترفقها فيه ! والصفحة تقدم للقراء خلاصة من اقوال الفريقين ، دون حاجة الى الرد على هؤلاء او اولئك ، لان كل فريق تولى - فى الواقع - مهمة الرد على الفريق الاخر .

كبوات الادب المعاصر :

« السيد عاطف نصار » ياخذ على الكاتبة انها حملت الدكتور طه حسين مسئولية كبرى من حياتنا الادبية ، بوصفه عميدا للادب العربى « وفاتها ان زمن هذه العمادة قد انقضى ، وان قيادة الادب العربى انتقلت الى مدارس الادب الجديدة التى يحمل الويتها ادباء هذا الجيل

« اما العقاد فاريد ان انصفه : لقد كان شاعرا وناقدا واديبا ومفكرا ، ثم انتهى هذا كله ولم يبق لنا منه الا العقاد المتكبر . وليس بوسعه ان يشارك اليوم فى حياتنا الثقافية الا بمؤلفاته .

« ثم ياتى الحديث عن يوسف السباعى ، وقضيته سهلة يسيرة : فقد عرفناه اديبا ولا أدرى لماذا تطالبه الكاتبة بأن يكون ناقدا ! بل لا ادرى لماذا لم تلتفت الى مجالس عليا للفنون والاداب ، جعلت همها انشاء الجوائز امتنانا وانتزاعا ، وخلقت تكايا للكسالى والمرتزقة ، مع ان اصدار مجلة ادبية ناجحة ، اجدى على الادب والفن من مجلس يعين فيه كبار الادباء والفنانين المتقاعدين ! » .

حرام !

و « الاستاذ عبد الحميد عمر » يرى ان الكاتبة ظلمت الموضوع حين قصرته على الصحافة ، « ولم تلتفت الى احاديث نجوم الادب فى الاذاعة ، حيث يبدو على اكثرها طابع السطحية والاستخفاف . وحين كان المرجو منهم ان يغذوا الاذاعة بما يرفع مستواها ؛ وجدناهم لا يكترثون حتى بصحة اللغة » وقد احصى السيد لاديب كبير ثمانية اخطاء لغوية فى حديث اذاعى قصير « واولادنا يعتقدون ان كل ما يسمعونه او يقراونه للادباء الكبار ، تنزيل من التنزيل . وحرام ان نجعلهم يعتقدون صوابا ما ليس بصواب ! »

كل شيء هادىء فى الميدان الادبى

« والسيد طلعت همام : باداب عين شمس » يلفت كذلك الى جانب اخر من الموقف لم يتعرض له المقال ، وذلك هو تزعم كل اديب مشهور لشلة من اتباعه ؛ فاذا الف احدهم كتابا ، انبرى الكاتب المشهور يزكيه ويطريه ، ويكيل له المدح بلا حساب ، اما اذا ظهر فى السوق كتاب لمؤلف لا ينتمى الى شلة من الشلل ، فان نجوم الادب يطوون اوراقهم ويلقون اقلامهم ، وكل شيء هادىء فى الميدان الادبى »

نيام على القمة !

« والاستاذ محمد امين : من مليج » يبارك كل محاولة لتصحيح موقف ادبائنا الكبار من قضايا الفكر ومعارك الادب واحداث الوطن ، ويخشى ان يكون هؤلاء الكبار « قد راحوا فى سبات عميق

التاريخ: ١٣ / ١ / ١٩٦١

عندما وصلوا الى القمة ، فلم يعودوا يشعرون بما يجرى على السفح ، او يشغلون انفسهم بما نواجه من ازمات ومشكلات ، فى حياتنا الفكرية والادبية والقومية » .

ثم يعتذر الكاتب للاستاذ يوسف السباعى بكثرة ما يحمل من اعباء ويخص باللوم الدكتور طه حسين والاستاذ العقاد قائلا :

« لقد تحدثت الكاتبة عن الدكتور طه بترفق ، وهى آمنة من غضبه ، لكن وددنا أن نراه غاضبا كى يخرج من عزلته التى خيبت رجاء كثير من المعجبين به ، ظنوا انه حين اخذ مكانه فى الصحافة ، سوف يهز الشرق هزا يسمع صداه فى اقصى الشمال .. فى السويد مثلا ! وانتظروا وطال الانتظار ، ولم يهتز الشرق ، ولم يسمع الشمال ...

« اما ماكتبته عن العملاق فكله حق وصدق ، لكن فاتها ان يرمياته الصحافيه تمثله كما عرفناه : مصنف كتب ! وكذلك اخطأت الكاتبة فى الحديث عنه شاعرا ، ويظهر انها لاتعرفه على حقيقته التى كشف عنها بصراحة ، حين صرح لمندوب احدى المجلات ، اثر نيله الجائزة ، بانه يستطيع ان يؤلف الساعة الف بيت من الشعر ، يتحدى من يأتى بمثلها او حتى يفهمها » .

يأخذ من كل فن بطرف

« والسيد عبد الحليم عويس » يتهم الكاتبة بالتجنى على الاستاذ العقاد حين « ارادت له ان يكون آلة صماء تحركها السياسة (! !) مع ان الاديب الحق هو من يأخذ من كل فن بطرف . وهذا هو شأن الاستاذ العقاد ، أفما كان الاولى ان تقصر الناقدة كلمتها على الدكتور طه حسين ؟ »

منظومة

وربما كان من الامانة ايضا ، ان ننشر الى ماجاءنا من « الاستاذ محمد حسين جبرة : رئيس القسم الجنائى بنيابة مصر سابقا » الذى رائته شاعريته فى الموقف، فآثر ان يقول فيه كلمته بمنظومة خص بها الاستاذ العقاد وحده ، وفيها يقول :

الا من مبلغ عباس عنى
تهانى المجد والادب الرفيع !
تبارك من حباك بفضل ذهن
يفىء خوافى الحلك المريع !
اذا ذكروا ذكاءك ضاء نورا
على الدنيا كبدر فى سطوع
ذكاء ذاع فى الاقطار حتى
شكا الفرد من سبق اللذوع
فيالله كم جمع المعانى
فصار كمنتهى جمع الجموع
فدم فى المجد مرفوعا مكانا
على هام العلى فوق الجميع !

ومعذرة الى الشعر والى القراء ! »

رقابة النقد ..

هل ظلمت الترجمة الرائعة لحديقة النبي ؟
بعض الذين احترم رأيهم قالوا هذا، ونسروه بأنني أطلت الوقوف عند عثرات قليلة – مما لا يسلم منه عمل أدبي – ولم يغفرها للمترجم عندي، جهده الباذل الناجح .
واشفق مشفقون، من أن أكون قد تعمدت الظلم، لاشتهر بالعدل ...
وما ابرىء نفسي، فأنا بشر، يجوز علي ما يجوز على كل بشر من خطأ وسهو وقصور ...

لكني، اذا كنت حقا قد ظلمت الدكتور ثروت عكاشة، فما كان ذلك مني لاشتهر بالعدل، وانما اردت به أن احقق شيئا من التوازن في تقويم الاثار الادبية، وان اقرر حق النقد في الرقابة على الادباء، من كانوا !

وترجمة « حديقة النبي » لم تكد تظهر، حتى اسرع بعض الزملاء فاستقبلوها – ولما يمض على ظهورها غير أيام معدودات – بالتكبير والتهليل، قبل أن يتاح لهم الوقت الكافي لما هي جديرة به من دراسة متأنية . وبالغ احدهم فقال عن مقدمة الكتاب : « انها دراسة من اعظم الدراسات الجمالية التي ظهرت في هذا العصر » ثم سجل شهادة بأنه لم يستمتع بجبران ولم يقترب من روحه، كما استشعر بعد أن أتم قراءة هذه الدراسة وهذه الترجمة للدكتور ثروت عكاشة .

ولم يدر الزملاء أنهم ظلموا السيد المترجم . من حيث ارادوا أن ينصفوه، حين لم يقدروا أنهم بمثل هذه الاحكام السريعة المطلقة، يهزون الثقة في حرمة النقد، وعدالة موازين التقدير للادباء

والدكتور عكاشة : حديث عهد بدخول الميدان الادبي، ومن حقه علينا أن نتأنى في الحكم عليه، وأن نتتبع اعماله الادبية في دقة لا يفلت منها اي مأخذ، بالغة ما بلغت بدايته الناجحة .

لكيلا نخسره، كما خسرنا أدباء من قبله، حرمناهم فرصة الرقابة النقدية، وانعمنا عليهم نعمة الكفاح في سبيل الكمال .

ولا اريد الان ان اعرض لاعمال المشهورين من ادبائنا الشيوخ لاتبين بها الى أي حد جنى عليهم وعلينا تعطل الرقابة النقدية عندنا، بل اكتفي بشهادة كبير منهم على نفسه، اذ يباهي بأنه لا يتقدم ولا يتزحزح، ولا يتأثر بجديد من القيم او الاراء، فيما سبق له من قول في موضوع عالجه او رأي ارتآه . ثم يسجل على نفسه أن قديمه هو خير بضاعته، فيؤلف كتابا جديدا من كتب الفها منذ اكثر من ربع قرن، ويطبع ديوانا من دواوين له سابقات !

وما كان هذا ليحدث، لو قامت فينا رقابة أدبية، تحمي أدباءنا من الركود والتجمد، وتحاسبهم عن الوقوف المتشبث بقديم ما كتبوا !

وندع طبقة الشيوخ المشهورين الى من يليهم، فتصدمنا الظاهرة نفسها : ظاهرة التفاوت بين القديم والجديد من آثارهم . فلم أقرأ للاديب « يحيى حقي » أروع من « قنديل أم هاشم » التي عرفته بها لاول مرة . و « محمد عبد الحليم عبد الله » الذي هالنا بقصته الرائعة « بعد الغروب » مضى يكرر نفسه فيها بشمس الخريف، ثم استمرأ هذا التكرار – في غيبة الرقابة النقدية – فكانت قصته « الغصن الزيتون » من وادي « شجرة اللبلاب » !

مع أن الاصل أن يكون حاضر الاديب افضل من أمسه، وأن تكون البداية الناجحة خطوة في طريق صاعد، الى ما هو أقوى وأنضج !

لكن النجاح السريع، مع تعطل الرقابة النقدية، صار في دنيانا يغني عن مزيد من التجويد والابداع، كما صارت الشهرة عندنا، تغني من متابعة الجهد ومواصلة الكفاح !

وبعيدا عن اغواء الشهرة وضجيج النجاح السريع، استطاع أديب مفكر، مثل أستاذنا « الدكتور محمد كامل حسين » أن يتابع كفاحه الدائب دون أن يفتنه الغرور أو يبطره النجاح !

كتب اول ما كتب « متنوعات » وقدم فيها بعض قيم جديدة لدراساتنا الادبية وتراثنا الفكري، فكانت بداية توارت خلف العنوان المتواضع للكتاب، فلم يتح لها ان تشتهر وتذيع

وأبدع بعدها « قرية ظالمة » فلم ير في نجاحها الا قيمة باعثة، تدفعه الى مواصلة الكفاح، وتقتضيه مزيدا من الجهد .

التاريخ: ٣٠ / ١ / ١٩٦١

(٣)

حياتنا الأدبية يعوزها كثير من الصحة والاتزان، ولن يتوفر لها شيء منهما الا برقابة نقدية نزيهة صارمة، يحسب لها الأدباء ألف حساب ، ولا يجرؤون معها على التهاون فى شرف الكلمة ، أو التخفف من تبعات النجاح !



الدكتور محمد كامل حسين



يحيى حقى



محمد عبد الحليم عبد الله

وجاء بعدها كتابه « التفسير البيولوجى للتاريخ » لمرة ناضجة لمقتنية من طراز رفيع ، تغذيها ثقافة واصالة .

ثم ظهر كتابه عن « وحدة المعرفة » دون ضجيج او اعلان ، فاشرف بنا على آفاق من الفكر ، لا عهد لنا بمثلها رحابة وعلوا .

واقلام النقاد راقدة نائمة ، لم تتحرك لتكتب عن هذه الآثار الفذة ، بل تستمرىء الراحة ، فى انتظار مؤلف لاديب لامع ، تهب له من رقدتها ، فى انفعال وحماس !

وهان عليهم ان يتجاهلوا الكاتب الاصيل المبدع ، لانه يتوارى – فى زهد وعفة – خلف الضجيج المثار !

وهكذا تسير حياتنا الادبية محرومة من قيم عادلة ، ورقابة نزيهة صارمة ، تجهر بكلمة الحق ولو كانت قاسية مرة ، وتسهر على ان حماية أدبائنا من التجمد ، والتهاون ، والخمول...

والرقابة النقدية مهما تشتد فى صرامتها وقسوتها ، لا يمكن أن تجنى على الادباء ، بقدر ما يجنى عليهم وعلى وجودنا المستوى العام ، تعطل هذه الرقابة ، او ضعفها واختلال موازينها.

بل قد تجنح هذه الرقابة الى ما يشبه الظلم، تحقق به شيئا من التوازن فى تقويم الآثار الادبية ، فلا يضار بهذا الظلم أديب موهوب ، قدر ما يضار بالغفلة عن عثراته ، واقناعه بانه بلغ – من البداية – الكمال الذى لا مجال بعده لمزيد !

بنت الشاطىء

التاريخ: ٢٧ / ١ / ١٩٦١

اللغة والحياة "المصابيح الزرقاء" اختفى في ضوئها الخافت محمود تيمور ..

«لم نخسر تيمور لشيخوخة وجدانه او عقم فنه ؛ ولكن المأساة فيما ارى انه ترك مايحسن الى ما لا يحسن وجارى التيار فتكلف ماليس من طبعه في الاثارة المفتعلة ، ثم كانت عقدة العقدة ان يفرض المجمعي سلطانه على فنافيت ودلاديل ونشوش ونواعم ، فيتحاورون في ساحة الرقص ووكر الدعارة : بلغة الائمة المجمعيين ! »

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



عن نفسها ، فهل تراه قد استنفد الصنف الطيب الجيد ، الذي لايحتاج الى الاعلان الصارخ والالوان الفاقعة ؟

موضوع القصة صراع بين بقايا الارستقراطية ، وبين الاوضاع الجديدة لمجتمعنا الديمقراطي ، وبطلاها « تيتي » بنت الاكابر — باعتبار ما كان — وسعد مدبولي فتى المصنع الجاد الطامح ، وهو موضوع كان يمكن ان تخرج منه — بقلم تيمور الذي عرفناه — قصة بارعة مثيرة ، لكن جنت عليه رغبة طارئة في الاثارة المفتعلة ، فتكلف ماليس من طبعه ؛ واقحم هنا وهناك ، عبارات لم نألفها من اديبنا الوقور ، مثل قوله على لسان عذراء :

«ما اروع الضجعة بين حضنيه ، وهو يحوطني بذراعه ويضمني الى صدره . يداوي على وجهي يغمرني بانفاسه ويتحسس رقبتي بشفتيه ، ويدني فمه من فمي لنشتف معا رحيق الحياة ونشوة العمر . في تلك الضجعة تكمن سعادة الازل ومتعة الابد ! ما اروع ساعة استسلامي اليه .. . » ص ٢٦

« لو ان سعد مدبولي منحني القبلة المشتهاة لتغيرت حياتي على الاثر .. اني لاعتبر هذه القبلة المشتهاة حدا فاصلا بين دنيا ودنيا ، انها القول الفصل ، فيها تقرير المصير .. اما انت ياسعد مدبولي ، فلن اغفر ابدا فعلتك الشنعاء .. » — ١٢٦

التاريخ: ٢٧ / ١ / ١٩٦١

فتافيت ودلاديل ونتوش ينطقون بلغة المجتمع



التماس الرائد ، الذى طالما بهرنا وانسيع من فنه ، فى تلك الاقاصيص القصار التى تعرض نماذج حية من صميم بيئتنا ، وصورا امينة من واقع حياتنا ..

الكاتب العف المهذب ، الذى اتسع افق الحياة امامه فلم يلجأ فى مأرب الفنى الى استهواء قرائه ببضاعة مبتذلة من الهوى الرخيص والشهوات الجامحة ..

الاديب الاصيل ، الذى استغنى قديما باصالته عن التهريج والتهويش ، ومضى فى الطليعة يحمل قلمه مشعلا مضيئا فى الطريق ، دون ضجيج او ادعاء .

هذا الاديب الرائد الاصيل « محمود تيمور » يبدو لنا اليوم فى الجديد من مؤلفاته ، شخصا آخر غير الذى عرفناه ، وكاتبا غريبا عن من الفناء واحبيناه .

اقول هذا ، بكل حزن واسى ، بعد ان امضيت اياما وليالى ، افتش عبثا فى الضوء الكابى للمصابيح الزرق عن اى اثر لمألوف ملامح تيمور ، واحاول دون جدوى ، ان استرجع فى صفحته الاخيرة « الى اللقاء ايها الحب » صدى من الصوت المؤثر الذى طالما اجتذب سمعى وهز وجدانى ..

ولقد انكرته فى احدث آثاره ، من اللحظة الاولى التى وقعت فيها عيناى على صورة الغلاف تحت عنوان « الى اللقاء ايها الحب » ولولا ان اسم محمود تيمور مطبوع بجانب الصورة ، لظننت ان فى الامر خطأ او التباسا ، فما عهدت تيمور يلوذ بهذا الصنف من الصور الصارخة بالاغراء لترويج بضاعته ، وما عهدته يضع القلب الابيض وراء الجسد المثير على هذا النحو المبتذل !

ومن عجب انى قرأت القصة كلها فلم اجد بين شخصياتها ، واحدة تشبه صورة الغلاف !

لأمر ما الاعلان عن البضاعة اذن اقتضى ابراز الفتنة الجسدية وتجسيم الاغراء على الغلاف ، ليجذب انظار « الزبائن » !

وبضاعة تيمور الاولى ، كانت تعلن

وافلتت فكرة الصراع البارعة من يدى الكاتب ، فاذا هى قصة فتاة تنكر على الشاب الذى احبته ، انه لم يمنحها القبلة المشتهاة ، وتندفع فى احضان « السوهاجى » صاحب جريدة « الليالى الملاح » فى حفل علنى ، « وما عتم ان ضمها الى صدره ضمة مفاجئة ، تلاقت على اثرها شفاههما ، فغابا معا فى قبلة عميقة حافلة — ١٩١ » انتزعتها منها يد سعد مدبولى ، لتظل تحلم بها من بعد فتقول : « قبلة السوهاجى ، انها القبلة الاولى التى استقبلتها شفتاى من رجل ، واى رجل ؟ انه فاجر عربيد ! قبلة .. ويالها من قبلة !. مازلت اجد على فمى حرارتها لم يخمد لها اوار . وانت يا سعد ، فنعت ياصاحبى بقبلة اليد الفاترة ، وتركت لغيرك الشفاه غنيمة ممتعة — ١٩٣ »

ويهرب سعد محزونا الى اوربا ، فتدرك « تيتى » بعد سفره انها تحبه وتكتب له رسالة غرام تقول فى ختامها : « ها انا ذى قد نفضت بين يديك جعبتى .. فالى اللقاء ياحبى الكبير ! » ومن هنا جاء العنوان ..

ثم تدخل « المجمعى » فى اسرار عجيب فجعل « دلاديل » يمتشق سكينا طويلا ويهوى به على القطيرة فيمزق احشاءها فى عيد ميلاد تيتى ، وجعل العمة تنبدة تدير قرص الحاكى لتسمع ملحمة بيتهوفن ، ووضع التليفون بين تونسين ليعزله عن الفسحى ، ثم تركه يصلصل بين آن وآخر ، لان الصلصلة الیق بالمجمعى من الرنين ، ومشى بالآنسة تيتى تاركيها الحافلة لان السيارة العامة لا تليق ، ووضع مضخم صوت مكان الميكروفون !

وتركت حديث الهوى والمجون ، والقبلة التى تتكرر عشر مرات فى الصفحة الواحدة (١٩٣) وتركت تيتى وفتافيت وننوش ودلاديل وعشم الخير والسوهاجى والعمة تنبدة ، فى جوهم الصاخب متقولا الى المجمع اللغوى ، تركت هذا كله ، الى « المصابيح الزرق » لعلى استرد فيها الكاتب الذى انتمناه ، فاذا بى عند قمة المأساة !

« حدوته » لو رواها تيمور فى صفحتين او ثلاث لكانت كافية : شاب يجلس مع رفاقه على مقهى بالاسكندرية كل مساء (يدردشون) بكلمات الوطنية ، واعينهم تلتمس فى غبش المصابيح المدهونة بالطلاء الازرق — ايام الحرب — غانية محترفة تمر بهم كل مساء ، ويتبعها الشاب الى وكر الدعارة حيث تمارس حرفتها مع عساكر الانجليز . ويفكر فى الزواج منها ولكنها ترفض ، لانه يعجز عن اشباع نهمها الى المال . وينصرف الشاب عن « نواعم » غاضبا ليلتقاها بعد ايام فى زى محتشم ، ويتبعها فيعلم انها تعيش بالنهار ، باسم « بهية » الام الصالحة التقية المسمة التى تكافح لتربى وحيدها : « رفيق » وتدعى انها تشتغل ممرضة فى الليل .

وغاب الشاب عن الاسكندرية حينا ثم عاد فلم يجد « نواعم » ولا « بهية » وانما وجدها باسم « اشجان » التى ثكلت وحيدها برصاص عسكرى انجليزى فى مظاهرة صبيان . وما زال الشاب بها حتى اقنعها بالاشتراك معه فى افتتاح « مشغل رفيق للحياكة والتطريز » ليكون مدرسة لتربية بنات الوطن وتلقين دروس القومية والثورة (!!) وفى حفل الافتتاح « تلفعت اشجان بالراية المخضبة بدم ولدها ، ومثلت على المنصة تهتف بحياة الوطن وتحث الاخلصين على الجهاد ! وتكاثر الجمع حول اشجان وخرجوا بها محمولة على الاكتاف الى الدبلتة ، فاصابتها رصاصة انجليزية ، وتهاوت ودمها يتدفق من بين جوانحها ممتزجا بدم ولدها الشهيد على ديباجة الراية الحمراء ، راية الوطن »

انتهت القصة ، لم اكد فى هذه الاسطر افلت شيئا جوهريا فيها ، لكن الاستاذ تيمور عكف عليها يشدها ويمطها ويفردها ويبسطها ، لتخرج فى كتاب كبير على قد المقام ! وحين لم تعد تحتمل مزيدا من المط والشد ، عمد الى طبعها بحروف كبيرة ، وباعد بين الاسطر ، مع ترك فراغ كبير فى مستهل كل فصل وآخره ..

ولم تكتف مجمعيته هنا بالتدخل فى الالفاظ والاساليب ، بل فرضت عليه ان يضبط كل حروف الكتاب حتى ما لا يحتاج منها الى ضبط لانه غير مظنة خطأ او اختلال ، فهو يضبط تاء التأنيث بالسكون او بالكسر عند التقائها بساكن ! ويضبط حروف : انا ، وهو ، وهم ، وهذا ، وهذه ، واذا ، ولم ، ومن ومنى ، ولا ، وليس ، وكان ، وهناك !

وشغله هذا الضبط عن سر المأساة ، فى امرأة تبيع اللذة لعساكر الانجليز من اجل ولدها ، ثم يصرع الولد برصاصهم !

وبعد فماذا اقول ؟

الم يكن الاستاذ تيمور اذكى من كتابة القصة اكتفاء بمجد ماضيه فيها ، وليفرغ للالفاظ اللغوية التى تشغله منذ دخل المجمع ؟

كلا .. فليست مأساة تيمور ناشئة

عن شيخوخة وجدان او عقم فن ، ولكن المأساة فيما ارى انه ترك ما يحسن الى ما لا يحسن !

ترك القصة القصيرة ، وهو فيها رائد ومبدع ، الى القصة الكبيرة التى خرجت فى الحديث من آثاره ، تطويلا مسرفا للقصة القصيرة ، بالشد والمط .

وتكلف ماليس من طبعه مجاراة للتيار الغالب ، فاستعان بالاثارة المفتعلة ، واقحم مشاهد غير مألوفة من مثله ، فى وقار سنه ورصانة خلقه وعفة قلمه

وتكلف مجاراة روح العصر عن طريق القسر لا الالهام ، فكانت دروس الوطنية عنده تلقن فى مشغل للحياكة بطريقة مصطنعة ، وكانت ذروة الاثارة فى الصراع بين رواسب الماضى وقيم الحاضر : حكاية

تنقل فتاة بين قبلة يد وقبلة داعرة فى مرقص ، وفى الصراع الوطنى : ان تموت ذات الاسماء الثلاثة : نواعم وبهية واشجان ، برصاصة انجليزية كولدها رفيق ، وهى ملتفعة بالديباجة الحمراء هاتفة يحيا الوطن !

ثم كانت عقدة المعقد ، ان يفرض المجمعى سلطانه على الاديب ، فيصير فتافيت ودلاديل وفروش ونواعم ، السنة المجمعيين ، ينطقون بها فى ساحة الرقص ومشغل مدام تيريز ووكر الدعارة !

ولم افقد الامل فى ان يعود لنا الاديب الاصيل المبدع الذى عرفناه والفناه ، لو حاول — بشجاعة — ان يسترد نفسه التى ضاعت فى تيار الاثارة المفتعلة ، والا يصر على ارتداء الزى المجمعى فى اوساط لم تسمع قط بالحافلة والملحفة والجبة والديباجة والازار ، ولم تألف قط ان تنطق بالفاظها على مقتضى قواعد النحو وضوابط المعجم .

وما نفرض على الاديب ان يعود فيكتب بالعامية ، لكنا نؤمن بان مجال الفصحى رحب ، وانها لمن الحيوية والمرونة بحيث تسمح لنا ان نتحدث على السنة العوام بما تطوع به ، دون عدوان على الفصحى او مساس بها .

التاريخ: ٣ / ٣ / ١٩٦١

قضايا أدبية

التكرار الأدبي

هل يكتب الأديب قصة بوليسية وثانية عاطفية وثالثة جنسية حتى لا يكرر نفسه ؟

أو هل يكتب مرة قصة ثم يكتب في النقد ثم في علم الجغرافيا لكي يتفادى التكرار !



بقلم
الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله
والدكتورة بنت الشاطئ

١

ما معنى التكرار الادبى ؟ وما الذى ينبغى ان يكون حتى لا يتهم الكاتب بتكرار نفسه ؟ ! هل يقسم اعماله هكذا حتى يضمن قيام حدود واضحة المعالم بين شخصيات كل رواية كالحدود التى تدنها مصلحة المساحة على رءوس الحقول . هل يفعل هذا : ١ ــ قصة عاطفية ٢ ــ قصة بوليسية ٣ ــ قصة وطنية ٤ ــ قصة جنسية ٥ ــ قصة مغامرات ٦ ــ قصة خيالية

واذا فعل الكاتب هكذا ، فهل يضمن ان يتخلص من فكرة الحث عليه ليكتبها فى قصة . ولنفرض انه استطاع ان يتخلص من الفكرة فى جملتها كفكرة الشك التى سأعرض لها فيما بعد فهو لا يستطيع ان يتخلص من الحاح بعض الشخصيات عليه ، فاذا سلم العمل الروائى فى الجملة من الحاح فكرة عامة فانه لن يسلم فى التفصيل من الحاح شخصية معينة على الكاتب . ان المؤلف يكتب من باطنه ... يغترف من اعماقه . فالاحداث الخارجية تدخل اليه ولا تخرج عملا فنيا على الفور بل تخزن هناك فى اعماقه لتخرج وعليها علامات من مزاج الكاتب وطبقته وملامحه مشوبة بذكرياته وآرائه على هيئة خلق جديد . حتى ولو اختلفت انواع القصص وتباينت على ما فرضته الدكتورة . فالقصصى اذا كتب هذه الانواع الستة من الروايات فى سنوات متعاقبة لا يستطيع ــ اذا كان اصيلا ــ ان ينفصل عن نفسه الا اذا استطاع ان ينفصل عن ظله تحت ضوء الشمس . فالشخصيات من تجاربه ومن معارفه وجيرانه واصدقائه واقاربه وابنائه ، فلا بد ان نرى ملامحهم فى قصة بوليسية أو عاطفية او خيالية او وطنية حتى ولو جنسية . وبغير هذا يكون العمل غير اصيل . وتكون شخصياته اشبه بجماعة جمعتهم عربة قطار او فصل مدرسة ، او بعدة صور شمسية للزبائن معلقة على واجهة دكان

(المصوراتي) . وعلى العكس يأتي الامر بالنسبة للتجارب والاحداث والشخصيات في قصص الدنيا كلها فلا بد ان يرى القارىء ملامح المؤلف النفسية والاجتماعية والجسمية في أحداث روايته جملة او تفصيلا لان هذه الاعمال تنتسب اليه بالطبيعة وعلى طريق الحتمية انتساب الابناء الى ابيهم

وبعد هذا الكلام النظرى نأتي الى مرحلة التطبيق . ولناخذ مثلا على ذلك دستويفسكى : فشخصياته في الجملة من طائفة المخمورين والمقامرين والمرضى بالصرع . وشخصية بطل الجريمة والعقاب (راسكولنيكوف اعنى شخصية (ايفان) في الاخوة كرامازوف بكل مزاجها ومقوماتها . وفكرة التخلص من الحياة المادية والتطلع الى حياة اسمى الحت على سومرست موم في (حد الموسى) و (القمر والثلاث بنات) . وشخصية (الطبيب) في قصص تشيكوف منتشرة جدا وشائعة جدا في اعماله كلها . وعندما نقول (شخصيات جوركى) نذكر الانانيين والمشردين الراقدين في الغابات وتحت القوارب المقلوبة على النهر ، وشخصيات تولستوى الراحلون في النهاية الى سيبريا . كل هذا يا سيدتى لان الاديب لا يستطيع ان يهدم ويستهلك ، شخصياته وذكرياته أولا باول بعد كل رواية ثم يقف من جديد ليخلق شخصيات وذكريات لا ترتبط بمن مضوا . هذه ليست من الاصالة ولا الطبيعة في شيء ومن الممكن – لو اتسع الوقت – عمل احصاء ومراجعة للادب العالمى لتبين للدكتورة انه لا بد من التشابه المختلف والاختلاف المتشابه في اعمال الروائيين

اما التشابه بين قصة بعد الغروب وشمس الخريف الذى زعمته الدكتورة بنت الشاطىء فهو غير موجود الا بالقدر الذى يربط الاخوين ابناء الحلال بابيهم فبعد الغروب قصة فقير موهوب يحارب الاقطاع بعمله وذكائه ، وشمس الخريف قصة شاب ضيعته امه وخلفته زوجته . والكفاح في الحياة هو الملامح التى تربط القصتين . هو الدم الذى يسرى في بشرتهما من أبيهما المؤلف . وشجرة اللبلاب وغصن الزيتون فيهما قصة الشك حقيقة . لكن ليس من الضرورى كما قلت ان يتخلص الكاتب من فكرة تلح عليه . على ان الشك في شجرة اللبلاب كان ضروريا للذى ملك بسهولة وبلا عناء . والشك في غصن الزيتون كان ضروريا للذى لا يجد الا من لا يثق في ماضيها . وحسنى في شجرة اللبلاب يمثل السيطرة التى تتعسف اذا ملكت . وعبده في غصن الزيتون يمثل الضعف الذى لا يدرى صاحبه ماذا ياخذ وماذا يترك . وهذه هى الملامح المشتركة التى تربط القصتين والدم الذى يسرى في بشرتهما من ابيهما (المؤلف) ثم هل لى ان اسال السيدة الدكتورة، اين تقع قصة (لقيطة) اول اعمالى من قصة (من اجل ولدى) أحدث اعمالى المنشورة ؟ هل هذه أيضا تكرار لتلك؟ ثم بودى ان تراجع الدكتورة اعمالها القصصية وتحاول ان تضعها تحت قاعدة التكرار لنرى ماذا يحدث ، وانا اؤكد لها انها ستجد كثيرا من تجاربها وذكرياتها مكررة في أقاصيصها وهذا شيء اهنئها عليه مقدما .

انا استطيع وكل كاتب قصصى عربى وغير عربى يستطيع ان يضع حدودا من الحديد بين كل عمل من اعماله بطريقة مصلحة المساحة في الحقول ، لكن بشرط واحد هو ان يكون الكتاب الاول (رواية) والكتاب الثانى (نقدا) والكتاب الثالث (رحلات) والكتاب الرابع (في علم الجغرافيا) ..

محمد عبد الحليم عبد الله

للاديب ان يدافع عن نفسه ما شاء ، وعلى اى وجه شاء ، الا ان يتجنى فيزعم انى اردت له ان يكتب قصة واحدة لم يكتب ، او عنيت ان يكتب قصة بوليسية ، ثم جنسية ، ثم مائية .. او ان يكتب مرة قصة ، وثانية في النقد ، وثالثة في علم الجغرافيا ، كي يتقي التكرار ويضع بين اعماله حدودا فاصلة امام رقابة النقد !!

وهذا مالم اتصوره بحال ، بل لم اتصور ان خاطر الاديب يتجه اليه ، حين اخذت عليه انه كرر نفسه في بعد الغروب بقصته شمس الخريف ، ثم استمرأ التكرار في غيبة الرقابة النقدية ، فكانت غصن الزيتون من وادى شجرة اللبلاب !

انا حدد له هنا وجه التكرار فيما ذكرت ! ان غصن الزيتون وشجرة اللبلاب ، انبثقتا ببذرة واحدة هي بذرة الشك في عفة المرأة ، وسيطرت عليهما عقدة واحدة هي تعذر الخلاص من هذا الشك ، وانتهت كلتاهما بحل واحد ، هو الفرار من حسم العقدة والعجز عن حلها ، اما ضعفا او من وهم السيطرة والتسلط . وكذلك تكررت صورة العرض ، فكانت في احداهما غصنا وفي الاخرى شجرة ! وحسبى ان الاديب نفسه اعترف في رده بالملامح المشتركة بين القصتين ، والدم الواحد الذى يجرى في عروقهما ، ثم اعتذر بان ابوة المؤلف للقصتين كلتيهما ، هي المسئولة عن هذا التكرار ، فهو لا يستطيع ان يتخلص من الحاح فكرة معينة ، او سيطرة شخصية معينة ، الا اذا استطاع ان يتخلص من ظله في ضوء الشمس ، وهذا ما اومن به حقا ، لكن هذا لا يقتضي التكرار في العرض ، والوحدة في التناول ، ومن اجل هذا لم اعرض — في رقابة النقد — لقصته لقيطة ، ومن اجل ولدي رغم وحدة الابوة ، ورغم وحدة البذرة : فاللقيطة نبتة الخطيئة ، ومن اجل ولدي نبتة شك لكن الاديب مضى بالشك في لقيطة الى نهاية حاسمة ، فانبت منه لقيطة على حين استسلم في الثانية ، لابوة ولد مشكوك فيه !!

وقلت ان شمس الخريف تكرار لبعد الغروب ، والعنوان نفسه شاهد على التكرار : فالغروب في واحدة ، هو خريف العمر في الاخرى ، وشكل الاداء واحد لم يتغير : حيث يتفرج رجل في مغرب حياته ، يسترجع امامنا قصة عمره وذكريات ماضيه ، في هدوء وديع قد صهرته التجربة ، وخمدت حرارة الانفعال بالاحداث ، في فتور المغرب الهادىء الساجي . وكذلك الامر في شمس الخريف : يقف رجل في خريف عمره ، يسترجع قصة حياته وذكريات ماضيه ، بنفس الهدوء ، ونفس الصوت ، ونفس الملامح ، وان تغيرت الاسماء وتغيرت المواقف ، بمقدار ما تغير الغروب بالخريف ، والغصن بالشجرة !

وحسبى ان اعترف عبد الحليم بان ما بينهما من تشابه ، هو ما يكون بين الاخوين من ابناء الحلال ، وان بدا لي في الواقع انه مثل ما بين التوامين !

واعرض بعد هذا لقضية التكرار بوجه عام ، فاقول ان تكرار الموضوع ، او وحدة الفكرة ، لا مأخذ عليه ، فكلنا نفعل ذلك : تسيطر علينا فكرة معينة نؤديها ، لكن في صور شتى ومن زوايا مختلفة ، كما فعل عبد الحليم نفسه في لقيطة ، ومن اجل ولدي .

وهناك ادباء تخصصوا في موضوع واحد ، ولكنهم لم يكرروا انفسهم بالاداء الواحد ، والعرض الواحد . وهذا هو ما فعله الادباء الغربيون الذين ذكرهم عبد الحليم ، وفعل مثله ادباء عرب ، قدامى ومعاصرون : آثار ابي العلاء جميعا تحمل ملامح شخصيته ، ويسيطر عليها بالحاح ، ماهيته في الحياة ، دون ان تكون رسالة الغفران تكرارا لرسالة الملائكة ، او تكون الفصول والغايات تكرارا منثورا لسقط الزند . الشوقي مثلا ، رأى خاص في المرأة ، لا نخطئه في آثاره ، كما لا نخطىء فيها جميعا ملامح شخصيته ، لكن لم يقل قائل ان شوقي في مملكة النحل كرر نفسه في شوقياته الاخرى من الانثى ؛ او ان تنتياس في تمبيز ، تكرار لكليوباترة او ليلى . على مافي هذه الآثار جميعا من ملامح مشتركة من ابيها الشاعر ، ونازلة الملائكة ، تسيطر عليها فكرة الحزن ، وتلح عليها — في آثارها — الحاحا بينا ، ونقرأ مع هذا ، قصائدها في : عاشقة الليل ، وشظايا ورماد ، وقرارة الموجة ، فلا نلمح أثرا لتكرار العرض في قصائد الدواوين الثلاثة ، وان اهتز وجداننا بطابع الحزن المشترك بينها ، ولم تخطىء فيها جميعا ملامح الشاعرة ، بكل مايميز شخصيتها الفريدة ...

فهل يرى الاديب عبدالحليم ، ان ابا العلاء احتاج الى ان يكتب رسالة بوليسية ثم قصيدة جنسية ثم فصولا جغرافية ، كي يلجو من التكرار ؟

او عنده ان شوقي ، تفادى التكرار بمجموعة صور شمسية كتلك التي يعلقها المصوراتي لزبائنه على واجهة دكانه ؟

او هل يرى ان نازك الملائكة ، حين الحت عليها فكرة الحزن ولم تنج من سيطرتها على آثارها ، اضاعت ظلها وفقدت اصالتها ، وكانت قصائدها اشبه بمجموعة ركاب في قطار ، او مجموعة تلاميذ في فصل مدرسي ؟

اقول الحق ! لقد ذكرني صنيع عبد الحليم ، حين كرر الغصن بالشجرة ، والغروب بالخريف ، بنادرة نقلت عن « برانكاربه » في زيارته لانجلترا ، حين استقبل عشرين وفدا من شتى الطوائف ، واصغى الى عشرين خطبة ترحيب به ، ترد عليها عشرين مرة شاكرا ، دون ان يكرر عبارة واحدة في مرتين ، وروى « ابن بسام » في الذخيرة ، انه سمع وزيرا ثقة من وزراء اشبيلية ينقل عن ابن زيدون : « لمهدي بابن الوليد قائما في مأتم بعض حرمه ، والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سمعناه يجيب بما اجاب به غيره ! »

ذكرت هذا ، وذكرت معه ان « لودفيج » ابدع كتابه عن « النيل » وموضوعه جغرافي ، وان من اعلام الفن من ابدعوا لوحات عديدة في موضوع واحد دون ان يكرروا انفسهم ، وان من المصورين انفسهم من يأخذون عشرات الصور لشخص واحد ، من زوايا مختلفة !

ارجو بعد هذا ، الا يتصور عبدالحليم انني انكرت عليه وحدة الموضوع ، او الحاح فكرة معينة — هي فكرة الشك في الانثى — على اكثر آثاره ، وانما الذى اخذته عليه هو التكرار في التناول ، والسياق ، والاداء ، فجاءت آثاره متشابهة تشابه الاخوة ، فيما يقول ، كأنما التماثل محتوم لكي يكون الاخوة — حتى مع الحاح فكرة الشك على ابيهم المؤلف — ابناء حلال !!

بنت الشاطىء


د . بنت الشاطىء


محمد عبد الحليم عبد الله

التاريخ: ٤ / ٣ / ١٩٦١

أنا حائر من امرها !

وانتهى حديثي مع المستشار الاستاذ كامل لطف الله .. وانصرفت ومعي آراؤه تشاركني الطريق .. اراء مضيئة بلا ظلال . واضحة بلا حيرة .. وقررت ان اتجه الى سيدة تحيرني آراؤها .. هي من قيادات الرأى فى مجتمعنا .. ولكننى حائر فى امرها !

هل هى رجعية متزمتة .. أو هى تقدمية متحررة ؟
فهى ترتدى ملابسها وفقا لاصــــول الشرع وبما يرضى استاذنا الشيخ ابو زهرة !
وهى تقود سيارتها ، وتدخن سيجارتها ، وتقوم بين الرجال معلمة وخطيبة ونائبة فى مجلس المحافظة ، وكاتبة أصيلة القلم ، تشهره كالسيف المســموم فى وجوه عمالقة الادب والفكر .
صوتها عــذب فيه كل جرس الانثى .
وجدلها صاخب فيه لدغة الافعى وشراسة قط الجبل

وقد دأبت طويلا على ان اقرا سطورها بتوقيع « بنت الشاطىء » فى جريدة « الاهرام » .. ثم احاول ان اقـــراوجهها كلما صادفته فى مجلس عام .. وحيرتنى سطورها .. بقدر ماحيرتنى بسمتها المريضة تملأ عينيها السوداوين النعسان كل بهجة النغم الراقص .. على الشاطىء المترنح ساعة الغـــروب .. وبنته .. بنت الشاطىء تختال معتزة باصالة نبتها من اعماقه !!

ان سطورها هائمة بالنقد والرغبة الجامحة فى الاصــــلاح ، والدفعات المتحمسة نحو التطور .. ثم نجأة تجدها تئن بحمل اثقال رجعيــــة ، انت تحس انها تجاهد كل قوتها فى ســبيل حملها .. هى فى باطنها مؤمنة بالتطور ، وهى فى وعيها تخاف هذا التطور وتخشاه وبين الايمان والخوف يتأرجح قلمهـــا بين انطـــلاق المركب البشرى الذى لا مهرب منه .. وبين عمـــامة الــوعظ والارشاد تضمها قسرا فوق شعرها الاسود المنساب !

وكذلك بسمتها الشرقية الجذابة .. لا تلبث فى لحظـــة ان تختفى ، لترى تنثيات متجهمة ، تعبر عن قســـوة التقاليد والعادات عندما تغزو نبضات بنت الشاطىء .. فاذا بهـــــا بنت الصحراء .. بنت الفضـــاء المخيف !

ولكنها فى بيتها .. بنت الشاطىء الكريم المضياف .. املساء العبـــارة ، صادقة الترحيب ، انتزعتها امومـــــة البيت ودفء عاطفة الزوج ، من كـل زلوش مسرح الحياة ورقابة المجاميع .



تعال ناكل الفتة والكوارع ... بنت الشاطىء

لا .. لن تعرفوا الان ، ياسامى .. هناك رجال يستحقون الضرب !

التاريخ: ٤ / ٣ / ١٩٦١

داود ، قل لصديقك موسى صبرى عن ماداتنا .. احنا فلاحين .. والغداء جاهز ، ستاكلون من الموجود ، ويومنا فتة وكوارع ..

وكان لابد ان احرم نفسى من اكلة « الفتة » مع دكتورة الادب الاستاذة عائشة عبد الرحمن ، فقد تركت على موعد حال ، ولكننى لم احرم نفسى من جدل طويل معها ، اشهى من « الفتة »

ــ سيدتى انا حائر معك .. هل انت بنت شاطىء القرن الماضى .. ام انت سيدة مجتمع عام ١٩٦١ .. لقد سمعتك فى التليفزيون تقولين وتكررين انك تؤيدين ضرب المراة ، وقلت اكثر من مرة ان هناك صنفا من النساء لا يرتدع الا بالضرب .. الا تقدرين خطورة هذا القول من رائدة مثلك .. على طبقة من المستمعين لا تستطيع ان تتعمق فى فهم احكام الدين .. وتأخذ الكلمة من فمك حكما عاما ، ما اخطره لو اصبح دستورا فى بيوت الناس ... رجعية

بنت الشاطىء ــ انا محافظة ولست رجعية .. وفرق كبير بين المحافظة والرجعية .. انى اريد تعليم المراة واشتغالها بالحياة العامة .. وهذه ليست رجعية ، ولكننى لا اؤيد شربها للخمر ومراقصتها للرجال وتبذلها وتحديها لاداب الحياة .. وهذه محافظة لن يتمر هذا المجتمع الا اذا حرصنا على فضائله ..

ــ معنى الفضيلة يختلف ياسيدتى ويتطور واشتغال المراة العربية بالحياة العامة يغير من تكييف الفضيلة فهى تلتقى بالرجال فى عملها ، وهى تمشى برضائها او بالرغم منها مع تطور العلاقات فى مجتمع يسعى الى التسوية بين الرجل والمراة .. فهى تتزين وهى تقبل دعوة زميلها الى السينما ، وهى تشاركه مشاكله بعواطفها ، وهى تحبه وهى تنتشى بنظرة العين ولمسة الحنان!

من حقها أن تخطب الرجل

بنت الشاطىء ــ لا تحاول ان تمزج بين اشتغال المراة وبين تنازلنا عن فضائلنا ، ترخيص العاطفة ليس تقدما ، السمو بها هو التقدم ... يبقى الانسلاخ من الانوثة ليس تجاوبا مع روح العصر ... ولكنه انتكاس ... حقيقى للمراة ، وهذا هو الفيصل الواضح بين المحافظة والرجعية .. هل تدهش اذا قلت لك انني اؤيد ان تخطب الفتاة رجلها ، ان تقول .. اريد ان اتزوج هذا الرجل ..؟

ــ لن ادهش !

التاريخ: ٤ / ٢ / ١٩٦١

بنت الشاطىء ـ كيف تقول اذن انني رجعية وانا انادي بهذا ؟..

ـ انا لا اقول انك رجعية ، ولكنك حائرة بين تراث راسخ في نفسك من التقاليد .. وبين جموح عارم في نفسك نحو التقدم .. ان قولك بان من حق الفتاة ان تختار رجلها يقتضي الاتفاق اولا على المرحلة التي تسبق هذا الاختيار ، فلابد اذن من ان تخالطه وتخرج معه الى اكثر من خلوة ، حتى تكون رأيها .. فهل توافقين [illegible]

بنت الشاطىء ـ لا .. انا لا اؤيد الخلوة بين رجل وامرأة ..

ـ عدنا اذن الى حيرتك ..

بنت الشاطىء ـ انت الحائر ..

ـ انا حائر في آرائك .. انا لا اتصور منك نداء الى ضرب المرأة

كيف نؤدبها بالضرب ؟

بنت الشاطىء ـ لقد اوضحت رأيي في ندوة التليفزيون ، وانت الذي تحاور وتداور ، لقد قلت ان الاسلام دين واقعي .. ودين مثالي ، فهو واقعي يعطي صورة صادقة لحياة الناس ، وفي حياتنا نساء لا يرتدعن فعلا الا بالضرب .. وهو مثالي يدعو الى المحبة والمودة بين الازواج ، وضرب الزوجة ليس هو مرحلة التفاهم الاولى معهما .. « واللاتي تخافون نشوزهن [illegible] واهجروهن في المضاجع واضربوهن .. فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » .. الضرب اذن بعد العظة وبعد الهجر ..

ـ وما هي حدود نشوز الزوجة الذي يوجب ضربها

بنت الشاطىء ـ النشوز اشبه بالاباق

ـ وما هو الاباق

بنت الشاطىء ـ الخروج على الطاعة ..

ـ حتى لو كان الزوج ظالما ؟..

بنت الشاطىء ـ انت تعلم يا سيدي ان هناك رجالا يستحقون الضرب ايضا كما ان هناك نساء لا يقومهن الا الضرب هذه حقيقة لم تريد اخفاءها ؟ .. ان المرأة تستطيع أن تطلب الطلاق بالمضارة أي اذا اولاها الزوج ظهره وهو ظالم هناك زوجة تؤلمها النظرة العاتبة باكثر من الضرب .. ولكن ما حيلة الرجل اذا اصرت زوجته على تصرفات سخيفة او مبتذلة ..

ـ وما هي حدود الضرب ؟

بنت الشاطىء « ضاحكة » .. كفاية كفين على وشها يفوقوها !

قصة مع المرآة

وتطور الحديث بعد ذلك الى دعوة جادة لفهم روح الاسلام فهما صحيحا ، .. وتكلمت بنت الشاطىء كثيرا فعادت بي الى حيرتي في امرها !! .. ان ما نفكر فيه هو قمة الدعوة الى التحرر السليم .. ولكنها في هذا المضمار تقف في عناد رافضة ان تنظر الى ما حولها .. مستميتة في التشبث بما مضى .. وهي التي حطمت كل قيود الرجعية التي حاصرتها في طفولتها وصباها فقد نشأت في بيت كان ربه يحرم وجود مرآة به .. وكانت الطفلة بنت الشاطىء تضع ستارا اسود وراء زجاج النافذة حتى ترى وجهها .. او تمشط شعرها .. واكتشف الاب هذه المعصية فثار وغضب .. ولكن ثورة الاب التي نجحت في تحريم المرآة على بنته ، فشلت في ان تحرمها من التعليم واستاذية الجامعة وقيادة الجماهير [illegible]

التاريخ: ١٠ / ٣ / ١٩٦١

قضايا أدبية

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

نزار قباني .. وصوفي عبد الله في موقف اتهام

« السرقة الادبية من أخطر التهم ، ويجب أن نتردد طويلا قبل أن نتهم أديبا بها، فالموضوع الادبي انساني مشترك، يمكن ان يتوارد عليه الادباء جيلا بعد جيل، ثم لا يكون لنا حق اتهام أحدهم بالسرقة ، مادامت له شخصيته المتميزة في التناول ، وأسلوبه الخاص في الاداء .. »

القضية قديمة ، عرفها الادب منذ كان وشغل بها النقاد على مر الاعصر وتتابع الاجيال ، وما تزال تتجدد وتثار ، كلما عرضت مناسبة او جد اتهام ..

والمناسبة اليوم ، هي ما يتردد في المحافل الادبية من اتهام للشاعر نزار قباني في قصيدته « وحيدة » وللكاتبة صوفي عبد الله في احدث قصة لها « عاصفة في قلب » ..

نص قصيدة نزار



نزار قباني

« نص قصيدة نزار »
اخرج من معطفه الجريدة ،
وعلبة الثقاب
ودون ان يلاحظ اضطرابي
ودونما اهتمام
تناول السكر من امامي
ذوب في الفنجان قطعتين
ورنى ...
وبعد لحظتين .. ودون ان يراني
ويعرف الشوق الذي اعتراني
تناول المعطف من امامي
وغاب في الزحام
مخلفا وراءه الجريده
وحيدة .. مثلي انا وحيده ..

وقد توقفت على قصيدة « افطار الصباح » للشاعر الفرنسي المعاصر: « جاك بريفيه » وفيها يقول :

وضع القهوة في الفنجان
وصب اللبن ، ووضع السكر
واذابه بالملعقة ..
وشرب القهوة ، وازاح الفنجان
دون ان يكلمني ..
واشعل سيجارة ..
وصنع حلقات بالدخان
واطفا سيجارته ..
ودون ان يكلمني .. دون ان ينظر الي
قام واقفا .. وارتدى معطفه
ورحل تحت المطر .. دون كلمة
ودون ان ينظر الي .. »

فكان الاتهام

التاريخ: ١٠/ ٢ / ١٩٦١



صوفى عبد الله — فرانسواز ساجان

بالعشيق ، لم يمس جوهر الموضوع لمغامرة المراة الناضجة المجربة ، مع فتى اصغر منها سنا واقل تجربة ، ثم عودتها الى الرجل الاول ، لكن هذا الصنيع حلل عقدة الموقف وافسده بالغرابة والشذوذ ، اذ من المالوف ان تنتقل باريسية من عشيق الى آخر انضر منه شبابا ، ثم تكتشف عبث المغامرة الطائشة لترجع الى قديمها ، لكن ليس من المالوف ان تحدث هذه المغامرة نفسها من سيدة عربية مصرية — تصر صوفى على ان تضفى على جوها ظلال الاحترام — على مرأى ومسمع من زوجها الكريم المحترم .. واذا كانت « اميرة » مخلوقة شاذة ، تحب زوجها وتمارس فى الوقت نفسه هوايتها فى اجتذاب الرجال الى شرك نتنتها وحبائل مكرها ، فليس من الشذوذ ان زوج ذو كرامة وشخصية وسن وتجربة يتفرج على زوجته وهى تمارس هوايتها الشاذة مع اى رجل تختاره لتستمتع بوقوعه فى مصيدتها ثم تقف لتضحك عليه .. وحين يلمح هذا الزوج بوادر الخطر على زوجته فى لعبتها مع الفتى الموسيقى ، يكتفى حضرته بان يلفتها اليها ثم يبقى فى موقف المتفرج دون مبالاة ، حتى تتم المأساة ..

وهذا التحلل فى عقدة القصة ، بنقلها من عشيق الى زوج ، يشبهه شذوذ آخر فى نهايتها : ففرانسواز تكتفى بعودة المراة الى عشيقها الاول ، واندماجهما فى الفة معتادة ، على لحن برامز ، على حين مضت صوفى باميرة ، عندما قررت قطع علاقتها بالفتى خورشيد ، وعودتها بكل كيانها الى الزوج ، مضت بها صوفى الى البيت ، ثم جعلت الزوج يخرج مع الخادم لشراء معدات الاحتفال بالعودة ثم عمدت الى الصدفة لتجيء بخورشيد فى هذه اللحظة .. ويباغت المسكين بفتور عشيقته ، واصرارها على معاملته كضيف ، فيمد يده الى سكين بجانب طبق من التفاح جاءت به اميرة تحية ضيافة ، ويجرحها بالسكين فى وجهها ، فى اللحظة التى يعود فيها الزوج محملا بطعام الوليمة ، ويدرك فى ثوان ، حقيقة المدى الذى بلغته المغامرة الطائشة ، فيطرد خورشيد ، ويعيش مع اميرة فى بيتهما على قطيعة صارمة ، لمدى سنين لا يبدو لها آخر ..

قلت ادافع عن صوفى : هذه النهاية غير الاخرى عند فرانسواز ، وهذا الاسلوب غير الاسلوب والجو غير الجو ، ما بين القصتين من ملامح الشبه ، لا يعدو توارد خواطر فى دنيا حواء المشتركة .. فليس يستبعد ان تعالج صوفى موضوعا عالجته قبلها فرانسواز ، وكلتاهما انثى .. وغير مستغرب ان تتشابه الاشخاص ، وتتشابه مواقف ما دام لكل كاتبة اسلوبها وجوها ..

افترانى انتصب لصوفى ؟ كلا .. فالواقع انى انكرت قصتها ، لكن لسبب غير هذا الذى قيل عن شبهها بقصة فرانسواز : انكرت شذوذ اميرة المتفانية فى حب زوجها ، وهى تمارس هوايتها الشاذة .. وانكرت شذوذ الزوج المتفرج الماخوذ ببراعة زوجته فى اجتذاب الرجال الى شبكتها دون ان تقع هى فى المصيدة .. ولكن اقسى ما انكرته من شذوذ فى قصة الشواذ ، ان تتعلق اميرة بخورشيد لانه يشبه وحيدها الذى ...

اما عاصفة فى قلب ، فتيل انهاتعريب بتصرف ، لقصة فرانسواز ساجان : **هل تحبين براهمز ؟** وكان الذى اثار الشبهة واطلق الالسنة بالقيل والقال ، ان قصة فرانسواز تدور بين ابطال ثلاثة : امراة ناضجة فى العقد الرابع من عمرها، ورجل مجرب يكبرها سنا ، وفتى صغير، فى غرارة الصبا وحرارة الشباب

ومثلها تماما قصة صوفى بابطالها الثلاثة ..

وموضوع القصة عند فرانسواز ، مغامرة المراة الناضجة ، حين تدع صاحبها القديم وتتعلق بشاب بينهما من فارق السن ما بين ام وولدها ، وتمضى معه فى مغامراتها الطائشة ثم لا تلبث ان ترتد فجاة الى رشدها ، فتدرك شذوذ علاقتها بالشاب الغرير ، وانه لن يكون لها ابدا ، وتعود الى صديقها الاول ..

وكذلك هو موضوع « **عاصفة فى قلب** » اذ تمارس « اميرة » مغامراتها مع « خورشيد » الموسيقى الشاب ، رغم امتلائها بحب زوجها ، وتمضى فى المغامرة الى اقصى مداها ، ثم يعود اليها رشدها بغتة ، فتنفض يديها من الفتى وتلفظه نهائيا من قلبها ودنياها ، وتعود الى رجلها الاول ، مؤمنة بعد ان بصرتها التجربة ، انها لهذا الرجل الناضج المجرب الذى تزوجته عن حب ، وادمنت النها له .

واللحن الموسيقى ياخذ دوره الفعال فى قصة فرانسواز ، وهو ياخذ مكانه كذلك فى قصة صوفى ..

ومن هنا كان الاتهام !

وابدا بتهمة نزار ، فارى الامر فيها بالغ الصعوبة والحرج ، اذ لو انه استطاع ان يرد **وحدة المشهد** الى مثله شائع مالوف ، يمكن ان يلفت اكثر من شاعر ، فلست ادرى كيف يسهل على نزار ، ان يتخلص من حكاية **الفنجان** هذه ، وقد ذوب فيه السكر كما فعل الشاعر الاخر ، ومضى مثله غير مكترث بتلك التى تذوب امامه ..

واقول مع هذا ، انه اذا صح ان نزار اخذ الموقف من بريفيه ، فالحق انه اضاف اليه من عنده ما غيره تغييرا جوهريا يحسب له ، فهذه « الجريدة » **التى ربط بها نزار اول القصيدة باخرها لم تعد المراة عنده ، كما هى عند الشاعر الفرنسى : قدح شراب يرتشف وسيجارة** تدخن ثم تطفأ ، **وانما هى جريدة يفرغ منها صاحبها فيلقيها باهمال على قارعة الطريق ، ويمضى وليس فى الحساب ان يعود اليها فيلتمسها بعد ان اخرجها**



من دنياه ، وانما قد يراها عابر سبيل فيلتقطها ان كانت له بها حاجة ..

وبين الموقفين فرق دقيق فيما اقدر ؛ وان كنت ارتاب فى ان كلامى هذا سيشفع لنزار ، عند من يصرون على اتهامه ..

اما عن صوفى عبد الله ، فاشهد اننى قرات قصتها عاصفة فى قلب ، فلم تذكرنى بقصة فرانسواز : **هل تحبين براهمز** ؛ وذلك دهشت حين لفتنى لافت الى هذا التشابه بينهما ، وحاولت ما استطعت ان ادافع عن صوفى ، لكن الاتهام ظل قائما يحبط كل محاولة منى فى هذا الدفاع ..

فاستبدال الزوج فى قصة صوفى ، بالعشيق الاول فى قصة فرانسواز ، لم يغير من ملامحهما المشتركة ، والفتى فى القصتين هو هو ، بكل ملامحه المميزة ، والمراة الحائرة بينهما ، هى هى ، بنضج تجربتها وشخصيتها وسنها ، والذى فعلته صوفى ، حين استبدلت الزوج

فلاما ، ثم تمارس علاقة جنسية آثمة مع شبيه ولدها بكل تجاوب وطواعية وارتياح ! وبدلا من ان تثور امومتها لهذا الدنس ، نراها تعرض علينا مشهد السقوط مع من يذكرها بولدها ، في جو العبادة والخشوع ، ثم تمضي فترتل التسابيح اثر افاقتها من غيبوبة النشوة الدنسة :

« وركع على الارض بجانبي ، وتناول يدي وجعل يقبل اطراف اصابعي العشرة واحدا واحدا في عبادة وخشوع .. ويقول :

— انت المراة الكاملة .. كل امراة تاخذ شيئا من الرجل الذي تريده ، وانت منحت بلا اخذ .. اعطيت بلا سؤال ..

« وترقرقت الدموع في عيني ، وجذبت رأسه نحوي وقبلت فمه المرتجف الواهق :

— انت جميل .. نبيل .. كازهار الزنبق .

— .. تلك التي ترتوي من نبع الصفاء ..

« وعاد يقبل اطراف اناملي ، ثم تناول هدب ثوبي يقبله ، وعيناه تسبحان تسبيحة لاتنهض بها الالفاظ ..

— انت انقى امراة ..

« واقشعرت اوصالي لتلك العبادة الخاشعة من فتى نال كل شيء ، ولكن كما يتمسح العابد باركان المعبود ، ولا يراه الا زاد تدانية بما افاء عليه من الرضا والقربى ، فيزداد له طاعة ، وخشوعا ..

« ووضعت يدي فوق هامته وهو راكع يقبل اهداب ثوبي ، واحسست اني اباركه ، وابارك الارض والسماء من فيض الرقة التي احسستها تترقرق بين جوانحي وتفيض من كياني ..

« ورفعت يده وقبلتها ، وقد امتلأت الارض والسماء بنعمة الرضا .. »

ص ١٦٣

اقول : حين يصل الشذوذ الى هذا المدى ، فتمارس ام ثكلى خطيئتها مع شبيه ولدها ، ثم تجعل من مخدع الدنس محراب عبادة وخشوع وركوع وتسبيح وبركة ، فكلا وكلا ... ويفتح الله ..

لست اذن متعصبة لهواي مع بنت لحواء ، ولكني كرهت ان يبادر فتسرع فينهمها بالسرقة ، لان في قصتها شبها بقصة ((هل تحبين برامز)) ... ذلك لاني اعلم ان الموضوع الادبي انساني مشترك ، يمكن ان يعالجه اكثر من اديب وان يتوارد عليه الكتاب جيلا بعد جيل ، وبحسب الكاتب ان يكون له طابعه المتميز في التناول ، واسلوبه الخاص في الاداء ...

ومن قديم .. من وراء خمسة عشر قرنا من الزمان ، احس الشعراء في العصر الجاهلي ان السابقين استنفدوا اكثر موضوعات الشعر ، فقال ((عنترة العبسي)) .

هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم !

وكذلك قال ((زهير بن ابي سلمى)) :

ما ارانا نقول الا معارا
او معادا من لفظنا مكرورا

بنت الشاطىء

التاريخ: ١٧ / ٢ / ١٩٦١

حصار

من تراثنا الروحي

قصة صراع بين القوى الباغية والإيمان الصادق



بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

الدنيا ليل ..

وقد انفض سامر قريش فانصرفوا الى مضاجعهم مطمئنين ، يحلمون بيوم قريب يفرغون فيه من امر « محمد » واصحابه

فقد اوشك الحصار الذي فرضوه عليهم لمدى ثلاث سنين أن يبلغ غايته ومن المستحيل ان يصمد هؤلاء المحاصرون طويلا ، بعد ان جهدوا جوعا وعريا ..

فمنذ قضت قريش على بني هاشم وبني عبد المطلب ، اذ لم يتخلوا عن محمد ، وتعاقدت الا يتزوجوا منهم ولا يزوجوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ، ومنذ سجلوا هذه المقاطعة في صحيفة علقوها في جوف الكعبة ، وآل محمد يتعرضون لما هو اقسى من الموت

ولقد بلغ بهم الحال انهم كانوا ياكلون ورق الشجر ، وربما وطيء احدهم بقدمه على شيء رطب ، فالتقطه والقاه في فمه وابتلعه دون ان يدري ما هو !

وقد يفد على سوق مكة تجار غرباء لاناقة لهم في الامر ولا جمل ، فياتي احد المسلمين السوق ليشتري شيئا من طعام لعياله ، فلا يكاد يدنو من تاجر حتى تأخذه صيحة عالية ، واذا ابو لهب — تبت يداه ! — ينادي باعلى صوته

« يامعشر التجار . غالوا على اصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئا ، فقد علمتم

مالى ووفاء لمتى ، وانا ضامن انلاخسار عليكم »

فيزيد التجار فى ثمن السلعة اضعاف قيمتها حتى يرجع المسلم الى اطفاله وهم يتضاغون من الجوع ، وليس فى يده شىء يطعمهم به . ويغدو التجار على « ابى لهب » — عم النبى صلى الله عليه وسلم — فيربحهم فيما امسكوا من آل محمد من الطعام واللباس

وربما رق قلب قرشى من المشركين ، ترطه بآل محمد صلة رحم ، فتسلل الى شعب ابى طالب يريد ان يحمل بعض الطعام الى الجياع المحاصرين فى الشعب ، فيلقاه طاغية من قريش ، مثل « ابى الحكم بن هشام » فيصيح به متوعدا : « اتذهب بالطعام الى بنى هاشم ؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى افضحك بمكة واحدث القوم عن خيانتك» ثم يثب عليه فيضربه حتى يشجه ، ويحول دون وصول شىء من الزاد الى الذين اضر بهم الجوع !

الا ان لطاقة البشر حدا ، وقد بلغ باصحاب محمد جهد الحصار اقسى مداه فان هى الا عشية او ضحاها ، وتنفد الطاقة ويفنى الاحتمال ويغلب الصبر !

الدنيا ليل ..

ليل طويل بارد ، واصحاب محمد فى شعب ابى طالب ، قد ذاد الكرى عن جفونهم جوع قاسى الضراوة ، فهم يستعينون عليه بالصبر والصلاة،ويدفعون حدة ضراوته بالايمان الراسخ : أنهم على حق،ويقاومون سطوة البرد بدفء اليقين : ان الله لن يخذلهم ابدا ...

وصغارهم يتضورون جوعا ويرتعدون من لسع البرد ، فلا يملكون لهم الا أن يعللوهم بفرج قريب ، والا ان يهدهدوا، مضاجعهم باحلام وآمال ، فى شبع ورى وكساء ، يأتى بها الفجر بعد أن يدبر الليل ويولى الظلام

الدنيا ليل ..

وسيد من قريش ، هو هشام بن عمرو ابن ربيعة — ابن اخى نضلة بن هاشم لامه — قد تناهى الى سمعه جؤار الصبية الجائعين ، فطار النوم من جفنيه . فخرج يضرب فى احشاء الظلمة قلق النفس والضمير ، حتى بلغ بيت زهير بن زاد الركب المخزومى — وامه عاتكة بنت ابى طالب — فالفاه مسهدا مثله لاينام ، فبادره قائلا :

— يازهير ، اقد رضيت ان تاكل الطعام وتلبس الثياب ، واخوالك حيث علمت ؟ .. اما انى لاحلف بالله ، ان لو كانوا اخوال ابى الحكم بن هشام ، ثم دعوته الى مثل ما دعاك اليه بيهم ، لما اجابك ابدا !

فتجلد « زهير » وقال .

— ويحك ياهشام ، فما اصنع ؟ انما انا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر ، لقمت انقض صحيفة المقاطعة ..

قال هشام : قد وجدت يازهير رجلا فانا معك !

وخرجا معا يضربان فى الليل ، حتى بلغا « المطعم بن عدى بن عبد مناف » فقالا له :

— يا مطعم ، لقد رضيت أن يهلك بطنان من قومك بنى عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ؟

اجاب يائسا : ويحكما ، فماذا اصنع ؟ انما أنا رجل واحد !

قالا معا : بل معك ثان وثالث ..

والتمس الثلاثة طريقهم الى « ابى البخترى بن هشام » وحدثوه فى امر الحصار ، فسالهم فى لهفة :

— وهل اجد من يعين على نقضه ؟

اجابوا : بلى فما جئناك الا لهذا ..

وانطلقوا جميعا الى « زمعة بن الاسود » فذكروا له قرابة بنى هاشم منه وحقهم عليه ، ولما سالهم :

— وهل على هذا الامر الذى تدعونني اليه من احد ؟

اجابوا : نحن الاربعة ..

وضربوا للقاء موعدا من تلك الليلة ، وحددوا مكانه : خطم الحجون ، باعلى مكة ..

وهناك ، اجمعوا امرهم وتعاهدوا على القيام فى نقض صحيفة المقاطعة ، وفك الحصار الذى اوشك ان يهلك محمدا ومن معه من اتباعه ، ومن آل هاشم وعبد المطلب ..

ثم آبوا الى بيوتهم فناموا ، وطوى الليل سرهم فما درى به احد من القوم غيرهم .

ثم كان لهذا الليل الطويل آخر .. آخــــر ..

وتنفس الصبح ، فكان « زهير بن زاد الركب » اول من خرج يسعى مع مشرق الشمس الى الكعبة ، فطاف بالبيت العتيق سبع مرات ، ثم انثنى الى ندى قريش ، وقد حفل بوجوه القوم فبدرهم قائلا :

— يا اهل مكة ، اناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى جياع ، لايباع ولا يبتاع منهم ؟ والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة ..!

وصكت كلمته سمع « ابى الحكم بن هشام » فهب قائلا :

— كذبت ، والله لا تشق !

فما راعه الا ان تتابع اصحاب زهير الاربعة ، الذين تعاهدوا معه فى خطم الحجون على نقض الصحيفة ، يقول احدهم بعد الاخر ..

— صدق زهير ، وانت الكاذب ! وانا نبرأ من الصحيفة وما كتب فيها ..

فنقل ابو الحكم عينيه بينهم ، ثم قال فى ارتياب :

— هذا امر قضى فيه بليل .. تشوور فيه بغير هذا المكان ..

والجمه الغيظ فوقف حيث هو لايريم ، وقام المطعم بن عدى الى الصحيفة ليشقها ، فوجد الارضة قد اكلتها ، فلم يبق فيها الا :

« باسمك اللهم » ! ..

وعلت ضجة ملأت ارجاء مكة حتى لفت اسماع المحاصرين فى الشعب ، خروا لله سجدا ، ثم قاموا يسعون الى الكعبة ووجوههم الشاحبة تتالق بنور الايمان ، واجسادهم المهزولة تترنح بنشوة الظفر ، وهتافهم « الله اكبر » يزلزل الارض تحت الوثنية الطاغية العشواء ، ويعلن بملء اليقين والاصرار ان النصر للحق ولو كره المبطلون !

بنت الشاطىء

● من كتاب « السيرة النبوية لابن هشام » بتصرف يسير ..

التاريخ : ١٩٦١/٢/٢٤

صباح

من تراثنا الروحى :

« هــذه القصــة منقولة ـ بتصرف يسير فى العرض ـ من تفسيـر الزمخشرى وتفسيـر النيسابورى لسورة الانسان . وقد يقول قائل : انها حكاية يبدو عليها ظل الوضــع ! ونقــول : انهـا لا تفقد مع ذلك ، دلالتهــا الصادقة على تصــور المؤمنين لحيــاة آل بيت النبــوة فى أيام صــوم . »

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



انتصف النهار او كاد ، و « فاطمة بنت محمد » ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بيتها بالمدينة حائرة ، لاتدري بم صائم يفطرون فى مغــرب يومهم ذاك ، وليس فى الدار شىء يؤكل !

ولكن فيم الحيرة ؟ ان موعد الافطــار لم يحن بعد ، والامل فى الخالق الرزاق كبير ، ولعل زوجها «على بن ابى طالب» يأتى بين لحظة واخرى ، ومعه شىء من طعام ..

واخلت بالهــا من الهم ، وقامت تملا عينيها من ولديها « الحســن والحســين » فى لعبهما بساحة الدار ، فاضاء وجهها بنور الغبطــة والرضــا ، حين رأتهما ملء الصحة والنضرة والمرح ..

بالعزيزين الغاليين ! من اجلهما تصوم اليوم ، ويصــوم ابوهما « على » ونــذرا نذراه لهما : ان ابرأ الله ولديهما من مرض كان قد الم بهما ، ان يصوما اياما ثلاثة

وقــد شفى الحســن والحسين من مرضهما ، وآن لابويهما ان يفيا بالنذر ..

وشغلت « الزهراء » بهما عما كانت تفكر فيه ، حتى اذن المؤذن من مســجد ابيها الرسول لصلاة العصر ، فقــامت تصلى لربها ، قريرة العين خلية البال .

ولم تكد تفرغ من صلاتها حتى سمعت صوت زوجها فى ساحة الدار يلاعب ولديه ، لسرها ان عاد من المسجد مبكرا اثر صلاة العصر ، على غير المألوف من عادته ..

التاريخ ٢٤/٢/١٩٦١

واتجهت اليه ، وهي تقدر انه بادر بالمجيء الا ليأتيها بما تعده للافطار فلما ابصرت يده خالية ، راحت تقلب عينيها في المكان ، عساها تجد طعاما جاء به ووضعه هناك .

وادرك « علي » من فوره سر نظراتها الحائرة فاستمهلها بعض الوقت وانطلق خارج البيت مسرعا ، ثم ما لبث ان عاد يحمل قدرا من الشعير دفعه الى زوجته قائلا :

— اقترضته من « شمعون » احد يهود خيبر !

واسرعت الزهراء الى الرحى لتطحن صاعا من هذا الشعير ثم اوقدت النار فاختبزت خمسة اقراص منه ، والشمس تميل ناحية الافق الغربي جانحة الى المغيب ..

اللحظات الاخيرة من النهار تمر بطيئة وانية ..

والكون يرتقب في صمت خاشع ، هذه اللحظة الفاصلة بين نهار وليل ، مأخوذا بجلالها وروعتها ، مستجليا سر عظمتها وسناها ..

وبنت النبي ، وزوجها ابن عمه وولداهما الحسن والحسين ، يجلسون حول مائدة الطعام ، وليس عليها الا

هذه الاقراص الخمسة من الشعير ، ساخنة شهية !.

ولتور الغروب ، اثر نهار صائم . يلقي على دنياهم ظلا من الدعة والسكينة

وانبعث صوت المؤذن من مسجد الرسول بالمدينة هاتفا : « الله اكبر »

فخشعت القلوب المؤمنة ، ورددت الالسن هتاف الداعي : « الله اكبر .. اشهد ان لا اله الا الله »

ثم امتدت الايدي الى الاقراص الساخنة فاذا طارق يدق الباب ويقول في ضراعة :

— السلام عليكم اهل بيت محمد .. مسكين من مساكين المسلمين جائع اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة

فلم يترددوا .. آثروه بطعامهم ، وباتوا ليلتهم على الطوى ، لم يذوقوا الا الماء ..

ودار الزمن دورته اليومية ، واقبل مغرب اليوم التالي وقد فرغت « الزهراء » من اعداد طعام الافطار : خمسة اقراص اخرى من ذلك الشعير الذي اقترضه زوجها من « شمعون الخيبري »

واذن المؤذن حين غربت الشمس : الله اكبر ! فكبروا وحمدوا ، ثم هموا بالافطار ، فاذا سائل بالباب يتيم ، يلتمس القرى ..

وآثروه على انفسهم ، فقدموا اليه طعامهم وباتوا ليلتهم جياعا ..

فلما كانت الامسية الثالثة ، وقف على بابهم اسير اضر به الجوع ، فلم يطيقوا ان يحرموه ..

وفي الصبح ، اخذ « علي » ولديه الى جدهما الرسول وقد بان عليهما الهزال ، فرق لهما قلبه الكريم وقال في حنان :

— ما اشد ما يسوؤني ما اراكم !..

ومضى معهم يزور ابنته ، فالفاها هناك في مصلاها ، وقد الصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها ، فلاطفها صلى الله عليه وسلم ، ثم انصرف محزونا فما كاد يأخذ مجلسه حتى جاءه امين الوحي فقال :

— خذها يامحمد ، هنأك الله في اهل بيتك ..

وتلا عليه من وحي السماء « سورة الانسان »

هنالك اشرقت اسارير الاب الرسول واسرع عائدا الى ابنته ، وابن عمه ، وريحانتيه الحسن والحسين ، يحمل اليهم تحية السماء :

« يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ، ولقاهم نضرة وسرورا »

التاريخ: ٢٤ / ٣ / ١٩٦١

دفاع !

من السيدة صوفى عبد الله ، تلقينا الرسالة التالية ترد بها على مقال الدكتورة بنت الشاطئ حول اتهام قصة « عاصفة فى قلب » بالاخذ من قصة ساجان « هل تحبين براهمز » ثم انكار ما فيها من شذوذ ، حين تمارس الام الخطيئة مع شبيه ولدها الذى ثكلته ، على فراش زوج تحبه ، كما لو كانت تتعبد فى محراب .

تقول السيدة صوفى :

« استرعى انتباهى فى المقال امران : اولهما ذلك النقل المزعوم عن « ساجان » والاخر ما جاء عن تجميل الدنس .

وابدا بمزعم النقل .. فاقول ان الناس فى هذا الخصوص فريقان : فاما الذين يقراون الكتب فى المتون ، ويفقهون ما يقراون ، فاولئك لاحاجة بهم الى رايى او راى سواى ، لانهم يكونون رايهم عن بينة واقتناع ..

واما الذين لايقراون المتون ، وتعويلهم كله على الاراجيف والظنون ، فلا قيمة لرايهم ، سواء كان معى او ضدى ، وهم لايستحقون منى عناء الاقناع

واما « تجميل الدنس » فالفيصل فيه معرفتنا بطبائع النفوس .. وهذه المعرفة تنبئنا ان المراة — مالم تكن مومسا — لاتشعر بالدنس فى لحظة الزلل لان الغواية ، تزين للنفس هواها .. ثم ياتى الندم والشعور بالاثم بعد حين لافى لحظة الفعل .. وهذا ما حدث بحذافيره لبطلة قصتى « عاصفة فى قلب » .

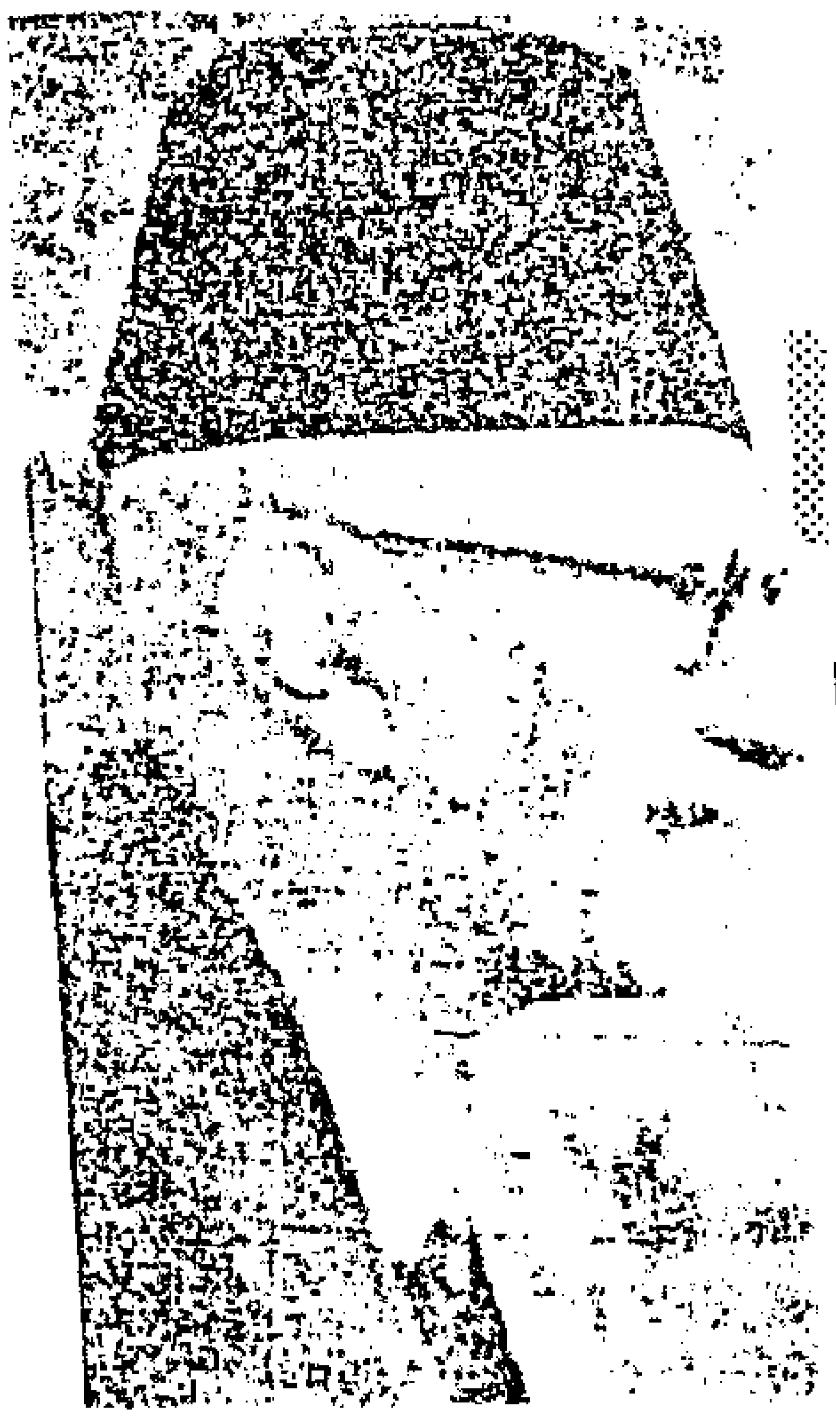
ثم ان للعمل الفنى كيانه الكلى المتكامل الذى لايصلح للاجتزاء .. »

التاريخ: ٣ / ٣ / ١٩٦١

معارك نقدية

الطغيان الأدبى

يقوله الأستاذ العقاد



هذا رأيي وهو رأى الخالق !

وأقول له مرة ثانية

اللهم إنى صائمة



بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ

من الطغيان السياسي ، وتخلصنا من الجبابرة العتاة الذين كانوا ينتحلون لانفسهم « الحق الالهي » فيما يمارسون من طغيان ، ويزعمون انهم يخطئون ولا يجوز ان يسألوا عما يقولون او يفعلون ..

وبقي علينا ان نكافح في معركة جديدة لنتحرر من طغيان ادباء عمالقة ، يزعمون لانفسهم العصمة من الخطأ ، ولا يطيقون ان يسألوا عما يقولون ، ثم تبلغ الجراة بكبير منهم ان يعلن ان رايه في المراة ، هو راى الخالق !

وقد آن لهؤلاء ان يصدقوا اننا ما عدنا نطيق الطغيان في اى صورة من صوره ، او نتصور ان احدا — كائنا من كان — منزه عن الخطأ ، غير مسئول عما يقول او يكتب ..

وحكاية راى الخالق هذه ، بدات حين ترجه مندوب « الجمهورية » بسؤال الاستاذ العقاد ، عن آخر مؤلفاته فأجاب :

« كتاب الانسان في القرآن .. وهو تكملة كتاب المراة في القرآن »

ولما ذكر له المندوب ان هذا الكتاب اغضب سيدات كثيرات، رد الكاتب الكبير :

« اللي زعلوا دول مش ستات .. دول منتسبات لعالم المراة فقط .وسبب زعلهم الاصلي هو عدم فهمهم لنفسية المراة .. »

قال المندوب في شجاعة :

« انه تحامل منك على المراة »

وكان نص جواب الكاتب المشهور :

« ابدا .. لكن ده رايي .. الراى الثابت الحقيقي ، راى الطبيعة والخالق!»

ولم اصدق عيني وانا اقرا الكلمة ..

لم اتصور ان الطغيان يبلغ بالاستاذ العقاد ، ان يعلن — في امة متدينة — ان رايه في المراة هو راى الخالق ..

وحسبتها عثرة قلم من المندوب الذى تلقى الحديث ونشره في شهر يناير الماضي ، وانتظرت لعل الاستاذ العقاد يبرا مما نسب اليه .

لكن الايام مضت حتى زادت على شهر ، ويوميات الكاتب الكبير تتابعت في موعدها من كل اسبوع ، دون ان يشير الى العثرة او يبرا من الزلة ..

وضاع الامل فيه ..

وحق علينا ان نبرا نحن من طغيانه !

راى الخالق ؟!

يالها من كبيرة ! ايضاف الى الخالق، سبحانه راى ؟

وممن ؟ من كاتب مجمعي ، يؤلف الكتب الاسلامية وتحمل المجلة الرسمية للازهر اسمه اللامع على غلافها ؟

ان الراى فيما نعرف وتعرف اللغة ، لايكون الا عن تدبر واستحضار للمقدمات واجالة الخاطر فيها ، ومن ثم لم يجز ان يضاف الى الخالق الحكيم ، كما لم يجز ان تضاف اليه المعرفة او يوصف بها ، وانما هو تعالى : العليم ، لا العارف!

والاب « لامانس اليسوعي » قد ادرك هذا في كتابه « الفروق اللغوية » وادرك معه لماذا نقول : علم الله ولا نقول : معرفة الله ..

فكيف يغيب هذا عن ادراك كاتب مسلم عضو في المجمع اللغوى ، يقول عنه مريدوه : ان علمه لو وزع على مئات من اساتذة الجامعة ، لصاروا علماء ؟.

كيف لايدرك ان الراى ، بما يسبقه من تدبر وتفكر واستحضار للمقدمات واجالة النظر فيها ، ليس مما يضاف الى الخالق الحكيم او يسند اليه ..

انها لكبيرة :

وكبيرة مثلها ، ان يزعم الكاتب المشهور ان رايه فى المراة — كما يسجله فى كتابه المشئوم — هو راى الخالق ..

من اين جاء الاستاذ بهذا ؟

مفروض طبعا والكتاب عنوانه: المراة فى القرآن الكريم ، ان هذا القرآن كان مرجعه الاول فيما تقرره من راى فى المراة ..

فأين فى القرآن الكريم قول العقاد عن المراة : « وهذا الحياء ، المشهور عن المراة ، تدين به المراة على قدر اتصاله بشعور الرجل نحوها ونظرته اليها ، فاذا اجتمع النساء معا بعيدا من اعين الرجال ، نسينه ولم يكترثن له » ص ٥٢ .

«فالمراة لاتتوارى عن المراة فى الحمام ولا يعنيها ان تستر عضوا من اعضائها الا ان تستره مداراة لعيب وخوفا من منافسة النظائر والاتراب .. ولم يعهد فى الحرائر الخفرات ، انهن فى الامم التى استخدمت الخصيان ، كن يحجبن عن مس الرجل لهن واطلاعه على اعضائهن وهن عاريات ، ويسوغ فى عرف النساء قضاء ضروراتهن معا ، ... يسوغ ذلك فى عرف الرجال » ص ٣٠

«كانهن لايرين نقصا فى رجل من الرجال بعد ان تكمل له تلك النحولة الحيوانية» او كانهن لايصدقن ان الفتيات الغريرات يستطعن فى الشراك مخدوعات مغلوبات على مشيئتهن ، ولكنهن راضيات مسرورات بما اتيح لهن من فرص المتعة والابتهاج » ، ص ٦٠

«والرغبة الجنسية عند المراة تنفصل عن الغريزة النوعية فى معظم ايامها . فليست الرغبة الجنسية بحكم الطبيعة عبثا فى وقت من الاوقات عند الرجل ، ولكنها عبث عند المراة فى اوقات حملها وفى غير اوقات الحمل من ايام طوارئها الشهرية .. وقد عوفيت انثى الحيوان من هذا العبث لانها اذا حملت صدت عن الذكر وصد الذكر عنها ، ولكن المراة التى تحس انها عابثة فى احق الوظائف النوعية بالجد والمبالاة ، يختلط عندها العبث بالجد ، والسرور العقيم بالوظيفة الطبيعية ، وقد تقضى بعد سن اليأس زمنا يحكمها فيه هذا العبث العقيم الذى لا نظير له فى حياة الرجولة » ص ٣٠

اننى احفظ القرآن الكريم ، واشتغل بتفسيره البيانى فى الجامعة منذ سبع سنين ، ولا اعرف موضع هذا الراى فى القرآن ، فهل يعرفه سواى من هم احفظ منى لكتاب الاسلام واوعى ؟

او هل يعرفه آخرون ، من لهم العلم بالتوراة والانجيل ؟

وما ادافع اليوم عن المراة ، فقد سبقت كلمة الاستاذ العقاد فى رفى مثلى: « الستات اللى زعلوا دول مش ستات»

وبهذا القرار من عملاق الادب ، اخرجنى من عالم النساء ، لانى انكرت رايه فى المراة ، وغضبت حين نشره فى كتاب يحمل اسم القرآن الكريم ، بعد ان نشره مرتين وثلاثا فى كتب له سابقة

ولم يعد من حقى بعد ان اعلن الاستاذ قراره بهذا الاخراج ، ان اغضب لجنس يصمه بكل هذا السوء ، لانى فعلا لاعرف هذا الصنف الذى يتحدث عنه الكاتب الكبير ، ويفهم نفسيته .. ويشرفنى حقا الا انتمى الى عالمه ..

ومن اجل هذا امسك فلا ازيد ، وانما الوذ بما يغرينا به شهر رمضان من صبر واحتمال ؛ فاقول اليوم ما قلته للاستاذ العقاد حين طالعت كتابه فى مثل هذا الموسم من عام مضى :

اللهم انى صائمة !

التاريخ : ١٠ / ٣ / ١٩٦١

قضايا أدبية

متى يجوز الاتهام بالسرقة ؟

نجيب محفوظ وعبد الحليم عبد الله بريئان في موقف اتهام !

بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ





نجيب محفوظ



عبد الحليم عبد الله

منذ نشرت مقالى عن اتهام «نزار قباني» بانه اخذ قصيدته وحيدة من قصيدة « بريفيه »: طعام الافطار ، واتهام «صوفى عبدالله» بانها اخذت عاصفة فى قلب من قصة « فرانسواز ساجان » .. ذلك تحيتى براهمز ، والبريد يحمل الينا تباعا جديدا من رسائل الاتهام بالسرقة الادبية ، وقد اغضيت النظر حينا عن بعض هذه الرسائل ، لوضوح بطلان الاتهام فيها ، وارجات الكتابة عن رسائل اخرى، بدا لى انها على حق وذلك لكى استكمل دراستها والفرغ من مراجعة النصوص فيهما .

لكن اصحاب هذه الرسائل ، رابهم صمتى ، واشفقوا ان اكون قد تصدقت به الى التستر على بعض المتهمين مجاملة لهم ..

وهذا الالحاح ، فى دفعى الى الكتابة عما اغضيت عنه ؛ لكيلا يفقد قارىء — من كان — ثقته فى امانة هذا القلم ..

ولكى يطمئن اصدقاء هذه الصفحة ، الى انها لاتجامل على حساب الحق ..

وحتى لا يرتابوا فى عدالة الموازين التى نحتكم اليها فى قضايانا الادبية ..

***

وقائمة الاتهام ، تبدا بالزميل نجيب محفوظ ..

وقصته «الوعد» التى نشرها الاهرام فى عدده الاسبوعى — ١٩٦١/٢/١٧ — هى موضع التهمة ..

فلقد راى « السيد عبد المنعم حسن صالح باداب القاهرة » ان هذه القصة ماخوذة من قصة مماثلة ، نشرتها « الجمهورية » فى شهر يناير الماضى بعنوان « الله »

« ففى هذه القصة ، نرى طبيبا ينعى الى اب ولده الوحيد ، ويؤكد له ان امامه ثلاثة اشهر فقط يعيشها . ثم ينصرف الطبيب ، فلا تكاد تمضى لحظات حتى يهوى به المصعد ، فيلقى مصرعه .

« وفى «وعد» : نرى اخا يحاول ان يسخر بارهام اخيه الذى تلقى انذارا بقرب موته ، ثم يودعه ويمضى متنقلا بهم اخيه المسكين ، فلا تمضى لحظات حتى يلقى مصرعه فى حادث سيارة »

ويسال السيد عبد المنعم فى ختام رسالته : « هل هذا توارد خواطر ؟ وهل انتظر منك ان تعرضى التهمة بشجاعتك المعهودة ، او انك سوف تكتبين على الخبر ماجورا ، وتدسين الدانق مستورا ، مجاملة لزميلك فى الاهرام ، الاستاذ نجيب محفوظ ؟ »

واعترف بانى كنت اوثر فعلا الاغضاء عن هذا الاتهام ، لامجاملة للزميل الاديب ، فهو فى غير حاجة الى مجاملة منى او من سواى .

وانما اعلم ، ويعلم فى زملائى معنا ان قصة « وعد » كانت فى دار الاهرام منذ شهر اغسطس الماضى ، اى قبل ان تظهر قصة الجمهورية بستة اشهر ..

وهذا وحده كاف للرد على التهمة الباطلة ..

ولعله يكفى كذلك ، لاخذنا شيء من الحرص والحذر والتحرج ، قبل ان نقذف اديبا بتهمة السرقة ..

ثم .. من بعد نجيب محفوظ فى قفص الاتهام ؟

« محمد عبد الحليم عبد الله » متهم بانه اخذ قصته « البعد الدروب » من قصة جان جاك روسو : « هلويز الجديدة » :
(La Nouvelle Héloïse)

يتهمه بذلك ، السيد « سمير احمد نداء » الذى سالنى ان اقرأ القصتين ، واضع النقط فوق الحروف ، من غير مجاملة ..
وقد فعلت ..
واشهد ان لعبد الحليم طابعه المتميز فى قصصه ، فلو قرأت بعد القصة غير ان اعرف انها له ، لادركت بسهولة انها بالقلم الذى كتب « نتيجة » وشمس الخريف » ومن اجل ولدى » ..
وهذا الطابع المتميز ، يكفى لان يدفع من عبد الحليم شبهة الاتهام ، ولو عالج موضوعا سبقه اليه روسى او غير روسى !
والامر مع هذا يحتاج الى ان نعرف له حدودا .. نقف عندها ، فلا نتهم الابرياء باطلا ..
فليس مفروضا على من اتهم الاستاذ نجيب محفوظ مثلا ، ان يعلم ان قصته « موعد » موجودة هنا منذ اكثر من نصف عام ..
وانما التبس عليه الامر حين ذكرته هذه القصة بقصة اخرى قراها من قبل . وفاته ان يدرك ان ما يسمى « الفكرة الاساسية » ليست ملكا خاصا لاى اديب ..
انا شخصيا ، حين قرات قصة « موعد » ، ذكرت قصة شبيهة بها ، شهدتها فى طفولتى : مرضت امى مرة ، وعادها طبيب لا ازلت اذكر اسمه « الدكتور عبد الرحمن اللوزى » وكان من ابرع الاطباء الذين عرفتهم دمياط ، وقد نصح لامى ان تتجنب الحمل اذا ارادت ان تعيش ، فانكر ابى هذه النصيحة ، وهو يعجب لغرور الطب ومجاوزة الانسان قدره ! لو لم يحضر لم شيخة اتام ، حتى مات الدكتور اللوزى ، وماتت امى بعده بسنين ، اجتازت فيها تجربة الحمل والوضع بسلام ، خمس مرات ..
وخطر ببالى ، ان اكتب هذه القصة لو اتيحت لى فرصة ، دون ان اتصور انى اكون عرضة للاتهام بالسرقة من كاتب قبلى ، سبقنى الى الكتابة من تجربة تشبه تلك التى عاينتها وعانيتها ..
ذلك لانى مؤمنة بان اصالة الموضوع الادبى ، لا تجعل لاحد حق ادعاء ملكيته
وقد آمن بهذا من قبلى ، نقاد العرب الاقدمون ، الذين عالجوا موضوع « السرقة الادبية » معالجة منهجية دقيقة لم تدع الامر فيها (سبهللا) بغير ضوابط وقيود بل وضعوا للسرقة حدودا صارمة تحمى الابرياء من الاتهام بالباطل ، وتصون الحياة الادبية من التعطل والجمود ..
« وبطول بى الكلام » لو حاولت ان اعرض هنا ضوابطهم وقواعدهم التى تشغل فى تراثنا البلاغى مكانا ذا خطر ويستطيع من شاء ان يلتمسها فى مثل : « دلائل الاعجاز » واسرار البلاغة » والطراز » وشروح التلخيص » غير انى مع هذا ، لا اريد ان ادع الفرصة تفوت دون ان انقل الى قرائنا نموذجا من هاتيك الضوابط ، ليشهدوا الى اى مدى



نزار قباني



صوفي عبد الله

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٠ / ٣ / ١٩٦١

كان نقادنا القدامى يقدرون حرمة هذه الذمة الادبية ، ويحافظون على دقة صارمة وحذر بالغ ..

فمنذ اكثر من ثمانمائة عام ، كتب الشيخ عبد القاهر الجرجاني — امام البلاغيين في عصره — ينفي الملكية الخاصة للمعنى العام ، فقال في دلائل الاعجاز :

« ومما اذا فكر فيه العاقل ، اطال التعجب من امر الناس ومن شدة غفلتهم، قول العاقلين حين ذكروا الاخذ والسرقة: ان من اخذ المعنى عاريا فكساه لفظا من عنده كان احق به . ثم لاترى احدا يفكر في ذلك فيقول : من اين يتصور ان يكون هاهنا معنى عار مما يدل عليه؟ ثم هب انه يصح ذلك ، فمن اين يجب لمن وضع لفظا على معنى ، ان يصير احق به من الغير الاخذ منه ، ان كان هو لايصنع بالمعنى شيئا ولا يحدث فيه صفة ..

« وجملة الامر انه كما لاتكون الفضة او الذهب خاتما او سوارا بانفسهما ، ولكن بما يحدث فيهما من الصورة ، كذلك المعنى لايكون كلاما الا بنظمه »

وقال في اسرار البلاغة :

« فاما الاتفاق في عموم الغرض ، فما لايكون الاشتراك فيه داخلا في الاخذ والسرقة والاستمداد والاستعانة . لا ترى من به حس يدعي ذلك ويأبى الحكم بانه لايدخل في باب الاخذ .. وانما يقع الغلط ، من بعض من لايحسن التحصيل ولا ينعم التأمل فيما يؤدي الى ذلك .. حتى يدعى احد الشاعرين على الآخر ، في تصوير معنى الشجاعة وانها مما يمدح به ..

« واما الاتفاق في وجه الدلالة على الغرض ، فيجب ان ينظر : فان كان مما اشترك الناس في معرفته ، فان حكم ذلك — وان كان خصوصا في المعنى — حكم العموم الذي تقدم ذكره ، من ذلك التشبيه بالاسد في الشجاعة وبالبحر في السخاء ..

« وكذلك تبلى الواحد في خصلة من الخصال على المذكور بذلك والمشهور به، سواء كان ذلك ممن حضرك في زمانك او كان ممن سبق في الازمنة الماضية والقرون الخالية ، لان هذا مما لايختص بمعرفته قوم دون قوم ، ولا يحتاج العلم به الى روية واستنباط ..

« وان كان مما ينتهي اليه المتكلم بنظر وتدبر ، وينالـه بطلب واجتهاد .. وكان من دونه حجاب يحتاج الى خرقة بالنظر، وكان درا في قعر بحر لابد له من تكلف الغوص عليه ، ومتنعا في شاهق لاينالـه الا بتجشم الصعود اليه ، ومتماسكا لغيره كعروق الذهب التي لاتنال الا بالحفر عنها وبعرق الجبين في طلب التمكن منها ..

ثم اذا كان هذا شانه وهاهنا مكانه، فهو الذي يجوز ان يدعى فيه الاختصاص والسبق والتقدم والاولية »

***

افلسنا احق باكثر من هذه الدقة في فهم قضية السرقة الادبية ، وان نكون اوسع افقا في تناولها ، وادق حسا في معالجتها ، وبيننا وبين عبد القاهر ثمانية قرون ، تقدم فيها العقل البشري، وارتقى الحس الادبي والذوق الفني ، وقوى الشعور بانسانية الفن وكرامة الاديب ؟!

التاريخ: ١٧ / ٣ / ١٩٦١

من تراثنا الروحي

الله أكبر
لا إله إلا الله وحده
صدق وعده ، ونصر عبده ،
وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده
لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ! مخلصين له الدين حنفاء ، ولو كره الكافرون

هتاف العيد !

آية الوحدة ، ونشيد الإيمان ، ودعاء الشروق في لحظة باهرة ، يلتقي فيها الأمس واليوم والغد وتلغى بيننا المسافات ، وتتماحى الأبعاد والآماد

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



هتاف عيدنا ، تردده في مشرق يوم الفطر اصوات الملايين منا في شتى انحاء الارض ، فتخشع له الدنيا وتصغي السماء ، ويقف التاريخ مبهورا يسترجع ذكرى كلمات قالها رسول من البشر ، ابن امراة من قريش تأكل القديد ، في اخريات شهر رمضان منذ الف وثلاثمائة واثنين وسبعين عاما ، لتبقى خالدة على الدهر : هتاف المسلمين في كل عيد ، ونشيد المؤمنين امس واليوم وغدا ، والى الابد ...

ومن وراء هاتيك الاعوام الطوال ... من وراء اربعة عشر قرنا او تكاد .. يتراءى ذلك المشهد التاريخي الحي ، لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ،

وقد وقف على باب الكعبة يوم فتح مكة، قبيل عيد الفطر من العام الثامن الهجرة، والاصنام تحت قدميه جذذ مبعثرة وحطام مهشم، وقريش بين يديه قد ألقت سلاحها مستسلمة للبطل الظافر، بعد معركة مريرة احتدمت ثمانية عشر عاما، بين وثنية باغية مقترنة بالقوة والجاه، وايمان راسخ صامد، يلقى الجبروت بكلمة الحق والتوحيد :

الله أكبر، لا اله الا الله وحده !

⁂

... الوثنية بكل جبروتها العاتي، ... ذلك الايمان الرائع الصادق، وهذا هو الرسول في ذروة انتصاره يوم الفتح الاكبر، يقف على باب الكعبة مطلا على تلك الجموع الحاشدة التي اهتدت بعد ضلال وآمنت بعد كفر ورشدت بعد غي، ليفيض قلبه الكريم بالخشوع والرضى والحمد، ويهتف بملء التواضع والايمان :

« .. لا اله الا الله وحده لا شريك له . صدق وعده ونصر عبده، وهزم الاحزاب وحده ! يامعشر قريش، ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم وآدم من تراب: يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، ان اكرمكم عند الله اتقاكم.

« ويامعشر قريش، وياأهل مكة، ما ترون اني فاعل بكم ؟ »

وامسكت قريش انفاسها، وهي تتذكر ما اذاقت المسلمين من هول الاضطهاد، وتستعيد حادثة ائتمارها بالنبي لتقتله على فراشه، بعد ان لم يزده الاضطهاد الا تشبثا بدعوته واستبسالا في نضاله، ثم الحاحها في مطاردته لما هاجر من مكة قبل ثماني سنين، اعزل وحيدا ليس معه الا صاحب شيخ : أبو بكر الصديق ...

وامتلأ الافق بأطياف الشهداء من اصحاب محمد، وشبح الصمت بأصداء شتى، تروي قصة التعذيب، والحصار، والهجرة، والمطاردة، والحرب ...

وارهف المهاجرون والانصار اسماعهم في انتظار جواب قريش عن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم !

قبل الفتح بأشهر معدودات احسب، كانت قريش لاتزال على كفرها وعنادها، وقد اضلها غرورها وزين لها البغي أن تنقض ميثاق الهدنة بينها وبين محمد عليه الصلاة والسلام، وان تنكث بالعهد المكتوب في « الحديبية » في العام السادس للهجرة . وكان الرسول في المدينة يتلقى انباء خيانتها للعهد فيكظم غضبه رجاء أن ترتدع، فما زادها حلمه الا تماديا في عدوانها .

وذات يوم، والرسول جالس بين اصحابه في مسجده بالمدينة، أقبل وفد من خزاعة – وكانت مع الرسول بمقتضى عهد الحديبية – يشكو عدوان بني بكر بمظاهرة قريش وسلاحها . وتقدم شاعر خزاعة « عمرو بن سالم » حتى وقف بين يدي الرسول وانشد مرتجزا :

يارب اني ناشد محمدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في «كداء» رصدا
وزعموا أن لست ادعو احدا
وقتلونا ركعا وسجدا

فأجابه الرسول ملبيا :

– نصرت ياعمرو بن سالم ...

ومضى في عشرة الاف من المسلمين الى مكة، على ناقته « القصواء » التي حملته يوم الهجرة وقريش تعدو في اثره !

وهذا هو هناك، قد دخل مكة فاتحا منصورا، يسأل قريشا :

« ما ترون اني فاعل بكم ؟ »

وجاءه جوابهم بعد فترة صمت مشحون بالقلق والترقب :

« خيرا .. اخ كريم وابن اخ كريم »

قال عليه الصلاة والسلام .

« اذهبوا فانتم الطلقاء ! »

⁂

واقبل العيد ...

اول عيد فطر للمسلمين في مكة، بعد ثماني سنين امضوها في هجرة واغتراب ..

وعلا الهتاف من المسجد الحرام في البلد العتيق :

« الله اكبر الله اكبر الله اكبر

لا اله الا الله وحده

صدق وعده ، ونصر عبده ، واعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده ...

لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه ! »

فمـا زال ذلك الهتاف يتنقـل عبر القـرون والادهـار ، من اقصى المشرق الى اقصى المغرب ، ترجمـه اصـوات الملايين جيلا بعد جيل ، فى مشرق يوم العيد ، فى لحظة واحدة باهرة ،يلتقى عندها الامس واليوم والغد ، وتلغى فيها بيننا المسافات ، وتتماحى الابعاد والآماد ، وتتهاوى الحدود والسدود ؛ فاذا نحن جميعا قلب واحد ، وصوت واحد ، يهتف بكل اسرار اليقين وجلال الايمان :

الله اكبر .. لا اله الا الله وحده

صدق وعده ، ونصر عبده ، واعـز جنده وهزم الاحزاب وحده ! .

معارك فكرية

من أساليب الطغيان الأدبي



كنت قد سألت هنا : كيف جاز لكاتب مجمعى مسلم يشترك فى الاشراف على تحرير مجلة الازهر : جامعة الاسلام ، ان يقول ان رأيه فى المرأة هو رأى الخالق ، ثم اتجهت بالســؤال الى كل من له علم بالقــرآن أو التوراة والانجيل ، ليدلنى اين فى كتب السماء ما قرره الإستاذ العقاد فى كتاب يحمل اسم ((المرأة فى القرآن الكريم)) من نفى اصــالة النظافة والحيــاء والحنان والطهر فى طبيعة المرأة ، وما رآه من انفصــال اللذة الجنسية عندها عن الغريزة النوعية ، مما تنزهت عنه اناث الحيوان ؟..

أهب لشيخوخة العقاد عدوانه علىّ !

أما عدوانه على الحقيقة فلن أهبه له بأى حال !

ورد الاستاذ العقاد فى « الأخبــار » ..

ولم يكن رده مفاجأة لى ؛ فكذلك عرفنا الطاغين دائما ، يبررون طغيانهم بجهل العامة ، وقصور ادراكها عن تمييز الخطأ من الصواب فاى غرابة فى ان يظل طاغية الادب عند طغيانه ، ويسخر من جولى بما أكتب فيــه ؟ ..

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

التاريخ: ٢٤ / ٣ / ١٩٦١

جهلى بالمراة ، وانا من بنات حواء..

وجهلى بالعربية والقرآن ، وقد فتحت عينى على المصحف فى حجر اب شيخ بعلم فى الازهر ، وحفظت القرآن والحديث صبية ، ونلت جائزة المجمع اللغوى لتحقيق النصوص ، وتخصصت فى العربية وعلوم الاسلام ، دراسة وتدريسا وتفتيشا وتاليفا ..

ولن يجدى ان اقول للاستاذ العقاد ، هب كل هذا حجرا فى اليم ، افمستحيل ان تكون لى مثله مطالعات فى كتب العربية والاسلام التى تملا بيتى الاول وبيتى الثانى .

ولن يجدى كذلك ان اطالبه بشرف الخصومة الادبية عند الخلاف فى الراى فقد تربى فى مدرسة الاحزاب واتقن اساليبها فى الخصومة ، وتربيت فى بيئة علمية دينية ، لاتعترف لبشر بالعصمة من الخطأ ، وترى أن أحد العلماء اذا اخطأ تقول : لاادرى ، اصيبت مقاتله ..

وعبثا يحاول الاستاذ العقاد ان « يسدل برقعا على عقلى » او ضميرى ووجدانى لكى أومن بكل ما يقول ويكتب، وانزهه عما يجوز على البشرية من خطأ وتصور ، فان الله سبحانه رفع هذا الحجاب عن عقلى ، ولن يسدله بقرار من طاغية او امر من عملاق ..

وانتقل الى الموضوع فلا أدرى أتكلم فى القديم الذى كنا فيه ، أم فى الجديد الذى جاء فى رده ؟ ذلك لان الاستاذ العقاد فى جديده اللغوى ، اعجب منه فى قديمه الدينى !

انكرت عليه بالامس ان يقول ان رايه فى المراة هو رأى الخالق ، لان الراى بما يسبقه من تدبر وتفكر واقتناع واستحضار للمقدمات واجالة النظر فيها مما لايجوز اضافته الى الخالق سبحانه، كما لا يجوز ان يوصف بالعارف مثلا ! ولكن اجمله بدرك الحس اللغوى والاعتبار الدينى فيما يطلق على الله من اسماء وصفات ، ذكرت ان بين الوصف بالعالم، والوصف بالعارف فروقا ادركها «لامانس» اليسوعى من قراءاته للمصادر العربية ، فكيف لا يدركها مجمعى مسلم ؟ فكان رد الاستاذ العقاد : انى احتج بمبشر اعجمى ، وكلانا نجهل ما نكتب فيه من اللغة والدين ..

اى امتهان لعقول قرائه ، ان يقول انى بانكارى أن يفوته ما لم يفت لامانس، احتج بمبشر مسيحى جاهل مثلى ؟!

واى طغيان ابى عليه ان يقرأ ما كتبت قراءة واعية ، قبل ان يرى فى مثل هذا التنظير احتجاجا او شبه احتجاج !

واى غرور جعله اكبر عند نفسه من ان يرجع الى المصادر اللغوية والاسلامية التى استطاع « لامانس» — وليس مثله — ان يرجع اليها ؟

واى استهانة ان يكون الاستاذ قد حاضر بالازهر فى هذا الموسم عن حجة الاسلام «الغزالى» ثم لا يعرف أن حجة الاسلام نفسه قد تعرض للقضية التى نحن بصددها فى كتابه « المقصد الاسنى ، شرح اسماء الله الحسنى » فتحدث عن الصفات والاسامى التى تطلق على الله تعالى ، وعرض رأى الاشعرى فى انه **لا يجوز ان يطلق فى حق الله تعالى ما هو موصوف بمعناه ، الا اذا اذن الله فيه** ، فالاطلاق لا يكون الا بتوقيف الله ، بل ان الذين يرون انه يجوز بطريق العقل ان يطلق على الله مالم يمنع منه الشرع او يشعر بما يستحيل معناه على الله ، قالوا : **لايجوز ان يقال له تعالى العارف والعاقل والفطن والذكى وما يجرى مجراه ، وان كان صفة كمال** ، لان المانع من هذا وامثاله ، ما فيه من ابهام .. وما فيه ابهام لايجوز الا بالاذن الالهى ، والابهام هنا ان العاقل هو الذى له معرفة تعقله ، والفطنة والذكاء يشعران بسرعة الادراك لما غاب عن المدرك .

وفى مقالى ، انكرت ان يقول الاستاذ العقاد راى الخالق ، لان الراى فى

بيانهم اما « ان يكون استحضارا للمقدمات واجالة النظر فيها » كما نقلت بأمانة عن كتب اللغة ، واما ان يكون : « اعتقاد النفس احد النقيضين عن غلبة ظن » كنص عبارة « الراغب الاصفهاني » في « مفردات القرآن ».

لكن الاستاذ العقاد ، بغرور طغيانه، يرى « انليس من الممتنع ان ينسب الراى الى الله بكل معنى من معانيه نفهمه بما يناسب مقامه ! »

واقول له :

كلا .. ليس لك هذا يا استاذ عقاد ..

ليس لك عند القرآن ولاعند اصحابه المسلمين ، ان تطلق على الله او تصفه الا بما ورد به الشرع ولم يكن موهما. فاذا ورد به الشرع وكان موهما ، اقتضى التأويل ، كما نتأول ما في القرآن من مثل قوله تعالى « يد الله فوق ايديهم — ثم استوى على العرش »

فالامر اولا : انك لاتملك ان تطلق على الله مالم يأذن به الله ، وما لم يكن موهما .

والامر ثانيا : ان التأول انما يكون فيما ورد به القرآن وكان موهما ، كما في الجوارح والحركات ، لاان تتقول انت الموهم ثم تتأول

ومع هذا ، اعفى الاستاذ العقاد — لعدة اعتبارات — من الناحية الدينية ، للمسالة .

وتاتى الناحية اللغوية ، فنجد ان العرب من قديم وصفوا بالراى رجالا منهم، فسموا المغيرة بن شعبة « مغيرة الراى » اذ « كان من دهاة العرب لا يقع في امر الا وجد له مخرجا، ولا يلتبس عليه امران الا ظهر الراى في احدهما »

وهذا من معنى الراى الذى يتجسم فيه الابهام الذى اشار اليه حجة الاسلام « الغزالى »

ولما تقدم الزمن بالعرب وصارت لهم ثقافة فقهية وكلامية ، كان منهم اصحاب الراى ، المقابلون لاصحاب الحديث ، واستعمل الراى بمعنى المذهب والاعتقاد .. ونص لسان العرب على معان ثلاثة لراى :

راى رؤية العين ، بمعنى تبصر
ورأى رؤية القلب في معنى العلم
ورأيت التى بمعنى الاعتقاد .

والذى نحن فيه الآن : الراى الذى هو عمل العقل ، او الذى هو مذهب واعتقاد ، ومن اجل هذا اتى — بغير يرتع على عقلى — عند قول المجمعى في رده :

« والراى مصدر راى ، سواء بمعنى البصر وبمعنى الحكم والتقدير ، وبكل معنى من المعانى نفهمه بما يناسب مقامه »

ويغيب عن المجمعى ، ما طالعته جاهلة بالعربية مثلى ، من ان « المصادر تتعدد لتفترق في اللغة وتغلب في استعمالات معينة » فمن مصادر الفعل وجد مثلا : الموجدة في الحفيظة والغضب ، والوجد في الحب والحزن ، والوجود والوجدان للاشياء ، والوجادة لضرب من الرواية في مصطلح الحديث .

فليسمع في الراى نفسه قول « ابى حيان » :

(يقال راى رايا ورؤية ورؤيا ، ويغلب رؤيا في المنام ، ورؤية في البصرية يقظة، وراى في الاعتقاد))

ولا اطيل على القراء ، فالمسالة مشهورة ، و « باب في اللغة لا آخر له » كما ينقل « السيوطى » في « المزهر »

انما اعجب لمجمعى يهدر ما بين مصادر راى من فروق ، فيستوى عنده ان يكون الراى مصدر راى بمعنى البصر وبمعنى كذا وكيت. وهذا ما يأباه الحس اللغوى الذى يغلب عنده استعمال الرؤية للابصار والرؤيا للمنام ، والراى للاعتقاد والمذهب .

واذا استعمل الراى مكان الرؤية ، فانما يكون ذلك حتما لاعتبار بيانى خاص يحدده المقام ، كما في الآية الكريمة :

« يرونهم مثليهم راى العين » فالراى هنا ليس الرؤية البصرية المعهودة ، واذ اقتضى البيان ان يجعله منها ، ليقتضى وقوة التخييل ، اضاف الراى الى العين التى هى اداة الابصار

ويدعى الاستاذ العقاد ان القرآن يشهد لاستعمال راى الخالق .. قال :

وقد جاء فى القرآن الكريم بان الله تعالى يرى، بكل معنى من معانى هذه الكلمة !

وهو ادعاء جرىء، لايقوى عليه الا الاستاذ العقاد .

اما الآيات التى استشهد بها، فليس فيها اطلاقا، الراى الذى نحن فيه، بالمعنى الذى صار اليه حين يلتبس الموقف تتعدد آراؤنا وتختلف وجهات نظرنا :

فآية « يرونهم مثليهم راى العين » ليس الاسناد فيها الى الله، كما لا بد يدرك الطالب النجيب الذى سأل الاستاذ العقاد ان يرد على ماكتبت .

وآية : « الم يعلم بان الله يرى » لا تفسير لها الا بانه تعالى يطلع، ومثلها آية : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم »

وآية : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء » من الرؤية لا الراى .

وآية : « انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا » ليست من الراى الذى هو المذهب، بل هى بمعنى العلم كما فى التفسير .

وبقى سؤالنا : اين فى القرآن الكريم ان الخالق يرى فى المراة ما يراه العقاد، بغير جواب ..

وسيظل ابدا بغير جواب، لان الذى فى القرآن الكريم انه تعالى « خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها »

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها، وجعل بينكم مودة ورحمة »

كما سيبقى بغير جواب، سؤالنا : اين فى القرآن او اى كتاب اسلامى، ان للخالق رايا، بالمفهوم من عبارة «راى العقاد فى المراة » لانقصد به علم العقاد ولا رؤية العقاد، بل نريد ما صار اليه الراى فى البيئة العربية بعد ظهور المقالات، فقالوا : فلان يرى راى الاشاعرة، او الخوارج : يعنون انه يذهب بمذهبهم الذى قالوا به بعد طول تدبر وتفكير

ونحن المتخصصين فى تفسير النص القرآنى بيانيا، لايجوز عندنا ان نفسر مفردات القرآن الكريم بمصطلحات متاخرة او نحتكم فيه الى دلالات لاياذن بها الاستعمال القرآنى نفسه . فحين صارت الحكمة مثلا، تطلق فى عصور متاخرة على الفلسفة، لم يجز عندنا ان نفسر قوله تعالى « وهو العليم الحكيم » بانه العليم الفيلسوف .. وحين صار الثراء يستعمل فى الغنى، لم يجز عندنا ان نفسر قوله تعالى : « والله غنى حميد » بانه ثرى او « مليونير » !

ولو لم يكن فى الراى — بمعنى المذهب — الا انه ياتى عن تدبر، وترجيح، او اعتقاد لاحد النقيضين عن غلبة ظن، لكفى بهذا الايهام مانعا — لعربى يحس العربية، ومسلم يعرف الاسلام — من اضافة الراى الى الخالق فى مجال الاقتناع بصواب راى العقاد فى المراة !

والايهام فيه اشد من الايهام فى وصفه تعالى بالعاقل او الذكى او الفطن، مما لم يجز فقهاء الاسلام وصفه سبحانه به ..

ولن يدفع هذا الايهام ان يحتال الاستاذ العقاد فيجعل الراى بمعنى الحكم او العلم، الا ان يبلغ به الطغيان ان يزعم

التاريخ: ٢٤ / ٣ / ١٩٦١

ان علمه هو علم الله !

واذ ذاك نعفيه من كل سؤال في هذا وجواب .. لنسأل عن ذلك الجديد اللغوي الذي جاء به المجمعي في رده على : « ولم يبق احد — ولا احدى — منهم أنها مناقشة بريئة » .

يريد ولا شك ان يقول : لم يبق واحد ولا واحدة ..

ويفوت المجمعي المشهور بمطالعته ، ان احدا « لمن يصلح ان يخاطب : يستوى فيه الواحد والجمع ، والمؤنث والمذكر » وهذا مدار قوة النفي به وشموله ..

فاذا قلت : لم يبق أحد هنا ، كان النفي عاما شاملا ، للمفرد والجمع ، والمذكر والمؤنث . وبالعربية الفصحى نقول : أحد من النساء ، لا احدى منهن!

ومرجعي — انا الجاهلة بالعربية والاسلام — كتاب العربية الاكبر ومعجزة الاسلام الخالدة ، فانه تعالى يقول في سورة الاحزاب :

« يانساء النبي لستن كاحد من النساء »

وقد نعتت هذا الاستعمال الجليل سيدة من بنات حواء ، امر نبي العرب والاسلام صحابته ان ياخذوا عنها نصف دينهم ، قالت رضي الله عنها :

« لم تكن احد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم تسامبني حسن منزلة عنده ، غير زينب بنت جحش »

وابادر — اشفاقا من تعرض الاستاذ العقاد للسيدة عائشة أم المؤمنين — فاقول اني لم اجيء بكلمتها هنا للاحتجاج بها على استعمال أحد للمذكر والمؤنث اذ ليس بعد قوله تعالى : « يانساء النبي لستن كاحد من النساء » مجال لكلام ..

وبعد فلعل السادة اصحاب الرسائل الثلاثين التي جاءتني تعليقا على مقالي عن الطغيان الادبي ، يرون في حديثي اليوم ما يغني . ولعلهم يعذرونني بعد هذا اذا لم اكتم كلمة الحق في هذا الذي كتبه الاستاذ العقاد واضافه الى القرآن الكريم مرة ، والى رأى الخالق اخرى .. ذلك لاني اذا كنت املك ان اهب لشيخوخة العقاد شتمه وسبابه وعدوانه على ، فليس لي ان اهب العدوان على الحقيقة لاحد ، من كان ..

والسلام على من اتبع الهدى ..

التاريخ: ٣١ / ٣ / ١٩٦١

قضايا أدبية

مسئولية كبار الأدباء

المسئولية في كل الشرائع والقوانين، على قدر الأهلية

وكبار الأدباء في مراكز قيادية، فمسئوليتهم مضاعفة!

وهم مسئولون أولاً أمام ضمائرهم

فإذا أخطأ أحدهم أو انحرف، كان تقويمه فريضة على كل ذي وعي وبصيرة!

بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ



كلما تعرضت هنا لنقد أديب كبير، سمعت من يسألني الرفق بأدبائنا الكبار والتغاضي عن أخطائهم وعثراتهم، احتراما لمراكزهم الادبية فينا، وخشية ان تهز الثقة فيهم لدى القراء من شباب الجيل، فيرتابوا في عدالة القيم التي أوصلت هؤلاء الكبار الى مراكزهم ..

وآخرون من الناصحين، يشفقون علي، من التعرض لغضب الادباء العماليق وسخطهم، وليس غضبهم مأمون العاقبة، ولا سخطهم بالذي ترجى معه السلامة ..

ولعل هؤلاء واولئك يظنون اني اخوض هذه المعارك النقدية وانا املك الا افعل او يحسبون اني لم اقدر احتمال الاذى فيها، والله يشهد اني ما كتبت كلمة منها الا تحت ضغط احساسي بتبعة النقد وامانة القلم، وتقديري لخطر الادب ومسئولية الكاتب.

والمسئولية في كل شريعة وقانون وعرف، كفاء الاهلية ..

فلا مسئولية على ناقص الاهلية كالقاصر والسفيه والمعتوه ..

وانما المسئولية على المدرك المميز الراشد الواعي ..

وكما تنقص المسئولية في حالات خاصة ولظروف مختلفة، تزداد تبعا لرقي الفرد وعلو مركزه وخطر مكانته .

والاديان، قبل القوانين الوضعية،

قد قررت مبدأ تكافؤ المسئولية مع الاهلية ، وضاعفت العقاب والثواب ، لمن يشغلون مراكز قيادية ، فى الجماعات. فالقرآن الكريم مع تقريره الحاسم للمسئولية الفردية :

« ألا تزر وازرة وزر اخرى ، وان ليس للانسان الا ما سعى » يقرر بمثل هذا الحسم ، ضخامة التبعة على اصحاب القيادة والتوجيه ، وذوى النفوذ والتأثير لايفرق فى ذلك بين رجال ونساء ، فالله تعالى يقول فى سورة الاحزاب :

« يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا ، وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا . ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا »

ويقول سبحانه فى سورة النحل :

« ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ، الا ساء ما يزرون »

وفى سورة الاحزاب :

« يانساء النبى من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيرا . ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا ، نؤتها اجرها مرتين ، واعتدنا لها رزقا كريما »

ذلك لان امهات المؤمنين موضع القدوة والمثال ، ومكانهن من النبى صلى الله عليه وسلم ، يهيىء لهن المعرفة بما يتلى فى بيوتهن من آيات الله والحكمة ، فاقتضت عدالة السماء ان يؤجرن على العمل الصالح مرتين : عن ذواتهن ومن يقتدى بهن ، وأن يضاعف لهن كذلك العقاب على الخطأ ضعفين ، لمسئوليتهن الفردية والاجتماعية ..

والقوانين تتكفل بالمسئولية المادية الخارجية التى يضبطها التشريع ، على حين يتكفل الضمير بالمسئولية الخلقية التى تكل الانسان الى ضميره . وكلما ارتقى الانسان وجدانيا او عقليا ، كان مظهر هذا الرقى ، مضاعفة مسئوليته الادبية.

والاديب انسان راق ، وهو يمثل وجدان المجتمع ، ومن هنا كانت مسئوليته ادبية خلقية ، يتولاها ضميره الحى ..

وقد يخطىء عن حسن نية ، فيسعده ان يلفته اى واع الى هذا الخطأ ، ويبادر بالرجوع الى الحق فى شجاعة ورضى نفس لان الاصرار على الخطأ مما لايحتمله ضميره اليقظ ، وشعوره المرهف بمسئوليته كاملة وتقديره لحساسية مركزه القيادى فى المجتمع ..

والمحاسبة على الخطأ ، واجب مفروض على كل من يعرفه ، ولا يسأل ناقد : من اين لك معرفة الحق ، لان الحق دولة بين الناس ..

وقد اصابت امرأة لاحظ لها من فقه او علم ، واخطأ « عمر » امير المؤمنين وامام الفقهاء ..

ولم يقل لها حين لفتته الى خطئه : من اين لك العلم بهذا ياجاهلة ، وانك لفى حاجة الى برقع على عقلك يستر جهلك الفاضح ..

وما كان ليقولها وهو المدرك لتبعات الامامة ، المقدر لحرمة الحق وشجاعة الرأى وامانة الكلمة ..

والاديب قد يضل وينحرف ، فيخون الامانة ويبيع ضميره ووجدانه وقلمه لمن يدفعون الثمن ولو كانوا عدوا لقومه ، او يتكلم ويكتب لحسابهم ، ويعبىء كل اسلحة منطقه وبيانه ونفوذه ، للتغرير بالجماهير التى يحتل فيها مركز قيادة معنوية ، ولارهاب من يحاولون مطالبته بتقدير مسئوليته عما يكتب ..

اذ ذاك تتضاعف التبعة على كل ذى وعى وبصيرة ..

ذلك لانه اذا بلغ باديب كبير على القمة ، ان يكتب ابان محنتنا بالاحتلال الانجليزى ، يبرر هذا الاحتلال المهين ، ويرمى بالجهل والغفلة من لايؤمن بنظريته فى ان السادة الانجليز حلفاء طبيعيون للشرق الاوسط ، ولا يسلم برأيه فى انهم رسل حضارة وتعمير ووعى ، للشعوب التى يستعبدونها ..

اقول : اذا بلغ باديب كبير ان يكتب هذا ، فقد ثبت انه تحلل من رقابة ضميره وسلطان وجدانه ، وخان امانة قلمه ، وصار تقويمه فريضة على كل واع يعرف وجه ذلك الانحراف والضلال ، ممن يفترض فيه ان يحمى وجدان قومه ويحدوهم الى الوجود الحر الكريم ..

فريضة دينية ، تقررها رسالات الخالق الذى لعن من لايتناهون عن المنكر ، وحكم على من يكتم الشهادة بانه آثم قلبه ..

وفريضة خلقية ، يفرضها على الناقد أن الساكت عن الحق شيطان أخرس ..

وفريضة اجتماعية ، تقضى بها حماية الامة من قيادة ادبية ، خائنة مضللة ..

وفريضة فكرية ، تلزم بها حرمة الحقيقة ..

ولن يعفى الناقد من هذه المسئولية ، تعرضه للاذى والشر ، وتهديده بالويل والثبور ، وقذفه بالشتم والسباب ، فذلك بعض مايجب أن نحتمله من أجل كرامة عقولنا وسلامة وجداننا وحرية رأينا وارضاء ضمائرنا ..

الاهرام
مركز الاهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٧ / ٤ / ١٩٦١

قضايا أدبية

مستقبلنا معركة فكرية!

• الغزو الفكرى ذريعة الاستعمار الجديد

• ونحتاج الى كل يقظتنا لنحمى وجودنا الكريم !



بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ

كلمة سمعتها من احد الاخوة الافريقيين ، فى اللجنة التحضيرية لمؤتمر كتاب آسيا وافريقيا .

كنا نتحدث عن دور هؤلاء الكتاب فى معارك التحرير ، فاذا بواحد منهم جاء من قلب القارة العتيقة ليقول لنا فى حرارة وايمان :

« لاتحسبوا ان دورنا ينتهى بالنصر فى هذه المعارك المحتدمة من اجل الحرية ، فحماية الاستقلال لاتقل خطرا عن الظفر به ، ومستقبلنا معركة فكرية بلا ريب . »

وقد انقضى اجتماع اللجنة منذ شهرين او اكثر ، وبقيت الكلمة ملء اذنى ، وكانى لم اسمع سواها طوال هاتيك الجلسات التى تتابعت لمدى خمسة ايام ..

ولم اشعر يومها بان الكلمة جديدة على ، بل ملأنى اليقين انها كانت تعيش فى ضمير شرقنا الكبير منذ قرون ودهور ، وانها لبثت راسخة فى اعماق وجوده وصميم وجدانه ، وان لم ينطق بها لسان !

مستقبلنا معركة فكرية ..

معركة مريرة ، تبدأ حيث تنتهى معارك التحرير التى تشغل حاضرنا ، وتخضب ارضنا الطيبة بدماء الفدائيين الشهداء .

معركة محتومة ، يخوضها الوطن الكبير بعد تحرره من مهانة الاستعمار ، ويناضل بها عن حريته الغالية التى استردها بالمهج والارواح ..

معركة فكرية ، يحاول الغرب فيها بعد افول الاستعمار ، أن يستبقى ما اضاع من نفوذ ، عن طريق خفى ، لا شأن له بمؤتمرات نزع السلاح ومناوشات السلام !

وقد بدأ استعداده لهذه المعركة من زمان ، واعد لها ذخيرتها من جنود وسلاح !

جنود لم يتلقوا أى تدريب عسكرى ، ولا ارتدوا يوما زى الميدان !

وسلاح لم يخرج قط من مصنع حربى ، ولا اشترك فى تصميمه واعداده علماء الذرة ، وخبراء الصواريخ والمدمرات .

ووضع لها التصميم ، منذ فكر فى غزو ارضنا وسلب حريتنا ..

فجمع الجيوش التى كانت تستعد للغزو العسكرى ، كانت هناك جيوش اخرى فى الظلام ، تتسلل الى الشرق فى زى علماء وتجار ومبشرين ، يدرسون عقليات الشعوب الشرقية ونفسياتها ، ويقرأون تاريخها السياسى والفكرى والروحى قراءة واعية ، تهتدى الى مواضع القوة والضعف فينا ، وتكشف عن اسرار عظمتنا وهزيمتنا على مر العصور الخالية ، فلم يخطو الاستعمار الى ارضنا ، الا بعد ان هيأ له خبراء مختصون ، يفهمون عقلية الشرق ونفسيته ، ويدركون مقومات وجوده الروحى والمعنوى .

وحين كان جنود الاحتلال يعيثون فسادا فى ظلام محنتنا ، كان الى جانبهم جنود آخرون يسهرون على احكام الشباك حول الصيد حتى لايفلت ، وآخرون يقدرون احتمال الافلات ، ويضعون الخطط لمعركة مرتقبة ، يحسبون لها الف حساب ..

وكان الحقل الثقافى ، مزرعة لتجارب البذور الخبيثة التى اعدها لغزونا فكريا بعد هزيمته !

بدأ فنرفض لغته على الشعوب المغلوبة لغة ثقافة وتعليم ونكر ، فعزل افراد الطبقة المتعلمة عن الاغلبية غير المتعلمة، وقطع عليهم السبيل اذا فكروا فى حمل مشاعل اليقظة والوعى امام الجماهير ، كما عزلهم فى الوقت نفسه عن لغتهم الام ، التى تستطيع وحدها — ولا لغة سواها — ان تعبر عن مشاعرهم وافكارهم ومزاجهم ، واوجدهم فى غربة معنوية رهيبة ومزدوجة :

غربة اللسان ، التى جعلت الشاعر الجزائرى « مالك حداد » يصرخ بلغة جلاده :

« لاتلمنى ياصديقى اذا لم يطربك صداحى ..
« فانا ارطن ولا اتكلم ..
« اننى معقود اللسان ، فكيف اغنى؟
« لو كنت اعرف الغناء ، لقلت شعرا عربيا »

وغربة عن الاهل والعشيرة ، يتحدث عنها السفير الهندى « بانيكار » فى كتابه « مشكلات الدول الاسيوية والافريقية » فيقول :

« لقد كانت سيطرة اللغة الاجنبية فى التعليم بسبب الاحتلال ، من أخطر العقد فى مشكلتنا الثقافية . فقد خلق هذا الوضع ، هوة سحيقة بين القلة التى تلقت علومها بلغة المستعمر ، وبين هؤلاء الذين تلقوا تعليما اوليا فى مدارس وطنية ، أو لم يتعلموا على الاطلاق

« ويبدو عمق هذه الهوة ، اذا علمنا ان عدد الذين تلقوا علومهم بالانجليزية فى الهند مثلا ، لم يتجاوز بعد قرن من الاحتلال ، عشرة ملايين فى البلاد كلها ، ! اى بنسبة اثنين ونصف فى المائة من عدد السكان . وعند خروج الهولنديين من ايندونيسيا ، كان عدد الذين اتموا علومهم الثانوية باللغة الهولندية ، لايتجاوز اربعة عشر الفا . وفى السودان يهبط العدد كثيرا تحت هذا الرقم ، حيث لم يكن يوجد فى القطر كله ، اثناء الاحتلال، سوى كلية واحدة فى الخرطوم ، تهيىء طلابها لدخول الجامعات ..

« وكانت التربية موجهة لمصلحة المستعمر وخدمة أهدافه ، وكذلك كانت الكتب المدرسية ، موجهة الى خلق نفسية تميل الى التقليل من قيمة الثقافة الوطنية ، وتمجيد فضائل السيد الاجنبى .. وكان ابرز أهداف التربية الاستعمارية اثارة الروح الانهزامية فى نفوس المواطنين، ليتمكن المستعمر من التحكم فيهم ، والاستئثار بخيرات بلادهم دون عناء كبير »

اما البلاد القليلة التى نجت بلغتها القومية ، كالشرق الاوسط ، فكانت ذريعة الاستعمار الى اعدادها للغزو الفكرى، شراء عملاء من ضعاف النفوس ومرضى القلوب والضمائر ، سلطهم علينا فى ليل المحنة ، فعكفوا على محاولة تدمير معنوياتنا وتزييف تاريخنا وتخدير وعينا ، واقناعنا بان السادة الانجليز خلقوا اشرافا للشرق الاوسط ، ورسل حضارة وتعمير

اذا استعمروا بلدا حرروا اهله من الغفلة والجهل والتخلف !

وان كادوا ليفتنوننا ويضلوننا ، لولا ومضة من الحرية كانت كامنة فى اعماق وجودنا ، تتلقاها ضمائرنا ميراثا وامانة، على تعاقب الاجيال !

ومضـــة لم يغب وهجها عن الغـــرب المستعمر ، فارقت لياليه ونحن رقود ، واجهدته استعدادا ليقظتنـــا المرتقبة ، باسلحة خفية مسمومة ..

واليوم اذ يسهر قادتنـا الاحرار على تصفية الاستعمار ، ويستبسل الفدائيون الابطال فى مقاومة فلوله ، تسهر خــلايا الغـــزو الفـــكرى لملء الفراغ ، وتفتح خزائن مؤسساته الثقافية العديدة ، لتنفق بسخاء على جيش من المترجمين والناشرين والمروجين ، يمارسون نشاطهم فى حماسة واخلاص لاغراق اسواقنا ببضاعة فكرية معينة ، يختارها لنا الاســـتعمار فى زيه الجديد البرىء ، ويعلن فينا صباح مساء انه لايبغى ســوى ازدهار نهضتنا الفكرية حبا فى سواد عيوننا ، وابتغاء مرضــــاة الله والانسـانية !!

فاسمعوا ما يقوله السفير الهنــدى ((بانيكار)) عن المؤســـــسات البشــرية الفكرية :

((لقد كان لهذه المؤسسات نشـــاط ثقافى وتربوى ، لكن هذا النشاط التبشيرى تشوبه آفتان كبيرتان : فهو يهـــدف الى الترويج للقيم الثقافية والدينية الغربية، فلا عجب ان اصبحت هذه المؤســـســات موضع ريبة وشك ، عندما بدات القوميات نهضتها. كما انه لم يكن من السهل على تلك المؤسسات الاجنبية ، ان تكيف نفســـها حسب العقلية الجديدة التى ولدت مـــع الاستقلال))

مستقبلنا اذن معركة فكرية .. بهـــا يرتهن مصير الحرية التى اشتريناها باغلى ثمن ، والمعارك التى كسبها لنا ابطـــال القومية وشــهداء الوطن ..

ولست ارتاب فى ان الغـــد لنا ، اذا عبانا قوانا لمواجهة الغزو الفـــكرى ، وسهرنا على مراقبة كل كلمة تخــــرج من خلايا المؤسسات الثقافية الاجنبية ، قبل ان تتسلل الى عقول ابنائنا ووجدانهم وضمائرهم ..

وراقبنا معها كل ما يكتبه او يترجمه العملاء المساجورون ، الذين يزيفون الفكر ويشوهون القيم ، ويمونون الميـــــدان الثقـــافى والادبى بزاد خبيث مســـموم .!

ليعلموا انا غير غافلين !

وليوقنوا اننا مصممون على حمـــاية وجودنا الكريم الذى ناضلنا من اجـــله جيلا بعد جيل ..

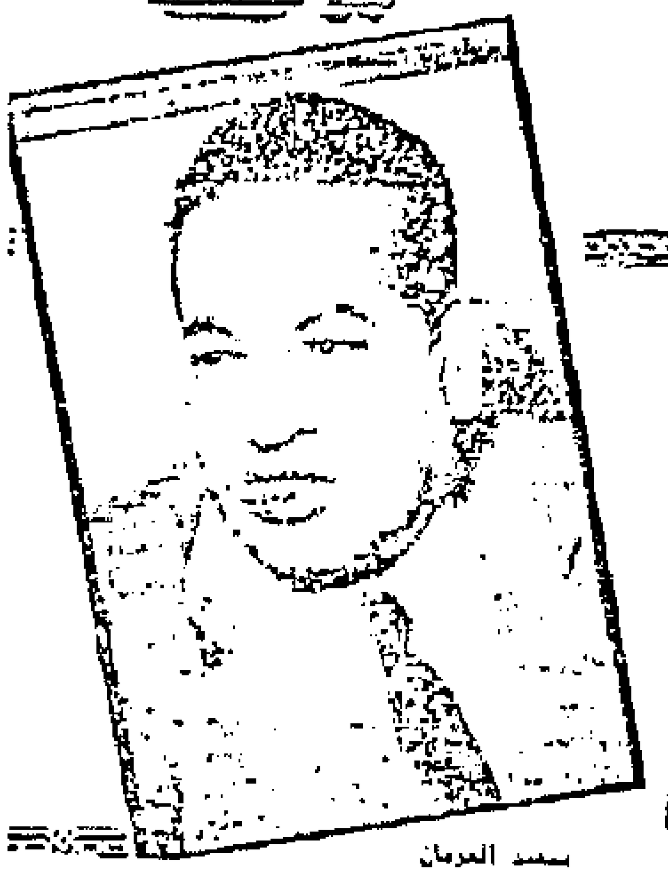
الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١٤ / ٤ / ١٩٦١

قضايا أدبية القصة .. والتاريخ

• لن ننصف تاريخنا الذى طواه الاستعمار

• إذا قنعنا بنشره قصصاً مدرسية، مسلية وهادفة!



محمد العريان

عندما تواصينا فى مؤتمر أدباء العرب بالكويت، على ان نضع فى مكتبة الجيل الصاعد، صورا مشرقة من أمجاد تاريخنا وقصص بطولاتنا: كنا نعى بلا ريب محنتنا بالاستعمار الذى عكف على تاريخنا تشويها وتزييفا وطيا وبترا؛ لكى يعزلنا عن ماضى عزتنا ويفصلنا عن جذور لنا تشدى كرامتنا وتؤكد أصالتنا وتمدنا بأسباب النمو والحياة.. كما كنا ندرك – دون شك – تبعاتنا نحو ابنائنا اصحاب الغد، الذين يجب ان نحررهم من عقدة نقص أرهقت اجيالا منا، لطول ما سمعوا عن هوان آبائهم وأمهاتهم، وما روعوا به من تهاويل الظلمات التى رانت على ودياننا، قبل أن يتفضل الغرب فيحمل الينا شعاع الحضارة والنور فيما يزعمون، حتى استقام الشعور بأن شرقيتهم مظهر تأخر وتخلف، وأن الاتصال بماضيهم رجعية وجمود..

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



.. من كاتب ذى وعى وبصر يستطيع .. عن نصيبه من هذه الامانة .. وهو قادر على حملها، فهذا .. منذ القدرة، ليس فى حساب .. الوطن والتاريخ، الا عقوقا بناء .. وبرنضه النصير ..

الأهرام

.. بحث نختلف على هذا؛ انما .. يجوز أن نختلف عليه، هو موقف .. امجاد المثرى من تاريخنا، وهل .. نشره قصة هادفة يطالعها ابناؤنا .. أو أن وراء ذلك تبعة أخرى .. ذلك المجد المهدر؟

.. هذا السؤال ببالى، اثر فراغى .. كتاب بعنوان «العرب ... لا .. كولومبس» الفه «الاستاذ .. العريان» حلقة فى سلسلة الرحلات التى تصدر للمكتبات اللابتدائية.

وبقدر ما انتعشت لتزويد مكتبة ابنائنا بكتاب كهذا، أسفت حقا لتحديد مجاله وحصره فى ذلك النطاق، وكان حقا على الكاتب، أن يعالج موضوعه قصة تاريخية مزودة بكل أدلتها التى توفر الثقة بها والاطمئنان اليها.

ذلك لان القصة، فى تتبعها لمحاولات عرب الاندلس والبرتغال، فى الابحار غربا عبر بحر الظلمات، ومغامراتهم البطولية التى أوصلتهم – كما يؤكد الاستاذ سعيد – الى تلك الارض المجهولة قبل أن يولد «خريستوف كولومبس»، كانت جديرة بأن تعرض علينا عرضا تاريخيا أمينا، قبل أن نصاغ منها قصة نحكيها لسمارنا أو نغريهم بمطالعتها..

التاريخ: ١٤ / ٤ / ١٩٦١

والاستاذ سعيد يقول فى الفصل السادس من قصته :

« وقد ذكر التاريخ ان ثمانية من فتيان العرب قد حاولوا فى القرن الثالث عشر أن يكتشفوا امريكا قبل ان يكتشفها كولومبس بمائتى سنة ، فأبحروا غربا فى سفينة شراعية ، واتجهوا بها غربا اثنى عشر يوما ، ثم حولوا وجهتهم الى الجنوب الغربى اثنى عشر يوما اخرى ، حيث لاحت لهم جزيرة على بعد ، فاتجهوا اليها وألقوا مراسيهم على سواحلها ، ووطئوا الارض الجديدة باقدامهم ، وكان اهل اشبونة يسمونهم الفتية المغررين »

وبعد ان يروى تفاصيل المغامرة بمضى فيقول :

« ولكن الدولة العربية يومئذ فى الاندلس لم تكن خالية البال ، اذ كانت تمزقها مطامع الامراء وتشغلها أحداث الحرب المتصلة بين العرب والاسبان فلما جاءتها انباء هذا الاكتشاف الذى وصل اليه أولئك الشبان المغامرون من عرب لشبونة ، لم تحاول عملا ولا خطة .. وبقيت اخبار هذا الاكتشاف قصة تروى للتسلية فى مجالس السمر ، ويتناقلها الرواة من سامر الى سامر ، لتبلغ حظها من الانتشار والذيوع ، ويذكرها اهل التاريخ .. ثم لاشىء غير ذلك ..

« وكتبها اهل التاريخ فى كتب التاريخ ، وذكرها علماء الجغرافيا فى المؤلفات الجغرافية بلغة العرب وبغير لغة العرب وانقضى جيل وجيل .. ومات الاخوة المغررون .. ومضى قرن من الزمان وقرون آخر ، وأشرف القرن الخامس عشر ولم تزل امريكا فى عزلتها وراء امواج المحيط ، لا يعرف الناس عنها الا ما تذكر كتب الجغرافيا والتاريخ واحاديث السمار ، أو ما تشير اليه الصحيفة المكتوبة على شارع الاخوة المغررين فى لشبونة .. ثم سمع خريستوف بالقصة ، وخرج من ميناء لشبونة التى ابحر منها الاخوة المغررون قبله بمائتى سنة ..

وقد صارت لشبونة ميناء من موانى البرتغال ، وخرجت من ايدى العرب والاسبان جميعا .

« وكل ما تضمنته هذه القصة من الحوادث الكبار ، ذكره المؤرخون العرب القدماء واعترف به عدد من المؤرخين الاوربيين . وفى كثير من المخطوطات العربية المحفوظة فى بعض المكتبات الاوربية ، تفصيلات وافية عنها ..

« ولم تزل الصحف العربية والاوربية تنشر فى أوقات متقاربة أو متباعدة بحوثا جديدة لمؤرخين وجغرافيين ، تثبت ان العرب قد عرفوا ذلك الطريق ووصلوا الى تلك الارض ، قبل ان يصل اليها خريستوف كولومبس وقبل ان يولد فرديناند وايزابيلا ! » .

ولست ادرى كيف هان على الاستاذ سعيد ، أن يبقى هذا التاريخ ، قصة تسلية وتثقيف تروى للتلاميذ ؟ وكيف غاب عنه ان الامر اجل واخطر ، من ان يعرضه فى هذا النطاق المحدود ؟

انها قضية العرب وحق التاريخ ، وما أراني أشق على الاستاذ سعيد أو أظلمه لو طالبته بان يعالج القضية من جديد ، فيجمع كل هاتيك الاقوال والبحوث من مصادرها التى اشار اليها اشارة عابرة دون ان يدل على واحد منها ، ويحشد لتأييدها كل ماجاء عنها فى المخطوطات وكتب المؤرخين والجغرافيين العرب وغير العرب ، حتى لاتظل القضية هكذا ، حكاية هادفة يتسلى بها التلاميذ ، ويتناقلها الرواة من سامر الى سامر ، وزوايات مبعثرة فى شتى الكتب المخطوطة والمطبوعة ، تماما كما كانت فى ماضى الزمان وسالف العصر والاوان !

اقول هذا وانا مطمئنة الى أن السيد راوى القصة ، يعرف واجبه وطريقه ، لكى يستخلص حقنا المهدر من طى التجاهل وغمرة النسيان ، ويكشف عن خطواتنا المطموسة فى طريق كولومبس عبر بحر الظلمات !

التاريخ: ٣٠ / ٤ / ١٩٦١

قضايا أدبية

اسجُدوا لآدم!

بدأ عصر الإنسان، بعودة رائد الفضاء..
وبدأت معه قيم جديدة، تليق بكرامة عقله، وعزة إنسانيته!
ولن يجسر عاقل للبشرية، على امتهان عقولنا، وتحقير آدميتنا، ومصادرة حرية الفكر وأمانة الكلمة!

شعرت بكرامة انسانيتى، منذ وعيت قول الله سبحانه وتعالى:

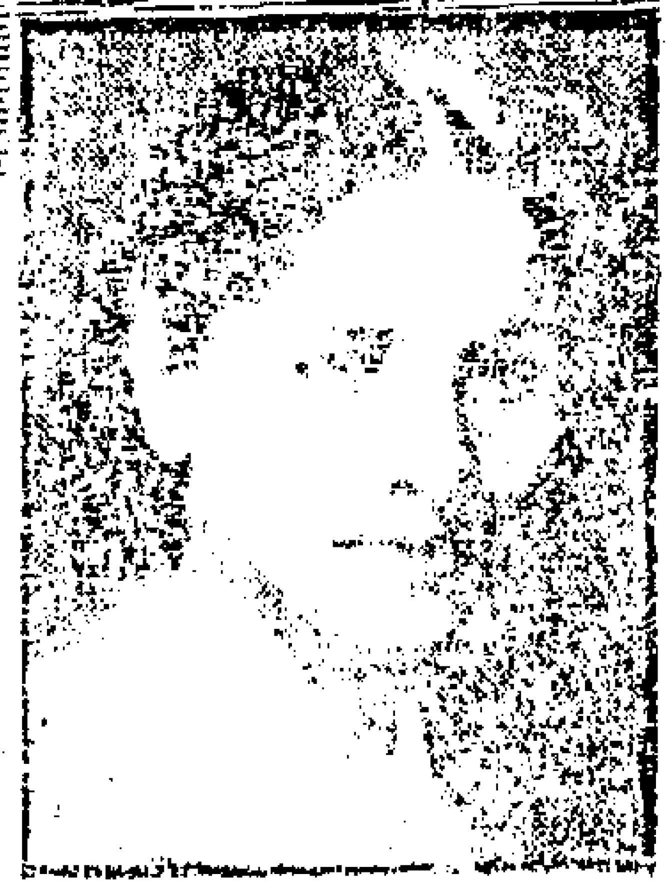
((واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم))

لكن لعلى لم افقه معنى الاية الكريمة تماما، قبل ان اسمع النبأ المثير عن انسان الفضاء الاول.

او لعلى لم ادركه حق الادراك، بمثل ما ادركته يوم عاد هـذا الرائد من رحلته الظافرة، بعد ان اقتحم الفضـاء المجهول وازاح عنه الحجب والاستار.

عاد ليعلن ان الانسانية جديرة بهذا التكريم الالهى، الذى امر الملائكة ان يسجدوا لادم: ابى البشرية..

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



وفى نشوة الايمان بعناية خالق هذا الانسان ، مضيت اتطلع الى ذلك العالم الجديد الذى بدأته الانسانية بهـذا اليوم المشهود !

وملأنى شعور الزهو والغبطة ، اذ أتيح لى أن ادرك عصر الانسان : آية الله فى هذا الكون ، وخليفته فى الارض

بلى ، هو عصر الانسان الذى حقق ذاته بوعى وجوده ، وأدرك جوهر انسانيته !

والانسانية لاتقوم على الطعـام والشراب والنوم والتناسل ، فهـذا القدر يشاركنا فيه الحيوان الاعجم ، وربما شاركنا فيه النبـات ، الذى هو أدنى رتبة من الحيوان .

وانما الانسان انسان بعقله ووجدانه وضميره ولسانه ، وبكل معنوياته التى تميزه عن العجماوات !

ولا بد من قيم جديدة تستحدث لهذا العصر ، ولو كره الكافرون بالانسان !

قيم سياسية : لاتسمح باسترقـاق البشر ، واستعباد الآدميين واضطهاد الملونين ، ولا تجيز لكائن — من كان — أن يمتهن كرامة الناس أو يمارس فيهم حرفة القرصنة (والبلطجة) أو يفرض عليهم شريعة الغـاب !

ولا يبيح لحفنة من الاقطـاب ، ان يتحكموا فى مصائر الشعوب ، أو يلعبوا لعبتهم الخطرة التى تهدد بالتدمير حضارة أقامها المثل الانسانى المبدع ، فى طويل الحقب والادهار .

وقيم ادبيـة وفكرية ، لا تطلق اهدار معنويات الانسـان ، ولا تحتمل بزيف بضاعة عقليه أو وجدانية ، غير لائقـة بكرامة طموحه وعزة انتصاره وشرف انسـانيته ..

ولقد لاحت بشائر القيـم الجـديدة فى الميدان السياسى ، حين اعلنت روسـيا نداء السـلام ، وهى فى أوج مجدها ومهرجان ظافرها

كما لاحت فى الميدان الفكرى ، حـين قال العالم الفلكى الانجليزى « السـير برنارد لوفل » رئيس مرصد جـدرول بانك ، وهو من اكبر مراصد العالم :

« ان الذين يشككون فيما تـدعيه روسيا من انباء الفضاء ، ان يجنوا غير الملام والندم . فقـد عرف عن الروس

التاريخ: ٢٠ / ٤ / ١٩٦١

انهم احتفظوا بأسرارهم العلمية ولكنهم لم يزيفوا معلومات او انباء علمية قط . فاذا قالوا انهم اطلقوا رحلا الى الفضاء ، فانى اصدق كل كلمة يقولونها » (

وجاءنا الجواب من « خروشوف » وهو يبكى تأثرا وانفعالا ، عندما عانق رائد الفضاء زوجته :

« ان روسيا مستعدة لتقديم كل معلوماتها عن الفضاء ، الى كل دولة تعيش معنا فى سلام »

اجل ، لقد انتهى عصر اخفاء الحقائق التى هى ملك الانسان ، وتزييف الفكر وغش الوجدان ، ومسخ الحق والخير والجمال .

وانتهى عصر الارتياب فى قيمة الدراسات الانسانية ، وتجاهل حاجة الانسان الى زاد فكرى حر يرضى عقله الطامح المنتصر ، وزاد فنى كريم يمتع وجدانه الصافى المهذب ، وزاد روحى نقى ، يغذوه فى رحلته الى عالى الافاق ويحلق به الى ماوراء الفضاء ..

وبانتهاء هذا العصر ، آن لنا أن تمتلئ عقولنا وقلوبنا وضمائرنا ، ملء الصحة والحرية والحياة ..

واصبحت حياتنا الادبية ، امن من العقم والشلل والجمود !

كما اصبحت حياتنا الفكرية بمنجاة من العقم والانحراف والتضليل ..

فلن يقول قائل بعد اليوم : ما جدوى الادب والفن ، لا يطعمان جائعا ولا يكسوان عاريا ؟ لان انسان العصر الجديد لن يسمح أن تجرده من وجدانه وتسلبه معنوياته التى تميزه عن الحيوان ، ولا أن تهبط به الى منزلة البهم والدواب ، وما دون البهم والدواب .. مما تقوم حياته على الضرورات المادية للبقاء وحفظ النوع .

ولن يستطيع عملاق بعد اليوم ، ان **يمتهن آدميتنا ، أو يزين لنا بضاعة الفكر والقلم ..**

لن يجرؤ على ان يبرر لنا جريمة الاستعمار وخطيئة استعباد الانسان ، أو يكتب لنا اليوم مثل الذى كتبه بالامس فى ليالى محنتنا :

« خصوم الانجليز — من نازيين وفاشستيين وشيوعيين — لاينشرون الحرية **اذا تغلبوا ، ولا يكتمون حاجتهم الى خيرات البلاد الاخرى** ، ولا تجمع بينهم **وبين العرب** مصلحة مشتركة .. ومن اجل ذلك يقع التفاضل بين هؤلاء الخصوم **وبين الامة الانجليزية ، فلا يرجحهم احد من ابناء الشرق العربى ، بمرجح صريح** معقول ، لان المرجحات الصريحة المعقولة كلها ، تناقض هذا الجانب أشد المناقضة .. وانما الدول الفصل فى هذا الامر **ان الانجليز حلفاء طبيعيون للشرق العربى لان الشرق العربى حليف طبيعى للانجليز** »

ولن يتجاسر مارد عاق للانسانية **على تحقير المرأة أم البشرية ووالدة** الانسان ، فيهبط بها الى مادون الحيوان .. ثم يفترى على الله الكذب ، فينشر كلامه فى كتاب يحمل اسم القرآن الكريم ، ثم يعلن ان هذا هو **رأى الخالق**

ولن يجترئ منذ اليوم على مصادرة حرية رأينا ، ونسج براقع على فكرنا ووجداننا ، وارهابنا بمقصلاته واحجاره كما فعل بالامس القريب حين ثارت طغيانه وانكرت عقوقه للانسانية فكتب — فيما نقلت عنه مجلة المصور — يقول مهددا متوعدا :

« انا فعلا طاغية أدب .. وانا لا استبيح لنفسى ان **استرجل على بنت الشاطئ ، فالقمها حجرا ، وهى تعلم انى قادر على ذلك ! »**

ولا والله ما اعلم انه قادر على شيء من ذلك ، ولا مستطيع ان يلقم مثلى حجرا وبيته من زجاج ، وانما الذى اعلمه علم اليقين ان هذا الاسلوب فى الخصومة الادبية ، لن يجوز فى عصر الانسان الذى غزا الفضاء بقوة عقله وكرامة انسانيته ، وصحة وجدانه وضميره ، لا بمقصلات مسترجل ، واحجار عملاق عاق للبشرية ..

وصدقت اية الله فينا :

« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا ، الا ابليس أبى واستكبر ، وكان من الكافرين . »

التاريخ: ٢٨ / ٤ / ١٩٦١

قضايا أدبية

الشعر بين القديم والجديد

الشعر الجديد ينطلق بالشعر بعيداً عن حرم النصاعة والفخامة وصنعة السبك المحكم والقوالب المصبوبة: "نزار"

ليست القضية فيما أرى قضية قديم وجديد بقدر ما هي قضية شعر وغير شعر: "بنت الشاطئ"

لم أشعر بأي حرج، حين جاء الشاعر «نزار قباني» يتحدث الي، عندما كنت في دمشق. وانما قدرت أنه اذا كان قد أغضبه ما كتبته عنه هنا، فحسبي طمأنينة ضميري الى أني ما تجنيت ولا انحرفت، بل عرضت قضية اتهام نزار، في نزاهة واخلاص.

رأى الشاعر نزار قباني وتعليق للدكتورة بنت الشاطئ



بنت الشاطئ

وانما شعرت بالحرج حقا، حين تبينت من حديثه معي، أني ظلمته دون أن أدري.. فما أخذ «نزار» من قصيدة «حالك برنفيه» خفية واختلاسا ولا عمد الى الاقتباس منها وهو يبغي أن يزيد من رصيده الشعري، وانما جاء بالقصيدة الفرنسية معلنا عن مصدرها؛ لكي يقدمها مثلا وشاهدا، على أن التجربة الشعرية لا تصد عن الاشياء العابرة الصغيرة التي مثلتها اكثرنا أنفه من أن يلتفت اليها شاعر ولا ترتفع عن الاحتفال بقطعة سكر تذاب في فنجان، اذا حف بها – في وجدان الشاعر – جو شعري خاص.

ثم كان هناك دافع آخر، دعا «نزار» الى أن يجيء بقصيدته العربية «وحدة» على غرار قصيدة «بريفير». وهو أن يثبت طاقة العربية على أداء مثل هذه التجربة بكل طواعية واقتدار، وأن يؤكد حق الشاعر العربي في معالجة «الاهتمامات» الصغيرة التي تعمر في حياتنا اليومية المألوفة.

قلت لنزار: هل لي اذن أن أعتذر؟

أجاب: كلا، فما كان ذنبك أن نقلت القصيدتان بمعزل عن الظروف التي قيلتا فيها، والجو الذي عرضتا فيه. ويكفي أنك تحرجت من الاتهام السريع الحاسم، ومضيت تلتمسين العذر الجديد الذي أنفته الى القصيدة الفرنسية، وتحاولين به تبرير الموقف بأقصى ما نطمع فيه من حرص واتزان.

واستطرد «نزار» يقول: والقصيدة بعد هذا، ليست الا اعلانا عن رأيي في الشعر الجديد. فلقد عانت أذواقنا العصرية، تلك القرون الانشائية المنظومة، التي تعتمد على زخرف القول وبهرج الصنعة اللفظية، وعانى مزاجنا الانيق الخيال المصطنع، التي تصر المدرسة القديمة على أن تهيم في تيهها، وتحاول منذنا أن تجرنا اليها بحبال واهية، يسمونها فخامة الديباجة ونصاعة الاسلوب وجودة السبك واحكام الصنعة وعبقرية الالهام وجلال الموضوع، وما لا أدري من كليشيهات متحفية! اننا الآن نعيش

التاريخ: ٢٨ / ٤ / ١٩٦١

في عصر الانسان الذي هتك اسرار المجهول ومزق حجب الفضاء ، والانسان وحده هو الجدير بان يكون موضوع الشعر الانسان بكل جبروته وطموحه ، وكل تطلعاته ونزواته وأهوائه . ولن يستطيع الرجعيون أن يمارسوا معنا عملية « التجريد » التي تمسخ بشرية الانسان وتسلخه من آدميته التي هي مزاج من العظمة والضعف ' ولن يستطيعوا ان يفرضوا علينا أن نصغي الى « البرود الكثيبة ، والقيض الناجم ، والنهج السديد ، وغرر القصيد ، وفاخر النظيم ، والدر النضيد » ولا ان يموهوا علينا بمتون منظومة في « المسناة الجلمد ، والسبنفم الغرثان ، والرباش النبح ، والمدره الابكم » او يلفتونا الى « ذخيرة تتألق من بهرج العسجد ، والمضرب المصفر في رمس ! »

لقد بطل سحر هذه وأمثالها ، كما بطل سحر الاغراض الضخمة ، والنظم المسدوك والصوغ المحبوك ، وتهاويل السطور وأفانين الانشاء ، منذ دخلنا عصر الانسان الظافر المقتحم ، الذي لم تعد تهوله « اشباح الاصيل ، وبريق النجوم الدراري ، ورهبة الموج الاشم ، وسدف الظلمات » .

واستمع « نزار » يتحدث عن تحرر الشعر الجديد من قيود المصطلح التقليدي تكاني فهمت منه انه يرى في هذا التحرر مظهر انطلاق اللغة العربية وآية طواعيتها ومرونتها ، وسر حيويتها ورشاقتها ، على خلاف ما يتصور دعاة الرجعية الذين يريدون تجميد الشعر العربي في قوالب مرصوصة ، تجعله مجرد شكل معين مرسوم ، دون اهتمام بالجوهر او احتفال بالمضمون . ولقد غبر الشعر العربي زمانا وهو مختنق بهذه الشكلية الجامدة ، مكبل باغلال من الصنعة اللفظية ، شلت حركته وعوقت انطلاقه ، فتقلت سواته وبارت بضاعته ، وكادت العربية تحرم أجمل فنونها ، لولا أن تهيأ لها هذا الجيل من الشعراء الاحرار الذين استردوا للشعر مكانته واستعادوا له تراءه

والحرية في الشعر الجديد ، ليست سوى استجابة لروح هذا العصر الذي يهيم بالحرية ، ومسايرة لحركة الزمن ، وخضوعا لسنة التطور . وما كانت مقاومة « اهل الكهف » لتستطيع ان توقف التطور وترجع الحياة الى ماوراء مئات السنين !

ولقد نصحت لمن ينكرون حق الحياة الجديدة في شعر جديد ، ويتجاهلون « اهتمامات » الانسان وذوق العصر ، ان يعودوا الى كهوفهم فيناموا فيها ملء الجفون ، ولهم علينا الا ننالهم . فبهذا وحده يستريحون من شقائهم بالتطور ، ونجنبهم في المصطلح التقليدي ومحنتهم بامثال نازك الملائكة وشاكر بدر السياب ونزار قباني وزملائهم ، حين يخرجون بالشعر بعيدا عن حرم الصناعة والفخامة ، ومصنع السبك المحكم والقوالب المصبوبة ، و (الكليشهات) المجمدة ، وينطلقون به ملء الحرية والحياة ..

التاريخ : ٢٨ / ٤ / ١٩٦١

ومضى « نزار » وترك لى ديوانه ، وكانما أراد ان يضع بين يدى ، تجربة شاعر جديد اهتم **بفستان النفنا، وجعل من الخزف الصينى والسجاد والحرير والبخور ورائحة البترول** ، وامتيازات النفط ، مادة شعرية :

ويظن «نزار» — بما يسمع منضجيج يحتفل بما يسميه (اهتمامات) الانسان الصغيرة العابرة ، مع ان « طرفة » — الذى عده النقاد اشعر الناس واحدة قد اهتم بناقته واعطاها أكثر من نصف معلقته .. والنابغة الذبيانى قد وصف اعضاء « المتجردة » وحركاتها وزيها باكثر مما يجرؤ نزار على ان يفعل ..

ويظن « نزار » — بما يسمع من ضجيج حوله — ان حرم الشعر العربى المصون ، لم يمتهن من قبل بمثل « النفط ، والبترول، والخزف الصينى » مما يسميه خصومه تفاهات غير لائقة بجلال الشعر ! واقول له ولهم : ان الشاعر العربى القديم لم يحتقر ما هو اتفه من النفط والبترول والسجاد والخزف : **امرؤ القيس ، على جلالة قدره ، جاء فى شعره ببعر الارام وحب الفلفل ! والنابغة ، شيخ شعراء الجاهلية ، جاء فى اعتذارياته المشهورة بوجوه القرود وبالبعير الاجرب المطلى بالقار ! وعنترة العبسى ، شاعر الفرسان، جاء فى معلقته الخالدة ، بغناء الذباب ، وباثنتين واربعين حلوبة سودا ، تسف حب الخمخم ! والاعشى ، صناجة العرب ، اعجبته حبيبته هريرة ، وهى تمشى الهوينا لثقلها ، كما يمشى فى الوحل من حفى حافرة (ولم يقل قائل من هؤلاء الغاضبين للشعر ان قدسية الشعر امتهنت بشىء من هذا ومثله !**

واشد ما ننكره ممن يتعصبون للشعر الجديد او القديم ، انهم يطلقون الحكم عاما دون احتراز ، وفى تراثنا الفنى روائع من الشعر القديم والحديث ، لا يعيب الاولى انها جارية على نسق تقليدى معين، كما لا يعيب الاخرى انها تحررت من هذا النسق ، مع احتفاظها بموسيقية الاداء التى لا يكون الشعر بدونها شعرا

فمسالة ((الشكل)) فى الشعر يجب أن تخرج من حسابنا ، متى اكتملت للشعر عناصره الجوهرية ، من شاعرية التناول ، ووجدانية المعاناة ، وموسيقية الايقاع . وليس يعنينا وراء هذا ان يتصرف الشاعر فى انغامه بما يخرج بها عن حدود المصطلح الموروث ، او ان يلتزم بهذا المصطلح ادق التزام .

فالقضية فيما أرى ، ليست قضية قديم وجديد ، بقدر ما هى قضية شعر وغير شعر ! وليس من الحق ان نحسب على الشعر الجديد ذلك الغثاء النثرى الذى يظن اصحابه انهم متى مزقوا الجمل وبعثروا الكلمات فقد صاروا شعراء مجددين ! .

كما ليس من الحق ان نحسب على الشعر المحافظ تلك المتون الانشائية المنظومة التى ليس لها من الشعر الا الوزن والقافية ،واذا كانت بضاعة الشعر قد بارت عندنا وخسرت قراءها ، فما ذاك الا لان اكثر الناظمين يعانون النظم بنفوس مغلقة ، ووجدان معتم ، وحس أصم ! .

وقديمنا يعتز **بالموشحات**، وليست جارية على النسق التقليدى ،كما يعتز **باللزوميات** وقد التزم فيها « ابو العلاء » ما لا يلزم من قيود المصطلح الشعرى

وفى حديثنا،روائع لنازك الملائكة،شاعرة العصر، لم تخرج فيها على النسق الشكلى للقصيدة العربية . وفيه كذلك روائع لشوقى ، امير المحافظين ، تحرر فيها من قيود ذلك النسق .

فمن شاء ان يلتمس الشعر ، فليلتمسه عند ذوى الاصالة الشاعرية ، قدامى او

التاريخ: ٢٨ / ٤ / ١٩٦١



نزار قباني

محدثين ، وسيرى أن أذواقنا المصرية تشجيها مراثي «مهلهل» في أخيه «كليب» من وراء خمسة عشر قرنا من الزمان ، وتطرب لها كل الطرب ، على حين تضيق مثلا بقول كبير الناظمين في عصرنا :

في فرضة متناصر من متنها
موج أشم أحم ليس بهوان
موج يطبق بها وقد ران الكرى
فيها طواف الضيغم الغرثان !

* * *

أراح الورد عازفة الأنوس
وأشرق نجمنه بسعد الخنوس
وغرد هاتف الأطيار لما
جلا البستان عن خدر العروس
وفيه ثمالة لم يودعوها
من الأفراح كرم الخندريس
مجامر للطبيعة أرجتها
وخصتها بقربان الشموس
لوانا قادرون لما هفونا
الى غير المحاسن والطروس !

وما ذاك إلا لأن القضية كما قلت ، ليست قضية قديم وحديث ، وإنما هي قضية شعر ، وغير شعر !

التاريخ : ٥ / ٥ / ١٩٦١

قضايا ادبية

ثنائية اللغة بين واقعنا وطموحنا

• إذا كانت العامية لغة واقعنا ، فإنها ليست لغة طموحنا

• التوسع الاجتماعي يملك أن يتهيء لمستوى من الأداء التام

الموضوع ـ فيما يبدو ـ ليس بالموضوع الجديد ، والعهد بين هذه الصفحة وقرائها ان تكون اقرب الى التجديد المتصل ، والاثارة البكر ، والحديث الذى لم تسرق فى تناوله الاقلام .

وهو بطبيعته متشعب النواحى ، كثير الاستطالات : جانب منه يتصل بهذه الحياة التى نحياها، وجانب آخر يتصل بهذا الادب الذى ننشئه .. طرف منه فى الماضى ، واطراف فى الحاضر، واطراف كثيرة وراءها فى المستقبل .. وقد يكون من شان هذه الصحيفة ـ بحكم الحيز الضيق والمجال المحدد والرغبة فى التنويع ـ ان تثير المشكلة على عجل ، ثم تدعها الى جديد من المشكلات والقضايا



بقلم الدكتور شكرى فيصل
عضو المجمع اللغوى فى دمشق
وعضو مجلس الأمة

ولست احب ان اخرج عن هذا الذى بدا لى من امر هذه الصحيفة .. ذلك ان الموضوع على كثرة الذين كتبوا فيه وتحدثوا عنه ، ما انفك جديدا ، حيا ، يلح على اصحابه المتصلين به ويدفعهم الى الوان من القول ، وانواع من النظر .. واتصاله بهذا النحو من الحياة وهذا النحو من الادب ، واستطالاته الممتدة هنا وهناك فى اطراف من الزمن المقبل والمنصرم ، يجعل اكثر الذى يدور فيه جديدا او اقرب الى الجدة .

ويبعث هذا الحديث ويثيره كثرة ما نرى ونسمع ونقرا فى هذه الفترة وفى فترات متقاربة توشك ان تكون موقوتة .. فلا يكاد يهدا الحديث حتى يثور ، ولا يكاد يهدا فى جانب منه حتى يثور فى جانب آخر .. وتشرق الشمس على حديث عن ثنائية اللغة ثم تغيب ، فاذا حديث آخر عن الطاقة الفنية «الكبرى» التى تتمتع بها العامية او بعض تعابيرها وتراكيبها .. فاذا لم يكن الامر فى نطاق الصحافة كان فى نطاق الاذاعة .. وفى

العربية ، ومدى ما يكون من هذا الترخص .. ولكن جماع كل هذا الذى قيل ويقال او يمكن ان يقال ، لايخرج عن ان يكون مصدره ومنطلقه هذا الايمان بالحياة التى نحياها ، واعتبار هذه اللغة جزءا اصيلا من هذه الحياة .. ثم ما يكون بعد ذلك من افساح المجال للعامية ، مسلحة بسلاح الحياة نفسها ، هذه التى نحياها ونتقلب فيها .

• مركز الثقل اذن فى نصرة هذه العامية ـ على خلاف فى مدى هذه النصرة ومجالها ـ يعود الى هذه الصلة الوثيقة

ندوات الاذاعة متسع لتناول كل شىء .. وحين يقدر لك الا تقرا من كل ذلك شيئا ولا تسمع شيئا فانت مضطر الى ان تستمع الى همس هذا الموضوع فى نفسك حين تفكر فى مسايرة حياتك الحاضرة هذه .. اعنى فى صلة هذه الحياة بمقوماتها التى تنهض بها وترتفع عليها .. انك من اقضية اللغة بموضعك من الحياة ، ومن ذا الذى يملك ان يفلت من الحياة ؟..

ولقد قيل كثير حول ثنائية اللغة العربية ، وحول الترخص فى استعمال

بين العامية والحياة .. وانا احب ان ابدا من هنا لاتساءل : هل كان طرح هذا الموضوع على هذا النحو طرحا صحيحا، وهل العامية جزء من حياتنا التى نحب ان نحياها ؟ .. وهل الايمان بالحياة يدعو الى الايمان بكل الاشكال التى تقوم بها الحياة ؟ او هو يدعو الى اعطاء هذه الاشكال افضل صورها واحلى الوانها ؟ .. وهل يكون تغليبنا لواقع الحياة تغليبا مطلقا او هو متصل بالنواحى الاخرى التى تنبنى على هذا التغليب وتنجم عنه ؟ ..

ثم : هل العامية اصيلة فى حياتنا او هى طارئة ؟ واذا كانت لغة اليوم فى بعض المستويات فهل هى لغة الغد ؟ وما مدى الطاقة الفكرية والطاقة الفنية فيها ؟ .. وهل تستطيع العامية ان تحيا على المستوى الذى نحب ان نحيا فيه فى نطاق الادب او فى نحو من هذا الادب هو حوار المسرح ؟

وفى رايى ان نقطة الانحراف تبدا من هذه الصلة التى عقدت بين الحياة وبين اللغة ، اقصد العامية .. والتى ادير فيها الحديث على كل نحو .. ووجه كل وجهة .. ذلك أن هذا التلازم الذى يصر عليه اصحابه خاطىء فى اساسه ، فليس هناك هذا التلازم حقا بين « واقع » الحياة التى نحياها او التى نريد أن نحياها ، وبين « واقع » اللغة العامية التى نتكلمها .. فكلا هذين الواقعين مريض ؛ العامية التى نسمعها نوع من ضمور اللغة السليمة وتشوهها هذا التشوه الذى يرتبط بتشوه الحياة وبتاونه .. ومن المؤكد ان الف هذا التشويه واستمراره لايرتفع به الى مستوى الجمال والاناقة ، ولا يحجب الحاجة الماسة الى اصلاحه وتهذيبه .. وواقع الحياة التى نحياها واقع مريض ، من ابرز اسباب المرض فيه ومن ظواهر هذا المرض معا ، ان كل معطيات الفكر وثمرات الثقافة محجوبة عنه بحكم ان اللغة — وهى اداة الفكر السليم ومعرض الثقافة — تعانى هذا التشوه ..

وقد يبدو هذا الكلام مغربا للذين يناصرون العامية .. فما دامت الصلة بينها وبين الحياة صلة سبب ونتيجة وما دامت العلاقة بينهما فى مثل هذا الوثوق والترابط فماذا اذن ؟ .. وما الذى يبقى للقول ؟ ..

والحق انه من هنا يكون الافتراق .. وأن هذا الافتراق ليتجسد فى هذا السؤال : انحن نخضع للحياة ام نحن نصوغ هذه الحياة ؟ .. انحن نذعن لها ام نحن نسودها ؛ اهى وفاق الذى نتمنى ام نحن وفاق الذى تتمنى ؟ .. وفى منطق الثورة التى نحياها هل يكون « واقع » الحياة اقوى من تطلع المجتمع او يكون «واقع» المجتمع قاهرا لتطلعات الحياة منتصرا عليها ؟

انى اقدر ان الف جواب سريع عنيف لايعرف التروى يحاول ان يتحدث عن سلطان الحياة على الاحياء ، وعن غلبة الواقع ، وعن .. وعن .. ولكنى اقدر ان لكل جواب من هذه الالف .. الف رد سليم ، حين نبدأ من الايمان لا من الحياة ، ومن المثل لا من الواقع ، ومن منطق السيادة لا من منطق العبودية ، ومن ارواح النهضة المنطلقة لا من اكدار المستنقعات الراكدة الآسنة .

التاريخ: ٥ / ٥ / ١٩٦١

واحب ان اسال اولئك المتمصرين للعامية . مهما يكن مدى نصرتهم لهـا ومجالها ، عن شيء آخر : هل يخـرج موضـوع اللغة عن ان يكون موضوعا اراديا تملك الارادة الصادقة الحازمة التي تنطلق من مبدا وتمضي على طريق وتتجه الى هدف .. ان تفعل فيه الكثير؟ اهو ((قدر)) لا سبيل الى ان ينفع فيه جهد.. او هو ((وضع)) يخضع لشيء كثير من الارادة والرغبة والتعليم ؟ .. وهل تكون الاستجابة للحياة استجابة سلبية لا يعمل فيها العنصر الارادى ؟

وماذا سنقول حين نذكر الذي نشهـد عند الاطفال حين ياخذون يتعلمون اللغات المختلفة ؟ افينا من ينكر اثر الارادة والتعليم والجهد ؟ .. افينا الذى ينكر اننا نصنع السنة اطفالنا وان في وسعنا ان نصنع آذان العامة عندنا ؟ .. ان الحاح اغنية على جمهور يجعل الان من كل انسان مغنيا يتمتم لحنا ، ويرتل صوتا ، ويعيد كلمات ، ويضطر ان يقيم لسانه على هذا النحو وان يمد صوته على هذا النحو الاخر ، وان يرتق وان يفخم ، وان يغير من طابع الصـوت ومن شدته ومن نبرته على النحو الذى دخل اذنه .. ومع ذلك فاذا جاء الحديث عن الفصحى والعامية جاء معه كل هذه الاحاديث عن الصعوبات والاستحالات ، وعن الاستجابة للحياة ، وعن الحبـال الصوتية وعن البيئـة والواقـع .. وتقلصت الارادة والايمان والمران هـذا التقلص الغريب الذى لا ندرى ماوراءه

لقد كونت العربية في اول مهـدها بالانتشار مع الاسلام السنة النـاس في جيل واحد .. صاغتهم هذه الصياغة الخاصة .. حتى حبالهم الصوتية خرجت بها عن الموروث والمعهود وجمعت بينها وبين الصوت العربي في التطابق الذى ان لم يكن كاملا فـ[illegible] يقترب من ان يكون كاملا .. كان ذلك اول عهد هـذه الامم بالعربيـة واول لقـاء بينهم وبينها .. فماذا يقول اليوم ابناء العربية الذين ورثوها منذ اربعة عشر قرنا ؟

ليس هناك حياة تفرض ، اننا نحن الذين نصنع الحياة ونفرضها .. وليس هنالك تعبير يتحكم ، فنحن الذين نصوغ تعابيرنا ونحن الذين نؤلفها .. ان بين اللغـة والحياة هـذا النسب المتـد ، ولكن اية حياة هذه التي نريد ان تحكم لغتنا .. واية لغة نريد ان تعبر عن هـذه الحيـاة .. ؟

اننا لا نتردد قط في اننا نؤمن بالحياة التي نتمناها لا التي نراها ، التي نتطلع اليها لا التي نرزح تحتها .. وان جوهر حياتنا الحاضرة ليس خضوعا للواقـع ولكنه التسامي على هذا الواقع والسيطرة عليه والارتفاع به .. انه هذا الجوهر كذلك في كل جنب من جنوب الحياة ..

اما اولئك الذين يريدون ان يسـاوموا ، ان يحتموا بالبيئة ، فهم مخطئون لاننـا نسلم من البيئة بالقدر الذى يعبـر عن رجهتنا لا القدر الذى يفرض علينـا الاستسـلام .. ولن نختلف حين نستبدل الايمان والارادة بالمساومة والخضوع ، لاننا حينذاك لن نجد الا بيئة واحدة هي البيئة التي نتطلع اليها ، والا حياة واحدة هي الحياة الافضل التي نفكر فيها ونجهد لها ، والا اللغة الواحـدة التي تكون كفاء هذه الحيـاة وهذه البيئة بكل تطلعاتها وتساميها

(تعليق)

((لايستطيع واع منصف ، ان يمارى فى حاجتنـا الماسة ، الى تهذيب لهجاتنا العامية والتقريب بينها وبين الفصحى قدر المستطاع . أما اعتبـار هذه اللهجات واقعا مريضا ، فذلك ما لايسهل التسليم به . كما ان قياس الواقع اللغوى بالواقع الاجتماعي ــ على هـذا النحو ــ فيه نظر : لان امراضنا الاجتماعية كلها ، صنعتها أوضاع شاذة ، وليس الامر كذلك في اللغة وما يتفرع عنها من لهجات محلية .

((والقضية لايزال فيها ــ بعد هذا ــ مجال لكثير يقال ..))

بنت الشاطىء

التاريخ: ١٢ / ٥ / ١٩٦١

قضايا أدبية

من المسئول عن نشر مهرجانات الأدب والأسابيع الثقافية





رأي الأستاذ محمود الشرقاوي : الصحف اليومية والإذاعة

الدكتورة بنت الشاطئ تعلق : مجال النشر هو الكتب المتخصصة والمجلات الأدبية

انتهى منذ شهر فى دمشق اسبوع ((الفقه الاسلامى)) ومهرجان الامام ابن تيمية . ومن قبله اقيم فيها ايضا مهرجان الامام حجة الاسلام الغزالى واسبوع لدراسته .

ومن الحديث فى البديهيات ان يقال ان من اهداف هذه المؤتمرات والمهرجانات ، التعريف بهؤلاء الائمة وامثالهم من رجال ونساء الفكر الاسلامى ، وتمجيد ذكراهم واشاعة الثقة بقيمة الفكر العربى والاسلامى بين من لم يعرف هذه القيمة ، او امام من يكابر فيها . ثم الافادة من تفكير هؤلاء الاعلام فى حياتنا الحاضرة ودراسة النواحى الخافية من حياتهم ومناهج تفكيرهم . او عرض هذه وتلك فى اثواب جديدة . وهذه الاهداف كلها لايتحقق شىء منها الا بابراز هذه المهرجانات والاسابيع فى الصحف والاذاعة ووسائل الاعلام التى يعرفها الناس فى هذا العصر ويتفنن فيها ، الى مدى بعيد المسيطرون عليها

فماذا قرا جمهورنا العربى او شهد من انباء مهرجان الفقه الاسلامى وابن تيمية ، او مهرجان الغزالى .. ؟

كانت هذه الخواطر تدور فى راسى وانا اقرا مقال الدكتورة بنت الشاطىء صباح الجمعة عن . ((مستقبلنا معركة فكرية)) . وكل ماقالته فيه صحيح . ولكن مانرى من التهاون فى مثل هذا الامر الذى نتحدث عنه ، يشعر بأن بعضنا لايشترك معنا فى تقدير القيم الفكرية لمعركة الحاضر والمستقبل التى تخوضها القومية العربية الآن ، او فى الدفاع عن اللغة العربية وثقافتها ، وتعريف اهلها بما فيها من اصالة وقوة وعمق .

الاهرام
مركز الاهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١٢ / ٥ / ١٩٦١

ويعرف دارسو الثقافة الاسلامية والعربية،ان جامعة باريس انشأت قبل سنين « كرسيا » باسم « ابن تيمية » بخاصة ، تقديرا منها لقيمته وفقهه وتفكيره. ويعرف دارسوالفقه الاسلامي على وجه الخصوص ما يمتاز به « ابن تيمية » من خصوبة التفكير وشجاعة النفس وسداد الفهم للشريعة وللتجديد فيها . وانه ، فوق ذلك ، يمتاز باسلوب عربي مشرق واضح . وقد كان فقهه معينا خصبا للاراء النافعة النقدية التي استمدت منها قوانين «الاحوال الشخصية» فيالسنوات الثلاثين الاخيرة مبادئ ذات قيمة كبيرة في تشريعاتنا الحديثة . وهذا من الاسباب التيجعلت المسئولين عن الفكر والثقافة في الجمهورية العربية المتحدة يقيمون له هذا المهرجان . ولكنه كان دون شك ـ قليل الجدوى من الناحية العامة ما دام لم ينشر عنه شيء ، كما راينا . وارجو الا يكون في حديثي هذا ما يزعج صحافتنا التي اعتبر نفسي احد رجالها ، واعتز بذلك

اما عن الناحيه الموضوعية فساكون فيها راوية امينا فقط ، واترك التعليق لصفحة الادب في « الاهرام » :

حدثني من اشترك في مهرجان الغزالي الذي اشرت اليه . أن بعض الاعضاء الذين طاروا من القاهرة الى دمشق مندوبين عن هيئات رسمية او ثقافية القوا تلخيصا لاربعين صفحة من كتاب: « الاحياء » للغزالي . وكان هذا كل جهدهم في المهرجان .! وان بعضهم تناول راى الغزالي في « الحسد » . وقد بينه صاحبه بما لا يحتاج لدراسة ومهرجان ، وعضو آخر القى بحثا طويلا عن « المنارة » التي اعتكف فيها الغزالي عندما اقام في دمشق ، فقال : انه لايمانه بالتجربة وحدها ذهب الى منارة دمشق فوجدها ليس فيها مكان يسع رجلا للاعتكاف . واوسع مكان فيها لا يزيد عن سبعين سنتيمترا في اقل منها . فرد عليه عضو من الاقليم الشمالي بان دمشق فيها منارتان لا منارة واحدة ، والسيد المحترم عضو المهرجان « عاين » تلك التي لم يعتكف فيها الغزالي . وقد ذكر الغزالي ذلك عن نفسه بنفسه في كتابه : المنقذ من الضلال ، حين فصل سيرته وتاريخ حياته . فلعل المحاضر المحترم لم يقرا ذلك ..!

واعجب من هذا ـ ومحدثي شاهد عيان ثقة ـ ان احد الاعضاء الذين طاروا الى دمشق ايضا للاشتراك في المهرجان، من غير الاقليم الجنوبي ، كان يسال في الجلسة الاولى عن السنة التي ولد فيها الغزالي والعصر الذي عاش فيه.! وانه اراد بعد ذلك ان يلقي « بحثا » عنه .!

وامامي وانا اكتب هذه السطور كتاب : « المهرجان الالفي لابي العلاء المعري » الذي صدر في دمشق عن المهرجان الذي اقيم فيها عنه في سنة ١٩٤٥

وامامي ايضا ذلك السجل العظيم النافع: « تعريف القدماء بابي العلاء» الذي اصدرته في سنة ١٩٤٤ لجنة برياسة الاستاذ الدكتور طه حسين ، عافاه الله ، وقبل هذا التاريخ او في قريب منه اخرجت الدكتورة بنت الشاطئ دراستها عن « رسالة الغفران » للمعري . وقد كنت اود ان يطالع المشتركون في مهرجان الغزالي وابن تيمية هذه الآثار التي ظهرت في اسبوع ابي العلاء ، او ان تكون في وعيهم واذهانهم وهم يكتبون او يلقون ما كتبوا والقوا في هذين المهرجانين »

واستجابة لطلب الاستاذ الشرقاوي ، نقول اننا معه في انكار صمت الصحافة والاذاعة عن نشر انباء المهرجانات الادبية والاسابيع الثقافية ، مما يعطل غرضا من اهم اغراض هذه المؤتمرات ، وهو وصل جمهور المثقفين باعلام تاريخنا ،وتعريفهم بالمجهول لديهم من تراثنا الفكرى

وقد مضى مهرجان الغزالي ، ومن بعده اسبوع ابن تيمية ، وعامة القراء بمعزل عنهما ، لم يصل اليهم شيء من اخبارهما، والاستاذ الشرقاوى على حق ، حين يعلن احتجاجه على تقصير الصحافة والاذاعة ، بموقفهما السلبى من المهرجان الادبى والاسبوع الثقافى

التاريخ: ١٣ / ٥ / ١٩٦١

لكنا لانراه على حق ، حين نعجل الحكم عليهما ، وانكر عدم نشرابحاثهما ونسجيلها . فمجال هذا النشربطبيعته، ليس الصحافة والاذاعة ، وانما الكتب المتخصصة والمجلات الادبية والعلمية . واولى بالاستاذ ان يتجه بهذا اللوم الى « مجلة الازهر » التى كان عليها انترعى اسبوع الامام الفقيه « ابن تيمية » ومهرجان حجةالاسلام الغزالى، وتخصص عددا منها لكل واحد من هذين الامامين . اما الصحف اليومية فليست بحال ما ، ذات اختصاص بمثل هذا ، وانما حسبنا منها أن تؤدى واجبها الاخبارى بنشر انباء المهرجان وتتبع اخبار الاسبوع

واما لجنة تنظيم المؤتمر ـ اى مؤتمر ـ فلا تطالب بنشر مجموعة ابحاثه فور الانتهاء منه ، بل يترك لها الوقت الكافى لطبع كتاب المؤتمر ونشر مجموعة ابحاثه وهذا مايستغرق عادة ، عاما او بعض عام !

وتحدث الاستاذ الشرقاوى عن مستوى الابحاث ومستوى المحاضرين فى مهرجان الغزالى واسبوع ابن تيمية ، استنادا الى ماخذ سمعها من غيره . ولسنا معه فى جواز الحكم ـ موضوعيا ـ على مؤتمر ما ، عن طريق السماع ، ولانرى من حقه أن يصدر حكما عاما على المهرجان او الاسبوع ، الا اذا كان قد شهدهما بنفسه ! فما اكثر ما يخطىء النقلة ويسهو الرواة ! وما اكثر مايلتقط بعض المتفرجين عثرات محاضر او متحدث ، ويتركون ابحاثا قيمة لمحاضرين علماء !

وق[illegible] عانيت من مثل [illegible] فى اكثر المؤتمرات التى شاركت فيها ، واقرب ما اذكره من هذا ـ على سبيل المثال ـ انى حاضرت فى هذا الموسم عن اديبات عربيات فسمعت من نقل الى ، مؤاخذة احد المستمعين ، على انى اضفت اليهن اديبة غير عربية . وكان يقصد « ولادة بنت المستكفى » حفيدة عبدالرحمن الداخل، مؤسس الدولة الاموية بالاندلس !

وكنت قد اشرت فى محاضرة لى ، الى سقوط اسم « رابعة العدوية » من كتب تار[illegible] [illegible]ى ، فقر[illegible] بعد ذلك تعليقا لكاتب ـ شهد وسمع ـ يرد فيه بان سيرة رابعة واشعارها تملا كتب الادب ، ثم يسال محتجا : من اين لى العلم بها، اذا لم اكن قد رجعت الى المصادر الادبية ؟ ولو كان هذا الشاهد المستمع قد وعى حديثى ، لاطمان الى ان رابعة لم تذكر فى اى كتاب ادبى ، اللهم الا اشارة عابرة للجاحظ عن زهدها ، وانما مرجعنا فى دراستها ، اديبة ومتصوفة ، كتب التصوف وطبقات الاولياء ، لا كتب التاريخ الادبى وطبقات الادباء !

والاستاذ الشرقاوى ـ فيما اعرف ـ قد تتبع معاركنا النقدية هنا حول كتاب « المراة فى القران الكريم » فما قوله ـ دام فضله ـ فى أن صحافيا من الاقليم الجنوبى ، قديم عهد بالصحافة ، نقل خبر هذه المعارك الى قراء « الايام » الدمشقية، فلم تخرج عنده عن « مشاحنات لفظية » !

وناقل خبر المعركة الى قراء الايام ، شاهد عيان فيما يعرفون ، وربما كان كذلك ثقة عندهم ، افلا يرى الاستاذ الشرقاوى الى اى حد تمسخ الحقائق بالنقل ، وتضيع حرمتها باقلام رواة مظنة الثقة والامانة، والشعور بمسئولية الخبر ؟

والحديث عن آفة الرواية حديث يطول ، وما اظن الكاتب ـ وقد عرف منهج علماء الحديث فى الرواية ـ الا ملتمسا لى العذر، حين اطالبه بالتحرج من الحكم على مستوى مؤتمر لم يشهده ولم يقرا الابحاث التى القيت فيه ، استنادا الى مرويات سمعها من « شاهد عيان ثقة » قد يخطىء وقد يسهو، وقد يغضب فيقول اسوا ما سمع ، كما قد يرضى فيقول افضل ما علم ، وقد يعى شيئا وتغيب عنه اشياء :

★ وما آفة الاخبار الا رواتها ★

بنت الشاطىء

التاريخ: ١٩ / ٥ / ١٩٦١

قضايا أدبية

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



الكتاب والمقدمة

إذا كتب عالم مختص مقدمة كتاب فقد أجاز كل ما فيه من أخطاء !

المتصلون منا بالحياة الادبية والفكرية ، تلفتهم بلا شك ظاهرة المقدمات التى يتبرع بكتابتها أدباء مشهورون ، لمؤلفين معاصرين ، عن تطوع ورغبة ، أو تحت ضغط الرجاء والالحاح .

والاصل فى الاعمال الادبية ، أن يقدمها مؤلفوها الى القراء ، نقادا أو غير نقاد ، ثم يخلوا بينهم وبينها ، دون تدخل من كاتب مشهور ، يسبق القارىء الى الرأى ، ويتوسط بينه وبين المؤلف ، اذ يشق على القارىء غالبا ، أن يخلص لقراءة الكتاب ، غير متأثر برأى من قدمه .

ومهما يبلغ حرص مقدم الكتاب وتحرجه ، بل مهما يبلغ خوفه من وعى القراء ورقابة النقاد ، فان طبيعة الموقف تغلبه ، فيستحي من تقديم الكتاب بغير مايرضي مؤلفه ، واقصى مايفعله المتحرجون من الذين يكتبون المقدمات ، هو ان يقولوا في الكتب التي يقدمونها ، خير مايعلمون ، ويتغاضوا عما فيها من عثرات واخطاء قد تفوت على اكثر القراء . وربما جندوا براعة منطقهم ولوذعيتهم لتبرير الاخطاء التي لاتفوت على القارىء

ولو كان الامر يقف عند حد المجاملة ، وتبرير الاخطاء ، في عمل ادبي ، لهان .. لأن من القراء من يحصنهم وعيهم من التأثر بالمقدمة ، ومنهم من يمر بهذه المقدمات دون ان يقف عندها ، محتفظا لنفسه بحق الاستقلال في الذوق والرأى ..

لكن الذي لايهون ، هو ان يكون الكتاب ذا صبغة علمية او تاريخية ، مما لايدخل في نطاق الثقافة العامة لجمهرة القراء ، فاذا تطوع احد المختصين في الموضوع ، لتقديم الكتاب الى القراء ، كان في هذا التقديم اجازة صريحة ـ ولا اقول ضمنية ـ لما في الكتاب من مادة علمية او تاريخية . والمؤلف من كان غير معصوم من الخطأ ، لكن اخطاءه اذا اجازها عالم متخصص ، كانت النتيجة المترتبة ان يتلقاها القارىء غير المتخصص دون حذر او ارتياب . ومن هنا كانت مسئولية كاتب المقدمة بالغة الخطر ، بحكم مالها من عموم الاثر . فالامر هنا لايتصل بالتذوق الادبي الذي يتفاوت فيه الناس ، وانما يتصل باخطاء علمية او تاريخية ، يتلقاها القراء مطمئنين الى صحتها ، لان عالما مختصا اجازها ...

التاريخ: ١٩ / ٥ / ١٩٦١

ذكرت هذا ، والنا اقرأ المقدمة التي كتبها لفضيلة الاستاذ الجليل « الشيخ محمد المدني » عميد كلية الشريعة بالازهر » لكتاب « محمد .. رسولا نبيا » من تاليف الاستاذ « عبد الرزاق نوفل » .

وكنت من زمن ، اتتبع الكتب التي يؤلفها الاستاذ نوفل في القرآن والاسلام ، فلا ارى ضيرا عليهما من غريب تاويله لآيات الذكر الحكيم ، بما لا يحتمله النص البياني المعجز ، ولا تتقبله طبيعة القرآن الكريم من حيث هو كتاب هداية ودين ..

بل لم ار باسا كذلك ، فيما كتبه السيد نوفل غداة عاد رائد الفضاء من رحلته ، وذهب فيه الى ان القرآن الكريم سبق الى غزو الفضاء منذ نحو اربعة عشر قرنا ، باية الرحمن : « يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا ، لاتنفذون الا بسلطان » وقال ان السلطان هنا هو العلم ، واقتطع الآية من سياقها فلم يقرا بعدها : « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران . فبأي آلاء ربكما تكذبان » والايات بعدها شاهدة على ان الحديث فيها عن اليوم الاخر ..

لم قرات كتابه الجديد « محمد .. رسولا نبيا » فلم انكر عليه ان يخطىء ، لكني لم اتصور كيف امكن ان يجيز لفضيلة عميد كلية الشريعة بالازهر ، ما في الكتاب من اخطاء تاريخية ، وللموضوع حرمته ودقته وجلاله ..

ولست اعنى هنا الاحكام الادبية الخاطئة التي تورط فيها الكاتب ، من مثل قوله :

« يعرف العرب في كل مكان واي زمان ، ان احسن الشعر اكذبه — ص ٧٨ » وهي دعوى كاذبة ساذجة ، فرقنا منها منذ وعينا ، وعاد الصدق عنصرا جوهريا في العمل الفني .

وقوله : « ولم يستطع اي شاعر او كاتب ان يصور فيما يكتب الا ما راى ، لذلك انحصرت فصاحة العرب على وصف جارية او فرس او مدح امير او تسجيل معركة او تصوير بناء — ٧٦ » وهذا حكم عجيب مرتجل يرسله السيد نوفل هكذا عاما مطلقا ، فيهدر امزماني تراثنا العربي من روائع الشعر والنثر .

وقوله : « والمعروف ان الكاتب او الشاعر اذا اشتهر بالاجادة في فن ، فانه يسمف بيانه اذا عالج فنا آخر ، ولذا فان الشاعر الذي يجيد الغزل مثلا لايجود شعره في الحماسة والحرب — ٧٦ » .

والذي نعرفه ، ان اعلاما من ادبائنا في القديم والحديث ، اجادوا اكثر من فن : امرؤ القيس ، وعنترة ، برعا في الغزل والحماسة ، وزهير برع في المدح والحكمة ، والحطيئة وجرير برعا في المدح والهجاء ، وابن الرومي ، تفوق في الوصف والرثاء ، وابو العلاء برع في الشعر والنثر ، والبارودى ابدع في الحنين ، والفخر ، ووصف الحرب .. والحال يطول !

اجل ، لست اعنى هذه الاحكام الادبية الخاطئة ، فاي قارىء ، له حظ من ثقافة وذوق ووعي ، ينفر من مثل هذا التعميم في الاحكام الادبية دون حذر او احتياط ..

انما الذي اعنيه هنا ، هو ما في الكتاب من اخطاء تاريخية ، لانعرف لها اصلا فيما لدينا من مراجع امهات . ولا يلام المؤلف اذا اخطا ، فكل المؤلفين يخطئون ، ولكن يلام شيخ كلية الشريعة ، على تقديمه الكتاب ، دون ان يشير الى هذه الاخطاء من قريب او بعيد ..

ومن الغريب ان فضيلة الشيخ المدني ، حرص في مقدمته على ان يشير الى « ما يأخذه بعض الناس على كتب الاستاذ نوفل ، انها تفسر بعض الايات تفسيرا

التاريخ: ١٩ / ٥ / ١٩٦١

علميا لايعرف لها من قبل ، او لايساعد عليه سياق الايات .. والقرآن لاينبغي تعريضه للدوران مع تقلبات العلوم — ٥»

لم سكتنا عما يتصل بموضوع الكتاب « محمد .. رسولا نبيا » من اخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لاندرى من اين جاء بها المؤلف ، الذى لم يشأ ان يثبت مصادر مادته في متن الكتاب ، اكتفاء بما جاء به في آخره ، من قائمة بالمراجع، بينها كتب حديثة ، للابيارى ردويدار وهلال محمد هلال، ومحمد عبد الغفار ، وليس بينها كتب الحديث الستة الامهات، ولا كتب التفسير، ولا تاريخ الطبرى ، ولا كتاب الاصابة لابن حجر ، والاستيعاب لابن عبد البر، وامثال لها مما نعده مراجع اصيلة لكتاب عن الرسول النبى !

وغير مستغرب — وقد غابت هذه المراجع الاصيلة — ان يقول المؤلف في ص ٣٢ « ان السيدة آمنة بنت وهب، نشات يتيمة تعيش في كنف عمها ؛ وليس اشد على النفس من رؤية طفلة يتيمة صغيرة جميلة »

والذى ذكره ابن اسحاق ، شيخ كتاب السيرة ، عن زواج عبد الله بآمنة :

« فخرج به ابوه عبد المطلب ، حتى اتى وهب بن عبد مناف بن زهرة ... فزوجه ابنته آمنة — ١٧٥/٢ »

وفى تاريخ الطبرى : **« ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد ابنه عبد الله ، حتى اتى به وهب بن عبد مناف ... فزوجه ابنته آمنه — ١٧٥/٢ »**

فهلا ذكر لنا فضيلة الشيخ المدنى ، المرجع الذى اعتمده ، حين اجاز هذا الكلام عن يتم آمنة ، عندما تزوجها عبد الله !

وفى صفحة ٦٧ يقول المؤلف :

« تزوج صلى الله عليه وسلم ريحانة

المدنى ، وهو اعلم منى بسيرة الرسول ؟

وفى صفحة ٦٧ من كتاب الاستاذ نوفل، انه « كان من حسن السياسة ان يطلب الرسول الى النجاشي ملك الحبشة ، ان يكون رسوله في طلب الزواج من ام حبيبة .. وهى بنت ابى سفيان ، وقد مات زوجها ، ويعتبر ابوها عدو الرسول الاكبر، واكبر مهاجمي الاسلام، وبزواجه منها ، انتصر على آخر معقل من معاقل الكفر في قريش »

وما علمنا — فيما قرانا من اصول ومراجع — ان الرسول بزواجه من ام حبيبة ، انتصر على آخر معقل من معاقل الكفر في قريش . وانما الذى نعلمه انه صلى الله عليه وسلم بعث الى النجاشي يخطب ام حبيبة ، حين افتتن زوجها — عبد الله بن جحش ، ابن عمة الرسول — وتنصر . وقد حدث هذا

بنت عمرو ، زوجة احد رجال بنى قريظة »،

وليس اسم ريحانة ، بين امهات المؤمنين في كل ما بين ايدينا من مراجع. وانما الذى فيها جميعا بلا استثناء انها كانت بين سرارى الرسول لا بين زوجاته. ذكر ذلك ابن هشام في السيرة (٢٥٦/٣) والطبرى في تاريخه (١٨٠/٣)، وابن عبد البر في الاستيعاب (١٨٤٧/٤).

ونص عبارة السيرة : كانت ريحانة عند **الرسول حتى توفى عنها وهى في ملكه، وقد كان عرض عليها ان يتزوجها فقالت: يا رسول الله ، بل تتركنى في ملكك ، فهو اخف علي وعليك ! »**

فمن اين جاء الاستاذ نوفل بهذا الخبر عن زواج الرسول بريحانة؟ واين نرى اسمها بين امهات المؤمنين ؟ **لا ادرى .. فهل يدرى فضيلة الشيخ**

في هجرة الحبشة ، قبل أن ينتصر الرسول على آخر معقل للكفر بسنين ، بل ان السيدة ام حبيبة ، عادت من مهاجرها بالحبشة الى المدينة ، في السنة السادسة للهجرة ، والمعركة بين المسلمين وقريش في ذروة احتدامها ، وانتظرت بنت ابى سفيان طويلا ، حتى اسلم ابوها يوم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة . هذا هو ما في السيرة، وتاريخ الطبرى، وكتب طبقات الصحابة، فمن اين جاء المؤلف بخبر هذا الانتصار الحاسم على آخر معقل للكفر في قريش، حين بعث الرسول الى النجاشي ، في زواجه من بنت ابى سفيان !

وما اريد ان امضى فاتتبع اخطاء الكتاب ، فليس لمثل هذا كتبت اليوم وانما حسبى — بما قدمت من امثلة — ان الفت الى خطر المقدمات ومسئولية كتابها ، ولعلى قد ابلغت !

التاريخ: ٢٦ / ٥ / ١٩٦١

عيدنا الأكبر

لبيك اللهم لبيك!

دعاء الإيمان ونشيد الوحدة..

لا يدرى التاريخ، منذ كم من الدهور والاحقاب، قام هذا البيت العتيق فى مكة: موئل حج العرب، ومثابة أمنهم، ومركز عبادتهم، ومهوى أفئدتهم وأرواحهم.

ولا يحصى الزمن، كم من ملايين الناس، انثالت الى هذا البيت العتيق من كل فج، ملبية اذان ((الخليل)) فى الناس بالحج، ومستجيبة من بعده لدعاء النبى العربى اليتيم: لبيك اللهم لبيك!

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



ولعل الدنيا لاتعرف، فيما عرفت من بيوتات ومعابد، بيتا أعرق منه قدما، واجل حرمة، وأعز موضعا..

وانه لبناء بسيط متواضع! فى واد غير ذى زرع، تحف به الصخور السود، وتقوم من حوله الجبال الشم الصلاب، وتترامى وراءه الصحراء موحشة جرداء..

القصور الشامخات، فى شتى بقاع الارض، أبلاها الزمان وصارت اطلالا..

وبقى هذا البيت العتيق من دونها، لم تنل منه العوادى، ولا أبلاه كر الغداة ومر العشى!

والمعابد والهياكل، تتابعت صنوفا واشكالا، ثم تداعت تحت وطأة الدهر فصارت مقفرة خلاء..

وهذا المعبد العتيق قائم عامر، لا تخلو ساحته لحظة من العابدين، يسعون اليه من اقصى المشرق واقصى المغرب، هاتفين من اعماق قلوبهم:

لبيك اللهم لبيك!

والمزارات التى شهدتها الدنيا حينا، وهاجة الضياء ساطعة البريق، عدت عليها الايام والليالى فمحت بريقها الساطع، وهبت عليها ريح الزمان فأطفأت ضياءها الوهاج، واسلمتها الى دياجير الظلمة وضباب النسيان!

وهذا المزار الاقدس من دونها، سرمدى السنا، يتحدى نوره الاعاصير الهوجاء، ويزداد على الايام والليالى تألقا وبهاء..

والهتافات التى طالما جلجلت فى الافاق هادرة صاخبة، لم تلبث ان خرست فى ضجيج الحدثان، وذابت فى قبضة الفناء..

وهذا الهتاف من دونها أبدى خالد، يملأ سمع الزمان منذ كان، ويصغى له الكون ملء الخشوع والاجلال:

لبيك اللهم لبيك!

والمواكب التى طالما حشدت لها الحشود وجمعت الوفود، ما لبثت ان انفضت وانتثرت..

وهذا الموكب بعرفة قائم حافل، يلتقى فيه الحجاج أمة واحدة، قد تصافحت بين ابنائها الفواصل، وزالت الفروق، والغيت حواجز الطبقات والدرجات، وغابت السمات والشارات فهم هناك اخوة متساوون: زيهم واحد وسماهم واحد، ودعاؤهم الذى لادعاء لهم سواه:

لبيك اللهم لبيك!

هناك..

فى البلد الحرام..

فى تلك البقعة المباركة، حيث تلتقى الارض بالسماء..

ويجتمع الامس واليوم والغد..

ويندمج الركب — فى عيدنا الكبير — تحت اللواء الموحد، معلنا اننا منذ كنا امة واحدة، وسنظل ابدا امة واحدة وقلبا واحدا، ونشيدا واحدا:

لبيك اللهم لبيك!

لبيك لاشريك لك لبيك
ان الحمد والنعمة لك والملك
لاشريك لك.. لبيك!

التاريخ: ٢ / ٦ / ١٩٦١

قضايا نقدية

الشعر المكتوم في جبهة الغيب!

جبهة الغيب : اسم مسرحية جديدة للاستاذ « بشر فارس »
والشعر المكتوم : مصطلح جديد ، اطلقه الكاتب على اسلوبه في الاداء ، وتعريفه عنده انه : « اسلوب لماح ، الكلمات تنعقد في اضافات غير مطروقة ، تحمل تلويحات شراراتها تتسق آفاق التامل ، فيصبح التعبير تفكيرا وتصويرا معا »

ولا يتسع تقديره في ان الخص له المسرحية هنا ؛ فذاك امر لا سبيل اليه الا ان اعرضها بأسلوب البسيط المترسل ، فيضيع طابعها المميز الذى يعتمد على اسلوبها الخاص من الشعر المكتوم .

يكفي ان اقول هنا ان المسرحية تقوم على احدوثة شرقية رمزية : في زاوية من زوايا الارض ، جيل شائخ ، لا يرفع اهل الزاوية ابصارهم اليه ، الا واكفهم فوق حواجبهم . ولقد تناقل اجدادهم جيلا بعد جيل ، ان في جوف الحدبة ، على القمة الشاهقة ، مغارة غامضة ، هوى اليها من السماء طيف مجنح ، نثر

بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ

التاريخ: ٢ / ٦ / ١٩٦١

المغارة بظفر من ذهب ، ثم غرس في صلبها عشبا ابيض ، من اكل منه نديا في منبته ظفر بالحياة الى الابد ، والطريق الى ذلك البيت المنقور وعر معضل ، والتصعيد فيه خدعة من خدع الموت . وقد حاول اثنان من اهل الزاوية ان يظفرا بنفحة البقاء ، فعاد احدهما اعمى قد خطف الضوء الوهاج بصره ، وآب الآخر كسيحا من الاعياء .

وجاء ثالث فصعد في الجبل الشاهق الوعر ، غير عابىء بتحذير المشفقين وتوسلات المحبين ، وقد وعد اهل الزاوية ان يسقط اليهم كل يوم حجرا ليعلموا انه حي . وذات يوم لم يسقط الحجر ، فماتت فتاة محبة ، قتلها الحجر الذى لم يسقط . لكن اهل الزاوية فوجئوا بالرجل يهبط اليهم من القمة سليما ، وقد شق طريقه الى كوخ حبيبته ، فلما الفاها قد ماتت ، عاد فصعد في الجبل ، يبتغي البيت المنقور ليحاسبه على هذه الخدعة : يمنح الحياة بيد ، ويسلبها بالاخرى ! ويهب البقاء ، لمن فقد الرغبة في البقاء ...

وذات صبيح يوم ، فالفى اهل الزاوية امامهم الرجل ، قد هوى من صامعى ، جثة مهشمة ، بغير حياة !

وقد عالج الكاتب هذه الاحدوثة الرمزية ، في قصة ذات حوار ، عنوانها « رجـــل » نشرت في « المقتطف » عام ١٩٤٢ ، ثم في كتابه « سوء تفاهم » الذى ظهر منذ نحو عشرين عاما ، واعاد نشرها للمرة الثالثة ، في مقدمة « جبهة الغيب » تمهيدا للمسرحية التى تتابعت في خمس مراحل .

وليست رمزية القصة ، هي موضوع تضبيننا اليوم ، وانما موضوعها هو هذا الشعر المكتوم الذى تنعقد الفاظه في انشاءات غير مطروقة ، وتترنح عباراته في عقد من طلاسم الرمز المتوغل ، وحجب من ضباب المبهمات

واحتاج هنا الى استطراد يسير ، فأقول ان الرمزية ـ في مفهومها العام ـ ليست جديدة على اللغة العربية وادبها : فاللغة في تطورها ونموها قد مارست هذه الرمزية من قديم بعيد ، حين تطورت بدلالة اللفظ من مادي محسوس ، الى معنوى مجرد .

والبيان العربى قد عرف هذه الرمزية منذ كان ، في الاستعمال المجازى للصور الادبية ، وفي الكناية يرمز بها القائل الى غير معناها القريب ، ملتمسا من العبارة الموحية ، طريقا الى معنى ثان وراءها ، ابعد واخفى ..

وتختلف الكناية وضوحا وخفاء ، وقربا وبعدا ، فيكون منها ـ في مصطلح البلاغيين ـ التلويح والرمز والايماء ..

وفي تراثنا الادبي رصيد ضخم من الرمزية في الالفاظ والاساليب ، في المعاني الجزئية وفي الصور البيانية ، فيه القصص تجرى على السنة الطير والوحش ، وفيه التفسير الباطني يجعل للفظ معنى باطنا بعيدا وآخر ظاهرا قريبا ، وفيه التفسير الاشارى المتوغل في الرمزية ، وفيه الاناشيد الصوفية تعبر عن مواجد العشاق بالفاظ وعبارات رامزة الى غير دلالتها المعجمية ، ومعناها الشائع المعروف . وفيه .. وفيه ..

والامر من الدقة بحيث لا يمكن ان تضبطه حدود التعريف ، ومن السعة بحيث لا يمكن ان تحصره ضوابط الاحصاء ، وانما مبلغ القول فيه ان اللفظ في الفن القولي ليس الا رمزا ، بما يحمل من شحنة الاثارة ، وما يفتح من آفاق للمعاني وعوالم للمشاعر ، يرتهن بها سحره البياني وسره في التعبير

لكن ما بال هذا الشعر المكتوم ؟

يخيل لي ، ان للاستاذ بشر فارس مذهبا في الرمزية غير ما نعرفه ونألفه : فآية الاقتدار عنده أن يتفنن في ابتداع اساليب غامضة واضافات غير مطروقة ، وبراعة الرمزية في مذهبه ، انما تقوم اصالة على اجهاد قارئه ، بالاسلوب الملغز ، والتلويحات الممعنة في الاغراب.

وليس الامر هكذا فيما الفنا من البيان العربي ، حيث يبلغ الاقتدار الفني في الرمزية ذروته ، عندما يستطيع المتفنن ان يرمز بالمألوف الى غير المألوف ، وبالقريب الى البعيد ، وبالواضح الى الخفي ، وبالمكشوف الى المحجب !

وبراعة المتفنن ، رهن عندنا بامتلاكه لسر الكلمة : يلقانا بها مشحونة بالطاقة الموحية والالهام المثير ، مع بساطتها والفها . ونحن حين نقرأ العمل الفني البارع الاصيل ، يخيل لنا جميعا اننا نفهمناه ، وربما خيل للساذجين منا انه لم يأت بغير المألوف المبذول حتى ليسأل السائل منهم : افلا استطيع ان اقول مثل هذا الكلام ! وانما يتفاوت ادراكنا لما يكمن في الفاظه وصوره من اسرار التعبير وملاحظ البيان ومجالي الالهام ، تبعا لتفاوت اذواقنا وتجاربنا وظروفنا ، ومستوياتنا الفنية والثقافية ، فمنا من يمر بهذا العمل الفني فلا يلتقط منه الا ظاهره القريب ، ولا يدرك الا دلالته السطحية المألوفة ، ومنا من ينفذ متغلغلا الى اعماق دلالاته وخفي اسراره وبعيد مراميه ومحجوب معانيه . بل لماذا لا اقول ان العمل الفني الملهم ، قد يفتح امام قارىء من آفاق المعاني وعوالم المشاعر ، ما يغيب عن صاحبه المتفنن ! ونحن اليوم نقرأ نصوصا من تراثنا الادبي القديم ، فننفعل منها بما لم يخطر لاصحابها على بال ، بحكم ما ارهف اذواقنا من قيم فنية مستحدثة ، وما جد على حياتنا من تطور .

والاستاذ بشر فارس ، قد نأى عامدا في شعره المكتوم ، عن كل قريب ومألوف ، والقى بينه وبين القارىء حجبا من الطلاسم وارصادا من التلويحات ، حتى لقد هممت بأن أمسك عن متابعة القراءة في جبهة الغيب ، لولا ان عز على ـ بعد سنين من التخصص في النصوص ـ الا اكون واحدة من الف قارىء ، طبع لهم الاستاذ بشر فارس الف نسخة من مسرحيته !

واحتجت مع هذا ، الى أن اعيد قراءة المقدمة والقصة ، لالتمس منهما ما يضىء سبيلي في مجاهل المسرحية ، وما يفسر لي تلويحاتها وتراراتها ، واحتجت اكثر ، الى زاد من الصبر عليها والتجلد لها ، قبل أن اندمج في جوها ، واستمتع بما فيها من اريحية

التاريخ: ٢ / ٦ / ١٩٦١

((بعيد وادى الحقيقة . دوران موران ، هل يقربها المتلطف الا اذا تمسور ودار ؟ من هنا ماتى الرموز والخطفات !))

بشر فارس

((المعنى القريب لا نطلبه ، والفكرة السطحية المتذلة لا نرضاها ، لكن الاداء الغامض الملغز ، يعوق الانطلاق وراء الفكرة الملهمة والومضة الذكية والسر المجنح والرؤيا الباهرة . وآية الاقتدار الفنى فى البيان العربى ان ترمز بالمألوف القريب الواضح ، الى البعيد الخفى المحجب))

بنت الشاطىء

نية ولحظ مرق مرهف ،

ومن حق كل كاتب ان يختار اسلوبه، ولكنى اخشى ان يظن الاستاذ بشر ، ان سحر البيان يرتهن بهذا التوغل فى الشعر المكتوم ، او ان يتصور ان كل تعبير مألوف مبذول ، رخيص وتافه ، لا يليق بحرم الفن ...

وانا معه فى ان لا المسرح نظرة مسحورة تهفهفها هبات الكون انساب من سطح الظهر فى غور المخبر ، تخلص من مضيق الخاص الى رحب العام » لكنى اخشى ـ هنا ايضا ـ ان يحول باسرافه فى الشعر المكتوم ، بيننا وبين الانطلاق الحر وراء الفكرة الملهمة والسر المجنح والومضة الذكية والرؤيا الباهرة

والموقف يختلف ، لو ان احدوثة « جبهة الغيب » اديت الينا فى شعرها المكتوم ، قصة يخلو اليها القارىء ، ويعانى على مهل كشف غوامضها ، ويحاول فى صبر واناة ، ان ينفذ من حجب الظاهر الى غور الخبير . لكن الاستاذ بشر ، قدمها الينا مسرحية ، راجيا ان تغزو المسرح العربى فتغذى ارجاءه بالقيم الدائمة ، موقنا « انها من الدعائم الكبرى لنهضتنا فى ميدان الفكر المتوغل والشعر المكتوم ، جنبا الى جنب »

وغاب عنه ، ان جمهور المسرح ، سيشغل عن متابعة حوار «جبهة الغيب» بغوامض شعرها المكتوم ، المثقل باضافات غير مطروقة ، تعوق الانطلاق وراء شوارد الشعور ولوامع الادراك . ومن يدرى ، اى جهد يبذله المتفرج ، ليخلص من الخيوط المعقدة للشبكة التى ينسجها حوله حوار المسرحية فى مستهلها ، ومشهد الفلاحين حول حقل السنابل يتمايلون وهم يرددون فى نوبة واحدة :

انا اسطورة الزمن !

والقوال ينشد :

وغدير رمى بدمى
عند حقل من الفتن
نزهة الارض من سقمى
انا اسطورة الزمن
عند حقل من الفتن
رفه خفة النغم
عز نشوان من محنى
هو يحيا ولى عدمى
انا اسطورة الزمن
تاج وهم من الهمم
نسيقه روض بلا فنن
غرد فى دجى الصمم
انا اسطورة الزمن !

ويقول الاستاذ بشر : « بعيد وادى الحقيقة . دوران موران ، هل يقربها المتلطف الا اذا تمور ودار ؟ من هنا ماتى الرموز والخطفات »

وتقول : المعنى القريب لا نطلبه ، والفكرة السطحية لا ترضاها ، والاداء الفاتر لا نقره ، ونتقبل الواقع المبذول ليس الفن ، لكن البديهة الثاقبة لأديب ملهم يمتلك سر الكلمة ، لا تحتاج الى كل هذا التمور والدوران . والاداء البيانى يستطيع ان يوحى ، ويومى ، ويرمز ، ويمضى بنا الى بعيد الآفاق وعميق الاغوار ، دون ان يشغلنا بالغاز من الشعر المكتوم ، تعطل الايحاء ، وتعوق الانطلاق ، وتقيد التفتح باغلال من حجب موصدة ، وشباك معقدة !

التاريخ: ٩ / ٦ / ١٩٦١

قضايا أدبية

• بقلم الدكتور زكي نجيب محمود
• وتعليق للدكتورة بنت الشاطئ

الترجمة، ومأساة الملهاة!

• السياسة الثقافية الرسمية، لا ترعى غير التراجم المأجورة
• وتضن برعايتها على الجهود الفردية، مهما تكن قيمتها ومستواها!

ثلاث موجات من الترجمة الى العربية شهدها تاريخنا الثقافي قديما وحديثا وفي عصرنا الراهن ، ان اختلفت واحدة منها عن واحدة في بعض الملامح ، فهي تتشابه في كثير من الوجوه ، التي من بينها انها كانت جميعا تحت رعاية الدولة بمقدار كبير او صغير ، واحسب ان رعاية كهذه من قبل الدولة لنقل الثقافة الخارجية ،ظاهرة قد انفردت بها الدولة العربية في تاريخها المتصل دون سائر الدول جميعا ، وهي علامة قاطعة الدلالة على اننا في فترات نهوضنا لا نبنى على القوة المادية وحدها ، ولا على الثورة الاقتصادية وحدها ، بل نضيف الى هذه وتلك اساسا ثقافيا خالصا لوجه العلم والادب والفن ، واننا لنراعى في هذا الاساس الثقافي ان يكون شاملا للتراث الانساني ، غير متحزب ولا متعصب .،

وكانت أولى هذه الموجات الثلاث في العصر العباسي ، وقد جاءت على دفعتين متلاحقتين ، تميزت الاولى منهما — وكانت قبل عصر المأمون — بأن قام بالترجمة أفراد بمشيئتهم الفردية ، وأما الثانية — في عصر المأمون وخلفائه الاقربين — فقد كانت الترجمة فيها بأمر الدولة وتحت رعايتها ، وكان النقل في كلتا الدفعتين من اليونانية ومن السريانية ومن الفارسية ، على أن المنقول عن السريانية والفارسية كان بدوره منقولا الى هاتين اللغتين عن اليونانية والسنسكريتية الهندية) فنستطيع اذن أن نقول ان ثقافة اليونان وثقافة الهند كانتا عندئذ المصدرين الاساسيين اللذين اغترفت العربية منهما ما اغترفته ، ومهما يكن من أمر المصادر الاصلية ، فيهمنا أن نعلم أنه لم تكد تمضي ثمانون عاما بعد قيام الدولة العباسية حتى كان الشطر الاعظم من علوم اليونان وفلسفتهم قد نقل الى العربية ، كما نقلت كتب هندية وفارسية كثيرة متنوعة

على أن الطابع الغالب لما ترجم عندئذ هو أنه علم وفلسفة ، وأما الادب — وهذه هي النقطة الاساسية التي نريد ابرازها — فلم يظفر الا بنصيب ضئيل جدا ، فلا شيء من الادب اليوناني اطلاقا ، وقليل من الادب الفارسي والهندي ، وحسبنا أن يكون بين هذا القليل كتاب **كليلة ودمنة** ، الذي ترجمه **ابن المقفع** عن الفارسية ، وهذه بدورها كانت ترجمة عن السنسكريتية فانظر الى هذه الدرة الادبية بما قد بلغته في نثرها الفني الرفيع ، انظر اليها وقد أضيفت الى الادب العربي الخالد عن طريق الترجمة ، لتعلم كم يمكن أن تضيف ترجمة الروائع الادبية الى تراثنا لو أحسنت نقلا عن أصولها .

وكذلك كان من الادب المنقول عن الهند

طائفة من حكايات **((الف ليلة وليلة))** ، لم تلبث ان ادمجت مع غيرها مما نشأ في بغداد او في القاهرة، دمجا جعل المجموعة كلها اثرا ادبيا واحدا

والثانية من موجات الترجمة الثلاث ، هي حركة النقل في القرن الماضي التي كان قطب رحاها **رفاعة الطهطاوي** ومدرسته ، لكن الكثرة الغالبة مما ترجم واوشك ان اقول ان كل ما ترجم عندئذ قد اتجه به اصحابه الى ما عساه ان يستخدم في التعليم ، فنقل الطب ونقلت العلوم الرياضية والعلوم الحربية والبحرية ونقلت ايضا العلوم الاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا ، اما الادب الخالص فقد ترك تركا واهمل اهمالا على نحو ما كان في الموجة الاولى

ثم جاءت الموجة الثالثة التي نخوض اليوم غمارها ، ولعلها — بفضل الرعاية المستنيرة التي ترعاها بها الدولة — ان تكون اغزر واشمل من سابقتيها فعندنا اليوم وزارة للثقافة ، وعندنا مجلسان اعليان : احدهما للعلوم والاخر للفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، وعندنا عدة ادارات في وزارات مختلفة مهمتها الاساسية رعاية الثقافة ، وهنالك الى جانب هذا كله مجمع اللغة والادارة الثقافية في جامعة الدول العربية، والهيئات الخاصة الكثيرة التي تنهض بقسط موفور في حركة الترجمة ... عندنا اليوم هذه الوزارات والادارات والهيئات كلها لتقوم بحركة واسعة عميقة بعيدة المدى في نقل الثقافة الخارجية الى اللغة العربية، وهي حركة لم تقتصر هذه المرة على العلوم وحدها ، بل اضافت الى العلوم روائع الادب

لكن ، اذا كانت ترجمة العلوم في عهدنا الراهن لم تكد تخطو خطوة واحدة الاعلى ايدي اساتذة الجامعة الذين ارادوا ان يقدموا لطلابهم موادهم العلمية مطبوعة في كتب ، ثم جاءت الدولة بمشروعها الضخم في ترجمة العلوم التي لم تكن قد تناولتها الترجمة بعد ، حتى ليرجى أن تنقل امهات المصادر العلمية كلها في خمس سنوات، فترجمة الادب لم يكن هذا شأنها في جميع حالاتها ، اذ نهض بجزء كبير منها افراد هواة ، مما يتفق وطبيعة الادب ، فمن ذا ينقل الادب الا محبوه ؟ والفرق بعيد غاية البعد بين ترجمة أدبية يؤديها محب لها مشغوف بها ، وبين ترجمة أدبية تجيء عن تكليف فتجيء باردة أو فاترة ، لان صاحبها كان مشغولا بعد كلماتها ليعلم كم يكون اجره المادي بعد الفراغ مما قد كلف به ، ولو ترك بغير تكليف لما فعل شيئا

فماذا ينبغي أن يكون موقف الهيئات الرسمية وغير الرسمية من ترجمة عزبية لرائعة من روائع الادب الانساني ؟ ماذا ينبغي ان يكون موقف الدولة من ترجمة يضطلع بها صاحبها عن حب وعن دراسة، وينفق في سبيلها كل ما في وسعه انفاقه من ماله ؟ اتجزي الدولة من يكلفون بترجمة الادب تكليفا فيحسنون حينا ويسيئون احيانا ، ثم تكف يدها عمن يضع ذوب قلبه وعصارة عقله وزهرة عمره في اثر خالد ينقله الى اللغة العربية فيضيف اليها صفحة خالدة ؟ نعم ، سيمضي الف عام ، والفان ، واكثر ويقول الناس بعدئذ : في اللغة العربية ترجمة للكوميديا الالهية التي انشأها دانتي ، ونقلها الدكتور حسن عثمان نثرا رائقا رصينا خاليا من تهتك الزخرف الفارغ ، فيه سلاسة وقوة وفيه ثبات وبلاغة اداء ، فلئن فاته ما يفوت كل ترجمة ادبية على الاطلاق من [illegible] الفني بكل ما

يلحق به من جوانب الشعر التي تتصل بلغتها الاصلية ويستحيل نقلها الى لغة اخرى ، لقد حقق امانة فى النقل لم تحذف شيئا ولم تضف شيئا ، دون ان يكون ذلك على حساب جمال النثر ودقته

قدم الدكتور حسن عثمان لترجمته بمقدمة بلغت سبعا وسبعين صفحة من القطع الكبير ، وهى فى حد ذاتها دراسة متينة محيطة وافية للكوميديا الالهية ولمؤلفها ، ثم اخذ بعد ذلك يقدم لكل نشيد بمقدمة تحليلية ، ويعقب عليه بتعليقات لا تترك كلمة تستحق التعليق ولا فقرة ، دون أن يوفيها حقها من ذلك ، فجاءت ترجمته العربية منقطعة النظير بين ترجمات اللغات الاخرى ، وما من لغة حية من لغات العالم الا ترجمت الكوميديا عدة ترجمات ، فلها فى الانجليزية أكثر من خمس وثلاثين ترجمة وفى الفرنسية اكثر من اثنتين وعشرين ترجمة ، ومثلها فى الالمانية ، وتلك كلها ترجمات كاملة ، وأما الترجمة العربية التى نشير اليها فترجمة لجزء واحد من ثلاثة اجزاء ، اذ هى ترجمة « للجحيم » وبقى « المطهر » و « الفردوس » ، وتبلغ « الجحيم » ٤٧١٠ أبيات من الشعر ، و «المطهر » ٤٧٥٥ بيتا ، و «الفردوس» ٤٧٥٨ ، ومجموع الاجزاء الثلاثة معا ١٤٢٢٣ بيتا

اما لماذا لم يخرج المترجم « المطهر » و « الفردوس» . فذلك موضع «المأساة» التى أشرت اليها فى عنوان المقال ، فمن ذا يصدق ان هذه الاية الفنية تخرج فى الصورة العربية الفريدة ، فلا نكاد نجد منا من يلتفت اليها بالعرض والنقد الجادين ؟ من ذا يصدق ان هذا الجهد الفنى المضنى يؤديه هذا الشهيد فى عصرنا الذى تعتز من سوالفه برعاية للفنون والاداب يكون مصيره الى كساد لا يشجع الناشر على مواصلة نشر الجزأين الاخرين عندما يفرغ منهما المترجم ؟ لطالما ضحكت فى حياتى الماضية كلما رأيت بائعا للفاكهة لا يجد لها شاريا فيأكلها ! ولكنى لم اكن عندئذ اعلم ان بائع الادب الرفيع سيقف موقفا كهذا ، وهو أن يشترى عددا كبيرا من الناشر ليوزعه بغير مقابل لعل الاعين تنفتح لترى ، كأنما هذا الشهيد لم يكفه ما انفقه من وقت ومن جهد ومن مال حتى خرجت تحفته هذه الى الناس !

لم اكن اعلم من هذا كله شيئا ، حتى التقيت بصديقى المترجم ، وسألته سؤال الملهوف : متى نتوقع «المطهر» و«الفردوس» لتكمل لنا الدرة الفريدة ؟ فقال ما قال ، ثم اضاف قائلا : «سواء اسهلت الوسائل امامى ام لم تسهل ، وسواء اوزعت ترجمتى لجحيم دانتى أم لم توزع ... فسأمضى فى طريقى قدما — بعون الله وتوفيقه — مؤملا أن اكمل دراسة الكوميديا وترجمتها ان شاء الله ، واذا تعذر على نشر سائرها — كما هو متوقع فسأقدمها مخطوطة لكى تحفظ باحدى دور الكتب العامة .. وسأعمل فى هذا بكل ما فى امكانى وفى طاقتى » .



ان « الجحيم » التى تمت ترجمتها وتم اخراجها ، تمثل غرائز الفطرة وما ينشأ عنها من خطيئة وعذاب ، أما « المطهر » فيمثل الفكر الناضج بعد طول تجربة ، والتوبة والامل ! واما « الفردوس » فتمثل الحرية والخلاص والصفاء والنور ، والكوميديا بأجزائها الثلاثة كلها مرآة للحياة . فيها الخطيئة اولا ، والتوبة ثانيا ، والحرية ثالثا ، فاللهم لا تدع صورتها العربية متصورة على الخطيئة وحدها ، وأكملها بتوبة « المطهر» وحرية

« الفردوس »

نريد للادب العربى فى هذا العصر الذهبى أن يظفر بروائع الادب والفن ، ولقد تحقق له منها جانب وبقيت جوانب، ترجمنا شكسبير وهومر وسرفانتيز وجيته، وترجمنا قصصا كثيرة ومسرحيات كثيرة من الادب الغربى ، ولكن هل ترجمنا شيئا من ادب الشرق الاقصى، هل ترجمنا الملحمتين الهنديتين العظيمتين ((ماها بهاراتا)) و ((رامايانا)) اللتين اوحتا لعباقرة الادب الاوروبى ما اوحتا ؟ هل ترجمنا الا يسيرا جدا من الشعر العالمى كله ، شرقيه او غربيه ؟ ان الطريق امامنا طويلة تنتظر الهواة الدارسين المحبين ، ولا ينفع فيها التكليف الرسمى المأجور بما فيه من عقود وشروط ومراجعات ولجان ، ولكن هؤلاء الهواة بشر وهم يكافحون لنا نحن البشر؟ فهل نطلب اقل من ان يتاح للكتاب الجيد المنقول قراء يقرءونه ويقدرونه ، حتى لا يذهب الجهد أدراج الرياح ؟

تعليق

لم اكتب كلمة من هذا التعليق ، قبل ان اتصل بوزارة الثقافة، لاسال عن مدى تشجيعها للجهد السخى الموفق ، الذى انفقه ((الدكتور حسن عثمان)) فى ترجمة الكوميديا الالهية عن الاصل الايطالى ، ترجمة امينة كاملة .

واجابنى مسئول كبير : ان الوزارة لم تشتر اى نسخة من هذه الترجمة ، لان المبلغ المخصص فى ميزانية الوزارة لتشجيع الترجمة ، ضئيل محدود ، تستنفده الترجمات التى تتم بتكليف من الوزارة .

ومع تقديرى لهذا العذر، ارى ان عقدة الموقف ليست فى قصور الميزانية ، بقدر ما هى فى حاجتنا الى تخطيط دقيق واضح، ينسق جهودنا الثقافية المبعثرة ،ويوجهها الوجهة الصحيحة المثمرة .

فلدينا ــ فى الترجمة مثلا ــ هيئات شتى ، رسمية او شبه رسمية ، كوزارة الثقافة ، والادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وادارة الثقافة بوزارة التربية ولجنة الترجمة بالمجلس الاعلى للفنون والاداب . . . تمارس كل هيئة منها نشاطها فى الترجمة بمعزل عن الهيئات الاخرى ، دون تعاون أو تنسيق .

ولسنا نعرف ضابطا لاختيار الكتب التى تترجمها هذه الهيئات ، او سياسة واضحة ــ لنا على الاقل ــ فى الاعتبار الذى يوجه هذا الاختيار . فاحداها تترجم لنا ما سبقت ترجمته من اعمال شكسبير ، واخرى تقدم لنا تراجم لمسرحيات غربية ، ذائعة ومعروفة ، وثالثة تقصر نشاطها على الترجمة من الانجليزية والفرنسية ، وحظنا من العلم بآدابهما غير قليل ،ورابعة تنافس الهيئات غير الرسمية ، كدور النشر والمؤسسات الثقافية الحرة ، فى نشر القصص والروايات المترجمة ، **وكان الظن ان تتولى الهيئات الرسمية ، ترجمة الاعمال الادبية الكبرى التى لا تقبل عليها دور النشر ، وان تغذى نهضتنا بشوامخ الاداب العالمية ، فى تراجم دقيقة امينة نطمئن اليها ، وان تسد الثغرة الخطيرة فى المجال الادبى ، بترجمة آداب الشرق الاسيوى الافريقى ، التى لا نعرف منها الا اقل من القليل ...**

ثم كانت المأساة، فى هذا الموقف الشاذ من الجهود الفردية التى يقوم بها هواة غير محترفين، فميزانية الثقافة التى عبأت لجنة لترجمة « سيرانو دى برجراك » مثلا، وكافأت مترجمها ومراجعها ومقدمها، لم تجد ما يسمح لها بشراء نسخة واحدة من ترجمة « الدكتور حسن عثمان » لجحيم دانتى، واكتفت دار الكتب بالنسخ الخمس ، التى تفرض على المؤلف ــ وكل مؤلف ــ ان يقدمها اليها ، هدية جبرية ، بغير ثمن !

واعرف أن وزارة الثقافة فى الاقليم السورى ترجمت لنا قصتى «البيت الكبير، والحريق » للاديب الجزائرى محمد ديب، كما اعرف ان وزارة التربية المركزية ، ترجمت لنا مختارات من شعر طاغور ، بمناسبة الاحتفال بذكراه، لكن هذا او **ذاك ،لا يغنى عن تخطيط دقيق منظم ، نطمئن به الى ان النشاط الثقافى للدولة، يسير على نهج مرسوم ، فى خطوات متناسقة متكاملة ، تساير طموحنا الثورى الى حياة واعية مستنيرة !**

بنت الشاطىء

التاريخ: ١٦ / ٦ / ١٩٦١

قضايا نقدية

الذاتية الجماعية في شعر الأخطل الصغير

تحية للشاعر الذي بلغ أوج ذاتيته الفنية

حين صار وجدانه وجدان الجماعة وضميره ضمير الأمة

لا تناقض — كما قد يظن — بين ذاتية الفن بماتعنى من انفعال الشاعر بوجدانه الخاص ، وبين الجماعية بما تعنى من وجدان عام ..

ولكن قضية ذاتية الشاعر ، بين الفردية والاجتماعية ، من القضايا الادبية التى شابها عندنا لبس كبير . فقد اشتبه الامر فيها على كثير منا ، فظنوا ان ذاتية الشاعر ينافيها ان ينطق بلسان الجماعة ، وان فرديته يعطلها اشتغاله بقضايا مجتمعه . وحجتهم فى هذا ، ان الفن ذاتى خالص ، فاذا لم يصدر الشاعر عن وجدانه الخاص ومشاعره الفردية ، أضاع ذاتيته التى لا بد منها لكل فن حى أصيل ..

وفاتهم ان الشاعر اذا عبر عن وجدان الأمة ، فان ذاتيته هنا ترحب وتتسع بحيث تكون هى ذاتية الجماعة ، فى فرد منها مرهف الحس صافى الوجدان .

بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ

وقد عانينا في الدراسة الادبية ما عانيناه لنصحح فهم الذين اعتبروا شاعر القبيلة مهدر الذاتية، وحسبوه مجرد بوق للجماعة. والحق ان ذاتية الشاعر تكتمل بقدر ما تصير ممثلة لذاتية الجماعة في أنقى حسها واصفى وجدانها . وتلك منزلة لا يرقى اليها الا الصفوة المصطفون للقيادة الوجدانية في كل مجتمع وفي كل عصر .

والامر في غير الدراسة الادبية أيسر وأيسر ، ذلك لاننا حين نعالج القضية علميا ، يتاح لنا من الاستقراء الدقيق والتذوق المتأني والنقد المنهجي، ما لا يتوفر لنا بعضه حين نعرض القضية في مقال محدود المجال ، يتسع لجمهرة من القراء تفاوتت أذواقهم وثقافاتهم ومن اجل هذا ظلت القضية تثار مرة بعد مرة كلما جدت مناسبة، في سرعة خاطفة لا تتيح الوصول بها الى موقف حاسم يزيل ذلك اللبس الذي شابها ، ويصحح الخطأ في فهم صلة الفن بالحياة ..

ومناسبة اليوم ، هي قراءتي لشعر « الاخطل الصغير » في اسبوع الاحتفال به ، اطال الله عمره ..

ومن قبل عرفت « الاخطل الصغير » « شاعر الهوى والشباب » الذي رجعت آفاق هذا الشرق العربي ، اصداء أغانيه الشجية ، مع « أسمهان وفيروز وعبد الوهاب » ووجد فيها الملايين ما خفق قلوبهم المترعة بسحر الشرق ، وتندى الوسوم الناعسة بعطره وشذاه . .

واليوم ازداد معرفة به في جانب آخر، لم يتح لي قبلا مضي ان أعيه أتم الوعي! ذلك هو شاعر العرب الذي لم يغن مواجدهم واشجانهم واشواقهم فحسب، وانما انفعل كذلك بقضاياهم الكبرى ، وخاض معاركهم على اختلاف ميادينها ، واندمجت ذاتيته في ذاتية قومه ، فاذا وجدانه وجدان الجماعة ، وشعره ضمير الامة ، واذا لنا من شعره شاهد جديد ، في قضية الشاعر والمجتمع .

⁂

وقد عرف الشاعر طريقه منذ فجر شبابه ، وميز رسالته منذ وعي وجوده ، ولست أدري ان كانت مأساة الحرب العالمية الاولى هي التي لفتته في عنف الى رسالة الشاعر في المجتمع ، فنظم فيها مطولته الرائعة «١٩١٤» التي تملأ ست عشرة صفحة من ديوانه ، ولكني ادري انه بدأ من ذلك العام على التحديد ، ينفعل بالمأساة الكبرى ، فكانت قصيدته «الفقراء» — وقد نظمها عام ١٩١٤ — صرخة في وجه النعمة الباغية والاثرة العمياء ، ثم جاءت بعدها مطولته المثيرة « رب ... قل للجوع » ثورة على الظلم الاجتماعي، واحتجاجا على الاوضاع الظالمة اللئيمة .

وقد لاذ فيها من ظلم الانسان الى عدالة الخالق ، فتضرع اليه — سبحانه — ان يخسف الارض بالظالمين ، ثم يبدلهم خلقا جديدا :

واخلق الانسان خلقا راقيا
والق البغض به والكبرياء
واجعل الحب الها ثانيا
واسجن المال ، ولا تبق الرياء
ولتكن كل امتياز لانفسنا
يخرج الناس على حد سواء

⁂

رب ، هل من نصفة في ولدين
خرجا من مصدرين افترقا
فاذا الموسر يكسى حلتين
بينما المعسر يكسى الخرقا

⁂

من ترى يشرح لي ذنب الفقير
أو ترى يظهر لي فضل الغني
يرثان البؤس والعيش النضير
ويقيمان معا في الكفن !

وفي غمرة الليل الطويل الذي جثم بمظالمه المتراكمة على وطننا العربي ، مضى الشاعر يلتمس طريقه بين ظلمات الظلام ، ويتسلل الى أعماق الانفس الراقدة ، علها تشعر بحرارة الحياة، ثم أبى من سهراء يوقظ الراقدين بنداء البعث، ويمزق سكون الليل بالشعر الرهيب !

يا امة غدت الذئاب تسوسها
غرقت سفينتها فأين رئيسها
غرقت ، فليس هناك غير حطامها
يبكي مؤبنها ويضحك سوسها
تتصرع الشهوات في حرماتها
وتعيث في عظماتها ، وتدوسها
تعسا لها من أمة ... ازعيمها
جلادها ، وامينها جاسوسها
رشت مآذنها ، فلم تغضب لها
غضب الكرام ، وباعها ناقوسها

التاريخ: ١٦ / ٦ / ١٩٦١

الا شـــبابا كالربـــيع نهزهم
نـــمانها ، ويصــدهم كابوسها !

وعلى طول الطريق الى النصر ، كانت دماء الشهداء والفدائيين ، من ضحايا البغي ومرمى الطغيان ، تحدد معالم الاسراء وترسم سبيل الخلاص ، وتهز وجدان الشاعر فيدبج بالحلاد « الكبير .. المجرم » فى حرارة وبسالة :

لا تخاف الاعـذار ، انت المجـرم
ان تسكت الزلفى ، فقد نطق الدم
انشق بالقتلى رحاب قبـورها
والعدل مشلول السواعد ابكم ؟
انسان ، يمضى الدهر لم ينهادنا .
ندع التحية والنسر المجرم !

واذا قلت ان الشاعر هنا هو وجدان ثورة المصفى وحسهم الدقيق وضميرهم الحى فلست اعنى بقومه أهله الاقربين

نحسب ، وانما اعنى العرب جميعا على اختلاف الاقطار وتنائى الديار ..

العرب اهله : بهم يلوذ ولهم يغنى ، وبلسانهم ينطق وبأمانيهم يترنم ، وبمواجدهم ومواجعهم يشدو

والشرق العربى وطنه الكبير ، يتنقل فى رحابه وان لم يبرح مكانه .. فلتقاه على سفوح لبنان وقاسيون والمكبر واوراس ، وعلى ضفاف بردى والعاصى والنيل والاردن ودجلة والفرات ، وفى صحراء الجزيرة وبادية الشام وصحراء الجزائر ، وقيثارته معه، يرجع عليها ، بكل اعصابه وضميره وقلبه ، نشيد امته العربية ووطنه المجيد :

سائل العلياء عنا والزمانا
هل خفرنا ذمة مذ عرفانا

المروءات التى عاشت بنـا
لم تزل تجرى سعيرا فى دمانا

ضحك المجد لنـا لما رآنا
بدم الابطال مصبوغا لوانا
صبت الصحراء تشكو عريها
فكسوناها زئيرا ودخانا
مذ سقيناها العلا من دمنا
ايقنت ان « معدا » قد نمانا

انشروا الهول ، وصبوا ناركم
كيفما شئتم فلن تلقوا جبانا
غذت الاحداث منا انفسا
لم يزدها العنف الا عنفوانا
شرف للموت ان نطعمه
انفسا جبارة تأبى الهوانا
وردة من دمنا فى يده
لو اتى النار بها ، حالت جنانا

يا جهادا صفق المجد له
لبس الغار عليه الارجوانا
قم الى الابطال نلمس جرحهم
لمسة تسبح بالطيب يدانا
ان جرحا سال من جبهتهم
لثمته بخشوع شفتانا
وانينا باحت النجوى به
عربيا ... رشفته مقلتانا
نحن يا اخت على العهد الذى
قد رضعناه من المهد كلانا ...

تحية للشاعر العربى الذى غنى لنا وبنا، وشكا مواجعنا ومواجدنا ، وترجم همومنا واشواقنا ، واستشرف لامانينا وطامحنا
تحية للشاعر الذى صان حرمة الكلمة ورعى أمانة الفن وشرف النضال !.

التاريخ: ١٦ / ٦ / ١٩٦١

رسالة أدبية

الشعر المكتوم

للدكتور بشر فارس

عرضت صفحة الادب منذ اسبوعين ، « قضية الشعر المكتوم فى جبهة الغيب » وننشر اليوم نص الرسالة التى تلقتها كاتبة المقال ، من الدكتور بشر فارس :

امتثلو اليك من ارهاقك فى قراءة « جبهة الغيب » ، وقد راقه اكرمتنى لحظة همت بنبذ الكتاب، ثم عدلت مصرة على الانسياب اللطيف فى « مجاهل » المسرحية ، تتلمسين تلويحاتها وشراراتها حتى تهيأ لك بعد « التجلد » ان « تندمجى فى جوها وتستمتعى بما فيها من اريحية فنية ولحظ صوفى مرهف » كما جاء على حرف قلمك السخى ، فكأنى بك استرسلت فتنابت منى على جناح لهاب هو ملحظ الغيب عن كل « قريب ومألوف » ، وهما لا ينفيان مادة الادب الذى يحفز الضمائر (!!) ويوقد لها البصائر بحيث يجتذب الدر الفريد من مغاوص الاسرار فى متاهات البشرية .

وما اظننى اخطىء يا سيدتى اذا انا ادركت من كلامك ان هذا الاسلوب الفاجىء من الشعر المكتوم كان موضع الرضا عندك ، لو ان احدوثة « جبهة الغيب » جرت مجرى « قصة يخلو اليها القارىء ويعانى على مهل كشف غوامضها ويحاول فى صبر واناة ان ينفذ من حجب الظاهر الى غور الخبر ، لكنها مسرحية .. وجمهور المسرح سينشغل عن متابعة الحوار بغوامض شعرها المكتوم المثقل باضافات غير مطروقة تعوق الانطلاق » .

أفلا تسمحين بأن تفوضى الفصل فى هذا الخلاف الى أهل المسرح ، أولئك الذين يعانون اخراج الشعر ورفع القناع لا الذين يهرجون ويدبدبون على بساط المسرح أو يزعمون فى جدوله لعلهم ان يخلبوا النظارة من أيسر منحنى وأتفه أداة ! ..

هنا تحسن الاشارة : ان اوربا وعشرين سنة كرت على مسرحة « مفرق الأرض » وقد كتب آخرتها ايضا شعرا مكتوما بل جاءت اوجز قولا من « جبهة الغيب » وازيغ مضمونا . وامامك تذكرين السهام التى تكسرت على خدود الا بيات الواحدة الهفافة ، ورموها فى بلدنا بالغموض بل بالاغلاق وتبرأ منها ادب المسرح ، ولكن رب الكلمة أراد لها ان تهاجر الى الغرب فى لغات الافرنج ، فجرت — من ذات النفس — على رواد مسارحهم غير مرة بالفرنسية والالمانية ، وما زال احد من نقاد [illegible]

الشاطر من الانطلاق » وتقيد النفس بأغلال من شباك » . والسر فى هذا يا سيدتى ان للمسرحية كما للقصة مجالا خاصا للتلطف والتفهم : فى القصة يعول الكاتب الكاتم على المعية القارىء المتأول متى تمهل مثلك فى تفطن ، اما فى المسرح فالامر الى ترهف من يجاور التمثيلية ، فاذا ما اهتدى حدسه الى تلك الاضافات غير المطروقة (وعليها مبنى « جبهة الغيب ») لمح المعنى ولقف العجيب ثم جاء الى النظارة يقيد لهم السانح باشارة بليغة ويفصل الغائر بنبرة فصيحة ويعقد بين المتباعدات فى لواعج تهب من كنز الخاطر . غير انه يحجم عن معالجة المتشابهات — تلك المرائف الملتبسة تشتبك حولها وجوه التأويل — فيدع عباراتها تغدو وتروح فى المسامع وهى على شفاه الاشخاص رؤى وقد مسها جنى الشعر ، والمسرح للشعر روض تنوع زهره فى معقل الفكر

المتشابهات مأتاها شحنة الرموز ، والرمز خلاصة استمار وولدت فى الوجدان لا فى الذهن ، تحاول استحضار العوابر واستشفاف الدوائم فى طوع لاحساس الوقت ، وهكذا تصبح الروائع امثالا متحركة متقلبة ، خطفات تألف نبوءها الوان التفكر والتصوير فى آن ، بلا

تجديد منطقى بل فى تشتت روحانى .

ومن هذا التشتت تنبثق المعانى المختلفة للمطلب الواحد . ما هذه النفحة التى لا أرجاء لها ، لان القلق استثناء مستمر ولان الزمن قبالة بالبشر ، ونحن الى تحول مطرد فعال . فالشاعر من عرف كيف يستل من عالم الحاضر غوامض الآتى ، من الذبذبات التى تعمر الكون تلك الرنات التى تهيء المستقبل . كلمته رهينة بذلك التنبؤ ، فلا تثريب على قوله ان يدق على غيره من هؤلاء القارئين فى أوقى الاشياء المبذولة لهم حالا وقد عجزوا من التنزل الى اغوار الروح . كآبة الشاعر ولبدة الصدور ، وقديما قالت المتصوفة عندنا : « صدور الاحرار قبور الاسرار » .

وعلى ترنح هذه المتشابهات يقوم الادب الراقى فى أوربا لهذا العهد . ولابأس أن أروى قصة ذلك الفتى الذى قرأ « مهرج العالم الغربى » للارلندى « ج . م . سنج » ، رأى فيها معنى بعيدا تمجل فى التثبت مما رأى فسأل المؤلف فى ذلك ، فافتتح « سنج » جوابه بهذه الكلمات : « أموافق أنا على تأويلك الاخير للمسرحية أم مخالف له ؟ ذلك سرى . انى اريد أن أنحو نحو حيرته ، فلا اقول لاحد ما مدلول الكتاب »

هذه المتشابهات وما يلفها من ابهام مقبولة فى ادبنا بل مقدورة فيه اللطف تقدر . هذا القرآن : « هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات ... » فالفتك باسيدتى الا واقفة على قول الامام الفخر الرازى بسبيل هذه الاية الكريمة فى تفسيره الكبير : « واعلم أن العلماء ذكروا من فوائد المتشابهات وجوها ، الوجه الاول : انه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق اصعب واشق ، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب . قال الله تعالى : أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » . هذا وللفن كذلك جنة ، ومتعتها ان لم تكن قدسانية فهى نورانية .. هل نفرت الى يا سيدتى ، بعد هذا ، انى فى كتابة ما يرهق ؟

ثم ان فى رأى يحيى (ابن حمزة) بن على العلوى — صاحب « الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » ان : « ورود الابهام من غير تفسير فى القرآن كثير » ، وهل نسمع اليه يقول : « اعلم ان المعنى المقصود اذا ورد فى الكلام مبهما فانه يفيده بلاغة ويكسبه اعجابا وفخامة ، وذلك لانه اذا قرع السمع على جهة الابهام فان السامع له يذهب فى ابهامه كل مذهب » . ثم يقول : « الابهام يوقع السامع فى حيرة وتفكر واستعظام »

وكلام ائمة البلاغة عندنا فى هذا كثير ، أوردت بعضه سنة ١٩٤٨ فى رسالتى « الظلال فى الادب » ، وقد توجتها بكلمة ابى اسحاق الصابى : « وافخر الشعر ما غمض فلم يعطك غرضه الا بعد مماطلة منه »

ولكن جماعة من اصحابنا — حفظة

البلاغة العربية فى ظنهم ــ يأبون الا ان يكون الكلام هين المأخذ على الفور ، مستمسكين بمذهب الكتائب: «التأليف بيان ووضوح » خضوعا لرأى نقله ابن رشيق فى « العمدة » عن بعض المتقدمين ونصه : «شر الشعر ماسئل عن معناه» طوبى لاهل البلاهة والبلادة ! وقد قال فيهم ابوتمام قوله المشهور .

على أن أدبى ــ شعرا ونثرا ــ ذاق من الجماعة مرارة الصلوب على آية عشقه ، وما آية عشقه سوى هذه اللغة الكريمة ، وهى التى ترافض اصالة سنتها ان تغلب السهل على الصعب والتقليد على التوليد .

والبوم جئت يا سيدتى تنصرين من يقول ان « شوارد الشعر ولوامع الادراك يتلمسها القارىء اذا قدر الشاعر ان يدنيها بتلوين المبهم وتشكيل السانح » اذن لسى بينك وبينى خلاف فى الجوهر ، وهو اس القول

اما ان يكون الرمز ـ كما تدعين ــ بالمألوف القريب الواضح الى البعيد الخفى المحجب ، فهذا طريق . وهناك طريق اخر مجراه استنباط ما وراء الحس من المحسوس وتدوين اللوامع والبوادره ، ذلك مجال الوجدان المشرق والنشاط الكامن والجهاد المتأهب للتحرك وعلى هذا تتردد اقوال البشر وانفعالهم وتصور المرئيات فى ضمة رموز : بروق الترب فى السحاب اللامع يؤانسها عرضا شيطان تائه فى سماء الشعر

ولست أنت يا سيدتى ممن يغلق الباب دون التجديد فى القول من جهة الحس الصادق . ومن يعلم مثل علمك ان الاداء الى اداء فى تحول ، بل يناديها حاجة الى ذلك فانه مهدد ، يرميه بعض الظالمين من الغافلين عن اضطلاعه بالجمود تارة وبالتقصير اخرى . وليس تشويه قواعد اللغة والاستهانة بمواقع المفردات مع اقحام السوقيات فى التعبير بمصلح شيئا . بل كل هذا يلقى باللغة الى صحراء السحوب . وعندى انه لاسبيل الى صيانتها الا بنبذ ما يبس فى متنها وفى أدبها من مطروق ونافر ، الى جنب احياء ما رف وحفل ، مجاراة لمستحدثات الحياة حسا ومعنى ، رجاء أن تتجدد اسرارها على اقلام غضة عصرا بعد عصر فى أساليب تضم ولابد طاقة حارنة من شوارد الشعور ولوامع الادراك »

كلمة :

يحتكم الدكتور بشر فارس الى القرآن الكريم فى متشابهاته ، والامر الى ما قال تعالى :

« هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب ، واخر متشابهات ، فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله »

والابهام الادبى على اى حال ، ليس كما يريد الكاتب ان يفسره ، ونرى عندنا بعيد ، بين الاداء البين ، يرمى الى خفى الاسرار ومحجب المقاصد ، وبين ما اشار اليه الدكتور بشر من «سوقية وابتذال» ومن فتور وسطحية

وعبارة الكاتب الايرلندى « سنج » حجة لنا لا علينا : لقد اعطى الكاتب مسرحيته مباولة القارىء ، يفهم منها مايطيق ، فالممكن الاداء هو الذى استغلق على القارىء ، والا فما هى اى مدلول . وانما ابهم عليه الرمز واستغلق الرمز ، لم يدرك سر الكاتب ، وان تصور انه ادركه !

بنت الشاطىء

التاريخ: ٢٣ / ٦ / ١٩٦١

قضايا أدبية

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

لغة الأدب الشعبي بين العامية والفصحى



طه حسين



عبد الرحمن الخميسي



محمد عبد الوهاب



محمود تيمور

التاريخ: ٢٣ / ٦ / ١٩٦١

• الدولة ترعى الأدب الشعبي وتعترف بلغته العامية
• وبعض الهيئات الرسمية تعتبر العامية مرضاً ورجساً
• ولولا هذا التناقض ، لما تعقدت الأزمة ..

لبثت زمانا ، ارى ان الالحاح فى الحديث عن العامية والفصحى ، قد يسىء الى العربية من حيث يراد به النفع ، لما فى هذا الالحاح من تضخيم للعقدة التى نشكوها من ثنائية اللغة ، وتضخيم لمشكلة تعدد اللهجات العامة فى الوطن العربى الكبير .

وكنت ولا ازال اومن ، بان الزمن ، سيتكفل بحل هذه المشكلة من حيث ندرى ولا ندرى ، ولو لم يكن لنا من الزمن الا ان يصل بمعرفة الامة الى غايتها المرجوة، والا انتماحي الحدود الزائفة والاسوار المصطنعة بين الاقطار العربية ، لكان لنا من ذلك حل حاسم للمشكلة حاجة بنا الى ان نحـــاول حسمها قبل الاوان ، بحلول متعسفة تاباها طبيعة اللغة والحياة ..

بل لم اكن فى الحقيقة اريد ان اعترف بوجود صراع حقيقى بين العربية الام ولهجاتها المتعددة ، فما كان تعدد اللهجات سوى ظاهرة طبيعية فى حساب الواقع والحياة ، ولعله . . فى العربية ، اقرب الى ان يكون شاهدا على اتســـاع مجالها وقوة مرونتها وحيويتهـــا ، بحيث وسعها ان تغدو لســـان العرب من قلب الشرق الاســـيوى الى اقصى المغـــرب الافريقى .

لكن تجاهل المشكلة لم يعد مستطاعا امام ذلك الصراع العنيف الذى احتـــدم حول العامية والفصحى فى هذا الموسم، ولست اقصد بحديثى اليوم ان افصل فى الخلاف الناشب، وإنما هى محـــاولة اريد بها ان اعرض القضية من زاوية خاصة ، تكشف عن تناقض عجيب فى موقف الهيئات الثقافية الرســـمية من العامية والفصحى ، وتؤكد ما اثرت اليه بالامس — فى حديثى عن الترجمة — من حاجتنـــا الماسة الى تخطيط ثقـــافى تسير به جهـــودنا فى خطوات متناسقـــة متـــكاملة ..

ولولا هذا التناقض ؛ لما تعقدت الازمة ، وجاوزت فى تعقدها المدى الذى كان يجب ان تقف عنده ، فليس منا من يمارى فى ان ادب الفصحى هو مناط الوحدة اللغوية للعـــرب ، بمـــا تعنى فى الادب من وحدة مزاج مشترك ووجدان عام . وكان يمكن الا نمارى كذلك فى ان الادب الشعبى ضرورة وجدانية لاغنى عنها ؛ لان التحدث الى عامة الشعب بلهجتها



التاريخ: ٢٣ / ٦ / ١٩٦١

واسلوبها ، هو مناط التأثير فيها والانفعال بهـــا .

ولكن الامر اضطرب فى غمرة الخلاف وفوضى التناقض ، فاختلطت الاصوات منذرة بالويل والثبور وعظائم الامور ، وتبودلت التهم فقيل ان الترخص فى استعمال العامية فى الادب ، خيانة للوحدة العربية وكفر بلغة القـــرآن الكريم ، وقيل كذلك ان الاصرار على استعمال الفصحى وحدها فى الادب ، عزلة وجدانية عن الشعب ، وتعطيل للتأثير فيه والتجاوب معه والاتصال به !

ومضى الحائرون يلتمسون عند كبار الادباء مخــرجا ، فاذا المـــوقف يزداد اضطرابا وتناقضا : الدكتور طه حسين ، الذى علمناه بالامس من انصار أدب الفصـــــحى ، قد أذن فى أن يصـــــاغ حوار « الايام » فى التليفزيون ، بالعامية الصميمة !

والاستاذ محمود تيمور ، الذى عرفناه قديما يؤثر العامية فى قصصه الشعبى ، ثم رأيناه فى الحديث عن اعماله الادبية يدير الحوار على السنة العوام بلغـــة مجمعية ، صرح قبل سفره الى الخارج فى هذا الصيف ، « انه سيكتب مسرحية **جديدة مرتين : مرة للناس بالعامية ، ومرة اخرى بالفصـــحى** »

ونسأل عن موقف الهيئات الرسمية ، فيلقانا من تناقضها العجب والعجاب ..

فالدولة ـــ من ناحية ـــ قد **اعترفت بالادب الشعبى فى هذه المرحلة الثورية من تاريخنا** ، وبلغ من عنايتها به ، ان استحدثت كرسيا للادب الشعبى فى جامعة القاهرة ، اعترافا منهـــا بهـــذا الادب وتقديرا لخطـــره .

وبين لجان المجلس الاعلى للفنـــون والاداب لجنة خاصة للفنون الشعبيـــة ، ترعاها وتشجعها .

وفى وزارة الثقافة ، ادارة خاصـــة بالفنون الشعبية ، ومنها الادب . وقد رصدت الوزارة مبالغ ضخمة فى ميزانيتها لتشجيع المسرح الشعبى وحماية التراث الفنى للشعب . واعلنت عن مشـــروع ضخم لاخراج « اوبريت شعبية » اسمها « **مهر العروسة** » عهدت الوزارة الى الاستاذ عبد الرحمن الخميسى فى تاليفها ، والى الاستاذ محمد عبـــد الوهاب فى تلحينها . وهى مكتوبة كلها بالعاميـــة المصرية ، كما تشهد بذلك النصول التى نشرت منها فى الصحف منذ ايام

ولكنا ـــ من ناحية اخرى ـــ نـــرى لجنة النثر بمجلس الفنون والاداب ، تحرم جائزة الدولة التشجيعية للقصة على مجموعات من القصص الرائعـــة ، لعامية فى حوارها . .

بل سمعنا كذلك ان لجنة الفنـــون الشعبية فى المجلس ، رفضت ملحمـــة شعبية صاغها الشاعر الشعبى « **حامد الاطعس** » بالزجل العامى ! ..

وما يدرينا ، لعل اللجنة الموقـــرة ترى ـــ صونا لهيبتها ـــ أن تهذب تراثنا



الشعبى من المواويل والاغانى والازجال والامثال ، فتعيد كتابته بالفصحى على نحو ما يفعل اديبنا المجمعى الاســـتاذ

التاريخ: ٢٣ / ٦ / ١٩٦١

محمود تيمور !

فهل من سبيل الى علاج هذا التناقض الذى يبدد القوى ويبعثر الجهود وتتعثر فيه خطواتنا بين شد وجذب ؟

احدى اثنتين !

ان كانت العاميــة مرضا ورجســا ، فان اى ترخص فى استعمالها جريمــة فى حق الوطن ، واى اعتراف بادبهــا الشعبى او عناية بتراثنا منه ، خيانة للامة وثغرة فى بناء النهضة .

امــا اذا كانت الدولة قــد اعتــرفت بالعامية فى ادبنا الشعبى الذى تشجعه وترعاه وتستنقذ تراثه من الضياع ، وهى تقدر ان هذه العامية اداة التأثير الوجدانى فى الشعب ، والاتصال بــه والنفوذ اليه ، وطريق الفهم لـمزاجه وعواطفه وتاريخه ، فقد وجب انتوضح الهيئات الثقافية المسئولة موقفهــا من الادب الشعبى ، حتى لايظن ظان ان عامية الحوار وصمة عار فى القصة ، وان الملحمة الشعبية اذا صيغت زجلا، لم تعــد اهلا لرعاية ((لجنــة الفنــون الشعبية ، فى المجلس الاعلى لـرعاية الفنون والاداب)) !

والى ان ينجــلى الموقف ســتظل حياتنا مجهدة بهذا الصراع الذى كــان يعفينا منه ، تخطيط ينظم جهودنا الثقافية ويسير بها فى خطوات متناسقة متكاملة، تساير وعينا الثورى وطموحنا البعيد.

التاريخ: ٣٠ / ٦ /١٩٦١



ليلة واحدة مع كوليت

ماذا صنعت كوليت ببطلة قصتها فى ليلة واحدة ؟ ساقتها إلى التيه ثم تخلت عنها وولت هاربة ! فهل أرادت أن تعالج بقصتها فكرة الزمن ؟ أوهى قصة رامزة إلى وهن الرباط المقدس ؟

عندما تابلت«كوليت سهيلخورى»بدمشق فى شهر ابريل الماضى ، لم تكن قصتها الثانية قد ظهرت بعد ..

وحاولت ان اغريها بالحديث عنها ،لكنها آثرت ان انتظر حتى اقرأها ، كيلاتفقد سحر المفاجأة وطرافة الجديد ..

قلت احاورها : ولكن القصة لن تكون جديدة على ، اذا كانت عن «ايام معدودة» كما اقترحت عليك منذ عام ..

فتبسمت قائلة :

ــ ربما كانت شيئا آخر.. شيئا اعرف اننا سنختلف فيه ، ولكنك ستفهمين وتعذرين ، فما استطيع ان اكون الا كما انا ، وما اكتب الا الذى اشعر به : بلاتكلف ولا نفاق او مداراة !

قضايا نقدية

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

التاريخ: ٣٠ / ٦ / ١٩٦١

وترات قصتها «ليلة واحدة» فى ليلــة واحدة !

وعرفت هذا الشىء الذى ادركت كوليت اننا سنختلف فيه !

لكنى كذلك فهمت وعذرت !

فهمت قصة «رشا» التى عاشت مــع زوجها فى دمشق عشر سنين ، مثلثة القلب والحس ، ثم بدا لها أن **الامومة** قد تنجيها من الملل والهمود ، فالحت على زوجها أن يصحبها معه فى رحلة له **تجارية** الى فرنسا ، كى تعرض نفسها علــى طبيب باريسى مشهور ، يعالجها من أوجاع خفية ادعت انها فريسة لها ، لتحتال على **زوجها الزاهد فى الابوة !**

وفى مارسيليا تخلف الزوج لينجز **عملا** ، وتركها تمضى وحدها الى باريس ، على ان يتولى صديق له فيها ، حجز غرفة فى الفندق ، وموعد مع الطبيب .

ولم يكن الامر يعنى عند الزوج ســوى **فراق ليلة واحدة**

لم يخطر بباله ، ان الدنيا قد تنقلب رأسا على عقب **فى ليلة واحدة !**

فى القطار الى باريس ، التقت «رشا» فجأة برجل فرنسى أسمر ، شرقى الملامح بدا كأنه أمضى عمره كله يبحث عنها !

أبوه عربى ، نزح من دمشق وتزوج **احدى بنات فرنســا ، واستقر بهــا** حتى مات ، تاركا لولده **دمه الشرقى ، وحنينه الى الوطن الاول البعيد**

وطالما تاق الابن ان يســافر الى دمشق ، لكن شواغل الحياة **لفتــه فى دوامتها** ، وان ظل نداء الشرق يتردد فى اعماقه ، قويا ساحر الصدى ..

وحين رأى « رشا » احس فجأة انه وجد نفسه ، فى عالمه المسحور !.

وكذلك احست « رشا » انها وجدت فيه رجلها الذى اضاعته فى واقعهــا الرتيب الجاف الهامد

واكتشفت بغتة ، ان فى اعماقها ، تحت ركام البلادة والجمــود ، نفســا تتفور حيرة ، وتتوهج شوقا ، وتتقـد انفعالا ..

وعاشا ليلة واحدة !.

ثم افترقا على غير موعد :

هو .. الى دوامة الحياة يدور فيها كما ظل يفعل منذ كان ، وكما قضى عليه أن يظل يفعل ما عاش ...

وهى ... الى موعدها مع الطبيب ولكنها ترتفت فجأة :

كيف تمضى بعد كل الذى كان ؟.

والى اين تمضى ، وقد فارقها الغريب الى غير رجعة ، وخانت الزوج ؟.

وجلست فى غرفتها بالفندق ، والساعة السادسة صباحا ، فكتبت رســالة الى زوجها ، ملأت نحو مائتى صفحة.. وفيها روت قصة حياتها ومأساة تجربتها ثم استسلمت لشرود أيقظهــا منه رنين

الهاتف ، يردها الى دنيا الواقع ..

واستردت نفسها بصعوبة من شرودها فقامت الى النافذة تلتمس جرعــة من هواء .

وطالعها صباح باريس كئيبا معتما ، وخيوط شمسه باهتة مرتعشة تلثما على الرصيف وتتمرغ فى الوحل !

وتلفتت حولها ، فانسكرت غرفتهــا ووحدتها ، واجتاحها حنين الى وطنهــا وبيتها ..

ومضت الى موعدها مــع الطبيب ، مخدرة بحلم ليلة واحدة لن تعود ...

قال الطبيب بعد أن فحصها :

« انت طبيعية جدا ، تستطيعين ان تحملى فى اية لحــظة ، ونصيحتى ان يعرض زوجك نفسه على طبيب ! »

وخرجت تائهة ! .

هل من الممكن ان يكون زوجها على علم بهذا ، وتركها سنوات ، تظن انهــا السبب ؟.

ورابها انه طالما اعرب لها عن زهد فى الاولاد ! .

ورابها اكثر ، انه ما كان يسمح لها بعرض نفسها على الطبيب ، لولا ان ادعت المرض !.

واشفقا ان املها فى الامومة قد تهشم !.

تهشم ؟.

وليلة الامس ؟.

التاريخ: ٣٠ / ٦ / ١٩٦١

وامتراها دوار وهى تعبر الطريق الموحل فصدمتها سيارة مسرعة ، اصابتها بجراح غير خطرة ..

وتناثرت اوراق رسالتها مع الريح واختلط بعضها بالوحل

وجاءت عربة الاسعاف فحملتها وهى تردد :

— خذونى الى دمشق .. يجب ان اموت فيها ، فانا احب ترابها ..

قال الطبيب متأثرا :

— تشجعى .. سنصل الى المستشفى لا تتحدثى عن الموت . ستعيشين مائة سنة .

فهمست والقدر يسبل اهدابها :

— ما فائدة السنين ؟.

كانت حياتى .. كل حياتى .. ليلة واحدة !.

⁂

اجل .. فهمت مأساة حواء ، حين تلتقى فجأة بمن تحب ، فتدرك انها مارست الحياة الزوجية سنين طوالا ، موءودة العاطفة مقلقة القلب معطلة المشاعر !.

وامسكت انفاسى ، وانا اترقب كيف تمر لحظة الاكتشاف الرهيبة الهائلة !.

ثم اختلفنا !.

مضت كوليت بصاحبتها « رشا » فى طريق الشوك ، واصلتها نار الخطيئة ثم تركتها نادمة تائهة ، عند آخر الطريق المسدود ..

الى اين ؟.

الغريب قد مضى الى غير رجعة ، والزوج قد خانته عندما اكتشفت انها خانت نفسها معه !.

وفى نسمرها ، تختلط ذكرى اللحظة الرهيبة بقلق مبهم : ان يكون الغريب ترك لها جنينا وزوجها عقيم !.

الى اين ؟.

« كوليت » نفسها — فيما اظن — لم تكد تكتشف ان الطريق مسدود ، حتى تخلت عن « رشا » بلا مبالاة ، وتركتها وحدها فى التيه !.

وافتعلت حادثة السيارة ، لتشغل « رشا » بحوار مع الطبيب ، وتولى هاربة !.

ثم وضعت القلم واستراحت ...

⁂

وكنت اترقب من كوليت ، أن تجعل القصة كلها حلم يقظة او رؤيا منام



وبهذا المخلص ، تنجو كوليت بقصتها من : س ، ج !

فليس عليها — والقصة حلم — ان تترك « رشا » حيث تركتها فى عربة الاسعاف ، مع بذرة محتملة لجنين فى احشائها ، تصل به المأساة الى عقدتها الخطرة !.

وليس عليها ، ان يغلب الدوار « رشا » فى لحظة الاكتشاف الرهيبة انتهار مقاومتها فى اول ليلة تفترق فيها عن زوج اخلصت له عشر سنين !.

بل ليس عليها ، ان تملك « رشا » وعيها اثر التجربة العنيفة ، حين يظن بها الذهول والضياع ، فتجلس — ملء اليقظة والتنبه والادراك — لتكتب رسالة كهذه ، من مائتى صفحة ، فى ساعتين او ثلاث !

ذلك لان الحلم يتسع لكل هذا ومثله معه !.

وليس لنا مع احلامنا حيلة ، ولا لنا عليها سلطان ..

واذن فما كان اروعها قصة تغيب فيها « رشا » عن واقعها الزائل الفاتر العقيم ، لتعيش ليلة واحدة فى حلم مثير يكشف عن اشواقها المكبوتة وعواطفها الموءودة ومشاعرها المعطلة ، ويصهر الجليد المتراكم على وجدانها !.

لكن « كوليت » لم تشأ لقصتها ان تكون حلم ليلة واحدة ، وانما مضت — فى صبر — تنسج الشباك حول « الرشا » حتى اذا بلغت بها ذروة التعقد ،

التاريخ: ٣٠ / ٦ / ١٩٦١

وسدت فى وجهها كل السبل ،قذفت بها فى التيه ، وهربت منها !.

ولست ارى من حق كاتب ، ان يتخلى عن بطل قصته على هذا النحو الفظيع!

فهل اعيا « كوليت » ان تجد مخرجا من العقدة التى تفننت فى نسجها ؟..

او تراها لم تكن تقصد الآن تعالج فكرة الزمن ؟.

ان قصتها الاولى « ايام »

وقصتها الثانية « ليلة »

فهل جاءت هكذا عفوا ؟.

ربما ، ولكن القصة تمضى تمسرولا ، وفكرة الزمن مسيطرة على الكاتبة ، لا تكاد تفلت من سلطانها !.

ومع العفوية ، او المصادفة ، لايكون مثل هذا التنبه الحاد للزمن :

« يا الهى .. كم يطول الوقت فى الحالات العصيبة ؟

« وحين نضيع فى السعادة ، يستغل الوقت ضياعنا وشرودنا فيهرب ،وهو واثق اننا لن ننتبه له ، ولن نحاسبه الا بعد فوات الاوان ! »

« البارحة يا سليم ..

« ولكن .. هل كان ذلك البارحة ؟

« ما ابعد البارحة عن اليوم ؟

« ما ابعد الماضى عن المستقبل ،حين يكون الحاضر وحده طينا ؟ »

مع العفوية او المصادفة ، لا يكون للزمن ان يستأثر بالمواقف الحاسمة ، على نسق مطرد لا يتخلف ، فى كل فصول القصة ، منذ بدأت « رشا » رسالتها قائلة لزوجها :

« ماذا جرى ؟ ومدة فراقنا ليست سوى ليلة واحدة ؟ »

الى ان ختمتها بقولها :

« من قال يا سليم ، ان حياة خمس وعشرين سنة ، ستنقلب راسا على عقب فى مدى ليلة واحدة ؟ »

وبين المطلع والخاتمة ،مواقف اخرى [illegible] الزمن [illegible] المسيطر عليها :

عندما ودع الزوج زوجته فى محطة مارسيليا وهو يقول : « لا بأس ، لن تغيبى سوى ... ليلة واحدة ! »

وتركها تجتر ذكرى بعيدة ، ليوم زفافها ، منذ عشر سنين ، وقد بكت يومئذ حين لم يبق لآفاق آمالها ، وطموح صباها ، ونعمة حريتها ، سوى .. ليلة واحدة

وكان يكفيها — بعد ان نسج الزمن من عمرها عشر سنين من الملل والفراغ — ان تبتعد عن دنياها الفاترة الخامدة ، ليلة واحدة .

هكذا دائما ، ليلة واحدة

من مبدأ القصة الى ان انتهت بقول « رشا » فى عربة الاسعاف :

« كانت حياتى .. كل حياتى ... ليلة واحدة ! »

ماذا اقول ؟.

لولا انى اعرف « كوليت » معرفة شخصية ، لحسبت انها تتفلسف وتدير قصتها على فكرة الزمن التى شغلت عددا من أدباء المفكرين ...

ولولا انى اتهمها على سجيتها بغير حجاب ، لقلت انها تريد ان ترمز الى وهن الرباط المقدس ، وتمزقه بلمسة طارئة ، تكتشف فيها « رشا » عقم معاشرة زوجية طويلة ، فى خصب لحظة عابرة !.

لكن كوليت ابسط من ان تتفلسف ، واصرح من ان ترمز ...

وما اراها الا مفتونة بسحر الكلمة ، الى الحد الذى تبدو فيه الحروف على الورق ، لعبتها المفضلة وهوايتها المثيرة

وهذا كل ما فى الامر ...

فلا الزمن ، ولا التجربة ، ولا رشا ، سوى كلمات ، حسب كوليت ان تمارس فيها هوايتها الاثيرة ، لاستخلاص سرها المكنون !.

واشهد ان « كوليت » تتقن هوايتها ، وتمارس فن الكلمة ، بكل اعصابها وجدانها وعقلها !.

واعجب لسذاجة الذين تصوروا انها لن تكتب بعد « ايام معه » !.

التاريخ: ٧ / ٧ / ١٩٦١

قضايا فكرية

المستشرقون وتراثنا الروحي

■ يجب أن نحترم ما يقوله العلماء ولو كان لا يرضينا !

□ لكن الباحث إذا تعصب واتبع هواه سقطت عنه صفة العالم

بقلم

الدكتورة بنت الشاطئ

في مجلس علمي شهدته منذ ايام ، دار الحديث حول محـاولات بعض المستشرقين لتشويه تراثنا الفكرى وتسميم المنـابع الروحية التي نستمد منها مقومات وجودنا المعنوى ، فسمعت استـاذا جليلا من علمائنا يدافع عن حق العلماء في ان يقولوا ما شاءوا ، رضينا أو كرهنا ، وعلينا ان نحترم آراءهم فينا واقوالهم عناء ان كنا حقا نؤمن بحرية الفكر ونحترم حق البحث العلمي .

وأضاف الاستاذ الجليل متسائلا :

ــ ان بعض مفكرى الغرب قد هاجموا المسيحية ، وقالوا فيهـا ما لا يرضى المؤمنين من اصحابها فلماذا نضيق بهم اذا تحـدثوا عن الاسلام بما نكره ؟ ولماذا نتخذهم عدوا لنا دون ان ندرك اننـا بهذه العداوة نخون حرية الفكر ؟

واشهد لقد ارضانى هذا الحرص الكريم على ما نؤمن به من حرية البحث العلمى ، لكن المناقشة لفتتنى الى خطا خفى فى فهمنا لجوهر القضية حين لا نفرق بين راى يهتدى اليه دارس نزيه يلتمس الحق وحده ، وبين آخر لمتعصب لا يقصد من البحث الا ان يرضى هواه ولا يعنيه الا ان يسخر الحق لخدمة غرض معين ، بدافع من تعصبه .

وهذه هى المحنة ..

فليس اضر بالعلم من تعصب يلتوى به منهج البحث وتضل معالم الاهتداء الى الحق . ذلك لان الدارس اذا لم يتحرر من الهوى لم يعد يرى من معالم الطريق الا ما يخدم غرضه ، وصار كل همه ان ينحرف بمادة البحث ليقسرها على مسايرة هواه والاتجاه الى هدفه .

ونعرف ، ويعرف الواقع التاريخى ، ان حركة الاستشراق الضخمة لم تنشأ اصلا لخدمة الفكر واستنقاذ تراث الشرق والاسلام من الضياع . وانما بدأت اول ما بدات فى رعاية الكنيسة الكاثوليكية وخضعت لاشراف دقيق منظم من كبار احبارها ، وكان الرهبان والقصاد الرسوليون هم جنودها الاولين . ثم تلتقف الاستعمار هذه الحركة فكان ملوك الدول الاستعمارية رعاتها ، وكان قناصلهم فى بلدان المشرق عمالها . وقد ذكر «الكونت فيليب دى طرازى » فى الجزء الثانى من خزائنه ، ان فى مكتبة دير الشير بلبنان ، مخطوطة من كتاب « وفيات الاعيان لابن خلكان » على هامشها حاشية بقلم ابى النصر الخازن قنصل فرنسا فى بيروت فى منتصف القرن السابع عشر ، خلاصتها انه فى سنة ١٦٧١ «ارسل عالي الجناب الملك لويس الرابع عشر رسله الى جميع بلدان الاسلام لشراء المخطوطات . وزود مبعوثيه باوامر شريفة الى جميع القناصل الفرنساوية ، ليضعوا رجالهم واموالهم فى خدمة هذه الغاية » .

وقد عكف المستشرقون على خدمة هذه المخطوطات ، وهم بشر مثلنا : منهم من يصون حرمة الحق ويرعى امانة العلم ومنهم من يضلهم التعصب وينحرف بهم الهوى .

والبحث العلمى متى انحرف عن غايته الاصيلة من خدمة العلم والوصول الى الحق ، اعوزته النزاهة التى هى جوهر البحث ، والحرية التى هى مناط سلامته

والمتصلون منا باعمال هؤلاء ، يعرفون الى اى مدى تلتوي اساليبهم فى توجيه العبارات وتضطرب مناهجهم فى سوق الاخبار ، ويضل اعتسافهم فى تأويلها بغية الوصول الى نتائج خطرة سامة ، تنحرف بتراثنا الى تأييد مزاعم بعينها طالما رددها اعداء الشرق والاسلام .

واحدث ما قرات فى هذا الموضوع ، كتاب للدكتور «مصطفى السباعى ، استاذ الفقه الاسلامى بجامعة دمشق » موضوعه «السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى» وكنت قد اردت بمطالعته ان اتصل باحدث دراسة جامعية للسنة المحمدية ، ومراحل سير التاريخ بها وجهود علماء الاسلام الذين تتابعوا على صون هذا التراث الغالى ، واصلوا للرواية منهجا دقيقا

التاريخ: ٧ / ٧ / ١٩٦١

يحسبه كثير منا حديثا طارئا ، استعرناه من مناهج المستشرقين فى تحقيق النصوص لكنى وجدتنى مع الكتاب ، امام كشف لحملة من حملات الغزو الفكرى ، تعرض لها هذا التراث الروحى القيم ، وعبئت له قوى ضارية من جنود يرتدون مسوح العلماء والباحثين .

وهذا الجانب ، لا يعنى فقهاء التشريع الاسلامى وحدهم وانما هو قضيتنا جميعا نحن العرب ، مسلمين ومسيحيين على السواء ..

او هى — بتعبير اوضح — قضية كل عربى يعى وجوده . وكل مؤمن بحرمة الحق ، حريص على حرية الفكر ونزاهة البحث العلمى .

والدكتور السباعى يتولى هنا عرض هذه الحملة من حملات الغزو الفكرى ، فى صبر الدارس المخلص ، وحماسة العربى المؤمن ..

ومن هذا العرض ، يشهد القارىء العربى الواعى كيف اتجهت **الشعوبية** من قديم لتسميم هذا المنبع الروحى وكيف تلقى **الاستعمار** لواء الحملة من ايدى الشعوبية فسهر عليها يغذيها بالوقود من **سموم التاويلات والشبهات والمفتريات ..**

وهى حملة يخفى امرها على عامة المثقفين ممن لا اختصاص لهم بدراسة الفقه والتشريع ، ولعل اخطر مايكشف عنه الكتاب ان فينا من تخدعه حيل الغزاة ممن يرتدون زى العلماء ، فيتابعهم على اقوالهم المسمومة دون ان يدرى انه بهذه المتابعة يعين على نفسه وقومه !

وقصة الغزو الروحى فى هذا المجال عبرة ما بعدها عبرة :

فمن قديم استطاعت **الشعوبية** الضارية ان تضم الى جيشها المقنع جنودا من **الفرق الاسلامية** بعضهم عن استهواء وفتنة بأساليب التفكير الطارئة وبعضهم من **اليهود** الذين اسلموا على دخل ، نفاقا ورياء وبغية الافساد لحيوية الاسلام ، بالاسرائيليات .

والامر شبيه بهذا فى **الحديث من تاريخنا** جند الاستعمار بعض المستشرقين لتسميم هذا المنبع الروحى فنصبوا الفخ باسم البحث العلمى والتفكير الحر ، وجاء نفر منا **فوقعوا فى الفخ وراحوا يروجون بضاعة الغزاة : اما عن جهل بحقيقة التراث الاسلامى** واما عن انخداع بالاسلوب **العلمى المزعوم واما عن رغبة فى الظهور بالتحرر العقلى** وشجاعة الراى ، واما من **انحراف فكرى ووجدانى بتاثير الاستهواء**

وما يجرى فى هذا المجال الروحى ، يجرى مثله فى مجال الثقافة والادب ، ممهدا لبقاء الاستعمار فى الشرق فى زيه غير العسكرى .

واعود على بدء فاقول ان آراء العلماء — من كانوا — على العين والراس ، **ولهم علينا حق الاحترام ما اخلصوا للحق وصانوا حرمة البحث وحملوا امانة العلم** اما اذا اضلهم التعصب وزاغ بهم الهوى **فقد خسروا صفتهم العلمية واهدروا بايديهم حقهم فى الانتساب الى زمرة العلماء . وليس لمن اعتدى على حرية الفكر وامانة الحق ، ان يطمع — او يطمع له سواه — فى احترامنا ، باسم حرية الفكر التى خانها ، وحرمة الحق الذى اضاعه !**

التاريخ: ١٤ / ٧ / ١٩٦١

قضايا أدبية

الثورة الفكرية

وجد شعبنا نفسه سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا ولكنه ظل ضائعًا فكريًا وأدبيًا

فاروق خورشيد

أن الفكر والأدب منعزلان عن الحياة

لو صح هذا الكلام معناه

بنت الشاطئ

أن وجودنا يمكن أن يستغني عن عقله ووجدانه

ليس من شك فى ان انعزال دراساتنا الادبية من مشكلاتنا الحيوية عامل خطير فى عقم هذه الدراسات ، وعامل معوق فى تطور حياتنا ..

المواكبة امر ضرورى بين سير حياة الناس وبين سير جهد العاملين فى مختلف الحقول وخاصة حقول الدراسات الفكرية والثقافية .

ومنذ حين ، هبت فى بلادنا دعوة صاخبة تدعو الى ربط الفن بالحياة وتزعم ان هناك فى تراثنا الادبى ، ما يمكن ان يكون فنا منعزلا عن الحياة وما يمكن ان يشكل ما يسمى بالفن للفن . واقامت هذه المدرسة من نفسها مدرسة تواجه هذا الذى افترضوه وراحوا يصولون ويجولون ويتناقشون حول اهمية ان يكون الفن للحياة ..

هؤلاء (الدون كيشتيون) الذين افترضوا وهما وحاربوه ، اقاموا دعوى عريضة على غير اساس ..

فأدبنا العربى كان من قديم يسجل الانعكاس الوجدانى للحياة فى المجتمع الاسلامى بوجه عام والمجتمع العربى بوجه خاص . ولم يكن ذنب الادب ان جهل دارسونا المحدثون تراثهم وتجاهلوا اهميته فى تفهم دور ادبنا اليوم .

وليس من شك فى ان كل دراسة تقطع صلاتها بالجذور الحقيقية لادبنا وتراثنا وفكرنا ، محاولة عابثة لا جدية فيها . وارتباط امتنا بماضيها تكامل لابد منه لنفهم حاضرنا ، وامر محتوم ان اردنا ان نشيد مستقبلنا .

ولكن التهاون من ناحية ، والغرور من ناحية اخرى ، انساها على الدارسين المحدثين ان يتعرفوا على الطريق الصحيح الذى يربط دراساتهم بمقتضيات حياتنا ومطالبها وهو ربط يفرضه واقع مجتمعنا تفرضه دعوانا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .. يفرضه ما نتمثله من اهداف وما نطمح اليه من مثل ، كما تفرضه حركة المجتمع نفسها فى تفاعلها نحو تحقيق منفذ لاندفاعها فى طريق بعينه ينظم خطاها ويحدد وجودها .

ومجتمعنا العربى قد سبق المفكرين والدارسين بطريقة مذهلة محيرة . فهو قد رفع شعار الوحدة العربية ثم جمع نفسه واندفع بقوة عجيبة لتحقيقها . تحقيقا واعدا بشىء كثير ..

ورفع الشعب العربى كذلك شعار الاستقلال السياسى والاقتصادى وسار خطوات حثيثة ليحقق فى اجزاء منه هذا الشعار تحقيقا كاملا ، وليفتح الطريق امام اجزاء اخرى لكى تقف فى الركب الزاحف . بل إن مجتمعنا العربى حين رفع شعار القومية العربية كان يعبر عن مثلات مبهمة يحسها فى نفسه، ومرة اخرى لم ينتظر احدا ، واندفع يجعل هذا الشعار واقعا حيويا ديناميكيا فيربط اجزاءه بالشعور والحركة من المحيط الى الخليج

كل هذا فعله مجتمعنا ، والسادة من دارسينا يشغلون القراء ببحوث بيزنطية حول قضايا جزئية ، واشياء ليست فى واقعه ، ولا فى بؤرة مشكلاته الحيوية !

ومجتمعنا يحاول اليوم ان يرتبط بماضيه ويحاول ان يبلور نفسه فى وجود حى حقيقى ، وهو فى هذه المحاولة قد ثار على كثير من المسلمات التى وضعها الاستعمار بالوانه ، والعقبات فى طريق وجوده وتطوره .

.ووجد شعبنا نفسه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، ولكنه ظل ضائعا فكريا وادبيا

فهنا .. وفى هذه الفترة الزمنية التى يحتاج فيها المجتمع الى تكتل كل قواه لرفض الزيف الذى ملا حياته زمنا .. وملا الفراغ الذى شغله المستعمرون والمدلسون ازمانا ، فى هذه الفترة بالذات كان مفكروه ودارسوه يغطون فى نوم عميق .. كانوا يتناولون نفس المسائل ويفكرون بنفس العقلية ، ويفنون اعمارهم وايامهم فى بحث دائب عن اشياء يمكن تأجيلها آلاف السنين دون ان تغير من سير حياتنا شيئا . .

وحياتنا الثقافية والفكرية والادبية مليئة بالزيف والخداع ، تسللت اليها ارادة المستعمر الذى اراد عن طريقها ان يستذل رقاب الشعب ، فدس الاوهام ووجه الدراسات ، وحدد مجالات الحركة فى حقول البحث بما يتفق واهدافه .

ومع المستعمر كان لحياتنا الفكرية عدو آخر اشد منه خطرا وابشع ضراوة وحقدا ؛ ذلك هو ما يمكن ان نطلق عليه اسم «عقدة الحروب الصليبية» فمنذ تلك الحروب وما تركته من جروح لا تندمل فى كرامة العالم الغربى وشرفه وكيانه، والمئات من ابناء العالم الغربى يكرسون حياتهم فى رهبانية غريبة ، لتتبع فكرنا وحياتنا وادبنا ،ودس الاكاذيب والمفتريات خلال الدراسة الجادة ، بغية الخلوص منها الى نتائج غريبة تزور حقيقة هذا الادب وقيمة ذلك التراث ..

وتحت ستار كثيف من الاخلاص والدقة فى البحث ذهبت اعمالهم كالحقائق التى ترسب فى اعماقنا .. وجاء اصحاب الجامعة فى مطلع هذا القرن فاذهلهم هذا التصور العلمى وانخدعوا بشكله

البراق عن حقيقة ما به من سموم فتتلمذوا صاغرين وردّدوا الاحكام كالببغاوات ، وهم لا يدرون انهم انما يتحركون داخل اسوار حديدية تملؤهم وتشل حركتهم وان حسبوا انهم يتحركون فى حرية ونزاهة

ورسب فى اعماقنا على مر الايام ، اننا شعب لا ثقافة له ، ولا فلسفة عنده ولا ادب انسانى فيما خلفته اجياله السابقة

شعب مغرم بالتفاصيل والزخارف والبهارج يجيد التفكير فى الجزئية وحدها ، ولا يستطيع ان يتصور المسائل ككل متكامل شعب لا يعرف الخلق والابتكار ، بل كان كل دوره فى الحياة ان حمل الحضارة اليونانية الى الحضارة الاوروبية الحديثة كالحمار الجاهل يحمل اسفارا . او هكذا على الاقل يقول «جوستاف فون جرونيباوم» فى كتابه «حضارة الاسلام» الذى تفضلت وزارة التربية والتعليم بطبع ترجمته على نفقتها دون ما تعقيب او تعليق ، وتفضلت بتوزيعه على مدارسها ..

واصبح الكتاب كالحقيقة الثابتة التى يتلقاها الطلاب هدية من المسئولين .

وقد ترجمه استاذ كبير وراجعه استاذ كبير واقرته لجنة من اساتذة كبار .

كان لابد اذن ان تواكب ثورتنا السياسية وثورتنا العربية وثورتنا الاجتماعية ثورة اخرى اهم واخطر ، تلك هى الثورة الثقافية والفكرية .. ذلك ان الشعب العربى يمكن ان يسير بقوة اندفاعه جيلا يبنى ويشيد ، ولكنه لا يمكن ان يسلم الامانة الى الاجيال التابعة الا اذا اقام حياته على ارض صلبة مترابطة من الحقائق الفكرية التى تجعل له كيانا حقيقيا كفيلا بمواجهة الجحافل التى تتربص بنا فى كل مكان .

الحقل العربى فى دراساتنا حقل اجدب ، لم تنزل فيه قطرة ماء ولم تمتد اليه ضربة فأس ، ليس به سوى بقايا نبات الصبار الذى خلفته القرون ، وليس يحتاج فى واقع الامر الا الى الرى والعناية ليخضوضر زاهيا ، وليعلن ان ما به من ركام انما نثرته يد الاغراب فوق ارضه ، وان ما عليه من تراب انما كدسته سنون الاهمال والغفلة والجهل

وليست هذه اندفاعات خطابية ولا دعاوى متحمسة .. وانما هى صرخة الم حقيقى نحسه ينخر فى جسد امتنا ، ليقول للدارسين الغافلين . واين انتم فى موكب الثائرين؟

وقد عودتنا الحياة ان يحمل المفكرون الراية ، اما ان يجلسوا وراء النوافذ يتفرجون بينما الموكب المجيد ينضح بالدم والعرق فى كل خطوة ، فهذا موقف عجيب لن يؤدى الا ان يحطم المجتمع هؤلاء المفكرين ليخلق له مفكرين من معدن آخر يفهمون مشكلاته الحقيقية ويعرفون مطالبه الحيوية .

نريد اليوم ان نعرف هل لنا ما يمكن ان نسميه بالتراث القومى ؟؟ هل فى ادبنا العربى والثقافة العربية وفكرنا العربى ما يكون كلا حضاريا متكاملا ويصلح ليكون اساسا لدعوانا الحيوية اليوم بالكيان العربى والقومية العربية ؟؟

ثم هل فى هذا الادب والفكر والثقافة مجد انسانى يشكل تيارا يستطيع ان يؤثر فى الحياة من حوله ويزعم انه يشارك فى بناء الانسانية بلا خوف ولا احتذاء .

ومئات ومئات من الاسئلة .. واصحاب الفكر يتعامون ، واصحاب الجامعة يغلقون النوافذ ، بينما مجتمعنا يسير فى سرعة مذهلة وهو حائر يتلفت وراءه ويسأل دائما : من اين ؟؟ .. والجواب يحتاج الى جهد العاملين؟

فاروق خورشيد

الأهرام

تعليق :

كل هذا الذى كتبه الزميل يمكن ان يقال ،ولكن يقال معه ان تعميم الحكم على الدراسة الادبية كلها ، وعلى الحياة الفكرية جملة ، لا يمكن ان يسلم به المنهج الصحيح للدراسة والحكم .

وطبيعة الحياة والفن ، تحتمل وجود من سماهم الزميل « بالدون كيشوتيين » ومن يتصورون امكان انفصال الادب عن الحياة ، كما تحتمل وجود المدلسين والمزيفين والنائمين ، ومن يبترون حاضرنا عن ماضينا ،ومن يسيرون باقنيتهم مرددون اقوالا موروثة من عصور غابرة ، جمدت الذوق الفنى لتراثنا ، وحجبت عنا اصالته وسناه ..

كل اولئك تحتمل طبيعة الفن والحياة وجودهم ، لانهم يمثلون ما لا تزال حياتنا العامة تعانيه ، من رواسب العصور المظلمة ومخلفات النظم والاوضاع والقيم الغابرة!

لكنهم ليسوا كل من فى مجالنا الفكرى وحياتنا الادبية !

اذ لو صحت هذه القولة ؛ لما كان لمجتمعنا ان يعى ذاته ويحقق وجوده سياسيا واقتصاديا واجتماعيا : على ما يقرر الزميل .

لسبب بسيط ،هو ان المجتمع لا يمكن ان يصح ويسلم ، مع ضياعه فكريا!

والطبيعة لا تعترف بسلامة كائن حى تكمن فيه جرثومة فاسدة ، او يصاب عسر منه بالعقم والشلل !

فحكم الزميل ، بحيوية مجتمعنا ، مع ضياعه فكريا ، حكم تاباه الطبيعة اولا ..

وهو — ثانيا يسوق الاستاذ خورشيد الى القول بامكان انفصال الادب عن الحياة ، وعزلته عنها، ويهدر كل قيمة للفكر ويلغى حاجتنا اليه .

فما دام مجتمعنا قد استطاع ان يحقق وجوده سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، مع ضياعه فكريا وتعطله وجدانيا ، فقد لزم الزميل ما يترتب على هذا، من استغناء الحياة عن الفكر والادب !

وهذا فى رايى ،اخطر من كل ما يمكن ان نبتلى به من المدلسين ، ومغلقى النوافذ ، والذين يتحركون داخل اسوار حديدية ، ومن يغطون فى نوم عميق ..

ولكن هؤلاء ليسوا كل من فى حياتنا !

فمن قبل الثورة ، وبعدها ، وجد فينا من يحملون امانة الفكر ، ويفهمون رسالة الادب القيادية ، ويجاهدون من اجل تحرير عقولنا وافكارنا من القيم الزائفة .

والزميل فاروق خورشيد، قد تتلمذ على بعض هؤلاء ، وتاثر بكفاحهم المضنى الصامد ، وبنضالهم المؤمن الباذل ، فما باله يتحدث اليوم ، وكان شعلة الثورة الفكرية قد انطفات ؟ وما باله يظن بالدراسة الادبية الظنون ، وفى الميدان قادة ينفقون حياتهم ؛ لتصحيح منهجها وتحرير قيمها ؟

ما باله يطلق الحكم عاما شاملا ، من «تعامى اصحاب الفكر» واغلاق اصحاب الجامعة النوافذ وانه ليعرف — فيما اوقن — ان هناك اكثر من يد ، لا هم لها الا ان تفتح النوافذ لتتنفس عقولنا ملء الحرية والانطلاق ، والا ان تنقى الحقل الادبى ، من كل عشب سام ، وبقايا متحجرة ؟

ما ارى الزميل كتب مقاله ، الا وهو مشغول البال بهذه البقايا المتحجرة والاعشاب السامة وحدها ، وهى بقايا موجودة فعلا وموروثة لنهضتنا حتما ، لكن الحياة قادرة على ان تلفظها وتتخلص منها .

ومجتمعنا — واى مجتمع آخر — لا يمكن ان يحطم المعوقين ويخلق صنفا غيرهم ، مالم يكن له عقل ووجدان ، تحرسهما قيادة فكرية وادبية ، امينة واعية !

ومهما تطل محنتنا بهؤلاء المعوقين والمزيفين والمتحجرين ، فالذى اومن به اننا نخوض معركة فكرية وادبية ظافرة تصحح القيم الزائفة ، وتحطم العوائق التى تعترض ارادتنا للحياة ، وتمحو الظلال التى تغشى افقنا الفكرى ، وتمهد انطلاق الادب نحو غايته التى لا نعرف له سواها: قيادة وسيادة !

بنت الشاطىء

التاريخ: ٣١ / ٧ / ١٩٦١

قضايا أدبية

الإرهاص الثوري في شعرنا المعاصر



عزيز فهمي



صلاح عبد الصبور



محمود حسن اسماعيل



حسن كامل الصيرفي

• لا يعرف التاريخ ثورة لم يتطلع إليها الأدب ويسجل التهيؤ العام للتحول المرتقب

• لكن صدى الإرهاص الثوري لشعراء جيلنا يعوزه أن يؤرخوا لنا كل قصيدة من شعرهم

بقلم الدكتورة

بنت الشاطئ

قضية الارهاص الادبي ، من القضايا الخطيرة التي اغفلها نقاد ادبنا ومؤرخوه ، القدامى منهم والمحدثون ، ممن كانوا ولا يزالون يبدأون العصر من عصور الادب بيوم محدد ، تتم فيه المعركة الفاصلة بين عهدين .

والذين لحظوا منهم ، رواسب عصر مضى في أدب العصر الذي يليه ، لم يلتفتوا الى الارهاص الفني الذي يسبق كل ثورة وكل عصر ، مؤذنا بالتحول المنتظر ، ومتطلعا اليه ، ومسجلا التهيؤ العام لهذا التحول .

وقد شغلتنا هذه القضية في الدرس الجامعي ، واستطعنا ان نجد في تراثنا ، ارهاصا ادبيا بكل الثورات التي عرفها تاريخنا الطويل ، والتي حددت ما يعرف بالعصور الادبية لنا .

وبدا لي ان ارصد مثل ذلك الارهاص ، في شعر جيلنا الثائر ، وكنت واثقة انني استطيع ان اميز فيه بسهولة ، دعاء الفجر الجديد قبل ان يبزغ ، وان المح مقدمات الثورة على الاوضاع الباغية .

ذلك لان ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، لم تكن — ولا يمكن ان تكون — الا نتيجة حتمية ، لثورة عاشت طويلا في وجدان الشعب ، وقلبه ، وضميره ...

وهي لم تنجح ، الا لان التعبئة الوجدانية كانت اسلحتها ، فآذنت بسقوط الطغيان ..

وقادة الثورة ، كانوا يعلمون هذا علم اليقين ، وهم يشقون طريقهم في الظلام ليحطموا الوثن !

التاريخ: ٣١ / ٧ / ١٩٦١

والرئيس جمال يقرر فى « فلسفة الثورة» ان ثورتنا لم تكن مفاجأة ، « لان قصص كفاح الشعوب ليس فيها فجوات يملأها الهباء ، وكذلك ليس فيها مفاجآت تقفز الى الوجود دون مقدمات » .

ويسجل ان ثورتنا لم تكن سوى « التدبير العملى » لثورة كامنة بلغت ذروة احتدامها ...

ومحال ان يكون الادب قد عاش بمعزل عن تلك الثورة ، وفاته ان يسجل التهيؤ لها ويدفع اليها ..

وادب الثورة ، لايمكن ان يكون قد بدأ مع ساعة التنفيذ لارادة الشعب ، وتحقيق الامل الذى عاش فى القلوب والضمائر .

كذلك لايمكن ان يخلو ادب مابعد الثورة ، من ظلال الوضع البائد . فهذه هى سنة الحياة ، وطبيعة الفن الذى يعبر عنها ويعكس صداها ..

وحين نتجه الى تاريخ ادبنا المعاصر ، سنمر به فترة انتقال ، تبدأ قبل سنة ١٩٥٢ بأعوام ، وتستمر الى ان تتخلص الحياة العامة من الرواسب المتخلفة ، التى فاجأت فلول الكتيبة الزاحفة ، بعد ان اقتحم سور الطغيان ، فملأت قلبه بالحزن والمرارة ، واحس ان مهمة الثورة « لم تنته فى هذه الساعة ، بل انها من هذه الساعة بدأت ... »

ولا سبيل الى فهم التاريخ الادبى لهذه المرحلة الثورية ، مالم نرصد الارهاص الفنى قبل الثورة ، ثم نرصد من بعدها رواسب الماضى الذى ولى وراح ...

ولما حاولت – استكمالا لما رصدت من شعر الارهاص الثورى فى تاريخنا – ان اقرأ شعر جيل الثورة ، لارصد ما فيه من ارهاص بها ، واجهتنى عقبة من اغفال الشعراء تاريخ القصائد فى المطبوع من دواوينهم ، بعد عام ١٩٥٢ .

وتلك آفة ورثناها فيما ورثنا من نظام التدوين المبكر للشعر العربى ، حيث لم يعن الرواة بترتيب القصائد فى ديوان الشاعر ترتيبا زمنيا ، وطالما شقينا بهذا فى الدرس الادبى ، واجهدتنا المحاولة لاستقراء النصوص ، التماسا لاشارة تهدى الى وقت القصيدة ، حتى نفهمها مرتبطة بحياة الشاعر ، وظروف بيئته ومجتمعه ...

وقد استطعت فى يسر ، ان اتتبع الارهاص الثورى فى الحديث من دواوين شعراء الجيل ، الذين أرخوا كل قصائدهم ..

ففى ديوان « احلام النخيل » للشاعر عبد العزيز عتيق ، نلقانا فى « ملحمة مصر التى بين بين » – وقد كتبت اناشيدها الثلاثة عشر عام ١٩٥١ – ملحمة الثورة كاملة ، كما تجلت للشاعر فى رؤيا صادقة ملهمة ، فكأنما كان ينظر بظهر الغيب ، الى اليوم المرتقب ، وهو آت لا محالة .

وفى قصيدتى « الشاعر الصامت ، والخروج » دمدمة الشاعر تحت وطأة الهوان والحرمان ، قبل الثورة بسنين .

وفى ديوان « نار واصفاد » للشاعر محمود حسن اسماعيل ، ميزت الارهاص الثورى بسهولة فى :

الحرية « الموءودة » وقد حاول الشاعر عبثا ان يلتمسها فى فجاج الارض،

تماما ، كما حدث فى كل ثورة عرفها تاريخنا ..

وكما تقضى بذلك سنة التطور ، ومنطق الحياة الذى لا يعرف المفاجأة ، ولا يعترف بالعفوية والمصادفة فى تاريخ الشعوب ..

التاريخ: ٢١ / ٧ / ١٩٦١

لم آب من رحلته يصرخ :

شرب القيد على كل الخطا
لهو حاد ، وطرو ، ودرس

وفي ((هادم الظلم)) ترنيمة شاعر في ذكرى المولد النبوى ، يتطلع الى نور منه يهدى الركب المتخبط في دياجير الظلمة ..

و ((صرخ القيد)) رجع صدى أصغى اليه الشاعر مبهورا ، حين :

زار النيل مؤذنا بصباح
هو للغاصبين نيل القبور

و ((من عميق الرقاد)) حداء يرجع أنين الضحايا ، ويوقظ الغافلين النيام ،

و ((الجلاء الكاذب)) - عام ١٩٤٨ - يكشف زيفه وهى شاعر يقول للنيل :

مثل سبعين وانغامك تذبيح وثكل
ودعود القومى وادبك اخلاف ومطل

نيل : ان الذنب عن غابك يانيل ترحل
آه لو كان على الاسوار لا ياويه معقل
فى غد تمشى اليه صف احرار بجلجل

و ((عهد الذئاب)) أنشودة لعيد الاضحى ، ذبحنا فيه الشياه والخراف قربانا ، والذئاب عليها !

وقصائد ((أذن الفجر ، والشداء المقدس ، ونفخة الصور)) تنبعث فى ظلمة الليل ، مهللة لفجر لاح يصغى الى صليل الاغلال وهى تتحطم !

و ((آخرة القيد)) اغنية الفجر الصادق فى مستهل شهر يوليو الذى شهد مصرع الطغيان ..

والشاعر ((كمال نشأت)) حرص فى ديوانه ((انشودة الطريق)) على ان يقيد كل قصيدة بموعدها ، فاتاح لنا ان نميز الاحساس الثورى فى :

((قلب شاعر)) مضى ينقب عن الفجر ، بعد ان اضناه السرى على الصخور السود فى الدرب المعتم ، يقتات الشوك

و ((غريب)) يعزف على قيثاره فى الليل الحالك ، ويحاول ان يصل الى كوخه الصغير ليضمه ، فيشله القيد .

و ((صفير القطار)) يدوى مثقلا بالانين ، وارتعاش الحنين لبعيد الديار ، اثير فى وجدان الشاعر معانى فاضت المدى ، وشدتا الى رحلة انطلاق ، لمكان بعيد .. لمكان جديد ..

وفى ((انتظار)) يلفه الليل ، وتغمره تلاريج الكآبة ، وتعبره رؤى كأحزان العبيد ، وتسرح فيه اناشى الوحشة والحسرة ، يتشبث السارى الحائر بحلمه فى الجنة ..

ومن ((قافلة الفجر)) الهاربين من امسهم ويومهم ، يصغى الشاعر الى معازفهم تروى اسطورة العيش الطريد ، ومأساة التشرد والضياع ، ليتردد صداها فى وجدانه ، لتعيش فيه امنية كل سجين .. غريب ..

و ((غريب فى المساء)) يخبط هائما فى احشاء الظلمة ، مؤملا فى الشروق ، وقلبه فى ليله غريق ..

و ((الشاعر)) يسرى كئيب الخطا ، يسحب اشواقه المتعبات على صخرة الالم الصامدة ، فيهوى كالضرير تعثر فى جثة هامدة ..

اما الشاعر ((حسن كامل الصيرفى)) فلم يهتم بتاريخ القصائد فى ديوانه ((صدى ، ونور ودموع)) الا تلك التى رثى بها احبابه واصدقاءه الراحلين :

امه وشقيقته وحماته ، والهمشرى وعزيز فهمى ، وزكي مبارك ، وعلي محمود طه ، واسماعيل ادهم .

وقصيدة أخرى واحدة ، هى ترنيمة السلام ، مؤرخة فى فبراير ١٩٥٤ .

اما بقية قصائد الديوان ، فمغفلة التاريخ ..

وربما كانت قصيدته (عبادة الاصنام) - لو صدقت فراستى فى نظمها قبل الثورة - ارهاصا ادبيا ثوريا ، بما عكست من اوضاع لئيمة لم يكن بد من ان تزول ...

وترات :

((اقول لكم)) للشاعر صلاح عبد الصبور و ((اغانى انسان)) للشاعر سعد دعبيس وهما من شعراء جيلنا الثائر ، لكنى لم استطع ان اعين - على التحديد - ما فى شعرهما من ارهاص ثورى ، لان اكثر القصائد مجهلة التاريخ

فصلاح ، لم يؤرخ غير القصائد الاربع الاخيرة من ديوانه ، واثنتان منها : عتاب وحصاد الذكريات ، كتبتا قبل الثورة باعوام ، وليس ببعيد من الارهاص الثوري شكواه في الاولى :

جنبانيك بانفسى قالت الرلة
مبى دمعة ، هذى الرسوم لنا تبدو
اداوى بها النجوى كطير ذبيحة
عن العش ذيدت ، لاترف ولا تشدو
ويمشى بها الحب الكسير مجرحا
وينزف منه الاثم والباس والحقد
ويجثو على اطلالها الشك ناعبا
ملاحن فى اجوانها بمرنح الوعد
تحول عنها الماء ، فالظل لانح
وغام شروق الشمس ، فالصبح مربد
فما نبتة الا وتحكى خطيئة
ولا غصن الا تبد جنا ترعه الورد
وما بسمة الا وروحى تقيئها
وما خطوة ، الا ودربى لها ضد

وقوله فى حصاد الذكريات :

هنا سنوات صباى الغرير
تولول فى موكب اسود
وآمالى الشرد الصاديات
يجزن السراب الى الفدفد
طريق تحدث احجاره
بضيعة امسى ووهم غدى

وكنت فى حاجة الى ان اعرف ، متى ـ بالتحديد ـ نظم « صلاح » قصائده « الشىء الحزين ، موت فلاح ، كلمات لا تعرف السعادة ، الالفاظ ، اغنية خضراء ، اقول لكم » لافهم المغزى الرمزى لكلماتها على ضوء زمنها ، واستبين دلالتها المرتبطة بأوقاتها ، واستجلى ما فيها من سر كامن ، لاسبيل اليه بغير مفتاح الزمن !

وكذلك الامر مع سعد دعبيس فى « اغانى انسان » : منه ثلاث قصائد مؤرخة قبل الثورة وهى :

« الصعاليك ـ من الحارة الى العمارة ، فى القاع يارب » وهى من صميم الارهاص الثورى . لكن متى نظم الشاعر قصائده : « موت بقرة فى القرية ، الليل والانسان ، همسة مصباح ، سطوح واعماق »

لم يقل الشاعر متى ، والنصوص تحتمل ان يكون قالها قبل الثورة ، وبعدها . وشتان بين مغزاها فى الحالين ، لان توجيه الالفاظ والمعانى ، رهن بمعرفة ازمانها على وجه التحديد

فليت شعراءنا يقدرون حاجة الدرس الادبى الى مثل هذا التحديد الذى لاغنى عنه لمن يريد ان يتتبع سير الحياة بالشعر ، ويلتمس لدى اصحابه التفسير الوجدانى لمرحلة من المراحل الحاسمة فى تاريخنا ، بما يجدى على فهمنا الصحيح لمكان الادب فى الحياة وتفاعله معها ، ويعين على استخلاص قيم محررة لادبنا المعاصر ، وموازين عادلة لشعراء الجيل ...

التاريخ: ٢٨/ ٧ / ١٩٦١

قضايا فكرية

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

الخصومة الفكرية

((بل نقذف بالحق على الباطل. فيدمغه فاذا هو زاهق ..))
قرآن كريم

فى المقال الذى عالجت فيه هنا منذ اسابيع ،موضوع ((الاستشراق وتراثنا الروحى)) اشرت الى كتاب الدكتور مصطفى السباعى عن ((السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى)) من حيث اتصاله بالقضية العامة ، موضوع المقال . ونوهت يومئذ بالتفات الدكتور المؤلف الى تيارات الغزو الفكرى ، ووعيه لمحاولات اعداء العربية والاسلام ، تسميم المنابع الروحية التى نستمد منها مقومات وجودنا المعنوى .

وقلت فيما قلت ، ان للعلماء علينا حق الاحترام ، ما لم ينحرف بهم الهوى ويضلهم التعصب ، فيفقدوا صفتهم العلمية .

التاريخ: ٢٨ / ٧ / ١٩٦١

واليوم اعرض قضية اخرى لنتنبه اليها الكاتب نفسه ، فى مناقشته لبعض رجال منا ، راهم المؤلف تلاميذ للمستشرقين واعوانا ، يروجون فينا اباطيلهم ، ويلقون فى الحقل الروحى بذور الشك والاتهام ، عن غفلة واستهواء ، او عن عمد ورغبة فى الظهور بمظهر التحرر الفكرى .

وما اشك فى اننا مبتلون بعدد من هؤلاء تقاسموا شتى الميادين ، فمنهم من اختص بالميدان الادبى ، ومنهم من يعمل فى المجال التاريخى او الروحى . وقد داهمت حياتنا الفكرية بتيارات دخيلة ، لو تتبعناها لعرفنا مصدرها فيما يبث المستشرقون من سموم باسم البحث العلمى الحر ..

والسؤال الذى اعرضه هنا :

باى اسلوب نقاوم هؤلاء لنحمى وجودنا المعنوى : انلقاهم بالقذف والسباب ، ونستحل اتهام المتأثرين بالاستشراق ، بالخيانة والمروق والكفر ؟

ام نتتبع اخطاءهم فنردها عنا بالحجة والبرهان ، ونخضعها لفحص علمى واع يكشف عما فيها من انحراف الفكر وفساد المنهج والتواء البحث وضلال الرأى ؟.

الذى اومن به ، ان اسلوب القذف والسباب ، تأباه الخصومة الفكرية التى لا تجيز غير سلاح الفكرة والمنطق والدليل ثم **هو لا يغنى عن الحق شيئا** ، بل لعله اجدر بأن يضعف مركزنا ، بما يثير من نفور القارىء الواعى ، وما يلقى فى روعه من وهن مركزنا ، بحيث لا نملك الا ان نستعين على خصومنا بالشتائم واللعنات .

اما المناقشة بالحجة والدليل ، والكشف عن مواضع الخلل والفساد فيما مصدره الهوى والتعصب والاستهواء ، فذلك هو الذى يليق بالمفكرين منا فى خصومتهم ، وهو هو الذى يجدى حقا فى تنقية حياتنا الفكرية من الزيف والبهتان .

وحين نلتمس للدكتور السباعى ، كل العذر فى غضبه للسنة ، وانفعاله فى الدفاع عنها ، نود فى الوقت نفسه ، لو انه استطاع ان يضبط هذا الانفعال فى المناقشة والرد ، حتى لا تخونه حجته وتشوب مناقشته بما نكرهه لله من قذف وسباب ، **لا يمكن ان يدفعا تهمة او يردا باطلا !**

ودون تعرض لمناقشة موضوعية لكتاب السنة ، اسوق هنا بعض امثلة من جناية هذا الاسلوب فى الخصومة الفكرية ، على القضية الجليلة التى تصدى الدكتور المؤلف للدفاع عنها بحماسة وانفعال ..

لقد خانته الحجة ، فى موقفه من المرحوم الاستاذ احمد امين حين قدم اتهامه بأنه « من ابرز الكتاب المعاصرين الذين سلكوا — فى تلمذتهم للمستشرقين سبل الهجوم المقنع بستار العلم والبحث متجنبا المصارحة ، متوسلا المواربة والمخاتلة ، حتى لا يثير ثائرة الجمهور وهذا اللون اخبث اثرا واسوأ نتيجة واقوى سلاحا .. وقد تحدث فى فجر الاسلام عن الحديث ، فمزج السم بالدسم وخلط الحق بالباطل » . — ٢١٢

واستشهد المؤلف — اول ما استشهد على هذا الالتواء الخبيث ، بكلمة سمعها من **الدكتور على حسن عبد القادر** ، زعم فيها ان المرحوم الاستاذ احمد امين نصح له بالمواربة والمخاتلة قائلا : **« ان الازهر لا يقبل الاراء العلمية الحرة ، فخير طريقة لبث ما تراه مناسبا من اقوال المستشرقين ، الا تنسبها اليهم بصراحة ولكن ادفعها اليهم على انها بحث منك والبسها ثوبا رقيقا لا يزعجهم مسها** ، كما فعلت انا فى فجر الاسلام وضحى الاسلام » ص ٢١٤

فهل يجوز في عرف العلماء ، ان نأخذ الاستاذ احمد امين بقولة ينسبها اليه آخر ، والاستاذ رحمه الله لا يملك ان يخرج من قبره ، ليرد على مانسب اليه ؟

اخشى ان يكون استدلال المؤلف بهذه القولة ، مشككا في سلامة منهجه ، ومضفيا على جو مناقشته لفجر الاسلام ، ظلالا من الوهن والارتياب ، لاحتمال ان تكون المناقشة تدوجهت بطمانينة الدكتور السباعى الى القولة المنسوبة الى صاحب فجر الاسلام بعد موته ، ماضية بها الى اثبات اتهامه بخبث النية «٢٢٦» والالتواء (٢٢٦) والحملات المنكرة على ابى هريرة

ليحقق فكرة خبيثة في ذهن مستشرق — جولد تسيهر — مغلوب على هؤلاء ، ليشوه بها سيرة عظمائنا الذين نقلوا الينا هذا الشرع وحفظوه (٣٠٤)

والدكتور السباعى متخصص في السنة حبيم بمنهج علمائها في «الضبط والتحرى» وقواعدهم المقررة في «التعديل والتجريح» فكيف هان عليه ، ان ياخذ المتهم بما لا سبيل الى تحرى نسبته اليه ؟

وما نقله الدكتور عبد القادر من المتهم لا يعدو ان يكون — مع افتراض عدالته وصدقه — خبر واحد لا يجوز الاخذ به ، لانه كما تقرر علماء الحديث لا يفيد علما ولا ظنا !

وفي الكتاب فصل خاص بالرد على اقوال الشيخ محمود ابو رية في كتابه « اضواء على السنة المحمدية »

ودون تعرض للخصومة موضوعيا ودون محاولة للفصل فيها ، اتجاوز عن اتهام الدكتور السباعى للشيخ محمود بالكذب والافتراء (٢٣٣) والولع بالتضليل وتغرير القارىء وقلب الحقائق (٢٢٦) والبهتان والتدليس (٢٣٨) والدعوى الفاجرة (٢٣٩) لاقف عند قوله في مستهل المناقشة :

«واشهد ان ابا رية كان افحش واسوأ ادبا من كل من تكلم في حق ابى هريرة رضى الله عنه ، من المعتزلة والرافضة والمستشرقين ، قديما وحديثا ، مما يدل على خبث وسوء عقيدة وخشية» ص٣٠٤

وكرر الدكتور هذا الكلام من النية الخبيثة (٣٠٧) وضغينة النفس (٣١٢) وعمى البصيرة والحقد الاسود (٣١٥) وسوء العقيدة (٣٤٢)

فمن قال ان لمخلوق — من كان — ان يحكم على الطوية والنية والعقيدة ؟

واذا لم تاخذ الاستاذ الجامعى بالمنطق العلمى الذى لاشان له بالنوايا المضمرات والطوايا المحجبات ، فقد وجب ان ناخذه بما يحفظ من قول الله تعالى :

«اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم»
« يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور»
«وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم»
«والله عليم بذات الصدور»

«ذلك هو مبلغهم من العلم ، ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى»

« وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى »

وناخذه ، في كتاب السنة ، بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

« هلا شققت عن قلبه ؟ »

« امرنا ان نحكم بالظواهر، والله يتولى السرائر »

التاريخ: ٢٨ / ٧ / ١٩٦١

الاهرام

وثالثة اخطر واغلظ ، لمساسها بالامانة العلمية ومصادرتها لحرية البحث :

وتلك هى كلمة الدكتور السباعى :

« جمع ابو رية فى هذا الموضوع كل شتائم الشيعة فى ابى هريرة .. ونحن فى عصر لا نستسيغ فيه نبش القاذورات ونرى من يعمل على نبشها مخربا هداما يسعى لتفريق كلمة المسلمين ووحدتهم ، فى عصر لم يبق فيه سبب للافتراق والخلاف والنزاع ص ٢٤٢

ودون تعرض لموقف الشيخ ابو رية ، او تفكير فى الدفاع عنه من قريب او بعيد اسأل الدكتور السباعى : هل يرضيه ان نوجه اليه نفس الاتهام ، بما نقل فى كتابه من تلك القاذورات فى صدد الرد عليها ؟

وماذا نصنع نحن فى دراستنا لتاريخنا الادبى والفكرى والروحى ؛ الا نبش الماضى ونحصه وتحريره ؟

اخشى اذا نحن سلمنا للدكتور برأيه فى عدم نبش القاذورات ، ان تصادر حرية الدارسين والباحثين ، ويسلط عليهم سيل الاتهام بنبش القاذورات

العلماء من السلف الصالح ، نبشوا من كفريات الملاحدة والزنادقة ، فى كتب تعرضت للرد عليهم !

والدكتور السباعى نفسه تفرغ فى الفصل الثانى من كتابه ، لحركة الكذب والوضع فى الحديث ، واسهب فى الكلام عن عبث الاهواء بهذا المصدر الجليل من مصادر التشريع

ونحن نفعل مثل هذا فى التفسير ، ننبش عما داخله من عناصر اسرائيلية ، وما شابه من اقوال قال فيها المفسرون باهوائهم ، وفهموا فيها النص القرآنى المعجز بعقلية زمانهم ومزاج بيئتهم ..

ونفعله كذلك فى تاريخنا الادبى : ننبش عما فيه من نصوص فاسدة ، واحكام محرفة ؛ ومقاييس خاطئة ، املتها اوضاع اجتماعية مريضة ، فى عصور كان امراء الشعر فيها هم شعراء الامراء !.

واليقين ان عدم التعرض لها ، وتركها مدفونة مطوية ، اثم علمى وخيانة قومية لانها ستظل حيث هى ، تسمم عقول من يطلع عليها من القراء والدارسين، وتنحرف بوجدانهم ، بدلا من نبشها وتعريضها لنور الحق يطفئها ويزهقها

والله تعالى يقول :

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق»

صدق الله العظيم .

التاريخ: ٤ / ٨ / ١٩٦١

العزلة الثقافية

الجامعة مسئولة عن هذه العزلة الفكرية
التي تجعل المثقفين منا فيما بينهم غرباء

قضايا فكرية

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

أخطأ في لفظ جرى به قلمي سهوا في مقالي السابق عن الخصومة الفكرية التي أحسبها من أخطر قضايانا الأدبية وهي العزلة الثقافية بين المتعلمين منا ،

ذلك ، عندما أشرت الى الخبر المعزو الى المرحوم الاستاذ احمد امين) أردت ان أقول :

« ان هذا الخبر لا يعدو أن يكون خبر واحد ، وخبر الواحد فيما قرر علماء السنة ، لا يفيد علما ولا عملا » !

لكن قلمي جرى بها : «علما ولا ظنا» دون ان انتبه ، فكان خطأ لا يبرره الا مايجوز على بشريتنا من سهو ونسيان وقصور .

التاريخ: ٤ / ٨ / ١٩٦١

رضقت بهذا اشد الضيق ، رغم علمى ان الخطأ فات على جمهرة القراء ، فلم ينتبه اليه الا القلة المتخصصة من ذوى الدراية بعلوم الحديث ، ومنهجه الدقيق فى الرواية والاداء ، وفى التجريح والتعديل

وهو منهج جدير بأن يعرفه كل مثقف منا ، ليرى الى اى حد بلغت دقة علمائنا — منذ قرون — وتحريهم وتحرجهم فى رواية الحديث ، حرصا منهم على هذا المصدر الاصيل من مصادر الشريعة الاسلامية ".

ونحن نردد بين حين وآخر :

★ وما آفة الاخبار الا رواتها ★

وهذا المنهج ، يقينا تلك الآفة ، ويضبط رواية الخبر ، ويروض تفكيرنا والسنتنا واقلامنا ، على الضبط والامانة ..

ولقد كان علماؤنا ، حريصين على الخبر او الحديث يأتى بأسانيد عدة ، ويرويه جماعة ثقاة عدول ، يؤمن تواطؤهم على الكذب .

اما الخبر الذى ينفرد واحد بروايته، فاختلفوا فيه ، قيل : يوجب العمل دون علم اليقين . وقيل لا يوجب علما ولا عملا ، كما جاء بكتاب التلويح على التوضيح

وقال الآمدى فى « الاحكام فى اصول الاحكام » : « والمختار فى خبر الواحد ؛ حصول العلم بخبره اذا احتفت به القرائن ويمتنع ذلك عادة دون القرائن .. وذهب الباقون الى انه لا يفيد العلم اليقينى مطلقا ، لا بقرينة ولا بغير قرينة »

اما «ابن حزم» فقال فى كتابه «الاحكام» ان « الحنفية » والشافعية ، وجمهور المالكية ، وجميع المعتزلة ، والخوارج ، قالوا ان خبر الواحد لا يوجب العلم ، ومعنى هذا عند جميعهم انه قد يمكن ان يكون كذبا او موهوما فيه .)).

وانا اكتب هذا الكلام ، اريد به ان الفت الى دقة علماء الحديث فى الرواية وما ازال — مع هذا — فى شك من انى جلوت موقفهم من ((خبر الواحد)) لعامة المثقفين ، ولا بد ان نبهم من يقرأ هذا الكلام ويتساءل : ما هذه الرموز والالغاز!

وما ذاك الا لاننا نشكو عزلة المثقفين عما لايدخل مباشرة ، فى صميم اختصاصهم وهى قضية هذا المقال .

وقد سبقنى استاذنا ((الدكتور عبدالعزيز السيد : مدير جامعة الاسكندرية)) فعالج هذه القضية فى محاضرة له عن « الجامعة والثقافة » القاها فى الجامعة الليبية ، فى شهر مايو الماضى .

ونبها شكا مر الشكوى ، من مشكلة النسق الثقافى للجامعيين فى العصر الحاضر وقد تناول المشكلة فى عمق ، من ناحية عزلة طلاب الدراسات الادبية عن الثقافة العلمية ، وعزلة اصحاب الدراسة العلمية عن الثقافة الادبية .

واخطر من هذا ، دلالة على المشكلة فى رايى ، هو مانشهده من عزلة اصحاب الدراسات الادبية ، بعضهم عن بعض ، وكذلك الحال عند دارسى العلوم .

يعنى الكلية الواحدة من كليات الجامعة نرى دارسى التاريخ مثلا ، لا يتصورون بحال ما ، ان الادب مادة تاريخية ، تقدم لهم التفسير الادبى للتاريخ ، وتسجل وقع احداثه على وجدان المجتمع ممثلا فى ذوى الوجدان المرهف والحس اليقظ ...

التاريخ: ٤ / ٨ / ١٩٦١



عبد العزيز السيد

الدرس الادبي، واصحاب الدرس العلمي!

ولقد رأى الاستاذ الدكتور ، ان التخصص العلمي الضيق ، يمكن ان يكون سبب الازمة ، وراح يسجل ، اخطار هذا التخصص على الثقافة عندما يضيق !

وليس الاستاذ الجليل من اعداء التخصص العلمي، بل انه ليؤكد ((ان هذا التخصص ضرورة حتمها تقدم العلم ، وينبغي ان يبقى ، وينبغي أن يزيد)) ولكنه في الوقت نفسه يرى ((انه اضعف التربية والثقافة ونجمت عنه اخطار كثيرة)) بما ضيق من افق الدارسين، وعزلهم عن الآفاق الرحبة للثقافة الانسانية العامة .

وكان في حديثه عن تلك الاخطار ، قوى الحجة، مسلحا بالبراهين والاسانيد، الى درجة اخشى معها ان يظن ظان، متعجلا انا لا نعترف بضرورة التخصص الى ابعد مدى

ودارسو الجغرافيا ، يرصدون الاثر الاقليمي ، في الزراعة والصناعة وما اليها لكنهم قلما يتكرون في هذا الاثر على الامزجة والطباع والعادات والاعراف والتقاليد، ويلتمسون في ((الادب)) الشواهد على هذا كله بل قلما يتجهون الى ما للجغرافية الاقليم من نور في توجيه حياته السياسية، وصنع تاريخه !

وافتحوا اكثر كتب «علم النفس» مما يدرس في الجامعات ، وانا واثق انكم لن تجدوا فيها بيت شعر واحدا ، شاهدا على نظرية في علم النفس ، او اشارة الى اديب من الادباء ، في عرض مذهب من هذا العلم او قضية من قضاياه ..

ولو سألت العالم النفساني عن الادب الذي هو « مرآة نفس» وتعبير عن وجدان وصدى عواطف ، وترجمة عن عوالم نفسية، ومعرض لاهواء البشرية ومشاعرها، لو سألته عن شيء من هذا الادب لتبسم ضاحكا من سؤالك ، دون ان يقدر ان الادب ، مادة اصيلة خصبة، لعلم النفس ، تقدم له الشواهد والادلة ، وتهديه الى ادق المقاييس والاحكام ...

بل لماذا لا اقول ، انه في القسم الواحد من اقسام الكلية، وليكن قسم اللغة العربية مثلا ، من لا يعنيه امر النحو والصرف لان سيادته متخصص في الادب !.

كأنما يمكن فهم نص ادبي ، قبل اقامته لغويا وتوجيهه اعرابيا !

وقد يعترض له خبر ادبي ، مروي بالاسناد على طريقة رجال الحديث فيعنى بالاسناد من الكرام ، لان الادب متعدد

اما انا، فما زادني منطق الاستاذ الدكتور، الا اقتناعا بأن التخصص العلمي مهما يبلغ من الضيق لا ذنب له ، في هذا

التاريخ: ٤ / ٨ / ١٩٦١

الذى يشكو ونشكو معه : فالتخصص مرحلة اخيرة ، يصل اليها العلماء بعد ان يمروا بمراحل ثقافية ، وخطوات فى الدرس والبحث ، تتناهى دقة وعمقا حتى تدرك فقه المادة وسر العلم ، عن ادراك شامل ، ووعى ثاقب .

وبقدر ما يعمق التخصص ويدق ، يكون ثمرة ناضجة لثقافات شتى ، وخبرات عديدة ، واتصال بالمعرفة فى ارحب آفاقها ، او هو النبع الذى تغذيه روافد ثقافية مختلفة ، وتصب فيه تيارات المعارف متصلة باتم وعى وادراك ..

ولكنها يجنى على الثقافة ، ويسال عن ازمة العزلة ومشكلة الفقر فيها ، ان التخصص عندنا ، ليس غالبا كذلك ، بل كثيرا ما يكون وثبة عضلية الى القمة دون تدرج على سفوح المعرفة ..

وغطسة هاوية الى القاع ، لا نفاذا الى العمق ..

وتسلقا لجدران الحرم العلمى ، على اكتاف الاهواء وسلم الوصولية ..

وانتهابا للثمرة ، فجة مبتورة من فروعها وجذورها ، قبل ان يتاح لها اى حظ من الانضاج ..

وتلك هى عقدة الازمة :

عقدة لا يحلها ان نسأل التخصص عن فقرنا الثقافى وعزلتنا الفكرية ، وانما يحلها مزيد من التخصص الدقيق ، ومعالجة عقده وامراضه ، وضبط فوضى ادعائه

واذ ذاك لن يقول استاذ الادب لطلابه انه لا شأن له بالنحو والصرف ، والقرآن والحديث ، والجغرافيا والتاريخ ، والفلسفة والاجتماع ..

ولن يقول اساتذة التاريخ والجغرافيا وعلم النفس : مالنا وللادب !

بل لن يقول استاذ الهندسة ، او الطب او الزراعة ، انه لا شأن له بلغة قومه وتاريخ امته ، وطبيعة مجتمعه !

وحتى سلم لنا الاستاذ تسلم الطلاب

ولم يصدمنا الواقع المر ، الذى جعل الاستاذ الدكتور عبد العزيز السيد يقول:

« لا استطيع ان اتصور متخرجا فى الجامعة ، يدعى انه متعلم او مثقف ، ويكون لعلم علم بعلاقة علمه بالعلوم الاخرى ، او باثر علمه فى الحضارة ، او بتأثيره فى الحياة الاجتماعية ، او بالقضايا الكبرى للعلم نفسه فى الوقت الحاضر »

وحتى صحت البيئة الجامعية ، صحت حياتنا الثقافية .

وتحطمت اسوار العزلة الفكرية ، التى تجعل المثقفين منا ، فيما بينهم ، غرباء !

التاريخ: ١١ / ٨ / ١٩٦١

قضايا نقدية

الكتاب وعنوانه



محمد كامل حسين



عباس محمود العقاد



ابراهيم المصرى

ليست هذه اول مرة اتعرض فيها لقضية العنوان حين لا يدل على الكتاب .

ففى خصومتى النقدية للاستاذ العقاد ، انكرت عليه ان يضع ((المرأة فى القرآن الكريم)) عنوانا لكتاب عن ((المرأة فى كتب العقاد)) .

بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ

وعندما قرأت كتابا للاستاذ ابراهيم المصرى بعنوان « وثبة الاسلام » وددت لو انه لم يضع هذا العنوان الكبير المرهم على مجموعة قصص من الشرق والغرب ، اكثرها لا يمت للاسلام وثبته بصلة ..

ومنذ بضع سنين ، اثرت على صفحات الاهـرام معركة نقدية عن «معجم تهذيب الصحاح للزنجانى» الذى حققه الاستاذان عبد السلام هارون وعبد الغفور عطار ، وكما فى مقدمته انه «عن نسخة خطية فريدة فى انحاء العالم اجمع» فانكرت هذه الدعوى الجريئة ؛ ثم لما احتدمت المعركة بينى وبين الاستاذين ، عثرت فى دار الكتب بالقاهرة على مخطوط من معجم الزنجانى لم يسمع به الاستاذان فكانت المفاجأة الاليمة ان وجدت المعجم فى الاصل يحمل عنوان «مختصر الصحاح» وليس «تهذيب الصحاح» الذى تطوع الاستاذان بوضعه عنوانا للمعجم ، حين لم يجدا عنوانا على نسختهما «الفريدة الوحيدة فى مكتبات العالم اجمع» فاختارا له عنوانا بكل بساطة وتساهل ، لمشهور مخطوط اخر بعنوان ، منه ويمن عنوانيهما ما بين «الاختصار والتهذيب» من بون شاسع وفرق بعيد ..

واليوم اتعرض للتجربة من واد اخر فى كتاب «متنوعات» الذى ظهر حديثا ، لاستاذنا الشيخ الاديب «الدكتور محمد كامل حسين».

وكنت لهذا العنوان كارهة ، منذ قرأت الجزء الاول من «متنوعات» الدكتور ، وقد ظهر قبل «قرية ظالمة».

كرهته ، لما يوحى به من توزع وتشتت ، ولاقترانه الذهنى ببرامج «المنوعـــات» الاذاعية ، وبعناوين شبيهة به ، لمؤلفين يعرضون فى كتبهم بضاعة من كل صنف ، ويطرقون كل موضوع ، ويقدمون لنا مقتطفات من شتى مطالعاتهم ومقتبساتهم ، وليس منهم اديبنا العالم الذى بلغ اوج الاصالة فكرا وادبا ..

ولقد سمعته مرة يدافع عن متنوعاته ، بمتنوعات للكاتب الفرنسى «بول فاليرى» لكن لعل دلالتها فى بيئة فاليرى وعصره ، غير دلالتها فى زمننا وبيئتنا ، بعد ان اشتهرت برامج المنوعات ، وغصت المكتبة بمؤلفات لاصحاب الفن منى !

والاصل فى العنوان ان يدل على الكتاب وفى الجديد من «متنوعات» الدكتور كامل حسين ثلاث دراسات قرآنية : معنى الظلم فى القرآن ، والتفسير العلمى بدعة حمقاء ، وقصة آدم !

وخطبتان : احداهما مجمعية عن الحياة الفكرية فى مصر الحديثة ، والاخرى فى عيد العلم .

واربعة بحوث ادبية موجزة ، فى اسلوب المعرى ودلالته ، وادب الهجاء والفرزدق ، والنابغة الذبيانى .

وثلاث مقالات علمية ، فى اللغة والعلوم والبحث العلمى ، والمصطلحات العلمية .

واربعة عشر مقالا فى اللغة : اصول علومها ، ونحوها ، وصرفها ، ومعجماتها ومعجمها الحديث ..

وهى — كما يبدو — متنوعة شتى ، يمكن ان يدل عليها عنوان الكتاب ، بحيث يعذر لى تساؤلنا : لماذا لم يفرد كل جانب من هذه البحوث والمقالات ، فى كتاب مستقل ، بدلا من ان يحشدها فى كتاب واحد !

وقد مر هذا التساؤل بخاطرى ، عندما طالعت « فهرست الموضوعات » ثم لما قرأت الكتاب كله قراءة واعية ، ادركت الصلة الوثيقة التى تؤلف بين شتى موضوعاته الى حد يجعل عنوانه غير دال عليه ..

فهى على اختلافها ، تصدر عن فكرة واحدة تعلق بها الكاتب من قديم ، ولم يغير الزمن من تعلقه بها شيئا ..

وهى على تنوعها ، تشق طريقا واحدا

التاريخ: ١١ / ٨ / ١٩٦١

الذابل والحطب اليابس ، وكان قديما ، ثمارا ناضجة واوراقا باسمة واغصانا تنبض بالحياة ، ثم اصابها الجدب فاصبحت هشيما متراكما .. »

« ولن يكون احياؤنا للحياة الفكرية ، بتعهد هذا الذبول كله ، مهما يبذل في ذلك من جهد : فالمومياء لا تحيا بحقنها دما حيا ، والغصن اليابس لا تحييه التطرية والزرع الذي ينبت في مثل هذه الارض ، يختنق تحت ذلك اليبس الثقيل ، انما تبعث الحياة في التراث القديم ، اذا انبتناه جديدا ، ولا يكون ذلك الا بالخلاص من هذه الاثار اليابسة ، ثم نحرث الارض ونرويها ، ونزرع فيها بذور الثمار القديمة وما نضيفه اليها من بذور جديدة ، فتخرج لنا منها جنة من الفكر الحي ، مورقة يانعة مثمرة . وسبيل المحافظة على القديم ان ننبته من جديد ، لا ان نحيي مامات منه ، على ان يشمل ذلك كل نواحي التفكير ، فنتناول الثقافة كلها ، الادب والعلوم بل التفسير وشروح الحديث ، بجديد من الانبات » .

وما في الكتاب ، ليس الا نماذج لمحاولات في هذا الانبات الجديد لتراثنا الفكري القديم ، على تنوع آفاته ..

ولو شاء الاستاذ الدكتور ، لاختار لكتابه عنوانا لافتا الى هذه النظرية ، ودالا عليها ...

لكن ابى عليه ذلك ، تواضع فيه من اسمات العلماء ، وزهد في الضجيج والبريق والاعلان .

وبكل بساطة ، وضع « متنوعات على كتابه » ..

ولولا انني اعرفه ، لظننت انه يريد بهذا ، ان يلقننا درسا في التواضع ويلفتنا الى تفاهة الغرور الذي يضع العنوان البراق ، على بضاعة رخيصة كما يفعل بعض التجار ، ترويجا للبضاعة



وفي اخبار الادب من الغرب ، ان ناشرا باريسيا صرح بأنه لا يعنيه من الكتاب الا عنوانه المثير ، اما مادته وموضوعه ، فلا حساب لهما عنده ، ولا وزن لها في تقديره !

ترى ماذا يكون رأيه في « متنوعات » اديبنا المفكر ، الدكتور محمد كامل حسين ؟

وكم تبلغ « متنوعات » الكاتب الفرنسي بول فاليري ، في موازينه التي لا يعنيها غير العنوان المثير ؟

وبعد فما كتبت اليوم عن « متنوعات » الا في حدود العنوان ، اما القضايا التي عرض لها استاذنا الجليل ، والموضوعات التي تناولها بانبات جديد ، ففيها ما هو موضع نظر ، وفيها مجال لمناقشة نقدية ، تختلف فيها الاراء ، وذلك ما ارجو ان يتاح لي في فرصة قريبة ان شاء الله .

التاريخ: ١٨ / ٨ / ١٩٦١

قضايا نقدية

حرمة التخصص

• أسرار الحكمة الإلهية واسم الرب وصفة الخالق
• مع البلاستوسيت والتروفوبلاست وبويضة القرود !
• في تفسير للقرآن الكريم يؤلفه بكالوريوس في التربية !

بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ

تلفضل «السيد م . جمال الدين عياد بكالوريوس في التربية من الجامعة الامريكية» فاهدى الى منذ اشهر ، كتابا عنوانه (بحوث في تفسير القرآن : سورة العلق)

وكان اول ما لفتني منه ، ان السيد المؤلف حرص على ان يطبع اسمه على غلاف الكتاب ، على الطريقة الغربية «م . جمال الدين» وكذلك فعل ، في توقيعه على عبارة الاهداء .

وذلك تقليد غير مألوف لنا معشر العرب وما ازال حتى الساعة اجهل الاسم الحقيقي للمؤلف ، بين عشرات الاسماء العربية التي تبدأ بحرف الميم .

وتركتها تفوت ..

وسألت السيد (م) : اين ، وكيف ، وعلى اي استاذ ؟. تلقى دراسته في البحوث القرآنية والتفسير ؟

تلقتت منه ؟ إذاته تلقاها في الجامعة الامريكية بالقاهرة ،، على «الدكتور محمد النويهي استاذ الادب العربي بها »

والدكتور الاستاذ ، كان زميلا لي في الدراسة طوال المرحلة الجامعية الاولى وقد نلنا معا درجة ليسانس الاداب من قسم اللغة العربية ، ثم تفرقت بنا السبل ، منذ سافر الى لندن مدرسا للغة العربية ، ونال هناك درجة الدكتوراه في الادب العربي ، ثم اشتغل استاذا لهذا الادب في كلية غوردون بالسودان ثم في الجامعة الامريكية بالقاهرة .

اقول هذا ، لانى في حاجة الى التعريف بالأستاذ الذى وجه «السيد م . جمال الدين» الى هذه البحوث القرآنية ، ودربه على التفسير

واقوله ، لانى في حاجة اليه ايضا ، عندما اناقش قضية التخصص العلمي في كتاب اليوم ، واتحدث عما يجوز وما لا يجوز لامثالنا ، تناوله من الدراسات القرآنية .

فمبلغ علمي ، ان دراستنا للقرآن الكريم في الجامعة ، لا تبيح لنا ان نتناوله الا في نطاق تخصصنا الادبى ، من حيث هو نص بياني معجز .

وهذا ما تصورت ان «السيد م . جمال الدين» اشتغل به في تفسيره لسورة العلق ..

اما الخوض في اسرار حكمته تعالى واسم الرب ، وكونه بمنزلة الاصل من صفاته سبحانه .. فما ظننت ان «السيد م.» يتعرض لها، على غير فقه ودراية ودراسة متخصصة لعلوم : التوحيد والاصول ، والكلام ..

ذلك لان هذا المجال ، ليس مما يسمح به لغير اهله

وليس «السيد م» منهم ، وكل حصيلته من اللغة بها ، ثقافة قرآنية تلقاها وهو يدرس الاداب ويتخصص في التربية بالجامعة الامريكية .

بل ليس منهم كذلك ، استاذه ومعلمه زميلي الدكتور النويهي ، الذى تلقى ثقافته القرآنية في مرحلة الليسانس ، ثم تخصص في الادب العربي في لندن واشتغل استاذا له في كلية غوردون والجامعة الامريكية ..

انما الذى يجوز لنا ، اصحاب الدرس الادبى ، هو الاشتغال بالقرآن الكريم نصا ادبيا بيانيا ، دون ان نتجاوز هذا الى تلك المباحث الاصولية التى تعرض لها السيد المؤلف ، من مثل :

الامر بالقراءة ايذان بالنبوة لا بالرسالة
والإيذان بالنبوة تمهيد للرسالة .
والقصد من القراءة باسم الرب .
والحكمة في ذكر اسم الرب دون صفات الله : الذاتية ،والفعلية

واسم الرب بمنزلة الاصل من الصفات
والحكمة في ورود صفة الخلق بعد صفة الربوبية .

والخلق اول التربية .

وهو صفة مميزة للرب ! .

وهي مباحث دقيقة ، لا اجرؤ على التعرض لها والتأليف فيها ، كما فعل السيد م. جمال الدين ،البكالوريوس في التربية من الجامعة الامريكية

مع انى تلقيت دراستى الاولى لعلوم العربية والقرآن ، في بيئة دينية ، على والدى الشيخ ، وزملاء له من علماء الازهر ..

وغاية ما اطمح اليه ، بعد تخصصى في النص الادبى ، ان اشتغل بالتفسير البياني للقرآن الكريم ، لا بأسرار الحكمة واسم الرب ، وصفاته تعالى الاسمية والفعلية !

واخرى، لا تقل عن هذا غرابة ونكرا !

اراد «السيد م . جمال الدين» ان يفسر آية العلق :« خلق الانسان من علق » فبدأ يتكلم فيما ليس من شانه : من

التاريخ: ١٨ / ٨ / ١٩٦١

الحكمة فى خلق الانسان ، وخصه بالذكر فى الاية ، دون سائر المخلوقات

ثم كانت المفاجأة !

انتقل السيد الى صميم المجال العلمى لمضى يبحث فى ((علم الاجنة)) ويشرح لنا البلاستوسيت ، والنطفة ، والعلقة ، وملوق الجنين بجدار الرحم ، ووصوله الى فراغ الرحم ، واطوار تخلقه ، وتركيب النطفة والمضغة والعلقة ، وتركيب الدم السائل والدم الجامد !

واستغرق هذا البحث فى علم الاجنة اكثر من عشرين صفحة ، وجىء معه برسوم وصور واشكال ، مرضحة للبلاستوسيت ، والتروفوبلاست ، ومجموعة الخلايا المركزية ، والبويضة من وقت انطلاقها من المبيض الى مرحلة الغوص فى جدار الرحم ، والتسوتة !، والمضغة فى مراحل التخلق الاولى ، وانقسام البويضة الملقحة فى فصيلة القرود !

وحددت هذه الرسوم والصور والاشكال ، بالاعمار والاطوال ، الى اجزاء المليمتر ، ونسبة التكبير فى الرسم !

وكانت مراجع السيد المؤلف فى هذا كتب علماء الاجنة ، والتشريح ، والطبيعة من امثال وود ورث ، وهاملتون ، وبويد وهيومان ، وماركيز ، وموسمان ، وباكستر !

فمن قال يا سيد م. جمال الدين ، ان لك او لسواك من دارسى الادب والتربية ، ان يتعرض لمثل هذه البحوث العلمية ، ويشرحها ويفسرها ، ويوضحها بالرسوم ، ويحددها بالاطوال ، ويستخدمها فى توجيه النص القرآنى ؟

من قال يا سيد ، ان لك او لسواك ممن لم يتخصصوا فى العلم ، ان يقرأ هذه المراجع العلمية الدقيقة ، وينقل منها ، ويستشهد بها ، ويدخلها عنصرا فى الدرس الادبى ؟

وماذا يصنع امثالنا المشتغلون بالدراسة القرآنية ، اذا لم يكن لهم ادنى فقه بعلم الاجنة ، ولم يدخلوا فى حياتهم قاعة تشريح ، ولا حضروا يوما درسا فى الطب ولا قرأوا صفحة من كتبه ، على عالم متخصص ؟ !

ولا اناقش هنا منهج السيد م. جمال الدين فى توجيه النص القرآنى ، توجيها يقحمه فى صميم البحث العلمى ، ويجعل من مراجعه كتب هاملتون وموسمان وبويد ، وما لا ادرى من اسماء !

ذلك لان المسألة فى هذا ، اخطر من ان تتناول فى سرعة وادق من ان تجلى فى مقال . كل الذى اردته بمقالى اليوم ان الفت الى حرمة التخصص ، حتى يعرف تلاميذنا موضعهم ، فلا يتعرضوا لغير ما يفقهون ، ولا يتورطوا فيما ليس لهم به علم ، ويتجاوزوا ما يحسنون الى ما لا يحسنون !

التاريخ: ٢٥ / ٨ / ١٩٦١



رحلة سندباد مصرى

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

العالم الفنان «الدكتور حسين فوزى» شد رحاله منذ أعوام، لنطاق بآفاق من الدنيا، مزودا بريشة الرسام وعقل المفكر وحس الموسيقى، ثم آب من رحلته تلك، فروى حديث « سندباد مصرى » كما آب السندباد القديم من رحلاته المشهورة، التى كانت سمر « شهرزاد » فى بعض لياليها الالف والواحدة

واليوم، يعود سندبادنا من رحلة له، استغرقت الاف الاعوام، لا الليالى والايام، سار فيها مع تاريخ مصر الطويل، وخاض غمار الاحداث الضخام التى شهدتها الارض الطيبة على تتابع العصور وتعاقب الاجيال.

ولم يتزود لرحلته هذه، بحس الفنان وعقل المفكر فحسب، وانما كان معه كذلك، وجدان مصرى مؤمن ببلده وشعبه العريق، فخور بعراقة اصله، معتز بماض له فى الحضارة والتاريخ، عمره ستة آلاف من السنين !.

وكان معه فى رحلته، عدد من الادلاء، مؤرخين ورحالة، من يونان ورومان، ومن عرب ومستعربين ..

التاريخ: ٢٥ / ٨ / ١٩٦١

وقد صحبهم السندباد المصرى وهم يعبرون به تاريخ مصر ،ويغيرون في اعماق الزمن ،ثم آب من رحلته تلك المطولة المجهدة ،يروى حديث « سندباد مصرى » عاش كل هاتيك الاحداث ،باعصابه وفكره ووجدانه ،وبكل خفقة من خفقات مشاعره ونبضة من نبضات قلبه

لكن كيف رسم خط السير في رحلته العجيبة ؟.

انه يبدأ من النهاية ...

من لحظة بعينها، دوى فيها نداء البعث، من نفير الثوار الاحرار، في ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ،معلنا ان فجرا جديداً قد طلع في التاريخ المصرى ..

وفي نور هذا الفجر، بدأ سندباد رحلته، موغلا في اعماق الماضي، متنقلا ما بين مصر العربية الحديثة ومصر الفرعونية في ثلاث مراحل :

الظلام ،الذى ران على مصر، ابتداء من الغزو العثماني الى اسرة محمد على التي تشعبت شجرتها في الارض الطيبة ، تثمر الحنظل، وتنضح المر، وتجثم ظلالها الغبراء على الوادى، اشبه بأذرع سوداء ، لاخطبوط مارد سام

الخيط الابيض والخيط الاسود، حكاية الف عام من تاريخ مصر الاسلامية، كل امجادها الكبار، واحداثها الجسام، ومشاهد النضال القومى ،على ساحة البلد الطيب العريق -

ثم الضياء: يلوح من اعماق الماضي البعيد كاشفا عن اعرق حضارة عرفها التاريخ منذ كان، وعن اصل شعب استقر قديما في الوادى الاخضر ،يزرع الحياة ، ويبنى التاريخ ، ويصنع المدنية ، وينشئ للانسانية طريقها في فجر الزمان ...

هل قرأ « سندباد مصر » كل الكتب التى ارخت لوطنه، خلال تلك الالاف من السنين ،ثم جاء يلخصها لنا في كتاب واحد؟

كلا .. فما هو بمؤرخ ولا ملخص تاريخ! ولو كان قد فعل ،لقلنا له: ان كتابة «موجز لتاريخ مصر » عمل مدرسى ،يقدمه معلمو التاريخ لتلاميذهم في حلقات متتابعة ،ولست من معلمى التاريخ !.

فهل هو « كتاب ادب محض » ؟.

الدكتور فوزى يحسبه كذلك ،ولكنا لا نرى فيه من الادب، الا الانفعال الوجدانى الذى لايفقد سيطرته على الكتاب من اوله الى آخره ،أما الاداء فليس له الطابع الادبى الذى يصوغ الاخبار والافكار والمعانى صياغة بيانية، ويتناول الاحداث والواقعات ، فينقلها من جوها المادى الواقعى، لتبدو جديدة مبتدعة ، تقدم التفسير الادبى للواقع التاريخى ،وتعكس صدى الاحداث في المشاعر ،دون ان تروى شيئا من تلك الاحداث ...

فأى شيء اذن، هذا الكتاب لسندباد مصرى ؟.

من العسير ان تحدد موضعه في فنون الكتابة التى تعارفنا عليها، فلقد تمر بك صفحات ،لا تسمع فيها الا اصوات رواة التاريخ وشهود الاحداث ،وتمر اخرى ، تحس معها انك تتفرج على مسرحية تتعاقب فصولا ومشاهد ،ثم تجيء من بعدها، صفحات وصفحات ،تصغى فيها الى قصاص بارع ،يروى احدوثة مثيرة من اعاجيب الزمان ... وربما عرضت لك بين حين وآخر ، مواقف يتناهى اليك فيها من بعيد، نغم قيثار شجى، يرجع انشودة حزينة لمأساة شعب ومحنة وطن ...

هو اذن ، نوع مبتدع غير مألوف ، من فنون الكتابة والتأليف ،يأخذ من التاريخ ما يختار لمادته ،ويأخذ من الادب عمق المعاناة الوجدانية ،ومن المسرح او السينما تقنية الاخراج ،ومن الموسيقى جرس الايقاع وصليل المعارك ،وهدير الاحداث المتلاطمة في الخضم الهائل ،ومن التصوير سر اللقطة وانتقاء الزاوية ،وشفافية العدسة . ومن العلم فكره الثاقب وبصيرته الناقدة. ثم يحشد هذا كله في قصة لا كثيرها من القصص، او لعلها اقرب الى ان تكون ملحمة من نوع جديد غير معروف لنا، وان كانت تذكرني - مع الفارق - بملحمة «لوزيادا Lusiades» التى كتبها «الشاعر البرتغالى كامونس F. Camoëns »

وروى فيها قصة تاريخ بلاده « لوزيتانيا » - البرتغال - وتغنى بامجادها ،وبخاصة اكتشاف فاسكو داجاما لطريق البحر الكبير، استدارة حول راس الرجاء الصالح وهي ملحمة ادبية الاسلوب ، شعرية المعانى ،بخلاف ملحمة سندبادنا المصرى، التى يشق علينا اعتبارها ادبا محضا

ملحمة بطلها : الشعب المصرى ، باجياله المتتابعة على مسار الزمن ،جيلا بعد جيل

وزمانها: ستة الاف سنة، من عهد الفراعنة الاقدمين ،الى ثورة يوليو ١٩٥٢ التى تفجرت بايدى ابناء البلد، من الصعايدة والفلاحين ،صرعى طغيان آثم، طالما، لمدى قرون

ومسرحها: هذا الوادى الطيب المبارك، من اقصاه في الصعيد الاعلى، الى ادناه على ساحل البحر المتوسط

ومرجعها: ضمير الزمن ،وذاكرة التاريخ الواعية ..

وراويها : هذا الشعب نفسه ،ممثلا في واحد من ابنائه ،مرهف الحس يقظ الوجدان ناضج الفكر، عاش تاريخ أمته ، وقطع الشوط الطويل المرهق عبر ليل حالك الظلمة ،لكى يصل الى منابع الضياء، من حضارتنا الفرعونية ،وامجادنا العربية والاسلامية ،مجلوة في نور فجرنا الجديد.

ولا يسأل « السندباد المصرى » عما اخذ من التاريخ وما ترك ،ولا عن مدى تصرفه في النصوص وتوجيهه للاحداث ، فقد نفى عن نفسه منذ البداية صفة المؤرخ ،كى يكون له استقلاله في فهم التاريخ ،وحريته فيما يختار لصحبته من ادلاء ومؤرخين ..

ولعله لا يسأل كذلك ، عن طريقته في الرحلة ،واسلوبه في روايتها فقد اختار بنفسه الطريق، ثم جاء يروى حكاية وطنه وشعبه ،كما تمثلها في وجدانه المرهف ، ووعاها ذهنه البصير

التاريخ : ٨ / ٩ / ١٩٦١

رحلة صيف [١]

ثقافتنا.. وجيراننا

« إذا لم يكن اتصالنا الفكري بقبرص ، ضرورة تقتضيها كرامتنا الثقافية ، وحاجة يفرضها وعينا لتاريخنا نفسه ، فليكن استجابة لما يربطنا من جوار وقربى ، وتلبية لدواعي الود المتبادل ، الذي ازدهر في معارك التحرير ، وأثبتت الأيام مدى حاجتنا إليه لتأمين مصير متشابه ، ومصالح مشتركة » .



بقلم الدكتورة

بنت الشاطئ

من نيقوسيا : لم أشعر بوحشة الغربة حين ألقت الباخرة مراسيها تحت ساحل ليماسول ، وحملتنا الزوارق الخارجية فنقلتنا إلى أرض الجزيرة العربية التي لم أكن رأيتها من قبل . لقد خيل لي ، والرحلة إليها من الإسكندرية لم تستغرق غير ليلة واحدة وبعض ساعات من نهار ، أنني أستطيع أن ألمح بلادي على أقصى مرمى البصر ، كما استقبلت الجنوب ، وتلفت القلب نحو الديار الشماليات ..

وطالعتنا هنا وجوه تحمل سمات شرقية ، وصافحت آذاننا كلمات عربية فتحت قلوبنا لهذه الجزيرة التي ربطتنا بها من قديم وشائج القربى وصلات الجوار .

وعلى مقربة من الميناء ، كان « المسجد » أول بناء حطت عليه أبصارنا ، ومن حوله قامت متاجر تحمل أسماء عربية صميمة وإن كتبت بحروف غير عربية ، وبدا الطابع الشرقي مسيطرًا على الحي القريب من الميناء ، كأن لم تمسسه يد أجنبية ، ولا جاست خلاله أقدام الغرباء الذين احتلوا الجزيرة لمدى قرون ..

ومن الفندق المطل على البحر ، أتيح لنا أن نطول رغم حرارة الجو ورطوبته ، كأنما كان يؤنسنا أن نطل صباح مساء ، على هذه الأمواه التي تصلنا بوطننا وتحملنا منه في آن . وعلى سطحها الخافق المتموج ، لاحت لنا رؤى ماض بعيد ، ذهب وبقيت ذكراه في رواية البحر الخالد ، الذي لبث طوال الآلاف من السنين ، يشهد جموع الوافدين إلى الجزيرة من شتى الأجناس ومختلف البقاع ، ويرصد وقع خطواتهم على سواحلها وجبالها ، ثم يلقاهم عائدين منها ، قد أمتعت عليهم صخورها العنيدة ، ورددتهم آخر الأمر من حيث جاءوا ..

ومع ذلك المدينة ألمس آثار تاريخها الطويل الذي امتد أكثر من خمسة آلاف سنة ، فإذا الشواهد قائمة في كل مكان : في المسجد والكنيسة والدير ، في الملامح والسمات والألسن ، في المتحف وفي السوق في المقاهي والأزياء ، في لهجات الحديث وأساليب العيش ، مما يؤكد أن الجزيرة استقبلت روائد حضارية من الفراعنة والعرب والترك ، ومن الإغريق والرومان ، والتقت فيها تيارات شتى من شرق وغرب ، فكان لها من هذا كله طابع فريد ، يعكس سمات الزمن وأصداء التاريخ .

إذ ذاك تنبهت لثغرة في ثقافتنا العامة ، فلقد جئت الجزيرة وعلمي بتاريخها ضئيل محدود ، ربما كان أكثره من مطالعاتي الخاصة لا من الثقافة المدرسية . وليس يغيب عن بالي ، أنني لم أدخل — في مرحلة تعليمي — مدرسة ابتدائية وثانوية لكني حين تقدمت لامتحاناتهما العامة ، لم أكن مطالبة بأن أدرك من ذلك أي قدر قل أو كثر . والغالب ظني أن عامة المتعلمين منا ، ينهون دراستهم العالية دون أن يتاح لهم أيسر حظ من الثقافة القبرصية ، حتى هذا الذي يتصل منها بتاريخنا أوثق اتصال :

نحن ندرس مصر الفرعونية ، دون أن ننتبه إلى أن قبرص بدأت مدخل التاريخ المكتوب — باسم ألاسيا — متاخمة في الأسر الطورية المصرية أيام تحوتمس الثالث وأن نضالًا مريرًا قام بين المصريين وبين الآشوريين والفرس ، لتأمين سلامة مصر من أن يتخذ أعداؤها من هذه الجزيرة قاعدة للعدوان عليها .

ونحن نقرأ تاريخ العرب ، دون أن يستوقفنا انطلاق أجدادنا إلى هذه الجزيرة استكمالًا لحركة الفتح الكبرى ، وتأمينًا لها من وثبة الروم بعد أن قاموا في الحرب بينهم وبين العرب ..

ونقرأ تاريخ الحروب الصليبية ، دون عناية بالدور الخطير الذي كان لقبرص فيها ، حيث احتلها « ريتشارد : قلب الأسد » عام ١١٩١ ليتخذ منها مركز الوثوب على العروبة والإسلام في الحملة الصليبية الثالثة . كما نقرأ تاريخ مصر العثمانية ، دون أن نتصل بتلك الجارة التي خضعت لسلطان تركيا من عام ١٥٧١ ، إلى أن عاد الإنجليز — بعد سبعمائة عام من احتلالهم الأول لها — فاحتلوها لنفس الغرض الذي من أجله احتلها ريتشارد ، وصيروها مستعمرة من مستعمرات التاج البريطاني عام ١٩٢٥ ، لتكون قاعدة عسكرية لهم ، في استعمارهم للشرق الأوسط .

إلى هذا المدى ، اتصلت الأسباب بيننا وبين قبرص على مسار الزمن ، وإلى ذلك الحد ، ارتبطت مصائرنا على مدار التاريخ فكيف نقلت ثقافتنا بمعزل عن جارتنا ، وبيننا وبينها كل هاتيك الصلات !

ونحن نسأل القوم هنا ، من مثقفيهم عن ماضي تاريخنا ، أجد الحال عندهم شبيهة بالحال عندنا : فلقد حرص المستعمرون على أن يعزلوهم ثقافيًا عن جارتهم القريبة ، وظلوا طوال عصور الاحتلال الآثم ساهرين على حماية هذه العزلة ، وفرضوا عليهم كما فرضوا علينا — كتبًا تاريخية مدرسية مكرورة بأعلام المستعمرين وأمثالهم ، وفيها طوى ما طوي من ماضينا المشترك ، وبتر ما بتر من أمجاد كفاحنا القومي المتشابه ، وشوه ما شوه من مواقف جمعتنا على متطلبات الجوار ، ودواعي تشابه المصير ، وتبادل المصالح .

***

والآن وقد انجاب عنا — كلما — ظلمات الاستعمار ، ان لنا حين نستذكر تاريخنا الذي الح عليه الاستعمار تشويها وسترا وطمسا ، ان نلتفت الى هذه الجارة التي لا غنى لنا عن صداقتها ولا غنى لها عن مودتنا. ولو شهد قومي موقف التونسيين الاحرار حينما كشفت جريدة «الصباح» عن المؤامرة الدنيئة، ولو سمعوا ما سمعته هنا وما سمعه مثلي اكثر السائحين من المصريين في تونس، لادركوا مدى حاجتنا الى ثقافة متبادلة ، تذكي هذا الشعور الصادق بحق الجوار وواجب الزمالة في الكفاح المشترك ضد العدو ، من كان .

فقبل ان ينتشر خبر المؤامرة الخبيثة ، كانت حديث من نلقى من القوم هنا . ولقد بلغ من سخطهم على مدبريها ، واشمئزازهم من شناعة غدرها ، ان احاطوا بنا حيثما زارنا ، يعتذرون لنا من الفعلة المشينة ، ويباركون التونسي الشريف الذي ابى ان يبيع شرفه ويخون امته للشيطان، ويدعون بالسلامة والنصر ، للبطل العربي الذي لم يشغله كفاحه في بلده عن كفاح اخوانه التونسيين من اجل الحرية والاستقلال .

فاذا لم يكن اتصالنا الفكري بجيراننا في تونس ، ضرورة تحتمها علينا كرامتنا الثقافية ، وحاجة يفرضها وعينا لتاريخنا نفسه ، افلا يكن استجابة لما يربطنا من جوار وقربى ، وتلبية لدواعي الود المتبادل الذي ازدهر في معارك التحرير ، واثبتت الايام والاحداث مدى حاجتنا اليه ، لتأمين مصير متشابه ، وحماية مصالح مشتركة .

***

وتحية للتونسيين الكرام ، الذين لقنوا هذا الآن ، ان ضمائر الاحرار ليست بضاعة تشترى بالاسترليني والدولار ، وان شرفهم امنع من ان يخضع لاغراء المستعمر الاصفر المسعور ، ويدخل في مساومة على الغدر والخيانة ، بثمن بخس الفا او ملايين من الجنيهات ! فهل من يعي ! وهل من يزدجر ؟

« ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر — حكمة بالغة فما تغني النذر ، فتول عنهم يوم يدعو الداعي الى شيء نكر »

صدق الله العظيم .

١٩٦١/٩/١٥

رحلة صيف ٢

الاصداء الأدبية لمعركة الحرية

رد على نقد حول مقال : حرمة التخصص وورقة دمغة

بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ

« بحثت هنا عن قصة الادب مع هذه الثورة ، فالفيتها محفوظة فى كل صدر ، وحديث كل سامر ، وامانة فى ضمير الشعب » .

من بلاترس : لم يكن فى حسابى قط يوم رحلت الى قبرص ، اننى سوف اشتغل بالكتابة عنها اثناء اقامتى بها فانما جئت اليها التمس فترة راحة واستجمام . وما اظن اننى زهدت فى الراحة ، بل لا اقول كذلك ان الذين يطول عهدهم بالعمل ، فانما يألفون الركون الى الفراغ او يستمرئون لذة الكسل والتعطل ، وانما يكتب عليهم ما عاشوا الا يجدوا راحتهم الا فى العمل الدائب

ولكن شيئا ما ، فى جو هذه الجزيرة اغرانى بالكتابة على الرغم منى : فعلى طول الطريق الوعر ، المصعد على السفوح الصخرية من «ليماسول» على ساحل البحر الى مصيف « بلاترس » الجبلى ، كانت هناك كلمة واحدة تطالعنا حيثما ادرنا ابصارنا : منحوتة على الصخر ، ومنقوشة على جذوع الشجر ومكتوبة على جدران المبانى والاطلال الهياكل الاثرية ، بحيث لم املك نفسى تحت ضغط الحاح الكلمة علينا لمدى ثلاث ساعات ، من سؤال سائق السيارة عنها ، فاجابنى وعيناه تتألقان ببريق من الحنو والفخر : ايوكا !

ولما سألته ، ان كان يعرف بعض رجالها ؟ التفت نحوى منصرفا عن المنحنيات الخطرة فى الطريق المنحوت على شفا الهاوية ، وقال لى ببطء وعناد : كل القبارصة ايوكا !

وامسكت انفاسى من فرط التلهف والذعر ، وانا ارى يده تتخلى عن عجلة القيادة ، لتؤدى بالاشارة والحركة ما تقوله شفتاه :

ــ كلهم .. من الطفل الصغير ..

الى الشيخ المسن !

ثم عاد فامسك بمقود القيادة ، واندفعنا نهوى .. ما جاوز منحنى خطرا ، لنشير الى وكر من اوكار المقاومة ، او اثر من آثار المعركة ..

ولم اخذ حيلة تحصر انتباهه فى قيادة السيارة ، الا ان اتظاهر بالنـــوم ، فى رحلة يجثم الخطر فى كل زاوية منها ، فلا يدع لعين ان تغفو او تنام ..

وبلغنا مأمننا فى هذا المصيف الجبلى الوديع ، وما ازال مشغولة البـــال بثورة هذه الجزيرة وادبها ، اســائــل عنهما كل غاد ورائح ، وكانى موكلــة بالبحث عن شيء اضعته ..

وكان هناك فعلا ما اضعته : فالذى فاته من عزلتنا الثقافية عن جيراننــا القبارصة ، ينال مثله من جهلنا بادب هذه الجزيرة ، ومراحل تاريخه ، واعلام رجاله ..

فلو سألت خاصة المثقفين عندنا ، عن اسم اديب قبرصى واحد لهزوا رؤوسهم لا يجيبون ..

بل لعلك لو اتجهت بالسؤال الـى اساتذة الادب منا ، لما اسعفوك بجواب

ومعاهدنا الثقافية والادبية ، مشغولة على اختلافها وتعددها ، بالادب الفرنسى والانجليزى والامريكى ، عن آداب امم اخرى صورت كفاح الشعوب ضـــد الاستعمار ، ونضالها من اجل الوجــود الكريم ..

فالادارة الثقافية لجامعة الـــدول العربية ، ترى من صميم اختصاصهـــا واجل مهامها واخطر واجباتها ، ان تعيد لنا ما سبق ان ترجمه خليل مطران وابراهيم رمزى وعوض ابراهيم مـــن مسرحيات شكسبير ، ولم نسمع ان هذه الادارة فكرت فى مشروع كذلك الـــذى نهضت به وزارة الثقافة فى دمشـــق لترجمة اعمال الادباء العرب ، الذيـــن سرق الاستعمار لسانهم العربى ، واجبرهم على ان يتحدثوا بلسانه ويكتبوا بلغته !

ووزارة الثقافة عندنا ، مشغولة بتعبئة اللجان لترجم ما تسميه «روائع المسرح الغربى» امثال مسرحيات ابسن وادمون روستان ، حتى التى ترجمها لنا من قبل اديبنا العربى الكبير مصطفى المنفلوطى

ولا ادرى متى توجه الوزارة بعض هذا الاهتمام ، الى ادب اخواننا فى الشرق الاسيوى الافريقى ، او ادب جيراننا فى قبرص ومالطة وصقلية ، وبقية شعوب البحر المتوسط ممن اتصلت بيننا وبينهم الاسباب من قديم الحقـــب

والمصور ..

ولم اسمع ان المجلس الاعلى للفنـــون والاداب ، استضاف اديبا قبرصيا يحكى لنا قصة الادب مع هذه الثورة التى صمدت فيها الجزيرة لجبروت الاستعمار اذ جن جنونه ، بمجرد ان سمع نداء الحرية ينطلق من شعاب الجزيرة وصخورها الصم الصلاب ، ولا علمت ان احـــدى كليات الاداب فى جامعاتنا ، استقدمـــت استاذا زائرا من قبرص ، يحاضرنا فى ادب هذه الجارة العريقة ، ويكشف لنا عما صنعت دنياها بهـذا الادب ، ومما صنع هو بها ، ولها ..

والليالى تمر ، وسامر الحى لا يمل رواية قصص الفدائيين الاحرار ممن باعوا حياتهم للوطن وآثروا ان يموتوا كـراما على ان يعيشوا اذلة ارقاء .. ومن اهل الجيرة ، عدد غير قليل ، عاشـــوا فى مصر اعواما خصبة راضية ، ايـــام كان كابوس الاستعمار جاثما على انفاس الجزيرة يستغل مواردها ويستأثر بخيراتها ويسخر طاقاتها الطبيعية لخدمة سياسته الاستعمارية .. وقد آبوا الى ديـــارهم الاولى بعد ان تزحزح عنها الكابوس البغيض ، لكنهم لم ينسوا قط مصر التى اكرمت مثواهم وكانت لهم وطنـــا ثانيـــا ، ولم يتخلوا عن لسانها العربى الذى ارتضوه لسانا لهم فى غربتهم ، وانهم ليأنسون الينا كما نأنس بهم ، ويسترو‌حون فى جرتنا ذكريات ماضيهم فى ربوعنـــا ، ويربطون قصة ثورتهم بثورتنا ، ويعتزون بما قدموا لهيكل الحرية من قرابين ، وما غذوا به نارها المقدسة من دماء الشهداء!

والمسرح لا يزال عامرا بآثار الصراع المرير ، والصخور لا تزال ترجع اصداء المعركة الباسلة ، وسامر الحى لا يفتأ يطيب بنا ، فى هذه الامسيات النـــديـــة المقمرة ، على البقاع التى شهدت مصارع الابطال ..

ويصبح الصبح ، فاهبط من منزلنـــا القائم منفردا على الذروة الشماء ، واجوب انحاء المدينة طائفة بالمتاجر وباعة الكتب ، اسألهم عن الكتاب الادبى للثورة ، وقصص ابطالها البواسل ، فيجيبنى من القوم مجيب :

انها لم تكتب بعـــد ، ولكنها ســوف تكتب حتما لتقراها الاجيال من بعدنـــا وحتى اذا لم تكتب فى هـــذا الجيـــل ، فانها ستظل ابدا فى ضمير الامة ، ميراثا قوميا مقدسا يتلقاه الابناء عن الاباء ، جيلا بعد جيل ..

١٩٦١/٩/١٥

(٣)

تلقينا من الدكتور محمد النويهى الاستاذ بالجامعة الامريكية ، الكلمة التالية،ردا على مقال حرمة التخصص :

قرات فى صفحة الادب ، نقد الدكتورةبنت الشاطىء لكتاب تلميذى السيد محمد جمال الدين عياد فى تفسير سورة العلق،وقد جعلت منه الزميلة الناقدة موضوع قضية ادبية عن حرمة التخصص ، ويهمنى ان تطمئن الزميلة، الى ان الماخذين الكبيرين اللذين اخذتهما عليه ، هما من المواضع العديدة التى خرج فيها الاستاذ عياد على الطريقة التى تعلمها على ، فى تفسير القرآن . وله بالطبع الحق فى ان يستقل بمنهجه ، وهو نفسه قد اشار الى انه قد خالفنى فى اشياء .

فالماخذ الاول : خوضه فى مسائل اصولية دقيقة ، لم ياخذه منى ، لاني لا اناقش هذه المسائل الا ان يكون مجرد عرض تقريرى لما قاله المفسرون المختلفون لان دراستى للقرآن — كما يدل عنوانها الرسمى — دراسة تاريخية ادبية، لا تتناول المباحث الدينية الصرف الا بالسرد التاريخى

وانما اخذ الاستاذ عياد هذه المباحث من تربيته الدينية السابقة ، ومن اطلاعه عليها اطلاعا واسعا دفعه اليه محض شغفه الشخصى بالدراسات التقليدية . وليس معنى هذا اننى استنكر منه ان يعرض لهذه المباحث ، فان فهمى لمجال التخصص فى دراسة الادب ، يختلف عن فهم الزميلة الناقدة .

والماخذ الثانى : ادخاله فى تفسيره الكثير من التفاصيل العلمية الدقيقة ، بعضها حقائق علمية استكشفها العلماء المحدثون وبعضها مجرد نظريات وتخمينات ادلوا بها بحيطة وحذر . لابد ان الناقدة ادركت من كتابه انه من الذين يعتقدون ان القرآن الكريم مشحون بالاسرار العلمية وانه سبق العلم الحديث الى مختلف الامور بما فيها نظرية التطور والنسبية والجاذبية الخ — وهو فى هذا لا يستمد من شىء تلقاه فى محاضراتى ، بل هو يخالف مخالفة تامة تحذيرى القوى الذى الححت فيه ، وهو تحذير استندت فيه الى الحجة القوية التى تعلمتها من استاذنا الخولى حين لفت انظارنا الى ان العلم دائم التعديل

والتغيير ، وان من الخطر على تراثنا ان نربطه بآراء ربما يتقدم العلم فيغير موقفه منها فيما بعد .

مرة اخرى ليس معنى هذا اننى انكر على دارس الادب ان يستعين فى فهم الادب بالحقائق والاراء التى اعطاها العلم الحديث عن طبيعة الكون والحياة والنفس البشرية ، بشرط الا ينسى دارس الادب انه ناقل مستفيد وليس حجة او ثقة .

ومن الاديب «عبد المنعم سليم» تلقينا الكلمة التالية ، ردا على مانشر فى صفحة الادب من نقد لمجموعته القصصية «ورقة دمغة» :

اول ما استلفت نظرى هو تلخيص قصة «يوم جديد» ثم الخروج بها من هذا التلخيص الى مجال الحياة نفسها .. اى احالتها من بناء يستمد كيانه من العلاقات بين اجزائه الى مجرد خبر .

ولو اننا سرنا فى الاتجاه الذى سار فيه كاتب هذه السطور لقلنا ان قصة الجريمة والعقاب لدستويفسكى ما هى الا قصة شاب ذهب الى مرابية وقتلها وسرق جواهرها ونقودها ثم حكم عليه .. واصبحت بذلك رواية دستويفسكى رواية تافهة تتكرر يوميا مئات المرات

ولو سرنا فى نفس الاتجاه لقلنا ايضا عن قصة العجوز والبحر لهمنجواى انها مجرد قصة رجل صياد اصطاد سمكة كبيرة واخذ يجرها الى الشاطىء ثم اكلتها

١٩٦١/٩/١٥

الاسماك منه .. ولقلنا انه منذ وجدت الحياة والاسماك تأكل بعضها ، ولم يقل لنا بذلك «موباسان» شيئا جديدا . ! !

ونعود الى قصة «يوم جديد» لنجد «الناقد» لخصها :

رب اسرة توفى . نقل الى المشرحة . دفن . جاء المعزون . انصرفوا . داعب بطل القصة ابنه اشرف ثم يستحم ويأكل وفى الصباح يذهب الى عمله — كأنه يوم الصباحية .

ورأيى فى هذا — بالاضافة الى ماسبق ان ذكرته — ان العمل الفنى نسيج وتلخيصه مستحيل ، وان ايراد التفاصيل هنا مهم اذ العمل الادبى لا يمكن استخلاصه من مجرد هذه السطور كما يستخلص الخبر من الصحيفة .. لان العمل الفنى يستمد مقوماته من نفسه وليس من معنى اخر خارج عنه .. ثم انني لست افهم ماذهب اليه «الناقد» من انني اردت ان اقول «ان الحى ابقى من الميت» .

سألوا «موباسان» مرة ماذا تعنى بقصتك «فى ضوء القمر» فأجاب : قد تعنى ان الحب جميل وقد تعنى ان القساوسة دائما مخطئون .. وقد تعنى اى شىء آخر يراه القارىء . فاذا لخصنا قصة «يوم جديد» فى جملة تقريرية تقول فيها «ان الحى ابقى من الميت» لفقدت القصة كرامتها ومعانيها ووحدتها ، فقد تكون ان الحى ابقى من الميت .. وقد تكون احساس الابن بابيه الذى مات او بابنه اشرف .. ثم لماذا لا تكون ايضا ان الحياة اقوى دائما من ان يعطلها الموت ! !

واحتج «الناقد» على انه يوجد تشابه بين بطلى قصتى «سى محمود» و«كانت طالبة» وظاهر الامر ان بطل القصتين طالب جامعى حقا .. الا ان ذلك لم يعن ابدا هذا التشابه ، ولو صح ان هناك مشكلة فى القصتين لامكن ان نقول ان المشكلة فى الاولى هى مشكلة الاسرة وفى الثانية مشكلة الطالب البطل نفسه وبذلك يصعب ايجاد هذا التشابه ، ثم ليس خطأ ابدا ان يتحد اثنان فى وظيفتهما فى الحياة .. طالما ان جوهر الشخصيتين مختلف تماما وان الشخصية فى كل قصة متكاملة من البداية الى النهاية وان الحدث فى كل قصة مرتبط بالشخصية .

ويقول «الناقد» عن قصة «الرشوة» انها انتهت بخطاب وعظى . وانا اقول له منذ متى كان الحوار بين الشخصيات يعتبر وعظا طالما ان الاديب لم يتدخل بصوته وشخصيته ، وانا لم اتدخل ابدا بل ان هذا الحوار جاء نتيجة طبيعية لشخصية البطل ونتيجة حتمية لموقفه من هذه المشكلة .

اما عن الحوار الميت فى قصة «التذكرة» فقد ذكر «الناقد» نفسه فى بداية مقاله ان شخصيات المجموعة حية بحيث تستطيع ان تسمع وقع اقدامها .. ولست افهم كيف يكون هناك حوار ميت من اشخاص حية .

التاريخ: ٢٩ / ٩ / ١٩٦١

قضايا فكرية

نبش "القاذورات" !

بقلم الدكتور مصطفى السباعي

وتعليق: للدكتورة بنت الشاطئ

جاء في مقال الدكتورة بنت الشاطىء عن ((الخصومة الفكرية)) بعد التسليم بان عددا منا قد تاثروا بدراسات المستشرقين المسمومة ما يلي : ((انلقاهم بالقذف والسباب ونستحل اتهام المتاثرين منهم بالاستشراق، بالخيانة والمروق والكفر ؟ ام نتبع اخطاءهم فنردها عنا بالحجة والبرهان ، ونخضعها لفحص علمي واع يكشف عما فيها من انحراف الفكر وفساد المنهج والتواء البحث وضلال الراى ؟ ! .

وانا في كتابي « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » سلكت الطريق الثاني ، فنقدت الاراء ، وقارعت الحجة بالحجة ، واعترفت الكاتبة بذلك ، فقالها الاول « المستشرقون » ولم الجأ الى السباب والشتائم ، بل انني في مقدمة كتابي قلت عن هؤلاء اننا لانشك في « صدق اسلامهم » ورآها بعض القراء مبالغة مني في تحسين الظن بهم . .

اما الرواية التي نقلتها عن الاستاذ احمد امين رحمه الله فلم تكن هي اساسي اساس له بالتاثر بالمستشرقين ، وانما ناقشت آراءه ، وبينت ماخذها من اقوال المستشرقين ، وهو نفسه رحمه الله قد اشار الى مراجع بحثه في كتب المستشرقين فلم يتبرأ من ذلك بل ربما افتخر بهما هو المعهد بكثير من باحثينا الى عهد قريب ، حيث يرون الاستناد الى اقوال المستشرقين والرجوع الى كتبهم من دواعي الثقة بأبحاثهم واضفاء الصفة العلمية عليها ،

على انى لم انشر هذه الرواية وانا مطمئن الى ان الاستاذ رحمه الله لن يستطيع الرد علي او تكذيبها ، فلقد نشرت بعض هذه الابحاث او اكثرها واشرت الى تاثره بالمستشرقين في كل من مجلتي « الفتح » و « الرسالة » في حياته واطلع عليها ، واعترف بانها اول رد علمي على ماجاء في « فجر الاسلام » كما نقل ذلك عنه الدكتور علي عبد الواحد .

التاريخ: ٢٢ / ٩ / ١٩٦١

واما ماذكرته عن مؤلف كتاب «اضواء على السنة» من اوصافه ، فمن الحق انتحالها وهى كلمات معدودات من صفحات تجاوزت الخمسين ومن كتاب يزيد على خمسمائة صفحة ، مما يوهم القارىء ان هذا هو كل مانعانه فى الرد عليه ؛ واذا جاء بعض الوصف قاسيا فماذا افعل بعد ان ثبت بالادلة والبراهين انه كان كذلك

اما «التورع» عن اتهام احد بسوء النية فهذا شىء عجيب ؛ ولماذا نرق القانون بين سوء النية وبين حسنها فى عقوبات كثير من الجرائم ! . .

ثم الم نتهم جميعا اكثر المستشرقين بسوء النية فى ابحاثهم ووصفناهم بغرض التهديم لتراثنا الحضارى والفكرى ؟

واخطر ماق المقال انكار الكاتبة على اتهامي مؤلف كتاب «اضواء على السنة» بنقل الاكاذيب التى روجها الشعوبيون على كرام الصحابة ووصفى ذلك بانه نبش «القاذورات» لاتستسيغه فى هذا العصر

لقد ازعجها هذا فاعتبرته امرا خطيرا و«غليظا» بحجة انه يصادر حرية البحث العلمي ، وان علماءنا قد ردوا على الكثرة والاحدة وان عدم السماح بمناقشة المسائل التاريخية بمصر «اثما علميا وخيانة قومية»

ان الموضوع الذى انكرته على ذلك المؤلف انه حشا كتابه بالروايات المكذوبة التى دسها الشعوبية من مجوسية ويهودية على عظماء رجالنا ، فقد تلقف تلك الاكاذيب وملأها كتابه من غير بحث ولا تمحيص على اننا نعرف الظروف التى قيلت فيها تلك الاكاذيب والبواعث الشعوبية اللئيمة التى ادت الى ترويجها لتهديم سمعة عظمائنا الذين كانوا على راس ذلك المجد الحضارى من فتوحات وعلوم ، ولاشك فى ان سلفنا قد تنبه لذلك كله فوضع تلك الاخبار فى موضعها اللائق بها من الزراية والاهمال ثم جاء من فندها وبين تهافتها ، فاذا جاء اليوم من ينبش ذلك الخلاف المذهبى البغيض ويروج تلك الاهانات الموجهة الى عظمائنا لم يكن لكل غيور على امته حريص على استقامة نهضتها الا ان يستنكر نبش تلك «القاذورات» وينبه الرأى العام الى خطرها

اما البحث العلمي بحرية ونزاهة فذلك مانمتدح الدعامة الكبرى لنهضتنا العلمية والفكرية ، ولكننا ننكر التستر وراءه لتحقيق اهداف تنافى السمعة القومية والمصلحة القومية ، وعندئذ لا يكون لحرية البحث العلمي مجال مع هؤلاء المغرضين ولا مع المتطفلين على العلم ، وليس من شأنه اعتماد الروايات المكذوبة التى استبان افتراؤها ومخالفتها للحقائق ، وينبغى ان لاننسى اننا فى فجر نهضة قومية تقوم اولا على استنارة امجاد الماضي فى ابناء الجيل المعاصر ليعرفوا مكانهم فى التاريخ وليستوحوا من عظمة امتهم مايدفعهم الى الامام .

ان الاثم العلمي والخيانة القومية هما تهديم سمعة اكرم جيل عرفه تاريخ الانسانية استطاع ان ينشىء اقل حضارة وسجل اروع مجد ، ونحن لاندعى العصمة لعظمائنا ولكننا ندعى — والتاريخ الثابت يؤيدنا فيما ندعى — ان لهم من الفضائل النفسية والخلقية مالم يكن لجيل غيرهم فى التاريخ فمن جاءنا يهدم هذه الفضائل الثابتة باسم العلم فهو جاهل ، او باسم الحرية فهو مستعبد ، او باسم الحق فهو مضلل ، ولقد مضى ذلك الزمن الذى جهد فيه الاستعمار جهده ان يبث فى اذهاننا احتقار حضارتنا وعظمائنا ففشل ، ونعمنا بالحرية واصبحت القومية شعارا رسميا لجميع نشاطنا واستكمال تحررنا ومتابعة الدور الحضارى الذى قامت به امتنا فيما مضى .

دعينا نتساءل : هل القومية العربية التى نعيش فى ظلها اليوم ، عميقة الجذور بحيث تصل حاضرنا بماضينا ، وتستنبع بمستقبلنا احسن صنع واتقنه ، ام هى شىء جديد لا صلة له بتراثنا وتاريخنا !

وان كانت مرتبطة الصلة بالماضي فاخذ احسنه وندع اسواه ، فهل نسمح للشعوبيين والهدامين ان يشوهوا لنا هذا الاحسن ؟

تستطيع السيدة الكاتبة ان تدافع عمن تشاء بما اوتيت من قوة بيان ، واستطيع ان اؤكد لها اننا سنظل نعتبر كل ترويج لاكاذيب الماضي ضد عظمائنا نبشا للقاذورات

ووجها كريها من وجوه الشعوبية الحاقدة تختفي وراءه المجوسية والصهيونية والاستشراق والتبشير والاستعمار ..

مصطفى السباعي

تعليق

توقعت ان يخالف الرأي في مقالي عن «الخصومة الفكرية» وقد صح ما توقعت فالتمت في انتظاري اثر عودتي من رحلة الصيف ، عددا من الرسائل ، اخترت منها هذه الرسالة للاستاذ الدكتور مصطفى السباعي ، اقرارا مني بحقه في الرد على وقد كان موقفه من خصومه في كتابه عن السنة ، موضوع المقال .

لكن الذي لم اتوقعه قط ، هو ان يظن الدكتور السباعي — ومثله السيد صدقي الملك من حمص ، والسيد صلاح الدين اسماعيل من القاهرة — انني تصديت كتبت الى الدفاع عن احد ممن تعرض لهم الاستاذ المؤلف بالجرح والاتهام — ذلك لاني لم اتناول الموضوع الا من حيث هو قضية عامة ، تدعو الى الالتزام بتقاليد الخصومة الفكرية ، وقد بدأه بالتسليم باننا «مبتلون بعدد من علماء المستشرقين المتعصبين ؛ يروجون تحت اباطيلهم ويلقون في الحقل الروحي والفكري ، بذور الشك والايهام من غفلة واستهواء ، او عن عمد ورغبة في الظهور بمظهر التحرر الفكري . وقد تناسوا شتى الميادين ؛ فهاجمت حياتنا الفكرية بتيارات دخيلة ، لو تدبرنا لعرفنا مصدرها فيما بث المستشرقون من سموم باسم البحث العلمي . »

ثم اديرت المقال كله ، على افتراض صحة اتهام هؤلاء الذين جرحهم الدكتور السباعي ، فكان موضوع القضية : «بأي اسلوب نقاوم هؤلاء لنحمي وجودنا المعنوي؟»

وكانت كلمتي الاخيرة فيه ، ان دعوت الى الكشف عن باطلهم ، وتعريضه لنور الحق يطلقه ويزهقه .

اتراني امام هذا الاتهام الصريح : «تستطيع الكاتبة ان تدافع عمن تشاء بما اوتيت من قوة بيان ! »

والله ما اردت شيئا مما كتبت — فذهلت القلم — الا الدفاع عما اراه حقا ، ولو لم تدع لي كلمة الحق صديقا !

وفي هذه القضية ، رأيت انه كان يكفي الاستاذ المؤلف ، ان يلقى خصومه بالحجة والبرهان — وقد فعل — وان يكشف عما في كتبهم من سموم الذين انحرف بهم الهوى واضلهم التعصب ، دون ان يعمد الى اتهام الاستاذ احمد امين والشيخ ابو رية فيما كتبا عن الصحابي «ابي هريرة» رضي الله عنه ، بخبث النية وسوء العقيدة «ص ٣٠٤ ، ٣٤٢» وضغينة النفس «٢١٣» وعمى البصيرة والحقد الاسود «٢١٥» .

وكنت في انكاري لهذا الاسلوب في الخصومة الفكرية ، مقدرة تقديري لجامعية الدكتور السباعي ، اما وهو يرى غير هذا الرأي فليكن عذري لديه ، انني مقدرة قبل ذلك بأدب الاسلام في الجدل والخصومة والاقناع وقد درست علوم الحديث ، فرأيت رجاله يجرحون بالضعف ، والكذب ، والتدليس دون ان يتجاوزوا هذا ومثله الى الحكم على النوايا ، والضمائر ، والعقيدة .

عذري انني قرأت في السيرة ، ان بعض الصحابة خاضوا في «حديث الافك» ومنهم حسان بن ثابت شاعر الرسول ؛ وقد جلد فيمن جلد ، ولم يتهمه احد مع ذلك بخبث النية وسوء العقيدة والحقد الاسود وعمى البصيرة ، ومنزلة السيدة عائشة بنت ابي بكر : زوج الرسول ، وام المؤمنين ، ليست اهون على الاسلام والمسلمين من منزلة ابي هريرة ، والذي قيل فيها من الافك ، لا يقاس به كل ما كتبه احمد امين وابو رية وسواهما ، في ابي هريرة ! !

وانا بعد ، لم آخذ الدكتور السباعي بما لم آخذ به نفسي : ففي خصومتي الفكرية للاستاذ العقاد مثلا ، لم اتهمه بسوء العقيدة وعمى البصيرة والحقد الاسود حين نسب رأيه في المرأة الى القرآن الكريم ، ثم اعلن ان رأيه هذا هو رأي الخالق — سبحانه عما يصفون — وانما احتكمت في الخلاف بيننا الى الله ورسوله ، وعرضت اقوال الاستاذ العقاد على كتاب الله : فاذا الباطل زاهق ..

ويستطيع الدكتور ان يرجع الى كل ما كتبت في معارك نقدية ، ليرى اني التزمت دائما بما ادعو اليه من تقاليد الخصومة الفكرية ، فلم اتهم احدا بخبث النية وفساد العقيدة وعمى البصيرة والحقد الاسود ، الا ان تكون زلة فلم استغفر الله منها .

ولننظر فيما وصفه الاستاذ الدكتور ، بانه اخطر ماقال ، يعني موقفي من «نبش التاذورات» .

والاستاذ يتناول التسمية هنا منزاوية خاصة ، ويحصرها في نطاق «فجر الاسلام واضواء على السنة» على حين تناولتها من افقها العام ، ضمانا لحرية من ينبشون هذه التاذورات ، بغية تنقيتجوننا من اوضارها .

وكان رايي الا ان عدم التعرض لنبش هذه المفتريات ، وتركها مدفونة مطوية ، اثم علمي وخيانة قومية ، لان تجاهلنا اياها لن يمنع بقاءها حيث هي : تسمم عقول من يطلع عليها من القراء والدارسين ، وتنحرفبوجدانهم بدلا مننبشهاوتعريضها لنور الحق يطفئها ويزهقها » .

فكيف تصور الدكتور انى اشجع على ترويج المفتريات ، اهذا بعد ان استشهدت بالاية الكريمة : «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق» !

ياسيدي الاستاذ اذا لم يرضك ان نحتكم الى حرمة المنهج وامانة الحق والعلم ، فاني لاعلم انه يرضيك ان نرد الامر فيما اختلفنا فيه الى الله ورسوله :

القرآن الكريم بين ايدينا وفي صدورنا ماتعلم انه طوى مقال الكفار في الانبياء عليهم السلام .

كذبوا نوحا «وقالوا مجنون وازدجر»

وقالوا لهود : «انا لنراك في سفاهة ، وانا لنظنك من الكاذبين»

وقالوا لشعيب : «مانفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ، ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز» .

وقالوا عن موسى وهارون : «ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما» .

وقالوا لمريم : «لقد جئت شيئا فريا يا اخت هارون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا » .

واتهموا خاتم الانبياء بالكهانة ، والسحر : « ويقولون اننا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ؟ » .

«كذلك ماأتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون» .

ولم يطو القرآن فرية الافك في ام المؤمنين ، بل جاء بها آية وعبرة .

ونقرأ فيه :

«عبس وتولى ، ان جاءه الاعمى» .

«ياايها النبي لم تحرم ماأحل الله لك تبتغي مرضاة ازواجك» .

«وتخفي في نفسك ماالله مبديه ، وتخشى الناس والله احق ان تخشاه» .

كما نقرأ كتب السيرة ، وطبقات الصحابة ، فما نرى السلف الصالح طووا تاذورات الخصوم وشتائم الاعداء ، بل ما نعلمهم كتموا موقف اصحاب الرسول يوم امضى عليه الصلاة والسلام «عهد الحديبية» وقد كان

لهم فيه راى غير الذى رآه الرسول بحبمته وبعد نظره ...

فهل مدونة هدى القرآن، وتقاليد السلف الصالح، حين كرهت واكره للدكتور السباعى ان يدعو الى «طى مايسوء من تاريخنا»؟

وبقول الدكتور : انها القومية العربية وانه ليسمع الرئيس جمال — حامل لوائها — يكشف لنا فى كل مناسبة عن مفتريات خصومها ، وانه ليقرا فى صحفنا صباح مساء ، ماننقله من هذه المفتريات ، عن صحف اسرائيل وعملاء الاستعمار .

ولم يقل قائل ، ان فى الكشف عن هذه المفتريات واذاعتها نبشا ، نبشا للقاذورات وان من البر بالقومية العربية ، ان نطوى عن الجماهير من ابناء العرب ، مايقوله اعداؤنا فى ابر قادتنا .

انبقال ، والمجال مجال قضية علمية : «ناخذ احسن الماضى وندع اسواه . لان كل ترويج لاكاذيب الماضى ضد عظمائنا ، نبش للقاذورات ووجه كريه من وجوه الشعوبية الحاقدة»؟

وماذا نصنع ياسيدى ، ونحن نتعبد بتلاوة القرآن الكريم ، وفيه مافيه من اقوال الكفار والمشركين والمنافقين ، عن الانبياء ابر عظمائنا ؟

وفيه نسجيل للقولة الكريهة فى مريم المطهرة المصطفاة على نساء العالمين ، ولفرية الافك فى ام المؤمنين التى اوصى الرسول صحابته ان ياخذوا عنها نصف دينهم ؟

بل ماذا نصنع بمثل كتاب «السيرة لابن هشام، وطبقات الصحابة ، وتاريخ الطبرى وكتب التفسير الاولى، وكتب الملل والنحل» وقد نقلت مانقلت من قاذورات الشعوبية ، واباطيل الملاحدة ، وسموم الاسرائيلية ؟

انحرقها برا بالاسلام والعروبة ؟ ام نحرم على طلابنا الاطلاع عليها ، وحسبهم ان يقراوا مانقدمه لهم من احسن مافيها ؟

ثم ماالراى ، وقائدنا جمال ، لايكتم عن الشعب مفتريات اعدائنا ؟ انتوسل اليه باسم القومية العربية ان يدعها مطوية مدفونة ، وان يصدر قرارا جمهوريا يحرم على صحفنا واذاعتنا نبش القاذورات؟

لقد كان الظن بالاستاذ الجليل ، وقد نقل فى كتابه مانقل من مفتريات اعداء السنة ، الا يدعو الى «ان ننظر فى ماضينا فناخذ احسنه وندع اسواه» بل يجاهد فى الدعوة الى نشر تاريخنا كله — بامانة ونزاهة — لكى نستكمل وعينا لذواتنا وادراكنا لحقائقنا وفهمنا لتاريخنا ، ولكى يكون لنا من امجاد ماضينا مايغذى طموحنا ، ومن اخطائه — وجل من لايخطىء — مايؤمن طريقنا ويقينا عثرة السير وضلال السبيل

مرة اخرى ، اقول للاستاذ الدكتور : اننى معه — قلبا ولسانا وقلما — فى السخط على من ينبشون هذه القاذورات بغية افساد وجودنا المعنوى ، وانى لارجو ان يكون اليوم معى فى الدفاع عمن ينبشونها ليخلص لنا تراثنا الفكرى والروحى نقيا من سمومها .

وهو مرجو ان يفعل ، لو خرج بالقضية الى افقها العام ، كما اردت لها ان تكون تحت شعار الاية الكريمة : «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، فاذا هو زاهق .»

اذ ذلك لايكون بيننا ، فيما اظن ، خلاف لان التى تدعو الى الامانة فى دراسة تراثنا ولو كان فيه مالا يرضينا ، لايعقل ان تشجع اى انحراف او تضليل ، لتشويه هذا التراث .

والا، فليكن لى على الاقل، عند الاستاذ الجليل ، حق المخالف فى خصومة فكرية شريفة ، لايراد بها الا وجه الحق .

والله يهدينا سواء السبيل !

بنت الشاطىء

التاريخ: ٢٩ / ٩ / ١٩٦١

قضايا فكرية

كتاب من بيروت !

- الكتابة العربية مرتبطة بوجودنا المعنوى
- ماجاز للترك لايجوز للعرب
- الحروف اللاتينية عاجزة عن أداء الأصوات العربية

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

عندما مررت ببيروت فى اوائل هذا الشهر ، كان همى ان اعرف الجديد مما استحدثته هذه العاصمة العربية فى مجال الفكر والادب . وعدت ومعى من هذا الجديد ، كتاب ((يارا)) الذى تستطيع بيروت ان تقول انها استحدثت به جديدا حقا ، لم يسبقها اليه سابق .

ذلك لانه اول كتاب يرسم العربية بحروف لاتينية .

وهذه سابقة بلا ريب ، بحسبها تاريخ العربية لبيروت وبدعة لم يجرؤ عليها كاتب عربى ، قبل الاديب اللبنانى ((سعيد عقل)) .

ومن الانصاف ان نقول ان الدعوة الى كتابة العربية بحروف لاتينية ، غير جديدة علينا . فقد سبق اليها منذ اكثر من ربع قرن ، الفقيه المصرى ((الاستاذ عبد العزيز فهمى)) حين كان رئيسا للمجمع اللغوى بالقاهرة . وكان رحمه الله قد اتجه اليها ، بعد تفكير طويل مجهد ، فى صعوبة الاقتدار على اداء العربية ، نطقا وكتابة ، اداء صحيحا لخلوها من الحروف الصائتة Voyelles التى تضبط النطق فى الكتابة اللاتينية ، وتقوم بتمام الشكل فى كتابتنا . وظن الاستاذ الجليل ان استبدال الحروف اللاتينية بالعربية ، تذلل هذه الصعوبة ، لكنه قدر مع ذلك ، ان الامر اخطر من ان يستقل فيه بالرأى منفردا ، فعرض فكرته على اصحاب العربية ، وترك لهم القول الفصل فيها ..

وقال اصحاب العربية كلمتهم :

فهذه الكتابة العربية مرتبطة اولا بوجودنا المعنوى كله ، بها رسم القرآن الكريم ، كتاب العربية الاكبر ومعجزتها البيانية الباهرة . وبها كتب تراثنا الروحى والفكرى والادبى كله . ولا احتجاج هنا بصنيع الاتراك حين عمدوا الى التركية فكتبوها بحروف لاتينية بدلا من العربية . لا احتجاج بهذا لان التركية ليست عربية الاصل ، فسواء عليها كتبت بحروف عربية او لاتينية مادامت غير اصيلة فى كلتيهما . وليس للاتراك تراث روحى او فكرى قديم

W inejj rif vinayqi I yam ywayyi d daher,
We binelt tel qeamle z zaher,
Barqi n deyti, b qalb wardi bleltaqi..

ولا لهم ماض حضاري يحرصون على ان تعيه الاجيال الخالفة من ابنائهم . والامر ليس كذلك في العربية ، فهي لسان العرب اصالة ، لم يستعيروها من غيرهم على نحو ما فعل الترك واذا جاز لامة كالترك ان تنسلخ من ماضيها المستعار ، وكتابتها العربية الطارئة ، فان هذا لا يجوز بالنسبة الى العربية ، بماضيها العريق ، وتراثها الفني الحي ، وحروفها غير المجلوبة ولا المستعارة ..

ثم ان استعارة الحروف اللاتينية من الوجهة العملية ، لا تحل المشكلة بل تزيدها تعقيدا ، اذ يقتضي الوضع الجديد ان يكون الكاتب ، عالما باصول الضبط اللغوي والاعرابي . وتعسرت اخرى . ويرسد — رحمه الله — مكافاة سخية ، لمن يوفق الى طريقة مبسطة يرضى عنها اصحاب العربية على اختلاف ديارهم ، ويقرها المجمع اللغوي ..

ومن ذلك الحين ، والجهود تبذل هندسيا في المطبعة ، ومدرسيا في التعليم لكي تحل صعوبة الاداء الصحيح للعربية نطقا وكتابة ، حلا يعالجها من جذورها دون ان يستعين عليها بالمسخ والتشويه او يهرب منها باستعارة حروف اجنبية

وبدات الجهود تثمر : فمن الناحية الهندسية ، استطاعت المطبعة العربية ان تتخلص من اكثر الثقل الذي كان يرهقها من صناديق الحروف القديمة التي كان عدد خاناتها ثلاثمائة وستين خانة ، اختصرت في آلات (الانترتيب) الى تسعين ! وترتب على هذا الاختصار توفير للجهد والوقت

ثم حدثت وثبة اخرى باستعمال طراز حديث من هذه الالات يستخدم الشريط في الجمع ، فيستطيع العامل ان يجمع في الساعة الواحدة ستمائة سطر ، اى بنسبة ١٢ : ١ في الصندوق القديم !

الى ذلك المدى نجحت جهود تبسيط الكتابة العربية في المطبعة ، وهو مدى لم تبلغه الجهود المبذولة لتيسير قواعد النحو وتعليم العربية، لكنها ماضية في الطريق، متقدمة في الوقت نفسه، بما تحققه معركة مكافحة الجهل والامية ، من انتصار رائع في القضاء على مخلفات عصور الظلام ، والتخلص من التركة المشئومة التي تركها لنا الاستعمار والاقطاع .

ومن عجب ، انه لما بدأت الجهود المبذولة تثمر فعلا ، واستطاعت المطبعة العربية ان تحقق هذا النجاح ، طلعت علينا بيروت

بكتاب اديبها «سعيد عقل» مطبوعا بحروف لاتينية ..

كانما كان ينتظر بوادر النجاح لهذه الجهود ، لكى يواجهنا بكتابه !

واحاول مع هذا ان انجاهل المؤلف المريب ، وان الجم مشاعرى وعواطفى لانظر فى الكتاب بكل مايملك ناقد من تجرد وحياد ..

الاديب اللبنانى ، لم يقدم لنا الكتاب بكلمة عن هذا الجديد المبتدع ، كانما هو فى غير حاجة الى ان يبرر او يفسر ..

وغريب حقا ، ان يخلو اول كتاب عربى ، مطبوع بحروف لاتينية ، من تفسير وتبرير ..

لكنى سافترض ان الاستاذ سعيد قصد الى تيسير قراءة العربية ، وبعث الدعوة المرفودة التى اريد بها الخير والمصلحة .

فماذا يسر هذا الجديد من الكتابة العربية وماذا ذلل من صعوبتها ؟

حاولت بكل اخلاص ، ان اقرا كتابه ولى معرفة باللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية ، تتيح لى قراءة نصوص اسبلة فيها ، واعيانى مع ذلك ، ان اقرا هذا النص العربى بحروفه اللاتينية .

وبدا لى ان استعين بعدد من الزملاء ، ممن يتقنون اللغات الغربية ، فعرضت عليهم الصفحة بعد الاخرى من «يارا» وسالتهم ان يقراوه لى ، فتبادلوه فيما بينهم ، ثم هزوا رءوسهم مستريبين ، وقد ظنوا انى امتحنهم .

ثم لما جلوت لهم المؤلف ، عادوا الى المحاولة ، فوقفوا عند كلمة Ceyr المطبوعة على غلاف الكتاب ، وقراوها جميعا : سير .. ولم يتصور اى واحد منهم انها (الشعر) .

والتفتنا الى دليل للحروف ، على ثنية من غلاف الكتاب ، فعرفنا مثلا ان :

حرف الحاء يرسم : X

وحرف العين يرسم : Y

وحرف الشين يرسم : C

وحرف الغين يرسم : G

وان النقطة الملصقة باسفل الحرفين D ، S تحولهما الى الضاد والصاد ، وان علامة ٧ فوق بعض الحروف ، تميز القاف والثاء والذال ، عن الكاف والسين والدال

لكنا بقينا رغم ذلك ، اميين لا نقرا!

وكنت قد سمعت من الاخت الاديبة «سميرة عزام» ان يارا : زجل بالعامية اللبنانية ،

فهل عجزنا عن قراءتها ، لاننا نجهل العامية الشعبية للبنان ؟

لكنا نقرا الازجال المكتوبة بحروف عربية

(٣)

ونسمع الحكى اللبنانى ، والاغنية الشعبية اللبنانية ، فنفهم ونتذوق ..

فهل هى اذن غرابة الجديد ، تزول بالفنا له واعتيادنا اياه مع الزمن ؟

لكن كيف يتاح لابناء العربية ان يالفوا هذا الجديد ويعتادوه ، مالم يفرض عليهم فى مدارس الوطن العربى كله ، ان يقراوا العربية منذ الصغر ، كما يكتبها الاستاذ سعيد عقل ؟ !

وهو مالا اتصور ان يحدث !

لا لان الحروف اللاتينية يعجزها اداء الاصوات العربية فحسب ، ولكن كذلك لاننا بمثل هذا ، نتطوع مختارين لتحقيق مالم يستطع الاستعمار بكل جبروته وذكاء حيلته ولؤم وسائله ، ان يحققه !

لم يستطع ان يسرق لساننا العربى ، كما فعل بكثير من شعوب الشرق ، وطننا الكبير .

سرق لسانها ، فعزل القلة من ابنائها المتعلمين ، عن الملايين من الجماهير التى لا تستطيع ان تقرا الا بلغتها القومية .

وما اظن الاديب اللبنانى ، الا سمع صرخة الشاعر الجزائرى (مالك حداد) :

لاتلمنى ياصاح ، اذا لم يطربك غنائى ..

اننى لا اغنى ..

لو كنت اعمل ، لغنيت غناء عربيا .

لكنهم سرقوا لسانى .

فانا اصرخ ، ولا اغنى

وما اظنه الا قرا ايضا ، كتاب «المفكر الهندى ، پانيكار» عن مشكلات الشعوب الاسيوية والافريقية ، وفيه انه معتقد ان مشكلتها الثقافية ، هى ان الاستعمار جلا عن الشرق تاركا فيه امية فاشية ، وكان المفترض ان القلة المتعلمة ، هى التى تحمل شعلة الوعى وتتولى القيادة الفكرية والوجدانية للشعوب التى تحررت من الرق . لكن المأساة ان غالبية هؤلاء المتعلمين يكتبون باللغات الاجنبية التى تعلموا بها ، ومن ثم فهم فى عزلة فكرية ومعنوية ، عن الملايين ممن لم يتلقوا غير التعليم الاولى بلغاتهم القومية .

ونحن ابناء هذا الشرق العربى ، قد ناضلنا لكيلا يسرق الاستعمار لساننا ، فكيف يهون علينا ، وقد نجونا من تلك المحنة ، ان نتخلى متطوعين ، عن الملايين ، لنعزل الكتاب العربى عمن لا يعرفون الحروف اللاتينية ؟

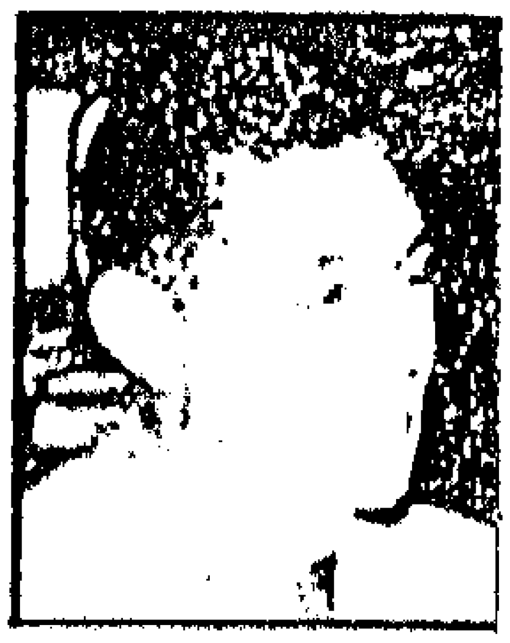
اننا اذن ننساق الى حيث اراد لنا المستعمرون ، عن غفلة وبلا وعى ، او عن ادراك وعمد :

ان كنت لاتدرى فتلك مصيبة
او كنت تدرى ، فالمصيبة اعظم !

التاريخ : ٦ / ١٠ / ١٩٦١

قضايا فكرية

هذه اللغة المشتركة ومعالم تطورها الحديث


محمد خلف الله


محمد عبده


سامى البارودى


حفنى ناصف


رفاعه الطهطاوى

• اللغة العربية لا يمكن أن تمارس تطورها فى أى قطر بمعزل عن الأقطار الأخرى

• وفهم التطور اللغوى إنما يتم بجمع روافده فى التيار العام لسير الحياة بلغتنا المشتركة

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

لم يكن عجبا ونحن نجتاز هذه الظروف القاسية العصيبة ، أن نلوذ بما أعرف لنا من ماض طويل مشترك ، كنا نلتقى فيه فكرا وروحا ووجدانا ، عبر الحواجز والأسوار ، وتتجاوب بكل قلوبنا ومشاعرنا رغم كل الحدود والسدود ..

وذكرت فيما ذكرت ، هذه اللغة المشتركة لسان عروبتنا ومناط وحدتنا العقلية والذوقية فتراءت لى من وراء الحقب والأدهار ، أطياف أجداد لنا أفنوا أعمارهم فى خدمة هذه اللغة ، وبذلوا حياتهم لحمايتها فى مهب الأعاصير ، ومنحوها نور عيونهم ، لكى يضيئوا لها سراجا فى ليلنا الطويل ..

من هؤلاء الجنود الدائبين : الشامى والمصرى ، والعراقى والحجازى ، والنجدى واليمنى ، والمغربى والأندلسى .. شهدتهم العصور والأجيال عاكفين على رسالتهم النبيلة ، فى رهبنة علمية متجردة ، صنعت لنا تاريخنا الفكرى المشترك ، وحمت تراثنا الذى يعطى وجودنا المعنوى عنصر أصالته وسر بقائه ..

الأهرام

وكنت قد فرغت منذ ايام ، من قراءة كتاب قيم عن «معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها» للاستاذ الجليل «محمد خلف الله : عميد آداب الاسكندرية» ونشرته الجمعية المصرية ، للدراسات التاريخية ، حلقة في سلسلة دراسات عن حركة التجديد والاحياء في الحياة العربية في العصر الحديث .

وقد حدد الاستاذ العميد نطاق بحثه لجعله خاصا بمصر وحدها في القرن التاسع عشر ، وهذا القرن — او بتحديد ادق ، الربع الاخير منه — قد شهد نقطة انطلاق حاسمة في تاريخنا القومي والفكري بوجه عام فيه لاح شعاع البعث يومض في الظلمة ومنه بدأ الركب العربي يتحرك في اعقاب ليل طال ، وبه تميزت معالم الطريق لهذه النهضة الحديثة التي يظن بعضنا — خطأ — انها طارئة مفاجئة .

ولقد كنا في حاجة حقا ، الى عالم محقق مثل الاستاذ خلف الله ، يجلو تلك الفترة التي شهدت بوادر البعث ، وينصف اولئك الرواد الذين حملوا الشعلة في الظلام ، واذنوا في افقنا بدعاء الفجر الجديد والناس نيام ، وخلفوا لنا تراثهم اللغوي والادبي ، يضيء معالم الطريق امام الذين تلقوا اللواء من جيل البعث .

واثناء قراءتي للكتاب ، لم يفارقني الشعور بما كابد الاستاذ المؤلف من مشقة وهو يحاول ان يركز دراسته لتلك الفترة الحافلة ، في خلاصة موجزة تقع في مائة وستين صفحة ، فاستعان عليها بالهوامش التي حملها اقصى ما تطيق من حواشي وتعليقات واشارات ، ومن نصوص لم يتسع لها المجال في العرض العام ، ولم يستطع مع هذا ان يقدم كل ما عنده : من الخطوط الكبرى لحركة البعث ، وركز اهتمامه على ائمة روادها : رفاعة الطهطاوي في الترجمة والاتصال بالثقافة الفرنسية ، ومحمد عبده في الانشاء والكتابة ، والبارودي في احياء الشعر ، والمرصفي وحمزة فتح الله وحفني ناصف في دراسات اللغة وآدابها

وكنت اتوقع ، بعد ان فرغ الاستاذ الجليل من بيان بوادر البعث اللغوي والادبي بمصر ، ان يتابع في الجزء الثاني من كتابه القيم ، رصد مطالع التطور الحديث للغة العربية بوجه عام . لكنه صرح في الفترة الاخيرة من هذا الجزء الاول ، بانه وصل في سيره الى اوائل القرن العشرين حيث تاخذ الاتجاهات التي سجلها في سابقه تتفتح وتثمر ، وحيث تظهر ميادين جديدة في الادب واللغة ، سنحاول ان نتتبعها في القسم الثاني من الكتاب .

والكتاب بهذا الوضع ، يثير ملاحظة هامة : ذلك لانه اذا كان قد التزم في جزئه الاول بحدود المجال المخصص للبحث ، فقصر اهتمامه على مصر ، الا ان الموضوع العام للكتاب هو : معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها .

واستاذنا العميد ، يعلم بلا ريب ، ان التطور اللغوي والادبي ، لم تنفرد به مصر وحدها ، وانما شاركتها فيه اقطار اخرى للعربية حملت نصيبا من هذا التطور ، قل او كثر .

وما يغيب عنه جهد الرواد ممن شاركوا في حمل شعلة البعث ، في شتى اقطار الوطن العربي ، من امثال الالوسي والصافي النجفي والرصافي والزهاوي في العراق والشدياق واليازجي والبستاني وامين الريحاني وجرجي زيدان في لبنان ، والشيخ طاهر الجزائري والقاسمي وكرد علي في سوريا ، والخالدي ، والسكاكيني والنشاشيبي في فلسطين والاردن ، وعلماء القرويين في مراكش .

واعلم ان عددا من ابناء هذه الاقطار توفروا على دراسة فجر النهضة الادبية الحديثة في بلادهم ، كما فعل الاستاذ جميل سعيد في محاضراته عن العراق ، والدكتور ناصر الدين الاسد عن الاردن وفلسطين ، والاستاذ جبرى عن سوريا ، والدكتور سهيل ادريس عن لبنان ، والاستاذ عبد الهادي التازي عن القرويين في فاس ، لكن الاكتفاء بدراسة التطور الحديث للغة العربية ، في كل

قطر على حدة ، يوشك ان يخيل الى القارىء ان لغتنا كانت تمارس تطورها فى كل قطر ، بمعزل عن الاقطار الاخرى ..

مع ان كل قضية لنا لغوية ، انما هى قضية عامة ، يشترك فيها اصحاب العربية على اختلاف اقطارهم ، ولا يمكن ان نعرف معالم تطورها الحديث ، مالم نجمع هذه التيارات الاقليمية فى مصب واحد ، نلتقى عنده شتى الروافد ، من قلب الشرق الاسيوى الى اقصى المغرب الافريقى ، لتبدو الصورة لنا آخر الامر متكاملة .

ولا يعنى هذا بحال ما ، الا تدرس حياة اللغة العربية فى كل قطر من اقطارها ، فذلك هو ماتحتمه المنهج العلمى . لكنه يعنى الا تقوم هذه الدراسة المتخصصة فى عزلة عن التيار العام لسير الحياة بلغتنا المشتركة ، اذ ان طبيعة العربية من حيث هى لغة الوطن العربى كله ، تستلزم ان يدخل فى تقدير الدارس ، هذا التفاعل المحتوم بين مناطقها ، وتلك المشاركة التى لابد منها ، لاصحاب العربية .

واذا كان الاستاذ العميد بدقته المنهجية قد آثر تخصيص هذا الجزء لمصر ، وترك لسواه من ابناء الاقطار الاخرى ان يرصدوا مطالع النهضة اللغوية فى بلادهم ، فقد بقى ان يتناول دارس منا هذا الموضوع من افقه العام ، ليضىء لنا معالم التطور الحديث لهذه اللغة المشتركة التى تعاقب علماؤنا على خدمتها جيلا بعد جيل ..

وما احسبنى اشق على الاستاذ العميد اذا رجوت ان يكون هذا هو موضوع الجزء الثانى من كتابه ، على ضوء ما اجتمع لدينا من دراسات متخصصة للعربية فى مختلف اقطارها ، قبل ان ينفذ السير الى القرن العشرين ، ويتابع دراسته الجادة لمعالم التطور الحديث فى اللغة العربية وآدابها .

التاريخ: ١٣ / ١٠ / ١٩٦١

قضايا أدبية

هذه الوحدة



بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ

حياتنا الادبية ، لا يمكن ان تقف بمعزل عن كبريات الاحداث القومية ، او تتجاهل قضايا الحياة العامة فى مواقفها الحاسمة ومواقعها الفاصلة ..

فهذا الادب ، يشارك الى ابعد مدى فى صنع التاريخ ..

وهو فى الوقت نفسه،يقدم لنا التفسير الوجدانى لهذا التاريخ..

وقد مضى الزمن الذى كنا نتصور فيه ان قضايانا القومية من اختصاص رجال السياسة وحدهم ..

ومضى معه تصورنا للتاريخ ، على انه مجرد عرض للاحداث السياسية،ووصف لاجواء القصور وتتبع لانباء العروش والتيجان، ورصد لاسماء الحكام ومن فى حاشيتهم من وزراء وقادة ودعاة ..

ولم يعد يصح لدينا ، مع ما بلغه عصرنا من رقى عقلى ووعى ثقافى ، ان التاريخ املته الاوضاع السياسية وحدها ، او ان الحياة سيرتها ارادة حكام ومشيئة افراد وصراع احزاب واهواء ، وانما سيرتها كذلك — بل قبل ذلك — ارادة الشعوب واحتكمت فيها اوضاع مادية وعوامل نفسية ، ونواميس اجتماعية مطردة لا تتخلف ..

ودخل التراث الادبى للامة ، مادة اصيلة من مواد تاريخها ، نلتمس منه صدى وقع الاحداث على وجدان الجماعة ونستخلص منه التاريخ الشعبى الذى اهمله اولئك الذين جعلوا الحياة تدور فى فلك الحكام ، وتجرى مع التيار السياسى وحده ، بمنأى عن كل ما عداه من مؤثرات ..

واذا شهد السير التاريخى ، ان التعبئة الوجدانية العامة ، كانت مقدمة كل نهضة ، وضرورة لكل ثورة ناجحة ، فليس معنى هذا الا ان الشعوب هى التى تصنع تاريخها ، وان وجدانها العام هو الذى يتحكم فى توجيه حياتها ..

وحلت كلمة الحياة ومنطق التاريخ ان للادب — والفن بعامة — الدور القيادى الاول فى تاريخ الشعوب ، وان السياسة اذا اخطات تقدير البواعث النفسية والدوافع الوجدانية ، انحرفت وضلت ضلالا بعيدا ..

ولقد شاء لنا القدر ، ان نعيش هذا اليوم العصيب الذى اذيع فيه من دمشق ان وحدتنا تصدعت !

وكتب علينا ، ان نشهد ابناء مصر يبعدون من سوريا ، كما لو كانوا من المجرمين الاعداء ..

ونحاول مع ذلك ان نطوى جراحنا حتى لا تحدى شكوى ولا يغنى بكاء ولا يشفع عتاب او ملام !

لان جراحنا هذه المرة ، بايدى اصدقائنا

قومى هم قتلوا «اميم» اخى
فاذا رميت يصيبنى سهمى !

ومن شان الشعوب العريقة الاصيلة اذا المت بها كارثة قومية ، الا تقف لتلعن الظلام ، وانما تلتمس من ايمانها ومن منطق تاريخها ، شعاعا يضىء مسراها نحو فجر جديد ..

وقد قضى الامر وكان ما كان ، فما لنا معه حيلة الا ان نلوذ بايماننا ونستفتى ضمائرنا ، لنقرا مصير هذه الوحدة فى الغد المضمر ، على هدى منطق التاريخ الذى لا يكذب ولا يزور ولا يخون !

فهل انتهى — حقيقة — ما بين مصر وسوريا ؟

التاريخ: ١٣ / ١٠ / ١٩٦١

• وحدتنا لم تكن وضعا سياسيا طارئا ، لتتغير مع تقلبات السياسة

• ليس فى طاقة بشر ، ان يفصل العربى عن اخيه العربى

• وسنحمى وحدتنا بقلوبنا وضمائرنا ووجداننا ، لاننا بها نحيا

لرجال السياسة ان يتولوا فى هذا ما شاءوا ، ولكن تاريخنا لا تمليه ارادة السياسة ، ولا تسيره مشيئة الافراد ..

ولو كان الذى بين مصر وسوريا من وحدة ، مجرد وضع سياسى اقتضته دواع طارئة واعتبارات مؤقتة ، لجاز ان نتصور انفصالهما حين تزول هذه الدواعى او تتغير الاعتبارات والاوضاع

ولكن وحدتنا لم تكن ابدا كذلك ، ولن تكون ..

وانما هى عقيدة ، وايمان ، ووديعة اباء واجداد :

عقيدة ، لا يستطيع احدنا ان يتخلى عنها ، وفى عروقه نقطة من دم عربى

وايمان راسخ ، لا تزعزعه اعاصير السياسة ، ولا تميل به اهواؤها حيث مالت ..

ووديعة آباء واجداد ، يتلقاها ابناء كل جيل منا ، وهم بعد اجنة فى الارحام

وهذا تاريخنا الطويل ، يشهد اننا كنا دائما معا من قديم الدهور والاحقاب

وبقينا دائما معا ، على مدار الزمن ، مهما تتغير اوضاع السياسة ، وتختلف نظم الحكم واسر الحكام ..

واذا كان التاريخ السياسى قد شهد بعض محاولات انفصالية كهذه التى نواجهها اليوم ، فان تاريخنا الادبى — الذى هو مرآة لضمير الامة ، ومظهر ارادتها — لبث دائما عصيا على هذه الانفصالية ، ومضت العصور تتلو العصور ، وليس لنا الا معجم لغوى واحد ، والا تراث فكرى وادبى مشترك ، يعبر بوحدته عن وحدة وجدانية ، تفلق كبد الكائدين ، وتسخر بوهم الواهمين ، وتطمئن بها قلوب المؤمنين ...

وما كذب شاعرنا «ابو تمام» حين قال معبرا عن وجدان كل عربى :

بالشام اهلى ، وبغداد الهوى ، وانا
بالرقمتين ، وبالفسطاط اخوانى

فمن قال ان قوة فى الارض ، تستطيع ان تفصل العربى عن اخيه العربى ؟

لقد سهر الاستعمار طويلا ، يحاول ان يفرق شملنا ويبعثر قوانا ويمزق وحدتنا ، وبقينا معا رغم كل الحواجز والاسوار يئن الجريح بمصر فيسمعه اخوه بالشام ويشتكى عربى منا ، هنا او هناك او هنالك ، فيتداعى له سائر العرب بالسهر والحمى ، وسرت اطياف اجدادنا تؤنس وحشتنا برؤى وحدتنا ، واصغى ليلنا الطويل الى صوت المصرى يناجى اخاه بالشام :

بابى شخصك الذى لا يغيب
عن عيانى ، فهو البعيد القريب

يا اخلاى بالشام ، لئن غبـ
ـتم فشوقى اليكم لا يغيب

فصبتنا الايام فربكم منـ
ـا ولا بد ان ترد الغصوب

ثم عدنا فالتقينا ، وما كان عجبا ان نلتقى ، بل ما كان لنا الا ان نلتقى ، فبذلك قضت سنة الطبيعة ، وارادة السماء ، وحتمية التاريخ ..

الطبيعة التى ربطت بيننا — منذ كنا — باواصر القربى والرحم والجوار

والسماء التى الفت ما بين قلوبنا وارواحنا ، ووحدت عقيدتنا ولساننا

والتاريخ الذى ما عرفنا قط الا اهلا وعشيرة ، مهما نأى الديار ويشط المزار.

فليقل دعاة الانفصال ما شاء لهم الوهم ان يقولوا ..

فسنظل ابدا نلتقى !

لان وحدتنا حتمية ، تحميها ارادة شعب يصنع تاريخه ، وتصونها ضمائرنا وقلوبنا كما صانتها فى مهب كل اعصار ..

وبهذه الوحدة نحيا ..

وبها نحمى وجودنا ، مهما تتألب ضدنا الدنيا ، ومهما يتكاثر علينا الاعداء ..

وستنجلى هذه المحنة العارضة حتما ، كما انجلت قبلها محن سابقات

وسيشرق الفجر من جديد ، على هتاف العربى باخيه العربى اينما كان : فى القاهرة او دمشق ، فى بغداد او عمان ، فى بيروت او الرياض ، فى الخرطوم او صنعاء ، فى بنغازى او تونس والرباط :

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والانام غضاب

وليت الذى بينى وبينك عامر
وبينى وبين العالمين خراب

اذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذى فوق التراب تراب !

التاريخ: ٢٠ / ١٠ / ١٩٦١

قضايا ثقافية

مصادرة... وحرمان!







حجازى — صلاح عبد الصبور — العقاد

هل للأدباء الرسميين، حصانة ضد النقد والمخالفة؟

وهل لرؤساء اللجان الأدبية، سلطة كهنوتية تخول لهم صكوك الحرمان؟

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

كنت اوثر الا يكون للاستاذ العقاد صلة بهذه القضية من قريب او بعيد، حتى لايظن قارئ انى اتناولها متأثرة بخصومتى الفكرية للكاتب، لا بموضوع القضية نفسه.

لكنه الذى اثارها، حين بعث الى السيد السكرتير العام لمجلس الفنون والاداب، برقية هذا نصها:

« ارجو اعتبارى مستقيلا من لجنة الشعر وحذف كلمتى فى مهرجان الشعر بدمشق، اذا سمح لكل من صلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطى حجازى، بالقاء شعرهما فى المهرجان، او الاحتفال بذكرى البحترى. »

ثم جاءت انباء المهرجان، تؤكد ان السيد السكرتير العام تصرف بلباقة، لتسوية الموقف بطريقة دبلوماسية ترضى الطرفين:

يرضى الشاعر حجازى، — او يتعارض — ويمتنع من تلقاء نفسه من القاء قصيدته فى المهرجان، لعل هذا يرضى رئيس لجنة الشعر.

ويلقى «صلاح» قصيدته — على نسق القديم — لترضى انصار الحرية.

وبهذه الوسيلة الدبلوماسية، تنجو لجنة تنظيم المهرجان من كل لوم او عتاب؛ فلا يقال انها لم تكترث بغضبة العقاد، كما لا يقال انها خضعت لقراره بحرمان الشاعرين:

اما حيثيات قرار الحرمان كما فصلها الكاتب المشهور فى رسالته الى السيد رئيس المجلس الاعلى للفنون والاداب:

« ومعنى اختيارهما، مع مهاجمتهما الشخصية والادبية لنا، ودعوتهما الملحة الى هدم قواعد الشعر العربى، انما معناه بحق اهمالا لوجود لجنة الشعر، واشهادا للعالم على ارغامها وتخطيها »

ومنذ قرأت هذه الاخبار، وانا ارقب صداها فى حياتنا الادبية، لكن الايام مضت والاسابيع، وكل شىء هادئ فى الميدان الادبى.

والسؤال الاول الذى اعرضه هنا هو:

هل من حق رئيس احدى الهيئات الادبية الرسمية، ان يستغل نفوذه فيها لتحكم فى اقدار الادباء ومصايرهم تبعا لهواه، ليرفع منهم من يشاء، ويضع من يشاء، بميزان واحد هو غضبه ورضاه؟

واذا استعمل الرئيس الاعلى للهيئة، سلطته القانونية فى مثل هذه الحالة، لاقرار التوازن وتلافى القرارات المعيبة هل يعد هذا تخطيا لرئيس لجنة، يصدر احكامه عن مزاجه الشخصى، ويخضع قراراته لاعتبارات خاصة، تهدر صحة القيم الادبية وعدالة الموازين؟

ولكى يتضح لنا وجه الحق فى هذا الموقف، يجب اولا ان نتبين المقاييس التى حكم بها رئيس لجنة الشعر على شعرائنا ونترك احكامه نفسها، لنشهد على هذه الموازين:

التاريخ: ٣٠ / ١٠ / ١٩٦١

عندما بلغ — مثال عمره — عامه السبعين تلقى منظومة من السيد محمود حسين حمزه يقول فيها :

الامرائه والمجد فى افق الدنى فيدا
للناس شمسان في الشمس والنهر
لاهمه شمس تطل اليوم مشرقة
وشمس عباس تبقى حلية العصر

فرد عليه رئيس الشعر الرسمي بمرثية يقول فيها :

يزيد فى العمر اعواما مباركة
تهانى منك تحكى الآى فى السور

وهى شهادة مثل من تقدم بمدحا فى الاستاذ العقاد ، استحق عنده ان يبلغ مرتبة البيان القرآنى المعجز ، الذى اعيا العرب وهم سادة هذا الفن القولى — ان يأتوا بسورة من مثله !

مثل آخر من احكامه :

تقدمت له الدكتورة نعمات فؤاد ، تهنئة ارتسمته ، فرد عليها بمرثية يشهد لها فيها بأنه « ليس فى العلم والادب مثلها دكتور ولا دكتورة ! »

ونسى رأيه المشهور فى حواء

ونسى ما كتبه عن « مدام كورى » التى استحقت بأنوثتها لعنته ، فأخرجها من زمرة العلماء !

نسى هذا كله ، واجاز لبعض السيدات ان يحررن فصولا فى كتاب « العقاد : دراسة وتحية » .

ورشح ثلاثا منهن لمهرجان الشعر ، وحفل البحترى : نعمات فؤاد وزوجة الفلبنى ، وشريفة فتحى

كأنما يجوز عنده ، ان تشترك بنات حواء فى مثل هذه المحافل الادبية ، اذا رفعت اليه التهنئات والتحيات !

فهل جاوز السيد رئيس المجلس الاعلى ، حدود العدل والانصاف ، اذ استعمل سلطته القانونية ، فأنصاف الشاعرين عبد الصبور وحجازى ، الى الثلاثة من رشحهم الاستاذ العقاد لمهرجان الشعر ، والاحتفال بذكرى البحترى ؟

او هل اعتدى على حرمة لجنة الشعر ، حين احتمل مسئوليته ليحمى حياتنا الادبية من عبث الهوى ، وسطوة الطغيان !

بقى سؤال آخر وهو :

لماذا سكت كبار الادباء الرسميين ، فلم يهتفوا بكلمة على مواقف زميلهم الكبير ، وهو يريد ان يمارس فى الادب والفكر سلطة كهنوتية ، تصدر صكوك المنح وقرارات الحرمان ، وسلطة ملكية ، تجعل مخالفته اثما لايغتفر ، والعيب فى ذاته المصونة جريمة تستحق اقسى العقاب ، وسلطة لاهوتية ، تجعله « لايسأل عما يفعل وهم يسألون » !

لماذا صمتوا ، وهو يستغل نفوذه الرسمي لتحريم التجديد فى الشعر ، ويقف مثل جبروته ليعوق التطور ويطلق

دعاته وانصاره في شتى المحافل الادبية ، ليقذفوا بالحجارة من حقت عليه لعنة كبيرهم من شعراء العصر ، وليتهموهم بأن لهم ضمير اليهود ، وان شيطانهم احمر ؟

اتراهم سكتوا ، مجاملة للزميل ، واشفاقا من غضب المارد العملاق الذي اعلن ان رأيه هو رأى الخالق ، وصرح في قصيدة له — نشرها في ديوانين ، لاني ديوان واحد — بأنه يشتهي ان يكون ربا ؟

اوثر لهم ان يكون هذا هو ماحملهم على الصمت ، فذلك خير على اى حال ، من ان يفسر موقفهم بأنه حسن الاقرار ، وسكوت الموافقة والرضا ، حتى تكون سابقة يكسبون بها حصانة ضد النقد ، ويمارسون في ظلها ماشاءت لهم امزجتهم دون ان يسألوا عما يفعلوا ..

ولكي يكون قرار الحرمان سيفا مسلطا على الاقلام والضمائر ، فلايجرؤ ناقد على التعرض لهم بما لايرضيهم !

وهو مالا اريد ان انصوره !

حفاظا على اولئك الكبار الذين احببناهم ورفعناهم الى اعلى المراكز الادبية ، والقينا اليهم زمام القيادة الوجدانية والفكرية فينا ..

لاخوفا على حرية الفكر ، التي اومن انها ستجد دائما من يحميها ضد كل عدوان في فدائية واستبسال ، كما وجدت في ماضي تاريخها الطويل ، اقلاما حرة تملك شجاعة الكلمة ، وضمائر شريفة لاتهاب قول الحق رغم كل مصادرة واضطهاد .

ولا اشفاقا من تجميد حياتنا الادبية وسيطرة الرجعية عليها ، فقد بقيت الارض تدور بعد محنة «جاليليو» وستظل الدنيا سائرة ابدا بوجهها الى الامام ، خضوعا لسنة الطبيعة وحتمية التطور وقانون الحياة :

امس الذي مر ، على تربه
يعجز اهل الارض عن رده !

معارك العقاد وأعداؤه .. في الأدغال

عادت المعركة بين العقاد وبنت الشاطىء .. انتهزت بنت الشاطىء فرصة هجوم العقاد على اثنين من الشعراء الشبان شنت عليه حملة شعواء جديدة ، اتهمته فيها بالطغيان ومحاربة التجديد ، وحب الثناء وتبادل برقيات التهنئة مع المعجبين به ، شعرا منظوما على طريقة الخليل .

وقد كتبت انا شيئا من خروج العقاد من لجنة الشعر بسبب سفر الشاعرين الشابين الى دمشق .. وكانت كتابتى ذات شقين : احدهما تاييد حق العقاد فى رئاسة لجنة الشعر ، ما دام هو رئيسها بالفعل .. فليس يجمل بمن لهم سيطرة فى المجلس الاعلى للاداب ، ان يتخطوا رؤساء اللجان ، فقد مضى زمن «الطراطير» الذين يتخفى وراءهم اصحاب الجاه والنفوذ ..

والشق الثانى : يتعلق بالمبدا .. اقصد المبدا الفنى الذى ينبغى ان يحترمه صاحبه ، فقد القى احد الشاعرين فى مهرجان دمشق شعرا تقليدى الاوزان ، مراعاة لخاطر العقاد الذى اعلن غضبه على هذا الشاعر بالذات ، لانه يكتب شعرا جديدا ، يعده العقاد لونا من النثر ..

ومعنى هذا ان الذين ارسلوا هذا الشاعر الى مهرجان دمشق ، لم يرسلوه ليمثل تيارا جديدا فى الشعر العربى .. ولم يرسلوه كذلك ليمثل تيارا قديما ..

فاما الجديد فقد تنصل منه الشاعر ، امام شهود المهرجان بقصيدته ذات الاوزان ، واما القديم فقد اثبت بقصيدته هذه انه ليس من اهله .. لبث قبل كل شىء ان ارساله الى دمشق لم يكن له ما يبرره على الاطلاق

ولا ادرى ما الذى حفز بنت الشاطىء الى الدفاع عن هذين الشاعرين وهما الاستاذ عبد الصبور ، وزميله الاستاذ حجازى ..

لقد انتهزت بنت الشاطىء الفرصة لتكيل صاعا للعقاد ، بعد ان كفت من الكيل له منذ اسابيع حتى شالها الكيل والميزان ...

وكانت خليقة ان تسال صاحبيها : لماذا تمارض احدهما ، وهو فى قوة ربيعه السابع والعشرين ، ولماذا تنكر الثانى لمذهبه فى الشعر ، فعدل عنه فى المهرجان الى مذهب العقاد وصالح جودت والشيخ على الجندى ؟ ..

ان حجازى من اعذب شعرائنا الشبان صوتا ، وزميله عبد الصبور من اشدهم اخلاصا لفن الشعر ، وكلاهما خليق ان يبلغ بشعره الجديد ، شعر التفاعيل ، هدفا طيبا ..

وكلاهما خليق بان يدافع عن مذهبه ، فى الشكل ، وفى المضمون .. ولكنهما كانا متلهفين على السفر .. مجرد السفر ، فدفع احدهما ثمن تذكرة الطائرة ، شعرا تقليدى الاوزان والثانى ان يكون التمارض هو ثمن التذكرة الى دمشق ..

والمسالة كلها تشبه لهفة الابن فى دخول السينما او مسرح العرائس .. انه فى هذه الحالة يتخلى عن كل شىء ، ويتصنع الادب الشديد ، وينفذ اوامر والده ..

وكانت اوامر « الوالد » بالنسبة للشاعرين عبد الصبور وحجازى فى مهرجان دمشق .. ان يكتب الاول اوزان الخليل بن احمد ، وان يرقد الثانى فى فراش المرض ...

وصحيح انهما تمكنا باطاعة الاوامر من مشاهدة « الفيلم » .. ولكنهما خسرا الكثير فى ميدان الثقة

وانا بالرغم من احترامى للسماحة بنت الشاطىء ، واعترافى بانها اعرب الكاتبات لسانا .. لا استطيع ان ادعى ان دفاعها عن حجازى وزميله ، كان دفاعا عن الكتاب والسنة ـ كعادتها دائما ـ بل كان انحيازا واضحا ..

وانا لم اجلس فى ندوة العقاد ولو مرة فى حياتى ، ولهذا لا اعرف ما يقوله عن اسباب العداوة بينه وبين بنت الشاطىء ..

وقد سالت ذات مرة زميلنا الاستاذ سيد العقاد ، قريب الاستاذ عباس محمود العقاد ، عن اسباب هذه العداوة ، فلاذ بالصمت التام ..

وسالت زميلا صحفيا اعتاد التردد على ندوة العقاد ، عن سبب هذه العداوة المريرة ، كما يرويه العقاد فى ندوته ، فقال لى الزميل كلاما كثيرا ، لا اعتقد ان عداوة اديب لاديب او لاديبة ، تجيز ان يقال ..

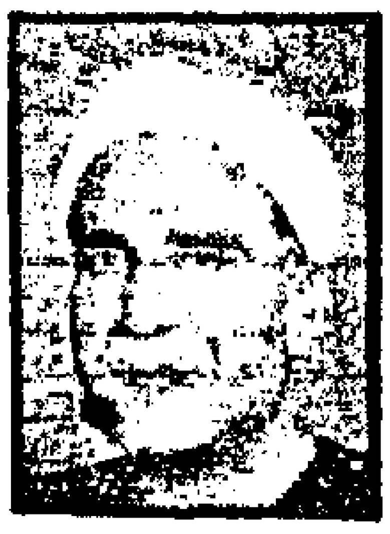
وهكذا ، فان معركة مهرجان دمشق ، تشعبت ودخلت فى [illegible] المظلمة ، وامدها ما يقال وراء «الكواليس» بزاد لا ينفد من اللهب الذى يلقى على عواهنه ..

التاريخ: ٢٧ / ١٠ / ١٩٦١

قضايا فكرية

التخصص .. والاحتكار!

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



الشيخ مصطفى عبد الرازق



ابراهيم بيومي مدكور



شفيق غربال

((ما أفتيت حتى سالت : هل لنا للفتيا موضع ؟
وما جلست ـ للتدريس ـ حتى شهد لى سبعون شيخا
من أهل العلم ، انى موضع لذلك)) ((الامام مالك))

لما عالجت هنا موضوع ((حرمة التخصص)) انكرت على مؤلف يحمل درجة البكالوريوس فى الاداب والتربية ، ان يضع كتابا فى تفسير القرآن ، يتعرض فيه لمسائل اصولية وعلمية دقيقة ، لا دراية له بها . وقد تلقيت من المؤلف ردا ، لم اشأ ان اشير اليه هنا لفرط تهافته ووضوح اضطرابه ، لكنه ذهب بالرد الى احدى مجلاتنا الاسبوعية ، فنشره فيها ، وفتح بابا ظننت انه اغلق :

التاريخ : ٢٧ / ١٠ / ١٩٦١

فلقد تشابه الامر على كثير من القراء، فكتبوا الى، يسالوننى كما سال السيد مفسر القرآن :

هـل فى العلم احتكار ؟ او هـو حق مشاع لكل من قرا ودرس ؟

ولماذا انكرت على غيرى من الدارسين ما ابحته لنفسى، حين الفت كتبا عن «ام النبى، ونساء النبى، وبنات النبى» **ولست متخصصة فى التاريخ ؟.**

وجدت من الحق ان اجلو هذه الشبهة لاكتب اليوم عن موضـوع التخصص والاحتكار ..

واقولها بصراحة : اجل، ان التاليف العلمى احتكار لذوى الدراية به والتخصص فيه !

وقد كان كذلك فى البيئة الاسلامية من قديم بعيد، قبل ان تظهر الجامعات فى الوجود، وقبل ان تعرف الدرجات العلمية فى شتى فروع الدراسات .

ولم يكن الامر فوضى مبهلا، كما يتصور كثير من الناس ..

بل كانت هناك اولا ــ والعلم رواية ــ سند صحيح، ومشيخة، او استاذية معروفة، لكل من يتحدث بالعلم، او ينقل منه للناس شيئا ..

ولو جرؤ احد على ان يفعل ذلك، دون ان يذكر اشياخه الذين اخذ عنهم، لكان موضعا للتجريح، ووجب على كل ذى امانة فى العلم ان يشهر به، ويعلن كذبه !

لم يكن لاحد مثلا، فى العلم النقلى، ان يقرىء او ينقل او يفتى، عن موطا مالك او مسند احمد، او كتاب الامام الشافعى او صحيح البخاري ومسلم، الا اذا كان له شيخ اخذ عنه، واطمان الى اهليته وصلاحه .

والامام مالك، رضى الله عنه يحدثنا عن نظام عصره فى منح الاجازات العلمية فيقول :

«ليس كل من احب ان يجلس فى المسجد للحديث والفتيا جلس، حتى يشاور فيه اهل الصلاح والفضل والجهة من المسجد فان رآه لذلك اهلا، جلس»

ويقول عن نفسه :

«ما افتيت حتى سالت : هل انا للفتيا موضع ؟ وما جلست حتى شهد لى سبعون شيخا من اهل العلم، انى موضع لذلك»!

وكان تلقى العلم النقلى، من افواه الرجال، امرا مفروضا لايحول دونه تنائى الابعاد ومخاطر الرحلة ومشاق السفر، فمن لم ياخذ العلم عن الاشياخ، واكتفى بالتحصيل من الورق، فهو عندهم مصحف !

ولفظ **التصحيف** لغويا، انما اخذ من عدم تلقى العلم من اهله، والاكتفاء فيه بالرجوع الى الصحف ــ يعنون بها الاوراق ــ التى يقع الخطأ فى قراءتها، فيقال : قد صحف اى اخذ العلم من الصحف !

والاصل عندهم : **لا تاخذوا القرآن من مصحفى .**

ويروون فى ذلك نادرة لاحد ائمة القراء السبعة، كان فى اول امره يتعلم القرآن من المصحف، فقرأ يوما وابوه يسمع : **«ذلك الكتاب لا زيت فيه»** فقال له ابوه : **دع المصحف وتلقن من افواه الرجال!**

وقد الفوا فى تراجم العلماء، ان ينصوا على اشياخهم، وان يذكروا رحلاتهم واسفارهم للقاء هؤلاء الاشياخ والاخذ عنهم .

وبلغ من دقة منهجهم فى تحمل الحديث وادائه، ان جعلوه ثمانى مراتب، اولاها السماع من الشيخ، تليها القراءة عليه، ثم تهبط الدرجات تنازليا حتى تصل الى المرتبة الثامنة وتعرف فى مصطلح الحديث **بالوجادة**، يعنون بها ان يروى احد حديثا وجده بخط الشيخ !

بل بلغ من **صرامة** هذا المنهج، ان قالوا فى الفقه : **«ان نقل المخالف فى المذهب لا يعتد به»** مع ان الفقه علم واحد، لكن تختلف فيه اصطلاحات المذاهب واصولها فمن نقل عن كتاب من غير مذهبه، لا يوثق بنقله ولا يعتد به !

الى مثل ذلك المدى البعيد، بلغت رعاية اسلافنا لحرمة التخصص ودقة المنهج، منذ قرون ذات عدد :

التاريخ: ٢٧ / ١٠ / ١٩٦١

فهل يستكثر علينا ، فى عصرنا هذا ، ان نقول لمن يحمل بكالوريوس فى التربية من الجامعة الامريكية : اذا اردت ان تؤلف فى التفسير ، فليس لك ان تتجاوز نطاق تخصصك ، وانما حسبك ان تؤلف فى « التربية فى القرآن الكريم »؟ !

وطلب العلم حق لكل طالب معرفة ، والقراءة والتثقف ، واجب على كل فرد ، لكن التاليف فى اى فرع من فروع الدراسة حكر على من تخصصوا فيه ، وتشهد لهم اهل العلم والخبرة بالاهلية لهذا التاليف .

واذا كان باب الكتابة الادبية مفتوحا لكل ذى موهبة ، فان باب التاليف فى العلم، مغلق لا يفتح الا لذوى الاختصاص .

والدراسات اللغوية والادبية والفقهية ليست نوعا من الادب ، وانما هى علوم لها اصولها ومناهجها البحتة ، كالطبيعيات والرياضيات ، الا من حيث اختلاف طبيعة كل علم منها عن سواه .

والقرآن الكريم ، كتاب المسلمين جميعا ، وهو فى الوقت نفسه كتاب العربية الاكبر ، فتراعته ودرسه ، حق لكل عربى ، وواجب على كل مسلم ، لكن الاشتغال بتفسيره تاليفا او تدريسا يجب ان يكون احتكارا لاهل الدراية ، كل فى مجال تخصصه ، لا يتجاوزه .

وقد قلت واقول : اننى شخصيا لا اجرؤ على تناول هذا الكتاب الكريم ، الا فى حدود تخصصى ، من حيث هو نص بيانى معجز ، اما المسائل الاصولية ، فلا حق لى فى التعرض لها ، واما اسرار علم الاجنة ، والبلاستوسيت وبويضة القرود، فمحرمة على قطعا ، لانها احتكار للمختصين من العلماء !

ومن عجب اننا لا نسمح لاحد ان يشتغل بالتعليم — حتى فى المرحلة الابتدائية — الا اذا كان يحمل اجازة التدريس ، ثم نستغرب ان يحظر تفسير القرآن ، فى كتب تخرج للناس ، على غير المتخصصين فيه !.

ثم ما هذا الذى ينال عن اشتغال مثلى بالتراجم التاريخية ؟

هل فينا من لايزالون يتصورون امكان عزل الدرس الادبى عن التاريخ ؟ وهل يمكن فهم اى نص ادبى ، دون الاحاطة التامة ، بتاريخ بيئته الخاصة والعامة ؟

اذن فليعلموا ان التاريخ والفلسفة من المواد الاصيلة المقررة على الطلاب

فى اقسام اللغة العربية بالجامعات ،لكن ليس من المقرر على طلبة بكالوريوس التربية والاداب ، دراسة علم الاصول والكلام ، او علم الاجنة ، والتشريح !

ونحن نتلقى دروس التاريخ والفلسفة، على اساتذة علماء

وعندما كنت طالبة فى الجامعة ، تلقيت على الدكتور مصطفى زيادة تاريخ العصور الوسطى،وعلى المرحوم الاستاذ شفيق غربال تاريخ العصر الحديث ، وعلى الاستاذ العبادى — رحمه الله — تاريخ الاسلام. وكان من اساتذتى فى الفلسفة الاسلامية المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق ، والدكتور إبراهيم مدكور ، اطال الله عمره !

ونحن مع ذلك ، لا نتناول الموضوعات التاريخية **من حيث هى تاريخ** ،وانما نشتغل بدراسات ادبية ، مادتها تاريخية! نقدمها الى المكتبة الادبية ، لا الى المكتبة التاريخية التى نعترف بأنها حكر للمتخصصين فى التاريخ !

وقلما يبيح احدنا لنفسه ، وهو يحترم عقله ومقول قرائه ، ان يتصدر للفتيا فى المسائل التاريخية ، على نحو مايفعل الذى يحسب ان علمه وسع كل شىء ، فهو يفتى ويؤلف فى اللغويات والالهيات وفى السياسة والحرب ، وفى القانون والفقه والتاريخ ، وفى الكيمياء والجبر! غير متصور ان الكلام فى اى علم من هذه العلوم ، احتكار لاصحاب الدراية به والفتنه لاسراره .

ولن تصح حياتنا الفكرية ، بغير هذا الاحتكار الذى تفرضه حرمة التخصص وكرامة العقل .

التاريخ: ٣ / ١١ / ١٩٦١

القيم المستعارة

قضايا أدبية

بقلم : الدكتورة بنت الشاطىء

إلى متى تظل القيم القديمة الموروثة تسيطر على فهمنا لتراثنا الأدبي ، وتوجه ذوقنا له ؟

عندما تذكر القيم الادبية المستعارة ، يتجه الظن غالبا الى ما يدخل الميدان الادبى عندنا من احكام وموازين مستوردة من الخارج ، عن طريق النقل والتقليد أو التأثر والاقتباس

وقلما يتجه الذهن الى قيم اخرى ، مستعارة كذلك ،لكن من الداخل لا من الخارج : أعنى تلك التى توارثناها عن نقاد قدامى ، عاشوا فى زمان غير زماننا وتأثروا باوضاع فنية واجتماعية ، غير هذه التى نعرفها اليوم ، ولم يكن ذنبهم

ان نظروا الى الادب بذوق عصرهم وخضعوا فى نقده لمزاج مجتمعهم ومستوى تفكيرهم .

ثم مضوا ،وخلفوا لنا تلك القيم والاحكام ، يتلقاها الدارسون منا جيلا بعد جيل ، وقد صار لها من حرمة القدم وطول العمر وسلطان الالف ، ما اضفى عليها مهابة ترد عنها محاولات التجديد، وتحميها ممن يجرؤون على معاودة النظر فيها بعقلية متحررة ، وذوق عصرى ..



ونعرف جميعا ، ان حركة جمع تراثنا الادبى الاصيل وتدوينه ، بدأت من القرن الثانى الهجرى ، وبدأ معها — او بعدها بقليل — اشتغال رجال العربية بالتأليف فى دراسة ذلك التراث وتاريخه ونقده ، فى ظل نظم سياسية واجتماعية غير التى كانت للعرب فى قديمهم الاول . وكان مركز الحركة اول ما كان ، فى بغداد عاصمة العباسيين ، التى كانت تصب فيها روافد وتيارات وافدة من شرق وغرب ، مؤثرة فى مزاجها العام وذوقها الادبى ، بمؤثرات طارئة ، منها غريب دخيل ، حملته ومكنت له من المجتمع العربى ، شعوبية غازية .

التاريخ: ٣ / ١١ / ١٩٦١

وقد حدد اولئك القدماء للشعراء منازلهم ومراتبهم واقدارهم ، واختاروا نماذج من الشعر العربى راوها اجمل واجود ما قيل فى بابها ، ومرت عصور وقرون ، وما يزال الشعراء حيث وضعهم اولئك الاقدمون ، وما تزال النماذج التى اختاروها ، هى التى تستأثر بعنايتنا واهتمامنا ، وما تزال احكامهم ومقاييسهم رائجة لدينا ، نعيدها ونكررها وندور فى نطاقها ، وما تزال القيم التى وضعوها للادب ، هى التى تسيطر على فهمنا لتراثنا الادبى ، وتوجه ذوقنا له ، وتحدد ادراكنا لوظيفة الادب فى الحياة ومكانه منها .

فمن ارتاب فى ذلك ، فليسال اى طالب عما يتعلمه من الادب العربى ، او فليفتح اى كتاب من الكتب المقررة فى الادب ، فسيرى ان المدائح لا تزال تشغل اكثر اهتمامنا ، وسيقرأ ان «الاعشى» لا يزال صناجة العرب ، ومن مختاراته قصيدته التى مدح بها «المحلق» لانه هيا له اكلة دسمة ، وابياته اللامية التى يتغزل بها فى « هريرة » التى تمشى الهوينى كما يمشى الوجى الوحل!

وسيرى ان « النابغة » لا يزال يستحق امارة الشعر الجاهلى باعتذارياته الذايلة التى اقر فيها على نفسه بالعبودية لسيده النعمان الذى اشترى شعره ووجدانه بالمال ، فاذا غضب عليه السيد ، ضاقت الدنيا فى وجهه ، وصار كالبعير الاجرب المنبوذ .

وبائية جرير ، لا تزال امدح قصيدة للعرب ، وفيها يحكى حكايته مع زوجته ام حزرة ، حين قالت له ما ترجمته بلغة اليوم : ياخيبتك ! الناس يسعون الى الملك فى التماس عطائه ، وانت قاعد !

ويجيبها : صبرا يا ام حزرة .

ثم يجرى الى الملك فيقف ببابه مستجليا يقول :

* اغثنى يا فداك ابى وامى ! *

وسيقرأ فى المختار من شعر المتنبى بائيته فى مدح كافور :

ابا المسك هل فى الكاس فضل اناله

فانى اغنى منذ حين وتشرب !

وكانما قضى علينا ان نستعير اذواق القدامى ، وان ننظر بعيونهم ونعيش بوجدانهم .

ومنذ اثنى عشر قرنا ، تململ « ابن قتيبة » من استعارة ذوق السابقين ، فقال فى كتابه (الشعر والشعراء) : «ولم اسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر .. سبيل من قلد او استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، والى المتاخر بعين الاحتقار لتاخره ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده فى كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا فى عصره »

وفى القرن السادس الهجرى ، ضج « ابن بسام » فى اقصى المغرب ، من الجمود والتقليد ، واستعارة ذوق بيئة اخرى غير بيئته ، فقال فى كتابه الذخيرة :

الا ان اهل هذا الافق — يعنى الاندلس — ابوا الا متابعة اهل المشرق يرجعون الى اخبارهم المعتادة .. حتى لو نعق بتلك الافاق غراب ، او طن باقصى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنما ، وتلوا ذلك كتابا محكما . وليت شعرى من قصر العلم على بعض الزمان ، وخص اهل المشرق بالاحسان .. والاحسان غير محصور ، وليس الفضل على زمن بمقصور ، وعزيز على الفضل ان ينكر ، تقدم به الزمان او تاخر . ولحى الله قولهم : الفضل للمتقدم . فكم دفن من احسان ، واخمل من فلان ! ولو اقتصر المتاخرون على كتب المتقدمين لضاع علم كثير ، وذهب ادب غزير ..»

وابن قتيبة ، وابن بسام ، قد كانا قريبى عهد بالقدوم نسبيا ، وقد عاشا كلاهما ، فى عصور متخلفة ومجتمع متصدع افلسنا اولى منهما بمثل هذا التحرر الفكرى والذوقى ؟

وهل ترى يليق بنا ان يجمد ذوقنا عند الموروث من قيم نقدية واحكام ادبية نتلقاها مقلدين ، عن اجيال تفصلنا عنها قرون واعوام ، جد فيها على ثقافتنا واذواقنا ما جد ؟

لقد آن لنا ان نخلص الى تراثنا الادبى ، فنفهمه فى وعى ونفحصه بحرية ونقومه بذوق متحرر من رواسب العصور المتخلفة ، التى لا تزال متحجرة فى الميدان ، تجمد ذوقنا ، وتصيب الدرس الادبى عندنا بما يشبه العقم والشلل .

وهذا التحرر من القيم المستعارة ، ليس فيه مساس بمكانة الاجيال السالفة او جحود لفضلها ، او مسخ لجهودها وازدراء لطاقتها التى لم تسعفها على اكثر مما بلغت ، على حين يؤذينا الجمود عندها ، ويعطل تطورنا الذى لابد منه لكى نحقق وجودنا ، ونساير زماننا .

والطريق امامنا شاقة وطويلة ، والغاية بعيدة ، لن تدرك الا بكفاح متصل ، وجهود متآزرة يبذلها المؤمنون برسالة الادب فينا ، المقدرون لحاجتنا الى قيم جديدة لادبنا ، تلائم كرامتنا العقلية ومستوانا الفنى ، ونظرتنا الجادة المكبرة لمكان الأدب فى الحياة .

التاريخ: ١٠ / ١١ / ١٩٦١

الأدب النسوى

قضايا أدبنا المعاصر ١

قالوا فى روما : إن القول باختصاص أدبى للمرأة العربية ليس إلا انعكاسا لانفصالية الحريم فى العصور الخوالى

بقلم : الدكتورة بنت الشاطئ

ما لقيت هنا . منذ رجعت من روما ، احدا من المشتغلين بالادب ، الا سألنى : ما الذى كان فى الحلقة الدولية لدراسة ادبنا المعاصر ؟

والجواب عن هذا السؤال ، لايفى به رد سريع ، او مقالة ومقالتان ..

فلقد اثير فى هذه الحلقة ، عدد من اهم القضايا التى تشغلنا فى الميدان الادبى : ابداعا ، ونقدا ، ودراسة .. وكانت هذه القضايا قد وزعت قبل موعد انعقاد الحلقة بأشهر ، على عدد من المتخصصين اعد كل منهم تقريرا عن قضية منها ، طبع ووزع على جميع الاعضاء المشتركين فى الحلقة . ثم كان النظام المتبع ، ان تعقد جلسة خاصة ، يحضرها جميع الاعضاء حيث تدور المناقشة فى اوسع نطاق .

وبهذا ، تكون كل قضية مما اثير فى الحلقة ، قد اتيحت لها الفرصة الكافية للعرض والفحص والنقد ، وانضمت الى راى دارسها المتخصص ، آراء عدد غير قليل من الزملاء الاعضاء ، يمثلون مختلف المذاهب الادبية ، والاتجاهات الفنية ويعبرون عن شتى التيارات التى يموج بها محيطنا الادبى .

ومن هنا ، لم يكن فى استطاعتى ان اجيب عن السؤال فى مقال واحد ، بل لعلى لو خصصت كل قضية بمقال ، اعرض فيه جوها العام ، واشير الى اتجاه التيارات المختلفة فيه ، لما اديت الا ادنى حقها من الوفاء والبيان .

التاريخ: ١٠ / ١١ / ١٩٦١

وسأبدا اليوم بموضوع الأدب النسوى العربى المعاصر . لا تحيزا للجنس ،ولا ايـثارا لموضـوعى بالتقدمة ، ولكن لان مناقشته فى الحلقة ، قد كشفت لي عن لبس كبير ، فى الفهم الشائع لادب المراة العربية المعاصرة ، ثم فى تقديره وتقييمه وهو لبس ، لا اقول انى لم التفت اليه من قبل ، لكنى اعترف بأنى لم اعره كبير اهتمام ، حيث لم اكن اقدر مدى نفوذه وسيطرته ، حتى سمعت المناقشة التى دارت حول هذا الموضوع فى "روما"

كان التيار الغالب ، هو انكار وجود ادب نسوى خاص ، .. او ان كان ، فليس يعدو هذه القصص الجريئة التى تكتبها ليلى بعلبكى وكوليت سهيل خورى ومثيلاتهما ، كاشفات لنا فى صراحة جريئة عن عواطف الانثى واهوائها ، دون تحرج او مداراة . ومذيعات سر حواء ، من وراء الحجب التى اسدلتها عليها قرون من الوأد العاطفى والرق الاجتماعى .

فنحن هنا امام مسألتين :

اولاهما : انكار اختصاص المراة بنوع متميز من الادب ، يجيز ان نتناوله بالبحث المفرد ، مستقلا عن الادب العام ، للرجل والمراة على السواء .

والاخرى : القيمة الحقيقية لنوع معين من قصص الاديبات العربيات ، يقال انها وحدها التى تستحق ان تمثل ادبنا النسوى ا. ضر ، اذا جاز تمييزه عن الادب العام .

وقد بلغ من عنف الجدل حول المسألة الاولى ان تتابع ادباء من العراق ولبنان ، ومن تونس والجزائر ، يعلنون ان تخصيص المراة العربية بنوع من الادب ، انما هو فى الواقع انعكاس لانفصالية الحريم التى عزلت الجنسين احدهما عن الاخر ، فى العصور الخوالى ، ولا تزال تعزلهما فى المجتمعات المتخلفة حضاريا . والا فالادب ادب ، سواء كتبه رجل او كتبته امراة والقول بان المراة تتميز بالعاطفية فى كتابتها ، يرده ان الادب كله لا يجوز ان يخلو من العنصر العاطفى الذى هو قوام فنيته ، والا فهل يمكن تصور وجود اديب غير عاطفى ؟ وما يقال كذلك عن اختصاص المراة بالحديث عن مشاعرها الذاتية ، يرد عليه بان هناك ادباء من الرجال عبروا فى صدق واقتدار عن مشاعر الانثى ، ونفذوا الى اعماق وجدانها .

واسلم بادىء ذى بدء ، بان الادب النسوى جزء من الادب العام لاينفصل عنه، لكن هذا لايمنع بحال ما ، من افراده بالنظر والدراسة على وجه التخصيص ، على نحو مانفعل بكثير من فروع الدراسة لفنون الادب ، او بصنف خاص من الادباء؛ دون ان تمنع عمومية الادب من هـذه الخصوصية ، بل دون ان يقال ان التعميم ينفى التخصيص .

وعصرنا عصر تخصص ، ولا احد منا يطيق التناول العام للادب جملة ،بل تتشعب الدراسات الادبية بالتناول المتخصص الذى هو سمة العصر ، والذى يكسب الدرس الادبى دقة وعمقا وثراء وتنوعا ..

واذا جاز — جدلا — الا نفرق فى العلم بين عالم وعالمة ، فان مثل هذا لايجوز فى الادب الذى هو بطبيعته نشاط وجدانى ذاتى ، يختلف فيه الاديب عن

الاديب ، فكيف لا تختلف الاديبة عن الاديب ؟

ان الادباء جميعا بشر ، يندرجون فى الجنس العام الذى هو الانسان ، لكن لكل واحد منهم شخصيته الفردية الى جانب انسانيته العامة. واولى ان يقال هذا فيما بين الاديبة والاديب من فروق جوهرية ، فى الفطرة والتكوين ، وفى العقلية والمزاج وفى النظرة الى الاشياء ، **بل فى كل ماهو عنصر من عناصر الشخصية التى بها تكون المراة امراة ، والرجل رجلا . .**

ليس فى الامر اذن ، انعزالية من رواسب القرون الخوالى ، بل هو تقدير لفروق جوهرية ، يتأثر بها العمل الادبى دون ريب .

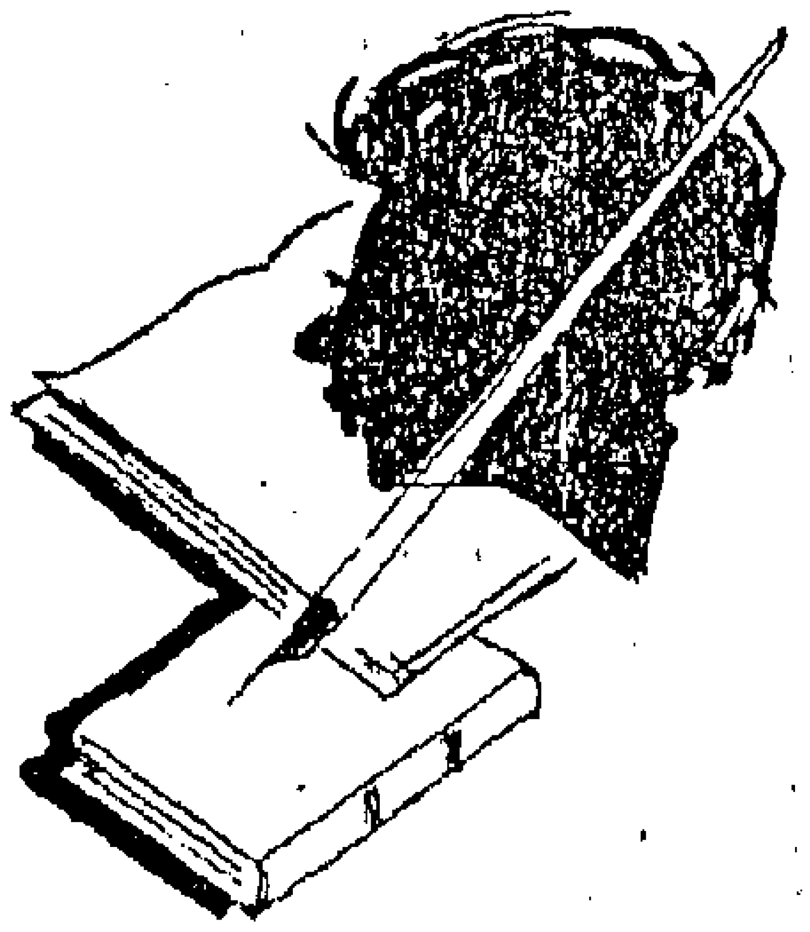
كما ليس فى الامر اهدار لعموم الصفة الادبية للرجال والنساء على السواء ، ولكنه تخصص يأبى علينا هذا التناول العام المهدر لخصوصية الادبية العربية ، والا لانكرنا مثلا ان نفرق بين ادب الشرق والغرب ، او بين ادب عربى وغير عربى او بين ادب معاصر وغير معاصر ، بدعوى **عمومية الادب** ، التى يستوى لديها ان يكون العمل الادبى حديثا او قديما شرقيا او غربيا .

وصحيح ان الاديب لايمكن ان يكون اديبا حقا اذا اعوزه العنصر الوجدانى الذى هو جوهر كل عمل فنى ، لكنى اقول **ان لنا نحن الاديبات ، رصيدا عاطفيا مضاعفا : قدر منه يشاركنا فيه الادباء بحكم طبيعة الفن ، وقدر آخر ننفرد به ،** بحكم انوثتنا. اعنى ان وجدانية الاديب تاتيه **من صفته الادبية ، اما الاديبة ، فلها الى جانب هذه الصفة ، كونها عاطفية بفطرتها اصالة !**

ومن اجل هذا تشتد حاجة الادب المعاصر اليها ، بعد ان اتجه الى المذهب الواقعى وانطلق من **البلاط السلطان** الى ممارسة وظيفته الكبرى **فى التعبير عن الجماعة ، والقيادة الوجدانية للجماهير .** فلنذ يخشى ان تجرده الواقعية من العاطفية التى هى سر **فنيته ومناط تاثيره** ، واذ ذاك تكون مشاركة المراة فى الادب ، ضمانا لتوفير **هذا العنصر** ، الذى يمكن ان يتخلى عنه اديب واقعى ، فيقدم لنا اعماله قائمة على التصوير الآلى ، والسرد التقريرى الجاف لقضايا المجتمع . ولا يمكن بحال ما ان تتخلى الاديبة عن التناول العاطفى ، فى **الادب الواقعى** ، لان العاطفة جوهر انوثتها فطرة وطبيعة

وما يقال عن اقتدار ادباء رجال ، على التعبير عن مشاعر الانثى ، عجيب بل

التاريخ: ١٠ / ١١ / ١٩٦١



شاذ لنالامل أن الاديب يصف المراة كما يراها فى دنياه ، ويعرفها فى تجربته ، او كما يتمثلها ويريدها . وهو هنا يقدم لنا — فى صدق واقتدار — صور المراة عنده ، وحقيقتها فى وزنه ورايه . اما صورتها الاصيلة فتقدمها لنا حواء الاديبة كما تجدها فى فطرتها وتعرفها فى ذاتها ولو صح ان اديبا استطاع ان يقدم لنا هذه الصورة الاصيلة ، وان يعبر عن مشاعر الانثى كما هى ، فقد «استنوق الجمل» كما قال شاعرنا الشاب «طرفة» من وراء خمسة عشر قرنا

وهذا اعتبار آخر ، يجعل للاديبة العربية مكانها الخاص المتميز ، فى ادبنا المعاصر ، لتكون هى التى تعبر عن مشاعر حواء اصالة ، وتقدم لنا صورتها ،مرسومة بقلمها .

وقد مضى على الادب العربى حين من الدهر ، وهو يفتقد هذه الصورة الاصيلة لحواء، لا لان الاديبة العربية عقم وجدانها وتعطلت مشاعرها فلم تتحدث عن ذاتها، ولكن لان تاريخنا الادبى كتب فى عصور حجبت المراة ، فلم تسغ لها ان تتحدث عن عاطفتها وتغنى اشواقها ،وانما حسبها ان ترثى من مات من اهلها !

وبالرثاء وحده ، حددوا المجال الفنى للاديبة العربية . وقد بدأ هذا التحديد من القرن الثانى ، مع بدء العصر العباسى

فرائد النقد الادبى «ابن سلام» لم يعترف للمراة بمكان فى «طبقات الشعراء» الا مع شعراء الرثاء الذين عد منهم **الخنساء** . ثم لم يعترف بشاعرية الخنساء الا بعد موت اخيها صخر ! مهدرا **بذلك كل شعر لها قالته فى غير الرثاء ، قبل ان تقام مناحة صخر)**

وظل هذا المقياس النقدى ، هو المحتكم فى تاريخنا الادبى لمدى قرون ، فالتقى بالاثار الادبية للمراة العربية ، **مما لا يتصل بالرثاء** ، فى منطقة الظل . ولم يستطع عصرنا الحديث ان يتخلص من احتكام ذلك المقياس النقدى ، فحين نشر اليسوعيون ديوان الخنساء فى بيروت ، ضموا اليه **مراثى ستين شاعرة عربية** من الجاهلية وصدر الاسلام ، وهان عليهم أن يتصوروا ان هؤلاء الشواعر الستين ، لبثن ملجمات الالسنة مغلقات القلب معطلات الشعور، حتى يموت لاحداهن اخ او اب او ولد فترثيه ! ..

وغبرت عصور ، والرجال هم الذين يتولون التعبير عن مشاعرنا ، ويترجمون اشواقنا ، ويدوّنون عنا فى وصف تجربتنا العاطفية التى هى جوهر وجود المراة ، وقوام انوثتها ، وسر حياتها . .

لم تتكلم خولة وعبلة وسلمى ، وهند وسكينة والثريا ، وليلى ولبنى ، وبثينة وعزة ، ومية وعفراء ، وفوز واسماء ، **وانما تكلم عنهن** امرؤ القيس وعمر بن ابى ربيعة، وجميل وكثير والاحنف ،وامثال لهم ممن نطقوا بألسنة الحبيبات ، ونقلوا الينا وجيب قلوبهن وحديث مشاعرهن .

وتقول علينا منهم بالباطل من تقول ، وصورنا على مزاجه وهواه ، واقحمنا فى مغامرات مخترعة ، صاغتها احلام اليقظة وشطحات الوهم ..

ومازال هذا داب كتاب منا معروفين ، يتفننون فى تصوير المراة كما شاءت لهم عقدهم ، ويروون عنا قصصا لا تحدث : الا فى خيالهم .. .

واذا كان كلام الشعراء الاقدمين ، جاز على جداتنا فى غفلتهن عما يقال عنهن ، فانه لم يعد يجوز على بنات هذا الجيل الواعيات ، وفيهن ملايين القارئات ،ومئات من الكاتبات ..

ولو لم يكن للادب العربى المعاصر منا الا ان نصحح هذا الزيف الادبى ، لكان هذا وحده كافيا لتبرير وجود الادب النسوى

وارى الكلام قد طال ، قبل ان اصل الى مناقشة تلك المسالة الاخرى ، **عن القيمة الحقيقية لصنف معين من قصص الكاتبات المعاصرات ، يقال انها التى تمثل الادب النسوى العربى ، وتبرر الاعتراف به . واخشى ان انا تعرضت لها الان ، ان** يضيق المجال عن تناولها بما تستحق من حرص وعناية ، فلارجئها الى فرصة اخرى اوسع وارحب ..

التاريخ : ١٧ / ١١ / ١٩٦١

قضايا أدبنا المعاصر ٢

قالوا : ان قصص ليلى بعلبكي وكوليت سهيل ، تقدم الصورة الاصيلة لحواء العرب الجديدة .
وأقول : بل هذه صورة زائفة ، لتلك التي تمثلها الرجل في عصر الحريم ، مرسومة بأقلام كاتبات ، أخطاهن وعى حقيقتنا وادراك واقعنا .

صورة زائفة

اكثر الذين رفضوا الاعتراف باختصاص ادبي للمرأة — ممن اشتركوا في حلقة روما لدراسة ادبنا المعاصر — عادوا فاعلنوا انه اذا جاز لنا ان نعترف بوجود ادب نسوى عندنا ، فليس يعدو هذه القصص التي تكتبها ليلى بعلبكي وكوليت سهيل خوري ومثيلاتها ، كاشفات لنا في جراة من عواطف الانثى واهوائها ، ومذيعات سر حواء الشرق ، من وراء الحجب التي اسدلتها عليها قرون من الوأد العاطفي والرق الاجتماعي .



كوليت خوري



بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ

ولكي يتبين القارىء مدى سيطرة هذه الفكرة وخطرها ؛ اقول انى ارفقت البحث الذى قدمته الى الحلقة عن ادبنا النسوى ، ببيان لما اعرف من مؤلفات مطبوعة ، قدمتها الكاتبات العربيات الى مكتبة ادبنا المعاصر .

وقد سجل هذا البيان ، ان للاديبة العربية المعاصرة ، اثنين وعشرين ديوانا من الشعر ، وعشرة كتب من النثر الادبى وسبعا وعشرين من الروايات والمجموعات القصصية ، وستا وثلاثين من التراجم — بيوجرافى — والدراسات الادبية ، وعشرة كتب من الادب الاجتماعي .

وتفضل الدكتور جميل صليبا ، فأضاف الى قائمتى اسم الشاعرة السورية « ماري عجمي » التي قيل فيها :
ان ماري العجمية
هي « مى » وزيادة

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٧ / ١١ / ١٩٦١

كما ضم اليها الاديب اللبنانى « خليل رامز سركيس "ديوان ((النسمات)) للشاعرة اللبنانية سلمى صايغ "وتقمص" «عابرو سبيل» للاديبة الفلسطينية ثريا ملحس.

وتلقيت اثر عودتى ، خطابا من الاديب الكبير "جورج صيدح" — الذى حالت ظروف طارئة دون اشتراكه فى الحلقة — يستكمل فيه هذه القائمة ، اضافا للادب النسوى ، بخمسة دواوين من الشعر ، وثلاث مجموعات قصصية ، وثمانية كتب فى النقد والادب الاجتماعى .

كما لفتنى الى اديبات عربيات فى المهاجر الامريكية ، مثل :

نورا نويهض حلوانى : صاحبة مجلة دنيا المراة

والن ريحانى : صاحبة مجلة حديثة الاطفال

وماريانا فاخورى : صاحبة مجلة المراحل (سان باولو»

وليلى نفاع ونسيمة نصر : من اديبات العرب فى «مونتفديو»

واولغا شمس : رئيسة نادى الادباء فى «برانكيا : كولومبيا» ولها اربعة دواوين شعرية فى اللغة الاسبانية .

وبهذا ارتفع رقم رصيدنا فى مكتبة الادب العربى المعاصر ، الى اكثر من مائة وعشرين كتابا ،لهذا الجيل من اديبات العربية .

وهو رصيد تتجاوز قيمته دلالة الاحصاء الرقمى ، اذا قدرنا الوضع الاجتماعى والثقافى للمراة العربية حتى عهد قريب وادخلنا فى حسابنا مالاتزال الرجعية تفرضه عليها — فى بعض اقطار الشرق العربى — من اغلال الجهل والعزلة .

ثم كانت المفاجأة ، ان اكثر الذين تعرضوا لتقييم ادبنا المعاصر ، من ادباء العرب فى حلقة روما ، لم يلتفتوا من هذا الرصيد الفنى الا قصص ليلى وكوليت وان المناقشة كانت تدور وتحور ، حول ذلك الصنف من قصص الكاتبات العربيات

. وفى الوقت الذى كان اعضاء الحلقة من المستشرقين، يحتفلون فيه بالدراسات الادبية لكاتباتنا ، ويعربون عن بالغ تقديرهم لمشاركتنا فى تحقيق النصوص وخدمة التراث اللغوى والادبى للعربية ، ويذكرون فيما يذكرون ، اعمالا ادبية لنا من شعر وقصص ، يشهدون لها بالاصالة والامتياز . .

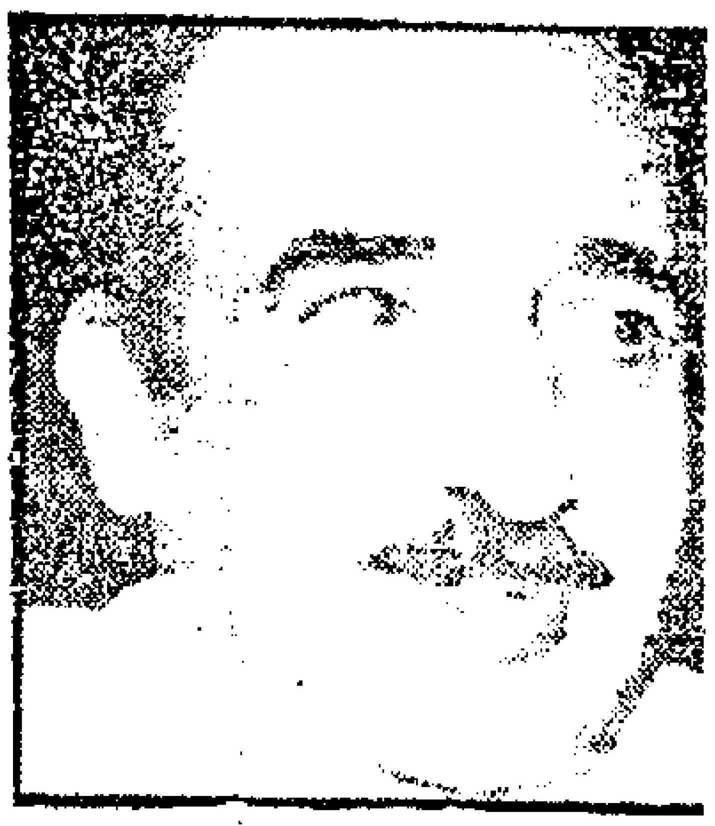
فى هذا الوقت ، كان اكثر الادباء العرب ، يوجهون الاهتمام الى قصص ((انا احيا ، والالهة الممسوخة ، وايام معه ، وليلة واحدة)) ويعلنون انها التى تزود الادب العربى المعاصر ، بالنماذج الاصيلة لادب حواء الشرق

قال ((الدكتور الاحبابى : رئيس اتحاد كتاب المغرب)) : ان رواية انا احيا ، صرخة مؤثرة تشكو ماتتعرض له المراة المسلمة » !! "من ضغط وارهاق وعبودية ان الرجل لايزال يريدها امة مستعبدة ، ويسمح له بالكتابة على هواه . فلم لا يسمح للمراة بان تعلن احتجاجها وتصرح برغباتها ! ان مثل هذه القصة ، تعالج فى المجال الادبى ، قضية الوضع الاجتماعى للمراة ، فمن واقعية الادب تستمد قيمتها ولا يجوز ان نضيق بها تتناول من موضوعات كانت محرمة على المراة ، فليس فى الادب اليوم موضوعات محرمة !

وايده ((السيد برادى الاديب المغربى)) قائلا : ان لهذه القصص قيمة تاريخية من حيث تعبيرها عن التطور العميق فى نفسية المراة العربية ، وفى شخصيتها وسلوكها. وهى من هذه الناحية ساعدت على خلق قيم جديدة فى ادبنا المعاصر .

وقال الاديب التونسى "محمد مزالى)): ان من الخطأ ان نحكم الاخلاق فى مثل هذه القصص . فالناقد لايجوز له ان ينظر الى الاديب من حيث كونه معلما او واعظا

وقال الاديب الجزائرى الكاتب يس)): ان محاولة ليلى بعلبكى يجب الا تسحق



عبد الرحمن صدقى



مصطفى محمود



ليلى بعلبكى

لصرف النظر عن مستواها الفني ، يجب ان نشجع هذه الجراة التي وانت «ليلى» لكتبت ((انا احيا))

وقال الناقد العراقي الجبرا ابرهيم جبرا : ان الذين يهاجمون هذه القصص ؛ يمثلون عندنا اتجاها نقديا خاطئا . فالواقع ان «انا احيا» قصة منطلقة من جوارح سمبية، وتسجيل لاحساس الشابة العربية الجديدة بين حجرى الرحا : بين قوة التطور ، وجبروت الرجعية .

ثم لم يقتصر الامر على مناقشة هذه القضية في الجلسة التي خصصت لادب المراة ، بل عاد الجدل فاحتدم حين قدم الاستاذ جبرا تقريره عن «الرواية والقصة والمسرحية في الادب العربي المعاصر وقد استاثرت ليلى بعلبكي وحدها بنصف الصفحات الثلاث، التي تناولت الرواية العربية !

الى هذا الحد ، شغلتنا قصص ليلى وكوليت ، وبمثل ذلك التقدير العميق والاهتمام البالغ ، نظر اليها فريق من الزملاء الادباء . وما من ريب في انهم لا يعبرون عن اراء لهم فردية فحسب ، وانما يعبرون ايضا عن فكرة عامة مسيطرة

ولعلنا لم ننس كلمة الاستاذ عبدالرحمن صدقي ، التي جعلت ((انطلاق)) عبناء الشنوانى — ومثلها مثل ليلى بعلبكي — من ((الوثائق العلمية ، الجديرة بان يرجع اليها الباحثون في طبيعة المراة في اطوار حياتها واغوار حقيقتها ، ويستعين بها المنقبون عن سر ضعفها وقوتها))

وما اكثر من يلتمسون عند ليلى وكوليت او عند جاذبية وصوفي وحبناء ،الصورة الاصيلةلحواء العرب، في عصرنا الجديد!

ولهؤلاء جميعا اقول :

كلا ، والف مرة كلا ..

اقولها بملء اليقين ، وبكل الاصرار ..

فليس صحيحا ان هذه القصص تمثل واقعنا ، وتعبر عن مشاعرنا ، وتكشف من حقيقتنا ..

وليس صحيحا ، ان هذه القصص تقدم للادب العربي المعاصر ، التعبير الصادق عن الوضع الاجتماعي للمراة العربية ، بين شقي الرحى ..

وانما الصحيح ان هذه القصص ، من رواسب العصور الخوالي ..

وكل قيمة لها ، انها تقدم لنا **صدى راى الرجل في المراة ايام الحريم ،** معكوسا على وجدان عدد من الكاتبات ، **اخطاهن وعى حقيقتنا وادراك واقعنا !**

هل يبدو هذا الكلام غريبا ؟

ان غرابتهلن تلبث ان تزول ، لوتحررنا لحظة من احتكام الفكرة المسيطرة،واحتكمنا الى الواقع الاجتماعي والحق التاريخي:

لقد كان راى الرجل في المراة قديما انها لاتملك عفتها ولا تؤتمن على فضيلتها **وانما يملكهما حارس قفص الحريم ،** وحامل مفتاح الحزام الحديدي، فاذا غاب الحارس لحظة ، تعثرت **في اول خطوة لها خارج القفص ، وسقطت في شباك اول صائد يترصد لها في الطريق ..**

ومن اجل هذا شدد عليها الحراسة ، واحكم اغلاق الابواب، ووكل بها من يقوم على مراقبتها اذا خرج او سافر ..

وهذا هو التفسير الصحيح للوضع الاجتماعي للمراة في عصور الواد والاسترقاق

بل انهليفسرلنا كذلك، **النظام الهندسي للبيت الشرقي في العصور الوسطى ،** حيث كانت نوافذه تفتح على فناء داخلي، ضمانا لعزل الحريم عن العالم الخارجي وحماية للمراة من الغواية ..

ثم ولى عصر الحريم وراح ..

وتغيرت هندسة البيت العربي ، فتفتحت ابوابه ونوافذه على الطريق العام ..

وخرجت المراة من القفص ، وانطلقت في شتى الافاق والميادين ، عاملة متحررة

— لكن رواسب من تلك العقلية القديمة، لاتزال باقية فينا، تعبر عنها قصص الرجال كقصة الاستاذة فاطمة **لمصطفى محمود ،** واكثر قصص **((هذا النوع من النساء))** لامين يوسف غراب، و**((الضيف من الشرق))** لفاضل السباعي ..

وكنا نقول لهؤلاء : **لم تعرفوا المراة حق المعرفة ، وما تزالون تنظرون اليها باعين حراس القفص ، وصناع الحزام الحديدي ..**

ثم جاءت كوليت وليلى ، واخريات مثلهما يكتبن قصصا عن المراة ، فكانت المأساة انهن قدمن **فيها صورة طبق الاصل للمراة كما كان الرجل يراها في عصر الظلمات!**

هذه المراة التي لاتكاد تفلت من القفص، او تغيب عن عين الحارس ، حتى تضل وتسقط !

«ريم» **في ايام معه ، تمردت على** العرف والتقاليد ، ثم ماكادت ترى «زياد» حتى كان الذي بهرها منه في اول لقاء ، شموخ عنفوانه ومظاهر رجولته . وعندما

المفردا لاول مرة ، اسمعتنا كوليت صرير حديد الاريكة ، فى الضوء الشاحب ..

وفى «الليلة واحدة» عاشت البطلة عشر سنوات فى حمى الزوجية ، عفيفة فاضلة تحت حراسة الزوج ، حتى اذا غاب الحارس لليلة واحدة ، سقطت المسكينة فى شباك اول عابر سبيل مجهول ، التقته لاول مرة فى القطار ، اثر فراقها لزوجها ، لاول مرة !

وليلى ، ماكادت تحطم قضبان القفص حتى اندفعت مخبولة مخمورة ، تهوى الى احيا !

وصوفى عبد الله ، فى «عاصفة فى قلب» اسقطت الزوجة التى تحب زوجها منذ اول لمسة من يد شاب فى مثل عمر ابنها الوحيد الذى ثكلته صغيرا ، واسلمته جسدها فى زيارته الاولى لبيتها ، حين خرج الزوج الى السوق !

او ليس هذا تماما ، هو ماكان الرجل يتصوره ، ويبرر به حبسنا فى القفص واثقا ان الواحدة منا اذا افلتت منه ، سقطت من اول خطوة .

وبعيدا عن نطاق الحكم الاخلاقى ..

بعيدا عن الوعظ والارشاد ..

اقول ان هذه القصص زائفة ، لاتمثل واقعنا اليوم ..

بل لم تكن تمثله على الاطلاق ، ابان عصر الحريم !

فلقد كانت فضيلتها ملك يمينها ، على عكس ماكان الرجل يتوهم !

ولو ارادت ان تتخلى عنها ، لما اعوزتها الحيلة ، وهى بين القضبان ، لتستغفل الحراس ، وتضحك على شوارب لهم كاجنحة الصقور !

وكم غلب كيدها كيد الرجال !

بل كم لعبت — وهى فى الاغلال رقتها — بعقول السلاطين ، واحتكمت فى مصايرهم .

ونحن لم نطالب بحريتنا لنهذى بعواء الجنس ، ولا لنسقط فى الليلة الواحدة التى يغيب عنا فيها الحارس ، ولا لنقترف الخطيئة مع زائر غريب يدخل مخدع الزوجية لاول مرة ..

لم نطالب بحريتنا ، لنصرخ فى خبال ، كما صرخت هيفاء :

هلموا يارفاق الليل اقبل المساء
هلموا ياعباد الهوى ، اجيبوا النداء
عبوا من خمر الثغور الملاح
غنوا نشاوى حتى الصباح
وانتشوا بالقبل حتى صحوة الفجر
والقوا القيود فى غفوة الليل السكران
يخفيكم الظلام عن النجم السهران

القيود فى عالم انطلاق ؟
اظما والكاس دهاق ؟
لا ، بل صخب دون ميثاق !
لنلق عباءة النساك والرهبان
ونرتل الضحكات فى شعر مجنون
ماالشعر الا خمر الشيطان ..

وانما طالبنا بحريتنا ، لتكون عزة انوثتنا بايدينا لا بايدى الحراس ولتكون كرامة عفتنا بارادتنا وليست مفروضة علينا فرضا بالاقفاص والاقفال ..

فهل جاوزت الحق والصواب ، اذا قلت ان هذه القصص لاتمثل واقعنا ؟ واذا اعلنت بملء اليقين والاصرار ، انها لاتقدم غير الصورة الشائهة الممسوخة لحواء ، كما كان الرجل يراها فى العصور الخوالى معكوسة على وجدان قلة من الكاتبات ، اخطاهن وعى حقيقتنا وادراك واقعنا ؟

التاريخ : ٢٤ / ١١ / ١٩٦١

لغتنا والتطور

قضايا أدبنا المعاصر ٣

دعاة التطور والتجديد ، يخطئون حين يجعلون العربية معجمها ، و يظنون أن صفتها الدينية ، تجول بينها وبين قديمها ، وصونها من دنس المعرب والدخيل .. وانما هو ذنب ناس منا ، يتصورون ان سلامة الفصحى

بقلم : الدكتورة بنت الشاطئ

كانت قضية اللغة ، من اعقد المشكلات التى واجهتنا فى حلقة روما لدراسة أدبنا المعاصر ، ولعل سبب تعقدها ان المناقشة فيها تشعبت حتى أعيانا ان نركزها فى مشكلة محددة يمكن ان ندير حولها الجدل ، ونتبادل وجهات النظر .

فللتداثيت مشكلة العامية والفصحى وتبل نيبا قبل : ان مرونة العامية ، والف الجماهير لها ، وتحررها من عقد الفصحى مما يجعلها فى المجال الادبى اقوى فاعلية وادنى الى الواقعية ، واجدر بان تؤثر فى وجدان العوام الذين هم جمهرة الشعب

ومن عجب ؛ ان اكثر المستشرقين من اعضاء الحلقة ، استغربوا ان يكون بين ابناء العرب ، من يدعو الى التخلى من الفصحى ، وهى اللغة المشتركة التى يتفاهم بها المشرقى والمغربى ، ويلتقى عندها اصحاب العربية جميعا ، فى وحدة فكرية ووجدانية .

قال المستشرق« جابريلى» :

لو كنت اديبا عربيا لما فكرت لحظة فى الكتابة بالعامية ، ولما هان علـى ، ان اتخلى عن لغة اصيلة واسعة الذيوع والانتشار ، تصلنى بالقارىء العربى اينما كان ، لاكتب بلهجة محلية محدودة الافق ضيقة المجال .

وقال المستشرق« مورينو» :

لقد تعلمت العربية فى ايطاليا ، ثم اقمت زمنا فى ليبيا ، وفى مصر والسودان ، وفى العراق .. فواجهتنى مشقة اختلاف اللهجات وصعوبة التفاهم بها . اذا قلت لعربى فى بنغازى : اعطنى شرابا ، ثم قلتها لعربى فى طرابلس ، اعطانى احدهما مشروبا ، واعطانى الاخر جوربا! وكانت الفصحى هى ملاذى فى تلك المواقف الصعبة . فالمشكلة فى رايى لا تعالج بالقضاء على الفصحى المشتركة التى هى وسيلة التفاهم بين اقطار العربية ، وانما تعالج بمحاولة التمكين لهذه اللغة المشتركة ، للتخفيف من فروق اللهجات

وليس هذا العلاج مستعصيا ، لو اخذتم التلاميذ منذ الصغر ، في كل المدارس العربية ، بان يتكلموا بفصحى مبسطة .

واعترف المستشرق ((لوسرف)) ، بانه قرا مثالا بالفرنسية لسارتر ، فلم يفهمه حق الفهم . فصعوبة بعض النصوص العربية ليست بدعا فيها ، كما ان تعدد اللهجات ، ظاهرة طبيعية نشاركها فيها اللغات الاوربية الحية . ولم يحدث ان لهجة محلية في اللغة الفرنسية او الالمانية فرضت نفسها على المجموع . بل ان الفصحى المشتركة هي التي فرضت نفسها ..

واشهد انهم كانوا يتكلمون باخلاص سيطر على جو المناقشة، فكسبت الفصحى المعركة ، وبدا لنا آخر الامر ، ان العامية فضلا عن ضيق حدودها ، ليست اقدر على التعبير الادبي ، اذ هي عاجزة عن معالجة اعماق الانسان ، وعقده وعوالمه النفسية والذهنية ، التي تغيب عن العوام .

وفرغنا من هذه المشكلة ، لنلتقي بمشكلة اخرى اشد تعقيدا واصعب تناولا وهي جمود المعجم اللغوي للعربية ، وعجزه عن مسايرة التطور وتلبية حاجة العصر ..

وكانت الكلمة الاولى فيها لاستاذنا الدكتور ابرهيم مدكور ، الذي اعترف في تقريره عن ((الادب العربي تجاه مشكلتي اللغة والحرف)) بأن الزمن يسير ، ولا بد ان تسير اللغة معه :((ولقد افادت العربية كثيرا من صفتيها الدينية والاجتماعية واكتسبت مناعة وقتها حملات الخصوم والاعداء ، وحمتها من جموح التغيير والتبديل ، وبقيت على الدهر، بحيث اصبحت لغة قديمة وحديثة معا .. الا ان هذه القداسة — من حيث هي لغة دين — كثيرا ما وقفت في طريق الاصلاح والتجديد واعترضت سبل النمو والتطور ، فقيل بالحرام والحلال في امور تتصل بمتن اللغة واساليبها وكتابتها ورسمها .. كما ان المعاجم اللغوية وقفت باللغة عند حدود زمانية ومكانية ضيقة ، فاغفلت كثيرا من معالم الحياة والتطور ، اذ هي توضح العربية في الجاهلية وصدر الاسلام وتكاد تنكر ما عداها ، وبهذا لا تمثل عصور اللغة كلها ، بل لا تمثل العصر الذي وضعت فيه .))

وهو اعتراف بالغ الاهمية ، من جامعي مجمعي ، يأبى ان تقف باللغة حيث انتهت بها المعاجم القديمة ، ويقرر حقها في مسايرة الزمن .

لكنه يثير اكثر من سوال :

هل اللغة مسئولة عن ضيق المعاجم وجمودها عند عصر بعينه ، وفي بيئة لا تتجاوزها ؟

وهل الصفة الدينية للعربية ، تقتضي القول بالحلال والحرام في اللغة ، وتلزمها حدودا معينة تعوق تطورها وتجددها ؟

والسؤالان ، كلاهما ، في حاجة الى مزيد بيان :

ان واضعي المعاجم العربية ، في حرصهم على سلامة الفصحى ونقائها قد امروا على ان يأخذوا مفردات معجمها وقواعد نحوها وصرفها واشتقاقاتها واساليب تعبيرها وبيانها ، من استقراء كلام العرب الفصحاء ، الذين لم تشب السنتهم شائبة من عجمة ، ولم يدركوا عصر اختلاط الالسنة بعد الفتوح الاسلامية الكبرى . بل ان اللغويين مبالغة منهم في الحرص على نقاء العربية كرهوا الاخذ من جاهلي صميم كالشاعر عدي بن زيد ، لانه كان يتيم في الحيرة وليست خالصة العروبة ، فلان لسانه وسهل منطقه .

ويجب ان نلتمس للغويين العذر ، اذا قدرنا انهم بهذا الحرص ، انما كانوا يناضلون عن اعز مقومات العروبة ، لسانها ولغة كتابها الديني الخالد ، امام غزو الشعوبية الضارية ، وبعدان فشا اللحن وشاعت العجمة واختلطت الالسنة .

التاريخ : ٢٤ / ١١ / ١٩٦١

ولم يعن هذا قط ، ولا يجوز ان يعنى ابداً ، ان تتجمد اللغة عند قديمها العتيق ، وان تغلق معجمها نهائيا فلا تقبل الجديد من الالفاظ والمستحدث من المصطلحات . يشهد بهذا ، ان معاجمنا الامهات ، لم تخل من كلمات اعجمية معربة او مستعارة بلفظها من لغات اخرى . ولم يقل احد من ائمة اللغة الاولين ، ان هذه الالفاظ الدخيلة دنس ينبغى ان ننزه منه لساننا ، وما كان لهم ان يقولوا ذلك ، والقرآن الكريم ، كتاب العربية الاكبر ومعجزتها البيانية الباهرة ، فيه الفاظ دخيلة ومعربة . من لغات شتى واذا لم نطمئن الى المستشرق الالمانى « برجشترا سر » مرجعا فى احصاء ما فى القرآن الكريم من هذه الالفاظ فلعلنا نطمئن الى ((جلال الدين السيوطى)) فى رسالة له طبعت بدمشق ، عنوانها :

((المتوكلى ، فيما ورد فى القرآن باللغة الحبشية والفارسية ، والهندية ، والتركية والزنجية ، والنبطية ، والقبطية ، والسريانية والعبرانية ، والرومية ، والبربرية)) .

والى رسالة اخرى مطبوعة كذلك للشيخ حمزة فتح الله ، عن « الاصل والبيان لمعرب القرآن . »

وفى دار الكتب بالقاهرة ، مخطوط رقمه (٢٢٧ مجاميع) ، لم يعلم مؤلفه ، عن « الالفاظ المعربة فى القرآن الكريم »

اجل ، لم يقل ائمة اللغة ، ان اللفظ الاعجمى دنس ينبغى ان ننزه عنه لسان العرب ، وانما الذى قاله المتحرجون المتشددون من رجال الدين ، ان العرب متى نطقوا بكلمة اعجمية واستعملوها فى لسانهم فهى عربية ، او ان هذه الالفاظ سقطت الى العرب فاعربتها بالسنتها وحولتها عن الفاظ العجم الى العربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب . او انها من الالفاظ المشتركة بين اللغات ، لا تختص بها لغة دون اخرى فوجودها فى لغات غير عربية ، لا يمنع وجودها اصالة فى لغة العرب ..

فاى حرج اذن ، فى ان تستعير العربية فى حديثها ، جديدا من الالفاظ الاجنبية تعبر بها من مستحدثات العصر ! ان صنيع القرآن الكريم ، اقرار واق ى لسنة الاجتماع ، وايذان بان هذا المسلك لا يؤثر على سلامة اللغة ، ولا يمس حرمتها من حيث هى لغة دين .

ولو سلمنا جدلا بان ... ايا اللغوية مها يقال فيها بتحريم وتحليل دينيا ، فصنيع القرآن الكريم ، اقطع برهان على الاباحة والتحليل .. فلا علينا ، اذا قضت الضرورة ، ان نضيف الى معجمنا اللغوى ، جديدا من الالفاظ والمصطلحات يقرها علماء العربية ، استجابة لحاجة العصر .

ولا يعترض علينا ، بان العروبة الخالصة ليست متحققة فى علمائنا اليوم ، بالقدر الذى كان لعلماء اللغة الاقدمين . لقد اعترفوا لسيبويه ، وليس فى عروقه قطرة من دم عربى ، بامامة لغوية تنفى وتثبت فى العربية ، وجعلوا كتابه فيها ((الكتاب)) !

فهل يقال اذن ، ان الباب قد اغلق منذ وضعت المعاجم الاولى : تهذيب الازهرى ، وصحاح الجوهرى ، ومحكم ابن سيده ، والنهاية لابن الاثير !

يمكن ان يقال هذا ، لو ان الزمن وقف بلغتنا عند هؤلاء ، لكن الواقع يشهد ان هذه اللغة ظلت تمارس تطورها ونموها بعدهم ، كما مارستها قبلهم غير متوقفة عند عصر الاستشهاد والتدوين ..

بدليل ، انها استجابت فى ثقة وطواعية لحركة الترجمة التى نقلت الى العربية منذ اثنى عشر قرنا ، علوم الفلسفة والمنطق والطب والرياضيات والفلك من اليونان والفرس والهنود ، ووسعها ان تستوعب ادق المصطلحات العلمية مما لم يجر به لسان عربى ، فى الجاهلية وصدر الاسلام .

وبدليل انها اماتت الفاظا وصيغا لا شك فى فصاحتها واصالتها ، حين هجرتها الالسنة ولم تسغ الحياة استعمالها

وانا اشتغل منذ سنين ثلاثة — واكتبها ثلاثة عمدا — بتحقيق معجم المحكم لابن سيده ، وهو احد الاصول التى اخذ عنها معجمنا الكبير ((لسان العرب))



المستشرق جابريلي



د . ابراهيم بيومى مدكور

وقد لفتتني فيه ظاهرة بالغة الدلالة على اعتراف العربية بحق الالسن وسلطة الاستعمال ، تلك هى ان «ابن سيده» ينص فى مواضع غير قليلة ، على ان هذه الكلمة او تلك الصيغة : « مماتة»

والرجل قد عاش فى النصف الاول من القرن السادس الهجرى ، فكم اماتت ... العربية بعده من الفاظ وصيغ ، لم تشفع لها اصالتها فى الفصحى حين هجرتها الالسنة ونبذها الاستعمال!

هل لى ان اقول اذن ، ان دعاة التطور والتجديد يخطئون حين يجعلون اللغة مسئولة عن اغلاق معجمها ، ويحسبون الذنب ذنبها فى جمود قواعد نحوها ودلالات الفاظها ، وما هو فى الحقيقة الا ذنب فريق منا ، يرون ان سلامة الفصحى رهن بالجمود على قديمها ، وصونها من دنس المعرب والدخيل !

واذا كانت العربية لم تكترث فى ماضيها البعيد بجمود الجامدين، بل مضت تمارس تطورها فى مرونة ، وتستجيب للحياة فى طواعية ، فانها اليوم اجدر بان تتمسك بما به توام حياتها من حرية النمو وحق التطور ، لتتخفف من اثقال مفردات هجرتها الالسنة واماتتها الحياة ، وتتقبل من جديد الالفاظ والمصطلحات ما يثريها ويزيد من قدرتها على مسايرة الزمن وتلبية حاجة العصر ، دون أن تشفق من هذا الجديد على سلامتها ، او ترى فيه ما يشوه اصالتها ويدنس حرمتها!

ولقد سمعت فى « روما» من يستثقل صيغة المثنى فى عربية، ومن يشكو عبء المترادفات الساحق . **والذى نعلمه يقينا ان العربية اذا كانت قد ابقت على صيغة المثنى ، فما ذاك الا لان الاستعمال قد ابقى عليها . ولو ان الالسنة هجرت هذه الصيغة ، لاماتتها العربية كما اماتت** صيغة فعل الامر من الفعل المعتل الاول والاخر ، حين لم تعد السنتنا تستسيغ مثل « **ف بوعدك — وع ما تسمع — وق نفسك**» افعال امر من وفى ، ووعى ، ووقى ..

وكما هجرت« ذلكما ، وذلكم ، وذلكن» اكتفاء بذلك ، فى خطاب المفرد والمثنى والجمع ، على سبيل التخفيف ..

اما المترادفات، فالذى اطمانت اليه الدراسة اللغوية المحققة ، ان العربية لم تستعمل عدة الفاظ لمدلول واحد ، الا وهى تراعى فى كل لفظ منها ملحظا فى الدلالة يختلف عن سواه . ولم تتردد العربية مع ذلك ، فى التخفف من عبء ما نسميه المترادفات ، فأماتت منها الكثير عندما نبذه الاستعمال ..

وليس يعوزني هنا الشاهد والدليل لبقاء العربية لغة حية ، شاهد على انها لم تجمد قط ولم تتحجر ، وانما جمد نفر من اصحابها ، غاب عنهم حس العربية فى مرونتها وطلاقتها وسعة تصرفها ومجازها ، وخيل اليهم ان فى استطاعتهم ان يقاوموا سير الزمن ويقهروا حتمية التطور ويعطلوا سنة الحياة !

التاريخ: ١ / ١٢ / ١٩٦١

قضايا أدبنا المعاصر

٢

لبيت القبورين على الفصحى ، يتريثون فى تعقبهم لاخطاء لغوية ، قد يكون لها وجه من الصواب

صعوبة الفصحى .. وأوهام الخواص

لم يكن فى حسابى ، وانا اعالج صلة اللغة بقضايا ادبنا المعاصر ، ان اتعرض لمشكلة صعوبة الفصحى ، وتعقد نحوها وصرفها . لا تجاهلا منى لما تضج به حياتنا الثقافية والادبية من شكوى هذه الصعوبة ،ولكن

التاريخ: ١ / ١٢ / ١٩٦١

لان العقدة — فى رأيى — ليست فى اللغة أصالة ، بقدر ما هى فى مناهج درسها وطرق تعليمها والحاح الخواص من رجالها على تتبع اخطاء لغوية ونحوية اكثرها فصيح وصواب ! .

غير انى اليوم مضطرة الى تناول هذه المشكلة ، بعد الذى تلقيت من رسائل ، كشفت لى عن شديد حاجتنا الى تحرير هذا الموقف ، وبيان عقدته .

فمن بين هذه الرسائل ، واحدة من فضيلة « الشيخ منصور رجب الاستاذ فى كلية اصول الدين » باعرق جامعة اسلامية . ولطالما تلقيت من قبل رسائل تلفتنى الى اخطاء لغوية ونحوية ، فكنت اصرف النظر عنها ، لاطمئنانى الى صواب مايظنونه خطا . اما وهذه الرسالة من احد الخواص ، فليس السكوت عنها لائقا ، لاسيما وقد بعث بها فضيلته للنشر ، بدليل انها موجهة الى الاستاذ الدكتور مدكور عن طريقى .

وهذا نص الرسالة :

الدكتورة بنت الشاطىء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

« وبعد » فقد قرأت اليوم ٢٤ — ١١ — ١٩٦١ — كما اقرأ كل جمعة دائما صفحة الادب فى جريدة الاهرام الغراء وانى اقدر جهادك النبيل فى سبيل تقدم الادب . كما اقدر للدكتور ابراهيم بيومى مدكور جهاده فى هذه الناحية ايضا غير انى اتقدم اليه مستفسرا عما ورد فى كلمته التى القيت فى حلقة روما لدراسة ادبنا المعاصر والتى نشرت او ملخصها فى صحيفة الادب اليوم

اولا : يقول الدكتور مانصه : « وانا اشتغل منذ سنين ثلاثة واكتبها هكذا ثلاثة » فما الذى جعل الدكتور يعدل عمدا عن لغة القرآن الكريم حيث يقول — فى سورة يوسف آية ٤٧ — : « تزرعون سبع سنين دابا » ؟ ..

ثانيا : يقول الدكتور مانصه : « لم يقل ائمة اللغة ان اللفظ الاعجمى دنس ينبغى ان ننزه عنه لسان العرب وانما الذى قاله المتحرجون المتشددون من رجال الدين ».

فهل كان أبو عبيدة معمر بن المثنى من ائمة اللغة او من المتحرجين المتشددين من رجال الدين فانه هو القائل : من زعم ان فى القرآن الكريم لسانا سوى



الشيخ منصور رجب

التاريخ: ١ / ١٢ / ١٩٦١

العربية نقد اعظم على الله القول . واحتج بقوله تعالى : «انا جعلناه قرآنا عربيا ! » ..

وهل كان ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة من رجال الدين او من ائمة اللغة حين استشهد ابوعبيدة القاسم بن سلام الازدى بكلامهم على شيخه ابى عبيدة معمر بن المثنى هذا فقال " انهم اعلم بالتاويل منه

حين قالوا : « ان القرآن الكريم فيه احرف كثيرة من غير لسان العرب » مثل : «سجيل» و«المشكاة» و«اليم» و «الطور» و«اباريق» و«استبرق» وغير ذلك .

هذان سؤالان اقدمهما على استحياء للدكتور مدكور ولعلى احظى بجواب !.ء

وابادر قبل كل شيء ، فاصرف الاسئلة عن استاذى الدكتور ابرهيم مدكور . اذ ان كل العبارات التى نقلها فضيلة الشيخ من المقال ، لاشأن للدكتور بها ، وانما هى من كلامى ، فانا المسئولة عنها لا سواى ..

ومازلت اعجب ، كيف فهم فضيلة الشيخ انها من كلام الدكتور مدكور ، والمقال صريح الدلالة على انها تعليق منى ، على فقرة نقلتها بنصها من تقرير الاستاذ الدكتور ، ووضعتها بين اقواس مميزة ، ثم قلت انها شهادة من جامعى مجمعى ، تثير اكثر من سؤال . ومن ثم بثبت اورد الاسئلة واجيب عنها بقدر ما اعلم .

ونسبة كلامى ، الى الدكتور مدكور ، تذكرنى بما طالما صدمنا فى كثير من الدراسات العربية ، حيث نرى الدارس يناقش رايا لفلان ، فاذا رجعنا الى كلام فلان هذا ، تبين لنا انه ليس صاحب هذا الرأى ، وانما نقله ليعلق عليه ويناقشه !

ومن اقرب ما اذكره من ذلك ، ان « الاستاذ الجليل عباس حسن » فى كتاب له من اللغة ، ناقش عبارة نسبها الى الجاحظ ، فلما رجعت الى الجاحظ ، الفيته اورد هذا الكلام ليبين وجه الخطأ فيه ! كما نقل الاستاذ عباس ، رايا فى النحو لابن مضاء القرطبى ، فلما رجعت الى ابن مضاء ، وجدت هذا الكلام المنسوب اليه ، من كلام الدكتور شوقى ضيف ، فى المقدمة التى صدر بها تحقيقه لكتاب «الرد على النحاة : لابن مضاء القرطبى»

واليوم أرى فضيلة الشيخ منصور رجب يسأل الدكتور مدكور عما لم يقله، ويحاسبه على ما لا ذنب له فيه !

كيف ؟ لا ادرى ، ولكن الذى ادريه ان فضيلة الشيخ لو كان قد قرأ المقال بشيء من الروية ، لادرك انى المسئولة عما رابه من عبارات ..

وانتقل الى الموضوع ، فأستأذن فضيلة الشيخ فى ان نفرغ اولا من امر هذه الالفاظ الاعجمية فى القرآن ، ثم نعود الى «السنين الثلاثة»

وبصراحة ، اقول : انى لم افهم وجه الاستشكال فى الالفاظ الاعجمية .



الدكتور محمد كامل حسين



الدكتور ابراهيم بيومى مدكور

التاريخ: ١ / ١٢ / ١٩٦١

فضيلة الشيخ يسأل عن قولى :

((لم يقل أئمة اللغة ، ان اللفظ الاعجمى دنس ينبغى ان ننزه عنه لسان العرب))

وكنت افهم وجه الاستشكال ، لو انه جاءنى بواحد من ائمة اللغويين ، قال ان اللفظ الاعجمى دنس ينبغى ان ننزه عنه لسان العرب ، لكنه لم يفعل ، والذى جاء به من كلام ابى عبيدة خاص بالقرآن الكريم ، وليس بلسان العرب ، عامة ؛ تعنى عبارتى .

فاما مايختص بالقرآن ، فلا جديد فيه جاء به فضيلة الشيخ ، بعد ان استوفيت فى مقالى ، خلافهم فيه ، فنقلت ما نصه :

((وانما الذى قاله المتحرجون المتشددون من رجال الدين ، ان العرب متى نطقوا بكلمة اعجمية واستعملوها فى لسانهم فهى عربية ، او ان هذه الالفاظ سقطت الى العرب فاعربتها بالسنتها وحولتها عن الفاظ العجم الى العربية ، ثم نزل القرآن بها وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب . او انها من الالفاظ المشتركة بين اللغات ، فوجودها فى لغات غير عربية ، لا يمنع وجودها اصالة فى لغة العرب ..))

فهل يريد فضيلته ان يقول : ان ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، قد قالوا بوجود الفاظ غير عربية فى القرآن ، وهم رجال دين ؟

فليكونوا من رجال الدين غير المتشددين وكفى الله المؤمنين القتال !

وعلى ذكرة ، فضيلة الشيخ منصور ، يقول : « استشهد ابو عبيدة القاسم بن سلام الازدى » والذى فى كتب التراجم والطبقات عندى ؛ انه ((ابوعبيد)) لا ((ابو عبيدة)) فهل لفضيلته ان يدلنى على المرجع الذى نقل منه الاسم على هذا الوجه ؟

وافرغ بعد هذا ، لحكاية السنين الثلاثة لقد راب فضيلته ان اكتبها «سنين ثلاثة» عمدا ؛ ومازلت اكتبها هكذا؛ مع الاصرار!

وفضيلته يسألنى عما « جعلنى اعدل عمدا عن لغة القرآن الكريم حيث يقول: تزرعون سبع سنين دأبا» مع وضوح الفرق بين الاستعمالين !......

ففى عبارتى « المعدود سابق على العدد

وفى الاية الكريمة : العدد هو الذى تقدم المعدود ..

والقاعدة النحوية التى يعرفها العامة: ان العدد — من ٣ : ١٠ — اذا تقدم المعدود ، وجب ان يجىء على عكس المعدود ؛ فى التذكير والتأنيث .

لكن الذى يعرفه الخواص ، ان العدد اذا تأخر ، فجائز ان يجىء وفق المعدود، وجائز ان يجىء على عكسه .

ولفضيلة الشيخ منصور ؛ كان مظنة ان يراجع — امام هذا العمد — كتابا فى النحو كحاشية الصبان مثلا ؛ قبل ان يبادر بالسؤال المستريب ؛ فنبه ان « سنين ثلاثة » صحيحة كل الصحة . او كما قال السان : فاحفظها فانها عزيزة

وماقلتها عمدا ؛ الا اشفاقا من وهم العوام ؛ اما وهم الخواص — مثل فضيلة الشيخ منصور — فلم يكن فى الحساب .

ولماذا العمد ؟

لانى سئمت كثرة التخطئة لمثل هذا الاستعمال الصحيح ؛ يجىء فيه العدد وفق المعدود اذا تقدمه !

ولانى اعلم ان المجمع اللغوى ، يدرس الان اقتراحا لاستاذنا العالم الاديب ، الدكتور محمد كامل حسين ، يريد به ان تريح ابناءنا من هذه المفارقة المتعبة العدد ومعدوده .

وكم يريح ابناء العربية ، ان يعلموا انهم لو جاءوا بالمعدود قبل العدد ، فلا عليهم ان يبالوا كيف يجيء العدد ، مذكرا او مؤنثا !

وكم نسهل على التلاميذ ، لو علمناهم ان يأتوا بالمعدود قبل العدد ، ثم لايبالوا؟

وكم نعفى اللغة ، من مسئولية تخطئة هذا الاستعمال ، وهو جائز وصحيح ،عند ائمة اللغة ؟

بل كم نريح الغيورين على الفصحى ، من الضيق والانزعاج ، حين يقرأون مثل « سنين ثلاثة » فلا يكلفون خاطرهم ان يسألوا ويحاسبوا ؟

وحكاية «السنين الثلاثة» هذه ، بما اثارت من ريب وشكوك ، وبما دعت اليه من « س ، ج » تذكرني بحكاية قديمة ذات فصول متتابعة ، بدأت في القرن السادس الهجري ، وبقيت الى القرن الثالث عشر للهجرة !

والذي بدأها هو الاديب اللغوي « ابو محمد القاسم بن علي الحريري» من اعيان العربية، في القرن السادس الهجري فلقد وضع كتابا سماه « درة الغواص في اوهام الخواص » تتبع فيه اخطاء لغوية واستعمالية ، لخاصة من اصحاب العربية اعتبرها «من اوهامهم الفاضحة ،واغلاطهم الواضحة»

ومضت قرون خمسة ، جاء بعدها الامام اللغوي ، قاضي القضاة « احمد شهاب الدين الخفاجي / — من اعيان القرن الحادي عشر — فتتبع ما في كتاب الحريري من اوهام الخواص ،واستطاع ان يجد لها وجها من الصواب ، في كتاب له مطبوع بمطبعة الجوائب بالقسطنطينية، عام ١٢٩٩ هـ .

ثم كان الفصل الثالث من القصة ، حين وقف الامام العلامة شهاب الدين السيد محمود الالوسي — المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ — موقف الحكم بين الرجلين ، في كتابه « كشف الطرة عن الغرة » — ط الجفنية بدمشق سنة ١٣٠١ هـ — الذي استبقى للحريري بعض اغلاط الخواص واقر في اكثرها الباقي ، بحق الخفاجي في صوابها .

وانما رويت هذه الحكاية ، لعل الذين يجعلون همهم تتبع اخطاء الكتاب، والمبادرة بتصويبها، يخففون بعض الشيء من غلوائهم اذا عرفوا ان من علماء السلف ، من استطاع ان يجد وجها لصواب كل ما عده «الحريري» من اوهام الخواص الفاضحة واغلاطهم الواضحة !

واراني قد اثقلت على القراء ، بهذا الموضوع اللغوي ، فلعل مما يلطفه ، ان اذكر لهم هنا ملحة من غريب التخطئات:

كنت عضوا في لجان اختبار مدرسي اللغة العربية ، المرشحين للاعارة للاقطار الشقيقة، فبدا لي مرة، ان اسأل احدهم:

— اذا كنت لك تلميذ هذه الجملة: « خرجت الم الزهور من الجنينة » فما رأيك فيها ؟

اجاب :

— اصححها هكذا : « خرجت اجمع الزهور من البستان »

ولم يدر ان لفظ «الم» فصيحة قرآنية: « ويأكلون التراث اكلا لما »

وان الجنينة ، تصغير جنة ، عربية اصيلة، بخلاف البستان، الاعجمي الفارسي!

ونستغرب ، اذا يئس ابناؤنا من امكان معرفتهم للغتهم ، لطول ما نسرف في تخطئتهم ولطول ما نثقل ملكتهم اللغوية : بحملهم على نبذ المألوف من الالفاظ ، واصطناع الغريب المهجور !

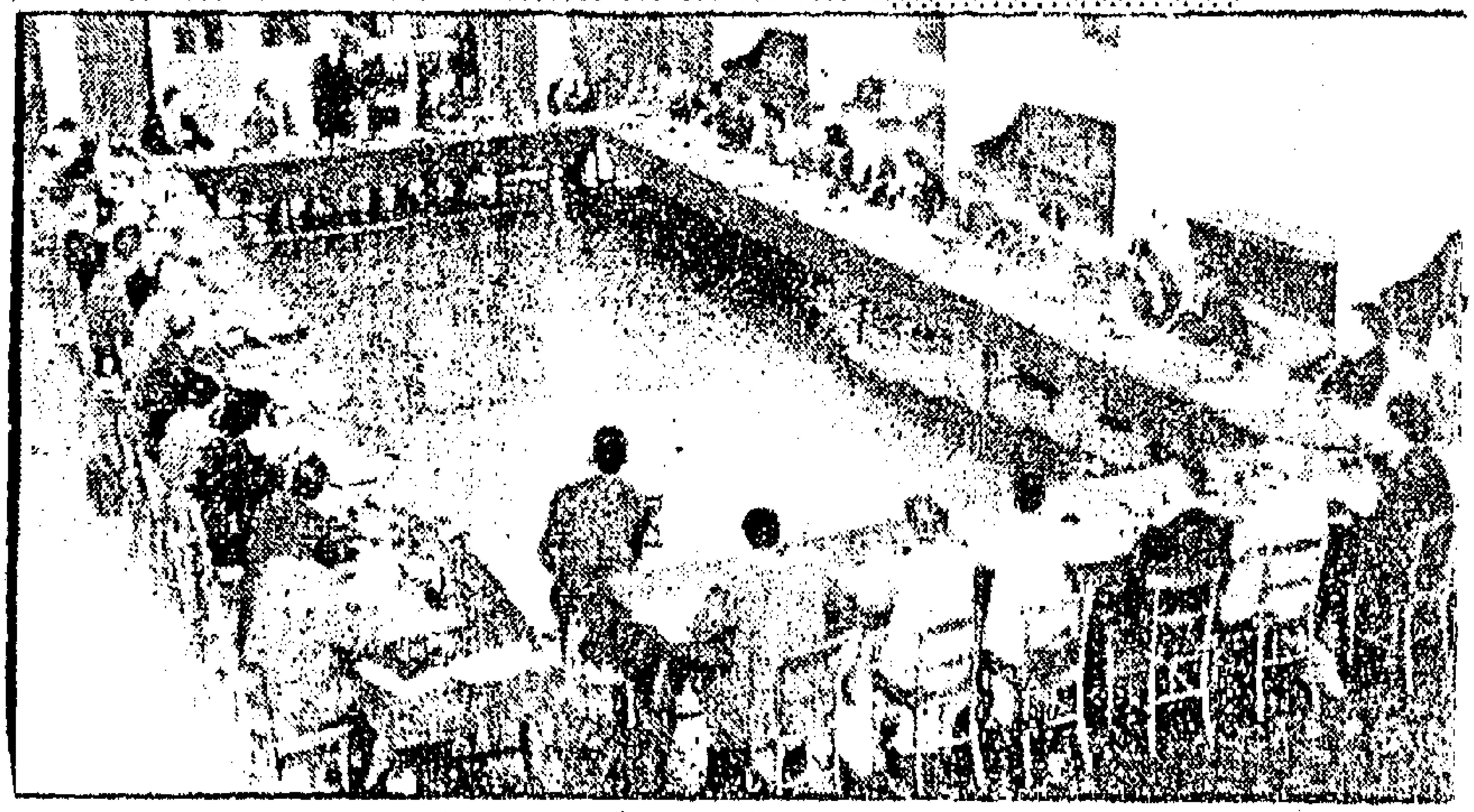
ولن تصح حياتنا الثقافية واللغوية ، مالم يخف ضغط المتعصبين لاخطاء لعل لها وجها من الصواب ، وما لم ندرك ان الفاظ اللغة انما تحيا بالاستعمال، وليست مجرد متحفيات معجمية ، تعرض في قاعة الدرس ثم تغلق عليها النوافذ والابواب خشية ان يبتذلها العوام ..

التاريخ : ٨ / ١٢ / ١٩٦١

قضايا أدبنا المعاصر ٥

أبو نواس في روما!

آن لنا ان نستريح من دعاوى خاطئة لاتزال رائجة فينا وان نرى ابا نواس على حقيقته لسانا للشعوبية فى صراعها المرير مع العربية والاسلام .



ابو نواس كان حديث اروقة الفندق فى روما اثناء المؤتمر

بقلم : الدكتورة بنت الشاطئ

هل يتصور قراء الادب ، ان الشاعر ابا نواس الذى مات منذ اثنى عشر قرنا، شغلنا فى ثلاث جلسات من حلقة روما لدراسة ادبنا المعاصر ؟

والقول الحق : لقد فكرت غير مرة فى ان اكتب هنا عن هذا الشاعر ،لاناقش دعوى تجديده للشعر ، التى لاتزال رائجة هنا . غير انى كنت اعود فاحجم ،اشفاقا من الاثقال على القراء ، بموضوع به ان يعالج فى مجال الدرس الادبى المتخصص .

لكن ماالحيلة ، ولقد بعث ابو نواس من مرقده ، وجيء به من وراء القرون ، ليختال فى ابهاء « الجراند اوتيل »بمدينة روما ، حاملا لواء التجديد ، ونحن ندرس قضايا ادبنا المعاصر ؟

التاريخ : ٨ / ١٢ / ١٩٦١

• كانت المرة الاولى ، حين قدم الشاعر «ادونيس» تقريره القيم عن «الشعر العربى ومشكلة التجديد» نجعل نقطة الانطلاق الاولى ، عند ابى نواس واضرابه من شعراء الجيل العباسى الاول . وقال عنه : «انه الشاعر الذى يعنينا من وجهة النظر الشعرية الحديثة ، اكثر من اى شاعر عربى قديم اخر .. رغم انه لم يكن ثوريا كاملا ، اذ انه كتب الكثير من القصائد التقليدية .. اننا بقدر مانحن بعيدون تاريخا وحضاريا عن ابى نواس مثلا ، قريب[illegible] منه . لكن ... لنا وجودنا الخالص وتجربتنا الخاصة . وبقدر ما ينبغى ان نعى صلتنا به ، علينا ان نعى انفصالنا منه » .

وجىء بأبى نواس مرة ثالثة ، عندما نوقش تقرير الشاعر [illegible] عن «الالتزام واللا التزام فى الشعر» وقد جاء فيه بالنص :

[illegible]

«ورغم ماقد يبدو دون و[illegible] . [illegible] استقلال شخصية الشاعر العربى العباسى وانصرافه الى التعبير عن شئونه الخاصة لم يكن ابو نواس — ولا العباس بن الاحنف ومسلم بن الوليد — كل الشعراء العباسيين . والحق ان هؤلاء خرجوا عن خط الشعر العربى ، اى عن موضوعيته والتزامه ، لانهم كانوا كلهم ، او جلهم على الاقل ، من الاقطاب الفكريين للحركة الشعوبية التى تقمصت صورا [illegible]

ثم لم نكد نطوى ذكر ابى نواس ، وقد انجلى موقفه من الشعوبية ، او هكذا خيل الى ، حتى فوجئنا به يبعث من جديد فى جلسة ثالثة ، قدم فيها الاستاذ محيى الدين محمد تقريره عن «الادب العربى بين التقليد والتجديد» وفيه يقول :

«والكلام عن تاريخ الحركة الشعرية فى البلاد العربية قبل الاسلام ، يصبح عقيما مالم يسبقه الكلام عن الحياة الاجتماعية ويمهد له . فالفن قبل كل شىء مظهر متمائل وتكاملى لكل ما هو ارضى وناقص ، والفن بهذا الشكل انموذج للواقع ، اما فى البلاد المتأخرة فيصبح الشكل فى الفن هو كل شىء ، طالما ان الفن مجعول لنقل الواقع وليس تعاليا عليه . وعلى ذلك ظهر شكل القصيدة العربية القديمة فى هذا الثوب المبرقش الذى يتعمد فيه قائله ان يغرق فى الخيال والمبالغة والادعاء انه فارس الفرسان وحكيم الحكماء واكرم الكرماء» !! » وفى هذا المجال وحده برزت ذاتية كل شاعر على حدة ، فى حين بدأ الجميع قصائدهم وختموها بذكر نفس الاشياء . وبالطبع كانت هذه الخلة ،

نتيجة ميكانيكية لضيق افق الحياة العربية الرعوية وبدائيتها « ! ! » وظل الشعر ، تقليديا ومعلنا عن نفس القيم «!!» حتى اتت مدرسة ابى نواس ، فحاولت ان تحطم هذا المسار الهادىء ، بتحطيمها للغايات التى وضعها الشعراء الاوائل بعلامات طريق يتبعها كل مهتد . ولنلاحظ ان المطالبة بالنقيض ، كما طالب ابو نواس لاتعنى التطور اكثر مما تعنى الرفض .. على ان ذلك لم يكن عبقرية ابى نواس وحدها ، بل عبقرية الامة العربية « !! » التى سارت شوطا طويلا فى الحضارة ولمست هنا وهناك عبقرية الامم الاخرى الادبية ، وتغذت بالشعر الشعبى فى فارس والعراق وسواهما ، واصبح لها وجه اكثر غنى وعمقا من وجهها التقليدى القديم»

انلا أعذر ، اذا جعلت ابا نواس ، عنوانا لاحدى قضايانا الادبية ؟

او ليس من الواجب ، ان نلقى بعض الضوء على الشاعر ، الذى يشغل فى ادبنا هذه المكانة ، ويظفر بمثل تلك العناية من ادباء معاصرين ، فيراه بعضهم ممثلا لعبقرية الامة العربية حين تحضرت ، ويعتبره آخر ، الشاعر الذى يعنينا من وجهة النظر الشعرية الحديثة ، اكثر من اى شاعر عربى قديم آخر !

ومن الانصاف ان اقول ان هؤلاء الزملاء ليسوا هم الذين بدأوا الحديث عن تجديد ابى نواس ، فمن قديم شغل هذا الشاعر نقاد عصره والعصور التى تلته ، حتى جاء استاذنا الدكتور طه حسين — حفظه

التاريخ : ٨ / ١٢ / ١٩٦١

الله - فنخص ابا نواس وتجديده بمقالات تتابعت في ((حديث الاربعاء))

واسأل : **اى جديد جاء به ابو نواس؟**

عدل عن الوقوف بشعره على الاطلال؟

لكن تراثنا الادبى يشهد ان قبله شعراء ذوى عدد ، لم يقفوا في شعرهم بالاطلال وفيهم "المهلهل" - اول من قصد القصائد - في بعض مراثيه لكليب .

استهل القصيدة العربية بالخمريات ؟

~~كذلك فعل ...~~

عدى بن زيد ، ودريد بن الصمة وآخرون غيرهم من صميم العصر الجاهلى !

تفنن في وصف الخمر ؟

لكن الاعشى الجاهلى قد فعل ، وكذلك **عدى بن زيد ، والاخطل ، والوليد بن يزيد** ، قبل ان يولد ابو نواس بعشرات السنين ..

لعله اذن قد جدد، **بوصف دنياه والحديث عن بيئته وعصره ؟ واى شاعر في القديم لم يصف دنياه ولم يعبر عن بيئته وعصره؟ ان وصف (طرفة) لناقته ، ليس اقل حظا من الصدق والواقعية وملاءمة العصر والبيئة ، من وصف ابى نواس وعصبته لمجالس اللهو والشراب في حانات بغداد وقصور العباسيين ؛ وان بدوية الشعراء الصعاليك ، في صميم العصر الجاهلى ، ليست في حساب الفن ادنى صلة بالحياة، وتجاوبا مع الواقع، وانفعالا بالعصر والبيئة ، من قصائد ((مدرسة ابى نواس)) في مستهل العصر العباسى ؟**

فهل جاء **باساليب جديدة على العربية واوزان لم يعرفها القدامى ، والفاظ لم يضمها معجم اللغة الذى جمع من استقراء النصوص القديمة ؟**

لا اعرف من ذلك كله شيئا ، فهل من يدلنى عليه ، بالشاهد والدليل ؟

ترى ، لو قلت ان ابا نواس كان مقلدا الى ابعد حدود التقليد ، ملتزما أدق التزام بالنمط الجاهلى في شعره ، تقع السماء على الارض ، وتزلزل دنيانا الادبية زلزالها !

انى لاقوله ، وبقوله معى شعر ابى نواس :

عاج الشاعر القديم على الطلل وعاج ابو نواس على الخمارة :

عاج الشقى على رسم يسائله
وعجت اسأل عن خمارة البلد

وبكى الشاعر القديم لمنازل احبابه ، **وبكى** ابو نواس مثله تماما ، لكن لمنزل ندمانه :

لتلك ابكى ، ولا ابكى لمنزلة
كانت تحل بها هند واسماء !

فان يكن لواء حمله (ابو نواس) . فهو لواء **الشعوبية** التى استشرت في مستهل العصر العباسى ، واحتدم الصراع بينها وبين العربية : جنسا ، وحضارة ، وعقيدة

والتاريخ يعرف ان الدولة العربية ايام الامويين ، قد قامت على العصبية للجنسية ، وظلت طوال حكمها تضطهد الاعاجم ، وتفرض عليهم ضروب النبذ والهوان ، غير معترفة لهم بحق المساواة الذى اقره لهم الاسلام :

((يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم))

فلما سقطت الدولة الاموية بسيوف الاعاجم وقامت الدولة العباسية على اكتافهم ، كشفوا القناع عن وجوههم ، فلم يعد

يكنبهم ان يتساووا مع العرب ، وانما جهروا بأفضليتهم عليهم ، بحكم ماضيهم الحضارى الطويل ، فكان صراع مرير صنع تاريخ الدولة الاسلامية لذلك العهد : السياسى والمذهبى ، والاقتصادى والاجتماعى والادبى !

وخاض الادباء ، كتابا وشعراء ، هذه المعركة المحتدمة ، ووجد الموالى منهم فرصة الاشتفاء من ظلم الامس وهوانه ، آمنين من غضب السلطان العربى المسلم ، فى دولة تدين لهم — الى حد كبير — بوجودها

وجلجلت فى الافق من اللحظة الاولى لقيام الدولة العباسية ، صيحات جريئة ، تسخر بالعرب ، وتلح فى تذكيرهم بماضيهم قبل الاسلام ، اذ كانتهم بداة يرعون الابل ويشربون اللبن ، ويسكنون الخيام ، ويلبسون الوبر والصوف ..

من اللحظة الاولى ، تنفس ((بشار)) فرفع عقيرته منشدا فى مجلس سيد من سادات العرب :

سأخبر فاخر الاعراب عنى
وعنه ، حين تأذن بالفخار
أحين كسيت يا ابن العرى خزا
ونادمت الكرام على العقار
تفاخر يا ابن راعية وراع
بنى الاحرار ؟ حسبك من خسار !
وكنت اذا ظمئت الى قراح
شركت الكلب فى ولغ الاطار !

وجاء ((ابو نواس)) من بعده ، يسجل رد الفعل لما عانى الموالى ايام الاموية من اضطهاد ، فلم تكن الاطلال هى التى تعنيه فى سخريته بمن وقف بها ، وانما هى عنده رمز لتقديم العرب ، وتدعيم لها ليهدر ماطالما اعتزوا به من اصالة فى انتمائهم لقبائل عربية ، كانت محور تاريخهم :

يبكى على طلل الماضين من اسد
لادر درك ، قل لى : من بنو اسد ؟
ومن تميم ، ومن قيس ، ولفهما
ليس الاعاريب عند الله من احد !

ولم يكن بكاء العربى لمنزل حبيبته هو الذى يعنيه ، بقدر ماعناه ان يسخر بأسماء عربية حبيبة غالية ، طالما تغنى بها الشعراء :

لا تبك ليلى ، ولا تطرب الى هند
واشرب على الورد من حمراء كالورد
لتلك ابكى ولا ابكى لمنزلة
كانت تحل بها هند واسماء . .

والعرب شرابهم اللبن ، وهم كثيروا الالتفات الى موطنهم الاصيل فى الجزيرة ، فليقل ابو نواس بملء الازدراء :

بلاد : نبتها عشر وطلح
واكثر صيدها ضبع وذيب
اذا راب الحليب ، فبل عليه
ولا تحرج ، فما فى ذلك حوب !

وابعد فى سخريته . فمس بمقدسات للعرب المسلمين ، فى مثل قوله :

وملتمسين النل خداعها
عند التثام الحجر الاسود
فقل فى المسجد ما لم يكن
يفعله الابرار فى المسجد !

والتفت الى رجال الحديث فاشبعهم سخرية ، واستثمار طريقتهم فى الاسناد لصياغة مجونه على نمطهم فى الرواية اذ يقول :

حدثنا الغفسال من وائل
وخالد الحذاء عن جابر
عن مسعر عن بعض اصحابه
يرفعه الشيخ الى عامر
قالوا جميعا ..

او يقول :

ولقد كما روينا
عن سعيد عن قتاده
عن سعيد بن المسيب ان سعد بن عباده
قال من مات محبا
فله اجر شهادة

افيكفى هذا لنستريح من دعوى تجديد ابى نواس ، وتمثيله لعبقرية الامة العربية « !! » ونراه على حقيقته : داعية للشعوبية فى صراعها المرير ضد العربية والاسلام !

التاريخ : ١٥ / ١٢ / ١٩٦١

كتاب جديد — تأليف : ناصر النشاشيبي — نقد : الدكتورة بنت الشاطئ

ماذا جرى فى الشرق الأوسط

• أقلام الصحافيين فى الميدان الأدبى

• مصاير البلدان وهل ترتهن بإرادة الشعوب أو بمشيئة أفراد من الحكام؟

المفروض الا نقدم هذه الصفحة من جديد الكتب ، الا ما كان منها ذا صلة بالادب .

وقد سالت نفسى ، حين فرغت من قراءة كتاب ((ماذا جرى فى الشرق الاوسط)) للاستاذ ناصر الدين النشاشيبى : هل لمثل هذا الكتاب صلة بالادب تجيز لى ان اقدمه الى قراء الصفحة ، ذات التخصص الادبى ؟

والجواب يتصل بالشكل وبالموضوع

فمن ناحية الشكل ، ربما يبدو الكتاب بعيدا عن الادب . لان كاتبه ليس ممن اصطلحنا على تلقيبهم بالادباء ، ولان هذا الاسلوب الذى يصطنعه فى عرض موضوعه ، قد يغاير المألوف من اساليب الشعر والنثر فى المصطلح التقليدى .

وهذا وضع لم يعد ينبغى ان نتمسك به ، بعد ان تطور الفن القولى عندنا ، ودخل ميدانه عدد من أبرع الكتاب الذين تخصصوا فى الكتابة الصحافية .

تطور الفن القولى ، فلم يعد — كما يتصور بعضنا — تفننا فى صناعة الالفاظ ، وتأنقا فى الزخرف الشكلى ، والتزاما بالقواعد البلاغية التى جمدت البيان العربى لمدى قرون ، وحكمت فيه ضوابط منطقية صارمة ، تسلبه حيويته وفنيته . وانما صار فن القول عندنا ، يعتمد على وجدانية التناول وطلاقة الاداء ، والقدرة على النفاذ الى النفس ، والخبرة بمواطن التأثير . .

ودخل الميدان ، هؤلاء الذين نقرأ لهم كل يوم من كبار الكتاب الصحافيين ، لننفعل بهم اقوى انفعال ، ويبهرنا من بعضهم اصالة التعبير وحيوية الاسلوب ، وامتلاك سر الكلمة .

ولقد اعترف الادب المعاصر بالمقالة بين فنون الادب ، وما اظنه يأبى الاعتراف بغير المقالة ، من مؤلفات لكتاب الصحافة — مما ليس مجموعة مقالات — يعرضون فيها بعض مشكلات المجتمع وقضايا العصر ، باسلوب متميز ، وافر الحظ



ناصر الدين النشاشيبى

من الحيوية والاثارة ، ومن الذاتية التى لابد منها لكل عمل ادبى .

هذا من ناحية الشكل . .

اما من ناحية الموضوع ، فاكثر القضايا التى يتناولها الكتاب الصحافيون هى القضايا السياسية . وصلة السياسة بالادب ليست موضع شك او انكار ، بل لعلها قد جاوزت ، فى الغالب ، حد الاعتدال ، فكانت السياسة فى تاريخنا مثلا ، هى محور النشاط الادبى ، وكأن لا شىء سواها ، من عوامل مادية ومعنوية ، يؤثر فى الادب او يتأثر به : فالعصور الادبية عندنا تساير العصور السياسية بدءا وانتهاء ، واعلام الشعراء والكتاب ، هم الذين اتصلت اسبابهم بالسياسة فأتاحت لهم من الشهرة ما اخملوا به من عداهم ، والنماذج الادبية المختارة ، هى التى راجت فى البلاط ورضى عنها السلطان .

وبدأنا نتحرر من هذا كله ، لكن دون ان نهدر صلة الادب بالسياسة بمفهومها

الجديد ، من حيث هي قضية شعوب تقرر مصايرها ، وصراع قوى يوجه مسير الاحداث ويشارك في صنع التاريخ

ومن هنا جاز لي ان اتحدث في صفحة الادب عن كتاب « **ماذا جرى في الشرق الاوسط** » :

لانه باسلوبه الذاتي المثير ، غير دخيل على فن القول كما يجب ان نفهمه في عصرنا الجديد .

ولانه بموضوعه ، يؤرخ للاحداث السياسية المعاصرة ، عن طريق عرض تحليلي لعدد من اشهر السياسيين الذين ظهروا على مسرح الاحداث في الشرق الاوسط ، خلال هذه الفترة العصيبة الحافلة من تاريخه .

وقد اتيح للاستاذ ناصر الدين النشاشيبي ، بحكم عمله في السياسة والاذاعة والصحافة ، ان يتصل بهؤلاء الرجال من قرب ، وأن يعرف من خفايا السياسة ما أحيط بالسرية والكتمان . ولقد ظل يرصد تيارات الاحداث ، ويرتقب مسارها ، ويدون كل ما يصل الى علمه منها ، حتى آن الاوان لنشرها في كتابه الذي لم يشأ ان يجعله **مجموعة مذكرات** ، وانما **آثر ان يركز اهتمامه في الاشخاص الذين لعبوا ادوارهم على المسرح السياسي ، عامدين مختارين ، او مسيرين مكرهين .**

وهو — في هذا ايضا — لا يجري على الاسلوب المألوف في تراجم الاشخاص ، وانما يبتدع أسلوبا خاصا به ، **يرسم فيه الشخصية من زوايا** معينة ، ويلتقط من كلمات صاحبها ، ومن كلمات الناس عنه ، ما يبرز ملامح **الصورة كما انطبعت في ذهن الكاتب** ، وما يجلوها على النحو الذي أراد ، والذي يجمله عادة في **كلمة لماحة ، او عبارة ذكية ، تعطي عنوان الشخصية :**

فنوري السعيد : الباشا

وآية الله كاشاني : الاسطورة

وتوفيق ابو الهدى : الحاكم بأمر ابنته

ومصدق . . . : النبي

وجلوب باشا : جندي ضد العرب

والشيشكلي : دكتاتور ترانزيت

وفيصل الثاني : صريع الاقارب

وطلال : المأساة

وصالح جبر : المصارع

وزاهدي : الجنرال

وعصمت اينونو : الداهية

وقد يختلف القارىء مع الاستاذ المؤلف في حكمه على بعض هؤلاء : فيرى مثلا ان الصورة التي رسمها لمصدق ، **لا تنطبق عليها صفة « النبي » والاخرى التي رسمها لتوفيق ابو الهدى** ، ليس فيها ما يشي بتأثره في **سلوكه السياسي** بابنته **التي يحكم بامرها** . بل ليس في الصورة اي ظل يمكن ان نلمحه وراء **تصرفاته السياسية** ، من « سعاد » التي قال عنها الكاتب : « **هي رئيسة وزراء الاردن مادام توفيق ابو الهدى رئيسا لوزراء الاردن ، هي التي تنصح ، وهي التي تامر ، وهي التي تكره ، وهي التي تفصل في الامور** » .

اجل ، قد يختلف القارىء مع الكاتب ، في مدى انطباق الصورة على الشخصية ، لكنه **لا يلبث** ان يدرك ان المؤلف انما يفهم الاحداث بمفتاح فهمه الخاص **لاصحابها** ، ويرسم الشخصيات ، كما يراها ، فلا بأس عليه ، جاءت الصورة ، **كما انطبعت في ذهنه ووجدانه** .

وهي بعد ، جزئيات ليست بذات اهمية ، انما المهم حقا ، أن نناقش **اساس الفكرة** التي اقام عليها الاستاذ ناصر الدين كتابه .

فهو يرى أولا ، « **ان مصاير البلدان** مرهونة الى حد كبير باعمال رجال الحكم والسياسة فيها » .

ولست معه في هذا الرأي ، بل الذي أومن به ، ان مصاير البلدان مرهونة بارادة شعوبها ، وان بدت في الظاهر ، معلقة بتصرفات الحكام ومشيئة الساسة

ولست اجهل ان ارادة الشعوب قد تتعطل بفعل عوائق قاهرة : فتضعف وتتخاذل تحت ضغط الارهاب ، او تخدع عنها من غفلة او عن تغرير ، لكن المصير مرتهن حتما في كل حالة ، بمدى وعي الشعب لارادته او غفلته عنها . ومن هنا يأتي اللبس والاشتباه ، حين لا تمضي الشعوب ارادتها لينفسح المجال لظهور قوى فردية ، او تيارات خارجية ، يبدو انها تحتكم في مصير الشعب ، والحق ان الشعب بغفلته هو الذي يصنع هذا المصير ، كما انه بوعيه ، يختار قائده الصالح ، ويملي على التاريخ .

هذه واحدة . . .

واخرى ، اختلف فيها ايضا مع الاستاذ ناصر الدين النشاشيبي : وهي انه يرى « **ان المجموعة التي يضمها كتابه من رجال الحكم والسياسة ، هي التي حكمت او احتكمت في مصير عدد من بلدان هذا الشرق الاوسط** » على حين أرى بعض هؤلاء كأديب الشيشكلي ، وحسني الزعيم ، وهزاع المجالي مثلا — كانوا **مجرد دمى** ، تحركها على المسرح السياسي خيوط خفية وظاهرة ، قد امسكت بها ايد غير منظورة ، وراء الستار . .

وأقول مع هذا ، انه مهما تختلف وجهات نظرنا ، فالذي لا شك فيه ، ان الكتاب يلقي اضواء على التاريخ السياسي للشرق الاوسط في فترة ما بعد النكبة ، ويفسر كثيرا من المبهمات التي بدت في حينها الغازا معقدة ، ويقدم للتاريخ مادة مباشرة ، من كاتب ذي حس مرهف وفطنة لماحة ، عاصر هذه الاحداث ، واتصل بابطالها وهم يؤدون أدوارهم على المسرح الكبير . . .

التاريخ : ٢٢ / ١٢ / ١٩٦١

قضايا أدبية

أضواء على (شخصيات) تاريخنا

بقلم : الدكتورة بنت الشاطئ



بيرم التونسي — احمد شوقي

« الآن ونحن نعيش تجربتنا الثورية ، ونحاول ان نعي ذواتنا ونحقق وجودنا ، يجب ان نرجع الى تراثنا الادبي الذى وضعته العصور الخالية في منطقة الظل ، لنستبين مراحل سيرنا في دورب الزمن »

لبثت زمانا ، في مستهل حياتي العلميه ، لا ادرى سر اهتمام المستشرقين لتراثنا الادبي والفكرى ، وعكوفهم على نشره واحيائه ، في رهبنة عجيبة فذة ، ايام كنا في غفلة عن هذا التراث ، ونحن اهله واصحابه .

ولم اجد فيما قيل هناك عن رغبتهم في خدمة المعرفة ، ولا فيما قيل هنا عن سوء نيتهم والتواء مقصدهم ، مايفسر لي هذه الرهبنة التى ينفق فيها احدهم عمره في تحقيق نصوص صعبة ، واستنقاذ اوراق بالية صفراء ، من براثن البلى والضياع

والذى حيرني قديما من امرهم مع تراثنا الادبي انهم كانوا بحيث لايعييهم ان يجدوا وسائل اخرى لتحقيق غرضهم النبيل من خدمة المعرفة ، او غرضهم الخبيث من التمكين للاستعمار في ارضنا ، دون ان يتجشموا هذا العناء المضني ، ويكابدوا معاناة نصوص من تراثنا ، يشق على كثير من اهلها ان يقرأوها في المخطوطات الباهتة التي طمس الزمن الكثير من ملامحها

...

ثم ادركت اخيرا فيم كل ذلك العناء!

ادركته ، حين اطمأن بى الدرس الطويل ، الى ان تراثنا الادبى ، هو الذى يستطيع ان يتقدم الى الغرب ، التفسير الصادق لتاريخنا ، ويلقى اضواء كاشفة ، تجلو غوامض ماضينا ، مع سر نهضاتنا وعثراتنا ..

ذلك لان كتب التاريخ عندنا ، لاتكاد تقدم لنا — ولهم — الا اخبار الملوك وتتابع الاسرات الحاكمة ، والمعارك التى دارت حول العروش والتيجان ، حتى ليخيل للقارئ ، ان دنيانا كلها قد انحصرت فى بلاط القصور ، وان تاريخنا كله كان يدور فى فلك السلطان ، اللهم الا لفتات عابرة لبعض الحركات الشعبية والثورات القومية والاجتماعية : تأتينا اخبارها عرضا ، عن طريق تاريخ الحاكم الذى قهرها ، او القائد الذى اخمدها وانتصر عليها ..

وغاب تاريخ الشعب ..

اضاعته اقلام المؤرخين ، ممن عاشوا فى مجتمع محكوم بالفردية المستبدة ، يتصور ان الحياة تخضع لمشيئة الحكام بمعزل عن الشعب ، وان الكون مسير بارادتهم ، لو شاءوا له ان يكف عن التسيير لفعل ...

والذين حاولوا من المؤرخين ان ينجوا من هذه المحنة ، لم يلبثوا ان انساقوا برغمهم ، ودون وعى منهم ، للتيار الغالب المسيطر ، الذى كان يجرف امامه ى مقاومة لتصحيح الوضع ، وامانة الرصد التاريخى لحركات الشعوب والجماعات ..

وبقى التراث الادبى ، يسد تلك الثغرة الخطيرة ، بما سجل من وقع الاحداث وسير الزمن ، وبما رصد من انفعال الجماهير بها ، وموقفهم منها ..

واحرص هنا ، على اللفت الى وجوب التفرقة بين التراث الادبى ، وبين التاريخ الادبى ..

فحين اقول ان تراثنا يسد الثغرة الخطيرة ، ويلقى اضواء كاشفة على تاريخنا ، فلست اعنى بهذا ، اننا نستطيع ان نلتمس هذه الاضواء ، عند مؤرخى الادب

فاكثر هؤلاء المؤرخين ، لم يكونوا بمنجاة من الشر ، وقد اعوزتهم القوة النفسية والوجدانية ، التى يستطيعون بها مقاومة التيار الغالب ، ومن ثم راحوا يتتبعون آثار شعراء البلاط ، ويحتفلون بالبضاعة الادبية الرائجة ، ويخضعون فى تذوقهم للادب وتقديرهم لرجاله ، لاحكام وموازين نابعة من الـ[illegible]م الشائع لوظيفة الادب فى عصرهم ، خادما للسياسة وتعبيرا من امزجة السلاطين والامراء ، وتبريرا لكل ما يمارسون من طغيان واستبداد فى ظل الحكم الفردى المطلق ..

لكن تراثنا الادبى شئ آخر ، غير التاريخ الادبى المكتوب باقلام هؤلاء ..

انه السجل الواعى الامين ، لاصداء تاريخنا العام ، والصورة المعبرة عن الحياة فى افقها الرحب ، غير محصورة فى فلك السلاطين ..

فلم يكن كل الشعراء ، ذوى حظوة لدى اصحاب العروش وموزعى الارزاق ، ولم تكن كل الالسنة ، كل الاقلام ، تجد

التاريخ : ٢٢ / ١٢ / ١٩٦١

سبيلها الى اعتاب البلاط ، ولم يكن الشاعر ، تستطيع ان تتنفس بين جدران القصور ..

بل وجد الى جانب المأجورين ، ادباء احرار ، تنفسوا فى الجو الطليق ، وعبروا من ذواتهم غير خاضعين للمصادرة الوجدانية التى كان القصر يفرضها على الحاشية ...

وعند هؤلاء .. نجد التفسير الادبى لتاريخنا كله ..

ومن تراثهم ، نلتمس الاضواء التى تهدينا الى حقيقة الشعب ، والدور الذى قام به فى صنع تاريخه

ومنهم نعرف ، ما عميت عنه عيون اعشاها بريق السلطان ، ونفوس كسرها جبروت الطغاة ..

لكن هؤلاء الادباء الاحرار ، قد وضعوا عمدا فى منطقة الظل ..

وتراثهم الادبى ، ظل لمدى قرون مطويا مهملا ، حتى احتاج الغرب ، بعد اندحاره فى الغزو الصليبى ، الى ان يفهم عقلية هذا الشعب الابى ومزاجه ويستجلى حقيقة تاريخه ...

واعوزه ان يجد هذا فى كتب التاريخ السياسى والادبى ، فبدأت حركة الاستشراق اول ما بدأت ، لتقدم الى الغرب ما يحتاج اليه من اضواء تكشف عن سرنا ..

وراحت الحركة ، تتتبع آثار المغمورين من ادبائنا ، ممن اهملهم مؤرخو الادب وانطلق رسلها فى انحاء المشرق ، ينقبون عن البضاعة المدفونة من شعر وقصص وامثال واساطير ...

وهناك فى صوامعهم ، بالغرب البعيد عكف الرهبان – فى فدائية صابرة بإزاء على تمحيص ذلك التراث ، وازاحة ما طمس الرمس من معالمه ..

يريدون ان يعرفوا منه ، تاريخ ما اهمله التاريخ

والآن ونحن نعيش تجربتنا الثورية . ونحاول ان نعى ذواتنا ونحقق وجودنا ونستبين معالم خطواتنا فى دروب الزمن

الآن ، ونحن نصنع حاضرنا ، وغدنا ، على هدى تجارب ماضينا ، بكل انتصاراته وعثراته ، وبكل امجاده ومآسيه

الآن ، يجب ان نلتفت الى تراثنا الادبى ، فنجمع ما بعثر منه فى مراكز الاستشراق ودور الكتب الغربية ، لنقرأه من جديد بذوق متحرر ، وعقلية نجت من محنة القمع والمصادرة ..

ومن جديد ، نعيد كتابة تاريخنا الادبى بعد ان نستكمل مادته التى وضعها مؤرخو الماضى فى منطقة الظل وبعد ان نحيى آثار ادباء احرار ، اخملهم الطغيان الادبى الذى جعل امراء الادب هم مداح الملوك وعبيد البلاط والسنة الامراء والاغنياء ..

ويكفى لبيان فداحة هذا الطغيان ، ان نقرأ اعتراف الاقدمين من مؤرخى الادب ، بان شاعرا مثل « جرير » اخمل وحده ثمانين شاعرا فى زمانه ، ممن لم يصلوا الى اعتاب القصر الاموى . وان « ابا تمام » والبحترى » – من شعراء الدولة العباسية – اخملا فى زمانهما خمسمائة شاعر ، كلهم مجيد .

ولم يقولوا لنا ، من هؤلاء الشعراء

التاريخ : ٢٢ / ١٢ / ١٩٦١

الخمسمائة المجيدون

وما يزالون خاملين لنا ، مع انهم جديرون بان يفسروا لنا جوانب مبهمة من تاريخنا ..

ولقد آن لنا ان نجد انفسنا فى تراثنا الادبى المهمل ..

فبقدر ما تفسر لنا بضاعة عملاء البلاط ، مدى تسخير الادب للتغرير بالجماهير وخداع الراى العام ، يقدم لنا تراث المغمورين الاحرار ـ من زهاد ومتصوفة ، ومن منبوذين وصعاليك ، ومن ثوار وخوارج ـ اصداء التاريخ الشعبى ، كما سجلها ادباء لم يتمرغوا على البلاط ..

وتاريخنا الحديث ، له فى هذا المجال تجربة شاهدة بما يستطيع التراث الادبى الحر ، ان يقدمه من اضواء ..

فاكثر كتب التاريخ الحديث ، قد وجهتها قبل الثورة ارادة ملكية ، وسيطرت عليها رغبة التزلف والتقرب من ذوى الجاه والسلطان . واخمل التاريخ الرسمى ، رجلا كالجبرتى حاول ان ينجو من سطوة التيار الغالب ، كما اخمل شعراء المدح والنفاق ، وماجورو الاحزاب السياسية ، ادباء احرارا عبروا عن مشاعر الشعب ، وانفعلوا بماساته ، وصوروا تمرده وسخطه .

فهل ترانا نعرف تاريخنا الحديث حق المعرفة ، لو لم نرجع الى التراث الادبى لبيرم التونسى الذى امتحن بالاضطهاد ، وعبد الحميد الديب الذى مات من الجوع ، وعبد الرحمن شكرى الذى طحنه الجحود والنكران ، وامثال لهم ، ممن اخملهم عملاء السلطان ودعاة الاحزاب !

هكذا الوضع بالنسبة الى ماضينا الذى لن نستبين معالمه ، مالم يكن لنا من تراثه الادبى مايضىء خطوات سيرنا على الدرب الطويل .

التاريخ : ٢٩ / ١٢ / ١٩٦١

قضايا أدبية

بقلم : الدكتورة بنت الشاطئ

لغتنا والحياة !!

((من اجل الفصحى ، دعوت وادعوالى التيسير ، والى التريث فى التخطئة والى الاعتزاز بالالفاظ والاساليب الصحيحة ، الشائعة على السنة الناس كى تاخذ الفصحى مكانها فينا :لغة حياة !))



شيخ الازهر



احمد لطفى السيد



الدكتور عبد العزيز السيد

مرة اخرى ، اكتب عن هذه الفصحى دون تحرج من الانفال والاملال ..

فبقدر ماللغة من ارتباط وثيق بحياتنا الفكرية والادبية ..

وبقدر ماهى مقوم اصيل من مقومات وجودنا القومى والثقافى ..

وبقدر ماهى مجلى انسانية الانسان واداة نطقه الذى يميزه عن الحيوان الاعجم ..

بقدر هذا كله ، يجب ان يكون اهتمامنا بقضاياها ، واحتمالنا لمعاودة النظر فيها كلما لاحت فرصة او جدت مناسبة

قريبة يجب اداؤها من اجل انسانيتنا وقوميتنا وثقافتنا .

والكتاب المتخصصون ، يحملون عنها الاكثر حين يعالجون مسائل اللغة وهم يعلمون علم اليقين انها ليست هينة التناول ولا خفيفة الظل ..

ويشارك القراء فى احتمال بعض عبئها ، اذ يصبرون على مطالعة هذا الصنف من الكتابة ؛ وليس فيه عنصر التسلية والترفيه ، الذى تروج به بضاعة القلم فى عصرنا .

وكنت — فى الشهر الماضى — قد عالجت قضية " الصعوبة الفصحى ... واوهام الخواص"فى مقال دعوت فيه الى ان يتريث الغيورون على الفصحى ، فى تعقبهم لاخطاء لغوية ، قد يكون لها وجه من الصحة والصواب .

واستشهدت على هذا ، بكتاب الفه احدعلماء اللغة فى القرن السادس الهجرى

وتتبع فيه ماحسبه من « اغلاط الخواص الواضحة ، واوهامهم الفاضحة » فجاء عالم آخر بعده بقرون ، والتمس لكل هذه الاغلاط وجها من الصواب ..

ومن اجل الفصحى : لا من اجل شيء آخر كتبت ماكتبت يومذاك ..

ومن اجلها ايضا اكتب اليوم .

اذ كلما يسرنا امرها ، مكنا لها من **السنتنا واقلامنا** ، وهيأنا لهذا الجيل من ابناء العربية ، نوعا من الطمأنينة الى امكان اقتدارهم على صحة التعبير ..

اما الالحاح في تعقب اخطاء — ربما كانت صحيحة لغويا — فمدعاة الى **النفور من هذه الفصحى ..**

وليس من مصلحتها ، ان يياس اهلها من الاقتدار عليها ..

بل ليس من الخير لقوميتنا وثقافتنا ، ان نتطوع بعزل الفصحى عن حياتنا ، لطول ماتصدم الكتاب بالتخطئة، حيث يكون هناك احتمال للصواب ..

ولطالما يصر الغيورون على الفصحى، على تجنب الالفاظ الصحيحة الشائعة على السنة العوام ، لان شيوعها في رأيهم **مظهر عامية وابتذال ، وان يكن في راينا، مظهر حيوية وصلاحية للبقاء ..**

والفصحى لن تنتصر في صراعها الموهوم مع العامية ، بامر وزاري من الاستاذ **الدكتور عبد العزيز السيد** ؛ وزير التعليم العالى ، ولا بقرار مجمعى يحمل توقيع استاذنا الكبير **احمد لطفى السيد** ، وانما تحل المشكلة بكل بساطة ، عن طريق التقريب بين الفصحى ولغة الحياة

وحسبنا من هذا التقريب ، ان نكف عن استعمال **الالفاظ المعجمية المماتة ،** وان نحتفل باستعمال الالفاظ الصحيحة الشائعة على السنة الناس ، وان نتردد **طويلا ،** قبل ان نشهر سيف التخطئة في وجه الطلاب والكتاب ..

ويتولى الزمن بقية المهمة ، بانتشار التعليم ، وتصحيح مناهجه ووسائله ..

ولكن بعض الغيورين على الفصحى مايزالون عند موقفهم من التعقيد ، والاصرار على تعقب الفاظ وصيغ، يسرعون في الحكم عليها بالخطأ ، ولو تريثوا قليلا — كما رجوت — لبان لهم وجه صحتها ..

وبين يدى ، عشرات من الرسائل ، تلقيتها اثر مقالى عن « الفصحى .. واوهام الخواص » مسترية في بعض ما جرى به قلمى من الفاظ ..

واكثر هذه الرسائل ، ممن يحسنون الظن بى ، ويروننى اهلا للحفاظ على الفصحى ..

منهم من وقف عند قولى «البنت الغيورين على الفصحى .. » ورأيهم منها جمع **الغيورين** جمع المذكر السالم ، مع ان المشهور ان الصفة لاتجمع جمع السلامة اذا لم تقبل علامة التانيث ، مثل اسود واحمر ، ومثل عانس وغيور ، مما يستوى فيه المذكر والمؤنث ..

وارجو ان يطمئنوا ، فنحاة « مدرسة البصرة » هم الذين التزموا بهذا الشرط ، اما **الكوفيون** — وهم اقرب الى ذوق العربية واهدى الى حسها — فقد جوزوا في مثل هذا ، ان يجمع جمع المذكر السالم وشاهدهم عليه : قول « حكيم الاعور بن عياش الكلبى » :

فما وجدت نساء بنى نزار
حلائل اسودين واحمرينا

وقول « ابى قيس بن رفاعة الجاهلى او ابى قيس بن الاسلت — الذى ادرك الاسلام ولم يسلم » :

منا الذى هو ، ما ان طر شاربه
والعانسون ، ومنا المرد والشيب

والعانس — كما في امهات المعاجم : «الجارية طال مكثها في اهلها بعد ادراكها ولم تتزوج . والرجل عانس ايضا »

فهذه صفة لاتقبل علامة التانيث؛ ويستوى فيها المذكر والمؤنث ، وقد جمعت جمع المذكر السالم . فلا باس بالغيورين التى هى اخف على القلم واللسان والسمع من صيغة «غير» بضمتين، ومنعا لالتباسها في الطباعة الصحافية غير المضبوطة بالشكل بلفظ «غير» — بفتح فسكون — وبه تضطرب العبارة ، عند الجمهرة من القراء ..

وآخرون منهم ، رأيهم الى استعمل **((التفرقة)) مصدرا للفعل «فرق» المشدد الراء ، قالوا : « ولايخفى عليك ان هذا الفعل يجب ان يكون مصدره التفريق ، لانه صحيح الاخر » .**

والقول لهم : ان التفرقة ليست خطا كما يظنون ، وانما هى مصدر صحيح ، جاء على غير القياس الذى ذكروه . وفي اللغة مصادر كثيرة على هذا الوزن ، من الفعل المضعف العين ، غير المعتل ولا المهموز ، مثل تجربة ، وتكملة ، وتفرقة ، وبحسبهم ، لكى يطمئنوا ، ان اذكرهم الآيات الكريمة :

التاريخ : ٢٩ / ١٢ / ١٩٦١

« تبصرة وذكرى لكل عبد منيب »

« ان هذه **تذكرة** ، فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا » .

« وانه **لتذكرة** للمتقين . وانا لنعلم ان منكم مكذبين » .

واستاذ جليل لم يسترح الى عبارتي : «ان العدد اذا تقدم المعدود» وكان يؤثر لي ان اقول : اذا **تقدم على** المعدود وحسبي ان اذكره ببيت «الطغرائي» في لاميته المشهورة :

تقدمتني اناس كان خطوهم
وراء خطوى لو امشي على مهل :

فهل اقول مرة اخرى : **ليت الغيورين على الفصحى** ، يتريثون في تخطئة **الفاظ وصيغ قد يكون لها وجه من الصواب ؟**

اقولها ، لانرغ لمشكلة جديدة ، اثارها نضيلة **«الاستاذ الشيخ منصور رجب»** واردت ان اعفيه من نشرها ، لكنه امر — ثلاث مرات — على ان انشر له البيان التالي ، تعقيبا على المقال الذى كتبته حول رسالته التى نشرت بنصها مع المقال :

«اولا : معذرة للدكتور ابرهيم بيومي مدكور ، فقد توهمت ان التعبير له فنحلته مالم يقل ، وجل من لايسهو .

« ثانيا : سؤالي الخاص بقاعدة العدد كان ينصب على لغة القرآن الكريم . فقد جرى على القاعدة المشهورة ، في المجيء بالعدد ، على عكس المعدود ، تقدم العدد ام تأخر . فيقول في الحال الاولى : «سبع ليال وثمانية ايام» وفي الحال الثانية : «والفجر وليال عشر»

« **هذه هي لغة القرآن الكريم التي ثرت لمخالفتها عمدا** . اما القول بجواز مخالفة هذه القاعدة في حال تقدم المعدود فهو **تخريج نحوى** ، يعرفه الخاص ويعرفه العام . وهو متداول في الكتب وفي ايدي الطلاب ، ولا شاهد عليه من القرآن الكريم ولا من كلام العرب .

« واحب ان اقول . اننا حين نيسر او نأخذ في تيسير اللغة على ابنائنا ، فلا **ينبغي ان نهجم على القاعدة** ، وخاصة اذا كانت لغة القرآن الكريم . هذا ما اردت تجليته ، وماتوفيقي الا بالله . » اهـ .

التاريخ : ٥ / ١ / ١٩٦٢

أضــــواء على تــاريخنــا

الشوقيات المجهولة

« ان السبق الى نشر هذه الوثائق المجهولة، حق من حقوق التأليف . أى أنه لا يجوز قانونا ولا عرفا ، اعادة نشر شىء منها الا فى حدود معينة ، وبعد استئذان المؤلف »

الدكتور محمد صبرى

« وددت لو أن الناس انتفعوا بهذا العلم ، دون ان ينسب الى منه شىء »

الامام الشافعى

بقلم الدكتورة

بنت الشاطىء

يخوننى البيان ، كلما حاولت ان اعبر عن الفرحة الغامرة التى اتلقى بها ما يجود علينا به الدارسون المحققون ، من نشر لبعض المطوى من تراثنا . اذ مهما اقل فى وصف هذه الفرحة ، تظل الكلمات المبذولة ، دون ما اشعر به حقيقة من تهلل واغتباط .

ذلك لانى مؤمنة اعمق الايمان ، ان تاريخنا لم يكتب بعد على وجهه الصحيح ولا سبيل الى معرفته ، مالم نجمع كل ما فى الدنيا من مخطوطات تراثنا المبعثر نحققها ونقراها ونعيها .

[illegible] والمطبعة العربية لا تنفك تقدم لنا تباعا حشدا من كتب التاريخ الادبى ، فلا يغنينى هذا الحشد الضخم مجتمعا ، قدر ما يغنينى نص واحد من تراثنا ، ينشر محققا [illegible]



وبمثل هذا التقدير ، تلقيت ((**الشوقيات المجهولة**)) التي حقق فيها الاستاذ ((**الدكتور محمد صبري**)) المجموعة من آثار شوقي لم يسبق نشرها في المطبوع من كتبه ودواوينه .

وبهذه الشوقيات المجهولة ، يضيف الاستاذ الجليل الى رصيد شوقي ، **والى تراثنا من الادب المعاصر** ، نحو مائة وثلاثين قصيدة ، عدد ابياتها يقترب من اربعة آلاف ، عدا مجموعة من الابيات المتفرقة والشذرات النثرية .

ويشق على ان اتصور مبلغ الجهد المضنى الذي بذله الاستاذ الدكتور ليجمع هذه الشوقيات المجهولة من شتى الصحف والمجلات ، في عصر شوقي .. وبعضها كان قد نشر بامضائه الصريح وسقط من دواوينه المطبوعة ، ونشر بعضها بامضاءات مستعارة عرف انها لشوقي ، مثل : سائح ، ونديم ، وخبير .. وقدر منها نشر بغير امضاء ، ودلت عليه — فيما يقول الدكتور صبري — انفاس شوقي .

ولم تكن غبطتي ، لنشر هذا التراث المطوي فحسب ، وانما لعلمي كذلك ، ان **مثل الدكتور صبري اهل للنهوض بعبء التحقيق الذي اعرفه صعبا باهظا** ، وقد راجت في السوق طبعات تجارية ممسوخة مشوهة ، لبعض كنوزنا الادبية والفكرية ، قام بها ناس **لادراية لهم** باصول التحقيق ، **ولاخبرة لهم بمنهجه ولا فكرة لديهم عن حرمة النصوص** .

ولكن الدكتور صبري مؤتمن على التحقيق باصالة منهجه التاريخي ودقة حسه الادبي ، فكان كسبا لادبنا المعاصر ، ان يتجه مؤرخنا الاديب لخدمته : عن هذا الطريق الشاق الذي يشفق اكثر علمائنا من وعورته ويحجمون عن احتمال عبئه المضنى ..

ومنذ اشهر ثلاثة ، وانا انتزع نفسي من شواغل الدنيا كلما استطعت الى ذلك سبيلا ، لاعيش مع هذه ((**الشوقيات المجهولة**)) في حقبة من تاريخنا الحديث ، غاب عنا — نحن ابناء هذا الجيل — الكثير من خباياها واسرارها .. واعترف انني شخصيا ، وقفت منبهرة امام **هذه الاضواء** التي القتها الشوقيات المجهولة على تلك المرحلة من تاريخنا . وكنت بين حين وآخر ، اشعر بما يشبه الاسى والخجل لجهلي باحداث كبار صنعت تاريخ قومي ووطني ، ولطالما تساءلت ، خلال مطالعتي للكتاب : كيف عشت هذا العمر ، وانا لا اعرف على وجه التحقيق ، موقف حتى الثورة العرابية — وقدمها محررو اللواء والمؤيد — من قائدها احمد عرابي؟ وكيف زعمت لنفسي انني اعرف تاريخ بلدي ، ولم استبن شيئا ذا بال من اسرار ((**المأساة فاشودة**)) و((**الحادثة الحدود**))؟ أ وكيف ساغ لي ان اشتغل بدراسة الادب المعاصر ، وقد كنت حتى امس القريب ، لم استكمل معرفتي بالمعارك النقدية التي شبت في جيل شوقي ، ومنها — مثلا — معركة ((عام الكف))؟

بل لقد تساءلت في غمرة دهشتي واساي : **ان كان تاريخنا في عصر شوقي قد درس حقا ، قبل هذه المجهولات من الشوقيات وغير الشوقيات ؟**

ذلك لان الاضواء التي القاها الاستاذ الدكتور صبري بكتابه ، كشفت لي عن مناطق في طي الضباب ، وجعلتني ارتاب فيما كنت احسبه من القضايا المسلم بها في تاريخنا القومي والادبي .

وقد اقول مع التالين : ان الشوقيات المعروفة والمجهولة ، لاتعدو ان تعبر عن موقف شوقي من احداث العصر ، وقد كان معروفا بولائه لبيت اسماعيل ، ولا يخلو موقفه من التاثر بهذا الولاء .

غير اني اؤكد — مع هذا كله — **ان وعينا لتاريخنا ، لايمكن ان يستغنى عن هذه الشوقيات المجهولة ، بما تكشف لنا عن موقف شاعر عاش احداث عصره بكل وجدانه وانفعل بها اقوى انفعال ، ولم يحل ولاؤه لاولياء نعمته ، دون مشاركته العاطفية لهذا الشعب ، ابان محنته بالاستعمار ، ومصابه في فئة من رجال الحكم والسياسة ، قنعوا بدور الشخوص المتحركة بايدي الانجليز ، على مسرح الدمى ..**

اجل ، نحتاج الى هذه الشوقيات المجهولة ، والى سواها من التراث الادبي للعصر كله ، مما لايزال في منطقة الظل او طي الظلام ، لكي نستبين في ضوئها خطوات مسرانا في ليل المحنة ، ونميز اصداء البعث في الفترة التي شهدت الثورة العرابية ونضال الحزب الوطني والثورة القومية عام ١٩١٩ .

انيشفع لي هذا الاعتزاز العميق بما نشر من الشوقيات المجهولة ، في ان اشير هنا الى ما صدمني منها ، خلال قراءتي المتانية لها ؟

كانت الصدمة الاولى ، حين رايت الاستاذ الدكتور صبري ، **وهو من نعرف اصالة منهج** ، يبيح لنفسه ان يمس حرمة النصوص فيثبت من الشوقيات المجهولة مايرضيه ، ويحذف منها مالايحده

بحجة ان هذا المحذوف ، هابط فنيـا عن المستوى الذى بلغه شوقي ، او لانه من المدح الذى كان الشاعر يتكلفه ضد طبيعته .

لم يفعل ذلك مرة ، واثنتين ، وعشرا فحسب ، بل جعله من اسس خطته في التحقيق ، فقال في ص ٤٧ :

وقد حذفنا المديح من قصائد كثيرة ، ونحن موقنون انه مادعا شوقي الى اسقاط معظم المديح والاكتفاء بالنسيب — كما فعل في الجزء الثاني — لم يكن الرغبة في تحاشي ذكر عباس في عهد فؤاد ولكن كراهيته **الطبيعية** للمديح الذى **تكلف فيه القول . واخيرا اغفلنا قصائد كثيرة غير منشورة في الديوان ، ولكنها ليست من جيد شوقي** او مما يستسيغه مريدوه ! لم ننشر من **((المحجوبات))** الا قصائد معدودات عليها مسحة من ملاحة شوقي . **وبالجملة اسقطنا كل ركيك اوغث !** .

لقد اوشكت ان اتهم بصرى وانا اقرا هذا الكلام ، ثم لذت برجاء ان يعود الباحث المؤرخ فيلتفت الى مافيه من عدوان على حرمة النصوص وحق المنهج ، لكنني الفيته — مع الاسف الشديد — يمضي على خطته تلك ، فيحذف قصائد كاملة ، ويسقط من احدى الشوقيات المجهولة **نصف ابياتها** "ص ٢٦٦ "ومن ثانية **اثنين وعشرين بيتا** "ص ٧٣ "ومن ثالثة ورابعة **اثنى عشر بيتا** "٦٨ ، ١٠٣ " ومن خامسة **ستة ابيات** "٢٥٩ "وهكذا .. دون شعور باى تحرج !

هنا الوذ بالضمير العلمي لاستاذنا المؤرخ ، فاساله محتكمة اليه : **هل يرضيه ان يعتدى مكتشفو الاثار على حرمتها ، فيغيروا صبغتها وملامحها ، اوبيتروا اجزاء منها على هواهم ؟ وهل تبقى للاثر بعد ذلك البتر او التغيير ، قيمة تاريخية من حيث هو خط اثرى في نسيج سنه وعصره ؟**

ان الامر في النصوص شبيه بهذا ، اذ هي التي تهدينا الى معجم الفاظ **الشاعر ، والى خصائصه الاسلوبية والى** مستواه بين الرقي والهبوط ، والى الدلالات النفسية لمزاج العصر واوضاع المجتمع منعكسة على وجدان الاديب والى مدى التفاعل بين الفن والحياة ، **مما هو مادة لتاريخ العصر** ؛ فكيف هان على مؤرخ جامعي محقق ، مثل الدكتور صبرى ، ان يتصرف في النصوص على هواه ، فيحرم الدرس التاريخي والادبي وسائل معينة على الفهم والتقدير والحكم ، ومادة مؤرخة للشاعر والعصر ؟

لا يفعل هذا فحسب ، بل يبلغ المأساة ذروتها حين يقول في صفحة ٤٧ :

((ولو اتيح لنا اعادة طبع الجزء الرابع من الشوقيات ، لما ابقينا منه الا القليل . بل ان الجزء الثاني الذى اشرف على طبعه شوقي نفسه فيه غث كثير .))

ثم يصر على هذا الموقف : فيقول في ص ٩٨ : **((ان اكبر اساءة الى اسماعيل صبرى ، كانت في نشر ديوانه بغثه وثمينه من شعر الصبا الى شعر الكهولة ! ولو ان الناشر اكتفى بمختاراته التي يحتل بها — على قلتها — مكانا فريدا بين جميع معاصريه ، لظهرت شخصية صبرى .))**

ماذا اقول ؟ لاشيء الا ان احمد الله ، **اذ نجت الشوقيات المطبوعة ، ونجا ديوان اسماعيل صبرى ، من يد مؤرخنا الاديب!**

ثم ، من قال ان للاستاذ الجليل ان ينفرد بالحكم الفني على ما اسقط من الشوقيات ؟ ان قيمة النص المحقق ، في انه يضع المادة الادبية بين ايدى الدارسين على اختلاف مستواهم ومذاهبهم وبيئاتهم ، فيكون لكل منهم حكمه وتقديره . انا مثلا **اخالف الاستاذ الجليل في كثير من احكامه النقدية التي بسطها في الكتاب ، فلا يضير** سيادته ان يخلف راينا ، انما الذى يضيرنا **جميعا ، ويضير الحق التاريخي ، ان يسقط الدكتور من الشوقيات مالايرضيه ، فيصادر بهذا الاسقاط ، حقنا في تقويم مااسقطه ثم يحكم بهذه المصادرة على اجيال بعدنا** ، بعدم حقها في ان تتذوق النص بما تسعف عليه طاقتها ومستواها ، وان تحكم عليه بموازينها التي ترضاها ؛ وان تقوم الشاعر بكل تراثه ، لا بالجيد منه فحسب !

واخرى من المآخذ المنهجية ، ان الاستاذ الجليل اعتمد في نسبة بعض هذه الشوقيات المجهولة الى شوقي ، على ((الفاسة التي تلم عليه))!

وخبراء النصوص الادبية يفعلون ذلك احيانا ، لكن بادلة وقرائن ، لا بمجرد الايناس ! وهذه الادلة والقرائن ، تلتمس بالاستقراء الدقيق الفاحص لاثار الشاعر يهدى الى معجمه واساليبه وخصائصه الفنية . **اما الحكم جزافا بان هذه القصيدة**

او تلك ، من الشوقيات ، لان انفاس الشاعر تدل عليه ، فان الدكتور صبرى نفسه ، ساق الينا فى كتابه ، ما ينقض به مثل هذا الحكم ، وذلك حين قال باحتمال ان يكون هذا الشعر — المنسوب الى شوقى بانفاسه — ((محصورا على اية حال فى طبقة من الشعراء المبرزين امثال حافظ وصبرى ومطران ، وقد نشرت دواوينهم ، وبذلك انحصر الشك فى اضيق حدوده)) — ص٤

ذلك لانه متى تشابه الامر على الدكتور صبرى فى هذه الانفاس ، بحيث يمكن ان تختلط عنده بانفاس حافظ ومطران، فقد انهار الحكم من اساسه !

لماذا اضفنا الى هذا ، حكاية قصيدة ((يابنت روما)) التى رواها الدكتور فى ص٣١ ، لم يبق اى مجال للتعلق بالانفاس !

لقد كانت هذه القصيدة من نظم الدكتور صبرى ، ونشرت ابيات منها فى ((الاهرام)) منسوبة خطأ الى اسماعيل صبرى ، ورغم المبادرة بتصحيح هذا الخطا ، بقيت الابيات ملصقة باسماعيل ، وفات الخطا على ناشر ديوانه فاثبتها فيه ، بل فات الخطا على ((شوقى)) نفسه ، فارسل برقية الى اسماعيل صبرى ، تهنئة بالقصيدة !

ولو كان الدكتور صبرى ، يضيف هذا الشعر المجهول الى شوقى ، بصيغة الظن او الاحتمال ، لالتمسنا له بعض العذر . لكن الغريب حقا ، انه — بعد ان قرر احتمال ان يكون هذا الشعر لحافظ او صبرى او مطران — يقدمه مع الشوقيات ، بعبارة ((نعتقد انه لشوقى — ٢٨١ ، ٢٨٨)) ثم لا يبسط بين يدى هذا الحكم الجازم ، ما يكفى لمجرد الترجيح !

ارجو على كل حال ، الا يظن بعض القراء انني اجحد قيمة ذلك السفر القيم من اجل عثرات اخذتها عليه ، عن فرط حرص على مثل هذا العمل الجليل ، يعيبه عندى نقص القدرة على الكمال .

اما الاستاذ الدكتور ، فلن يضيق بهذا النقد قدر ما ضقت انا نفسى به . وشفيعى انه يعرف مكانته عندى ، ويعلم انى احاول جهد بشريتى ان امتثل بالآية الكريمة :

((يا ايها الذين آمنوا ، كونوا قوامين بالقسط ، شهداء بالحق ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين))

بقيت كلمة عتاب ارجو ان يتسع لها صدر استاذنا العالم . تلك هى انه صدر الشوقيات المجهولة ، بتنبيه صارم قال فيه : ((. . ولاشك ان السبق الى نشر هذه الوثائق المجهولة او المطمورة حق من حقوق التاليف . اى انه لا يجوز قانونا ولا عرفا ، اعادة نشر شيء منها الا فى حدود معينة ، وبعد استئذان المؤلف والاشارة الى المصدر . وذلك تطبيقا لقواعد الامانة العلمية التى هى الدعامة الاولى لصيانة حقوق التاليف والمؤلفين ، ومنع السطو على جهود الغير ، هذا السطو الذى اصبح لا يتورع عنه جهارا وبلا استحياء ، نفر من الناشرين والكتاب)) ص٢

ولقد ذكرت وانا اقرأ هذا التنبيه الصارم ، كلمة ((الامام الشافعى)) رضى الله عنه :

((وددت لو ان الناس انتفعوا بهذا العلم ، دون ان ينسب الى منه شيء))

فهل اقول : وددت لو ان الاستاذ الدكتور صبرى ، اباح للناس ان ينتفعوا بثمرة جهده السخى الباذل ، دون ان يتقاضاهم حق التاليف ، او يكلفهم ان يستاذنوه ؟

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٤ / ١ / ١٩٦٢

أضواء على التاريخ

١ ـ سفر المزامير

٢ ـ حقيقة السلام

مع مطلع العام الميلادى ، اخترت من جديد الكتب ، كتابين اغرت بهما المناسبة الدينية المجيدة : اولهما ((سفر المزامير)) الذى نقله الى العربية ((الاستاذ محمد الصادق حسين)) بالاشتراك مع ((الاب دى بوركى الدومنيكى))

والاخر ، كتاب ((حقيقة السلام)) الذى اشترك فى تاليفه الاستاذان ((يحيى ابو بكر ، وكمال متولى))

والمزامير قد مضى عليها ما يقرب من ثلاثة آلاف عام ، وهى ترتل فى المعابد والكنائس ، دون ان يتاح لنا الظفر بنص امين لها ، منقول الى لغتنا باسلوب عربى مبين .

واليوم يظهر هذا النص المرجو ، وقد تهيأ له من امانة التحقيق ، ووفاء الجمع واشراق الاداء ، ما يضيف به ذخيرة هامة الى التراث الدينى والروحى لهذا الشرق العتيد : مهد الانبياء ، ومنزل رسالات السماء .

ذخيرة تضىء تاريخ هذا الشرق فى حقبة من ماضيه البعيد ، وتكشف لنا عن مستوى البشرية قبل الميلاد ، بما تسجل من مشاعرها وافكارها ، ومحنها واخطائها وهمومها وآمالها .

وهى فى الوقت نفسه ، تجلو لنا نفسية بنى اسرائيل ، وعلاقتهم بالرب ، وموقفهم من رسله وانبيائه .

ولنا فيها ، وراء ذلك كله ، مجال خصب لدراسة ادبية ، تميز الخصائص الاسلوبية للمزامير ، وتهتدى الى صورها البيانية ، وانماطها فى التعبير والاداء .

فمن دلالتها على مستوى القوم فى عصرها ، ان مضرب المثل فى الفرحة «بوفرة الحنطة وجديد النبيذ ـ ص ٢٢»

ومن نعم الله الكبرى «انه امطر عليهم اللحم كالتراب ـ ١٢٠»

ومن صورها البيانية غير المألوفة لنا : « ... هى سيد السكون كما يهب

بنت الشاطئ



الاب دى بورتى



يحيى ابو بكر

النائم ، كالبطل صرعه الخمر» — ٧٧
يارب ، يا حظى من الميراث ، يا كوبى انت الضامن نصيبى» — ٢٤
«لدى صوت وعيدك يارب ، لدى الريح ترسلها من منخريك» — ٣٧
«الله صخرتى وسورى — ٢٦
«سمع من هيكله جؤارى ..
«علا الدخان عند منخره ، وخرج لهب من فمه — ٢٧
«لو سلكت وادى الظلمات ماخشيت سوءا
فثم عصاك وعكازك ، يذهبان روعى» ٤
«قد احصيت منفيانى ، فلق لى زق من عندك دموعى — ٨٩
«لا تسلم للسبع روح حمامتك — ١١٤
ومن دلالتها على نفسية اسرائيل ، وموقفهم من الرب ونبيه عليه السلام :
«الذبائح لا تعجبك ، المحرقات لا ترضيك
بفضلك احسن الى صهيون ، جدد اسوار اورشليم .
اذن ترضى عن لائق القرابين ، عن المحرقات والذبائح الكاملة ، اذن نقدم العجول على مذبحك — ٨٤
«اقرب لك محرقات سمانا ، تصحبها رائحة الكباش ، واعد ماشية سمينة وتيوسا» — ١٠٠
الم يارب تظل نائما ، وفى الوقت العصيب محتجبا ؟
رابت يارب فلا تسكت ، يارب لا تنأ منى !
هب ، قم ، من اجل حقى . يارب يا الهى : من اجل قضيتى .
احكم بعدلك يارب ، يا الهى ، لا يضحكوا منى ...
ركب الخزى والعار معا ، من يسرهم ان اشقى
فشى الحزن والاضطراب ، من يلتمسون المضرة بالنيل منى !
«ولكن البشر والفرح ، لمن يفرحون بانتصارى» — ٦١

«الرب لا تظل صامتا ، يارب كفى راحة ، كفى سكوتا
لشعبك يكيدون ، وبالعائذين بساحتك يأتمرون .
يقولون : هلموا نمحهم من عداد الامم فلا يذكر من بعد اسم اسرائيل .
رب اجعلهم عصفا ، اجعلهم هشيما تذروه الرياح ..
كذلك ارسل عليهم ريحا صرصرا ، وبالعاصفة املاهم رعبا» — ١٢٨
«صوت الله يحطم الارز ، الله يحطم ازر لبنان !
يجعل لبنان تقفز قفز العجل ، وسريون تثب وثوب البهم !
«صوت الله يبرى ، من نار البرق سهاما
صوت الله يرج الفلاة . الله يرج فلاة قادش» ٥٢
«الاهانة كسرت قلبى ، خزيى وفضيحتى لاعلاج لهما ..
رجوت الرحمة فلم اجدها ..
قدموا لى السم غذاء ، عطشت اسقونى خلا .
صب عليهم غضبك ، حتى تمسهم نار سخطك !
حتى تصير مساكنهم بلقعا ، وبيوتهم خاوية» — ١٠٦
لا آباؤنا فى مصر لم يدركوا كنه آياتك
لم يذكروا عظيم حبك ، بل نسوا العلى الاعلى عند البحر الاحمر ..
لكنه انجاهم من اجل اسمه لتعرف قدرته
فآمنوا بكلماته وتغنوا بحمده
لكنهم سارعوا الى نسيان صنيعه ..
حسدوا موسى فى محلتهم ، وهارون ولى ربهم
صنعوا عجلا فى حوريب ، سجدوا لصنم مصبوب
نسوا ربهم الذى انجاهم
عن له ان يبعدهم ، لولا ان موسى صفيه
قام بين يديه بدائما ، ليصرف عن الاهلاك غضبه .
رفضوا ارض طيباته ، لم يؤمنوا بكلمته

التاريخ : ١٤ / ١ / ١٩٦٣



محمد الصادق حسين

تذمروا فى خيامهم ، ولم يستمعوا الى صوت ربهم
رفع يده مقسما ، ليهلكنهم فى الصحراء
«وليبيدن ذريتهم هلاكا عند امم الكفر
وليشتتنهم فى اقطار الارض !
تلوثوا بافعالهم ، عهروا باعمالهم !
حميت نار غضبه على شعبه ..
اعداؤهم صاروا سادتهم
خصومهم صاروا طغاتهم ..
انجاهم مرارا ومرارا ، لكنهم حادوه
للشر الكامن فيهم ، وامعنوا فى ضلالهم »
١٥٩

«على ضفاف انهار بابل ، كنا جلوسا
نبكى لذكرى صهيون
على الصفصاف من حولنا ، علقنا معازفنا
ثم طلب سجانونا ان نغنيهم .
طلب مغتصبونا الطرب ..
قالوا : غنوا من اغانى صهيون » .
«لكنك ، يارب ، نبذتنا ، وهزوا اتخذتنا
.. جعلتنا نرتد على اعقابنا بين يدى خصمنا ، وفى المغانم يرتع عدونا
كحيوان الجزارة تسلمنا ، وفى الامم شردتنا
تبيع شعبك بثمن بخس ، لاتبغى من الصفقة ربحا تجعلنا بين جيراننا سبة ،
وفيمن حولنا حديثا وضحكة!
تجعلنا مثلا عند الامم ، وموضع الاحتقار بين الشعوب !
قم ، لم تنام يارب ؟ هب ، ولا تقذف بنا حتى آخر الدهر — ٧٤

ولا بد من اشارة الى قضية هامة تثيرها هذه المزامير . واعنى بها تطور دلالة نصوصها . فلقد تم جمعها فى نهاية القرن الثالث قبل الميلاد ، وتلقتها الاجيال المسيحية بعد قرون ، ترتلها فى رحاب الكنائس ، وهى ترى فيها ما لعل اليهود لم يروه ، وتجد تأويلا لما فيها من سخط هادر على الاعداء ، والحاح على الرب فى التنكيل بهم وتدميرهم ، مما ينافى المعروف من تسامح المسيحية ودعوتها الى الحب «فالمسيحى اذا تلا المزامير ، كان الدعاء باللعنة ، على اعداء الله لا على اعدائه الذين هو مكلف بالصفح عنهم ، كما انه يحيى بها بغضه للشر والخطيئة ، لا الخاطئين» — ١٥

وهذا الموقف يجلو تطور دلالات النصوص مع الزمن ، ويشهد بحق الاجيال فى حرية فهمها وتأويلها ، بما يلائم مستواها الروحى والفكرى والذوقى ، غير ملتزمة بفهم الجيل الذى تلقاها ، ولا مقيدة بعقلية الشعب الذى نزلت فيه ..

وانتقل الى كتاب «حقيقة السلام» الذى اغرانى عنوانه ، كما اغرانى اهداؤه الى «زعيمنا الذى جعل السلام جزءا من دعوته القومية ، وقائدنا الانسان الذى جعل من عدم الانحياز دعوة انسانية لانقاذ السلام » .

فرجوت ان اعيش بالكتاب فى جو السلام الذى ندعو اليه ، والذى تطلعت اليه الانسانية منذ بشر به المسيح عليه السلام . رسالة من السماء الى الارض المخضبة بالدماء ، الشقية بالحقد والانانية والبغضاء ..

ودارت عجلة الزمان ، تطوى الاعوام والادهار ، حتى اوشكت ان تستكمل الفى عام ، وما يزال السلام حلما بعيد المنال لبشرية مثخنة بالجراح ، ودعوة ينادى بها قادة احرار .

ولم اجد فى الكتاب ما التمست من استرواح ، وانما لقيت دراسة جادة رصينة للواقع المر الاليم ، حيث الانسانية يمزقها «الصراع المسلح» بين شتى المذاهب وتتجاذبها تيارات عنيفة متدافعة من شرق وغرب ، ويضنيها القلق وهى

تشهد «سباق التسلح» فى طيشه وجنونه وتابى مع كل هذا ان تخدع عن «**حقيقة السلام**» او ان تستسلم للبأس ، فتكف عن محاولاتها «**من اجل السلام**» ..

وقد جذبتنى مطالعتى لسفر المزامير ، الى الفصل الخاص بالصهيونية فى الصراع المذهبى «٢٥ : ٥٢» حيث لمح المؤلفان جذورها العميقة الغائرة فى ماضى تاريخ اليهود ، وفى تلمود اورشليم وتلمود بابل ، قبل ان تظهر دعوة «تيودور هرتزل» باكثر من الفى عام . ولنتتبع هذه اللمحة المضيئة ، يستطرد منها الكتاب الى تتبع الحركة الصهيونية» والكشف عن اسرارها المطوية ووسائلها الخبيثة ؛ من غدر وحقد ، ومن زيف ونفاق ، ترتدى بهما زى الدعوة الدينية ، وهى تضمر التصميم على استبدال **اوامر التلمود** بتعاليم **التوراة** ، ونبذ شريعة **موسى** عليه السلام بشريعة **وايزمان** الذى يقول : «ان الدين يدفع الى التواضع والعفة ، ولا يمكن ان تقوم دولة او ترسم سياسة على هذا الاساس» وبشريعة **الحاخام** «عمانويل ايفانوفتش» الذى صرح فى المؤتمر السرى للصهيونية — بودابست سنة ١٩٥٤ — «بأن الجنس اليهودى يجب ان يحتل مكانه فى العالم ، ويصير كل يهودى ملكا ، وغير اليهود عبيدا .. **وان الدين قد يكون خطرا داهما على سيطرتنا** » ».

وتابعت القراءة على عجل ، **لاطيل** الوقوف عند مأساة **فلسطين** (١٤١ : ١٦٠) حيث تحاشى الكتاب اصطناع الاسلوب الخطابى ، فجاءت الوثائق التاريخية والارقام الرسمية ، اقوى اثارة وافصح دلالة ، وابلغ فى تصوير المأساة ..

كما جاء الكتاب فى جملته ، يحمل آثار العمل المخلص ، تدفع اليه رغبة صادقة فى السلام : دعوة الرسل ، وحلم البشرية وارادة الشعوب الناجية من ميراث الحقد والشر ، البريئة من عقدة الاضطهاد والانتقام او السيطرة والجشع .

وبقيت كلمة لا بد منها ، اعتذر بها من خطأ مطبعى اسفت له وضقت به ؛ وذلك بوضع لفظ اعددنا مكان «اعتدنا» فى آية الدهر بمقالى عن لغتنا والحياة ، ولفظ «للحق» مكان «لله» فى آية النساء بمقالى عن الشوقيات المجهولة .

والحمد لله — الذى لا يحمد على مكروه سواه — ان الخطأ فى اللفظتين لم يضع رحمة مكان عذاب ، ولا عذابا مكان رحمة !

ويعلم الله مبلغ حرصى على الا يقع مثل هذا الخطأ ابدا ، وان كان الحرص لم يمنع من وقوع الخطأ مرة فى طبع «المصحف الشريف» عندنا ، **على ما حشد له من وسائل الدقة فى المراجعة والضبط والاتقان** ، كما وقع فى **معجم القرآن الذى نشره المجمع اللغوى** منذ سنوات ، باشراف جماعة من ائمة العربية **وشيوخ الاسلام** ، فجاء فيه : «**حتى تؤمنوا بالله ورسوله**» مكان قوله تعالى : «**حتى تؤمنوا بالله وحده**» فى آية الممتحنة .

ومن عجب ، ان يتوهم واهم انى تعمدت الى تغيير لفظ «**اعتدنا**» كأنما يجوز فى تصوره ان يعمد مسلم الى تحريف لفظ قرآنى ! وكأنما نفدت احتمالات الخطأ ، والسهو ، والنسيان ، ولم يبق لديه الا تهمة «العمد» يقذف بها دون تحرج او تأثم ، ويظل يلتو فى ذلك حتى ينذر ويهدد ، ويتوعد بان يستعدى السلطات على ، ان لم انشر له خطابه !

فهل ترانى قد بلغت ؟ اللهم فاشهد !

التاريخ : ١٩٦٢/١/١٥

فتحية بهيج كما عرفتها

رسالة اليك يا راحلة ...

قبل أن تمضي بعيدا .. بعيدا .

قبل أن يطول بك الرقاد في مضجعك الموحش بمدينة الموتى ..

قبل أن يعبث البلى بجسدك الغض، ويحيله حفنة من تراب .

قبل أن يمتص العدم، تلك البقية لديك من دفء الحياة !

رسالة من احدى صديقاتك !،

اكتبها وانا اشعر بوهم كبير:

فطالما سمعت الناس يزعمون ان الميت يظل فترة اثر رحيله، مشدودا بمغاني حياته، حائما بروحه حول مغاني احبابه، مطيفا بكل ربوع دنياه!

لعل النسائم تحمل همساتك، في ... بنا ... ولعلها تؤنسك في وحدتك، يا من كنت تؤنسين دنيانا بلطفك ووداعتك، واشراقك ورقتك !.

ولست ارثيك !

انما أرثي لهؤلاء الاحياء الذين كتب عليهم أن يشهدوا انطفاء الحياة فيك قبل الأوان، وأن يشيعوك الى مرقدك بين الموتى، ويتركوك هناك للوحشة، والبلى، والظلام .

ولست ابكيك !

انما ابكي لكل من عرفك فأحبك، ليروع اليوم برحيلك المباغت، على غير توقع، والى غير عودة أو مآب .

ولست اتحسر عليك !

انما تحسري على من يكابدون بعدك محنة الحياة في دنيا الهموم والاحزان، ويجرعون كأس التجربة مترعة بالمرارة والاشجان ..

وان النفس بعدك عزاء ..

بل اتلفت باحثا عن ... الحزين:

وداعا .. الى أن نلتقي

ولابد أن سنلتقي غدا

وما أقرب اليوم من غد !!

بنت الشاطئ

التاريخ : ١٩ / ١ / ١٩٦٢

أضواء على تاريخنا



شوقي



اسماعيل صبري



مصطفى كامل



محمد صبري

النصوص الأدبية

بين حرية الناشر وحق التاريخ

رسالة من : الدكتور محمد صبري

وتعليق من : الدكتورة بنت الشاطئ

كتبت الدكتورة بنت الشاطئ في ١٠ يناير مقالا عن « الشوقيات المجهولة » فكانت ناقدة بالمعنى الصحيح ، أى انها ذكرت الحسنات والسيئات كما تراءت لها دون تحيز . ولم أر ان أرد عليها احتراما لحرية الرأى والنقد ، ولكن الدكتور أحمد الحوفى نشر فى أهرام ١٢ يناير

مقالا قال فى بدايته انه «ابعد مايكون عن نقد او عتاب او زهو» ثم قال : «فى المقال ان الشوقيات المجهولة كشفت كثيرا من خفايا تاريخنا الادبى والسياسى المتصل بالثورة العرابية . فارجو ان يؤذن لى فى ان اشير الى كتابى «وطنية شوقى» الذى ظهرت طبعته الاولى سنة ١٩٥٦ : اولا بينت شعبية الثورة العرابية وقيمتها .. ثانيا - جلوت الجو الذى قال فيه شوقى قصائده الثلاث فى عرابى وبخاصة مقالات مصطفى كامل باللواء ومقالات مراسلى اللواء بالسويس .. ثالثا نشرت قصائد شوقى الثلاث فى عرابى» وردى على النقطة الاولى الخاصة بتبيين شعبية الثورة العرابية وقيمتها ان الكاتب الدارس ، **قد ذكر فى مراجعه كتابى (التاريخ مصر الحديث)** الذى صدر فى سنة ١٩٢٦ . وهذا الكتاب موجز لرسالتى التى طبعت بالفرنسية سنة ١٩٢٤ عن (**(الاصول القومية المصرية)**). وهو اول كتاب يبين وجهة النظر المصرية فى الثورة العرابية فى مدارس الوزارة ومعاهدها ، وقد كتبت قبل ذلك فى سنة ١٩٢٣ فصلا عن الثورة العرابية فى دراستى عن البارودى .. الخ

«اما عن النقطتين الثانية والثالثة اللتين يؤكد فيهما انه نشر القصائد الثلاث فى سنة ١٩٥٥ ، وانه جلا الجو الذى قال فيه شوقى قصائده فى عرابى وبخاصة مقالات مصطفى كامل باللواء .. فقد كان يؤذى ان يكون ذلك صحيحا . لكنى نشرت فى (السياسة الاسبوعية) فى عدد ٥ مايو سنة ١٩٢٧ مقالا عن (عرابى) جلوت فيه ذلك الجو الذى قال فيه شوقى قصائده وبخاصة مقالات مصطفى كامل فى (اللواء) .. ولعل الكاتب كان صغيرا فى سنة ١٩٢٧ .. ولكن مما لا مراء فيه انه كبر فى سنة ١٩٥٠ وفى تلك السنة بالذات ظهر كتابى (**ادب وتاريخ واجتماع**) واعيد فيه نشر مقالى عن عرابى . وهو يقع فى عشرين صفحة (٤٢٩ - ٤٤٨) . قلت فى صفحة ٤٤٦ من الكتاب : «اما السبب الثالث الذى حرك فكرة الخيانة والريبة فى نفوس المصريين بعد هرب عرابى وتفضيته

السورية فهو سعيه فى منفاه للحصول من الانجليز على العفو ، والثناء عليهم قبيل مغادرته سيلان الى مصر فى سنة ١٩٠١ وقد وصل مصر فى ٢٩ سبتمبر ونشر له (المقطم) فى ٢ اكتوبر سنة ١٩٠١ حديثا

اثار عليه ثائرة الراى العام فى مصر **وجعل مصطفى كامل يشن الغارة عليه فى اللواء**» . وبعد ماذكرت مثالا مما قاله عرابى فى المقطم وما قاله مصطفى كامل فى اللواء فى عدد ١٠ اكتوبر سنة ١٩٠١ ، قلت : « وقد نشرت الصحف فى ذلك العهد قصيدة جاء فيها : .

صغار فى الذهاب وفى الاياب ... (عفا منك الاباعد والادانى)

فمن يعلو عن الوطن المصاب

اكتفيت بذلك البيت لشوقى لان الموضوع كان (عرابى) لا (شوقى) . والمهم انى شرحت الجو الذى قال فيه شوقى شعره وكانت عندى اوراق ووثائق كثيرة احتفظت بها منذ سنة ١٩٢٧ ، فلما كلفنى المجلس الاعلى للفنون والاداب فى منتصف سنة

١٩٥٨ بالقاء محاضرة عن (**الوطنيات والتاريخيات فى شعر شوقى**) عدت الى اوراقى ونشرت منها ماكان مطويا ... **هذه هى الحقيقة المجردة . ولامكان بعد ذلك لزهو او نقد او عتاب . لانه لايعقل ان يسطو المتقدمون على المتاخرين**

« ولى تعقيب بعد هذا» على ما اخذته السيدة الناقدة على ، من بتر لبعض الشوقيات المجهولة ، واسقاط بعض منها لركاكته ، او لانه من المديح الذى كان شوقى يتكلفه ضد طبعه .

الواقع ان موضوع **(البتر النص او التصرف فيه)** موضوع خطير من الناحية الادبية . وكنت اود ان ارصد له فصلا كاملا ولكنى اكتفى الان بسطور : البتر فى التعبير الادبى هو اقتطاع جزء حى من النص اقتطاعا يؤدى الى تشويهه فى صورة من الصور او نقصان فى معناه او تحوير فيه . وقد احتفظت فى (الشوقيات

المجهولة) بكل مديح له قيمة فنية من الناحية الادبية او السياسية . وما حذفته اشرت اليه . وهو باق يمكن الرجوع اليه في تاريخه ومصادره المحددة . فاى عدوان على حرمة النصوص في هذا ؟ . اما القصائد الركيكة او الغثة التي اغفلت نشرها فسأذكر تاريخها ومرجعها في آخر **الجزء الثاني** من (الشوقيات المجهولة) حتى تتبين الدكتورة الفاضلة بنفسها كما كتبها ثم تحكم . وعلى اية حال ، الحذف او البتر في **الجزء الثاني** ضئيل جدا لاختلاف الظروف ونضج الشاعر في كهولته . كان معظم قصائد شوقي في الجزء الاول من شوقياته المطبوع سنة ١٨٩٨ ركيكا . ولكني ارخت مع ذلك هذه القصائد كلها حتى يتبين القارىء تطور الشاعر وملامحه في زمن الدراسة والشباب ، كما انى اعدت نشر الجيد الذى اغفله شوقي في طبعته الاخيرة الكاملة كقصيدته الشهيرة التي يقول فيها :

★ وانما الامم الاخلاق ما بقيت ★

ومهما كان الامر لا يمكن الحكم على عمل ادبي او فني حكما نهائيا قبل ان يكتمل وتبدو ملامحه كلها . فمثلا اسقط شوقي في باب النسيب من الجزء الثاني كل مديح متصل به . ولكني اعدت نشر **مديح الرسول** (٧٨ بيتا) من قصيدة العام الهجري التي نشرت في سنة (١٣٢٩ ــ ١٩١١) . وسيجدها القراء في الجزء الثاني . ولا يخفى على الدكتورة الناقدة ان **كل شاعر حر فيما ينشر من شعره ، وكل ناشر او ناقد لهذا الشعر حر فيما ينشر** ولكن كل حرية بطبيعة الحال محدودة مقيدة بظروفها وملابساتها ووقتها .. فمثلا مدح شوقي سعد زغلول ورثاه كما مدح فتحى زغلول ورثاه ، ولكنه قبل ذلك ندد بسعد وبفتحى باسلوب ادبي ساخر بمناسبة حوادث دنشواى وغيرها . من حق شوقي ان يغفل هذا الشعر الاخير ولكن من حق التاريخ ان ننشره خصوصا وان هذا النشر اذا تم في ضوء التاريخ او التعليق التاريخي الصحيح الذى ينتظم الجزئيات والكليات في اناة الواسع لا يشين سعدا وفتحى زغلول ولا يشين الحقيقة .

« واسماعيل صبري قد طلق آلهة الشعر في **آخر مرحلة من حياته بمقطعاته** . وكان حافظ ابراهيم يقول عنه انه «نجار دقي» وانه «يحس نبو الوتر» . اسماعيل صبري كان في الواقع «هاويا» لا «محترفا» كان شاعرا غنائيا . **هذا هو وجهه الاخير الخالد** . ورغبة الشاعر العزوف كما عرفته ؛ هي ان لا ينشر شعره وبعبارة ادق **ان لا ينشر له ديوان بقضه وقضيضه يطمس ذلك الوجه» وان يكتفي بنشر مقطعاته والطويل الجيد من شعره** . اما شعره الغث او **الوسط** فيمكن الاشارة اليه مجملا او مفصلا في مقدمة وافية تبين تطور الشاعر وبذلك لا يكون هناك اعتداء على حرمة الشاعر او حرمة التاريخ . والله الموفق . »

محمد صبرى

تعليق :

بالرغم مني ، اخالف الاستاذ «الدكتور صبري» في موقفه من بتر النصوص الادبية ، وحرية الناشر في اسقاط ما يريد منها .

ذلك لان القضية فيما ارى ، اخطر من ان ندعها تمر هكذا ، دون ان نستبين فيها وجه الحق وحدود المنهج .

وما كنت لاختلف مع استاذنا ؛ لو انه ينشر كتابه بعنوان **(المختارات من الشوقيات المجهولة) اذ ذاك يكون له مطلق الحق في ان يسقط منها ما اراد ، ويستبقي ماشاء ، دون ان يجادله احد في هذا الحق ، او يعترض على حريته الاسقاط وذوقه في الاختيار .**

اما وقد اراد ان **يستكمل** ديوان شوقي بالمجهول من آثاره التي لم تنشر في المطبوع من شعره ونثره ، فلم يعد له ادنى حق في ان يسقط بيتا واحدا من الشوقيات المجهولة ، لانه بهذا الاسقاط ، يحرمنا وثيقة هامة ، تلقي ضوءا على الشاعر وعصره .. **تماما ، كما ليس من حق مكتشف الاثر التاريخي ، ان يمسه بادنى تغيير ، مهما يزعم ان هذا التغيير لا يؤدى الى تشويه صورته او نقصان منه او تحوير فيه .**

والنص الادبي ، له قيمة الوثائق

التاريخية ، من حيث هو خيط في نسيج عصره ، وله قيمة ادبية خاصة من حيث هو مادة لدرس الالفاظ والاساليب ، وله قيمة نقدية اخص ، من حيث دلالته على مستوى الشاعر صعودا وانحدارا : الى اى مدى مال تحلق به شاعريته ، والى اى مستوى يهبط ويسف . ولو حكمنا على اديب بارقى آثاره فحسب ، لاختلت الموازين واضطربت القيم وجارت المقاييس

فمن عجب ، ان يذهب الاستاذ الجليل الى ضرورة الاستغناء من بواكير شعر اسماعيل صبرى ، ومن الركيك والغث من شعر شوقى ، مستندا الى رغبة الشاعرين كليهما في هذا الاسقاط وحرصهما على عدم نشر ديوانيهما كاملين . ذلك لان رغبة الشاعر لايجوز ان تهدر حق التاريخ وواجب الدارس :

حق التاريخ في ان يعرف ماأسقطه الشاعر من ديوانه ، لان لهذا الاسقاط بلا ريب ، مبررا ذا اهمية وخطر . فوراء رغبة شوقى في اغفال بعض مدائحه مثلا ، اعتبار اجتماعى او سياسى يضيء تاريخ عصره ، ويهدى الى موقف الشاعر منه .

وواجب الدارس ، في ان يستجلى الجو النفسى والفنى للشاعر ، وهو يقول الشعر ثم يغير فيه او يتخلى عنه ، متاثرا في ذلك — دون ريب — بعوامل داخلية او خارجية ، لن نفهم الشاعر حق الفهم اذا اضعناها او اغفلناها ..

واستاذنا المؤرخ ، بحكم اتصاله الوثيق بالدراسات الغربية ، من خير من يعرف قيمة «المسودات» نفسها ، ومدى الاهتمام بما يعثر عليه الباحثون منها ، لما تهدى اليه من فهم الجو النفسى للاديب حين كان يصنع عمله الفنى . ولربما اضاءت كلمة المشطوبة» جانبا خفيا من عالم الاديب لانها الكلمة التلقائية التى جرى بها قلمه عفو الالهام ، قبل ان يسترد الاديب يقظته من غشية الرؤيا ، ويبدل الكلمة باخرى ، متاثرا باعتبار ما ، لم ننتبه اليه فضل مابه من رؤياه !

فهل بعد هذا مجال لكلام عن رغبة الشاعر في طى بعض آثاره ، او عن حرية الناشر في ان يسقط من هذه الاثار مايريد ؟

ويقول الاستاذ الدكتور صبرى ، ان ماحذفه اشار اليه «وهو باق يمكن الرجوع اليه في تاريخه ومصادره المحددة» واشهد انه قد فعل . وكان هذا حسنا منه ، لو انه اراد بالشوقيات المجهولة ان تسجل «فهرست» المطوى من شعر شوقى وترشد الى مراجعه ومصادره . لكنه قدم الينا الكتاب ، على انه تكملة للمطبوع من آثار شوقى ، واستدراك لما فات جامعيها وناشريها ، واضاءة لتاريخ الشاعر وعصره . ومن هنا اخذت عليه ان يجىء ببعض الشوقيات المجهولة ويعرض عن بعض ، مفوتا على الدارسين فرصة وجود الديوان كاملا بين ايديهم ، منتفعين في ذلك بما اهتدى اليه الدكتور صبرى ، من تراث الشاعر ، في مراجعه المبعثرة بين دفتى المجلات وقديم الصحف .

والعلم فيما نعرف ، جهود متكاملة متآزرة تتتابع فيه اعمال الباحثين ورصيد الاجيال ، ليبدأ كل منهما حيث انتهى سابقه ، ولهذا وددت لو ان الاستاذ الدكتور ، اعفانا من تكرار الجهد الذى بذله في الاهتداء الى ما اسقط من الشوقيات المجهولة ، لنوفر هذا الجهد لجديد من البحث والدراسة في آثار شوقى ، بدلا من ان نتسلم مرحلة سبقنا اليها ، وكان حقا لنا عليه ان يجلو كل معالمها امامنا ، كى نبدأ من حيث انتهى ، لا لنعود فنسير من حيث بدأ !

اقول هذا وانا اترقب في لهفة صادقة ، الجزء الثانى من «الشوقيات المجهولة» مقدرة لاستاذنا المؤرخ الاديب مايبذل في خدمة تراثنا الادبى من جهد مضن ، لايعرفه الا من يكابده .

التاريخ : ٢٦ / ١ / ١٩٦٣

قضايا أدبنا المعاصر

٦

الأدب العربي بين التمايز والاندماج

حديث للأديب الايطالي
اجنازيو سيلوني
تقديم وتعليق [illegible]

((لن يكون ادبنا عالميا ، اذا فقد طابعه المميز ، الذى ترتهن به اصالته .. ولا دخل للانسانية فى محلية الادب وعالميته ، فالانسان انسان ، حيثما كان ...))

بدأ هذا الحديث فى ((روما)) فى شهر اكتوبر الماضى ، عندما التقيت لاول مرة بالاديب الايطالى الكبير ((اجنازيو سيلونى)) وكان يراس الحلقة الدولية لدراسة ادبنا المعاصر .

وكنت قد عرفته من قبل فى بعض آثاره وقرات له اخيرا قصته ((الخبز والخمر)) وسمعت من اخبارة انه يراس الآن تحرير صحيفة ((التمبو)) الايطالية ، فخطر لى عندما التقينا فى الحلقة ، ان اساله حين تتاح فرصة ، عن مدى تاثير عمله فى الصحافة ، رئيسا لتحرير اكبر صحيفة يومية بايطاليا ، على نشاطه الادبى .

لكنى لم البث ان تخليت عن هذا السؤال ، وتركت التفكير فيه ، عندما سمعت الاديب الكبير يتحدث فى جلسة الافتتاح ، عن قضية من قضايا ادبنا المعاصر ، لم نفهم بعد عندنا على وجهها الصحيح ، ولم نأخذ حقها من الوضوح والجلاء .

واعنى بها موقف الأدب المعاصر بين الاندماج والتمايز :

الاندماج الذى يلغى طابعه المحلى المحدود ، ليكون – فيما زعموا – عالميا انسانيا .

والتمايز الذى ينفرده من الآداب الاخرى ، حين يحتفظ عليه خصائصه التى ترتهن بها أصالته .

كان يلقى حديثه رزينا متئدا ، وقد اغناه امتلاكه لسر الكلمة ، عن تكلف وتفخيم ، وعن تهويل وضجيج .

بدأ بسؤال :

« هل فى امكان الادب العربى ان يسير مع الادب العالمى المعاصر ! » .

ثم تمهل لحظة ، ينظر الينا نحن ادباء العرب ممن اشتركوا فى الحلقة ، واستطرد يجيب :



« ان صلتنا نحن الغربيين بآدابكم غير كافية ولعل الذنب في ذلك ذنبنا . وشعورنا بهذا التقصير ، هو الذي يجعلنا نريد ان نعرف ماذا تكتبون اليوم ، معبرين عن عواطف جيلكم ومشاعره ، وعن قلقه وهمومه ، وعن موقفه من الاحداث الكبار التي لم تشهد الاجيال قبلنا لها مثيلا . وعلى اساس ما نشعر به نحوكم من تعاطف ومشاركة ، وما نعرف لكم من ماضي في الحضارة الانسانية عريق ، ومن حاضر ثوري ناهض ، نقدر الا شيء يحول بين ادبكم وبين المستوى العالمي . »

وارهفت سمعي ، وهو يتمهل عند عقدة الموقف ، ليقول في ثقة وحسم :

« **ارجو الا يفهم من هذا ، ان عالمية ادبكم تعني محو طابعه الاقليمي وسماته القومية. فنحن نجتاز في الوقت الحاضر، مرحلة تمايز بين الثقافات والاداب** ، بدلا من دمجها واذابة الفروق بينها . وهذا التمايز لم يأت عبثا ، ولا كان باختيارنا. وانما فرضته علينا طبيعة الفروق بين البيئات ، وحكم به الامر الواقع الذي يجعل لكل قوم منا شخصية متميزة ... والذين تطلعوا الى الدمج الثقافي والادبي، تصوروا ان مثل هذا يدرك بالقوة او يتحقق بالعمد والاختيار . والطبيعة تأبى ان تعترف بتماحي الفروق بين اقوام اختلفت امزجتهم وعقلياتهم ، وتباينت تجربتهم ، وتفاوت ميراثهم الحضاري . **ولهذا نود ان نقرا ادبكم عربيا متميزا ، لانه انما ياخذ مكانه ادبا عالميا ، باصالته وتميزه »** .

قلت له اثر الجلسة :

« **فكرتك عن التمايز الثقافي والادبي، غير رائجة عندنا . فما زالت الكثرة من قومي ، تتعلق بفكرة الاندماج وتتداعى بها ، ثقة منها ان هذا وحده، هو الذي يخرج بادبنا من حدوده الاقليمية الى الافق العالمي »** .

فعجب لما سمع ، ولم يزد يومها على ان قال :

« ظننت ان الامر من الوضوح بحيث لا يحتاج الى مزيد تفصيل وبيان . فهنا ادب ايطالي ، ويجب ان يظل ايطاليا اذا اراد ان يعيش وياخذ مكانه بين الاداب العالمية . وعلى مقربة منا ، والى جوارنا



سارتر



باسترناك

على الحدود المشتركة، آداب المانية وفرنسية ، ويونانية ويوجوسلافية لكل منها طابعه المميز وسماته الخاصة ولا يعني هذا بحال ما ، ان لا مكان له في الادب العالمي . » .

وبتر حديثنا قبل ان يتم ، وعدت الى وطني وانا اشعر ان الموضوع مايزال مجالا لكثير يقال ...

وهنا في القاهرة ، لقيت الاديب الإيطالي الكبير للمرة الثانية ، عندما دعينا لتناول العشاء معه على مائدة سفير ايطاليا ، منذ ايام .

وعدنا نستأنف الحديث الذي بدأناه في « روما » فالفيت ضيفنا الاديب ، مبهورا بما راى وشاهد في رحلته هذه الى بلادنا ، وقد مضى يتساءل في دهشة :

ــ كيف يمكن ان يحيا اديبكم في هذا البلد الطيب العريق ، ولا يحمل ادبه عطر النيل ، ولا يخفق بانفاس تاريخكم الحضاري الطويل ؟ كيف يمكن تصور ادبكم ، وقد تخلى عن اصالته ، وجاء صورة مكررة لآداب غيركم ؟ ،

اجبت :

ــ ليس الى هذا المدى ، ولكن دعاة

التاريخ : ٢٦ / ١ / ١٩٦٢

العالمية يريدون أن يرتفعوا به من الصعيد المحلى الى الصعيد العالمي . ويقولون اننا لكى نقرأ خارج وطننا ، يجب ان نقدم ادبا ذا صبغة عامة بدلا من الصبغة المحلية المحدودة .

فلم يبد عليه انه فهم معنى ما اقول، واحتجت الى ان اضيف :

ــ هل اكون اكثر وضوحا ، لو قلت انهم يريدون لادبنا ، ان يتجاوز حدود بيئته الخاصة، الى الافق الانساني ، لا يعالج من التجارب الا ما كان انسانيا عاما ؟

اجاب ولم يزايله عجبه :

ــ لكن لا دخل للانسانية في محلية الادب وعالميته !! ...

من قال ان انسانية الادب لا تتحقق بمعاناته لتجربته الخاصة التى يعيشها في بيئته وفى دنياه !.

سألته :

ــ تعنى انك لا تعرف انسانا عالميا، ولكنك تعرف أن الانسان انسان : على سفوح الالب او هملايا او الانديز ، فى الغابة السوداء او صحراء العرب ، فى روما ولندن ونيويورك او فى اكواخ المتنقلين على السواحل ، والزراع بوادى النيل

اجاب مؤكدا :

ــ تماما ، هذا ما اعنيه . فليكن مسرح قصتى فى احدى حوارى روما ، وليكن مسرح اديبكم فى قرية مهجورة من ريف مصر ، وليكن مسرح هيمنجواى فوق سفوح كليمانجارو او فوق مركب صياد، دون أن يقال ان التجربة محصورة فى نطاق محلى ،يبعدها عن عموم الانسانية»

والان ، هل لى أن اقول لمنكرى التمايز الادبى ، ان هذا التمايز مظهر اصالة وآية صدق . ولا دخل للانسانية فى الموضوع ، اللهم الا اذا زعم زاعم ان فلاح « تولستوى » يختلف فى جوهر انسانيته عن صياد « هيمنجواى » او



جبران خليل جبران



.. سفير ايطاليا

جندى «كافكا » او مقامر «دستوفسكى» او بائس «هيجو» أو طبيب «باسترناك» او مومس « سارتر » او ... او ...

وخلود الاثار الادبية التى كتبت فى زمان غير زماننا ، يؤكد الفكرة ويجلوها . اذ ان العمل الادبى يحمل بلا شك طابع عصره ، ولا يمنع هذا من بقائه بعد ان تتغير الدنيا . فكما ننفعل اليوم بملحمتى هومير وكوميديا دانتى وغفران ابى العلاء، ونحن نعيش فى عصر الفضاء . كذلك ننفعل بالادب يأتينا من الصحراء او من الغابة ، من الجبل او الوادى ، من كبريات العواصم او من ازقة القرى ، اذا اقنعنا بصدقه الى الحد الذى يحقق المشاركة الوجدانية .

ولا دخل للانسانية فى موضوع قدم الادب وعصريته ، فالانسان هو الانسان، ركب الناقة او الطائرة ، وكل ما بينهما من فروق ، لا يمس الجوهر المشترك لبشريتهما .

واسألوا الغرب عن « **جبران** » : هل ارتفع ادبه الى المستوى العالمى الا لانه عربى الروح شرقى السمات ؟ وهل كان فى استطاعته ان يظفر بقارىء غربى ، لو انه تخلى عن اصالته ومسخ فنه باهدار طابعه الخاص ، واضاع شرقيته وعروبته فى التيار العام ؟.

واسألوهم عن « **أبى العلاء** » لماذا عرفوه اديبا عالميا ، وقد عاش الرجل نصف قرن من الزمان رهين محبسيه : العمى والعزلة ، لم يحاول خلاله قط ان يتخطى عتبة داره الى دنيا الناس ، وانما الذى حاوله ان يجد نفسه ويعبر عنها فى صدق مثير . اسألوهم لماذا وضعوا «**رسالة الغفران**» مع روائع الاثار العالمية الخالدة ، وما هى فى الواقع الا صورة خاصة ، معبرة عن ذاتية اديب بشر ، حبيس ضرير محروم ؟.

وما يقال هنا عن روائع الآثار الخالدة لادباء العربية ، يقال مثله عن شوامخ الآداب الشرقية والغربية ، فبقدر ما يتميز العمل الأدبى ، تكون فرصته للخلود . وما اخذت « شاهنامة» الفردوسى مكانها بين الآداب العالمية ، الا بكونها فارسية صميمة ، ولا عاشت قصة «دون كيشوت» الا لانها اسبانية خالصة .

وما كان لنا أن نقحم الانسانية فى اختلافنا على الادب بين المحلية والعالمية، لا لكونها دخيلة على الموضوع فحسب، ولكن لانها ، كذلك ، تناقض **موقفنا** ، ابناء هذا الشرق الكبير ، ونحن المناضلون فى معارك التحرير ، المحامون عن قضية التفرقة العنصرية ، الداعون الى المساواة بين البشر ، فيما يكون به الانسان انسانا !.

التاريخ : ١ / ٢ / ١٩٦٢

بنت الشاطئ تحبّ الفن .. وتكره المتنبي

تحاول الدكتورة عائشة عبد الرحمن ((بنت الشاطىء)) ان تحرر الدرس الادبي من بعض قيم خاطئة ، ومقاييس منحرفة ، وهي ترى أن هذه القيم والمقاييس استمدت قوتها وسيطرتها علينا ، من مؤثرات ذوقية ، وسياسية ، وعقلية .

وقد اصدرت كتابا عن ((قيم جديدة للادب العربي)) وهو يضم دراسات ارادت به تعزيز هذه المحاولة ، وقد قرات هذه الدراسات التي ضمها الكتاب ، وقرات لها مقالات اخرى في الصفحة الأدبية لجريدة الاهرام ، ووقفت طويلا عند دعوتها الى احياء الشعراء الذين اخملتهم شهرة شاعر كالمتنبي !

وتساءلت : كيف يمكن ان نحيي هؤلاء الخاملين ؟ وهل كان هؤلاء الخاملون شعراء حقا ؟ انهم لو كانوا كذلك لوصل الينا فنهم برغم كل الظروف والملابسات . فقد عاش ابو حيان التوحيدي بعد ما مات في عصره بالاضطهاد (واصبح اليوم قيمة فكرية معترفا بها !

وسالت بنت الشاطىء : كيف نحيي من اخملهم المشهورون ؟

بنت الشاطىء : الخطوة الأولى هي ان نؤمن بالدعوة الى ذوق تراثنا على اساس من استقلالنا الوجداني الذي ينفر من التقليد ، ونحكم ادراكنا اليوم لمعنى الفن والأدب ، دون جمود عند مقاييس الاقدمين ، وموازينهم . ثم نصحح منهجنا في الدرس الادبي ، وهو لن يصح الا بعد جمع ما ابقى الزمن من تراثنا ، جمعا مستقصيا كاملا مهما يكلفنا ذلك من جهد ومشقة . فتراثنا كما تعلم ـ لايزال مبعثرا في انحاء الدنيا ، ما بين معروف في المكتبات العامة ،



بنت الشاطىء

ومجهول لدى الافراد ، او في خزائن موصدة كخزائن امام اليمن !

ـ هل تعتقدين أن بلاط الملوك ، وعطف الأغنياء ، ومساندة الاقوياء ، هي وحدها التي أوصلت الشعراء المشهورين الينا ، وجعلتهم يعيشون كل هذا الزمن ؟

بنت الشاطىء : اخشى ان يكون هذا السؤال قائما على الظن بان القيم التي نريد تغييرها مقصورة على البلاط ، وما اليه ، مع انك تدرى بلا شك ان محاولة ارتادت تاريخنا الادبي من قديم جاهليته ، قبل أن يكون البلاط معروفا الا في أطراف الجزيرة ، وامارتي الغساسنة والمناذرة

ولعلك تدرى انى أطلت الوقوف في المحاولة عند شاعر القبيلة ، والشعراء الصعاليك ، والشعر في فترة الخضرمة ، محاولة ان استحدث من فهمي لتراثنا قيما غير التي وضعها النقاد القدامى ، وليس شىء من ذلك كله ، ذا صلة بالبلاط

وانما كان الحديث عن البلاط في العصر الاموي ، عندما بدا يتحكم في قيم الفن ، واقدار الشعراء ، وعاش النقاد بعقلية ذلك المجتمع المحكوم بالفردية المستبدة ، فتعلقت عيونهم بالقصر ، وراجت البضاعة الممسوخة بخاتمة ، كالمدح ، والهجا ، والزهد المزيف واشتهر الشعراء الذين تمرغوا على هذا البلاط

وكان الالحاح في حديثي عن اثر البلاط لفتا الى بعض الموجهات غير الصحيحة للقيم الادبية ، ودعوة للتحرير من احكام نقاد راوا الدنيا تدور في فلك الحكام والاغنياء وحدهم ، ولم تكن ابدا كذلك ، ولن تكون

ـ : هل تعتقدين ان المتنبي لا يستمد عظمته الا من اتصاله باصحاب السلطان ؟

بنت الشاطىء : الشهرة غير العظمة ، والمعروف اجتماعيا ان اكثر الناس حظا من الشهرة قد يكون اكثرهم تفاهة ، لان الشهرة تخضع لعوامل منها التضليل ، والدعاية ، والضجيج ، وكما قال بيديا الفيلسوف : ((لعل اقل الاشياء اجهرها صوتا))

والذى لا شك فيه أن دوران المتنبي على قصور الاغنياء ، وموائد الحكام ، كان له اثر كبير في ذيوع صيته ، واشتهاره ، وهذا لا يمنع ان هذه الشهرة صدى لفساد ذوق البيئة التي اعجبت به . ثم ورثنا هذا الاعجاب مقلدين . وقد تكون شهرة المتنبي او بعضها ناشئة عن جعجعته

ولقد وصل الينا ابو العلاء المعري ، مع عزوفه عن الشهرة ، وهذا لا يكذب القضية ، لان مسلك ابي العلاء الفذ في العزوف ، كان جديرا ان يلفت اليه الانتباه لندرته ، واكاد اقول لشذوذه . كما لا يكذب القضية ان ابا حيان التوحيدي اشتهر برغم اضطهاد السلطان له ، لان هذا الاضطهاد له ايضا صلة بالعصر ، لانه كان حديث الناس .

الفن والفنانون

ـ : هل تحبين الفنانين ؟ اذا قلت نعم ، فلماذا حملت عليهم في اللجنة التحضيرية ؟

بنت الشاطىء : سؤال غريب منك ، لانك تعرفني .. ان الادب فن ، ولايمكن لاديب الا ينفعل بالفنون على اختلاف صورها وانواعها

التاريخ : ١ / ٢ / ١٩٦٣

وانا بحكم نشاتى فى بيت محافظ وبنوتى لاب شيخ متصوف ، لم يتح لى فى طفولتى ان اتصل اول الامر باى فن غير فن الادب والانشاد . وقد اتصلت به فى انقى واصفى منابعه . كالتلاوة المجودة للقران الكريم ، ثم فى شعر الصوفية ، وما ازال الى اليوم تهز نفسى تلاوة المجيدين من القراء كالشيخ رفعت ومصطفى اسماعيل وعبد الباسط والحصرى

كما انى قد امضى الليل كله ساهرة فى القرية ، اصغى الى بدائع المنشدين فى الموالد وحفلات الذكر ، وطبيعى ان يهزنى الطرب للغناء الاصيل من مثل ام كلثوم ، وفيروز ، واسمهان ونجاة ، وعبد الوهاب ووديع الصافى ، وعبد الحليم . ولطول اصغائى فى طفولتى لنغم الناى ، وشدو الطير ، وانين السواقى ، نشا عندى ولع بالموسيقى الشرقية والغربية . ثم انى مولعة بالرسم ، لان المزاج الذى ارهفه طول اصغائى للتلاوة والتواشيح والمواجد الصوفية جعلنى مفتحة العين لرؤى الجمال فى الريف ، وعلى شط النيل فى دمياط . ولم استطع ان اعبر من احساسى الا بالرسم . وقد مارسته دون معلم ، ثم تلقينا دروسه على يد الاستاذ حبيب جورجى . وبعد ذلك شغلتنى الدنيا عن متابعة هذه الهواية . ولقد زرت المتاحف العالمية ، فى اوربا، وانا شغوفة بالمسرح ، اما السينما فانا قليلة المشاهدة لها

وانا لم احمل على الفن والفنانين ، وكل ما طالبت به ، هو انه يجب فى هذه المرحلة ، من ثورتنا الاشتراكية ، ان نستبدل بالجائزة المالية ، جوائز شرف او شهادات تقدير . خاصة وان الاعمال الفنية مربحة . واذا كان هناك عمل فنى لا يربح فلا مانع من تعويض صاحبه ، ومن عجب ان الذين انكروا منى هذا الموقف ، ذكروا جوائز العلم .. وانت تعرف ان العلم لم يكن ابدا موضع ربح واستثمار ! ان استاذ الجامعة الذى ينتقل من القاهرة الى الاسكندرية ليلقى محاضرة يتقاضى عن ذلك جنيهين اثنين ، وهو لا يشكو من ذلك لانه يقدر الظروف !

ولقد سمعت ما قالته الفنانة ليزى البدراوى على الناصية مع امال فهمى ، واحب ان اقول لها ان عمرها فى الفن لا يزيد على سنتين .. اما انا فعمرى فى الفن يرجع الى عهد بعيد

وان لى بين الفنانات صديقات كثيرات ، اذكر منهن ، ام كلثوم ، وامينة رزق ، ونعيمة وصفى ، وفايدة كامل ، ونجاة

وسالت بنت الشاطىء : وهل لك صديقات اخريات من الفنانات ؟

فقالت : الفن نفسه صديقى !

التاريخ : ٢ / ٢ / ١٩٦٢

قضايا نقدية

شاعركم الأكبر في قفص الاتهام

صحيفة اتهام ، كتبها نقاد ثلاثة احرار ، ابوا ان يلغوا عقولهم وضمائرهم ، وينزلوا عن كرامتهم ، ليحملوا عرش هـذا المتنبى ، ويبايعـوه شـاعر العربيـة الاكبـر !

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



اى عربي مثقف مسا ، حريص على كرامة عقله وعزة ثقافته ، لا يعنيه ان يقرا صحيفة اتهام كتبها ثلاثة من اعلام العربية منذ قرون ، ضد شاعر يقال انه شاعر العربية الاكبر ؟.

سؤال خطر ببالى ، وانا اقرا كتاب « الابانة عن سرقات المتنبى » فى طبعته الجديدة المحققة التى استهلت بها « الذخائر العرب » حلقتها الرابعة ، وقام بالتحقيق والشرح ، الاستـاذ الجليـل « محمد البساطى : المفتش الاول للغة العربية سابقا ، بوزارة التربية » .

ذلك لان الكتاب يبدو لاول وهلة ، مما يعنى خاصـة المشتغلين بالدرس الأدبى . وهم بلا شك قد قراوه من قبل فى طبعته القديمة غير المحققة ، ويعنيهم ان يطالعوه فى طبعة الذخائر ، ليحكموا على منهجه فى التحقيق ، ويقدروا الجهد الذى بذله « الاستاذ البسـاطى » فى توثيق النص وخدمته .

لكنى ما لبثت ان ادركت ، ان من حق جمهرة المثقفين ، بل من واجبهم ، ان يطالعوا هذه الذخيرة ، لاتصالها بهـذا « المتنبى » الذى قلما يعرفون عنه الا انه « كبير شعرائنا ، الذى ملا الدنيـا وشغل الناس » ! .

والمسالة بعد هذا متصلة بكرامة ادبنا كله ، اذ غبرت قرون ذات عـدد ، وشهرة هـذا المتنبى تخفى سقطاته ، وضجيج شعره يوارى سرقاته . وكتب على الاجيال منا بعد الاجيال ، ان تخضع لميراث يحتكم من القيم والموازين ، ارتفع بها « المتنبى » الى القمة ، وحمل لواء السبق ، على من انجبتهم العربية من شعراء ، فى طويل العصور والاحقاب .

واخمل هذا « المتنبى » غيره من الشعراء ، والقى بهم فى منطقة الظل ، بحيث يغتفر للمتعلم منـا ان يجهل اى شاعر عربى الا « المتنبى » وان ينسى كل تراثنا الادبى ، الا النماذج المحفوظة والشواهد المرددة والابيات السائرة ، من ديوان الشاعر الاكبر ...

وعبثا حاول المحاولون من الدارسين والنقاد الاحرار ، قدامى ومحدثين ، ان

التاريخ : ٢ / ٢ / ١٩٦٢

يضبطوا الميزان ويصححوا القيم بعيدا عن بريق الشهرة الخداع ، وعبثا كذلك، كانت محاولاتهم فيردوا البيئة الادبية الى الرشد الذى يميز بين الشهرة والعظمة، ويقيس الشاعر بمقدار ما وجد نفسه ، وما تهيا له من اصالة فنية ينفذ بها الى اعماق الوجود وسر الانسان ، ومن صفاء وجدانى تتجلى فيه عبقرية ((الرؤيا)) بكل روعة الهامها وصدقها الفنى ..

من هؤلاء النقادى الاحرار :

الاديب الوزير ((الصاحب بن عباد)) الذى ادرك عصر المتنبى ، وهاله افتتان العوام به ، فكتب رسالة عنوانها ((الكشف عن مساوىء المتنبى)) تتسع فيها سقطات للشاعر المشهور ، تكنى لاسقاطه ، واهداها الى «حاملى عرشه» قائلا :

« ولم يكن تطلب العثرات من شيمتى، ولا تتبع الزلات من طريقتى ... وما اوردت من كثير مازل فيه المتنبى الا قليلا، ولا ذكرت من عظيم ما اختل فيه الا يسيرا .. وقد بلينا بزمن يكاد المنسم فيه يعلو الغارب ، ومنينا بأغبياء اغمار قد اغتروا بمدائح الجهال .. وما كان يطمع للمتنبى بادعاء السبق ، لولا التقليد الذى صار آفة العقول وعاهة الالباب!»

ومنهم ((الحاتمى : محمد بن الحسن)) من أعلام عصر المتنبى ، وحذاق اهل اللغة والادب . كان ببغداد حين وردها « المتنبى » : « ملتحفا رداء الكبر ، قد صعر خده ونأى جانبه .. يخيل اليه ان العلم مقصور عليه . وان الشعر بحر لم يغترف نمير مائه غيره ، وروض لم يرع نواره سواه ... وثقلت وطأته على أهل الادب بمدينة السلام ، فطأطأ كثير منهم رأسه ، وخفض جناحه ... وتخيل ان أحدا لا يقدر على مساجلته ومجاراته ولا يتسوم لتتبعه بشىء من مطاعنه » ومن ثم عكف « الحاتمى » على قراءة شعره ، متتبعا عواره ، ومهتكا استاره ومقلما اظفاره ثم قصد اليه فى مجلسه بدار السلام ، وابتدره قائلا فيما قال :

« يا هذا ، ان جاءك رجل شريف فى نسبه تجاهلت نسبه ، او عظيم فى ادبه صغرت ادبه ؛ فهل العز تراث لك دون غيرك ؟ كلا والله : لكنك مددت من الكبر سترا على نقصك ، وضربته رواقا دون جهلك .. »

واندفع يحاوره كاشفا له عن سقطاته ، وسجل هذه المحاورة فى ((الرسالة الحاتمية)) ليبرأ بها الى الاجيال بعده ، من محنة الانخداع بشهرة المتنبى ، والغفلة عن سقطاته .

ومنهم ((العميدى . ابو سعد محمد ابن احمد)) من اعلام النقاد فى القرن الخامس الهجرى ، كان قريب عهد بالعصر الذى شهد « المتنبى » يملا الدنيا ضجيجا ، ويتنقل من الشام الى العراق، ومن مصر الى فارس ، يبيع بضاعته لمن يدفع الثمن ، ومن عجب ان استطاع « العميدى » ان يتحرر من اغلال التقليد، فكان فلتة من الفلتات التى قلما يجود بها زمن رأى الدنيا تدور فى فلك الحكام، ومجتمع طبقى متصدع ، ترتهن شهرة الشاعر فيه بتمرغه على بلاط القصور، واستجدائه فضلات الموائد الملكية .

ومع ذلك ، تحرر العميدى — ولا ادرى كيف — من بريق الشهرة الذى يزيغ البصر ، ونجا من محنة الاسترقاق لجبروت « المتنبى » وسلطانه ..

وفى الحق ، ان « العميدى » لم يستطع ان ينفذ الى اعماق المأساة التى جعلت من « المتنبى » شاعر العربية الاكبر ، ولم يحاول ان يتناول القضية من افقها العام ؛ ليرد الظواهر فيها الى جذورها العميقة ، ويكشف عن اسباب ضلال الموازين ، فى محنة الادب بعصره ، ومحنة عصره به . لكن حسبه انه التفت الى مصاب التقليد وخداع الشهرة . وانتبه الى ما للنقد من حرمة قضائية تقوم على الفحص الدقيق فى نزاهة وعدل . فذلك هو قوله فى مقدمة ((الابانة عن سرقات المتنبى)) وقد راعه افتتان الناس بالشاعر :

« وليست هذه الخصلة — من التقليد

والتأثر بالهوى — من خصال الادباء الذين هذبتهم الاداب فصاروا قدوة واعلاما ، ودربتهم العلوم فأصبحوا بين الناس قضاة وحكاما . انما يذهب في مدح الكتاب والشعراء مذهب التقليد ؛ من يكون في علومه خفيف البضاعة قليل الصناعة ، قصير باع الفهم جديب رباع العقل . فأما من رزق من المعرفة ما يستطيع ان يميز به بين غث الكلام وسمينه ، ويفرق بين سخيفه ومتينه ؛ واوتي من الفضل ما يحسن ان يعدل به في القضية .. فالاولى به الا يحل احدا من رتب الجلالة الا بقدر محله من الاداب، ولا يعظم الماضين لتقدمهم اذا اخرتهم معايب شعرهم ، ولا يستحقر المحدثين لتاخرهم ؛ اذا قدمتهم محاسن آثارهم . »

ولم يجد «العميدى» ما يزيد به دعوته الى التحرر من اغلال التقليد . مثل هذا « المتنبى » الذى ملأ الدنيا وشغل الناس ! فمكن الناقد على ديوانه يفحصه « فاذا اكثر روائعه مسروقة مختلسة ، واكثر بدائعه منسوخة مسلوخة » فألف كتاب « الابانة » صحيفة اتهام مدعمة بالادلة والشواهد ، وقدمها الى حملة عرش المتنبى قائلا :

« .. ولقد تأملت اشعاره كلها ، فوجدت الابيات التي يفتخر بها اصحابه، من اشعار المتقدمين منسوخة ، ومعانيها من معانيهم المخترعة مسلوخة . واني لأعجب والله من جماعة يغلون في ذكر المتنبى وامره ، ويدعون الاعجاز في شعره ، ويزعمون ان الابيات المعروفة له ، هو مبتدعها ومخترعها ، لم يسبق الى معناها شاعر ولم ينطق بامثالها باد ولا حاضر .. وهؤلاء المتعصبون له ، المفتخرون باللمع التي يزعمون انه استنبطها ، والمترنمون بأبيات سائرة يذكرون انه انفرد بألفاظها ومعانيها ، والمتمثلون بها في مجالسهم ونواديهم ، كيف لا يستحيون ان يتولوا بعصبته ؟ وكيف يستجيزون لنفوسهم ويستحسنون في عقولهم أن يشهدوا شهادة قاطعة بانها له غير مأخوذة ولا مسروقة ؟ فليت شعرى هل احاطوا علما بنصف دواوين الشعراء للجاهلية والمخضرمين والمتقدمين والمحدثين فضلا عن جميعها ؟ .. وهل للذين يتدينون بنصرته ، بصائر بحسن الاخذ وجودة السرقة ، واخفاء طرق السلب ، وتغميض مواضع القلب ، وتغيير الصيغة والترتيب ... حتى يدعوا علم الغيب في تبرئته عن السرقات التى لا تخفى على ناقد ، وتبرئته من المعايب التى شهد عليه بها الف شاهد ؟ » .

أتريدون نماذج من سرقات شاعركم الاكبر ؟.

قال « كثير عزة » :

رمتني بسهم ، ريشه الهدب لم يصب
ظواهر جلدي ، وهو للقلب صادع

سرقه الشاعر الاكبر فقال :

راميات بأسهم ريشها الهد
ب ، تشق القلوب قبل الجلود

وقال « الخبز ارزى » :

وليس سكناى نقصانا لمنزلتي
فيكم ، كما الدر لا يزرى به الصدف !

اخذه كبير الشعراء فقال :

لو كان سكناى فيك منقصة
لم يكن الدر ساكن الصدف

وقال « الخبز ارزى » :

ومن تسلة ما أنني
عليه ، مرت كالهاجي

اخذه المتنبى فقال :

وعظم قدرك في الآفاق اوهمني
اني بقلة ما اثنيت ، اهجوكا

وللخليع الاول :

وزائرة ما فحشت تسط ثوبها

بمسك ، ومن انوابها المسك يسطع
أخذه المتنبى فقال :

والدرة ما خامر الطيب ثوبها
وكالمسك من اردانها يتضوع

وللعونى :

واذا اشتكى الانسان صرف زمانه
واراد ثروته ، فأنت الموعد

اختلسه شاعركم الحكيم فقال :

اذا سأل الانسان ايامه الغنى
وكنت على بعد ، جعلتك موعدا

ولمنصور النمرى :

وآذا عفوت من الكريم ملكته
واذا عفوت عن اللئيم تجرما

أخذه شاعر الحكماء فقال :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته
وان انت اكرمت اللئيم تمردا

ولزريق البصرى :

رايت الغنى عند الاراذل محنة
على الناس ، مثل الفقر عند الافاضل

اخذه الشاعر العظيم فقال :

والغنى فى يد اللئيم قبيح
مثل قبح الكريم فى الاملاق

ولابى راسب البجلى :

ولو كنت تحوى عمر من قد نهبته
بسيفك فى الدنيا ؛ فانت المخلد

أخذه المتنبى فقال

نهبت من الاعمار ما لو حويته
لهنئت الدنيا بانك خالد

وللهيثم بن الاسود النخعى :

اذا نال بالسيف الفتى سؤل نفسه
ترفع عن تدنيسها بسؤال

اخذه المتنبى ، وزاد عليه الاغتصاب :

من اطاق التماس شىء غلابا
واغتصابا ، لم يلتمسه سؤالا

ولمحمد بن جميل الكوفى :

وانى الوف لو رجعت الى الصبا
من الشيب ، لاستقبلته بالتلهف

اختلسه صاحبكم فقال

خلقت الوفا لو رجعت الى الصبا
لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

وللناشىء بعض نبذة :

ونجس بالرفق التراب اذا مشت
جس الطبيب يد العليل المدنف

اختلسه المتنبى فى وصفه لاسد :

يطأ الثرى مترفقا فى تيهه
فكأنه آس يجس عليلا

واكتفى بهذه الشواهد ، من سرقات المتنبى التى ملأت اكثر من مائتى صفحة فى « الابانة » .

ومن عجب ان الاستاذ « البساطى » الذى امضى الايام والليالى فى خدمة نصوص « الابانة عن سرقات المتنبى ، والكشف عن مساوئه ، والرسالة الحاتمية » لم يهن عليه ان يتخلى عن مكانه بين حملة عرش المتنبى ، فكانت مفارقة ما بعدها مفارقة ، ان يقدم لنا « صحيفة الاتهام » بتمجيد « لاشهر الشعراء ، ومبدع الشعر الحكيم ، والمعانى الدقيقة والمخترعة ، **وصاحب الحظوة عند الملوك** » وان يعد عمل اولئك النقاد الاحرار من قبيل **الحسد،** ويمثلهم « بالنبات الطفيلى الذى يتشبث بالاشجار الكبيرة فيتسلق سوقها واغصانها ليظهر للرائين عاليا » .

وحجته فى الدفاع عن صاحبه ،اعتقاده « **ان المتنبى فى تعاليه وكبريائه ومنزلته فى الشعر واللغة ، اكبر من ان يسرق من هؤلاء المغمورين .. وان كثيرا من المعانى التى شاركهم فيها ، او سرقها كما يقول خصومه ،قد اضفى عليها من روعة بيانه وابداع فصاحته ، ما انسى الناس شعر سابقيه ، وجعل شعره على مر الزمان خالدا يتحدث به الناس ويعجبون** » .

وتلك هى المحنة !

محنة لا يكفيها ان تفرض علينا هذا المتنبى شاعر العربية الاكبر ، وانما تتهم من يتحرر من فتنته ، بالحسد والعداوة ، وتمثله بالنبات الطفيلى !.

وانى لاتمثل منذ الان، ما سوف القاه من هؤلاء الذين سيهو لهم مقالى هذا عن شاعرهم ، فيضيفون اسمى الى قائمة الحساد ، ويجعلوننى مثل العميدى والصاحب والحاتمى ، : نا طفيليا يتسلق ليظهر ! .

وأيا ما قالوا ، فهو اهون على ، من ان اكون دون أولئك النقاد القدامى؛ حرية رأى وكرامة عقل واستقلال فكر !

ومعذرة الى الاستاذ البساطى ، اذا انا امسكت عن التعرض لمنهجه فى تحقيق الابانة ؛ وتقدير جهده فى خدمتها ؛ فان هموم مصابنا بالقيم الموروثة والاذواق المتحجرة ، لا يدع فى هذا المنبر العام ، مجالا للحديث عن سواه .

التاريخ : ٩ / ٢ / ١٩٦٢

من البيان المعجز

اقتحام العقبة.. كرامة.. وصبر.. وإيمان!

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

لم احاول .. قط ، ان اشتغل بدراسة القرآن الكريم الا فى حدود تخصصى ؛ من حيث هو كتاب العربية الاكبر ، ومعجزتها البيانية الباهرة الخالدة ..

وكنت — ولا ازال — اشفق من بدع التفسير وشطط التأويل ، واجزع كلما راجت فينا كتب عن القرآن ، لمن ليسوا لهذا الموضوع الجليل كفئا ، فيقولون فيه بغير علم ، ويفتنون فى توجيه آياته المعجزة ، عن غير فقه او دراية ..

ويشتد جزعى ، حين اقرأ لهم عجائب وغرائب من بدع التأويل ، يقحمون بها كتاب الاسلام فى صراع المذاهب الحديثة ، ويحملونه — بلا داع — عبء المنافسة بينه وبين علماء الطب والبيولوجيا ، ومفجرى الذرة ، ومطلقى الصواريخ ، ورواد الفضاء وغزاة الكواكب ..

وانما القرآن كتاب هدى ودين ، وشريعة سماوية تنير للبشرية طريقها المستقيم ، وتضع الاسس الكبرى لمجتمع انسانى صالح ..

وقد ختمت به رسالات السماء ، ايذانا بان البشرية قد بلغت من الرشد ما تستطيع به ان تعرف طريقها ، على هدى ما جاءت من وحى السماء ، وشرائع الانبياء ..

٠٨٩

ونحن اليوم نخوض معركتنا لتحقيق الكرامة الانسانية والعدل الاجتماعي ، ونلقى فيها رجعية طاغية باغية ، تستعبد البشر ، وتدولدتهم امهاتهم احرارا ، وتاكل القناطير المقنطرة من الذهب ، وحولهما جياع ذوو قربى ، لايجدون الا التراب !

ويقولون : الاسلام !

وليس يعنيني من الامر هنا ، الا ان اسأل الاسلام عن هذا الوضع البشع ، والا ان التمس من كتابه الخالد ، صورة المجتمع الذي اراده للبشرية ، في شريعة المصطفى المبعوث بآخر رسالات السماء .

ومجلدات ضخام ذوات عدد ، لاتكفى لاستيعاب هذا الموضوع في القرآن كله ، فحسبنا ان نتناول منه في حدود المجال الضيق ، آيات من « سورة البلد »

وهي سورة مكية مبكرة ، وضعت الاسس الكبرى للمجتمع الانساني في آيات قصار ، ووجهت الى معالم النضال الجدير بالانسان ، وحضته على اقتحام العقبة ، من اجل الكرامة والخير والايمان ، بعد بيان لاوضاع فاسدة ، استقرت في « مكة » على تتابع الاجيال :

« لا اقسم بهذا البلد * وانت حل بهذا البلد * ووالد وما ولد »

بدأت السورة بنفي القسم تاكيدا له وهو اسلوب مألوف في العربية حين تقول مثلا : لا اوصيك بفلان : تأكيدا للتوصية ، ومبالغة في الاهتمام .

وسره البياني ، يرتهن بما في هذا التأكيد بالنفي — على مايبدو من تناقضهما — من لفت قوي مثير للانتباه . وفي لفظ « القسم » سر بياني آخر ينفرد به القرآن الكريم وحده : فادباء العربية ، كثيرا ما يستعملون احلف مكان اقسم ، وقد جاءت حلف بهذا المعنى في شعر للنابغة الذبياني والاعشى وشاس بن عبدة . لكن التتبع للاستعمال القرآني ينفي هذا الترادف المدعى ، ويعطينا القول الفصل في قضية الترادف الخطيرة ، التي شاعت فينا وراجت .

فالقرآن الكريم لم يستعمل مادة « حلف » اطلاقا ، الا مع الحنث باليمين . وقد جاءت في ثلاثة عشر موضعا ، كلها بلا استثناء ، في مقام الحنث باليمين . اما القسم فيأتي حيث لا يحتمل الحنث

و « هذا البلد » مكة ، بلا خلاف .

وقد اختلفوا في « ووالد وما ولد » فخصه بعضهم بآدم ، او نوح ، او ابراهيم وذريتهم ، او بمحمد صلى الله عليه وسلم وامته . واطلقه آخرون فادخلوا فيه كل والد ومولود من الانسان والحيوان والنبات !

ولا نرى المقام بيانيا يحتمل كل هذا ، وانما الذي نفهمه من قرب : هو تتابع الاجيال من اهل هذا البلد ، وما توارثوه ولدا عن والد ، من احوال واوضاع ، تعرض لها السورة فيما تلا من آيات :

« لقد خلقنا الانسان في كبد * ايحسب ان لن يقدر عليه احد * يقول اهلكت مالا لبدا * ايحسب ان لم يره احد »

الكبد الشدة . وقد اختلف المفسرون في تحديد المقصود بها ، فقيل المرض ، وقيل مكابدة الحمل والولادة والعيش والموت والبرزخ وهول القيامة . ولكنا نؤثر ان نحتكم الى السياق ، الذي يرجح ان الكبد هنا هو ماهيىء له الانسان بفطرته من احتمال اعباء المسئولية ومشقة الاختيار بين الخير والشر

وفي قوله تعالى « خلقنا » لا « جعلنا » اشارة الى ان الانسان مخلوق بفطرته لهذه المكابدة ، لكنه « يطغى ان رآه استغنى » فيحسب ان لن يقدر عليه احد

« يقول اهلكت مالا لبدا » ولا يقول « انفقت » لان الاهلاك انسب للغرور والطغيان ، فيفحمه القرآن هذا المغتر ، بالاستفهام المثير : ايحسب ان لم يره احد ؟

« الم تجعل له عينين * ولسانا وشفتين * وهديناه النجدين »

الايات تبدأ بوسائل الادراك الحسي، متلوة بما هدى الله الانسان اليه من ادراك لمعالم الطريقين . واستعمال الهدى هنا ، يوحي بأنه تعالى الهم الفطرة الانسانية الادراك المميز للخير والشر . ولفظ « النجدين » ملحوظ فيه معنى الوضوح والشخوص ، بحيث يرى الانسان الطريقين بعينيه ، ويدركهما بما تهيأ له من هدى الله والهام الفطرة

« فلا اقتحم العقبة »

الاقتحام توسط شدة مخيفة ، واصل التقحة من الطريق مصاعبه ، اما « العقبة » فاصلها المرقى الصعب من الجبال . وبين الاقتحام والعقبة ، هذا التلاؤم العجيب في الشدة والمجاهدة واحتمال الصعب . ومجيء هذا الاقتحام للعقبة ، مع خلق الانسان في كبد ، يقدم لنا مثلا رائعا من النظم المعجز : فالانسان اهل لان يقتحم اشد المصاعب ويجتاز اقسى المفاوز ، على هدى ما تهيأ له من وسائل الادراك المميز ، وما فطر عليه من قدرة على المكابدة والاحتمال .

ولا حاجة بنا الى الوقوف مع المفسرين لتحديد المقصود بالعقبة ، فالقرآن نفسه قد تولى بيانها بعد سؤال لافت مثير :

« وما ادراك ما العقبة * فك رقبة * او اطعام في يوم ذي مسغبة * يتيما ذا مقربة * او مسكينا ذا متربة * ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة »

فهذا بيان صريح واضح للعقبة التي خلق الانسان اهلا لاقتحامها ، وهو كذلك بيان لاوضاع ظالمة ، نشأت من غرور القادرين وطغيان الاغنياء في « هذا البلد » فليس ما كان المجتمع المكي يعانيه من مآسي الرق ، والتصدع الطبقي ، ومن البغي والاستبداد الا اثرا لطغيان من غرته قوته فاستعبد مخلوقين مثله وملك رقابهم ، وزين له طغيان الثراء المريض ان يباهي بأنه اهلك مالا لبدا ، وعلى مقربة منه يتيم جائع ومسكين لا يجد الا التراب !

اوضاع مريضة ، استقرت على تتابع الاجيال ، وتوارثها « هذا البلد » ولدا عن والد

والرسول عليه الصلاة والسلام حل به يشهد من احواله ما يشهد ، ويعاني من طغاته ما يعاني . وعلى هذا تمضي بهم الحياة اجيالا متعاقبة : ولدا عن والد .

هكذا تتحدد معالم النضال في سبيل ما جاءت به الدعوة الاسلامية لهدى الناس واصلاح ما فسد من احوالهم . والقرآن الكريم في هذه الايات المبكرة ، يدعو الى المعركة المستبسلة ضد البغي والرق ، وضد الفروق الطبقية البشعة ، وضد الظلم الاجتماعي ، باستثارة ما في فطرة الانسان من قدرة على المكابدة . وحضه على اقتحام العقبة الكبرى ، على هدى المعالم الواضحة امامه : لطريقي الخير والشر

وقفوا معي خاشعين امام هذا الترتيب

التاريخ : ٩ / ٣ / ٩٦٣

الالهى لمراحل النضال من اجل كرامة الانسان وخير الجماعة :

« **فك رقبة * او اطعام فى يوم ذى مسغبة .. ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة** »

لقد بدا بفك الرقبة ، خطوة اولى فى النضال الصعب الجديد بالانسان ، فليس شيء الحر بالذى يسبق كرامة الحرية وكل اصلاح لخير البشر والمجتمع ، انما ياتى بعد أن ترد الى الانسانية اعتبارها المهدر بالرق !

والايات بعدها ، هى آيات العدالة الاجتماعية ، يضعها القرآن تالية لفك الرقبة ، ويأتى بها فى سياق البيان لاقتحام العقبة ، تقديرا لما فى تصحيح هذه الاوضاع الفاسدة من صعوبة ، وما تتطلبه من نضال ، **بعد ان رسخت واستقرت ، جيلاً بعد جيل ..**

وقوله تعالى : « **يوم ذى مسغبة** » يجسم بشاعة الوضع المادى لهذا البلد فالمسغبة المجاعة ، وليس ابشع من وجود يتيم فى يوم مجاعة ، وكون اليتيم ذا مقربة، يفسر بالقربى وبالقرابة، ولكليهما حق الجوار والقربى وكون المسكين ذا متربة ، بيان مثير لمدى العوز والهوان ، يلصق المسكين بالتراب او يجعله من فرط العدم لا يجد إلا التراب !

وضع بشع لئيم شرير ، يستطيع الانسان ان يدركه ببصره وبصيرته ، بحسه وفطرته ، ويستطيع معه أن يميز طريق الخير نجدا مرتفعا واضحا ، لو اقتحم العقبة ، وجاهد من اجل الكرامة الانسانية والعدالة الاجتماعية.

« **ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة** »

ومهما يتأول المفسرون ويشتط النحاة فى توجيه لفظ ثم هنا ، فالسياق يبيح لنا بيانيا ان نفهم ان تحقيق الكرامة والعدل سابقان فى النظم القرآنى على الايمان وما بعده من تواصى بالصبر وبالمرحمة . فلن يكون الانسان مؤمنا ، ما لم يكن له من نفسه وازع يرده عن الطغيان ، ويحميه من غرور بالجاه والثراء ، يجعله يحسب ان لن يقدر عليه احد ، وان لم يره أحد . فالايمان بالله نعمة لاتتاح لقساة القلوب غلاظ الاكباد ، عمى البصائر لا يميزون بين النجدين ..

* * *

وبهذا يعلن القرآن الكريم الا مكان لايمان صادق ، فى مجتمع يسيغ اهدار البشرية بالرق ، ويسيغ ان يجوع يتيم ذو مقربة ، وان ينمرغ مسكين فى التراب، على مرأى ممن يهلكون مالا لبدا ، وفى حسابهم ان لن يقدر عليهم احد !

ويزيد هذا الصنيع تأييدا ، عطف التواصى بالصبر وبالمرحمة على الايمان ، بالواو المفيدة للربط دون تفاوت او تراخ دلالة على أن الايمان متى وقع فى قلب سليم الحس والفطرة ، قادر على المجاهدة والبذل والايثار ، مهتد الى طريقى الخير والشر ، فان هذا الايمان يصحبه ويقترن به ، شعور بما يقتضيه حق الجماعة من تواص بالصبر والمرحمة : **الصبر على اعباء النضال من اجل الخير ، والتراحم الذى يجعل المؤمنين أخوة متكافلين ،**

وهذا هو المجتمع المثالى الذى نزلت به « سورة البلد » هدى للانسانية فى نضالها للبرء من محنة الرق ، وبشاعة الطبقية ، وانانية الفردية الطاغية المستبدة .

التاريخ : ١٦ / ٣ / ١٩٦٣

من البيان المعجز

التكاثر

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

« الهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر * كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون * كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين * ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » .
((قرآن كريم))

اشفقت وانا اضع ((التكاثر)) عنوانا للمقال ، ان يتلقف بعضهم هذا اللفظ القرآنى فيربطه بالمصطلح العلمى للتكاثر ، ويجعل منه مثلا جديدا على سبق الاسلام الى ما عرف العلم الحديث من اسرار التكاثر فى الكائنات الحية ! .

على نحو ما فعلوا بالذرة ، حين جعلوا من قوله تعالى : ((فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره)) سبقا الى هذه الذرة التى كشف علماء الالمان سرها، وفجر بها الامريكان قنبلتى هيروشيما ونجازاكى !.

وكقولهم يوم عادت سفينة الفضاء من رحلتها : انها تلك التى اشارت اليها الآية القرآنية ((لتركبن طبقا عن طبق))

ولست آمن أن يفعلوها ،اليوم حين يقرأون هذا العنوان ، فيضيفوا((التكاثر)) الى ما اكتشفوا من بدع النظريات العلمية فى كتاب الاسلام !.

ومن اجل هذا ابادر فاؤكد لهم ان هذا اللفظ القرآنى لا يتصل بالتكاثر العلمى فى ((البيولوجيا)) من قريب او بعيد ، وانما هو شىء آخر تعرفه العربية الاصيلة اذ تستعمل الكثرة نقيضا للقلة !

واذا تتبعنا مادة ((كثر)) بمختلف صيغها ، فى القرآن الكريم ، لم نجدها تخرج عن هذا المعنى ،فى كل المواضع التى جاءت فيها بالقرآن ، وعددها فيما احصيت ، مائة وسبعون آية ...

والتكاثر بمعنى خاص من هذه الكثرة التى لا تعرفها العربية ،ولا يعرفها كتابها الاكبر، الا نقيضا للقلة : فهو حرص على الاستكثار من شىء مرغوب فيه ، مع ملحظ من الاثرة . يقول العرب : كاثره الماء ، واستكثره اياه ، اذا استأثر لنفسه بكثير منه، وان كان الماء قليلا .

وفى القرآن الكريم ،لم تأت صيغة التكاثر الا مرتين :

اولاهما فى ((سورة التكاثر)) وهى مكية .

والاخرى فى ((سورة الحديد)) وهى مدنية .

فاى شىء هذا التكاثر الذى نزلت فيه سورة قرآنية ؟ وفيم يكون ؟ وما آخرته ومصيره ؟.

الامام ((الرازى)) جعل التكاثر والتفاخر شيئا واحدا . وهذا ما لا يعين

عليه نسق آية الحديد ، التى تستأنس بها ، حيث عطف التكاثر على التفاخر :

((**اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم ، وتكاثر فى الاموال والاولاد ، كمثل غيث اعجب الكفار نباته، ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما، وفى الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور**)) .

وهذا العطف **بالواو** يقتضى المغايرة ، فلا يكون التكاثر تفاخرا ، وانما هو تكالب على متاع الدنيا ؛ واستكثار منه، وحرص على الاستكثار به . ذلك التكاثر الذى الهاكم ((**حتى زرتم المقابر**))

وفى لفظ **حتى** هنا معنى الغاية ،فغاية التكاثر الى زيارة المقابر ،وليس وراء هذا التكالب على متاع الغرور الا النهاية المحتومة ، يأتى بها النظم المعجز هكذا اثر **التكاثر** ، فيبلغ الترويع منتهاه بقصر المسافة بينهما، والانتقال السريع المباغت من **التكاثر** الى **المقابر** ..

وليس فى القرآن كله زار من الزيارة الا هذه الاية . وانما جاء من المادة ؛ بمعنى **الازورار** والميل فى آية **الكهف** (١٧) **والزور** ؛ اى الباطل والميل عن الحق ، فى ايات : الفرقان (٤ ، ٧٢) والحج (٣٠) والمجادلة (٢) وكله من الاصل اللغوى للمادة فى العوج والميل، حقيقة او مجازا

والزيارة فى آية التكاثر هى هجعة القبر . وسرها البيانى المعجز ، ان الاقامة فى القبر ليست دائمة ، وانما هى **زيارة عابرة** ، تنتهى حتما الى بعث وحساب وجزاء . وما من لفظ آخر يمكن ان يقوم مقام (زرتم) او يؤدى معناها ، مثل ((**قبرتم**)) او ((**انتهيتم**)) او ((**سكنتم المقابر**)) او غيرها من الفاظ تشترك جميعا فى الدلالة على هجعة القبر ؛ ولكن يعوزها سر ((**الزيارة**)) ، بما هى اقامة عابرة مؤقتة ؛ يعقبها بعث ونشور ...

وفى **المقابر** سر بيانى آخر ، يلفت اليه ان هذا اللفظ لم يأت فى القرآن الا فى آية التكاثر ، على حين جاءت **القبور** فى خمسة مواضع ، **والقبر** مفردا فى آية التوبة (٨٥) .

وقد تجد الصنعة البلاغية فى لفظ **المقابر** هنا، مجرد ملاءمة صوتية للتكاثر. وقد يحس اهل هذه الصنعة ، ونحس معهم فيها، رنين الايقاع وتناسق النغم، لكنا ندرك وراء هذا الملحظ البلاغى الشكلى ، **سرا بيانيا متصلا بالمعنى** : فالمقابر جمع مقبرة ، وهى فى العربية **مجتمع القبور** ، واستعمالها هنا ملائم معنويا لهذا التكاثر ؛ دال على مصير ما يتكالب عليه المتكاثرون من متاع دنيوى فان .. هناك ، حيث مجتمع القبور ومحتشد الرمم ومساكن الموتى على اختلاف طبقاتهم واجيالهم . وهذه الدلالة من السعة والشمول والعموم ، لا يمكن ان يؤديها لفظ **القبور** جمع القبر ،حين يتحدث البيان المعجز عن غاية ما يتكاثر به المتكاثرون ، وحين يلفت الى مصير هذه الحشود من ناس ملهيهم تكاثرهم عن الاعتبار بتلكم **المقابر** : مجتمع الموتى ومنازل الفانين !.

ثم يتوالى الزجر سراعا :

((كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون * كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين)) .

آيات قصار ، جمعت اقصى ما فى طاقة البيان العربى من أساليب الجزم والتأكيد ، لفظية ومعنوية : **رؤية العين**، بما لها من دلالة التأكد والبصر، **واليقين** الذى هو ثقة وازاحة لكل شك ، **وتعلمون** بما للعلم من دلالة الادراك الحقيقى ؛ ثم هذا التوكيد باللام والنون ، مع ايجاز حاسم قاطع ،لا تحس فيه جهد الحشد او ضغط الامتلاء ...

ولا يحتمل المجال ان انى هنا بتأويلات النحاة من المفسرين ؛ لتسوية الصنعة النحوية، فى « امتناع جواب **لو** بامتناع شرطه » وانما ادعها برغمى لالفت الى ملحظ من البيان المعجز ، فى هذا **النعيم الذى** يسألون عنه يوم يعلمون علم اليقين ويرون الجحيم عين اليقين :

الاهرام
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ١٦ / ٢ / ١٩٦٢

((ثم لتسألن يومئذ عن النعيم))

وقد اختلف المفسرون فى تأويله ،وكثرت اقوالهم فيه حتى بلغ ما عده ((الرازى)) منها تسعة وجوه متفاوتة : ادناها **النعلان** ،نعمة يسأل عنها الانسان يوم القيامة . وارقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نعمة كبرى يسأل عنها الناس فى الاخرة .

دائما، **نعيم الاخرة** .

وسره **البيانى** ، ان هؤلاء الذين الهاهم التكاثر فى الاموال والاولاد واعراض الدنيا الزائلة ، وحسبوها النعمة التى ما بعدها نعمة ، وشغلوا بها عن التزود لاخرتهم ، سيسألون يوم يرون الجحيم عين اليقين ، عن النعيم الحق ما هو ، يومئذ يدركون يقينا حقيقة النعيم الذى شغلوا عنه بالتكالب على حطام فان ماله احتشاد فى المقابر ثم بعث وحساب .

والانذار بهذا السؤال ، يتسق على اروع وجه، مع ذلك الوعيد المسيطر على ايات التكاثر ، فى بيان معجز ، اعيى العرب — وهم ائمة هذا الفن القولى — ان ياتوا بسورة من مثله !.

وبين هاتين النعمتين المتباعدتين تأتى نعم اخرى قال المفسرون انها المقصودة بالسؤال، مثل : تخفيف الشرائع ،وتيسير الطعام والشراب والمساوى ، وصحة الابدان ، والظل البارد ، والفراغ والامن والدعة ، واعتدال الخلقة ! وجاءوا لكل تاويل منها ، بشاهد من القرآن او الحديث او ماثور الخبر ..

والنعيم قد يحتمل **لغة** كل هذا ،فهو الخفض والدعة ،والمال ، واليد البيضاء والرونة الناعمة ... كما يحتمل **مجازا**، الدين والهداية ، والظل ، والصحة ؛ الى آخر ما حشدوه فى تفسير النعيم .

لكن ، هل يحتمل البيان العالى ، كل هذه **المعانى المتفاوتة فى موضع واحد ؟** وهل يسيغ الذوق المحقق ، ان نفسر النعيم بالنعلين ، كما نفسره **بالرسالة والرسول ؟**.

هنا نلوذ — كعهدنا ، وعلى منهجنا — بالقرآن الكريم ، فنراه استعمل النعمة والانعم والنعماء ، فيما انعم الله به على عباده فى الدنيا من خير وهداية ، اما **النعيم** فلم يات فى القرآن الكريم الا خاصا **بالاخرة** ، فى كل الايات التى ورد فيها لفظ نعيم ، وعددها ست عشرة آية .

وامام هذا الصنيع القرآنى فى تخصيص النعيم بنعيم الاخرة ، واطراد هذا فى كل آياته ، لا مناص لنا من النزول على حكم الكتاب المبين . فلسنا مخيرين فى تاويل لفظ النعيم بما يحتمله لغة او مجازا ، وهذا القرآن لم يستعمل النعيم قط ، فيما هو من نعم الدنيا .

في ليلة القدر



> « لو أنزلنا هـذا القرآن على جبـل
> لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله »
> ((قرآن كريم))

ايها التاريخ !

افتح كتابك اليوم ، وقف بنا خاشعا عند فجر ليلة خالدة على الدهر ، لتروى للبشرية حديث المعجزة الباهرة التى تلقاها ((المصطفى)) من وحى السماء ، منذ اربعة عشر قرنا من الزمان . .

نور الكلمة

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

حررنا لحظة من ضجيج دنيانا وانفال مابسنا ، وحلق بنا في الافق العالى مطلا بارواحنا على اللحظة المجيدة التى التقت فيها السماء بالارض ، واضاء الكون بنور ((الكلمة)) وسنا ((الكتاب)) .

وارو ياتاريخ ، كيف تهيأ لبشر أمى يتيم ، ان يواجه الدنيا بدين جديد ، يحطم به جبروت الوثنيـــة وعتـو الارستقراطية ، ومعجزته الكبرى كتاب عربى مبين ، لم يكد يتلو آيته الاولى : ((اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم)) حتى وقفت تصغى مبهورا ، فما كان عهدك بالانبياء من قبل ان تكون ((الكلمة)) معجـزة رســالاتهـم وآية نبوتهم ، ولا كان عهدك بالبشرية قبل ذلك ، ان تؤمن بدين سماوى ، معجزته الكبرى ((كتـــاب)) وآيته الاولى : قراءة ، وعلم ، وانسان !

اتل علينا ياتاريخ ماوعت ذاكرتك من امر هـــذا النبى المصطفى ، يوم ظهر بالبلد العتيق والوثنية فى ابانها ، بشرا رسـولا يأكل الطعام ويمشى فى الاسـواق ، وقد ولدته امراة من قريش تأكل القديد ، كما تلد كل انثى من البشر .

فسر لنا ياتـــاريخ ، فيم كان فـــزع قريش من ((ابن عبد الله)) وخوفها على آلهتهـــا منــه ، وانه لاعزل الا من ايمانه ، وانها للكثرة المعتزة بعـــددها وجاهها ونفوذها المستأثرة بوظائف الزعامة والشرف فى البلد الحرام : مثابة حج العـــرب وأمنهم ، ومركز عبـــادتهم وتجارتهم ؟ !

فيم كان الذعر من انتشار دعوته ، وانما هى كلمات يتلوها من وحى ربه ، فى قوم بلغ فيهـــم البيان ذروة مجـــده وعزته ، وامراء الفن القولى عندهم ، فى سماء ماتطاولنها سماء ؟ !

هل كان ذلـــك الا لانهـــم ماكادوا

يسمعون آيات من القرآن ، حتى أدركوا انها المعجزة التى تجاوز طاقة البشر ، وايقنوا انهم لو تركوا « ابن عبد الله » يتلوها فى العرب لما ارتاب احد منهم فى صدق نبوته ؟

وكان الاضطهاد مريرا من يوم المبعث ، شهدته ياتاريخ ، ورحت ترقبه وهو يزداد حدة وضراوة حين دنا اول موسم بعد ان تلقى « المصطفى » كلمات ربه ، لكى تفرغ قريش من أمره ، قبل ان تجتمع وفود القبائل العربية فى اسواق مكة ، وتسمع ما يتلو « محمد » من هذا الكتاب . . .

وكنت شهيدا ، يوم اهل الموسم ، وما ازداد محمد وصحبه على الاضطهاد والتعذيب الا ثباتا واستبسالا ، فاجتمع زعماء قريش بدار الندوة ، يستعدون للموقف الخطير ، وقام فيهم كبيرهم « الوليد بن المغيرة المخزومى » فقال :

— يا معشر قريش ، انه قد حضر هذا الموسم ، وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ؛ فاجمعوا فيه رأيا واحدا ؛ ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضا . .

قالوا :

— فأنت يا ابا عبد شمس ، فقل واقم لنا رأيا ، نقول به .

قال :

— بل انتم فقولوا اسمع . .

قالوا :

— نقول كاهن . . . فرد عليهم :

— لا والله ما هو بكاهن ! لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه . . .

سألوه :

— فنقول مجنون ؟ اجاب :

— ما هو بمجنون . . لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . . .

وعادوا يسألون

— فنقول شاعر ؟ واجاب :

— ما هو بشاعر . . لقد عرفنا الشعر كله : رجزه وهزجه وقريضه ، ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر !

قالوا :

— فنقول ساحر ؟ أجاب :

— ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم .

واذ لم يبق لديهم ما يقولون ، سألوه ان يسعفهم برأيه ، فقال :

— والله ان لقوله لحلاوة . . وما انتم بقائلين من هذا الذى ذكرتم شيئا ، الا عرف أنه باطل . وان اقرب القول فيه لان تقولوا : ساحر جاء بقول هو السحر يفرق به بين المرء وابيه ، وبين المرء واخيه . . وزوجته ، وعشيرته . . .

ورأيتهم يا تاريخ ، وقد انفض مجلسهم ذاك فانطلقوا وتوزعوا فى مداخل مكة ، وجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد الا حذروه محمدا ، وانذروه ان هو اصغى لقوله ، لنفذ فيه من السحر ما يجعله يفارق ولده ، واهله ، وعشيرته !

او ليس هذا هو أخوف ما خافوا ؛ ان يسمع عربى آية من هذا القرآن ، فلا يملك الا أن يخر ساجدا ، مصدقا بنبوة محمد ! ؟

كذلك فعل من استمعوا له ، وكذلك سيفعل من بعدهم آخرون ، الا ان تعبىء قريش قواها ، فتحول بين العرب وهذا القرآن المعجز .

وكنت شاهدا كذلك ، حين حيل بين المسلمين وبين الكعبة ، **حتى لا يجهروا فيها بالقرآن** الذى لا قبل لعربى بمقاومة اعجازه . وظل المسلمون ، لا يقدر احدهم أن يصلى عند الكعبة ، حتى اسلم « عمر بن الخطاب » فقاتل قريشا حتى صلى بها ، وصلى المسلمون على اثره .

فحدثنا ياتاريخ كيف أسلم « عمر » لما سمع آيات من هذا القرآن ، ايقن منها ان ليس هذا قول بشر !

انقل ما سجلت فى صفحاتك ، من امر « عمر » يوم خرج متوشحا سيفه ، يريد رسول الله ورهطا من اصحابه ، اسمع أنهم اجتمعوا فى بيت عند «الصفا» ولم يكن عددهم اكثر من اربعين رجلا

وامرأة ، لعلهم كل من بقى بمكة من القلة المسلمة ، بعد أن هاجر منهم من هاجر الى الحبشة ، فرارا بدينهم من المحنة

وفى الطريق ، لقيه من سأله :

— أين تريد يا عمر ؟ اجاب :

— اريد محمدا . هذا الصابىء الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فاقتله . . .

قال محدثه :

— والله لقد غرتك نفسك يا عمر : أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الارض وقد قتلت محمدا ؟ أفلا ترجع الى اهل بيتك فتقيم امرهم ؟

فتساءل « عمر » وقد راعته الكلمة

— وأى أهل بيتى ؟

أجاب الرجل

— صهرك وابن عمك ، سعيد بن زيد ، وزوجته : أختك : فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه ، فعليك بهما . . .

وصك الخبر سمع « عمر » فاندفع مستثار الغضب يريد بيت أخته وصهره؛ فلما دنا منه سمع همهمة ، ولمح اخته « فاطمة » تخفى صحيفة معها ، حين رأته يدخل البيت . وصاح « عمر » وهو يبطش بابن عمه . .

— لقد أخبرت انكما تابعتما محمدا على دينه . .

فقامت اليه أخته ، تحاول ان تكفه عن زوجها ، فضربها فشجها ، ولم تملك نفسها أن هتفت

— نعم قد اسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ياعمر ما بدالك . . .

وهزته شجاعة ايمانها ، فقال وهو يرى الدم يسيل من أخته :

— أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرأون آنفا ، انظر ما هذا الذى جاء به محمد . .

واذ ابت « فاطمة » ان تفعل ، خوفا على الصحيفة منه ، أقسم لها بآلهته ليردنها اليها بعد قراءتها .

وطمعت فى اسلامه حين يقرأ آيات القرآن ، ولم يكن قد سمع منه كلمة ، لكنها رفضت مع ذلك أن تدفع الصحيفة اليه ، وقالت فى رقة :

— يا اخى ، انك نجس على شركك ، وانه لا يمسها الا الطاهر .

وأمام اصرارها ، قام « عمر » فتطهر ، ثم تناول الصحيفة فما كاد يقرأ منها صدرها ، حتى لانت ملامحه وقال :

— ما احسن هذا الكلام واكرمه !

وانطلق « عمر » يسرى ، ونور الايمان يغمر قلبه ، وكلمات القرآن ملء وجدانه ، حتى بلغ ذلك البيت عند الصفا ، وضرب الباب ، فقام رجل من الصحابة فنظر من خلال الباب ، وعاد الى الرسول يقول فى فزع :

— يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف !

فأذن الرسول لعمر ، وابتدره قائلا :

— ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟

اجاب فى ضراعة .

— يا رسول الله ، جئتك لاومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله !

فكبر صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف الصحابة منها أن « عمر » قد اسلم بعد طول عناد !

وعرفت منها بالتاريخ ، ان نور الكلمة لن يلبث ان يبدد ظلمات ليل طال ، ونهايات لاستقبال الصبح الجديد . . .

ومن يومها يالتاريخ . . .

من يوم ان تلا المصطفى آيته : ((اقرأ)) وانت تصنع بها العجب العجاب ، وتستشرف بالأدمية الى عالى الآفاق وبعيد الغايات . .

وكلما اجهدها العروج ، او تشابهت عليها السبل ، او ضل بها المسرى ، التمست لها من نور الكلمة ما يضىء لها الفجر من جديد ، وعلا هتافك يحدوها :

أى تكريم للبشرية ان يصطفى بشر نبيا ؟

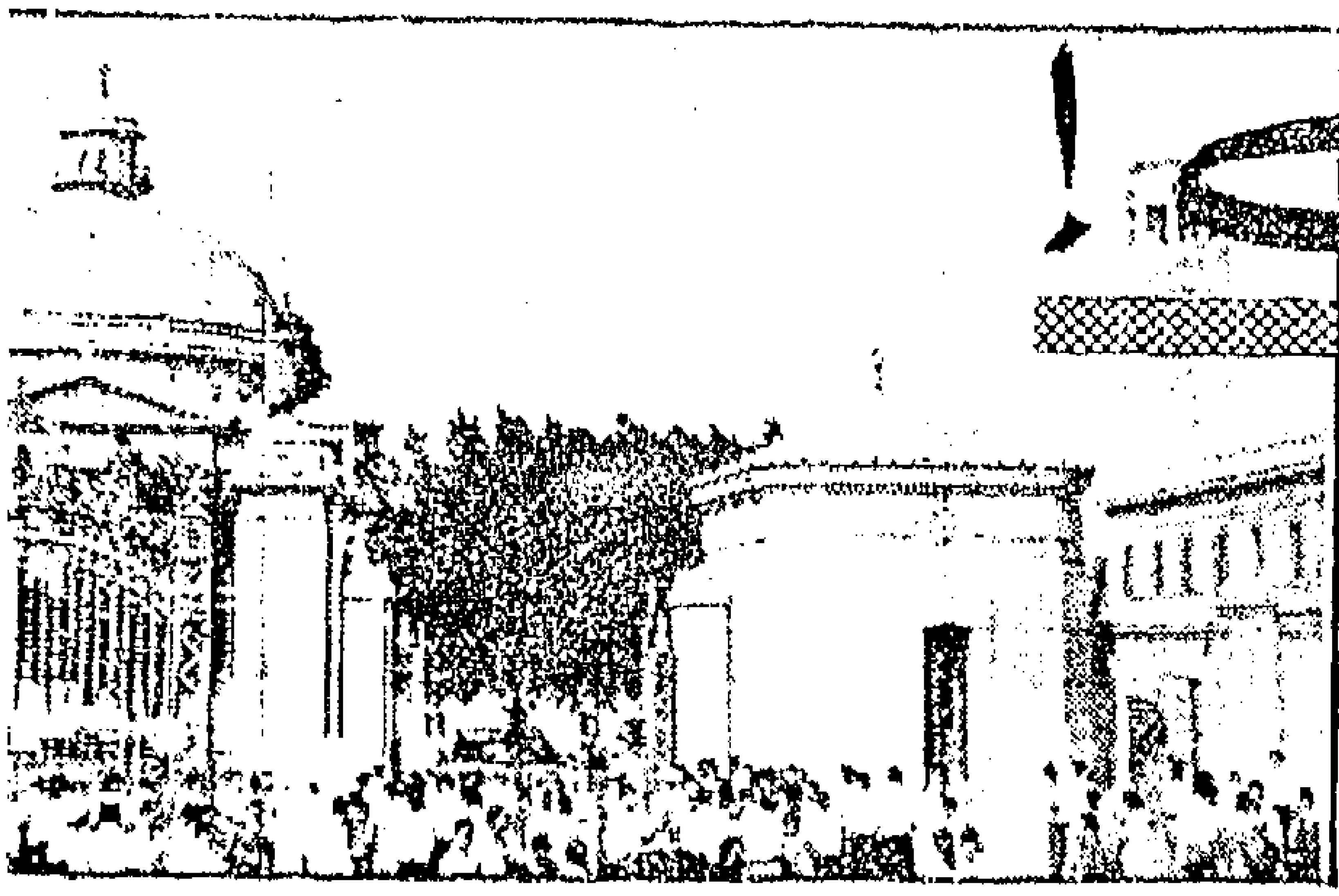
وأى مجد للبيان ان يكون « الكتاب » آية نبوة ومعجزة رسول ؟

« لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ، وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » . .

التاريخ : ٣ / ٣ / ١٩٦٢

اللهم انى صائمة

امتحان!



اقر واعترف ان بشريتى خذلتنى فى هذا الامتحان ، فلم اقل فى محنة اليوم ماكنت جديرة بان اقوله ، لو لم يكن المتهم فيها معدودا من اساتذتى بالجامعة ، فاذا رميت يصيبنى سهمى ..

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

لا اذكر اننى امتحنت — منذ اتصلت بالحياة العلمية — بمثل هذه المحنة التى اشقى بها اليوم!

ذلك لان المتهم فيها معدود من اساتذتى فى كلية الاداب بجامعة القاهرة ، وقد امضيت فيها — معه — خمسة عشر عاما ، طالبة ودارسة ومعيدة ..

واى تجريح له ، يجرح البيئة الجامعية التى اعتز بالانتماء اليها ، ويهز الثقة فى كل من تعلموا فيها وتخرجوا على اساتذتها ، وهذا احدهم ..

ولطالما تمثلت بقوله تعالى :

«يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين» وزعمت ، او تصورت ، انى جديرة بالسمو الى هذه المنزلة الرفيعة من بطولة الضمير وامانة الكلمة ، لكن الامتحان الذى تعرضت له هذه المرة كشف لى عن حدود طاقتى البشرية وقصورها عن بلوغ تلك المنزلة ..

وتلك هى المحنة!

فانا اعلم علم اليقين ، انه لو كان المتهم من غير اساتذة كليتى ، لما الجمت قلمى عن ذكر اسمه ، ولكان لى من القضية موقف اخر ...

لكن بشريتى تخذلنى ، وتلزمنى بان اقنع باضعف الايمان فاعرض المأساة بلا اسماء ، وبغير تعليق ..

ولو استطعت الا اعرضها لفعلت

لكنى كرهت ان يبلغ بى الخذلان حد الخيانة ، فاكتم حقا علمته ، مجاملة لاستاذ جامعى او خشية ان يرتد سهمى الى ..

وكرهت اكثر ، ان ابوء بلعنة الاثم وانا صائمة اتعبد بقوله تعالى:«ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه »

ولو قد فعلتها اليوم ، لوجب ان ارد نفسى منذ الان عن موقف النقد الذى هو حكومة وقضاء ..

حسبى اذن ان الوذ باضعف الايمان فاكتفى بعرض وقائع المأساة ، ثم اترك لسواى من النقاد — ممن لا تربطهم بالاستاذ صلة — ان يفسروها ، ويكشفوا عن دلالتها ، وخطير اثرها ..

بدات القصة بمكالمة «تليفونية» من الاديب الشاب «ماهر شفيق» يسال فيها ان كنا قد قرانا الكتيب الذى نشرته وزارة الثقافة ، حلقة فى مكتبتها الثقافية بعنوان «القرآن وعلم النفس» ؟

ولما اجبنا بالنفى ، عقب راجيا :

— اذن فاقراوه ، وقابلوه على ما فى كتاب «مناهج تجديد» الذى نشر فى العام الماضى ..

وشغلتنى الشواغل فلم افعل ، واظنى نسيت الموضوع ، حتى زارنا بعض اعضاء الوفد العراقى لمؤتمر كتاب اسيا وافريقيا من زملاء الدرس فى قسم اللغة العربية باداب القاهرة ، واثير الموضوع بمراءة فقرات وصفحات من الكتيب الذى وزعته المكتبة الثقافية هدية هذا الشهر المبارك ..

واتهمنا اسماعنا وابصارنا ، وتصايحنا فى دهشة وحيرة :

— هذه الفكرة فى التفسير النفسى للقرآن الكريم اليست فكرة شيخنا تلقيناها عنه طلابا بالجامعة ؟ وما

الاسلوب ، اليس اسلوبه الذى لا يشتبه على احد من تلاميذه ؟ فكيف بالله صار اليوم لاستاذ غيره ؟ !

ثم قمت الى مكتبى ، فالتمست بحثا

[...] الاستاذ الخولى نشرته كلية الاداب فى [...] الجزء الثانى من المجلد الرابع ، وطبع [...] مستقلا بمطبعة المعهد الفرنسى بالقاهرة سنة ١٩٣٩ ، ثم اعيد نشره للمرة الثالثة [...] فصلا فى كتاب «مناهج تجديد» الذى نشرته [...] دار المعرفة سنة ١٩٦١

ومضينا معا ، نقابل بعض ما فيه ، على مانشر فى كتيب «القرآن وعلم النفس» الذى نشرته وزارة الثقافة ، فى منتصف فبراير ١٩٦٢ .

وكانت الصدمة ..

التاريخ : ٤ / ٣ / ١٩٦٣

جوهر الفكرة فى التفسير النفسى، كما بينها صاحبها :

فى البحث الجامعى ، المطبوع عامى ١٩٣٩ ، ١٩٦١ .

((ان هذا القرآن من حيث هو فن أدبى معجز ، ثم من حيث هو هدى وبيان دينى ، لن يدار الامر فيه الا على سياسة النفوس البشرية ورياضتها لان الفن هو نجوى الوجدان ، والدين هو حديث الاعتقاد وخطاب القلوب ..

فالنظر الصائب اليه ، والفهم الصحيح له او بعبارة اكثر صراحة : تفسيره لا يقوم الا على ادراك ما استخدمه من ظواهر نفسية ونواميس روحية ادار عليها بيانه . مستدلا وهاديا ومقنعا ومجادلا ومثيرا ومهددا ...

((واصح ما يبنى عليه هذا التفسير هو القواعد النفسية . فبالامور النفسية يعلل ايجازه واطنابه ، وتوكيده واشارته واجماله وتفصيله وتكراره واطالته وترتيبه ومناسباته ...

((فاذا ما هدى البحث النفسى — وقد هدى ما تم به حتى الان — الى ان القرآن قد راعى قواعد نفسية عن مظاهر الاعتقاد ومسارب الانفعال ، ونواحى التأثر .. واثار من هذا ما ايد به حجته واظهر دعوته ، وكان مثل ذلك من معرفة شئون النفس الانسانية لم يهتد اليه العلم بعد ، فوق ان يهتدى اليه هذا الامى البادى .. فهذا صنيع فوق قدرة البشر وقوى الناس ..))

ويقابلها فى كتيب ((القرآن وعلم النفس)) ١٩٦٢

ان هذا القرآن معجز من نواح متعددة جوانب متفرقة ، من اهمها الجانب النفسى . فهو من حيث هو كتاب هدى وبيان ، لن يدار الامر فيه الا على سياسة النفوس ومخاطبة القلوب ومناجاة الارواح .

فالنظر الصائب اليه ، والفهم الصحيح له ، او بعبارة اكثر صراحة : تفسيره لا يقوم الا على ادراك ما استخدمه من ظواهر نفسية ونواميس روحية ، ادار عليها بيانه مستدلا وهاديا ومقنعا ومجادلا ومثيرا ومهددا .

((واصح ما يبنى عليه هذا التفسير ، هو الحالات النفسية فيها يبين سر تعابيره وانماط اساليبه من ايجاز واطناب وتوكيد واشارة وتكرار واطالة وتقديم وتأخير .

فالقرآن الكريم قد راعى قواعد نفسية عن مظاهر الاعتقاد ومسارب الانفعال ونواحى التأثر ، واثار من هذا ما ايد به حجته واظهر دعوته . وهو فى ذلك يساير من شئون النفس الانسانية .. مما لم يهتد اليه العلم حديثا فوق ان يهتدى اليه ذلك النبى الامى لولا انه من صنع خالق القوى والقدر

التاريخ : ٣ / ٣ / ١٩٦٢

هذا عن جوهر الفكرة ، فماذا عن الشواهد ؟

في البحث الجامعي	في كتيب القرآن وعلم النفس
((تلك جملة من الاعجاز النفسي قد يكشفها مترادف الامثلة ويجليها متتابع الشواهد..من ذلك ما في تفسير الايات من سورة الشعراء :(نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين)	هذه لفتة الى التفسير النفسي ، قد يكشفها مترادف الامثلة ، ويجليها متتابع الشواهد .. من ذلك ما في تفسير قوله تعالى في سورة الشعراء (.. نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين)
((فقد ثار حول هذه الايات خلاف مس الاصول البعيدة والاسس الغائرة للبناء القرآنى فهذا فريق يحتج بها على نزول القرآن بالمعنى لا باللفظ ، وان اللفظ من عند الرسول عليه السلام اذ لا ينزل على القلب الا المعانى . وهذه مزلقة الى انكار ان يكون لفظ القرآن معجزا ..	فقد ثار حول هذه الايات خلاف مس الاصول البعيدة والاسس الغائرة للبناء القرآنى ، فهذا فريق يحتج بها على نزول القرآن بالمعنى لا باللفظ وان اللفظ من عند الرسول عليه السلام اذ لا ينزل على القلب الا المعانى . وهذه مزلقة الى انكار ان يكون لفظ القرآن معجزا .
((ومنكر هذا النزول المعنوى يضطر الى تناول النزول على القلب ، ليبين ان مصدر العقل هو القلب او الدماغ . وهو ما يعرض له الفخر الرازى في تفسيره ، ويورد في ذلك اراء القدماء والمحدثين ، والاستدلال لكل راى ..	ومنكر هذا النزول المعنوى يضطر الى تناول النزول على القلب ، ليبين ان معدن العقل هو القلب او الدماغ وهو ما يعرض له الفخر الرازى في تفسيره ، ويورد في ذلك اراء القدماء والمحدثين ، والاستدلال لكل راى
((الا ان الزمخشرى يدركه التوفيق ، فيفطن من ذلك الى خاطرة نفسية دقيقة يكشف بها غبار الموقف ، ويهون المعضلة.. اذ يعلق قوله تعالى :(بلسان عربى مبين) بالفعل نزل..	الا ان الزمخشرى يدركه التوفيق ، فيفطن من ذلك الى خاطرة نفسية دقيقة يكشف بها غبار الموقف .. اذ يعلق قوله تعالى :(بلسان عربى مبين) بالفعل نزل .
((وليس يحتاج الى الخبرة النفسيه في فهم الايات التى يثور حولها مثل هذا الخلاف فقط ، بل في الاية التى لا خلاف فيها مطلقا ، قد ترفع الملاحظة النفسية الى افق باهر السناء ، خليق بذلك الاعجاز الذى تحدت به السماء..)	وليس يحتاج الى الخبرة النفسية بازاء الآيات التى يثور حولها مثل هذا الاختلاف فقط ، بل في الاية التى لا خلاف فيها مطلقا ، قد ترفع الملاحظة النفسية الى افق باهر السناء خليق بذلك الاعجاز الذى تحدى به الجن والانس .

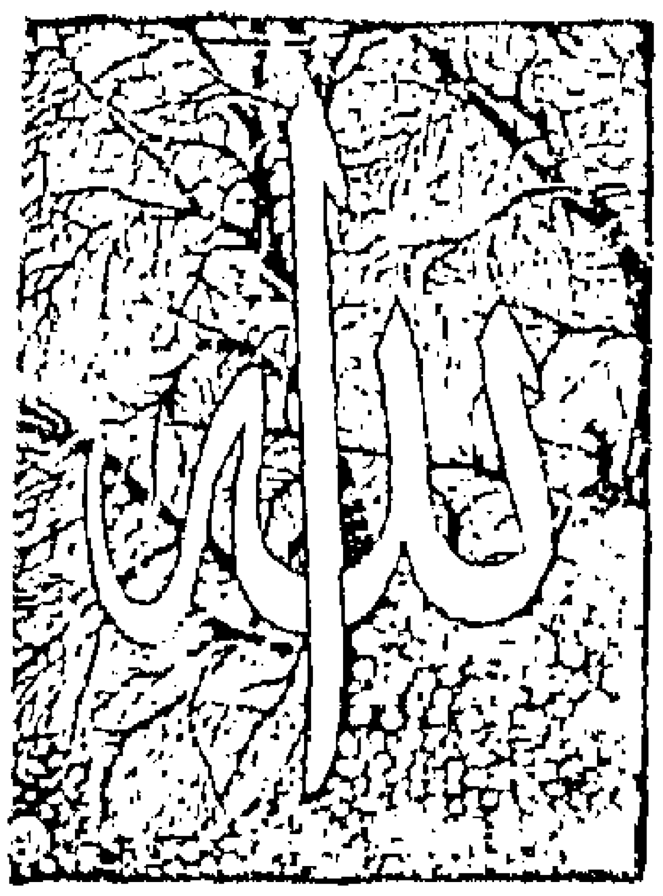
وبعد فماذا عساى ان اقول ؟

لا ادرى .. اللهم الا كلمة اقولها لمؤلف كتيب « القرآن وعلم النفس » . اذا شق عليك ان تقرا هذا المقال لمثلى ، فانك لا تدرى مبلغ تعاستى وانا اكتبه .. واستغفر الله لى ولك!

التاريخ : ٩ / ٣ / ١٩٦٢

حول نبوءة القيامة

علم الساعة وأشراطها في البيان المعجز



« يسألونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها * الى ربك منتهاها * انما أنت منذر من يخشاها * كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها » .

« قرآن كريم »

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

اليوم أيضا ، أخشى أن يتلقف بعضهم هذا العنوان المأخوذ من القرآن الكريم فيضيفوه الى بدع التأويلات العلمية لكتاب الاسلام ، ويحسبوا منه ذاك العلم الدقيق الذى اشتهرت به ((سويسرا)) فى صناعة الساعات !

ولهذا أبادر فأؤكد لهم — كما فعلت مع الكثير — أن «علم الساعة » فى القرآن الكريم لا يتصل بصناعة الساعات، من قريب أو بعيد ، ولا شأن له بهذه الأجهزة الدقيقة التى تضبط الوقت وتحدده بالثوانى والدقائق ..

وانما العلم فى القرآن ، هو ما تعرفه العربية الأصيلة من ادراك الشيء بحقيقته والعربية قد استعملت المادة حسا فيما هو ظاهر واضح لا لبس فيه ، كالعلم بفتح اللام — والعلامة ومن ثم استعملته فيما يعرف معرفة واضحة قوية ؛ فقيل علم الشيء اذا أدركه حق ادراكه ؛ وهو عالم به اذا انكشفت له حقيقته .

وفى الاستعمال القرآنى للمادة ؛ نرى الله تعالى يوصف بالعالم ولا يوصف بالعارف ، ويسند اليه العلم ولا تسند اليه المعرفة . ويكثر فى القرآن الكريم اسناد العلم الى الله فيما هو خفى ؛ وغيب ، ومضمر : فهو تعالى يعلم ما فى الارحام ، وما فى انفسكم ، وقلوبكم ، وصدوركم ، ويعلم سرهم ونجواهم ، ويعلم السر واخفى ، ويعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، وما توسوس به نفسك ؛ وهو — سبحانه — علام الغيوب وعنده علم الكتاب ، وعلم الساعة .

وحين يسند العلم الى البشر او يوصفون به ، فذلك فى القرآن — غالبا — متصلا بكون العلم على وجه اليقين ، والتحقق ، والتأكد ..

اما الساعة فى القرآن ، فليست الا ساعة القيامة ؛ على وجه التحديد .. وبلا استثناء ..

ولفظ ساعة فى العربية ، بمعنى الجزء القصير من الوقت ؛ فاذا استعمل معرفا بال ، كان ظرفا للوقت الحاضر ، فيقال : ازورك الساعة ، اى فى وقتنا هذا ..

لكن للقرآن استعماله الخاص للساعة ، فهو اذ يجىء بها نكرة ، فعلى مألوف العربية فى المدة القصيرة من الوقت كما فى آيات :

« فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون »

« ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من نهار »

« كانهم يوم يرون ما يوعدون ، لم يلبثوا الا ساعة من نهار » .

« ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة »

وليسوا فى هذا القسم حانثين كما وهم بعضهم ، بل هو الصدق فى القسم كل الصدق .

اما حين يستعمل القرآن « الساعة » معرفة بال ، فتلك دائما هى ساعة القيامة ، لم يتخلف هذا فى اى موضع من الآيات الاربعين ، التى جاءت « الساعة » فيها بالكتاب المعجز !

والملحظ البيانى فى هذا الاستعمال المطرد ، الخاص بالقرآن وحده ، ان هذه الساعة متميزة عن ساعات الزمان كله بما يحدث فيها من حدث هائل خطير ويقوى هذا الملحظ ، ان القرآن يعطيها فاعلية ذاتية ، فيسند اليها القيام ، والاتيان والمجىء .. دلالة على تسخير ميقاتها على وشك :

« حتى اذا جاءتهم الساعة »

« فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة »

« ويوم تقوم الساعة »

« وما اظن الساعة قائمة »

« وان الساعة لآتية »

« وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة ، قل بلى وربى لتاتينكم »

وملحظ ثان ، لا يخطئه من يتتبع آيات القرآن عن الساعة ، وهو الاسرار على

التاريخ : ٩ / ٣ / ١٩٦٣

انه تعالى قد استأثر بعلمها ، لم يؤته احدا من خلقه ، حتى الرسل والانبياء وهذا واضح تماما ، بصريح النص القرآنى فى مثل آيات :

((يسألك الناس عن الساعة ، قل علمها عند ربى)) ـ الاحزاب

((ان الله عنده علم الساعة)) ـ لقمان

((اليه يرد علم الساعة)) ـ فصلت

((وعنده علم الساعة)) ـ الزخرف

((يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها . الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها)) ـ النازعات

وواضح كذلك ، حرص القرآن الكريم على تجهيل وقت الساعة ، وعلى الانذار بانها تأتى بغتة ، على غير توقع او انتظار

((كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها)) ـ النازعات

((حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة . قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها)) الانعام

((ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار)) ـ يونس

((افامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله او تأتيهم الساعة بغتة)) ـ يوسف

((ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة ، او يأتيهم عذاب يوم عقيم)) ـ الحج

((هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون)) ـ الزخرف

((وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب)) ـ النحل

((قل انما علمها عند الله ، وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا)) ـ الاحزاب

((وما يدريك لعل الساعة قريب)) ـ الشورى

وهذا التجهيل بوقت الساعة ، فيه ما فيه من تهويل وزجر وارهاب . ويتم التجهيل بصرف القرآن السائلين عن وقتها بل انه كذلك صرف الرسول نفسه عن الاشتغال بمثل هذا قصرا لمهمته فيها على الانذار بها :

((فيم انت من ذكراها . الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها))

فماذا عن اشراط الساعة ؟

لا اعلم ان فى القرآن الكريم تحديدا لاشراط معينة يمكن للبشر ان يعرفوا منها ان موعد الساعة قد قرب .

كل الذى فيه من هذا ، وصف مثير لكيفية قيام الساعة ، فى صور بيانية بالغة القوة : تنشق السماء وتنفطر ، وتبعثر الكواكب وتنتثر ، وترج الارض رجا ، وتبس الجبال بسا ، وتبعثر القبور وتلفظ من فيها كأنهم جراد منتشر او فراش مبثوث .. وفيما عدا هذا ومثله من **وصف** لقيام الساعة ، لا اجد فى القرآن الكريم بيانا لعلامات سابقة ، **تنبىء مقدما عن قيام الساعة قبل اوانها .**

والاية الوحيدة التى نص فيها على مجىء اشراط الساعة ، هى آية محمد: **((فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها))**

والشرط فى العربية هو العلامة . استعملته حسيا فى الشريطة وهى الابل المشروطة الاذن سمة لها . وقيل اشرط نفسه اذا اتخذ علامة خاصة ، ومنه قول ((اوس بن حجر)) :

فاشرط فيها نفسه وهو معصم
والقى باسباب له وتوكلا

ثم اختصت الاشراط ، بالعلامات الاولى والبوادر السابقة ، ومنه قول «ابى الاسود » :

فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا
فقد جعلت اشراط اوله تبدو

فهل بهذا المعنى ، استعملها القرآن ؟

لا سبيل لنا الى التماس آيات اخرى منه ، تهدى الى دلالة اللفظ القرآنية ، فالكتاب الكريم لم يستعمل **الاشراط** قط الا فى آية محمد . بل ليس فى القرآن كله من مادة«شرط » غير هذه الاية .

لكنا نلحظ اولا ، ان القرآن صريح فى الانذار ببغتة الساعة ، حتى فى الاية التى نصت على مجىء اشراطها :

«فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم **بغتة** ، فقد جاء اشراطها »ومع بغتة المفاجأة لا مجال لالتماس مقدمات وبوادر ، نعرف منها دنو الساعة قبل اوانها .

ونلحظ ثانيا ، ان القرآن لم يحدد هذه الاشراط ، بل لعل سياق الاية ، اولى بان يفهم ان الاشراط هى النذر التى تجىء **مع بغتة القيامة** ايذانا بان الحياة الدنيا قد انتهت . ويؤيد هذا الملحظ ، ان «آية الزخرف » التى تماثل آية محمد فى سياقها ، قد صرحت بان الساعة تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون :

«هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون »

الباغتة،وانما المفسرون هم الذين شغلوا — كدابهم — بتحديد اشراط للساعة وجاءوا فى ذلك باقوال : منها اسرائيليات حشيت بها كتب التفسير ، **ومذهبيات** فيال فيها المفسرون بأهوائهم وعصبياتهم ومنها ما التمس له ايضاح وشواهد ، من كتب الحديث ومأثور الخبر . كالذى ذكره **الزمخشرى والرازى وابو حيان ،** عن اشراط للساعة منها«مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، لانه نبى آخر الزمان » كما عدوا منها فساد الاوضاع الخلقية والاجتماعية ، مثل« كثرة المال والتجارة ، وشهادة الزور ، وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام»

ولا شىء من هذا ومثله يلزم به القرآن الكريم الذى اصر على ان علم الساعة قد استأثر به الله وحده ، واكد انها تقوم بغتة كلمح البصر وهم لا يشعرون ..

اقول هذا لمناسبة نبوءة القيامة التى ارجف بها كهنة من الهنود وشغلوا بها الدنيا والناس ، وقد جاء اليوم الذى حددوه لها ، ثم مضى كثيره من الايام ولم تقم قيامة ولا زلزلت الارض زلزالها ..

وقرأت تعليقا على هذه النبوءة ، ينفى قيام الساعة فى الموعد الذى حدده كهنة الهنود ، **لان لها فى الاسلام اشراطا معينة مثل كذا وكيت ..**

وفى كل حال ، لا يسمح لنا النص بيانيا ان نحدد هذه الاشراط **وقد امسك القرآن عن ذكرها** ، اللهم الا ان نستأنس بالجو القرآنى العام ، فى وصف الساعة

فالى الذين كتبوا الى ، يسالوننى عن هذه الاشراط المبينة لقيام الساعة ، اقدم تلك الايات من البيان المعجز ، دون ان اتعداها فاقول فى الكتاب الكريم بما لا اعلم وما اوتيت من العلم الا قليلا ..

التاريخ : ١٩٦٢/٣/١٣

ندوة "الأهرام" لمندوبات القطاع النسائي تناقش المفاهيم الجديدة لقضية المرأة

عضوات المؤتمر الوطني يتحدثن في الندوة

مشكلات المرأة هي في الواقع مشكلات المجتمع كله

النشاط النسائي يجب أن يبقى جزءا مكملا للنشاط الرئيسي للمجتمع الاشتراكي

ممثلات القطاع النسائي في المؤتمر الوطني ، ماذا يردن من الميثاق الوطني ؟ .

السؤال طرح في الندوة التي اشتركت فيها ٨ سيدات من اعضاء المؤتمر .

كثيرات من اللاتي حضرن الندوة اعترضن على صيغة السؤال . فلن ان المراة جزء من المجتمع وليست قطاعا بمعزل بعيدا عنه . كلن ان المجتمع الاشتراكي يقدس العمل ، بصرف النظر عمن يباشره .. رجلا كان أم امراة ..

الجديد في الندوة ان المناقشات لم تتناول الحديث الذي ظلت تردده الاصوات النسائية طوال السنوات الماضية ، عن مشكلات تعدد الزوجات وقوانين الاحوال الشخصية وبيت الطاعة ..

لقد قلن ، بحق ، ان هذه ليست مشكلات المراة ، لكنها مشكلات المجتمع كله .

وكان التعليق على السؤال هو بداية الندوة ..

قالت زهرة رجب ، قبل ان ارد على السؤال اريد ان اسأل نفسي او اسألك : هل تمثيل المراة في المؤتمر هو تمثيل جنسي او قوة شعبية هي في الواقع نصف المجتمع ؟ .

واجابت زهرة رجب على السؤال بسرعة . قالت : اعتقد ان المراة دخلت المؤتمر باعتبارها مواطنة بين قوى الشعب الحقيقية ، لا فرق بينها وبين الرجل

وقالت بنت الشاطىء : الواقع ان قد خطر لي مرات كثيرة ان اتساءل الى اي قطاع انتمي ؟ . واي قطاع امثل واخترت .. هل انتمي الى القطاع الجامعي بحكم عملي ، او انتمي الى قطاع الادب بحكم مشاركتي في الحياة الادبية او انتمي الى قطاع المراة بحكم جنسي ؟ او انتمي الى قطاع الريف بحكم نشأتي ومزاجي وشخصيتي ، واخيرا ادركت اني مواطنة تمثل فئة من القطاع العام بكل خصائصها .

ولهذا الادراك ادخل المؤتمر الوطني غير ممثلة الا للقطاع العام او للقوى الشعبية ، ولا اتصور اني ساكون في مستوى دون هذا المستوى الذي يمثلني : واحدة من ملايين المواطنين في بلادنا .

وقالت الدكتورة سهير القلماوي : لم اكن في حاجة الى ان اوجه لنفسي هذا السؤال ، وخاصة انني رشحت نفسي في قطاع هيئة التدريس بالجامعات ، وهو القطاع الوحيد الذي لم يكن فيه اي تخصيص لنسبة من النساء . وانا افهم ان المجتمع الاشتراكي يقوم اساسا على تقدير العمل ، اي انه لا يوجد انسان يميز الا من عمله ، واعتقد ان المراة لم تكن في يوم من الايام تعيش الا من عملها ... وهي تعمل في بيتها كانت تقوم بعمل ... ولكن ... في ... هذا ... في المجتمع ... من الشروط الرئيسية لها .

ان دور المراة في المؤتمر لا يختلف كثيرا عن دور الرجل ، ... ان الامر انها تمثل نشاطا من ناحية العمل ... ومن هذه الناحية يجب ان تحدد المراة مكانها من الخريطة العامة .

وقالت فاطمة عنان : الواقع ان هذا هو ما يجب ان يكون عليه موقفنا في المؤتمر الوطني ، ويجب ان تعزل المراة نفسها في نطاق دائرة بعيدة على اعتبار ان مشكلات الاسرة او المراة العاملة او الطفولة انما هي مشكلاتها وحدها هذا غير صحيح ان هذه المشكلات هي مشكلات المجتمع كله .

اشترك في الندوة
من ممثلات القطاع النسائي
الدكتورة سهير القلماوي
الدكتورة عائشة عبد الرحمن
فاطمة عنان
زهرة رجب
مانيلدا جريس
ألفت كامل
جهاد الكرداش

التاريخ : ١٩٦٢/٣/١٣

تخلف المجتمع لا المراة

مانيلدا جريس : احب ان الفت النظر الى انه عندما نحدد المراة مكانها من الخريطة العامة المجتمع يجب ان نعرف اولا ان المراة متخلفة بدون شك عن الرجل كثير .

واثار كلام مانيلدا جريس على الرغم من خروجه عن موضوع الندوة مناقشة حادة لمدة ربع ساعة حول معنى تخلف المراة واسبابه .

قالت بنت الشاطيء : انا اسمع كلاما كثيرا عن تخلف المراة ، ولا شك في اننا نعاني من ميراث ثقيل جدا من التخلف، لكن الخطوات التي حققناها في جيلنا تبدو ثورية اذا قيست بالخطوات التي خطاها الرجل . فنحن في جيل واحد حققنا معارك كثيرة : معركة السفور والحجاب ، ثم الكفاح لنيل حق التعليم وحق العمل ، ثم المشاركة في الحياة السياسية . واصبحنا في كل قطاع نجد لنا مشاركة بارزة بالنسبة لعمر النهضة النسائية . واحب ان اقول اننا عندما نتكلم عن التخلف يجب ان نقلب الصورة لكي نرى وجهها الاخر .

واذا كانت لنا مشكلات خاصة فعلا اعتبرها مشكلات تخلف لانه مع التخلف لم تكن هناك مشكلات للمراة ..

وانما هذه المشكلات طارئة ونتيجته حتمية للتطور . والدول التي سبقتنا تعترف الان بوجود مشكلات نسوية وتوجد مكاتب نسوية للعمل ، دلالة على ان هناك مشكلات اجتماعية ناشئة لا من عزلة المراة عن الرجل ولا من انفصالية الحريم وانما من التطور الاجتماعي والثورة الاجتماعية .

سهير القلماوي : هل المسالة مسالة تخلف امراة فقط ، ام تخلف امراة ورجل؟

الواقع ان هناك تخلفا للمجتمع ككل، وانا عندما اتكلم عن التخلف اجد في ذهني صورة للريف والعاملين في الارض وهم ٣/٤ سكان الجمهورية العربية المتحدة .

والتخلف هنا لا ينصب على المراة وحدها ، وانما هو تخلف للرجل والمراة، واعتقد ان مشكلتنا هي العمل على رفع مستوى الاثنين معا ، وليست المراة وحدها .

الحقيقة انني لا استطيع ان انكر ان المراة متخلفة عن الرجل .

جهاد الدمرداش : بصفتي امثل قطاع العمال اعتقد ان المراة العاملة ما زالت نظرتها لحقوقها غير واضحة ، وهي محتاجة الى توعية كاملة ، ولهذا فانا لا استطيع ان انكر اننا متخلفون ، لان المراة مثلا ما زالت متخلفة نتيجة لتخلف المجتمع ككل . ولكني اعود فاقول انه حتى في داخل اطار المجتمع ما زالت المراة متخلفة عن الرجل ، ونكران الحقيقة لن يمكننا من علاجها .

ولكنني ارى ان هذا هو الاساس الذي ... خصصت مقاعد محددة للعاملات في قطاع العمال الذي ... مقعد ، ... كان نصيب العاملات ١٠ مقاعد ... لنا من المشاركة في مناقشة الميثاق الوطني، اذ انه في مجتمع العمال ما زال العامل تحكمه التقاليد والعادات التي تجعله يحجم عن اختيار امراة تمثله ، الا اذا كانت لها صفات مميزة وواضحة جدا .

ومع ذلك فلا استطيع ان اقول اني امثل العاملة وحدها لاني سأناقش مشكلات المراة العاملة خاصة ، لاني قبل كل شيء مواطنة في المجتمع الكبير .

بنت الشاطيء : اسمحوا لي ان اقول ... في هذا الموضوع انه حتى في القطاعات التي لم تحدد للمراة نسبة معينة فيها انتخبت المراة واعترفت لها بواجب المشاركة في تخطيط حياة الامة وتنميتها الثقة المؤهلة لهذا المستوى .

والواقع ان الانتخابات دلت على ان الراي العام المثقف يعطي المراة ثقته ويحرص على ان تكون لها كلمتها في مستقبل الوطن .

وعلقت الدكتورة سهير القلماوي على هذا الكلام بقولها : ان عدد اصوات اساتذة الجامعة كان ٢٢ صوتا اغلبها للرجال .

تامين للمستقبل

نخلص من هذه النقطة بان المراة وهي ترشح نفسها للمؤتمر ، ثم وهي تشارك في مناقشة الميثاق .. هي مؤمنة بانها تدخل المؤتمر وهي ممثلة للقوى الشعبية العاملة . واذا كان قد اصابها شيء من التخلف ، فانما هو صورة لانعكاس المجتمع ، وعليها ان تشارك في العمل على رفع مستوى افراده ككل .

بقي ان نحدد ماذا يريد القطاع النسائي او بمعنى اصح ماذا تريد المراة العاملة من الميثاق الوطني ...

امينة شكري : اهم شيء اريد ان اضمنه هو تامين مستقبل الاسرة والافراد ورفع مستواهم المادي والخلقي وحماية مصالح الشعب في الاشتراكية التعاونية الديمقراطية .

سهير القلماوي : اعتقد ان الميثاق سيضع الخطوط العريضة لبناء مجتمعنا، ثم تاتي بعد ذلك القوانين والتشريعات المفسرة لها وبالنسبة لنا كمواطنات اريد ان يحدد الميثاق وضع الجمهورية العربية المتحدة بين الامم كلها ، والسياسة التي ستتبعها خارجية وداخلية ، والمبادئ الاجتماعية التي ستلتزمها ، على ان تكون مخططة وواضحة .

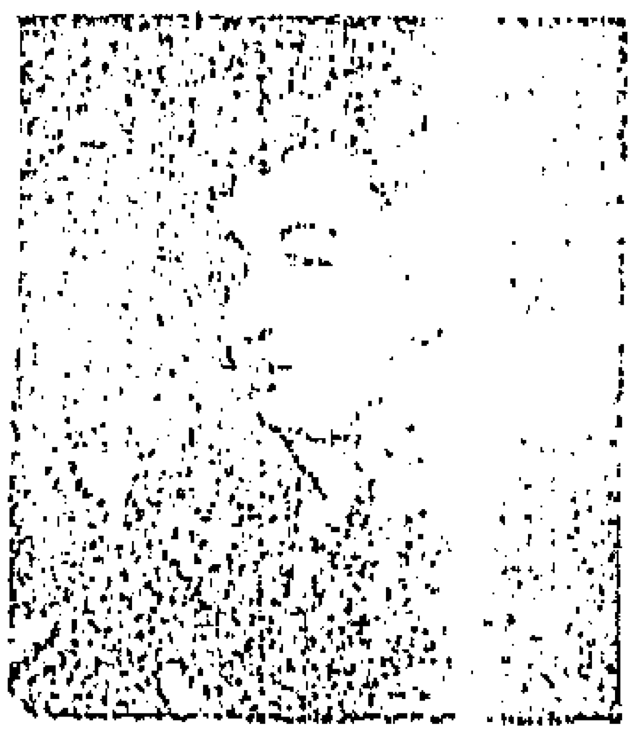
واعتقد انه يجب ان يكون هناك مطالب للفئات ، لكن حتما ستكون للمراة مطالب خاصة بالاسرة .. والاسرة تعني رجلا وامراة واطفالا وبيتا .. الخ ..

مثلا ربة البيت او الام والعاملات في المجتمع يواجهن مشكلة اجتماعية ضخمة

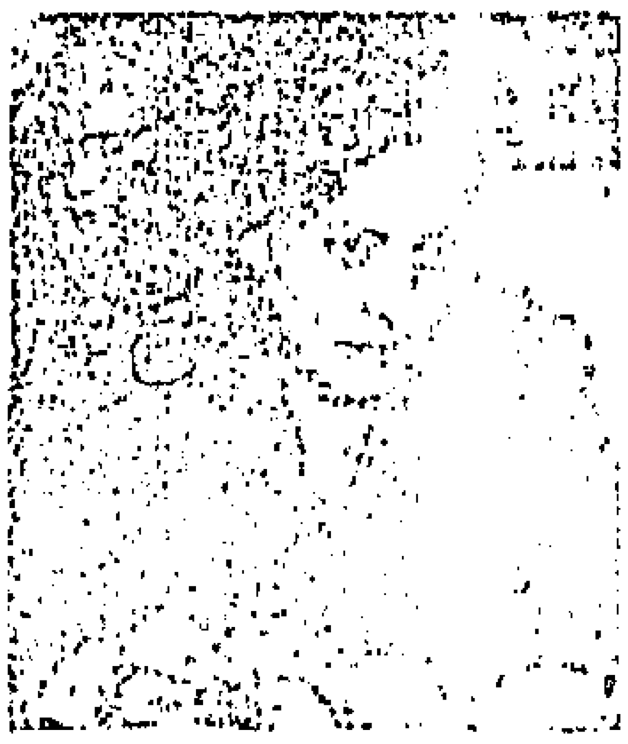
التاريخ : ١٩٦٢/٣/١٣



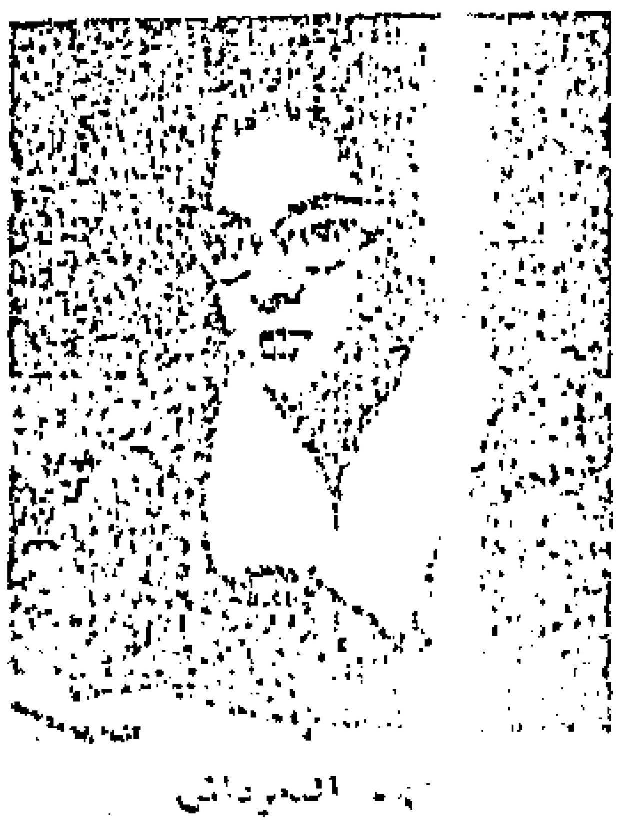
ممثلات القطاع النسائي يتحدثن في ندوة « الاهـــرام »



د. سهير القلماوي



د. عائشة عبد الرحمن



جهاد الصرداني

للمجتمع كله هؤلاء يجب ان يحدد دورهن في الميثاق . ففي مجتمعنا الاشتراكي يصبح للمرأة وضع جديد ، لا يحدد بحسبها مرتبطا بالدور الذي تؤديه في المجتمع ، فهي عندما تسيء تربية ابنتها انما تسيء الى المجتمع ككل . وهي بهذا تخرج في المجتمع الجديد من نطاق الرغبة الشخصية الى نطاق وظيفة اجتماعية وشخصية في آن واحد . وهذا هو الجديد بالنسبة للمرأة ، ويجب ان نواجهه .

بنت الشاطىء : اريد من الميثاق ان يكفل لكل مواطن حدا ادنى لمستوى المعيشة .

كما ان من اهم ما يجب ان يتضمنه الميثاق ان تكون الدولة مسئولة عن رعاية الاسرة باعتبارها الخلية الاولى للمجتمع ومن حماية الطفولة حتى الدرجة للاطفال الذين لا يجدون رعاية كاملة من الابوين

جهاد الصرداني : في المجتمع الاشتراكي الذي يقدر العامل لعمله بصرف النظر عن جنسه ، المفروض ان يعطى المرأة العاملة الامكانيات التي تمكنها من ان تعمل في جو مريح ونفسية مستريحة من ناحية بيتها وأولادها ، لانها تحمل مسئولية مزدوجة . ومن اجل هذا ايضا يجب ان تؤمن معاشها بعد زواجها ، حتى ولو تفرغت للبيت من اجل تربية اولادها . كما يجب ان تتساوى العاملة بالعامل في علاوة الغلاء وعلاوة الاولاد .

سهير القلماوي : هل معنى هذا من ماذا يكون وضع المرأة المزدوجة العمل ؟ هل نعطيها امتيازات اكثر ام واجبات اكثر ؟ .

ولم ترد جهاد

ولكن الست كامل عضو المؤتمر التي انتخبتها سيدات الجمالية قالت : ما نريد ان نطالب به ، نحن ربات البيوت ، هو

ان المرأة ... وهي مرأة تعيش ... [illegible] ... ان تعمل على رفع مستواها في [illegible] ... [illegible] الشعبية .

سؤال : الا تعتقدين ان هذه تفاصيل يجب ان تترك لقيادة يقع على عاتقها [illegible] ... وخلق رأى عام ناضج سواء بالنسبة للرجل او المرأة ..

التاريخ : ١٦ / ٣ / ١٩٦٣

قضايا أدبية

المتنبى بين الشهرة والعظمة

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



طه حسين



محمد كامل حسين

اود قبل كل شيء ، ان اعتذر الى السادة القراء الذين اتلقى رسائلهم حول ماأكتب ، ثم لا اجد الفرصة للتعليق عليها . لا عن اهمال او قلة اكتراث ، ولكن لانى لا املك ان التقى بقرائى الا فى هذا النطاق المحدود لمقالى ، ولو خلصته لرسائلهم ، لما اتسع لغير قليل منها .

وبعض هذه الرسائل ، يعترض فى صحة الفاظ وعبارات مما اكتب او يكتب سواى ؛ فلا ارى وجها لان اشغل القراء بمناقشة لغوية فيما اعرف صوابه ، ولا اظن المجال بطبيعته يحتمل التعرض للخلاف بين مذاهب اللغويين والنحاة .

ومنها ما رأيته من تساؤل عن « علم الساعة » وسكوتي عن الاحاديث النبوية فى اشراطها ، واحسب أن مجال العذر فيه واضح ، بالقيد الذى يحدده عنوان المقال : « فى البيان المعجز » ثم بقولى فى ختامه : «وما اوتيتم من العلم الا قليلا» .

ومنها ما يمكن ان يلفت الى قضية ادبية جديرة بالاهتمام ، وهذه هى التى لاأتردد فى عرضها ومناقشتها متى حانت فرصة كما افعل اليوم حين اكتب مرة ثالثة عن هذا «المتنبي» فى ضوء ما تلقيت من رسائل عنه ، تلفت الى موقفى المتأنى بين الشهرة والعظمة .

واعترف بأنى اكتب اليوم عنه واخاصم فيه ، مغلوبة على امرى ، فما يجوز فى رأيى ان نظل عاجزين عن التخلص من اسر الحكم الذى تقضى به علينا حين قال :

انام ملء جفوني عن شواردها

التاريخ : ١٦ / ٣ / ١٩٦٢

ويسهر الخلق من جراها ويختصم

وهاأنذا مضى عليه منذ نام اكثر من الف عام ، وما نزال اسرى حكمه ، نسهر من جراء قصائده ونختصم فيها ، كأنما لم يئن الاوان للتطلق من هذا الاسر ، وقد انطلق الانسان في الفضاء الرحب الممتد !

ولكن ماحيلتي امام ذلك الحشد من الرسائل التي كتبها من عشاق المتنبي ، حول مقالي " شاعركم الاكبر في قفص الاتهام " ؟

ولم اكن انا الذي صنعت صحيفة الاتهام وانما كتبها ثلاثة من النقاد الاقدمين ، غير مجهولين ولا مغمورين . كما لم يكن لي راى او مشورة في نشر الطبعة الجديدة من تلك الصحيفة ، وانما نشروها سلسلة ذخائر العرب دون ان ترجع الى ، وتفضل محققها الاستاذ ((ابراهيم البساطي)) فأهداني نسخة من هذه الذخيرة ، فكان كل ذنبي ان قدمتها الى قراء صفحة الادب مع تحية تقدير لاولئك النقاد الذين جردوا من بريق شهرة المتنبي ، فكأنما جئت ((شيئا اداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا)) لي كأنني المسؤولة عن تأليف كتاب ((الابانة عن سرقات المتنبي)) ثم عن نشره حديثا ، مع رسالتي الصاحب بن عباد والحاتمي ، في الكشف عن سقطاته !

واستبعد ان يكون هؤلاء النقاد قد كفروا بجرأتهم على المساس بشاعركم الاكبر : اكثر لا استبعد ان اكون قد كفرت بنقلي فقرات مما كتبوا ، ومبلغ علمي ان ناقل الكفر ليس بكافر !

وماذا يقولون في رسائلهم الى ؟

الاستاذ ابراهيم البساطي " انه نقد فعلا ثلاث صفحات نقل اقوالا قديمة ، تشهد للمتنبي بالتفوق والشهرة ، وترفعه الى الشعراء الممتازين .

فهل يظن الاستاذ الجليل انا في حاجة الى مثل هذا ، وجمهرة القراء يعرفون ان المتنبي قد ملأ الارض والاسماع ؟ هل يتصور ان احدا من جهل الى هناك اليوم والوفاء ، يحملون عرش المتنبي ويتلون آياته خاشعين في وقفة ادبية مذكرين ببراءة الجاهلية ؟

كلا .. وانما هم في حاجة حقا الى ان يسمعوا نغمة اخرى ، من اقلام نجا اصحابها من فتنة الوثنية ..

ويصحح سيادته ، بأن الصاحب بن عباد والحاتمي ، والعميدي ، سجلوا شهادات تقدير لهذا المتنبي الذي سجلوا سرقاته وسقطاته ، وان ابا العلاء المعرى ــ اديبي المفضل ــ كان شديد الاعجاب بديوانه الذي سماه " معجز احمد " !

وذلك ايضا معروف لكل من له اتصال بتاريخ الادب العربي ، ويفسره بأنه صدى الحقد الذي اتهم بتوجيهها ابو العلاء نفسه ، احسب دسسا ، هو انه بشر غير معصوم من الخطأ . وقد ظل ما عاش يلن من نقده بتشريحه وتصويرها ، فأى عجب في ان يخطىء رأيه في المتنبي ، وان يختار لديوانه اسما ملائما لادعائه النبوة ؟ !

و ((السيد الخولي : ليسانسيه في الاداب)) سلك في دفاعه عن المتنبي مسلكا آخر فقد راح يجرح ((الحاتمي)) ويغض من شأنه ، ويسألني : كيف اعتبرته من كبار نقاد العربية وليس له من اثر معروف غير رسالته في المتنبي ؟ واذا اعتبرناه ناقدا كبيرا فأين نضع "ابن سلام الجمحي والقاضي الجرجاني" ؟

ولن اطيل مناقشته عن منزلة الحاتمي بين النقاد ، بل اكتفى بأن اقول : انني من مدرسة تعرف الرجال بالحق ولاتعرف الحق بالرجال ، فلكن ((الحاتمي)) قزما ضئيلا وهزيلا مغمورا ، ولكن ((ابن سلام)) عملاقا ونجما ساطعا في سماء النقد العربي ، فلا ضآلة الاول بمانعة من ان نصغي اليه ، ولا ضخامة الثاني بالتي تحول بيننا وبين النظر الحر في موازينه النقدية ، او تفرض علينا ان نلتزم بطبقاته

التى انزل فيها الشعراء منازلهم !

والسيد «محمد عصمت» عز عليه ان تفجع القومية العربية (!) فى المتنبى «وقد كان فى مدائحه يتغنى بالمروءة والبطولة والمثل العليا . وشعره شعر القوة والعزة والطموح ... واذا كان قد اقتبس فى قصائده بعض ابيات غيره ، فقد احياها بعد خمول ، وكتب لها الخلود يوم ادمجها فى شعره ، فجعلها مما ينشده الدهر :

وما الدهر الا من رواة قصائدى
اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا»

واؤكد للسيد ان العربية بخير ، لن يقضى عليها انزال المتنبى عن عرشه، وان قوميتنا جديرة بان تصح وتسلم ، لو جعلنا شاعرها الاكبر ادبيا غير هذا المتنبى الذى طاف بكل الموائد ، وغنى لكل امير وحاكم، وعرض بضاعته على كل ذى مال، وليس يشفع للمتنبى عندنا فى سرقاته ، ان احيا ما سرق ، اللهم الا ان نختل القيم ، وتضل المقاييس ضلالا بعيدا !

والاستاذ «سليم الياس» يؤكد ان المتنبى «خلق ليكون ملكا ، وكان احق بالملك واجدر من جميع ملوك زمانه ، وبخاصة بعد ان يئس من دعوى النبوة (!) واذا انزلناه عن عرش الادب العربى ، فعلى من يقع الاختيار لشغل ذلك المنصب الرفيع وليس فى مشهورى شعرائنا — ابتداء من امرىء القيس الى شوقى — من يسلم من ضعف او ينجو من مأخذ ؟ »

وجوابا عن سؤاله **اؤكد له ان العربية لم تعقم الى الحد الذى نتصوره . وحسبها ان انجبت الشعراء الذين ذكرهم فى مقاله وانجبت غيرهم ممن لم يذكر . وما اراه الا ظلم ((ابا العلاء ، واحمد شوقى)) حين استكثر عليهما ان يشغلا مكان ((المتنبى)) فى ادبنا العربى .**

وآخرون اتهمونى بالجهل لانى اجحد عظمة المتنبى وعبقريته ، وتساءلوا : ان كنت قد قرأت كذا وكيت من ابياته وروائعه ...

اما الجهل فلا ابرىء نفسى منه ، واما القراءة فقد قرأت ! قرأت كل ديوانه ، بعد ان درست جملة من قصائده على النحو من كبار اساتذتى بالجامعة ، الدكتور طه حسين والاستاذ الخولى ثم قرأت ما كتبه عنه النقاد الاقدمون والمحدثون من معاصره «ابن جنى» الى اديبنا الطبيب «الدكتور محمد كامل حسين» . فهلا قرأ السادة الفاضلون ، وائمة الاوهام — موضوع المقال — قبل ان يدخلوا خصوما فى القضية؟ وهلا قرأوا ما فى «الوتنوعات» الدكتور محمد كامل حسين عن شاعرهم الاكبر ، قبل ان يلعنوا من يجحد عبقريته ويصموه بالجهل والخيانة !

ولست امارى فى ان «المتنبى» **اشهر شعراء العربية على الاطلاق ؛ كما لا اجادل** فى ان هذه الشهرة قد بلغت من القوة والنفوذ ، ما استطاعت به ان تقاوم الزمن فتنتقل مع الاجيال عبر القرون ، دون ان تخبو بريقها او يخرس صداها . لكن الذى اجادل فيه ، بل انكره ، **ان** تكون الشهرة **مقياس العظمة** ؛ ومحنتنا بهذا المتنبى ان بريق شهرته قد خطف ابصارنا ، فلم تعد الكثرة منا قادرة على ان تستبين طريقها الى الحكم الادبى ، او تملك السيطرة على وعيها الذوقى وحريتها الفكرية . بل لم تعد تطيق ان يحتفظ احدنا برشده ، فيرى المتنبى على حقيقته ، بعيدا عن الاضواء التى ظلت مسلطة عليه لدى تجاوز الف عام ..

ولتدا انهم ان يسبغ عشاق المتنبى بمجده وعبقريته ، وان يتلوا ديوانه **قرآنا محكما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من** خلفه ، لكنى لا اذنهم ان يحجروا على حرية الآخرين فى ان يروا فيه غير هذا الرأى الذائع المشهور ، وان يضعوا شاعريته فى ميزان نقدى حر ، لا يتأثر بضجيج الشهرة ولا يخضع لسلطان التقليد ولا يلتزم فى ذوق ادبنا بقيم موروثة ، من مخلفات العصور الغابرة التى رزح فيها الادب والحياة تحت اوضاع مريضة فاسدة.

فهل يكفى لانهاء هذه الخصومة ، ان اعترف لاصحاب المتنبى بحقهم فى ان يضعوه حيث شاءوا ، على ان يتركوا لمن شاء منا ، الحق فى ان يضعوه حيث ارتضت موازينهم الفنية ، ونظرتهم المكبرة لمكان الادب فى الحياة ؟ !

قضايا نقدية

سوانح مسيحية .. وملامح إسلامية

تأليف : الدكتور بشر فارس

نقد : الدكتورة بنت الشاطئ

ذكرت وانا القى هذا الكتاب الجديد للدكتور «بشر فارس» ، ماكان بيننا من خلاف حول الرمزية فى الادب ، عندما قدمت مسرحيته «الجبهة الغيب» الى قراء هذه الصفحة فى الموسم الماضى . وقد عرض كل منا وجهة نظره فى موضوع الخلاف ، دون ان تتجاوز الخصومة فى الراى حدودها التقليدية الكريمة ، التى تحترم حرية النقد وحق المخالف .

وبهذه الطمأنينة الى ماعرفت فى الدكتور بشر من شرف الخصومة الادبية ، اكتب اليوم عن مؤلفه الجديد ، وابدى رايى فيه دون تحرج .

والكتاب يمثل احد اتجاهين يمارس فيهما الدكتور بشر نشاطه : اديبا مفتنا ، ودارسا باحثا . وقد يظهر للوهلة الاولى ، ان الاتجاهين متباعدان ؛ لكن النظرة النافذة الناقدة ، لاتلبث ان تميز التقاءهما فى شخصية متكاملة ، فهو — اديبا — يمارس عمله الفنى بمعاناة عقلية ، وضوابط فكرية ، وهو — دارسا — يمارس نشاطه فى البحث ، بذوق الاديب ومزاج الفنان ، وآثاره جملة ، تحمل طابع هذه الشخصية المميزة ، ومنها تستمد اصالتها .

وسمة التخصص ، تضفى على دراسات الدكتور بشر روح الجد ، وتغرى بالتقدير والاحترام . فلو تقدمت قائمة اسمائه ، لرايتها جميعا فى اطار الفن الاسلامى : تاريخا ودراسة ، ولادركت على الفور انه ليس من كتاب الف صنف ، الذين يرسلون اقلامهم طليقة فى كل مجال ، تكتب فى اى موضوع وتفتى فى كل علم وفن ..

ويؤكد هذا الاحترام لشخصية الدارس ، انه لايتردد فى الاستعانة بذوى الخبرة كلما واجهته مسالة دقيقة تأبت عليه . ولقد تكلف من اجل هداية شفقة الانسان ، دعلماء اجانب كما حدث اثناء اشتغاله بهذا البحث ، حين كتب الى المستشرق الفرنسى «الروبير مانتران» والى الدكتور «سهيل انور» حاجمه ، مطالبون كمستحلى قوامض تصويرة مخطوطا للاغانى فى خزانة السليمانية بتركيا ، دون ان يزين له الغرور انه يسع كل شىء علما ، وان ليس فى الدنيا سواه !

وبحثه الجديد ، يكمل رسالة له فى التصوير الاسلامى الاول ، نشرتها مجلة المجمع العلمى المصرى عام ١٩٥٥ ، وهو هنا يتابع دراسته للتصاوير العربية التى امكن العثور عليها فى بعض ما ابقى الزمن من مخطوطات تراثنا . وهذه الدراسة لاتقتصر على وصف التصاوير وابراز مميزاتها الفنية واستخلاص دلالتها التاريخية والاجتماعية ، وانما تتناول ماحولها من ظروف الزمان والمكان مما يجلو لنا الاثر الفنى



د. بشر فارس

ويضيفه الاضافة الكبرى .

وخبرتى بفن التصوير قاصرة محدودة لاتأذن لى فى الجراة على التعرض لهذا الجانب من البحث ؛ وانما ادع بالا اعرف الى ما اعرف ، بما حول التصاوير من نصوص ادبية وظروف تاريخية .

وموضوع البحث ست تصاوير — او منمنمات كما يحلو للدكتور بشر ان يسميها — تزوق مخطوطا من كتاب الاغانى كتب فى بداية القرن السابع الهجرى . واجزاء المخطوط مبعثرة — شأن كثير من تراثنا — بين دار الكتب المصرية . وخزائن الكتب باسطنبول ، والخزانة الملكية بكوبنهاجن . وقد جمعها الباحث من ذلك الشتات المبعثر وعكف عليها : واحدة واحدة يصلها بالخبر الذى الهمها من كتاب الاغانى : ويصفها وصفا بالغ الدقة ، ويتدارس تشكيلها الفنى ويستجلى اسرارها ودلالتها مع بيان لجوها وظروفها التاريخية ، منتهيا بالبحث الى خاتمة تتناول سر التصوير العربى الاسلامى ، موضحة خياله الشعرى واندفاعه الشخصى وحماسته الدينية وبروزه خصائص فنية تنأى به عن نمط التصوير الفارسى الذى الحق به الى عهد قريب

واللافت فى البحث . هذا الشعور الواضح بحتمية التفاعل بين الاثر الفنى والحياة : فنقدر مانقدم لنا هذه التصاوير حياة عصرها وندرك مستواه الحضارى ، يستمد الباحث من بيئة الاثر وظروف الحياة من حوله : اشعة تنير وتجلو وتكشف عن اسراره .

ومن هنا كانت للكتاب قيمة كبرى تغرى بالنهج الدقيق والنظر الفاحص ؛ وتشفع لنا فيما نسجل عليه من ماخذ ادبية .

والمأخذ الاول يتصل بالمنهج ويمكن ان نتجاوز عنه لغير الدارسين المحققين اما «الدكتور بشر» فمن حقه علينا ان نسأله : كيف جاز عنده ان يقدم لنا فى بحث من هذا المستوى الرفيع ، طائفة من النصوص المنقولة ، دون اثبات لمصادرها وبخاصة تلك القصائد التى قرر انها لم تنشر من قبل ؟ (ص ٣٨—٢١—١١—٢٣)

وكيف فاته التعريف بشعراء تلك بعض قصائدهم ، وبيان المراجع التى تهدى اليهم وفيهم مغمورون لايعرفهم عامة المثقفين من طلاب الدرس الادبى ، امثال محمد بن عاصم المصرى من القرن الثانى ، ومحمد بن عبد الرحمن الشروانى من القرن الثالث ، وابى النصر الدمرى من القرن الرابع ؛ وابن الحكاك الموصلى ، وابن قادوس المصرى من القرن السادس ؛ والحاجرى وعون الدين بن العجمى من القرن السابع !

وادع هذا المأخذ ، لابدى ملاحظة لى على النهج الذى اتبعه الباحث فى تناول موضوعه وعرض مادته . فلقد كان على حق حين قدر الصلة الوثيقة بين الاثر والحياة ، ورأى ضرورة التعرض لبيان الظروف التى احاطت بالاثر الفنى ، لكنه فيما ارى ، استزيد احيانا فجاء بما لاحاجة اليه لجلاء الاثر على حين اغفل امورا اخرى جوهرية ، يحتاج اليها فهم التصويرة ولمح شرارة الالهام واشراقة الرؤيا .

واحتاج ، لكى اوضح هذه الملاحظة ، الى ان اشير هنا الى مسألة دقيقة لم تخف عن بال الباحث ، واعنى بها مسألة «الخروج عن الزمن» فالرسام تدعاشى فى القرن السابع الهجرى والمواقف التى الهمته مارسم ، ترجع الى عصور سابقة ، من الجاهلية وصدر الاسلام .

والدكتور بشر ، مطمئن الى ان عناصر التصوير موضوع البحث ، من ملبس واثاث وشخوص ، تنتمى الى العصر الذى عاش فيه الرسام وليس الى عصر القصة التى الهمته او الموقف الذى عبر عنه . وذلك اسلوب معروف فى الفن بوجه عام ؛ وفى الزخرفة الاسلامية ، والفن المسيحى بالشرق بوجه خاص ، والقضية التى اثارتها هنا لاتتصل بموقف الرسام فى الخروج عن الزمن ، وانما تتصل بموقف الباحث ، بين الاثر الفنى الذى ينتمى الى القرن السابع ، وبين بواعث الهامه ، التى ترجع الى عصور مضت

التاريخ : ٢٣ / ٣ / ١٩٦٣

هنــا يختلف مفهومنا لما حول الاثر ، فالدكتور بشر يكاد يغفل الظروف التى احاطت بالقصة او الخبر المعبر عنه بالتصويرة، اكتفاء بظروف التصوير نفسها. او بتعبير اوضح، يتابع الرسام فى الخروجه عن الزمن)) على حين ارى ان جلاء الاثر الفنى ، يحتاج الى وقفة عند العصر الذى تنتمى اليه القصة الملهمة ، لكى نفهم الى اى مدى كان الرسام يعيش فى جو القصة التى استوقفته او الخبر الذى حرك وجدانه.

والغريب فى الامر ، ان الدكتور بشر وقد نفض قلمه او كاد ، من جو الخبر الملهم ، استطرد الى فصول مسهبة ، فيما لايبدو لى ذا صلة مباشرة بجلاء الاثر الفنى

من ذلك مثلا . تصويرة المشهد فى دير الرواهب ، الهمها ماجاء بكتاب «الاغانى» من مقتل الشاعر ((عدى بن زيد)) غيلة، لما تزوج «هند بنت النعمان» فترهبت «هند» وحبست نفسها فى الدير المعروف بدير هند ، فى ظاهر الحيرة ، حتى ماتت ..

ونهمنا للتصويرة ، يحتاج الى بيان لظروف زواج عدى من بنت النعمان ، ولماذا انكر ابوها من هذا الزوج . كما ينبغيه ان نعلم ما اذا كان تاريخ العرب عرف رواهب اخريات غير هند ، لذن بالدير فرارا من الحياة؟ وما بواعث هذا الفرار؟ وهل ابراهن الترهب من صدمة حبيالسى او حماهن من مطاردة الاشباح والاطياف والذكريات ؟

وذلك مالم يهتم به الدكتور بشر من قريب او بعيد ، وكنا نلتمس له وجه العذر ، لو انه ركز اهتمامه كله فى الاثر الفنى على ضوء عصره ، لكنه لم يلبث بعد الحديث عن التشكيل الفنى للاثر، ان استطرد الى بحث مستفيض فى بيئة الاديرة ، ونظمها وتقاليدها ، واقوال الشعراء المسلمين ممن الموا بها وشاقتهم مسراتها ..

ومثل آخر : مشهد غناء طويس المخنث، الهمه خبر فى ((الاغانى)) عن استقبال اهل المدينة لابان بن عثمان، عندما جاءها واليا عليها لعبد الملك بن مروان ، فغنى طويس وطرب الوالى . وفى التصويرة كأس ، تشير بلا شك الى الشراب. ويحتاج فهم الاثر الفنى، الى بيان لموقف امراء الدولة الاموية من شرب الخمر، وقد تجلوه المقارنة بما كان على عهد الخلفاء الراشدين ، من اقامة الحد على شاربها . و انهم ان يتجاوز الدكتور بشر عن هذا ومثله مما حول النص، بما شغله من اهتمام بالتصويرة فى عصر رسمها ، لكنه مالبث ان استطرد الى فصل طويل عن ((اغراء الطب بشرب الخمر)) نقلا عن كتاب للغزولى فى القرن التاسع ، وعن ولع الحكماء بشربها، تأثرا برئيسهم ((ابن سينا)) كما اهتم بجمع شواهد تاريخية ، على ولع امراء بنى ايوب بشرب الخمر ، مع نصوص مختارة من خمريات لشعراء متقدمين ومتأخرين ..

ولا يعتذر للباحث هنا ، بانهساير الرسام فى الاخذ بمذهب ((الخروج عن الزمن)) فذلك انما يكون ، لو قصر الدكتور بشر اهتمامه على مايتصل بالتصاوير فى عصرها ، دون استطراد — لاوهى مناسبة — الى ما لا يتصل بهما الا عن قسر وتكلف .

اقول هذا دون ان اجحد بحال ما ، قيمة ماجاء به الدكتور بشر فى استطراداته وبخاصة ذلك الفصل الحافل عن الاديرة . بل دون ان انكر انى تابعت قراءته بمتعة واهتمام . ومهما يختلف رأينا فى حاجة الموضوع الاصلى اليها، فان البحث يأخذ بلاشك ، مكانه الهام فى مكتبة الفن الاسلامى .

التاريخ : ٣٠ / ٣ / ١٩٦٢

تحية الانتصار

الكلمة الخالدة

على طول الزمن ، ستظل كلمة الجـزائر ، رمزا لشرف الانسان ،
ومعيارا لجوهر حقيقته ، وشعارا لبطولة ارادته ومجد انتصاره !

بقلم : الدكتورة بنت الشاطئ

عندما يعجز البيــان امام روعة البطولة
ويعيي القلم ان يعبر عن مجد الفدائية..
ويتعثر اللسان ماخوذا بجلال النضال ،
يكفي ان نقول ، الجزائر ..
لتغني عن كل تعبير وبيان ..

عندما يبطل سحر الخيال امام معجــزة
الحقيقة الباهرة ..
وتبهت الرؤيا ، في سنا الواقع المشهود..
ويعز على الحلم ، ان يشارف آفــاق
اليقظة الرائعة ..
حسبنا ان نقول : الجزائر ..
لتختلج مشاعرنا بهزة السحر ونشوة النشــوة
وبهرة الجلال ..



بن بيللا .. وجميلة بوحريد
وحلاوة الانتصار

الاتحاد الاشتراكي العربي
وزارة الثقافة والارشاد القومي
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٣٠ / ٣ / ١٩٦٢

عنـدما يؤدى هذا الجيل حسـابه الى التاريخ ...
ويقدم اليه رصيده من امجاد وبطولات ..
حسبنا ان نملى عليه كلمة الجزائر ..
رمزا لكل كفاحنا من اجل شرف الانسان وكرامة البشر ..
وعنوانا لمعاركنا الثورية التي خضناها
لكى نحرر الادمية من مهانة الرق ومذلة الاستعباد ..
وننقذها من سيطرة شريعة الغاب .
ونعصمها من محنة الكفر بالحق والخير والجمال ..

عندما تحصى الانسانية شهداءها فى معارك التحرير ..
وتتمثل مصارعهم الكريمة ، على ساحة الشرق الكبير ..
من «بيان دى فو» الى «بورسعيدوبنزرت»
تتلو كلمة «الجزائر» ..
تحية لكل شهيد ..
وهدية الى كل فدائى بطل ..
وتذكارا لمجدالتضحيةوعزةالاستشهاد ...

عندما تخجل الانسانية منعار نجازاكى وهيروشيما ، ومسلون ودنشواى ..
وبئن ضميرها خزيا من مأساة فلسطين ، وكارثةالكونجو ، وفواجع التفرقةالعنصرية وفظاعات الاستعمار ..
تلوذ بكلمة «الجزائر» فتستر عارها ..
وترداليها اعتبارهاالمهدروشرفها المثلوم ..
وتغريها بالامل فى انتصار الانسان ..
على الشر والنذالة ، والبغى والاجرام ..

عندماتقف الانسانية حائرة بين مفترق الطرق ومتشعب الدروب والمسالك ..
ويتودها الدفع والجذب ، فى خضم المذاهب ومعترك القوى وصراع القيم ..
حسبها ان تهتف بكلمة «الجزائر»
لتسترد وعيها وتملك رشدها ..
وتؤمن بطاقتهاالمعنوية علىمقاومة ضراوة المادية ، والنجاة من وثنية النفعية وجمود الالية ..

عندما تتكاثف الغيوم على الافق ..
وتتجمع سحب الحيرة والخوف والقلق ..
منذرة باعصار مارد ، يجتاح حضارةالبشر ويقوض مابنته الانسانية فى طويل العصور والاباد ..

تتألق كلمة «الجزائر» بحروف من نور ..
فتبدد السحب الفاشية والغيوم الربداء ..
كاشـفة عن الجـوهر الاصيل لحقيقـة الانسـان .. ومؤكدة اصراره على ان يسحق اعداء البشر ..
لصوص الشعوب ، ومصاصى الدمـاء ، وزراع الحقد والضغينة والبغضاء ..

عنـدما تروع الانسانية بسباق التسلح المجنون ..
ويصك سمعها دوى التجـارب النووية الرهيبة فوق سهـوب سيبيريا ورمال الصحراء ومياه المحيط ..
وتكاد تختنق ، بالغبار الذرى الذىينتشر فى الجو ويسمم الهواء ..
تردد فى محنتها كلمة «الجزائر»
فتجد فيها الملاذ العاصم من اليـأس والانهيار ..
وتأبى ان تستسلم ، ولديها هذه الذخيرة من الشرف والاستبسال ، والصمود والاحتمال
وفيها هذه الطاقة العجيبة ، من ارادة الحياة ..
وامامها هذا المشعل الوهاج ، لاتطفئه هوج الاعاصير وانفاس الشيطان ..

وعلى مر الزمن وتتابع الاجيال ..

ستظل كلمة «الجزائر» رمزا لشرف الانسان وشعارا لكرامته ..
ومعبارا لجبروت ارادته واصالة جوهره ..
وقبسا من نور ، يهدى البشرية فى مسراها كلما دجى ليل وادلهم ظلام ..
على توالى العصور وتعاقب الادهار
ستظل ارض «الجزائر» مزارا مقدسا
تحج اليه الانسانية جيلا بعد جيل ..
لتسجد على الثرى المبارك الطهور
وتلثمه فى خشوع واجلال ..
توجيدا لذكرى الاحرار البواسل ..
الذين ردوا اليها اعتبارها المهدور وشرفها المسلوب ..
وتوجوا الكفاح النبيل لشهداء الحرية ..
فى كل مكان من هذا الشرق العريق ،
الذى عرفه التاريخ منذ كان ..
مهدا للرسل والانبياء
وموئلا للقيم الروحية والمثل العليا ..
ومنبتا طيبا للبطولات الكبار ..



التاريخ : ٦ / ٤ / ١٩٦٢



كتاب من بيروت ١

محكمة

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

((هل من حق جامعة بيروت الامريكية ، ان تتولى الوصاية على الادب العربى ، فتنفرد باختيار قضاة يحكمون على المشتغلين منا بدراسته ، وتنشر احكامهم دون مناقشة ، او تعقيب ، او دفاع ؟))

عقدت هذه المحكمة فى بيروت ، بدعوة من جامعتها الامريكية ، فى شهر ايار عام ١٩٦٠ .

وكانت محكمة ، بلا محاكمة ..

فلم يسجل فيها اى دفاع عمن صدرت فيهم الاحكام ، كما لم يدون فيها اى اعتراض او تعقيب او مناقشة ..

وانما تتابع قضاتها العشرة على منصة القضاء ، فتناول كل منهم عصرا من عصور الادب العربى ، وقدم صحيفة بما الف فيه من دراسات فى الاعوام المائة الاخيرة ، ثم اصدر حكمه على اصحاب هذه الدراسات

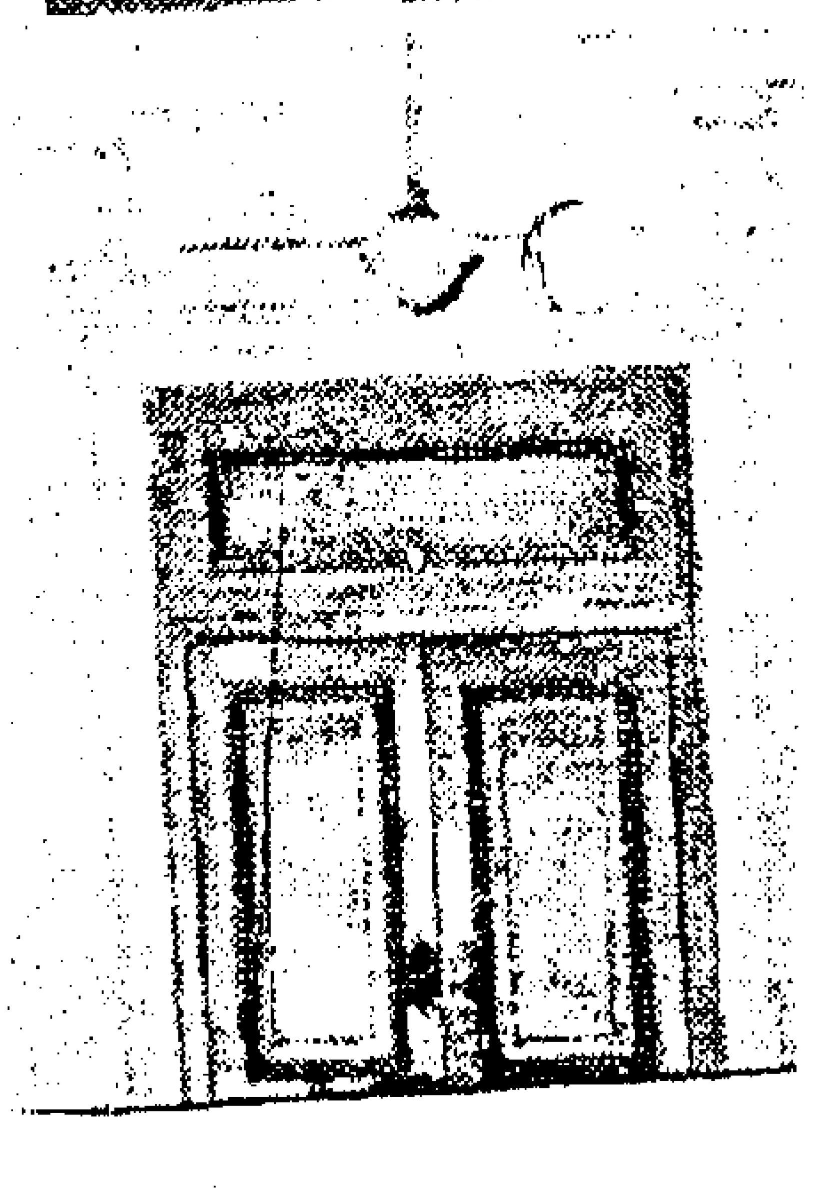
وبعثت ((هيئة الدراسات الادبية بجامعة بيروت الامريكية)) هذه الاحكام بخاتمها ثم سجلتها فصولا عشرة ، فى كتاب مطبوع نشر حديثا فى بيروت ، فى نحو خمسمائة صفحة من القطع الكبير ..

ووزعت الالوف من نسخه ، على نطاق واسع ، فى مختلف اقطار الوطن العربى .. وطارت نسخ اخرى الى دور الاستشراق ومراكز الدراسات العربية فى الغرب ..

مذيعة هذه الاحكام على دارسى الادب المعاصرين ، بما قد يشوبها من خطأ او قصور او تجن ..

دون ان تتاح معها فرصة لتصحيح او استدراك او دفاع ..

ولست اتصور ان اقوال القضاة العشرة قد مرت هكذا [illegible] مناقشة ..



التاريخ : ٦ / ٤ / ١٩٦٢

بل الذى سمعته ان قاعة المحكمة كانت تضج بالخصومة فى الرأى ، وان احكامها بعينها قد طعن فيها بالجور والتجنى ، وامسك هنا عن الخوض فيما سمعت حيث لم اكن من شهود الجلسة ، وانما هى شائعات متناثرة ، التقطتها اثناى من بيروت ودمشق ، ورددها بعض من لقيت من الزملاء ، فى مؤتمر القاهرة لكتاب اسيا وافريقيا ..

ولقد جرى العرف فى المؤتمرات العلمية والحلقات الدراسية ، ان تدون مناقشات الاعضاء ، لما يلقى فيها من بحوث ، كى تسجل فى الكتاب الذى ينشر عن اعمال المؤتمر ..

وهذا كتاب بيروت بين يدى ، لا اثر فيه لشىء من ذلك ، وكانما اكتفى شهود المحكمة ، بالاستماع الى حديث قضاتها العشرة ..

ودون قصد الى تجريح الهيئة التى تولت امر المحكمة ..

ودون قصد كذلك الى المساس بالقضاة الذين اختارتهم للمهمة الخطيرة ..

ارى الجامعة الامريكية فى بيروت ، قد **تجاهلت حق الجامعات الاخرى فى ان** يكون لها راى فى اختيار اولئك القضاة وكانت جديرة بأن تحرص على التعاون العلمى مع الهيئات المختصة ، بمختلف الاقطار العربية ، فيما تصدت له من عمل قضائى خطير : لا لان الامر يمس سمعتنا العلمية فحسب ، ولكن لان الادب العربى كذلك : **تراث مشترك لا تملك هيئة واحدة ان تدعى الوصاية عليه ، فتنفرد بالحكم على المشتغلين منا بدراسته .**

ومن شأن التعاون العلمى فى مثل هذا العمل ، ان يوفر له من **الثقة والسلامة والحياد** ، ما لا يمكن ان تتهيأ لهيئة **واحدة تستقل بالامر**

اما وقد فات الجامعة الامريكية ان تفعل ، فهلا بعثت بمواد الكتاب الى عدد من الخبراء ، ليروا رأيهم فيما صدر من احكام ، قبل ان تنشر وتذاع !

ليس هذا التقليد بدعا فى الاوساط العلمية ، ولا هو بغريب علينا نحن العرب **فمجمع اللغة العربية بالقاهرة لم يرض** ان يستقل بالراى فى معجمه **الكبير** ، بل عرض تجربته على المشتغلين باللغة العربية فى شتى اقطارها ، ثم لم يتردد فى اعادة طبع الجزء الاول منه ، وقد انفق عليه ما انفق من جهد ومال ، ليتسلم تجربة جديدة ، فى ضوء ما تلقى من مآخذ وملاحظات ..

وكذلك فعل العالم اللبنانى الكبير **«الشيخ عبد الله العلايلى»** حين وزع الجزء الاول من معجمه الجليل ، على اعلام اللغويين ، وطلب اليهم ان يبدوا آراءهم فيه .

والقياس هنا مع الفارق ..

فالمعجم اللغوى لا يمس احدا ولا يشهر باحد ، ولا يصدر على دارس او هيئة حكما جائرا او غير جائر ..

وليس الامر كذلك فى كتاب كهذا ، ياخذ **صفة القضاء** دون ان يتوفر له ما للقضاء من حرمة وتقاليد ..

وبيان ذلك ، ان هيئة الدراسات الادبية بجامعة بيروت الامريكية ، قد اكتفت باطمئنانها الى القضاة العشرة الذين اختارتهم **«من فرسان النقد المجلين»** ومنحتهم كل ثقتها ، فصدقت على احكامهم بلا تعقيب ، ونشرتها باعتزاز فى «كتاب فريد بين كتب الأدب العربى قديمها وحديثها ، **لا يغنى عنه اى كتاب اخر فى هذا الموضوع المترامى الاطراف»**

وقد وزعت مناطق الميدان على **«الفرسان العشرة»** فاختلفت جولاتهم فيه تبعا لاختلاف شخصياتهم وطاقاتهم ، وتفاوتت الموازين التى حكموا بها علينا معشر الدارسين ، تبعا لتفاوت مستوياتهم من الاحاطة والخبرة ، ومن العدالة والحياد .. غير ان الكتاب يبدو مع ذلك التفاوت متسق الخطوات موحد الهدف ، وكانما كانوا جميعا يجرون فى اشواط مرسومة لينتهوا آخر الامر الى الوقوف على منصة القضاء ، واصدار الحكم على من اشتغلوا بالدرس الادبى عندنا ــ افرادا او هيئات ــ فى القرن الاخير .

والجامعة الامريكية مطمئنة كذلك الى ان قضاتها فيما اصدروا من احكام : قد تقصوا كل ما فى مكتبة الادب العربى من مؤلفات الدارسين المعاصرين ، او احاطوا بها علما على اقل تقدير ، ومن هنا سجلت على غلاف الكتاب «**ان كل دراسة من دراساته العلمية الرصينة ، قد اردفت بثبت كامل بكل ما كتب عن العصر الذى عالجته تلك الدراسة ، وبجميع المصادر والاصول التى نشرت من آثاره .** »

ولا احاول الآن ، ان اتتبع هذا الادعاء لادل على ما شابه من نقص وتقصير ، وما اعوزه من احاطة وشمول ، وانما حسبى ان آتى هنا باقرار بعض القضاة **انفسهم :** .

فالدكتور محمد يوسف نجم ، الذى صال وجال فى حلبة الادب العربى الحديث

التاريخ : ٦ / ٤ / ١٩٦٢

ختم احكامه على المشتغلين بدراسته قائلا :

« لا اظن اننى بحاجة الى ان اقول اننى لم اقرا جميع هذه الكتب والمقالات التي اوردتها فى الكشاف ، فمثل هذه القراءة تتطلب ربما اطول وجهدا من نوع اخر » ص ٢٨٣

والدكتور انطون غطاس كرم ، الذى [illegible] دارسى الشعر العباسى [illegible] اخر عهد المتنبى ، اعترف بان المباحث فيه قد تفرعت وتكاثرت حتى بات استقصاؤها عسيرا فى حيز البحث الواحد ، ولهذا الجأنا الاقتصار منها على التصنيف العام تبعا لابرز المناحي ، فاخترنا اسنها ممثلا لهذه المناحى ، وما اعتبرناه نموذجا فى بابه » ص ١٢٤

والدكتور جبرائيل جبور الذى [illegible] الحكم على دارسى العصر الاموى اثر « بانه يستحيل على الباحث اما كان ان يقرا فى مدى بضعة شهور ، او يرى كل الكتب والمقالات العلمية التى تعالج الادب فى عصر كبير غنى من العصور العربية ، ثم ينقدها ويقيمها . فلست اكتمكم ان هذه الدراسة التى بين ايديكم وهذه الجداول — المحصية لمؤلفات الدارسين — ليست كل ما يمكن ان يوصل اليه » ص ٧٧ ٩٩ .

فهل يقال مع هذا ، ان كل دراسة من دراسات الكتاب ، قد اردفت [illegible] [illegible] بكل ما كتب عن العصر الذى عالجته وبجميع المصادر والاصول التى نشرت من اثاره ؟

واحكام الكتاب النقدية . قد نشرت باسم المؤتمر الذى انعقد فى بيروت ، [illegible] [illegible] شرفنا اجازة هذه بنشرها . [illegible] [illegible] مصبوغة بخاتم الهيئة التى [illegible] الى المؤتمر ، والختارت اصحاب [illegible] [illegible] ، وتولت نشر احكامهم ..

[illegible] وضع مختلف تماما عن النشر الخاص ، الذى يقدم فيه الناقد احكامه باسمه ، ويحتمل وحده مسئوليتها .

اريد ان اقول : ان هذه الاحكام النقدية تدخل الميدان الثقافى والعلمى للعرب ، وفى الحساب انها عرضت فى مؤتمر دراسى متخصص ، وفى الحساب كذلك ان هيئة للدراسات الادبية اشرفت على اعدادها ونشرها ..

وبهذا الاعتبار ، تذاع احكام النقاد المذكورة ، على دارسى الادب العربى [illegible] مطبوعة مسجلة ، مصدرة بكلمة للدكتور نبيه فارس ، رئيس الهيئة ، يقول فيها :

« اننا فى هذه الدراسات لا نروج لفكرة ما بل للفكر .. ولانجرؤ على التفكير الحر الا الرجل الحر . وبالتفكير الحر فقط ، تستطيع البلاد العربية ان تصل الى غايتها : مجتمع حر فى عالم حر ، يساهم فى التاريخ مساهمة حرة ، ويخلق جزءا من حضارة العالم »

ولعل قومى هنا ، يعذبهم ان يطالعوا نماذج من تلك الاحكام الحرة التى تستطيع بها بلادنا ان تصل الى مجتمع حر فى عالم حر ، وهذا ما ارجو ان احاوله فى فرصة قريبة ان شاء الله

التاريخ : ١٣ / ٤ / ١٩٦٣



د. طه حسين

٢ كتاب من بيروت

مراكز الإشعاع الفكري

وعدت قراء الادب ، أن اقدم اليهم هنا نماذج من الاحكام التى صدرت باشراف هيئة الدراسات الادبية لجامعة بيروت الامريكية، على الدارسين العرب لادبنا فى مختلف عصوره ..

واحاول اليوم الوفاء بما وعدت ، فى حدود ما سمح به المجال ، وفى نطاق ما يتعلق علمى بما تناول كتاب بيروت ، من دراسات معاصرة للادب العربى .

وضبطا للموضوع من التشتت ، اقصر هذا المقال على الفصل الاول من الكتاب ، وهو خاص بالعصر الجاهلى الذى نعده الدراسة الادبية (الاكاديمية) اساس البناء ونقطة البدء وقاعدة الانطلاق ...

وبغير الفهم الصحيح لادب الجاهلية ، يكون الاشتغال بدراسة الادب العربى فى أى عصر من عصوره ، عبثا ومضيعة للجهد ، لانه منقطع الصلة بالجذر والاساس .

وبقدر ما يولى الجامعات هذا الادب الجاهلى من عناية ، يتحدد مكانها فى ميدان الدراسة المنهجية لادبنا العربى ..

وبهذا التقدير لاهميته وخطره ، ننظر فى صحيفته التى نشرتها جامعة بيروت الامريكية ، بقلم « الدكتور صالح العلي » احد القضاة العشرة الذين اختارتهم الجامعة « لتقويم كل ما ساهم به العرب كتابة ونشروه ، فى السنوات المائة الاخيرة من دراسات للادب العربى »

قدمها : الدكتور صالح العلي

وتعلق عليها : الدكتورة بنت الشاطئ



الشيخ الخضر



الشيخ محمد عبده



عبد الوهاب عزام

وكان « الدكتور العلى » على حق حين قدر « ان الاهتمام بالعصر الجاهلى والبحث فيه ، العمق بالنطاق الاكاديمى، لذلك لابد ان تكون الجامعات ومعاهد الدراسة الاكاديمية ، اهم مراكزه »

ولذلك ، ايضا ، اعفيه واعفى نفسى، من مناقشة احكامه على الجهود الفردية فى الميدان ، وحسبنا ان ننظر فى احكامه على الهيئات المشتغلة بدرس الادب الجاهلى .

وقد اتجه أول ما اتجه ، الى ترتيب هذه المراكز ، حسب اهميتها واسبقيتها، ومفروض طبعا، والتنمية خاصة بالادب الجاهلى على وجه التحديد ، ان يقوم الترتيب على اعتبار الرصيد العلمى لكل مركز منها .

قال الدكتور العلى :

« كانت دراسة الادب الجاهلى تجرى على اساليب قديمة مستقرة ، ولكن ظهرت بجانبه دراسات تتبع اساليب جديدة وتهتم بنواح جديدة ... **وكانت اكبر مراكز الاشعاع لها، الجامعات التى انشئت على نمط غربى او تاثرت به ككلية سنت جوزيف والكلية الانجليكانية ــ الجامعة الامريكية ــ فى بيروت ، والجامعة المصرية ، ودار العلوم ، وجامعة الاسكندرية »** ص ١١

ثم استطرد ، يقدم حيثياته :

« **ان اهم مراكز الدراسة المنظمة** هى الجامعات والمعاهد العالية . واقدمها **الجامعة الامريكية فى بيروت** ــ سنة ١٨٦٦ . ويظهر من انتاج اساتذتها **قلة اهتمامهم بالادب الجاهلى** ، اذ لم يبحث فيه منهم احد او ينشر مخطوطا (!!) اللهم الا انيس المقدسى الذى عقد فى كتابه (تطور الاساليب النثرية) فصلا قصيرا عن العصر الجاهلى ، هو بمثابة **مقدمة** بحث عن العصر الاموى والعباسى، ولم تقدم هذه الجامعة اى رسالة ماجستير ما عدا رسالة كمال يازجى عن (استعراض للاتجاهات العامة للشعر العربى القديم) ولما يطبع اى بحث عن الادب الجاهلى او شعرائه ، الامر الذى يوحى **بعدم اهتمام الطلبة فى هذا الموضوع** ، ويشير الى عدم استثارة المدرسين الطلبة، الى مشاكله ودراستها .

« وقد انشئت فى بيروت ايضا كلية سنت جوزيف سنة ١٨٧٥ ، واصدرت منذ سنة ١٨٩٨ مجلة « المشرق » التى تتميز باهتمامها بالمواضيع المسيحية والتاريخية والادبية بصورة خاصة **وكانت شديدة الصلة بالغربيين ،فاستفادت** منهم وتاثرت بهم ، ونشرت للكثير منهم . وقد اولت الادب الجاهلى عناية خاصة . فنشرت بعض دواوينه ، ونشرت **ايضا ابحاثا تتسم بغزارة المادة وحسن العرض، والتطرق الى مواضيع جديدة ما كانت الناس تلتفت اليها من قبل** ، غير ان هذه العناية بالادب الجاهلى ، تركزت بصورة **خاصة بالاب لويس شيخو الذى نشر** اغلبية المقالات حوله فيها . وقد نشرت للاب انستاس الكرملى **مقالين عن الادب الجاهلى ، ومقالة عن عاصفة فى نجد !!)** ص ١١ : ١٢ .

وبهذا الرصيد ، اخذت بيروت، بكليتيها الانجليكانية وسنت جوزيف، مكان الصدارة لمراكز الاشعاع الفكرى ، فى مجال الادب الجاهلى ...

وتاتى مصر بعد هذا ...

فاذا الاهتمام الاكبر للدكتور العلى فى الحديث عنها ، موجه الى عقم الدراسة **الادبية بها** ، الى ان جاء الرسل من اوربا ــ من عرب متعربين ومستشرقين ــ يحملون اليها **اشعة النور (واكسير) الحياة !.** (ص ١٤ : ١٦)

واستفرغ الدكتور اكثر جهده فى هذا ليقول بعده على عجل :

« غير ان هذه الدراسات ــ الجديدة ــ لم تثر الاساتذة والطلبة كثيرا ،بدليل ضعف مساهمة دار العلوم فى دراسة الادب الجاهلى حتى العقد الرابع ،حيث بدات **مساهمتها النشيطة ،وخاصة بشكل** بحوث ماجستير ودكتوراه ..

« ولما اصبحت الجامعة المصرية حكومية ، صار طه حسين يدرس الادب الجاهلى . وقد اثارت محاضراته بعد طبعها (فى الشعر الجاهلى ، وفى الادب الجاهلى) ضجة كبرى .. **غير ان كافة الردود التى نشرت عنها ،الفها اناس لم يدرسوا او يتصلوا بالجامعة (!!)**كما انه لم يتقدم اى بحث عن الادب الجاهلى

التاريخ : ١٣ / ٤ / ١٩٦٢

حتى سنة ١٩٤٠ حيث بدات مثل هذه الرسائل تتتابع فيه ... وقد طمعت الاغلبية المطلقة لهذه البحوث والمؤلفات، بل ان بعضها اعيد طبعه ٥ قبل ٦٠

ولا الوم ((الدكتور العلي)) على ما اغفل هنا من اثر الضجة الكبرى التي احدثها استاذنا الدكتور طه حسين ، في زلزلة قواعد الجمود في الدرس الادبي، واحتدام معركة لتحرير مناهجه ، شارك فيها اساتذة جامعيون ، اوقفهم الدكتور العلي بمعزل عن الصراع ...

لكنى استغرب حقا ، ان يقرر ((ان كافة الردود التي نشرت من القضية الفهـا اناس لم يدرسوا او يتصلوا بالجامعة)) ثم يأتي بعد صفحات ليثبت بين اصحاب هذه الردود ، اسماء الاساتذة : الشيخ محمد الخضرى والشيخ محمد الخضر حسين ، والشيخ محمد احمد الغمراوى ، والدكتور محمد فريد وجدى (٣٥ ، ٥٤) كما يذكر من بين الذين خاضوا المعركة ، التي اعقبت القضية ، الاساتذة احمد امين ، وعبد الوهاب عزام ، وزكي مبارك ، ومحمد عبد المنعم خفاجي ، ومحمد حسين (٣٥ : ٣٦) .

كذلك لا أناقشه في الموضع الذى اختاره لجامعات مصر ، بين مراكز الاشعاع الفكرى ، بعد كليتى بيروت وانما احتكم الى الكشاف الذى ذيل به حديثه عن العصر الجاهلى ، فارى جامعاتنا قدمت القدر الاكبر من الرصيد العلمى في هذا الميدان ...

دون حاجة الى ان استدرك على الدكتور ، ما فاته من دراسات مطبوعة قبل عام ١٩٦٠ لاساتذة في جامعاتنا . ومنها على سبيل المثال ، لا الحصر : كتاب الدكتور ابراهيم انيس في (موسيقا الشعر)) وكتاب الدكتور طه الحاجرى ((في تاريخ النقد)) وكتابي عن ((الخنساء)) لم يجد مكانه في الفصل الخاص بالعصر الجاهلى ، وانتقل بقدرة قادر ، الى الفصل الخاص بصدر الاسلام !. !

بل دون حاجة كذلك ، الى ان اذكر لمصر ما قدمت للمهاجرين من دارسي الادب العربي ، من بيئة طيبة صالحة كريمة ، انبتت البذور التي لفظتها بيئتها الاولى، فتهيأ لمثل ((جورجى زيدان)) ان يصير من اشهر مؤرخي الادب العربي في عصرنا، بما الف فيه هنا من دراسات وبحوث قيمة ، وذلك ما لم يتح شيء منه لزملاء له، هاجروا الى امريكا فما اتجه احد منهم الى الدرس الادبي للعربية

وفي منطقة الظل، وراء مراكز الاشعاع جاء « الدكتور العلى » باقطار العربية الاخرى في فترة واحدة من خمسة اسطر (١٧) فذكر للعراق محاضرات لمعروف الرصافي ومهدى البصير ؛ ولتونس كتابا لمحمد الخضر حسين عن حياة اللغة العربية، وللجزائر طبعة من ديوان علقمة عام ١٩٢٥ .

فهلا ذكر للسودان كتاب ((الدكتور عبد الله الطيب المجذوب : المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها)) وهو فريد في بابه ؟.

وهلا ذكر لفلسطين ، كتابى الدكتور ناصر الدين الاسد : ((مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية — القيان والغناء في العصر الجاهلي)) اللذين اكتفى الدكتور العلى بذكرهما في قائمة الدراسات المطبوعة بالكشاف !

وتسائل : اين ((دمشق)) فلا تجد بها ذكرا ! ؟

كان لم تكن مركزا من مراكز الدراسة الجادة للادب العربي ..

وكان ليس لها مكان في هذا المعرض ببيوتها العلمية العريقة ،وبمجمعها العلمى العربي الذى اتم — يوم انعقد مؤتمر بيروت — عامه الثاني والاربعين ، في خدمة العربية : لغة وادبا ..

وذكر الدكتور لبيروت مجلة المشرق

ولم يذكر لدمشق مجلة المقتبس بقديم جهدها في الميدان . ومجلة المجمع العلمى العربي التي قدمت حتى عام ١٩٦٠ ، ثمانية وثلاثين مجلدا ، لم يكد يخلو واحد منها ، من بحوث في اللغة العربية وآدابها، باقلام علماء الشام . بل ان العدد الاول منها ،قدم بحثا في ((معلقة طرفة بن العبد)) بقلم الاستاذ عبد القادر المغربي

وحين سرد الدكتور في الكشاف، ما نشر في المجلات من مقالات عن العصر الجاهلي، اسقط ((محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق)) وقد نشرها في مجلدات ضخام، ومنها في المجلد الثاني وحده — مثلا — اربع محاضرات عن العصر الجاهلي للاساتذة : عبد القادر المغربي ،ومصطفى الشهابي ، وجعفر الحسنى ، وفؤاد الخطيب .

كان ليس لها من القيمة ، ما للمقالات صحافية في مجلات المكشوف والهلال ووادى النيل والكشاف ، اثبتها الدكتور العلي في كشافه ! (ص ٥٧)

وماذا عن مؤسسات النشر لاصول
الادب العربي ؟.

قال الدكتور : « اكبر مؤسسة لها في
بيروت ، هي المشرق ، ودار صادر ، أما
في مصر فدار الكتب المصرية »

واسقط « دمشق » فلم يذكرها ولو
باشارة تشعر انها خطرت بباله ...

واسقط مؤسسة قامت هنا من قديم،
باشراف الامام الشيخ محمد عبده ،لطبع
الكتب العربية ،وقد نشرت عددا من
امهاتها...

ونسى مطبعة بولاق ، التي نشرت —
فيما نشرت — لسان العرب (١٣٠٨ هـ)
والمخصص لابن سيده ،والاغاني(١٢٨٥هـ)
وديوان الحماسة ، والمثل السائر لابن
الاثير (١٢٨٢) .

ونسى أن في القاهرة ، مؤسسة اسمها
« دار احياء الكتب العربية » واخرى
اسمها « دار المعارف » نشرت ثلاثين
ذخيرة من ذخائر العرب .

اقول هذا انصافا لدمشق والقاهرة،
دون ان اجحد ما لبيروت من جهود نوه
بها الدكتور العلي ، بل دون أن انكر انها
كانت حقا من مصابيح الدرس الادبي
الحديث ..

لكن ليس على هذا النحو من حيث
يستمد المصباح كل زيته من الغرب وحده
(ص ١١) .

فدراستنا للادب الجاهلي لم تكن
امتدادا لخطة الغرب في تناوله وفهمه
وتوجيهه ، ولا كانت تدور في فلك
المستشرقين والمتعربين ، بل لعلها —
بشهادة الدكتور العلي نفسه :« كانت
رد الفعل ضدهم ، وكمظهر للبحث عن
الذات العربية » ص ١٦ .

او بعبارة اصرح : كانت حلقة في
نضالنا التاريخي الطويل ، ضد الغزو
المعنوي الذي تعددت صوره وازياؤه ،
من اسرائيلية ، الى شعوبية ، ثم الى
صليبية واستعمار !.

التاريخ : ٢٠ / ٤ / ١٩٦٣

٣ كتاب من بيروت

السر الخطير !

يكشف عنه : الدكتور وليد عرفات

وتعلق عليه : الدكتورة بنت الشاطئ



((كل الذين اشتغلوا منا بدراسة الشعر فى صدر الاسلام ، وقعوا فى خطأ اساسى ، دعا الى التخبط والتناقض ، والتلام الذى لا يقوم الا على اسس نظرية او تخمينية ..

باستثناء اثنين من الدارسين ، كتبت لهما النجاة من هذا الخطأ وما اعقبه من تخبط وضلال)) .

بهذا صدر الحكم ف بيروت

والذى نطق به : الدكتور وليد عرفات، احد « الفرسان العشرة » الذين اختارتهم « هيئة الدراسات الادبية في جامعة بيروت الامريكية » وحددت لكل فارس منهم نطاق جولته في ميدان الدرس الادبي ...

وكان عصر صدر الاسلام — او بتحديد ادق : عصر النبي صلى الله عليه وسلم — من نصيب الدكتور عرفات ...

ولكن .. ما هذا الخطأ الاساسي الذي وقعنا فيه ، فاضطربنا وتخبطنا ؟

وكيف نجا اثنسان فقط من ذالك الضلال ؟.

وراء ذلك سر خطير ، كشف عنه الدكتور وليد عرفات ، من حيث يدري ولا يدري ونشرته جامعة بيروت فصلا ثانيا في كتابها : الادب العربي في آثار الدارسين .

ولنبدأ الحكاية من اولها .

***

الجهد الادبي الموجه الى صدرالاسلام لا يجد في راى الدكتور غير ناحيتين القرآن الكريم ، والشعر المنسوب الى شعراء تلك الفترة . ص ٦٠

اما النثر الفني ، فلم يشأ سيادته ان يشتغل به ..

ولا اناقش هنا موقف الدكتور عرفات، من الدراسات الادبية للقرآن الكريم . وما نشرنا من أصول تراثه في اعجاز القرآن ...

اذ لا مجال لمناقشة من يقدم مثلكتاب الاستاذ الكبير ، مصطفى صادق الرافعي — رحمه الله — في « اعجاز القرآن » بجملة واحدة هي :

« اما كتاب الاستاذ الرافعي فقد كان في الاصل جزءا من كتابه في تاريخ آداب اللغة العربية » . ص ٦٠

وحين ذكر الذخائر التي حققناها من اعجاز القرآن — للباقلاني ، والرماني، والخطابي ، والجرجاني — اغفل الاشارة الى محققيها ، وكلهم مصريون !.

واسقط من رصيد مصر وسوريا ، و التراث المحقق ، مثل :

كتاب « المحكم لابى عمرو الداني — تحقيق الدكتور عزة حسن — دمشق ١٩٦٠ » .

وكتاب « بديع القرآن ، لابن ابى الاصبع المصرى — تحقيق الدكتور حفنى شرف — القاهرة ١٩٥٧ » .

ومن رصيدهما في الدراسات الادبية القرآنية، مثل :

كتاب « من منهل الادب الخالد » للدكتور محمد المبارك عميد كلية الشريعة بدمشق .

وكتاب « القرآن المجيد » للسيد الاستاذ محمد عزة دروزه — ١٩٥٢ » .

وبحوث : من هدى القرآن — التفسير: معالم حياته ومنهجه اليوم ، للاستاذ امين الخولي ، وقد طبعت بالقاهرة ، ما بين عامى ١٩٤١ : ١٩٦٠

وكتاب « منهج الزمخشري في تفسير القرآن ، وبيان اعجازه » للاستاذ مصطفى الصاوي الجويني ، من جامعة الاسكندرية ، وقد طبع بالقاهرة سنة ١٩٥٩ .

وكتاب «شرح دلائل الاعجاز» للاستاذ محمد مصطفى المراغي

وكتاب « الشكل الادبي في القرآن الكريم » للدكتور مصطفى ناصف

ولا بشير من قريب أو بعيد ، الى جهود لدار الكتب بالقاهرة ، والمكتبة الظاهرية بدمشق . في جمع تراثنا وصونه، قبل ان تولد الجامعة العربية بزمان ..

ولا كلمة ، عن المكتبة التيمورية والمكتبة الزكية ، بما جمعتا من كنوز

ولا اشارة الى علماء الشام والعراق، وتونس والزيتونة ، والقيروان وفاس والرباط وتطوان ، مما قدموا من جهد سخى باذل ، في سبيل تراث العربية والاسلام ...

***

ذلك حين تحدث الدكتور عرفات عن الشعر في صدر الاسلام ، فكان «الخطأ الاكبر الذى وقع فيه دارسوه منا انه تجاهلنا أو تفادينا البحث في صحة الشعر المنسوب لشعراء تلك الفترة واكثره مصنوع ...

« وهذا الخطأ الاساسي هو الذى ينتقص اكثر الكتب التى تتعلق بعصر صدر الاسلام » . ص ٦٢

واعوزته الدقة هنا ، او اعوزته الصراحة — لا ادرى ! — فلم يقل ان خطأنا الاساسى عنده ، اننا ابينا ان

التاريخ : ٢٠ / ٤ / ١٩٦٢



مصطفى صادق الرافعى



احمد الشايب

نجزم باتهام كل الشعر المروى عن عصر النبى ...

وذلك فى رأى السيد الدكتور عبد وضلال ... أو بنص عباراته :

« ... فمن العبث ، الحديث عن النقائض فى صدر الاسلام — بين شعراء النبى وشعراء المشركين — اذا كان اساس البحث نقائض صنعها قوم بينهم وبين روح تلك الفترة وحوادثها قرن يزيد او ينقص (!!) ومن العبث تحليل طريقة حسان بن ثابت — فى هجاء المشركين — على اساس مقطعات موضوعة عمدا أحيانا ، واحيانا منسوبة عن غير قصد ... ان البحث فى شعر هذه الفترة ، قبل البحث فى صحته بحثا كافيا ، يؤدى دائما الى التخبط ، والتناقض ، والكلام الذى لا يقوم الا على اسس نظرية او تخمينية » ص ١٣

ولما استطرد الدكتور عرفات ، يقدم المحكوم عليهم بالخطأ الاساسى ، والتناقض ، والاضطراب والتخمين ، كانوا جميعا من الاساتذة المصريين والسوريين !.

واولهم « الاستاذ احمد الشايب الوكيل السابق لكلية دار العلوم » فى كتابيه « تاريخ النقائض فى الشعر العربى ، وتاريخ الشعر السياسى الى منتصف القرن الثانى » .

ونص حكم الدكتور عرفات :

« وهما كتابان من الصعب ان يعزو الانسان لهما قيمة علمية على كل حال .. ويكفى دلالة على ذلك ، العبارة التالية : على ان عصر البعثة امتاز فى النقائض بتدخل اليهود وتغير موقف الشعراء بين مكة والمدينة ، وظهور اثر الاسلام فى الشعر ، وهذه النهضة التى لابست الدعوة الاسلامية الجديدة » ٦٣ .

وبعد الاستاذ الشايب ، جاء دور الدكتور محمد حسين من جامعة الاسكندرية ، والدكتور شكرى فيصل من جامعة دمشق !. ص ٦٤ : ٦٥

ثم جاء دورى بين المحكوم عليهم

وكنت اتوقع : ان يتعرض الدكتور عرفات لبحث لى فى « الاعجاز البيانى للقرآن الكريم » نشرته مجلة المجمع اللغوى بالقاهرة .

لكنه اختار ان يجيء بى ، فى كتاب ..... لى عن الخنساء ! .

يقول الدكتور عرفات :

« ... كما ظهرت دراسة جدية ولو انها قصيرة ، للدكتورة بنت الشاطيء ، ولا يسع الانسان الا أن يقول انها فرت من المعركة — يعنى الانتحال — قبل ان تدخلها » ص ٦٦ .

والكتاب مطبوع .. يشهد انى ما بدات دراستى للشاعرة ، الا بعد ان فرغت من قضية عنوانها : الشعر الجاهلى والشك فيه . وقد استغرق حديثى عنها خمس صفحات كاملة (٧ : ١١) .

ولكن ماالحيلة والسيدالدكتور لايتصور ان احدا من الدارسين العرب نجا أو يمكن ان ينجو من الخطأ الاساسى ، الا اثنين فقط ، استثناهما من الحكم القاسى ! قال :

« .. بل لا يعرف الكاتب دراسات تناولت صحة هذه الاشعار ، غير رسالة الدكتور عبده عزام عن صحة شعر السيرة ، ورسالة كاتب البحث — الدكتور وليد عرفات — عن صحة الاشعار المنسوبة الى حسان » ص ٦٣ .

ولمزيد بيان ، اقول :

الرسالتان كلتاهما ، مكتوبتان بالانجليزية ..

والدارسان ، كلاهما ، اعدا بحثيهما تحت اشراف اساتذة انجليز ، ونالا بها درجة الدكتوراه من جامعة لندن فى عام واحد (١٩٥٣) .

ومساكين نحن الذين لم تتح لهم نعمة الدراسة العليا للادب العربى فى جامعة لندن .

والظاهرة اللافتة حقا ، اهتمام جامعة لندن بصحة شعر سيرة الرسول ، وشاعر الرسول ...

وهل جاء الدكتور عرفات بجديد حين قال فى جامعة بيروت الامريكية يعلن باسم الحرية :

« من العبث الحديث عن شعر عصر النبى ، وشاعر النبى ، اذا كان اساس البحث تناقض **صنعها** قوم بينهم وبين تلك الفترة وحوادثها قرن يزيد او ينقص » !.

كلا .. لا جديد .

انما هو الصدى المردد لدعاوى مريضة — غير علمية — ضج بها الميدان الغربى من منتصف القرن الماضى .. ولم يكن هدفها جحد شعر السيرة ، وانما المسألة اخطر من ذلك بكثير ، لانها ادخل فى دراسة شخصية محمد صلى الله عليه وسلم ، واصول الاسلام ..

فكل اخبار الرسول ، وكل احاديثه ، جاءتنا من طريق **الرواية ..**

ومتى اهتزت الثقة بالرواية ، انضمنا طريقنا الى معرفة تاريخ نبينا ، وتصدع كيان « السنة » المصدر الثانى للتشريع الاسلامى بعد القرآن الكريم ..

وليس صحيحا أن الدارسين العرب ، لم يبحثوا فى صحة شعر السيرة ، لحسان وغير حسان !.

فمن قديم ؛ **من عهد الامام مالك ،** معاصر راوى السيرة ، كان تجريح واتهام ...

و « ابن هشام » كاتب السيرة نفسه اشار الى الشك فى بعض اشعارها

وابن سلام ، تعرض للتنقية فى « طبقات الشعراء » أول كتاب نعرفه فى نقد الشعر العربى ..

ومحققو السيرة — طبعة الحلبى — وكلهم عرب مصريون ، قدموا بين يدى الكتاب كلاما طويلا فى الموضوع ..

ليس صحيحا اذن ، اننا انتظرنا حتى جاءت جامعة لندن ، تهدينا سواء السبيل !.

ولا كنا فى غفلة من هذا ، حتى كشف الدكتور عرفات عنا الغطاء ، واذاع السر الخطير ..

كل ما فى الامر ، اننا تناولنا قضية الوضع والرواية ، على منهج علمى لم ينحرف به زيغ الهوى وضلال التعصب وفتنة الاستهواء ! .

وبحثناها احرارا ، التماسا للحق وحده ، واحتراما لعقولنا وضمائرنا ، وتقديرا لخطر الرواية ، من حيث هى سبيلنا الى « السنة » والى معرفة قديم العربية والاسلام ..

وكنت بحيث ارجو الدكتور عرفات ان يقرا مواد (سيرة وحديث ، وتفسير) والتعليق عليها ، فى الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية لكن ... ماذا يجدى الرجاء ! .

التاريخ : ٢٧ / ٤ / ١٩٦٢

٤ كتاب من بيروت

اختلال الموازين .. وضلال المقاييس

الفصل الثالث من كتاب «الادب العربى فى آثار الدارسين» خاص بدارسى أدب العصر الاموى .
وفارس هذه الجولة « الدكتور جبرائيل جبور : عضـــو هيئة الدراسات الادبية لجامعة بيروت الامريكية »
واركز حديثى ، والمجال ضيق محدود ، فى ظاهرة لفتتنى حين قرأت هذا الفصل
وتلك هى ظاهرة اختلال الموازين وضلال المقاييس .



بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

ويتكشف اختلال الموازين ، حين يتصدى قاسيان من هيئة واحدة ، للحكم على دراسة ادبية واحدة ، فتصدر الاحكام متفاوتة ما بين الاهدار والاكبار !

واختلاف الاحكام على العمل الادبى ، باختلاف نقاده ومتذوقيه ، أمر مألوف لا غرابة فيه .

اما حين يكون الحكم على دراسة ادبية فالمفروض ان هذه الدراسة تخضع لضوابط منهجية هى التى تحكم فى التقدير . وحين يختلف النقاد فى الحكم على درس ادبى ، فان شقة الخلاف بينهم تضيق ، بمقدار تزاحمهم فى التقدير ، وتقاربهم فى المستوى العلمى ، وفهمهم لاصول المنهج التى تحكم الدارس والناقد على السواء ..

وواضح ان الجامعة الامريكية ، هى التى انفردت باختيار الاساتذة العشرة ، ولابد انها خضعت فى هذا الاختيار لمقياس واحد ، وان لم تفصح عنه ، اكتفاء بتقريرها انهم جميعا من خبراء الدرس الادبى وفرسان النقد المجلين ، وفى ظروف كهذه ، لانتصور ان يصل الخلاف بينهم فى الحكم على درس ادبى واحد ، الى المدى البعيد ، ما بين الاهدار والامتياز .

ولعل القراء يذكرون ما قلته اليوم فى الاسبوع الماضى ، من حكم «الدكتور وليد عرفات» على كتابى «تاريخ النقائض ، وتاريخ الشعر السياسى» للاستاذ احمد الشايب ، بأنهما :

الكتابان من الصعب ان يعزو الانسان لهما قيمة علمية على كل حال » ص ٦٣

فليسمعوا اذن حكم «الدكتور جبرائيل جبور» على اول الكتابين :
«والكتاب علمى فى منحاه وتأليفه غزير

المادة ،وكثير الشواهد التى تبين خصائص كل شاعر . وقد ملأ فراغا فى المكتبة العربية التى لم تغن بعد بمثل هـــذه الدراســات . وقد وفق المؤلف فى تحليل الشعر وربطه بحياة الشاعر ومزاجه ، وبيئته ، ووفق كذلك بأكثر الاستنتاجات التى وصل اليها» ص ٨٨

فهل ضاعت ضوابط الدرس المنهجى ، بحيث يمكن ان يختلف فيه الرأى ذلك الاختلاف البعيد ؟

وما حرمة الموازين ، اذا تفاوت التقدير بها الى ذلك المدى ؟

والذى اخشاه ، ان «الدكتور جبور» لم ير باسا فى ان ينصف استاذا او اثنين من جامعة القاهرة ، كى يستجمع قواه للطعنة المسمومة التى وجهها الى هـــذه الجـــامعة ، فى اتهـــام صريح ، ضلت مقاييسه فيه ضلالا بعيدا ! .

احد المتهمين : الدكتور شوقى ضيف استاذ الادب العربى بجامعة القاهرة ، فى كتاب قيم الفه عام ١٩٥٢ عن «التطور والتجديد فى الشعر الاموى»

وتهمتـــه «الاخـــذ» عن كتـــاب للدكتـــور « جبرائيـــل جبـــور » فى عمر ابن ابى ربيعة،مطبوع ببيروت عام ١٩٣٥ .

وتذكى الدكتور جبور كتابه هذا ، بكلام طويل ، واعتبر دراسته لابن ابى ربيعة «من اولى المحاولات للتوسع فى دراسة شخص واحد وبحث اثره باسلوب علمى . وقد لفتت انتباه النقاد واصبحت مرجعا لمن يريد دراسة عمر» ص ٨٦،٨٧

ثم لما عرض سيادته لكتاب الدكتور شوقى ضيف، كانت التهمة الخطيرة «النقل عن الكتاب المذكور ؛ ودليل التهمة عنده :

«ان المؤلف كتب فصلا فى نحو ٢٢ صفحة عن عمر بن ابى ربيعة . ومن غرائب الصدف ان يكون من المصادر التى رجع اليها فى بحثه عن عمر ، واتفق وجبرائيل جبور بذكرها والرجوع اليها ، كتب كشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ، والكامل لابن الاثير ، والاشتقاق لابن دريد والموشح للمرزبانى ؛ وتاريخ الطبرى . وكان يكفيه فى مثل بحثه العام ان يرجع الى الاغانى لابى الفرج الاصبهانى !!! واغرب من هذا ، توصله الى الاستنتاجات نفسها التى توصلت اليها عن ولادة عمر ومرونه وموت والده ..» ص ٩٠

فهل سمعت الدوائر العلمية بمثل هذا دليلا على تهمة كهذه ؟.

اذن فنحن جميعا يمكن ان نتعرض لمثل ذلك الاتهام ؛ فما من دارس عندنا، يستغنى عن الرجوع الى هذه الكتب وليست حكرا لمكتبة جامعة بيروت .

وحمدا لله ، على أن الدكتور جبور لم يقرأ كتابى عن « سكينة بنت الحسين » وقد كانت الكتب التى ذكرها ؛ من بين مراجعى فى تحقيق صلة سكينة بعمر .

ولست ادرى . ان كنت فيما استنتجت من رأى يخالف الشائع الذائع، عن سياسة بنى امية فى افساد الشباب الهاشمى بالحجاز ، واستئجار الشعراء للتغزل فى الشريفات الهاشميات ؛ ثم ما اطمأننت اليه من ان قصائد عمر فى سكينة وغيرها من سيدات المجتمع ، لم تكن تسجيلا لواقع «بينه وبينهن» وانما كان يختار اسما لجميلات عصره ، لقصائده عن مغامرات وهمية لها

اقول: لست ادرى ان كان هذا ومثله مما وصلت اليه فى كتابى عن بنت الامام الحسين، قد سبقنى اليه الدكتور جبرائيل جبور فى كتابه عن عمر ؟ لكن الذى ادريه يقينا ، اننى لم انشرف حتى الساعة ، بالاطلاع على كتابه الذى اعتبره مرجعا لمن يريد دراسة عمر ، وعصر عمر !

ومتهم آخر : الدكتور احمد عبدالسلام الجوارى . وهو استاذ بجامعة بغداد ، لكنه تلقى دراسته فى جامعة القاهرة ، ونال منها درجات الليسانس والماجستير والدكتوراه فى الادب العربى .

وتهمته انه سرق الفكرة والمادة والبحث فى كتابه «الحب العذرى» الذى اجازته آداب القاهرة لدرجة الماجستير وطبع عام ١٩٤٨ ؛ عن كتاب بنفس العنوان ، للسيد موسى سليمان ، اعده اطروحة لنيل درجة البكالوريوس من جامعة بيروت الامريكية وطبع هناك سنة ١٩٤٧ .

ولا اناقش الدكتور جبور فى تقديره لمستوى الرسالتين ، وحكمه بأن رسالة موسى سليمان — قد احاطت بالموضوع من جميع جوانبه ، ووفقت كل التوفيق (ص ١٠)

وعلى رسالة الجوارى بأن صاحبها «اشتط فى تفريعاته ؛ ولم يقف عند نقاط معينة من موضوعه ، ولا اعطى القارئ

التاريخ : ٢٧ / ٤ / ١٩٦٢

فكرة توجيهية يريد ان ترسخ فى العقول والقلوب . الا يدل ذلك على انه سرق فكرة الاستاذ سليمان، ثم لم يحسن معالجتها واراد بذلك ان يحجب عن نفسه الشبهة ويحجب الناس عن اشتباههم به؟ من بدرى؟» ص ٩٠

اجل ، لا اناقش الدكتور جبور فى تقديره لمستوى الرسالتين ، وانما اقف عند هذا الاتهام الصريح بالسرقة ، مع العمد وسبق الاصرار !

فانا اعلم علم اليقين ، ان الدكتور الجوارى اعد رسالته هذه عن «الحب العذرى» قبل ان تطبع رسالة السيد موسى سليمان بزمن ..

ووثائق جامعة القاهرة بين يدى تسجل ان الجوارى قيد موضوعه لدرجة الماجستير عام ١٩٤٥ عقب نيله درجة الليسانس الممتازة من آداب القاهرة .

واتم بحثه فى «الحب العذرى» ونال درجة الماجستير عام ١٩٤٧ ، كما هو مثبت فى الكتاب الفضى لكلية الآداب بجامعة القاهرة (ص ٢٢٣ ، ٣٤٢)

فكيف يمكن تصور ، اخذ الجوارى لفكرة رسالته ومادتها وبحثها ، من كتاب طبع فى بيروت عام ١٩٤٧ ، والرسالة قد تم اعدادها قبل ذلك ، وتمت مناقشتها العلنية بالقاهرة ، قبل صيف ١٩٤٧ ؟

وليس من الغريب على كل حال ، ان نخرج من هذه الجولة ونصيبنا من الحكم :

استاذ بجامعة القاهرة ، متهم بالنقل من كتاب استاذ بجامعة بيروت الامريكية .

وطالب ماجستير فى آداب القاهرة ، متهم بالسرقة عمدا مع سبق الاصرار ، من أطروحة بكالوريوس، لطالب بالجامعة الامريكية فى بيروت ..

والبقية تاتى

التاريخ : ٤ / ٥ / ١٩٦٣

٥ كتاب من بيروت

شبكة معقدة .. يحار فيها الدليل !

الحولة الرابعة في كتاب بيروت «الادب العربي في آثار الدارسين» خاصة بدارسي الشعر العباسي الى اخر عهد المتنبي ..

وقد جال فيها فارسها « الدكتور انطون غطاس كرم » جولة طويلة تشعبت فيها الدروب والمسالك ، فاذا بنا آخر الامر امام شبكة معقدة ، يشق علينا ان نلتقط الخيط الرئيسي فيها ، لطول ما لف بنا الفارس ودار ..

واذا كنت اهتديت — فيما اظن — الى هذا الخيط ، فالحق اني بذلت ما في طاقتي من صبر وجلد واحتمال ، كي استخلصه من خيوط اخرى مرهقة يضل فيها النظر ويحار الدليل !

بل اني لاتساءل : ان كنت حقا قد اهتديت الى الخيط الرئيسي :

لقد بدا لي ان الدكتور انطون غطاس كرم ، القى الثقل في جولته على عميد الادب العربي استاذنا الدكتور طه حسين

وفي سبيل هذا الهدف ، لم ير بأسا من ان يجبر خاطرنا ، فيقول كلمة طيبة عن كتابين او ثلاثة ، مما الفه تلاميذ الدكتور طه حسين ، حتى اذا وصل الى استاذنا تغيرت النغمة ، وتعقدت الخيوط وتاهت المعالم ..

واهتز ميزان العدالة في يد الدكتور انطون غطاس ، حين حاول ان يمضي الموقف بعبارات مبهمة ، تحمل بعض القارئ المعجل انه امام قضية نقد علمي ، صريح ونبيه

لكن التواء المحاولة ، كشف عنه ما انتهت اليه من احكام متناقضة متدافعة يهدم بعضها بعضا ، ويرد بعضها على بعض ..

فسيادته يقدم لنا «حديث الاربعاء» دراسة ادبية اللها صفة الاحاطة ودعاما الحجة الناصعة» ١٣٢

ثم لا يلبث ان ينفي عنها ما اثبت بكلام جارح يملأ ثلاث صفحات

جولة : للدكتور انطون غطاس كرم

تعلق عليها : الدكتورة بنت الشاطئ



د. زكي مبارك



د. طه حسين

لسذاجة الاحاطة ، ينتقيها بمثل قوله ان الدكتور طه «يجرى فى احاديثه على غير ما استقصاء يتحرى الملامح ولاتصال الى الدقائق، فاذا به يخطىء طريق المؤرخ الحق فى جلاء الشك .. ويخطىء الناقد الفنى اذ الم الى مواطن الجمال لمسا عاجلة » .

ودعاية الحجة الناصعة ، تتهاوى بمثل قوله :

«ان حديث الاربعاء قد جاءت فيه الاستنتاجات العامة محل اللطائف المستدقة وخالط عرض الحقائق لون من التحدى الخطابى فى الاثبات .. ولا تدبر القول على سبيل التخصيص، فيقع الحكم هامشا عاما خلوا من الدلالة » ١٢٢

فباى قوليه ناخذ ؟ وفى ايهما هو صادق ؟

وكذلك فعل بكتاب الدكتور طه « مع المتنبى » :

فهو عنده : « دراسة تمثل — بالنسبة الى الدراسات العربية الخاصة — اوجه معينا ، ومن ميزاتها ان المحاولة قد استخدم خلاصة ما قيل فى الشاعر : رواية وخبرا ونقدا » ١٤٥

لكنه لايدع هذه الكلمة الطيبة تمر دون ان يعقب عليها بقوله :

« وتبوكا — فى احسن ظنونا — على النتائج التى انتهى اليها المستشرق بلاشير : يتبناها حينا ، او يردها على شك وافتراض حينا آخر » .

ويمضى ليقول عن كتاب استاذنا «ونحسبنا اذا الحنا توفرت عندنا [illegible] واحدة هذه الخصائص مجموعة تنضم المرانة الى الذوق الفنى والثقافة الجامعة »

ثم لايدعها تمر دون ان يعقب عليها بمثل قوله :

« غير ان طبيعة هذا البحث لاتختلف فى جوهرها عن مباحث طه حسين فى عرفناه فى حديث الاربعاء ، ومن حديث الشعر والنثر ولعل مأخذ مغير المعنا اليه هنالك يبدو مجسما هنا .. »

« بل ان هذا الانحراف عن العلم بمعناه المحدد . وقد وضعنا لذلك خاصا كثيرا ماحدا المؤلف الى بناء وتقاسيمه والاحداث على الحدس والتخمين .. »

« ثم ارسل من الناحية الجمالية حكما بدائيا عاما لاقيمة فيه .. »

« واما اوله .. فتتلقانا اصطلاحات مستعارة ؛ وتلبسنا موجة غامضة اجوائه ، بصدق على القسم الاكبر من القصائد العربية الصادرة .. وهكذا ضاعت الموضوعية وطغت عليها التعميمات الجوفاء » ١٤٧

وهكذا يتأرجح الميزان ارتفاعا وانخفاضا فى الحكم على الحدث الواحد بالنقيضين ، دون ان يضبطه مقياس واضح يصونه من خلل الذبذبة ، ويحفظ له معنى الاتزان ..

واعود فاطيل التحديق فى الشبكة المعقدة ، فارتاب فى هذا الخط الذى كشفت عنه ؛ ويخيل الى ان هناك خيطا سواه ؛ ربما كان اولى بالاهتمام ..

ذلك هو ترويج الدعاية لدراسات المستشرقين ، وترسيخ الثقة فيها ؛ وشد الدارسين المحدثين اليها ، اذا شاءوا ان يتقنوا درس ادب العربية والاسلام، على ادق منهج علمى وان يفهموه حق فهمه !

فعند الغربيين وحدهم مفتاح الكنز ، وفى اصابعهم الاجنبية خاتم سليمان !.

ونحتاج الى وعى يقظ ، لنلتقط طرف الخيط من اول فقرة تطالعنا « الدكتور انطون قطاس كرم » ، لانفقده ابدا حتى الفقرة الاخيرة

فقد بدأ حديثه بعبارة من كلام « [illegible] البوت » خلص منها الى تحية مؤتمر بيروت الكريم، ثم انطلق فى جولته فكان اول حكم نطق به هو :

« ان الدراسة الادبية فى العالم العربى من زمان جرجى زيدان الى عهد طه حسين ، قد نحت نحو المستشرقين . اذ حقق المستشرقون اعمالا فى غاية الجلال ، من حيث احياء هذا التراث الشعرى وضبطه وشرحه ورده الى اصوله ، ونشره على دقة ، وتمحيص ضمير وثقافة ، واخلاص متعطش الى اليقين .. » ١٢١

ولم يعجبه مع ذلك «انشغالنا بالتحقيق عن التقسيم (!) وبالتدوين عن تحليل اكبر الجمال المرصود .. فتضاءلت فينا قوة الاختراع ، وانحرفنا عن العطاء البكر ..

ثم ان الدارسين عندنا طلبا تخلوا بطاقة الاناة الصوفية ، والاصطبار المثابر فى الاستقصاء ؛ وانما ضمت جوانحهم ثقافة انسانية سامية، فقصروا عن المستشرقين فى الشرطين الاساسيين » ص ١٢٢

ودار الفارس فى الحلبة دورة ، ثم

وقف بطال من علماء النقد الغربي عاصر دراسات في الادب المقارن لبعض الاساتذة المصريين ، فعدت له عزيلة بدائية ، قال :

«وكان خليقا ان نقف هنيهة عند نوع ... من انواع الدراسات الادبية ، الا وهو نوع الموازنة الادبية . كالذي حاوله زكي مبارك في الموازنة بين الشعراء وعباس حسن بين المتنبي وشوقي ، ذلك ان هذا النحو في الموازنة الادبية ، قد تحقق على نطاق اعمق في الادب المقارن منذ نيف وثلاثة ارباع القرن في العالم الغربي ، مما جعل هاتين المحاولتين بدائيتين حقا ، بالنسبة الى الشوط البعيد الذي جازته الدراسة الغربية في هذا المضمار» ١٤٨

ولا ارى جدوى في تذكير الدكتور انطون غطاس ، باصالة الموازنة الادبية في النقد العربي ، وقديم تراثنا منها ، من عهد «ابن سلام» في طبقات الشعراء ، و «الآمدي» في الموازنة بين الطائيين : البحتري وابي تمام ، و « الجرجاني » في الوساطة ، «العميدي» في الابانة ..

بل امضي معه الى آخر الشوط ، لاسمعه يقول عن رصيدنا من المقالات الادبية في الشعر العباسي :

« وفيما كان المستشرقون ينشرون مقالاتهم على حد طويل ، وحرص وتحر ، كانت اكثر المقالات الادبية عندنا ، تكتسي التعجل والاسراع ... الصحفية ... الزائلة . ولربما كان للنكسة التي منيت المجلة الادبية في الشرق العربي ، اثر مثلهم في هذا الانحدار» ١٤٨

ويقول عن المشتغلين بنشر تراث العصر العباسي :

« .. ثم انهم في المرحلة الاخيرة ، وبعد اطلاعهم على احدث الاساليب العلمية ، واحتذائهم نمط المستشرقين ، قد اتخذوا مقاييس علمية ... للنشر ، يعتمدونها قواعد لا محيص عنها حتى ينكشف الحق لطالبه » ١٥٧

ومن قبله ، بالغ الدكتور جبرائيل جبور في الحفاوة بالمستشرقين ، وقال فيما قال :

« وكنت اود — على ذكر المستشرقين — لو كلف باحث خاص في هذا المؤتمر ، بعرض ما ساهم به المستشرقون في الحقب الاخيرة ، من دراسات عن آثارنا الادبية وغيرها . فان دراساتهم جديرة بان تعرف وان تتخذ مثالا ينسج على منواله . واقترح على لجنة المؤتمر للسنة القادمة ، ان نقصر عمل المؤتمر اذا امكن ، على ماساهم به المستشرقون في حقلي التاريخ والادب عن العصور العربية المختلفة » ٨٤

وكذلك فعل الدكتور وليد عرفات ، حين حكم على المشتغلين بما بدراسة ادب العصر النبوي ، بالخطأ والتخبط ، باستثناء اثنين تلقيا دراستهما العليا لادب العربية والاسلام على اساتذة انجليز ، ونالا درجة الدكتوراه من جامعة لندن ، فكتبت لهما النجاة مما وقعنا فيه من خطأ وضلال ..

ومن قبله ، اعلن الدكتور صالح العلي ان « اكثر مراكز الاشعاع لدراسة ادب العصر الجاهلي : الجامعات التي انشئت على نمط غربي او تاثرت به » !!

فهل هذا هو الخبط ؟

مازلت اقول ان الشبكة تبدو معقدة الى درجة تحير الدليل .. ؟

ولا مفر من انتظار ، ريثما نفرغ من تتبع الجولات السابقة ، لفرسان الميدان ..

فالى الملتقى

التاريخ : ١١ / ٥ / ١٩٦٢

٦ كتاب من بيروت

سلام على الحق والتاريخ !

جولتان : للدكتور عمر فروخ والأستاذ موسى سليمان

تعلق عليهما : الدكتورة بنت الشاطئ

في تتبعي لكتاب ((الادب العربي في آثار الدارسين)) احاول اليوم ان القي نظرة سريعة على جولتين من جولات الفرسان العشرة ، لما بينهما من تداخل وتماس :

فاحدى الجولتين ، حدد لها الشعر العباسي من عهد المتنبي الى سقوط بغداد ، واختص بها ((الدكتور عمر فروخ)) .

والاخرى ، حدد لها النثر العباسي وفارسها ((الاستاذ موسى سليمان)) من ابناء الجامعة الامريكية في بيروت ..

وتتماس الدائرتان ، حين يكون الحكم على دارس لادب عباسي ، شاعر وناثر ..

وتتداخلان في كل دراسة لادب العصر العباسي : شعره ونثره ..



والواقع ان ((الدكتور فروخ)) اعفانا — أو اعفى نفسه — من مناقشته ، حين بدأ كلامه عن دارسي الشعر العباسي من المتنبي الى سقوط بغداد ، باقرار صريح : ان هذه الحقبة فرضت عليه فرضا — ص ١٥٨ .

ومع الفرض الاجباري ، لا مجال للمناقشة ...

انما تحدى المناقشة ، حين تتوفر للناقد حرية اختيار المجال الذى يمارس نشاطه فيه ، ضمانا لامتلاكه زمامه ، واقتداره عليه ، وارتباطه به ..

ولا عجب ان رأيناه ، يقصر همه على ثلاثة شعراء لا يعدوهم : المتنبى وأبى فراس ، والمعرى ..

فاذا تحدث عن ((المتنبى)) ظل الحديث يلف ويدور حول نقطة بعينها : ماذا قال الدارسون عن نسب المتنبى ، وماذا فى كتب الاولين والاخرين عن حرفة ابيه .. ملأ بهذا الكلام ، اربع صفحات ينتقل بعدها الى ((أبى فراس)) حيث يقصر كل همه ، على نفى تأثر الشاعر — فنيا — ببقائه اسيرا فى بلاد الروم ، بضع سنوات .

ويجىء دور ((أبى العلاء)) فاذا الحديث — كل الحديث — عن موت والده ، مع كلمتين عن ترتيب ((اللزوميات)) ونشأة ((الدرعيات)) .

ويقدم الدكتور فروخ قائمته لاعمال الدارسين للشعر العباسى فى تلك الحقبة ، فلا أرى عجبا أن يذكر ... لى مقالا بمجلة الهلال ، ومقالا آخر عنوانه « أبو العلاء مكانه فى الحياة — مجلة الاديب ١٩٤٤ » لا اذكر اطلاقا انى كتبته او سمعت به قبل اليوم !

ولا كلمة ، فى حديث الدكتور فروخ او قائمته ، عن كتب لى وبحوث فى أبى العلاء الذى تخصصت فى دراسته ؛ وكانت ((الحياة الانسانية عند أبى العلاء — ط المعارف ١٩٤٤)) موضوع رسالتى للماجستير ، كما كانت ((الغفران)) موضوع رسالتى للدكتوراه ، وقد طبعت بالمعارف مرتين ، أولاهما ١٩٥٤ .

ولا اشارة ، فى البحث او القائمة ، الى النص الذى حققته لرسالة الغفران ، وهو يطبع الآن للمرة الثالثة فى سلسلة الذخائر .

واذا كان هذا مبلغ احاطة الدكتور فروخ بالدراسات العربية المعاصرة لادبنا الاكبر اذا استبعدت قائمته المقال فى مجلة الهلال وآخر فى مجلة الاديب — لا علم لى به — وتساقطت عن بحوث اجازتها الجامعة لاعلى درجاتها ، وكتب طبعت مرتين وثلاثا ، فسلام على الحق والتاريخ فى كتاب تدعى جامعة بيروت الامريكية انه السجل الكامل لكل ما كتب عن عصور الادب العربى !

ومـاذا القول عن محاولة الاستاذ ((موسى سليمان)) فى ميدان النشر العلمى ؟

أوثر ان أبدأ بالوقوف عند نقطة أعرفها حق المعرفة ، لكى أقيس بها درجة الدارس ، واستشف موازين الناشر .

تلك هى ((رسالة الغفران)) التى ملأ الكلام عنها صفحتين من الكتاب .

وأقرر هنا ... : ان الاستاذ موسى ، حكم على الطبعات التى نشرت للغفران ، عن غير علم او دراية !

فتجربته لنسختى هندية وكيلانى ، (ص ١٩٨) منقول بنصه ، من وصفى لهما فى الطبعة الاولى للنص الذى حققته !

فهل معنى هذا ، انه قرأ تحقيقى للنص ؟

أشهد ان لا وانما الذى علمه نظرة عابرة ، التقط منها وصفى لبعض النسخ ، ومنهجى فى التحقيق .

ثم تفضل — كثر خيره — ... ، ... .

وما فرحة لم تتم . . .

وما ما أشد أسفى ، اذ أرد هذا الثناء ، حين لاح لى انه ، بعد ان ثبت ان الاستاذ موسى لم ينله عن فحص واختبار ، وانما ارتجله اثر النظرة العابرة التى القاها على ما قدمت

اضفته الى الطبعة الثانية من الغفران؛ لانه يحتاج اليها .

ولادرك انني اسلمت نص الغفران ، في طبعته الثانية على اسلوبين آخرين؛ عثرت عليهما في مكتبتي الاسكندرية وسوهاج ، بعد ظهور الطبعة الاولى .

وفاتني العلم بهما اذ ذاك ، لخطأ في فهارس المكتبتين .

من ذى النص ، من بستان المنهج تحقيقه! بدليل :

انه زعم انني حققت النص « بمساعدة فريق من الطلاب الجامعيين لى في عملى الطويل » ١٩٨ .

التقط هذه الفكرة من قولي في المقدمة : ان «الاستاذ مصطفى السقا» قام معي بقراءة العراضة التي لا يسهل ان يقوم بها فرد واحد ، وان «الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي » ساعدني على قراءة الخط المغربي ، في نسخة الشنقيطي .

وبدليل :

انه ذكر اني نشرت نص الغفران في جزءين ، أولهما ١٩٥٠ والثاني ١٩٥٤ .

ولا علم لي بجزء ثان للغفران . .

فالنص الذي حققته ظهرت طبعته الاولى كاملة ، في مجلد واحد ، سنة ١٩٥٠ .

أما هذا الجزء الثاني المزعوم ، فالتقطه الاستاذ سليمان ، من فهرست لمطبوعات المعارف ١٩٥٤ ، وفيه ذكر الغفران . . .

وليست جزءا ثانيا للرسالة ، وانما هي دراسة نقدية موضوعية ؛ لما حول النص ، وأسلوبه ، ومعالمه الكبرى ، ومكانه في النثر العربي ، وفي الادب العالمي ، وتحقيق صلته برسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الاندلسي ، وبالفردوس الضائع لميلتون الانجليزي ، والكوميديا الالهية لدانتي الايطالي !

فكيف صارت هذه الدراسة جزءا ثانيا لرسالة الغفران ؟

قد يقال : ان الامر اشتبه على الاستاذ موسى لظهور طبعة ثانية من رسالة الغفران سنة ١٩٥٧ ، فذكر سهوا انها جزء ثان ، وسجل لها عام ١٩٥٠ ، سهوا كذلك :

واقول : كلا . . اذ لو كان اطلع الطبعة الثانية ، لما فاته ان يقف الى جانبها من النثر العباسي ، حتى لنص « رسالة ابن القلاح » الذي

ومن هنا ، لا استحل ــ مع شديد الاسف ــ تقبل الثناء الذي يتفضل الاستاذ موسى فاغدقه على !

ومرة أخرى أقول : سلام على الحق والتاريخ ، في كتاب يزعمون انه جمع فأوعى . .

وكلمة اخرى اقولها على استحياء :

للاستاذ موسى سليمان ؛ كتاب عن «الادب القصصي عند العرب » لم يسعفني الحظ بقراءته ؛ لكني لم أهتم أن يزكي الاستاذ كتابه بمثل قوله :

« . . . كما يعتبر كتاب الادب القصصي عند العرب ـ لموسى سليمان ـ البحث الوحيد في القصص العربي القديم من مقتبس وأصيل . وهذا الكتاب في تقسيمه القصص العربي ؛ ودراسته كل قسم منهما دراسة ادبية نقدية مفصلة وفي الجدول الوافي المدعم فيه أسماء الكتب القصصية التي عرفها الادب العربي . . . وفي مقدمته التي تستعرض آراء النقاد العرب والمستشرقين . . يعتبر من أوفى الدراسات النقدية الموضوعية التي صدرت في اللغة العباسية حتى اليوم! » ٢١٠ .

لكني أعود فالتمس العذر للاستاذ موسى ، حين اذكر أن الدكتور جبرائيل جبور وقف قلمه على منصة الثناء ، في حق كتابه عن عمر بن ابي ربيعة بكلام طويل ، وقال فيما قال :

« وكتاب عمر . جبرائيل جبور دراسة علمية استند فيها المؤلف الى مختلف المصادر التي يمكن الوصول اليها ، بحيث يزعم انه لم يعرف مصدرا ذكر عن عمر شيئا ولم يقرأه ويقلد اوجه . . ويلاحظه نقل خبر على الى مصدره . وعارض الروايات المتناقضة وحللها وناقشها ومحص ما ورد فيها تمحيصا دقيقا . . . وتعتبر هذه الدراسة من اولى المحاولات التوسعية في دراسة شخص واحد وبحث أثره بأسلوب علمي . وقد لفتت انتباه النقاد واصبحت مرجعا لمن يريد دراسة عمر . . . » ص ٨٦ ، ٨٧ .

والدكتور جبور ، أستاذ بجامعة بيروت الامريكية .

والسيد موسى سليمان من تلامذتها . ومن شابه استاذه فما ظلم !

التاريخ : ١٣ / ٥ / ١٩٦٣

الدكتورة بنت الشاطيء استاذ كرسي الادب العربي

■■ وافق المجلس الاعلى للجامعات على تعيين الدكتورة عائشة عبد الرحمن استاذا لكرسي الادب العربي بكلية البنات بجامعة عين شمس والدكتور زكي نجيب محمود استاذا للمنطق ومحمد توفيق الطويل استاذا للاخلاق بآداب القاهرة وعبد القادر القط استاذا للغة العربية بآداب عين شمس .

وارسلت هذه القرارات الى وزير التعليم العالي للتصديق عليها في المدة التي حددها القانون

التاريخ : ١٨ / ٥ / ١٩٦٢

٧ كتاب من بيروت

جولتان في منطقة الظل !

بقلم الدكتورة

بنت الشاطئ

هل كان في استطاعة جامعة بيروت الامريكية ، ان تختار فرسانها العشرة ، وليس فيهم واحد من مصر وسورية ؟

كلا .. فان الموقف هكذا يبدو مريبا غاية الارابة : اذ لايتصور العالم العربي ان يقام مؤتمر للادب العربي في آثار الدارسين المعاصرين ، مع تجاهل منطقة يقرر التاريخ والواقع انها قلب الوطن العربي النابض والمركز الحي الخصب لدراسة ادب العربية والاسلام ، وصون تراثهما ..

وقد تجحد جامعة بيروت الامريكية هذه المكانة ، لكن من حملها امام شهادة التاريخ وسلطان الواقع ؟.

كان لابد اذن ، من اختيار اثنين من مصر والشام ، ليكونا ضمن فريق الفرسان العشرة ، الذين دعوا ليقوموا الدارسين منا لادب العرب ، ويحكموا عليهم من منبر بيروت ..

وقد فعلت الجامعة ..

اختارت من سورية : الدكتور (شكري فيصل) وهو المعروف بدماثة الطبع وحياء القلم واللسان .

واختارت من مصر : ((المرحوم الدكتور كامل حسين)) ، الذي لانعرف له الحياة الادبية تخصصا او خبرة ، بغير المكتبة الفاطمية :

سبيلها ؟ ٢٠٩

واغلب ظني ، ان ... المحسوبة من ناحية ، واحساسه بضيق الحيلة من ناحية اخرى ، اسبابه ماكان ... في مواجهة اولئك الذين تجنوا على مصر وسورية ، وجحدوا جهود ... في خدمة ادب العروبة .

ولو كنت مكان الدكتور فيصل ... لما تحرجت من الشهادة ...

وقدرت الجامعة فيما قدرت ، ان هذين الناقدين ، كليهما لن يهون عليهما التعدي على مصر وسورية .

ولذلك حددت لهما جولتين فسيحتين ، في منطقة الظل ، لامجال فيها اكثر وفر ..

فكان « الادب الفاطمي » من نصيب الدكتور كامل .

وكان « عصر الانحطاط ، المملوكي والعثماني » من نصيب الدكتور فيصل .

واثرت غيرهما ، بكل المناطق الحسنة الخصبة، من ميدان الادب العربي: الجاهلي وصدر الاسلام ، والاموي ، والعباسي، والعصر الحديث ..

وقف الدكتور كامل — رحمه الله — على المنبر ، فلم يجد مايقوله في الادب الفاطمي ؛ الا ان يقدم مادة مرصودة والنصوص التي نشرها من تراثه ..

ثم تطلع فيما حوله ، محسورا في الجولة الضيقة، فلم يجد للمعاصرين من الدارسين العرب ، مشاركة ذات بال في هذا المجال اللهم الا بضعة آثار معدودة محدودة ، القى عليها نظرة سريعة ، ثم انهى جولته قائلا :

« ومما سبق يتضح لنا ان البحث في الادب الفاطمي لايزال يحبو . والجهود التي بذلها علماء العرب لاتزال في البداية بل اخشى ان اقول ان الناس لايزالون ينظرون الى العصر الفاطمي نظرة .... بذهبية ... ومجال البحث فيه ... من دواوين الشعر الفاطمي او مجموعاته لاتزال في حاجة الى من يبعثها من قبورها» ص ٢٥٠

وكذلك وقف « الدكتور شكري فيصل » يطل على المنطقة المحددة له ، من سقوط بغداد حتى اوائل النهضة ..

ثم لم يجد آخر الامر سبيلا الا ان يتحدث عن تراث العصر ، ويتحاشى الحكم على اي دارس من دارسيه ..

وانتهت جولته وهو ينادي المتحرج ، لا بد من حقه ان يرتدي وشاح الشفاء ، ولاسبيل امامه لينطلق انطلاق الفرسان !

وقال معتذرا عن خروجه على الخطة المرسومة للفرسان العشرة :

« وقد استبق المؤتمر) امنية ذكر المطبوعات ومصادرها ، وذكر المؤلفات ومؤلفيها وعرض المقالات والتعريف بها .

« ولم استطع ان اخذ بكل جزئيات هذا الاتجاه ، لا مجانبة له ولا ازورارا عنه وانما فرض الموضوع على طبيعته منهجا اخر .. ذلك ان سعته ، وغموضه ، والافكار الضيقة القصيرة حوله — وهي لاتكاد تتجاوز مستوى التدريس الثانوي — دفعتني ان ارسي هذه الدراسة على اساس منطقي تعليلي ، يكشف عن حقيقة هذه الفترة ، ويحدد معالمها ، ويرسم الطريق الذي يجب ان يسلك في

والتاريخ يصدق قولنا على ما نقول :

ان مصر والشام، صدتا معا لحماية العربية والاسلام ، من الاعصار التترى وآثاره المدمرة ، فما ان فرغت هذه الجبهة الموحدة ، فى قلب العالم العربى ، من صد موجة التتار العاتية ، حتى بدأت دورها الجليل فى استنقاذ بقايا التراث الفكرى والادبى والثقافى للعرب ، بعد ان دمر الاعصار التترى مالا يحصى من كنوزه ، فى بخارى ونيسابور والرى ثم اكتسح العراق فاتلف من ذخائر المكتبة العربية مالا يحصى ولا يعد ..

ولقد دعت فى هذه المناسبة ، بكثير من الفخر والاعتزاز ، رصيد قومى فى السنين المائة الاخيرة ، من احياء الذخائر التى دونها اجدادنا بعد سقوط بغداد .

وكان حسبى ان اذكر منها :

معجم البلدان ، ومعجم الادباء لياقوت الحموى الذى شهد خروج التتار من الشرق فى صدر القرن السابع ، ففر عائدا الى بلده ، واستقر به المطاف اخيرا فى ظاهر حلب ، ليدون لنا — فيما دون — هاتين الذخيرتين الغاليتين من تراثنا .

ونشرنا من الموسوعات التى دونها اجدادنا دوائر معارف عربية .

((صبح الاعشى)) لشهاب الدين القلقشندى المصرى من اعلام القرن الثامن — طبعته دار الكتب بالقاهرة محققا ، فى اربعة عشر مجلدا .

((ونهاية الارب فى فنون الادب)) لابى العباس النويرى ، الذى خاض معركتنا مع التتار جنديا فى جبهة الشام ، ثم آب بعد النصر الى داره بمصر ليهب كل ما بقى من عمره لتدوين موسوعته .

طبعتها دار الكتب بالقاهرة محققة ؛ وصدر منها حتى عام ١٩٦٠ ثمانية عشر مجلدا .

ومن تراث " ابن حجر العسقلانى ، المولود بمصر عام ٧٧٣ ، طبعنا ((الاصابة)) فى ثمانية مجلدات ؛ والدرر الكامنة ، ونخبة الفكر .

ومن ذخائر العصر اللغوية والادبية ، نشرنا : خزانة الادب ، وثمرات الاوراق لابن حجة الحموى شاعر الشام فى القرن التاسع . و ((لسان العرب)) لابن منظور الافريقى المصرى ، فى عشرين مجلدا .

((ومغنى اللبيب)) لابن هشام المصرى امام النحو واللغة فى القرن الثامن الهجرى .

وطبعنا من شروحه شروح الائمة الاشمونى ، والدسوقى ، والدمامينى الاسكندرى ، والازهرى الجرجاوى .

وطبعنا مرارا . الفية ابن مالك، تلميذ دمشق والذى تصدر لتعليم العربية بحلب فى القرن السابع

ومرارا كذلك ، طبعنا ((كتاب الكافى فى علمى العروض والقوافى)) لابن شعيب القنائى ، من اعلام القرن التاسع .

ومن تراث « الصفدى » طبعنا : نكت الهميان سنة ١٩١٠، والغيث المسجم سنة ١٢٦٠ هـ ، ودمعة الباكى سنة ١٢٠٧ هـ

ومن تراث « الشهاب الخفاجى المصرى المولود بقرية سرياقوس» طبعنا : شفاء الغليل ، وشرح درة الغواص ، وطراز المجالس .

ومن تراث «جلال الدين السيوطى : ابن الصعيد)) نشرنا : بغية الوعاة، وحسن المحاضرة ، ومشتهى العقول ، والاتقان، والمزهر ..

وللوزير القفطى ، ابن الصعيد كذلك ، نشرنا طبعة محققة من ((انباه الرواة)) بدار الكتب المصرية .

وللبديعى الدمشقى . طبعنا : الصبح المنبى عن حيثية المتنبى ، وهبة الايام فيما يتعلق بابى تمام .

ومن كتب التاريخ وتراجم الرجال ، التى تعد مراجع لدارسى الادب ، نشرنا من تراث اجدادنا علماء مصر والشام ،

بعد سقوط بغداد :

((تاريخ حلب)) لابن العديم الحلبي في طبعة محققة بدمشق .

والخطط ، والسلوك ، والاتعاظ ، واغاثة الامة — للمقريزى ..

ولتلميذه ((ابي المحاسن)) طبعنا ((المنهل الصافي)) ونشرنا ((النجوم الزاهرة)) في طبعة محققة بدار الكتب .

ولشمس الدين الذهبي ، امام دمشق في القرن السابع ، نشرنا طبعة محققة من كتابه الجليلين : سير اعلام النبلاء، وتاريخ الاسلام .

وطبعنا ((المختصر في اخبار البشر)) لابي الفداء ، السلطان المؤيد : صاحب حماة

و ((تتمة المختصر)) لابن الوردي المعرى الحلبي ، من شعراء القرن الثامن .

و ((مسالك الابصار)) لابن فضل العمرى تلميذ القاهرة وامام الشام ، في القرن الثامن .

و ((البداية والنهاية)) للحافظ ابن كثير البصرى ثم الدمشقي .

و «شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي الدمشقي من اعلام القرن الحادى عشر .

وانه لقليل من كثير ، يضيق المجال عن استيعابه، لكنه يكفي شاهدا لما حملنا من عبء الامانة الصعبة ، نحن ورثة تلك الذخائر التي وعاها التاريخ لاجدادنا ، الذين تصدوا في بسالة واصرار ، لحماية العربية والاسلام ، بعد سقوط بغداد .

فهل قد ابلغت ؟

اللهم فاشهد ..



شكري فيصل

التاريخ : ٢٥ / ٥ / ١٩٦٢

٨ كتاب من بيروت

لمن تدق الأجراس؟

ليس عنوان المقال لى ، وانما هو مستعار من اسم قصة لهيمنجواى .
وبالرغم منى فعلت، حين لم اجد عنوانا آخر يغنى عنه !
بل انه — فى رايى — العنوان الدقيق المناسب ، الذى يصلح كما لا يصلح سواه ، لكل ما كتبت واكتب ، فى هذا الموضوع ..
فمنذ بدأت اتتبع فصول كتاب بيروت ، وصوت « هيمنجواى » يتردد ملء خاطرى :

جولة للدكتور احسان عباس

تعلق عليها الدكتورة بنت الشاطئ

لمن تدق الاجراس ؟

وقد اقلعت فى التخلص منه وانا اصغى الى رنين الاجراس فى ايدى الفرسان : صالح العلى ، ووليد عرفات ، وجبرائيل جبور ، وانطون غطاس كرم ، وموسى سليمان . .

ثم جاءت جولة « الدكتور احسان عباس » فى حلبة الادب الاندلسى ، وعادت الاجراس تدق فى قوة لم املك معها اختيار عنوان آخر ..

فلمن تدق الاجراس ؟

لجامعة بيروت الامريكية ، وليس لها فى المكتبة الاندلسية غير كتاب واحد تتم ، هو كتاب « ابن عبد ربه وعقده » الفه الدكتور جبرائيل جبور عام ١٩٢٢ !

والدكتور « احسان عباس » فلسطينى من تلاميذ القاهرة ، وقد تلقى دراسته الادبية العليا فى جامعتها ، ونال منها درجاته العلمية ، واخذها اساتذة علموه وقدموه الى الحياة الادبية : دارسا ومؤلفا وناقدا ..



هيمنجواى



جودة الركابى

جامعة بيروت الامريكية ، وله فيهــ رؤساء وزملاء ..

وبين المد والجزر ، حال فى الميدان ينظر فى المكتبة الاندلسية ماذا رصيدها العربى الاكبر ، لمصر وسورية .

واذا لجامعة بيروت كتابها الوحيد ، بقلم الدكتور جبور ! .

وللمستشرقين آثار كثار ، سبقونا بها الى الميدان ، بحكم **ظــروف تاريخيــة وسياسية ودينية معروفة . .**

وعلى منصة القضاء ، وقف الدكتور احســان ، يقابل ويوازن ويحكم :

فامام جهودنا فى منطقة جولته ، وضــ قائمــة متصلة بمــا قامت به الحــركة الاســتشراقية مــن جهود مستخصبة فى الدراســات المغربية والاندلسية ، ونوه بفضل اعــلام المســتشرقين ((**الذين تضافرت قواهم ــ قبلنا ــ على خدمة التاريخ والادب**)) ومن ثم اخذ علينا ان عنايتنا بالادب الاندلسى جاءت متاخرة ، فضلا عن كونها **اخذت صبغة عاطفية ، تتحسر على الماضى الجميــل وتبكى الفردوس المفقود** (ص ٢٦٠)

واذا كان نشرنا لكتاب «نفح الطيب» ــ ط بولاق ١٢٧٩ ــ قد عاصر حركة الاســتشراق ، ((**الا ان اثارته الكبرى هنا ، كانت اثارة عاطفية قبل ان تكون دافعا لتحقيق الادب والتاريخ ، ولذلك ملات الميدان بقصص وروايات ، نثرية وشعرية .. ثم تسللت هذه الاثارة الى كتابة التاريخ والادب عند الدارسين .**)) ص ٢٦١

واختار الدكتور عباس من الدراسات الادبية المبكرة ؛ ثلاث دراسات وضعها فى الميزان :

بلاغة العرب فى الاندلس : لاحمــد ضيف .

نظرات فى تاريخ الادب الاندلسى ، لكامل كيلانى

ابن عبد ربه ، وعقــده : لجبرائيل جبور .

وهنا ارتفع دوى الاجراس معلنا :

« ان الكتابين الاولين ، ثمرة جهد جامعى فى نطاق **الجــامعــة المصرية** ، والثالث وليد جهد جامعى ؛ **فى ظــل الدائرة العربية بالجامعة الامريكية فى بيروت** »

اما ثمرة **جامعتنا** ، فهزيلة ضئيلة :

« ففى كتاب احمد ضيف ميبان خطيران الى جانب تعميم الحكم وارسال القول على علاته ، وهما ضعف الملكة النقدية فى تقدير الاثار الادبية ، وضــعف الحس التاريخى فى النظرة الى حياة الافراد والعصور الادبية من زاوية التطور . وهذان العيبان يتلمســان ايضــا كتاب « كيلانى » وان كان أسمح وايسر من من كتاب أستاذه (! !) احمد ضيف » ص ٢٦٠

اما وليد **جامعة بيروت** ، فيانع الثمره مكتمل النمو وافر الصحة والحيوية :

« انتحى موضوعا مجددا ، والتزم فيه مؤلفه الدكتور جبرائيل جبور ، المنهج الجامعى والمناقشــة الهادفة الهادئة ، واثار كشوفا لاتزال حتى اليوم مشمولة بالصواب ، على اتساع الكشوف من بعده » ص ٢٦١

وعلى طول المدى ، ظل الفارس يتردد بين شد ودفع :

تســجيل لرصــيد لنا غنى حافل ، وضعنا به فى المكتبة الاندلســية نحو **ثلاثين مؤلفا** ، وطبعنا بالقاهرة من تراث الاندلس والمغرب **نحو خمسين كتابا** ، فيما احصى الدكتور عباس نفسه !

وتجــريح قــاس ، يتركز ثقله على جامعتى القاهرة ودمشق :

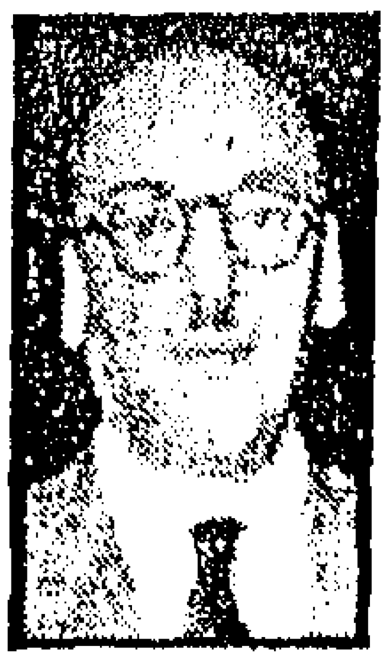
فكتاب استاذنا الدكتور احمد ضيف ، وقــد نشره مبكرا عــام ١٩٢٤ ، ثم سمعنا ..

وكتــاب الدكتــور جــودة الركابى (جامعة دمشق) عن الادب الاندلسى « متفاوت فى بنائه ... لا يسلم من التعميمات الكثيرة ، والتداخل ، والتكرار . وفيه اعتمــاد فى أمور هــامة على

التاريخ : ٢٥ / ٥ / ١٩٦٣



يوسف نجم



الاهوانى

مراجع ثانوية ، ويفتقر كثيرا الى الاحساس بتطور الزمن ، وما يحدثه التطور من تغيير فى تاريخ الاندلس وادبها . واسلم ما فيه بحث عن الموشحات ، وهى موضوع اولاه الركابى عناية خاصة من قبل ، بنشره دار الطراز ، لابن سناء الملك »

وكتابه عن شعر الطبيعة فى الاندلس : « هو استعراض لنماذج من الشعر : ولا يقوم على نظرية او فكرة اساسية ، ولا يستطيع المرء ان يلمح منه اى خصائص تميز الطبيعة الاندلسية بشىء واضح ، كما ان اكثر الآراء فيه قد وردت فى كتابه السابق .. » ٦٦

وكتاب « الدكتور احمد هيكل » ـ من دار العلوم ـ فى الادب الاندلسى : « جاء متبعا انموذجا يشبه القالب المتحجر .. والفصول فارغة خاوية ليس فيها مظاهر صحيحة ، واكثرها استعراض لامثلة محدودة واستخراج لبعض الاحكام منها . ويعز استخراج الاحكام احيانا فيصبح عرض الامثلة هو الشى الوحيد الذى تضطلع به الفصول .. ولو حاول قارىء ان يكون لنفسه صورة من تدرج الشعر والنثر فى هذا العصر ، لما وجد ذلك ميسورا ، ولاصطدم بمصطلحات فارغة لا تحمل فى تضاعيفها اى حقائق .. اما المستوى النقدى فى الدراسة ذاته غاية فى الضعف ، ومناقشات المؤلف لآراء من تقدمه ، مضحكة ! ... ان من يقرأ كتاب الدكتور هيكل ، يحس ان البحث فى تاريخ الادب الاندلسى لم يتقدم خطوة واحدة بين عامى ١٩٢٤ ، ١٩٦٠ بل هو نكسة فى هذه الدراسات ، من حيث المنهج والنتائج والاحكام النقدية ، وعودة الى سطحية منفرة ، وتسرع وابتسار ! » ٢٦٥ ، ٢٦٦

ودراسة « الدكتور طه الحاجرى » ـ جامعة الاسكندرية ـ لابن حزم الاندلسى .. « نجد فيه الجهد فى الصور وفى جمع الروايات ، قليلا لا يتكافأ وما عرف عن الدكتور الحاجرى من استقصاء » .

اما كتاب الاستاذ « على عبد العظيم »

ـ من دار العلوم ـ عن ابن زيدون : « فالخطة فيه كثرة الحشو ، وايراد المقدمات ، واظهار التعالم والاطلاع على علم النفس ، وعدم التفريق بين منازل الاخبار والروايات ، وكتابة المقدمات الطويلة التى لا تلقى اى ضوء على الشاعر وحياته ، ولو حذفت هذه الامور الدخيلة لتلك الدراسة لحياة ابن زيدون فيها جهد واستقصاء » .

والاستاذ « عبد الله عنان » لم يشفع له طول خدمته لتاريخ الاندلس ، وسخى جهده المبذول فى شب له قيمة تمتز بها المكتبة الاندلسية ، اذكر منها « الاثار الاندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال

مطـ مصر ١٩٥٦) وابن خلدون : حياته وتراثه الفكرى (دار الكتب ١٩٣٣) وتراجم اسلامية ، شرقية واندلسية (المعارف ١٩٤٧) ودولة الاسلام فى الاندلس (٣ اجزاء : لجنة التاليف

١٩٤٣ ـ ١٩٥٨) .. لم يشفع له كل هذا عند الدكتور عباس ، الذى اعتبر تحقيق « الاستاذ عنان » للجزء الاول من (الاحاطة) ، ابرز مثل لسوء النشر وفساد التحقيق : « فان نصه غاية فى الاضطراب والخطأ والتصحيف ، حتى استطيع المراجع ان يقيد على هوامشه اخطاء فى كل سطر ، فى بعض صفحاته » ص ٢٦٨ . .

وفى غمرة ذلك التجبيح المثار ، لانكاد نستشف صوت الدكتور عباس وهو يزكى فى اسطر معدودات ، كتابا « للدكتور عبد العزيز الاهوانى » عن الزجل فى الاندلس ـ ٢٦٧

وتنتهى الجولة الشاقة المجهدة ، فنكاد نشعر بالعطف على فارسها من الشد والدفع ، ونقدر له على كل حال ، انه لم يتجاوز الحكم على اثار الدارسين ، الى الحكم على الدارسين انفسهم كما تعل آخرون ، وبخاصة « الدكتور يوسف نجم » فارس الجولة الثانية من السباق ...

ثم لا نملك الا ان نردد السؤال الذى يظل يواجهنا فى كتاب بيروت ، ما بين جولة واخرى :

لمن تدق الاجراس ؟

التاريخ : ٨ / ٦ / ١٩٦٢

٩

كتاب من بيروت

ماثر الاحتلال — تلميذ فرح أنطون — صفحة لم تتم



د . يوسف نجم



المنفلوطى



الدكتور محمد مندور

الشوط الأخير

جولة الدكتور : محمد يوسف نجم

تعاون عليها الدكتورة : بنت الشاطئ

وددت لو اخلى هذا المكان ، لخطاب ارسله الاستاذ الجليل الدكتور عمر فروخ حول مقالى عن جولته ، لا احاورها احقه و الدفاع عن موقفه فحسب ، ولكن كذلك لانى شديدة الحرص على نشر خطابه الذى اعده وثيقة ذات خطر فى الازمة التى تقلقنى وشغلت القراء منى لمدى شهرين كاملين ...

غير انى بضرورة التى ان [illegible] حتى الفرغ من هذه الجولة الاخيرة فى كتاب بيروت الادب العربى فى اثار الدارسين [illegible]

وفارس الجولة : الدكتور محمد يوسف نجم ، من هيئة التدريس في جامعة بيروت الامريكية . وقد عما قرأه لهذا الشوط الاخير ، بادي التصميم على ان يخرج منه فارسا للحلبة وبطلا للسباق ..

كان المجال المحدد له ، هو تقويم « ما اسهم به المؤلفون العرب في نظريات النقد والفنون الادبية ، في الاعوام المائة الاخيرة »

لكن ذلك لم يمنعه في الواقع ، بقدر ما عناه ان يحكم على اشخاص الدارسين انفسهم .. او بعبارة ادق : **على طائفة منهم بالذات** ، تنتمي اما الى جامعة بيروت واما الى جامعات مصر !

فمن اللحظة الاولى ، بدأ ناخلى الميدان من كل الدارسين العرب في سوريا والعراق وفلسطين والسودان ، وفي تونس والجزائر والمغرب ، واستبقى ساحة مصر ولبنان لاغير كي يفرغ لهما جهده ، وينطلق في الحلبة ملء عنانه ..

وبرر موقفه بان « مصر ولبنان هما البيئتان المحوريتان لادبنا الحديث ، والنهر العظيم الذي تشتقت منه الجداول وانحدرت الاوشال لتصب في البيئات الاخرى التي كانت دوما تعشو بابصارها (!!) الى هذه المنارة التي شمخت من لبنان بضفاف النيل ، وتكسرت اضواؤها على شواطىء غرب المتوسط وامتدت الى **مجاهل الجزيرة** ، وغمرت بلاد **الهلال الخصيب** (!) ففي هذا المثلث العظيم : لبنان ومصر ، دارت اقمار النهضة الادبية في بلادنا العربية ! » ص ٣١٤

وتهل يطل على مصر في القرن الماضي فماذا رأى وماذا قال ؟

حركة التنوير في مصر ، بدأها **محمد على** وواصلها خلفاؤه وبخاصة اسماعيل ، وبها **استشرف الادب العربي الى الاخذ بمظاهر التجديد** ! ص ٣١٦

ورجال المدرسة السورية المتمصرة ، هم الذين امدوا مصر بانفاس الحياة ! ص ٣١٧

والمدرسة الحديثة في مصر ، تدين بوجودها الى : الحرية النسبية التي **فرها « الكرومر »** !

والى الاتفاق الودي بين فرنسا وانكلترة سنة ١٩٠٤ !

ثم .. الى مآثر الاحتلال الانكليزي لمصر منذ سنة ١٨٨٢ !! ص ٣٢٠

ودعاة التجديد في المرحلة المبكرة ، هم شكري والعقاد والمازني « الذين استاثروا بمدرسة اصطلح النقاد على تسميتها **بالمدرسة الانكليزية** .. ص ٣٢١

وبجانبهم ظهر « المنفلوطي » : ربيب المدرسة السورية المتمصرة ، وتلميذ فرح انطون ..

والجامعة الاهلية بمصر ، روجت للمناهج **الغربية في دراسة الادب ونقده ، وكانت خليقة ان تبلغ الغاية ، لولا ظروف الحرب التي اصابتها بالعسر المادي ، وحالت بينها وبين استبقاء المستشرقين او استدعائهم** تحدثت نكسة في دراسة الادب حين تولاه الشيخ محمد المهدي وعاد به الى ما الفه شيوخ الازهر ودار العلوم ومدرسة القضاء في تدريسه .. على انها عثرة سرعان ما افلتت منها اذ عادت الجامعة في ثوب القشيب سنة ١٩٢٥ — ص ٣٢٨

وفضل استاذنا « الدكتور طه حسين » على تاريخنا الثقافي ، هو الاثر الضخم الذي خلفه في تحرير العقول وتحريك النفوس ، والوقوف بشجاعة في ابداء الراي ، **والايمان العميق بالثقافة الغربية وخاصة الاغريقية والفرنسية** — ص ٣٣٠

وماذا عن لبنان في تلك المرحلة المبكرة ؟

الحديث بدأ باعادة التنويه بجهود المدرسة السورية المتمصرة ، واثرها في تطوير النقد في مصر ، واكبار لما ارست للنقد من قواعد واصول ، اصبحت فيما بعد نهبا موزعا تتعاوره ايدي النقاد — ص ٣٣٤ ٣٣٨

ورائدها الاول « فارس الشدياق » : « اول من حمل اللواء وذب عنه بحرارة واخلاص .. والشدياق مجدد حتى اطراف اصابعه ، مجدد في الحياة التي عاشها وفي الادب الذي كتبه ، وفي الدراسات اللغوية التي عالجها » ٣٣٤

ثم علا رنين الاجراس **لمارون عبود** :

« وتتاجه في النقد لا يضارعه نتاج في نقدنا الحديث من حيث الفكرة والتنوع والاصالة .. ونقده نقد تأثري ، سداه الذوق المرهف ولحمته الثقافة الواسعة ..

« اقرأ ما شئت من نقده ، تجده يتناول الاثر الذي ينقده فيوليه دقة النظر وحسن التمييز حتى يخلص الى مواطن التأثير فيه .. قد نختلف معه في بعض ما ذهب اليه من احكام .. ولكننا لا نملك بعد ذلك الا ان نقول : هذه والله هي البديهة التي لا تعارض ، والقياس الذي لا ينكسر والنقد الذي استحصفت اسبابه وتابدت عراه .. وذاك هو الفكر المرن المتميز الذي يسفرغ بين الناس القدرة على تمييز الحق من الباطل ، والخارجي من الشريف فتستقيم لهم الطريقة ويلوح المنهاج ويستوى المسلك .. » ٣٤٧

واستمر الحديث عن الاستاذ مارون عبود ، ثلاث صفحات كوامل ، ختمها

الدكتور نجم معتذراً عن تصرهامان «الحديث عن مارون عبود ليس من هوان الشان بحيث يوجز فى صفحات معدودات ، ذلك انه راس مدرسة فى النقد المعاصر تستنهج سبيله وتحذو مواضع قدمه .. مدرسة التذوق والاستطراف ، والاسلوب الحى المتدفق ، والسخرية التى لها الم الشوكة فى وخزها على مجسة لينة ناعمة ، والتى ابطلت سحر السحرة وتدليس المدلسين» ٢٤٥ : ٢٤٨

واستطرد «الدكتور نجم» بعد ذلك الاعتذار يقول :

«فى هذه الفترة التى كان فيها مارون عبود يقتحم المجاهل ويرود السبل ويبلغ بالنقد منزلة ليس وراءها مرتقى لهمة ، كانت بعض البراعم الادبية تنمو مستمدة روحها وغذاءها من هذه الثقافة التى اخذت تعم ، مفتتحة عصراً عظيما من عصور الادب اللبنانى .. ، وعلى صفحات «المعرض والجمهور والمكشوف» التقت اقلام النقاد الشبان تقودهم عصبة العشرة — ابو شبلا وخليل تقى الدين وحبيش وابو شبكة وملحم ويزبك وتقى الدين الصلح وعواد ولحود وزكور — من نصر الى نصر وتمهد لهم طريق الادب الصحيح القائم على الموهبة والاخلاص والثقافة» — ٢٤٨

واسترسل يدق الاجراس لاعلام ذلك العصر العظيم المنصرم ، ويقدم الينا : «الياس ابو شبكة» ناقدا فى ثياب شاعر وشاعرا فى ثياب ناقد .

و «سعيد عقل» داعية الرمزية وخليلها .

ورئيف خورى : «اديبا متنوع النتاج ومثالا للاستاذ اليقظ ، وقل ان نجد بين اساتذة الادب عندنا من يحسن استغلال النصوص مثله ، ففى كل بحث له وكل مقالة ، شاهد عدل على ذلك» وهو فى ذلك يعطى الدليل تلو الدليل على ذوقه المثقف وموهبته النيرة» — ٢٥٢

وكانت المرحلة الثانية من جولة الدارس ، فى مجال النتاج النقدى لاساتذة جامعاتنا .

ويرتفع صوته بالحكم صارما :

الاستاذ احمد الشايب :

فى كتابه «الاسلوب» لم يصنع شيئا الا ان نشر مادة كتاب John Genung واتى بامثلة وشواهد عربية لتوضيحها .

وكذلك فى كتابه «اصول النقد الادبى» نشر مادة كتاب Winchester والتمس لها ما يوضحها من الشواهد العربية — ٢٥٥

والاستاذ احمد امين :

كتابه فى النقد الادبى : الجزء الاول منه تلخيص فى بعض المواضع .. واسهاب فى البعض الاخر لكتاب Hudson ؛ فالموضوعات هى الموضوعات ، على انه عالجها بالتقديم والتاخير وضرب المثل والشاهد من الادب العربى — ٢٥٥

اما الجزء الثانى ، فاعتمد على دائرة المعارف البريطانية وعلى كتاب «سينتسبرى» المعروف ، واضاف فصولا فى تاريخ النقد العربى ليس فيها كبير غناء — ٢٥٦

والمرحلة الاولى من جهود اساتذتنا — هكذا على التعميم والاطلاق ! — «تمثلها كتب الشايب واحمد امين ، وهى قائمة على الجمع والتلخيص من اهون السبل واقربها ، ولعلهما غير ملومين فى ذلك ، فمعرفتهما باللغات الاجنبية والثقافة الاجنبية كانت محدودة» ٢٥٦

وبمثل هذا التعميم والاطلاق . حكم الدكتور نجم على جيل جديد من الجامعيين عندنا : «ان يكن حظه من اللغات والثقافات اكبر ، فان حظه من الاستقلال لم يكن كذلك فى اكثر الاحيان»

وهنا ، حط الدارس بكل ثقله — من ص ٣٥٦ : ٣٥٨ — على الدكتور محمد مندور «الذى افتتح صفحة جديدة ناصعة فى تاريخ النقد العربى الحديث ، لو لم تسودها السياسة ، ويعبث بها المرض

● ●

والحاجة ، لغدت من انصع الصفحات فى تاريخنا الادبى »

ثم انتقل يتحدث عن الدكتورة سهير القلماوى: «التى تخرجت من جامعة القاهرة سنة ١٩٢٢ ، وحصلت على الماجستير سنة ١٩٢٧ ، والدكتوراه سنة ١٩٤١ وبعد ذلك طلقت الادب العربى ، اذ عرفت ان حظها معه سيكون سيئا ، وانصرفت الى دراسة النقد الغربى ، وكانت تلخص لطلابها فى الجامعة ، النظريات الغربية فيه ، معتمدة على كتاب سينتسبرى الذى لعب دورا هاما فى كلية الاداب . وقد كانت سهير مخلصة لذوقها ومزاجها ، فانصرفت الى ترجمة القصص الغربية ، الى ان استيقظت على صوت التزاحم على كرسى الادب الحديث ، فاضطرت الى كتابة رسالة عن المحاكاة ، عرضت فيها نظرية ارسطو وماكتبه عنها النقاد الغربيون وكانت بارعة فى عرض هذه الاراء وتلخيصها . . وكان كتابها هذا اول كتاب فى الموضوع فى لغتنا ، وقد اخلصت فيه النية وان لم تسعفها الموهبة .. والقت فى معهد الدراسات العربية عددا من المحاضرات فى النقد الادبى ، جمعت فى كتاب ، تحدثت فيها حديثا عاما عن النقد ونظرياته ، ولخصت جوهر النظرية النقدية الغربية فى هذه الموضوعات . وليس لها عدا ذلك سوى مقالات صحافية واحاديث اذاعية .. » ٣٥٩

فهل من موازين التقويم لاثار الدارسين ان احدهم مريض محتاج ، وان اخرى طلقت الادب العربى حين عرفت ان حظها معه سيكون سيئا ، واخلصت لذوقها ومزاجها بترجمة القصص الغربية ؟

ولنفرض جدلا ان كل ما قاله عن أساتذة جامعاتنا حق ، فهل هو كل الحق ؟ !

واراني قد اطلت ، قبل ان تصل جولة القارئ الى اقصى مداها عند اموجة التبشير باليسارية ، والشيوعيين الذين خرجوا الى النور وسفروا عن وجوههم واندسوا فى الصحف والمجلات ينشرون عقائدهم والنقاد الماركسيين ، ومؤتمر دمشق لادباء العرب سنة ١٩٥٤ ، الذى انبثقت عنه روابط الكتاب العرب التى تولى الشيوعيون التوجيه الفكرى لها » ــ ٣٨١

وذلك ما اترك لسواى من النقاد ان يعلقوا عليه ، اذ لادراية لى فى الواقع بمسار هذه التيارات ، ولم اعلم ــ قبل اليوم ــ ان مؤتمر دمشق ، كانت له صلة بروابط بين كتاب العرب تولى الشيوعيون التوجيه الفكرى لها . .

وقد آن لى ان استريح واريح القراء من هذا الحديث الذى امتد وطال ، الى حين يتاح لى ان اتفرغ مرة ثانية لكتاب ارجو ان اتناول فيه كتاب بروت بالنقد الدقيق والدرس المستوعب ، على سعة وطمأنينة ، لم يتحوها لى مثل هذا المجال المحدود الذى حاولت فيه جهدى ان ابين الخطوط الرئيسية للشبكة المعقدة ، واعرف لمن تدق الاجراس .

■ ■ ■ ■ ■

التاريخ : ١٥ / ٦ / ١٩٦٢

وثيقة من بيروت

قصة محزنة

يرويها الدكتور عمر فروخ

تعليق للدكتورة بنت الشاطئ

فى الحلقة السادسة من المقالات التى نشرناها هنا بعنوان « كتاب من بيروت » تناولت الكاتبة جولة الاستاذ الدكتور عمر فروخ فى الادب العباسى ، ولاحظت عليه أنه لم يتناول فيه غير نسب المتنبى واسر أبى فراس ، ونشأة الدرعيات وترتيب اللزوميات لابى العلاء . كما لاحظت ان القائمة الملحقة بالبحث — سجلا لكل الدراسات المعاصرة فى الادب العباسى — قد سجلت بعض مقالات صحافية هزيلة ، واغفلت كتبا وابحاثا هامة فى المكتبة الجامعية .

وننشر اليوم نص خطاب تلقيناه من الدكتور فروخ ، ردا على هذا المقال :

« .. ان عددا من انتقادات الدكتورة بنت الشاطئ فى محله ، ولكنها جانبت الحق وتجنت على الحقيقة :

١ — لقد قلت : ان الموضوع فرض على ، فتوهمت ان ذلك اقرار منى بانى لا اعرف الموضوع . والواقع ان هيئة الدراسات الادبية بجامعة بيروت الامريكية قد خصتنى بموضوع « الشعر العربى من المتنبى الى سقوط بغداد » ولم تاخذ رأيى فى ذلك ، ولا كان الوقت الذى حددته ، كافيا لبحث هذا الموضوع .

التاريخ : ١٥ / ٦ / ١٩٦٣

٢ ــ وانتقدتنى بنت الشاطىء ، لانى قصرت همى على نسب المتنبى واسر ابى فراس ونشأة الدرعيات وترتيب اللزوميات، والواقع اننى ضربت ثلاثة امثلة من اساليب الباحثين فى هذه الحقبة : تناولت نسب المتنبى لكثرة ما بحث فيه الدارسون ، ثم لاختلاف طرقهم فى البحث واختلاف النتائج التى وصلوا اليها، ثم لقلة الجدوى **من مثل هــذه البحوث فى النسب** و مجال عبقرية المتنبى . وتناولت اسر ابى فراس فى بلاد الروم ، وكيف ان الدارسين المعاصرين تفننوا فى تفصيل اسره واختلفوا فى مدته ، ولكن لم يخطر لهم ان يعالجوا اثر ذلك على خصائصه الفنية وفنون شعره .. وكذلك تنــاولت **ترتيب اللزوميات** عند «المعرى» ونشأة **الدرعيات** ، لما لهما من اثر فى فهم التطور فى اراء ابى العلاء الذى تطلعت بنت الشاطىء نفسها فى درس نثره وشعره زمنا طويلا. **ونحن لا ننكر فى باب العلم ان بعض الامور تكون احيانا اهم من بعضــها الاخر** ولكن يحسن بالاخرين ان يدركوا ايضــا ان المعالجة العلمية هى التى تكسب الموضوعات جانبا كبيرا من اهميتها

٣ ــ تنتقدنى الكاتبة ، على ان عددا من كتبها القيمة غير وارد فى قائمة المراجع الملحقة ببحثى، بالبت الدكتورة قدحملت فاسا وانقضت على هذه القائمه تحطيما وتهشيما ان هذه القائمة فى الحقيقة تزوير رخيص وان لها لقصة محزنة . ولكن بنت الشاطىء ثارت لانها لم تر عددا من كتبها فى هذه القائمة، ولم تثر لان **القائمة نفسها لا قيمة لها !**

"واحب من القارىء ان يستمع الى **القصة المحزنة للقائمة القميئة**: كانت هيئة الدراسات العربية فى جامعة بيروت الامريكية ، قد طلبت من كل باحث ان يلحق ببحثه قائمة باسماء الكتب التى عالجت الحقبة التــى خص بها ، والفت فى المائة السنة الاخيرة وبعناوين المقالات ايضــا

«وخالفت انا راى هيئة الدراسات فى امرين :

(ا) لقد رتبت المراجع على اسمــاء الشعراء المدروسين ، لا على اسمــاء المؤلفين وكتاب المقالات كما ارادت الهيئة

(ب) لقد اقتصرت على الكتب ، بعد عدد يسير من المقالات كان فعلا مهما واما لانفراد كتب فى موضوع تلك المقالات. واما لان تلك المقالات كان لها قيمة خاصة بها .

«ويبدو ان هيئة الدراسات لم يرق الى فالمنى ، **فلفقت هذه القائمة المشوهة** التى تبدأ ببشار ، مع ان بشارا والذين تبعوه مائتى عام ، لا يدخلون فى الحقبة التى كنت اعالجها . ثم اننى اود ان اخبر الناقدة ان عددا من كتبى انا لم تذكر فى هذه القائمة التى الحقت ببحثى ولم تنصف بنت الشاطىء لما حملتنى **وزر القائمة المزورة ، ولعلها تعلم ان حكم الله ان لا تزر وازرة وزر اخرى !**

«ان هذه القائمة ، قد جعلتنى مع **اشياء اخر** ، اعتذر عن الاشتراك و الدورة التالية التى اقامتها هيئة الدراسات العربية فى الجامعة الامريكية، وقلت للقائمين على هذه الهيئة يومذاك : ان عملهم ذلك **كان مخالفا للامانة العلمية .**

«بقيت لى كلمة واحدة : اننى لن اسد طريق الدكتورة ولن اتقول عليها كما تقولت على . ولكنى كنت اود منها ان تسوق نقدا غير هذا ، لكتاب يحتاج الى نقد كثير ، وحبذا لو تعود الى الكتاب وتنقده من جديد . »

تعقيب .

قرات هذا الخطاب مرتين وثلاثا ، لعلى اعرف منه اين جانبت الحق ، وفيم كان منى التجنى على الحقيقة ..

ورجعت الى مقالى الذى كتبته، وقابلته على هــذا الخطاب ،وعلى الفصــــل المكتوب بقلم الاستاذ الدكتور عمر فروخ فى كتاب بيروت ،احاول ان اهتدى الى موضوع النقول الذى اشار اليه الاستاذ الجليل لكن محاولتى ضاعت عبثا ..

ولقد وددت لو ان سيادته تفضل فاعفانى من هذا الجهد الضائع ، بتحديد مواضع التجنى والتقول ،لكنه لم يفعل !.

ففيما يختص ببحثه عن الادب العباسى لم يضف الدكتور فى رده على ، جديدا الى ما قلته فى عرض بحثه عليه، وانما اتجه كل همه الى تبرير اهتمامه بنسب المتنبى واسر ابى فراس ونشاة الدرعيات وترتيب اللزوميات . ولسيادته مطلق الحق فى هذا التبرير ، لكنه لا يبرر بحال ، اتهامه اياى بالتجنى والتقول ، الا ان ينص على جانب من بحثه لم اشر اليه ، او يعين على وجه التحديد ، كلمة واحدة نسبتها اليه ولم يقلها ..

وفيما يختص بالقائمة المطبوعة باسمه ، ذيلا لبحثه فى كتاب بيروت : لا افهم حتى هذه اللحظة ،وان افهم ابدا، ،كيف تصور الاستاذ الجليل ، اننى كنت بحيث اعلم ان هذه القائمة تزوير رخيص ، وان لهـا قصة محزنة ، ما سمعت بها قط ، قبـل ان يكشف سيادته عنها الستار فى خطابه هذا الذى قراته بعد نشر مقالى بشهر كامل .

وواعجبا ! يذكرنى الاستاذ الجليل ـ احفظه وانلوه من قول الله تعالى: ((الا تزر وازرة وزر اخرى)) وينسى اننى بشر لا اعلم الغيب !

ومرة اخرى اقول . سلام على الحق والتاريخ . وهذا احد القضاة العشرة فى محكمة بيروت ، يتقدم اليوم شاهدا فى قضية كتاب ((الادب العربى فى آثار الدارسين)) مقدما الى تاريخنا الادبى المعاصر ، هذه الوثيقة الهامة ..

للاستاذ الجليل ، خالص الشكر وصادق التقدير والاحترام من :

بنت الشاطىء

التاريخ: ٢٢ / ٦ / ١٩٦٢

التفسير البياني للقرآن الكريم

نقد كتاب الدكتورة بنت الشاطئ

بقلم الدكتور شكري محمد عياد

منذ ربع قرن تقريبا كان الاستاذ امين الخولي يدرس علوم البلاغة والتفسير في كلية الاداب بجامعة القاهرة ، وكان الشعار الذي اتخذه لنفسه «اول التجديد قتل القديم فهما» ، فلما راى القدماء يقسمون العلوم الاسلامية ثلاثة اقسام : علم نضج واحترق ، وهو النحو والاصول وعلم نضج وما احترق ، وهو علم الفقه والحديث ، وعلم لانضج ولا احترق ، وهو علم البيان والتفسير ؛ تقدم بطموحنا الى التجديد في هذا القسم الاخير ، وكانت خلاصة الراى الذى انتهى اليه ان القرآن الكريم ، من حيث هو كتاب العربية الاكبر واثرها الادبي الاعظم ، يجب ان يدرس درسا ادبيا كما تدرس الامم المختلفة عيون آداب اللغات المختلفة ، ذلك ان تاريخ التفسير ، على مايحفل به من تراث ضخم ، قد عانى كثيرا من التيارات الاعتقادية والفكرية والعلمية التى صبغته بالوانها : فتفسير معتزلى ، وتفسير شيعى وتفسير فلسفى ، وتفسير صوفى ، وتفسير قصصى تغلب عليه الاسرائيليات ، وتفسير فقهى يعنى اولا بما فى القرآن من احكام وتفسير نحوى يحرص اول ما يحرص على صنعة الاعراب ، وهذه الالوان كلها تحجب التاثير النفسي المباشر الذى يجده كل من يقرا هذا الكتاب الكريم ، سواء اكان ذلك القارئ مسلما ام غير مسلم ، وسواء اكانت العربية هى لغته الام ام كان قد اكتسب ذوقها بالتعلم .

وعلى هذه الطريقة سار استاذنا فيما كان يلقيه على طلابه من دروس التفسير وتخرج عدد من هؤلاء الطلاب الذين اعدوا رسائل جامعية فى التفسير ، وتمثلت الطريقة الادبية اوضح ماتمثلت فى العناية الدقيقة بفهم المعانى القرآنية فهما يقوم على تتبع هذه المعانى فى القرآن نفسه . واذا كان القدماء قد قالوا «من اراد تفسير الكتاب العزيز طلبه اولا من القرآن» فان استاذنا

قد جعل تفسير القرآن بالقرآن منهجا علميا يلتزمه الدارس : فكان من مقتضيات الطريقة الادبية عنده ان يدرس القرآن موضوعا موضوعا ، لا سورة سورة كما تعود المفسرون . فان الفهم الدقيق لمعاني القرآن واغراضه يستلزم ان يتتبع الدارس الموضوع الواحد في القرآن كله من أوله الى آخره ويفهم لاحقه بسابقه ملاحظا الملابسات والمناسبات والاسباب التي احاطت بما يفهمه من النصوص . ثم كان من مقتضيات الطريقة الادبية ان يتتبع الدارس استعمال القرآن للفظ الواحد ليحدد معناه اكمل تحديد : بادئا بدراسة معاني المادة لغة ، ومحاولا ان يرتب هذه المعاني حسب تسلسلها بانتقال الذهن من معنى الى معنى ، ثم ملاحظا سياق اللفظ في القرآن ، في كل موضع ورد فيه . وكانت هذه الطريقة في الدرس شابة مجددة ، فبقيت محصورة بين جدران الجامعة : حتى ان استاذنا حين دعي ليلقي احاديث في الاذاعة بعنوان "من هدى القرآن" حرص على ان يخفف من الدراسة اللغوية ، مكتفيا بنتائج هذه الدراسة دون مقدماتها ، ثم قال حين قدم مجموعة من هذه الاحاديث في كتابه «[illegible]» انها كانت «هدى» للتفسير الادبي تحققت منه خصائص الترتيب الموضوعي ، وفهم معاني الايات كما كان يفهمها اهل العربية في عهد نزول القرآن ، والبحث عما في القرآن من تدبير نفسي واجتماعي للحياة الانسانية .

واليوم تقدم الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) الى المكتبة القرآنية كتابها « التفسير البياني للقرآن الكريم » ، متحدثة عما ينبغي ان تكون عليه الدراسة الجامعية لكتاب العربية الاكبر ، من تناول ادبي خالص لهذا البيان العربي المعجز ، وفقا للمنهج الذي امله استاذنا امين الخولي . ثم تعرض سورا من هذا التناول ، في تفسير عدد من السور المكية القصار ، وهي سورة الضحى ، وسورة الشرح ، وسورة الزلزلة ، وسورة النازعات ، وسورة العاديات ، وسورة البلد ، وسورة التكاثر .

وللمرء ان يتساءل : لماذا آثرت الدكتورة عائشة لكتابها اسم « التفسير البياني » بدلا من التفسير الادبي ؟ ولماذا اختارت التفسير حسب السور بدلا من التفسير حسب الموضوعات ؟ اما السؤال الاول فانها لا تجيبنا عنه ، ولهذا نرجيء مناقشته بعد قليل ، واما السؤال الثاني فلعلها ارادت ان تجيب عنه بقولها : « واتجه بمحاولتي اليوم الى تطبيق المنهج في تفسير بعض سور قصار ملحوظ فيها وحدة الموضوع فضلا عن كونها جميعا من السور المكية حيث العناية بالاصول الكبرى للدعوة الاسلامية ، وقصدت بهذا الاتجاه الى توضيح الفرق بين الطريقة المعهودة في التفسير ، وبين منهجنا الحديث الذي يتناول النص القرآني في جوه الاعجازي ، ويلتزم في دقة بالغة قولة السلف الصالح : القرآن يفسر بعضه بعضا — وقد قالها المفسرون ثم لم يبلغوا منها مبلغا — ويحرر مفهومه من كل العناصر الدخيلة ، والشوائب المقحمة على اصالته البيانية . »

ومعنى ذلك ان الدكتورة عائشة قد اختارت ان تفسر السور المكية السبع لسببين : الاول ان وحدة الموضوع ملحوظة في هذه السور ، كما انها جميعا متقاربة الموضوع ، واذن فنحن لا نزال قريبين من التفسير الموضوعي الذي يحرص عليه المنهج . والسبب الثاني ان تفسير سور كاملة ، على نحو ما الف المفسرون يجعل الموازنة بين المنهجين القديم والحديث في التفسير ماثلة امام القارئ ، فتتضح الطريقة الادبية — او الطريقة البيانية — اتم وضوح .

اما من السبب الاول فاننا حين نقرا تفسير السور السبع لا نلاحظ تقارب موضوعاتها ، بل نلاحظ ان ثمة موضوعات ثلاثة : فالموضوع في سورتي «الضحى» و «الشرح» تهيئة الطمأنينة الوجدانية

التاريخ : ٢٢ / ٦ / ١٩٦٢

للرسول ، والموضوع فى «الـزلـزلة» و «النازعات» و «العاديات» هو الانـذار بهول الساعة ، والموضوع فى سورتى «البلد» و «التكاثر» هو تنبيه الكفار الى ضلالهم الاجتماعى تنبيها فيه زجر ووعيد وقد اضطرت الكاتبة الفاضلة الى ان تتناول موضوع «الساعة» فى عدد غير قليل من الايات ، على طريقة التفسير الموضوعى توطئة لتناوله فى السور التى فسرتها كما وقفت وقفات طويلة عند القسم فى القرآن بوجه عام ، كلما تناولت القسم فى هذه السور . فالصحيح اذن انها قدمت لنا فى هذه المحاولة الجديدة مزيجا من التفسير الموضوعى والتفسير حسب السور ، ولست ارى بهذه المحاولة باسا فى حدود السور القصار التى اختارتها الكاتبة ، فربما كان القارىء فى حاجة الى ان يبين له الجو النفسى الواحد الذى نزلت فيه السورة ، كحاجته الى ان تفسر له موضوعاتها بالاحالة الى السور الاخرى التى تناولت مثل هذه الموضوعات . وبيان هذا الجو النفسى هو من صميم التفسير الادبى ايضا ، الا انه لايتيسر الا اذا وجدت بين يدى المفسر للسور تفاسير موضوعية تجعل تناوله لكل موضوع فى السورة الواحدة قائما على اساس متين من تفسير موضوعى سابق . وربما احتاج المفسر فى هذه المرحلة من حياة التفسير الادبى الى ان يقوم بنفسه بكثير من تلك التفسيرات الموضوعية توطئة لتفسير السورة، وعليه بعد ذلك الا يعرض هذا التفسير الموضوعى الا بقدر ، حتى لايخرج بالقارىء عن جو السورة . واشهد لقد وفقت الدكتورة عائشة بذلك كله ، واستطاعت ان ترسم الجو النفسى لما تناولته من السور رسما دقيقا رائعا ، واخص تفسيرها لسورتى «الضحى» و «البلد» فقد بلغت فيهما غاية مايطمح اليه المفسر الادبى . هذا الى انها اهتدت الى راى فى اقسام القرآن بنته على د [illegible] ـة موضوعية دقيقة لم تسبق اليها ـ على منهجنا الادبى ـ فيما اعلم .

واما عن السبب الثانى الذى دعا الكاتبة الفاضلة الى تفسير سور كاملة ، وهو اظهار الفرق بين المنهجين القديم والحديث فى التفسير فقد كنت اود لو توارى هذا السبب قليلا فلم تسترسل فى مناقشة المفسرين القدماء فى تخريجاتهم النحوية، او تأويلاتهم البعيدة، او فروضهم التى لايؤيدها السياق، فان هذه المناقشات كثيرا ماغمرت المعنى الواضح الذى ارادت الكاتبة ان تجلوه . وكنت اود لو توارى هذا السبب قليلا، فلم تسترسل فى التحليل اللغوى لمعانى المواد ، استرسالا لايزيد شيئا فى ايضاح الاستعمال القرآنى، ولكنه يروع القارىء بما فيه من جهد واستيعاب

ولعل هذا الحرص على مواجهة المفسرين القدماء بمثل صناعتهم هو العلة فيما تساءلنا عنه فى صدد هذا المقال من ايثار الدكتورة عائشة عبد الرحمن لاسم « التفسير البيانى » على «التفسير الادبى» . فالبيان صناعة من الصنائع اللغوية . نعم انها صناعة اقرب الى الادب من الصناعة النحوية مثلا ، ولكنها يجب الا تستأثر بتفسيرنا الادبى ، فالغاية من هذا التفسير اولا واخيرا هى «حس القرآن»

التاريخ : ٢٩ / ٦ / ١٩٦٢

كلمة من الميثاق

المساواة

بلا قيود .. ولا أغلال

((ان المرأة يجب ان تتساوى بالرجل ، ويجب ان تسقط بقايا الاغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع ان تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة)) . ((الميثاق))

((فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر))

((قرآن كريم))

بقلم الدكتورة بنت الشاطىء

اكان من الحق والخير ، ان تثار كل هذه الضجه حول المرأة ، لمجرد ان الميثاق الوطنى اوجب مساواتها بالرجل؟

وبرغمى شاركت فى هذه الضجة ، وبرغمى كذلك اكتب اليوم عنها ، لا دفاعا عن المرأة او البشرية ، ولكن دفاعا عن الدين الذى يتكلم المتكلمون باسمه ..

وباسمه كذلك ، ردت المرأة مضروبا لمدى قرون ذات عدد ..

وباسمه حرمت اجيال من امهاتنا ، حقهن الانسانى فى العلم الذى هو فى شريعتنا فريضة على كل مسلم ومسلمة !

ولا يغيظنى شىء ، مثلما يغيظنى ان ينسب الى الاسلام ما اعرف انه برىء منه ..

لانى اكره ان تسمع الدنيا فى عصر الفضاء ، ان معركة السفور والحجاب مازالت تشغل مصر التى شاءت لها ظروفها وتاريخها ، ان تكون طليعة قيادية للشعوب العربية والاسلامية ..

واجزع كلما بثت وسائل الاعلام تذيع فى ارجاء العالم الجديد ، اننا هنا فى ارض النيل ، مهد الحضارة وام المدنية مازلنا نجادل فى مساواة المرأة بالرجل ، وفى خروجها للعمل ، وتحريرها الى بقايا الاغلال التى تعوق حركتها ، حتى تستطيع ان تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة؟

كانت ارضنا المباركة تؤله « ايزيس » قبل مبعث الانبياء برسالات السماء ..

وكانها لم تتوج حتشبسوت وكليوباترة وشجرة الدر قبل ان تسمع الدنيا بحقوق النساء ..

وكان ريفنا لم يشهد منذ كانت ملايين النساء منا ، سافرات عاملات فى حقول الوادى الاخضر ..

وكان لم تنطلق الانواج منا من ظلمات الحريم الى افاق النور ؛ نبهرن الدنيا بما حققن من معجزة التطور !

ويقولون : الاسلام ..

وامهات المؤمنين وبنات الائمة من الصحابة كن ملء الحياة ، وقد سجلن اسماءهن فى اعز مكان من كتاب التاريخ الدينى والسياسى والادبى للاسلام .

ومصر الاسلامية ، قد عرفت قبل محنتها بالغزو التركى ، سيدات فقيهات يتصدرن المجالس العلمية ، ويعترف لهن بالمشيخة اى الاستاذية ، فى علوم العربية والاسلام ليجزن رجالا من اعلام المحدثين والفقهاء

ولمن شاء مطلق الحق فى ان يكره خروج المراة الى ميادين العمل ، وان يرى مشاركتها فى الحياة العامة من اشراط الساعة **لكن ليس باسم الاسلام .**

ذلك لانه لا ضير علينا فى ان توجد بيننا فئة رجعية ، تنظر الى المراة بعقلية سلاطين الترك ، وتحن الى الدمية المخدرة فى قفص اطلقوا عليه بحق، خدر الحريم ، فهذا فى حساب الطبيعة من الظواهر الاجتماعية التى لا يبرأ منها مجتمع مهما بلغ مستواه الحضارى ورقيه الفكرى ..

وانما الذى يغيرنا كل الضير ... طعن العالم بالاسلام الظنون ، ويراه دين خالف لا يستجيب لحتمية التطور ، ولا يصغى الى دعاء التقدم ، ولا يكترث لسير الزمان ..

واننا لنؤمن انه دين خالد ، صالح لكل زمان ومكان ، ونشهد انه يستهدف حرية الانسان وكرامته وسعادته ..

وقالوا : تتقيد المساواة المنصوص عليها فى الميثاق ، **بحدود الشريعة الاسلامية ..**

وهو شرط ، كان ينبغى **ان يغنينا** منه ، ان الميثاق نص بصراحة ، على التزامه بجوهر الدين ..

واقول مع ذلك : تعالوا نحتكم الى كتاب الاسلام ، لنرى ما اذا كان قد وضع حدودا لمساواة المراة بالرجل ، فيما هو مفهوم من المساواة بمنطق العقل وقانون الطبيعة !

ولا مفر لنا من هذا الاحتكام ، ماداموا يتكلمون من حدود للمساواة فى الشريعة الاسلامية ؛ والله تعالى يقول :

« فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر »

ولا اعلم أن فى كتاب الله تفرقة بين الرجل والمراة فيما نجادل فيه .

ليس فى القرآن الكريم : «لا تستوى المراة بالرجل» وانما الذى فيه ان الرجال انفسهم ليسوا سواء !

« افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ؟ لا يستوون »

« قل لا يستوى الخبيث والطيب ، ولو اعجبك كثرة الخبيث » .

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر اولو الالباب »

« لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة ، اصحاب الجنة هم الفائزون »

« وما يستوى الاعمى والبصير، والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء ، قليلا ما تذكرون »

« وما يستوى الاعمى والبصير . ولا الظلمات والنور ، ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات ، ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور ، ان انت الا نذير »

« وضرب الله مثلا رجلين : احدهما ابكم لا يقدر على شىء ، وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير ، هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم »

« اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد فى سبيل الله ؟ لا يستوون عند الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين »

والآيات كلها صريحة فى ان المساواة مرتبطة بالعلم والعمل، والصلاح والايمان دون ان يكون للجنس ، ذكرا أو انثى ، ارتباط بها من قريب او بعيد . .

ولا سبيل هنا الى تأول او احتمال !

ونؤمن بقوله تعالى: « الرجال قوامون على النساء » لكن لا على الاطلاق ، بل « بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما انفقوا من اموالهم » وليس بما هم رجال وبما هن نساء فحسب !

« وللرجال عليهن درجة » ليست تلك مطلقة بغير قيد ، وانما هى مسبوقة بالمساواة الصريحة فى الحقوق والواجبات :

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة »

درجة يستقيم بها حال الاسرة ويستقر البيت ، دون ان تنفى المساواة بينهما على الاطلاق . .

ولا احتج هنا بان تفاوت درجات الرجال انفسهم ، فى العلم او الرتبة او المكانة ، لا يهدر مساواتهم فى الحقوق الانسانية والقومية والمدنية .

بل احتكم الى القرآن الكريم ، فيما اذا كانت «درجة» امتيازا خاصا للرجل على المراة ، وليست للرجل نفسه على الرجل ؟

الرسل ، عليهم السلام، تتفاوت درجاتهم بنص الاية :

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات »

والصحابة ، رضى الله عنهم ، متفاوتو الدرجة ، بصريح قوله تعالى :

« لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل، اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا، وكلا وعد الله الحسنى »

والمؤمنون ايضا تتفاوت درجاتهم بتفاوت اعمالهم :

« ولكل درجات مما عملوا ، وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون »

والبشر عامة ، ليسوا سواء فى الدرجة :

« وهو الذى جعلكم خلائف الارض، ورفع

بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم »

وضلال ما بعده ضلال ، ان يقول مسلم ان للرجل على المرأة درجة ، لمجرد كونه رجلا ..

ولو كان فاسقا ، وكانت مؤمنة !
ولو كان جاهلا ، وكانت عالمة !
ولو كان خبيثا ، وكانت طيبة !

والذى يقول مثل هذا ، يلزمه القول بأن السيدات خديجة بنت خويلد ، وعائشة بنت ابى بكر ، وفاطمة الزهراء ، اقل درجة من ابى لهب ، وابى جهل ، ومسيلمة الكذاب !

وعليه ان يفتينا : اين درجة «آسية امرأة فرعون» من زوجها الطاغية ؟

واين يا ترى موضع «ام المؤمنين بنت ابى سفيان» من درجة زوجها الاول «ابن جحش» الذى ارتد عن الاسلام بعد هجرتهما الى الحبشة ! ؟

ان احدا ممن ناقشوا مشروع الميثاق لم يجادل فى مساواة رجال برجال ، ونساء بنساء ، وانما كان الجدل العقيم فى مساواة المرأة بالرجل ، يحرفون بها الكلمة عن موضعها ، فيجعلونها من المسخ الذى يجيز لسائل ان يسأل : هل تعدد المرأة الازواج بمقتضى المساواة التى اوجبها الميثاق ؟ ومتى ان يخشى مطالبة المرأة بأن يقاسمها الرجل سواء بسواء اعباء الحمل والوضع والارضاع !

ولم تفكر واحدة ممن اتيحت لهن فرصة المناقشة لمشروع الميثاق فى ان تطالب بأن تكون مساواتنا بالرجال فى حدود الشريعة الاسلامية ، التى لا يستوى عندها خبيث وطيبة ، وجاهل وعالمة ، وضال ومستقيمة

ذلك لاننا نعى ان الميثاق جملة ، لا يخرج على جوهر الدين ولا يشذ عن منطق العقل وقانون الطبيعة ..

وندرك حق الادراك ، ان المساواة لا تعنى قلب الاوضاع واختلال الموازين ومسخ الفطرة !

وقد آن لهذه المعركة ان تنتهى ..
نهاية حاسمة لا تسمح لها بأن تعود **لتثار من جديد كلما سرنا خطوة على الطريق ، لتعوق الركب المجد ، وتستنفد طاقات نحن احوج اليها لبناء وجودنا وتأمين المصير !**

التاريخ : ٦ / ٧ / ١٩٦٢

« واذا قيل لهم تعالوا الى ماانزل الله والى الرسول ، قالواحسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، اولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولا يهتدون ! »

قرآن كريم

« ان جوهر الرسالات الدينيةلايتصادم مع حقائق الحياة ؛وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف ؛ من محاولات الرجعية ان تستغل الدين ضد طبيعتهوروحه لعرقلة التقدم ، وذلك باقتعال تفسيرات له تتصادم معحكمته الالهية السامية »

الميثاق

كلمة من الميثاق

الرجعية وثنية فكرية

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

كما تشابهت المساواة بالمسخ على من جادلوا فيما اوجب الميثاق من مساواة المرأة بالرجل ، تشابهت الرجعية بالمحافظة على كثير منهم ، الى الحد الذى وقف فيه استاذ كبير يقول لنا بصوته الجهير :

«ان الرجعية كلمة حق يراد بها باطل ويجب ان نبقى الرجعية لان لنا فيها كوابح تلجم التهور والانحلال ..»

وسكت الكلمة ... ؛ وانا اتدبر عبارة الميثاق : «ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة ، وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية ان تستغل الدين ضد طبيعتهوروحه لعرقلة التقدم، وذلك باقتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية . »

... خفية الاستاذ ... وانا التى نشأت فى بيئة دينية محافظة ، اصرت على احتجاز بناتها سوانا مفوض فى البيت ، يتلون القرآن الكريم ويتلقين علوم العربية والاسلام ، ولم ... لاى واحدة منا بالخروج الى المدرسة لنتعلم . فلما شاقنى ان اتعلم ، لم اجد سبيلا الا ان اتسلل خفية فأؤدى امتحان الشهادات العامة من المنزل ، وحين تطلعت الى الميدان الادبى ... اضطررت الى ان اتخذه متنكرة باسم مستعار ، احتراما لابى الشيخ وخوفا من غضبه ..

وكانت تجربة خروجى ، من القسوة بحيث لم تطق اخواتى الخمس احتمالها اسفين حيث اراد لهن ابى ، ام تخلصن ... البيت الى طريق المدرسة !

ومع هذا ، اقول اليوم ... ايمانى

كلا ! بل الرجعية كلمة باطل يراد بها حق ، ولسنا ... انها التى تشيع غلواء المندفعين وجموح المستهترين ، وانما العكس هو الصحيح ، فهى التى تغرى بالجموح والتمرد ، **وهذه قضية فرغ علم الاجتماع من الفصل فيها ، وقالت الحياة فيها كلمتها ، بعد كل الذى عانت من مآسى التحلل الخلقى والفساد الدينى والتدهور الاجتماعى ، فى ظل الرجعية !**

والاسلام يأبى الرجعية ، لانه دين الفطرة والفطرة سنتها التطور ، ومحال فى قانون الطبيعة ان نسير ووجوهنا الى الخلف ، وعبث فى منطق الفطرة ان نتحدى حتمية التطور ، ونصر فى عناد على ان نعيش فى زمان غير زماننا ، ونفكر بعقلية عصر الناقة ، فى عصر الطائرات والصواريخ وسفن الفضاء ..

وان ديننا معجزته **كتاب** ، وآيته الاولى **((اقرأ))** لا يمكن ان يجمد عقولنا ويسد حركتنا الحرة المنطلقة فى آفاق الكون ..

وان القرآن الذى كرم البشرية فأمر **الملائكة ان يسجدوا لادم** ، ابى ... لا يمكن عقلا ان يرضى لامته رجعية متخلفة ، تدفعهم الى وراء ، والدنيا من حولهم تمضى وتطير ..

والذين يدعون تفسيرات بتصادم بها الدين مع العلم ، يجحدون آية الله جل جلاله :

((انما يخشى الله من عباده العلماء))

ويجحدون كذلك حديث النبى عليه الصلاة والسلام :

((العلماء ورثة الانبياء))

ويتجنون على شريعة سمحة خالدة ، تعتبر **((العرف))** وتجعل **((مصالح العباد))** اصلا ، وترى **((الضرورات تبيح المحظورات))** ، وتقرر المبادىء والاصول ، تاركة ... لسير الزمان ..

وهذا من اسرار عظمة الاسلام وخلوده **ان جوهره ثابت لا يتغير ..**

وانما نحن الذين نتغير ، فنجد كل منا فى الدين ملاذه وخيره وهداه ، على اختلاف الزمان والمكان ، وتباين الظروف والاحوال والاجواء ..

ولولا ثبات جوهره مع مرونة حيوية ... لما ظل شعوبا شتى ، تباينت ... وعقلياتها ومطالبها ... الحضارى ، ماديا ومعنويا ..

ومن خطأ ... ، الا نحدد **دلالات الالفاظ ومفاهيم الكلمات** ، ولو قد فعلنا لما جاز ان ... الامر على بعضنا ، فنخلط بين المحافظة والرجعية ..

المحافظة قانون طبيعى وسنة الهية :

فما من طور من اطوار الكائنات ، ... عن الطور الذى سبقه ..

وما من نبات يمكن ان يقوم ، بغير بذرة منفصلة من زرع سابق ..

وما من انسان يعيش اليوم ، وليس فيه عنصر جوهرى من الانسان البدائى الاول ، فى عصور ما قبل التاريخ ..

وما من شريعة سماوية ، لم تحتفظ **بجوهر الاديان التى سبقتها** ، وان تغيرت الشرائع لتساير تطور البشرية ورشد الانسانية ..

والمحافظة ، لا الرجعية ، هى التى تعصم ... من ضلال المستهترين ... جموح المندفعين ، وهى التى تصون اصالتنا

وتحمى بقاءنا ، بتقاليد واعراف لنا صالحه تصلنا بأعز تراث الماضينا ، وتمنح وجودنا قوة ومعنى . والشعب الذى لا يحافظ على كريم تقاليده وموروث عقائده ، يحكم على نفسه بالتبدد والضياع، ويبنى حاضره على هواء

وبالمحافظة ، لا بالرجعية استطاعت **العربية ان تحمى وجودها فى مهب الغزو الشعوبى والتترى والصليبى والاستعمارى ..**

وبها استطاعت مصر انتفرض وجودها على التاريخ رغم كل ما مر بها من عصيب المحن ، فلم تسمح لاى غاز دخيل ، او اجنبى غريب ، او مغامر عميل ، ان يزيف اصالتها او يمسخ شخصيتها .

والدنيا من حولنا ، تشهد شعوبا بلا ماض ولا تاريخ ، يحاول عدنا ان ينجو من **عقدة النقص** ، فيحسب ان يعالجها بكل ثرائه الفاحش ومدنيته المستحدثة ، على حين استطاع شعبنا ، **على فقره** ، ان يواجه الدنيا معتزا باصالته وعراقته، وان يستشرف ما يسعه الطموح الى اعز مكانة ، دون ان يستكثر علينا تاريخ عرفنا منذ كان .

ونص الميثاق على تمسكنا بموروث

عقائدنا ، واعتزازه بماض لنا عريق ، لا مجال لصوت يرتفع فينا منادنا بوجوب مقاومة رجعية تكبح انطلاقنا، او تحاول التشبث بقضايا اغلال يجب ان نستطيع تحطيمها لنمضى على الطريق **احرارا نقتحم العقبات** ونمضى حياتنا بايد غير مغلولة ، ونتدبر آيات الكون واسرار السماوات والارض، بقلوب مبصرة ، وعقول متفتحة للضياء :

« افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور »

فليت الذين يحاولون تحدى التطور ، يتدبرون آية الله : «**وقد خلقكم اطوارا**» ليريحوا ويستريحوا : ويدركوا عبث محاولة تشدنا الى الخلف

وكرم الله وجه «الامام على» الذى نصح للآباء — من فجر الاسلام — الا يقسروا ابناءهم على اوضاع خلت ؛ **وقد خلقوا لزمان غير زمانهم ..**

ورحم الله «**ابا العلاء**» شاعر العربية الاكبر ، الذى قال منذ الف عام:

امس الذى مر ، على قربه
يعجز اهل الارض عن رده

الا وان الرجعية ونتة فكرية ، وما اضل امما قبلنا الا انهم كلما جاءهم نبأ من الحق ، ابوا الا التشبث بما كان عليه آباؤهم :

« واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله ، قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ، او لوكان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولايهتدون !!»

صدق الله العظيم .

التاريخ : ١٣ / ٧ / ١٩٦٢

حرية الكلمة في المجال الأدبي

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



((الكلمة)) خطيرة وجليلة ولا يمسك حريتها الا من يقدر تبعتها ويؤمن بشرفها وجلالها !

كشفت المناقشات العامة والخاصة لميثاقنا الوطني ، عن مدى حاجتنا الماسة الى تحديد دلالات الالفاظ التي يحدث فيها لبس او اشتباه .

ومن اجل هذا، عالجت كلمة ((المساواة)) لئلا تتشابه على نحو ما بالمسخ الذي هو شذوذ وانحراف .

وكذلك فعلت في كلمتي عن ((الرجعية)) لافرق بينها ، وهي ردة عاقلة ، وبين ((المحافظة)) التي هي قانون طبيعي وسنة الهية ، وبها نصون اصالتنا ونحمي وجودنا

واليوم اعالج — في النطاق الادبي — قضية ((حرية الكلمة)) كيلا يساء فهمها وتفسد فيها المقاييس .

التاريخ : ١٣ / ٧ / ١٩٦٢

(٣)

فانبثا من يتصور ، ان حرية الكلمة تبيح لمن شاء ان يقول ما شاء ، بغير ضابط او قيد .

ومن هنا جاء الالتباس فيما [illegible] المناق من حرية النقد ، فحسبها قوم اباحة مطلقة ، تجيز لكل من هب ودب ، ان ينتهك الحرمات ويستبيح ما لا يباح ، باسم حرية النقد .

والحق [illegible] ، من ان نفتح [illegible] ثغرة لتزييف القيم وتضليل الوجدان العام وترويج بضاعة فكرية [illegible] المحتوى !

ونسوا ان «النقد» تبعة باهظة ، لا يجوز ان نتصدى لها الا من يقدر عليها ويدرك مسئوليتها .

وان «الكلمة» خطيرة وجليلة ، لا يملك حريتها الا من يؤمن بشرفها وجلالها ..

ومن هذا الفهم الممسوخ لحرية النقد جاز لاحدهم ان يبعث الى [illegible] بكلمة يحكم فيها علينا [illegible] الله [illegible] لخطأ [illegible] فكان «اعتدنا» في الاية الكريمة : «انا اعتدنا للكافرين سلاسلا واغلالا وسعيرا»

وباسم حرية النقد ، كتب استاذ جليل بكلية اصول الدين ، يهددني [illegible] السلطات على ، لاني اخذت بمذهب الكوفيين في تمييز العدد ، تيسيرا على العامة !!

ومدرس فاضل من كوم حمادة ، اصر باسم حرية النقد على نشر مقال [illegible] فيه بتلفيق قضية المساواة بين المرأة والرجل ، حين [illegible] الى الميراث [illegible] واغفلت ذكر آية المواريث :

«يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين» [illegible] الحجة على افضلية الرجل على المرأة بمجرد كونه رجلا فحسب !

والحق اني لم اتجه الى [illegible] الآية الكريمة عمدا ، لا [illegible] ولكن لانه لم يخطر ببالي قط ، ان [illegible] الحظ المقسوم لنا من الميراث [illegible] المرأة ، بل لعله اقرب عندي الى ان يكون امتيازا لها ، اذ اعطاها [illegible] ميراثها بمعفى من اي التزامات [illegible] الرجل ضعف حظها [illegible] باهظة ، والزم [illegible] ولو كانت موسرة [illegible] لها اذا شاءت ان تتقاضى [illegible] اعساره ، وان تطالب [illegible] في النفقة المفروضة عليه ، اذا لم يؤدها [illegible] كرها !!

وليس اقدح باغلوطة [illegible] النقد ، في المجال الادبي ، ذلك الذي تكشف عنه مقال بعث به الينا الدكتور نجم فارس الحركة العلامة [illegible] بيروت : «الادب العربي في آثار الدارسين» وقد اصر سيادته على نشره ، باسم حرية الكلمة ، وقد [illegible] علينا درسا في [illegible] [illegible] لا [illegible] في النقد الادبي [illegible] [illegible] !

[illegible] الادبي .

[illegible] للاستاذ احمد [illegible] في النقد الادبي [illegible] الاستاذ [illegible] اعترف بهذا الاخذ [illegible]

[illegible] النقد [illegible] الامريكية في بيروت [illegible] في الفصل [illegible] الكتاب [illegible] الى [illegible] الاستاذ [illegible] !

لم اكن اتصور ، ان تهتك الحرمات بمثل هذا النمط الشاذ من الاساليب ، وان يختل الموازين في النقد الادبي ، فتصير امانة المؤلف ، سرقة واختلاسا !

فهل هذا هو الدرس الذي يريد الدكتور ان يعلمنا اياه في ادب النقد ؟

وهل هذا هو مبلغ فهمه لشرف الكلمة وحرية الناقد وامانة القلم ؟

لقد ضلت المقاييس اذن ، ضلالا بعيدا ...

ولمثل هؤلاء جميعا اقول :

ان الحرية في الشرائع ، تبعة ومسئولية ...

واذا كانت الشرائع السماوية والوضعية تقضي بالحجر على حرية السفهاء والقصر وصيا على من لم يبلغ سن الرشد والقاصرين

التاريخ : ١٣ / ٧ / ١٩٦٢

حرية من يسيء استعمالها فيمس بالجرح [illegible] او يعتدي على الغير ..

كذلك الامر في حرية الكلمة :

يحجر عليها في حالات السفه والتلف العقلي ، وتصادر اذا اسيء استخدامها فاستبيحت بالدعاية او التشكيك فلا يجوز [illegible] من حرماته ..

فلا حرية لاديب يزيف القيم ، او يدمر معنويات الامة ..

ولا حرية لقلم ماجور ، تشتريه المؤسسات الاجنبية اداة لتسلل الغزو الفكري ..

ولا حرية لناقد ، يخون الامانة ويتحلل من قيودها !

وفي تاريخنا الادبي ، دروس جديرة بان تعلمنا ادب النقد ، وتبصرنا بمفهوم [illegible] حرية الكلمة .

وحسبي ان اشير هنا ، والمجال يضيق الى مواقف لعمر بن الخطاب : الذي اضاف الى تاريخ الانسانية سطورا الى كلمته الخالدة :

« اصابت امرأة واخطأ عمر ! »

كانت حركة الفتوح الاسلامية على عهده في اوجها ، والجيوش العربية [illegible] رايات الاسلام ، في المساحة الواسعة الممتدة من اطراف بلاد العجم ، الى شاطئ وادي النيل .

ولم يصرفه الانشغال بذلك الجهاد ، والمعركة بين العرب وبين الفرس والروم في ذروة احتدامها ، عن الالتفات الى الميدان الادبي ليبسط سلطانه ، تقديرا منه لخطر الكلمة ، وادراكا لخطورة اثرها على كيان الامة ، ونفوذ سلطانها على الوجدان العام ..

من اجل هذا ، لم يتردد ـ رضي الله عنه ـ ان زجر حسان بن ثابت ، شاعر الرسول ، عندما مر به في المسجد النبوي فسمعه ينشد قصائد كان قد قالها في هجاء المشركين قبل فتح مكة ، وكان عمر قد صادر حرية الشعراء في انشاد اهاجيهم التي قاسوا بها المشركين من قريش والمسلمين كيلا تهيج فتنة نامت بدخول الناس في دين الله افواجا .

وحبس عمر « الحطيئة » الشاعر ، لما اطلق لسانه في آل « الزبرقان بن بدر » وكان قد [illegible] بحمد ضيافتهم ، فقال يهجوهم :

ملوا قراه وهرته كلابهم
وجرحوه بانياب واضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك انت الطاعم الكاسي !

كذلك فعل رضي الله عنه مع الشاعر « النجاشي الحارثي » : صادر حريته حماية لاعراض الناس ، وهدده بقطع لسانه ، حين اطلقه في « بني العجلان » لخصومة بينه وبين شاعر منهم فقال فيما قال يهجو اياهم :

وما سمي « العجلان » الا لقولهم :
خذ القعب واحلب ايها العبد واعجل !

ولقد آن لنا أن نميز بين النقد وبين التجريح والتدمير والهجاء المسف ، وان يصبح ايماننا بحرية الكلمة ، فنناضل في سبيل تحقيقها للكاتب ، اديبا او ناقدا متى كان اهلا لاحتمال تبعاتها ، وقيودها التي تفرضها مركزه القيادي في المجتمع

وهذه القيود ليست عدوانا على حرية الكلمة عند من يقدرونها حق قدرها ، وانما هي اجدر بأن تكون احتراما لمدنية الانسان ، وصونا لكرامة الكلمة وشرف الحرية !

التاريخ: ٣٠ / ٧/ ١٩٦٢

تراثنا المشترك

هذه الوحدة الفكرية

تتحدى كل تفرقة بيننا

فى مجموعة من ذخائر التراث العربى ، نشرت حديثا بدمشق والقاهرة وقطر ، فأحييت آثار علماء وشعراء ، من نجد والحجاز ، ومن العراق والشام والمغرب والاندلس ، شهدت هذا اللقاء بيننا على امتداد الزمان والمكان !

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

فى خشوع واجلال ، وضعت امامى ما طالعت فى هذا الموسم ، من ذخائر تراثنا التى نشرت ، استعيد به ذكريات عصور للعربية زاهرة ، شهد التاريخ فيها جنودا من ابنائها ، على طول القطاع الممتد من قلب الشرق الاسيوى الى اقصى المغرب الافريقى ، عاكفين ورهينة علمية على خدمة العربيــة ، وكان بينهم عهدا ان يتقاسموا العبء الجليل وان يتلقى الشعلة المباركة خلف عن سلف كى تظل وهاجــة ابدا ، لا تخبــو ولاتنطفىء ...

وعجبت لهذه الوحدة الفكرية بيننا ، نلتقى فيها عند تراثنا المشترك ، وتربطنا بها اواصر وثيقة لاتنفصم ولا تنحل ، تجمعنا على تتابع الاجيال ، وتنائى الديار عبر الحدود والحواجز والاسوار ..

وطال تاملى ، وانا اشهد هذا اللقاء بيننا ، فكرا وقلبا ، ومزاجا ووجدانا ، يتحدى كل تفرقة بين اقطار الوطن الواحد ، ويؤكد ان ليس فى طاقة بشر ان يمزق الشمل الملتئم !

فهذا الرصيد الذى تزودت به من كنوز تراثنا ، قد اشترك فى خدمته علماء من شتى اقطار وطننا الكبير ، لم يتواعدوا على لقاء ، ولا كان بينهم سابق تدبير او اتفاق ، وانما اخذ كل منهم طريقه فى نطاق تخصصه وحدود طاقته ، ثم اذا بهم فى آخر الشوط ، يتقدمون جميعا الى محراب العربية ، بثمار الجهد الناصب والليالى الساهرات .

ففى دمشق الفيحاء تجرد نفر من علمائها لخدمة تراثنا ، فظفرت مكتبتنا باربع ذخائر غاليات ، نشرها **المجمع العلمى بدمشق :**

كتاب **الابدال** ، فى مجلدين كبيرين تاليف الامام اللغوى ، حجة العرب ، ابى الطيب عبد الواحد بن على ، واصل ابى الطيب من **الاهواز** ، وفى **بغداد** كانت دراسته وشيوخه ، وفى حلب كان مستقره شيخا لما . وكتابه الابدال : يعد من اوسع ما صنف فى الابدال اللغوى وكان الظن به انه ضاع فيما ضاع من مؤلفات ابى الطيب الذى استشهد فى فاجعة حلب الشهباء عام ٣٥١ هـ . لكن اراد الله ان يبعث الكتاب بعد الف عام فينشره مجمع دمشق ، فى طبعة بالغة الدقة والضبط والاتقان ، حققتها الاستاذ الجليل « عز الدين التنوخى عضو المجمع » وقدم لها ببحث قيم مستفيض فى الابدال اللغوى .

وكتاب **النوادر** ، فى اللغة ، لابى مسحل الاعرابى . وهو من بادية نجد ، رحل الى بغداد فى عصرها الذهبى وصحب «الكسائى» راس مدرسة الكوفة فى زمنه ، وعنه اخذ اللغة والنحو والقران ، ثم غلب عليه الاشتغال باللغة وروايتها ، فترك فى خزانتها كتاب «الغريب» وكتاب «النوادر» الذى يمثل لغة البادية فى الجاهلية وصدر الاسلام ، الفاظها واساليبها وامثالها ، ويعتبر اوسع نص لغوى وصل الينا عن المرحلة الاولى لجمع اللغة وتدوينها ، مرويا عن اعرابى صميم بطريق علماء كبار ، منهم ابو العباس «ثعلب»

وقد ظل كتاب النوادر مدفونا فى سراديب الخزائن التركية ، حتى عثر عليه الدكتور عزة حسن ، مع كتاب «اصلاح المنطق» لابن السكيت ، فى مجلد واحد كبير ، بخزانة كوبريللى فى استانبول .

وعن هذه المخطوطة الاصيلة الفريدة — فيما نعلم — والتى يتصل نسبها بابى مسحل عن طريق رواة معروفين ، نشر المجمع العلمى بدمشق هذه الطبعة المحققة فى مجلدين [illegible] ين، بعناية «الدكتور عزة حسن» الذى قدم الى المكتبة العربية منذ عامين ، النص المحقق لديوان الشاعر الجاهلى «بشر بن ابى خازم»

ومن تراث الاندلس الادبى ، نشر المجمع كذلك ، كتاب **«اعتاب الكتاب»** جمع كاتب — لابن الابار القضاعى ، المولود ببلنسية عام ٥٩٥ هـ وفيها تفى طفولته

التاريخ : ٣٠ / ٧ / ١٩٦٢

وصبا ، يتلقى علوم العربية عن شيوخها الكبار ، ثم اشتغل كاتبا لامرائها . ثم سقطت المدينة ، فهاجر باسرته الى تونس لغير عودة او مآب

وفى تونس ، هيأت له نجابته وخبرته وتلمه ، سبل الشهرة والنجاح ، ثم غضب عليه السلطان ، فكانت وسيلته اليه ان عكف على ماضى تاريخ الامراء والملوك مع كتابهم ، فى المشرق والمغرب فالتقط منه مواقف بعينها ، تعرض فيها الكتاب لغضب السلطان ، ثم ارتفع الغضب واقيلت العثرة بوسيلة ما . ومن هذه المواقف الف «ابن الابار» كتابه ، فجاء نمطا فريدا فى الترجمة لاعلام من الكتاب ركز فيها اهتمامه حول صلة الكاتب بالسلطان بين غضب ورضا . وقدم الكتاب الى «السلطان ابى زكريا التونسى» نفسه

ولاول مرة ينشر هذا الكتاب ، حققه وعلق عليه وقدم له «الدكتور صالح الاشتر» عن ثلاث نسخ خطية ، فى مكتبات القاهرة والاسكوريال والرباط

ومن تراث العربية فى القرن الرابع الهجرى ، نشر مجمع دمشق نصا حققه «الدكتور سامى الدهان : عضو المجمع» من «رسالة ابن فضلان» فى وصف رحلته الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبه وكان فقيد العروبة ، العلامة «محمد كرد على» هو الذى لفت الدكتور الدهان الى الرسالة ، وحثه على العناية بها ليقرأ ابناء العربية حديث اجداد لهم سمت بهم همتهم وطموحهم الى ان يجوبوا الآفاق ، والسفر اذ ذاك قطعة من العذاب ، التماسا للثقافة ومعرفة الدنيا والناس .

وقد عنى الروس بهذه الرسالة ، نشرا ودراسة وترجمة ، منذ مائة عام ، وعدوها مرجعا هاما لا غنى عنه ، فى وصف بلادهم وبلاد الترك والصقالبة ، حضاريا واجتماعيا وجغرافيا فى القرن العاشر الميلادى .

ولمدى سنوات طوال ، عكف الدكتور الدهان على تحقيق النص واستجلاء غوامضه ، بمقابلته على ما فى مؤلفات جغرافيى العرب ، والرجوع الى الشروح

والتعليقات التى كتبها مستشرقو الروس والالمان فى الطبعات الغربية للرسالة .

وفى القاهرة : نشرت طبعة اولى محققه من «الديوان قيس بن الخطيم» شاعر الاوس وفارسها فى اخريات الجاهلية . عن نسخة مصورة لمخطوطة فى مكتبة «طوب قبوسراى» بالقسطنطينية ، حققها «الدكتور ناصر الدين الاسد» مع تخريج كل قصيدة من قصائد الديوان ، بالرجوع الى المصادر التى روت القصيدة ، او ابياتا منها ، او خبرا عن المناسبة التى قيلت فيها . وفى هذا التخريج ، وضع الدكتور ناصر ، قديم المكتبة الادبية للعرب ، فى خدمة ديوان الشاعر الذى قال عنه «ابن سلام» فى طبقاته و«المرزبانى» فى معجمه : ان من الناس من يفضل قيسا على حسان بن ثابت شعرا . وقال عنه حسان نفسه : «انا اذا نافرتنا العرب فأردنا ان نخرج الحبرات من شعرنا ، اتينا بشعر قيس بن الخطيم»

والديوان يضيء لنا فترة الارهاص الادبى قبيل المبعث ، ويقدم لنا من قيس ، شاعر القبيلة كما عرفه العرب فى قديمهم الاصيل : سيدا وقائدا ..

وفى القاهرة كذلك ، ظهرت طبعة جديدة متقنة من كتاب «الفاخر» الذى الفه «ابو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم . من ائمة اللغويين فى القرن الثالث الهجرى» وحقق فيه طائفة من مشهور الامثال والاقوال التى تجرى على السن العامة ، فردها الى اصولها ، وجلا معناها ، وناقش اقوال العلماء فيها ، بما يبين فقهها اللغوى وتوجيهها النحوى والصرفى .

وكان المستشرقون قد التفتوا قبلنا الى هذه الذخيرة اللغوية ، وفطنوا الى ان كثيرا من الامثال والعبارات فيها ، لا يزال يجرى اليوم على لساننا ، فنشرها

(٤)

المستشرق الانجليزى « ستورى » منذ نصف قرن، عندما كان يعلم العربية فى معهد «عليكرة» بالهند . لكن طبعتها نفدت من زمن ، ولم يعد من السهل الظافر بنسخة منها ، لندرتها فى الاسواق .

وبتكليف من الادارة العامة للثقافة ، بوزارة الثقافة والارشاد ، قام **«الاستاذ عبد العليم الطحاوى »** رئيس تحرير مجمعنا اللغوى ، بتحقيق الفاخر عن مصورة لمخطوطة فى مكتبة «نور عثمانية» واخرى فى مكتبة «الفاتح» بتركيا ، وقابل عليهما قطعة من الفاخر ، نشرتها مطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ هـ ، ضمن مجموعة عنوانها «خمس رسائل»

اما التخريج والتعليق ، فحشد له السيد المحقق ، عددا من اصيل كتب اللغة والامثال والدواوين ، ثم قدم للكتاب بترجمة مفصلة لابى طالب المفضل ، وشيوخه وتلامذته ورواته ، ومكانته العلمية ، وآراء العلماء فيه ، مع ثبت بمؤلفاته التى احصى منها «ابن النديم» فى الفهرست : عشرين كتابا . وذيل الكتاب بفهارس علمية دقيقة وافية، وراجعه فضيلة الاستاذ «الشيخ محمد على النجار» عضو المجمع

ومن «قطر» على ساحل الخليج العربى شد السيد عبد البديع صقر رحاله الى المغرب الاقصى ، موفدا من «سمو الشيخ **على بن عبدالله آل ثانى: عالم قطر وحاكمها السابق»** للبحث عن نسخة خطية من ديوان الشاعر الاندلسى **«ابن دراج القسطلى»** الذى عقدت له امامة الشعر بالاندلس فى عصره ، وقال فيه «ابن حزم» : «لو لم يكن لنا من الشعراء الا احمد بن دراج ، لما تأخر عن شأو حبيب — ابى تمام — والمتنبى»

وانطلق الشيخ صقر بمكتبات الاسكوريال والدار البيضاء والرباط وجامعة القرويين وطنجة ، حتى اهتدى — بعد مشقة وطول بحث — الى مخطوطة للديوان فى المكتبة الزيدية بمكناسة ، ومنها اخذت نسخة مصورة ، عهد بها سمو الشيخ عبد الله الى **«الدكتور محمود على مكى : وكيل معهد الدراسات الاسلامية بمدريد»** فنهض بعبء تحقيق الديوان وخدمته ، ثم طبع فى دمشق على نفقة الامير الشيخ ، مصدرا بمقدمة كتبها العلامة **«الشيخ محمد بن مانع»**

واذا كانت العربية قد كسبت باحياء هذا الديوان ، ذخيرة ادبية من تراثها الشعرى ، فان المشتغلين منا بالدراسات الاندلسية : سوف يجدون فيه صدى وقع الأحداث الكبرى على وجدان شاعر عاش فى فترتين هامتين من عصور الاندلس تشهد مجدها السياسى والحربى والادبى فى ظل دولة المنصور بن ابى عامر وولده المظفر ، ثم راى من بعدها تصدع دولة العرب بالاندلس ، وتمزق شمل الجماعة بقيام ملوك الطوائف .

وقد حرص «الدكتور مكى» فى خدمته للديوان ، على ان يشير الى ما فيه من تسجيل لاحداث هامة ، لم تذكرها المراجع التاريخية للمكتبة الاندلسية .

والديوان مصدر بدليل هام ، يرشد الى المصادر والمراجع القديمة والحديثة فى ترجمة «ابن دراج» سواء منها ما كتبه العرب ، وما كتبه المستشرقون . ومذيل بملحق بما ورد فى المراجع الشرقية والاندلسية من شعر ابن دراج ونثره ، وليس فى هذه النسخة من ديوانه .

ومن « قطر » كذلك ، اخرج سمو **« الشيخ على بن عبد الله آل ثانى »** من مكتبته العامرة ، نسخة خطية لشرح « مقصورة ابن دريد » وعهد بها الى « المكتب الاسلامى للطباعة بدمشق » حيث نشر لها طبعة جيدة ، حقق نصها الاستاذ « عبد القادر زكار » وضبطه وخرج شواهده ، « الشيخ زهير شاويش » .

والمقصورة هى اشهر شعر ابى بكر محمد بن الحسن بن دريد ، من ائمة العربية فى القرن الثالث . وقد بلغ عدد شروحها نحو خمسة وثلاثين ، اشهرها شرح « الخطيب التبريزى : تلميذ ابى العلاء » وهو الذى نشرت منه طبعة دمشق .

هكذا تتآزر الجهود على خدمة تراثنا المشترك ، فتنشر منه هذه الكنوز الغالية التى تطوى الآماد واصلة ما بيننا وبين ماضينا العريق ، وتلغى الحواجز والابعاد رابطة ما بين الاهواز وبغداد والكوفة ، وقطر ونجد والحجاز ، وحلب ودمشق والقاهرة ، وتونس والرباط ومكناسة ، مسجلة حقيقة هذه الوحدة الفكرية بيننا على امتداد الزمان والمكان ..

فما اروعها من آية تتحدى كل تفرقة بيننا ، وتعصمنا من اليأس حين تتكاثف الظلال والغيوم على الافق ، وتزأر ريح الفتنة واعاصير الاهواء ..

فلتكن كلمتى هذه ، تحية متواضعة لهؤلاء النفر العلماء من جنود العربية الفدائيين البواسل ، يجاهدون تحت اللواء المشترك فى اعز ميدان ، ليعلموا اننا نقدر جهودا يبذلونها فى اريحية سخية لخدمة تراثنا ، وهم يدركون ان مثل تلك البضاعة الغالية، تجد من الرواج والاجر المادى ، ما تجده اغنية رخيصة ماجنة، او قصة مبتذلة تافهة ..

التاريخ : ٢٧ / ٧ / ١٩٦٢

قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن

كتاب من طرابلس

تأليف : الشيخ نديم الجسر
تقديم : الدكتورة بنت الشاطئ

تلقيت هذا الكتاب في مستهل العام فكان اول ما لفتني اليه ، ان مؤلفه فضيلة الشيخ نديم الجسر : مفتي طرابلس ولبنان الشمالي، قد طبع منه [illegible] الالف ، طبعة انيقة باهظة التكاليف ووزعها على العواصم الاسلامية ، هدية خالصة الى الهيئات العلمية وطلاب الفكر في الوطن العربي ، مع اقرار من فضيلته يبيح به لمن يشاء ، ان يعيد طبع الكتاب او يترجمه وينشره ، دون التزام باي حق مادي للمؤلف الذي لا يشترط غير اتقان الطبع وصحة الترجمة وبيع الكتاب بثمن معتدل ، مقابل تنازل صاحبه عن كل اجر او مكافأة !

وانفعلت بمسلك الشيخ ، وانه ليعيش في عالم ولّى يعبد الدولار والشلن والريال ، ويذكرني بروائع التنزيل التي تسطع من الصحراء نفاذة مخضرة ، فتحيي مشاعر الخير وانسانية الانسان

وقرأت الكتاب القراءة الاولى فلم اتردد في الحكم له بانه كتاب الموسم، وسجلت حكمي هذا في مقال كتبته لبيروت، اقتصرت فيه على بيان مبررات الحكم دون ان اتناول الكتاب بدراسة موضوعية لم تتحها لي القراءة الاولى .

ومرت اشهر وانا ارتقب فرصة اعود فيها الى الكتاب على طمأنينة وسعة من الوقت ، ثم كانت كلمة من ميثاقنا الوطني ، هي التي شدتني الى الكتاب رغم كل الشواغل والمشاغل التي تستنفد يومي ، وملء نفسي شعور بغبطة اللقاء الموعود ..

تلك الكلمة هي :

« ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة .. وان الاقناع الحر هو القاعدة الصلبة للايمان »

بها اذكرت قصة الايمان ، بروبها عالم دين لم يحطل الجمود عقله ولم يلجم حريته ، فانطلق يجوب آفاق المعرفة ويتصل بمنابع الفكر الفلسفي وميادين البحث العلمي ، حتى اجتاز الحاجز المظلم الذي يصد كل فكر جديد ، وترك الجامدين بمنأى من التطور المتلاحق الذي تدفعه جهود البشر في كل مكان ..

واليوم يسعدني حقا ان اقدم الى قراء الادب ، ذلك الكتاب الذي يلتقي فيه العلم بالدين ، لقاء لا شك انه لذلك الصراع الموهوم الذي يملأونا ضجيجا بجلبهما ..

واعترف لهم ، بادئ ذي بدء ، انه ليس من الكتب التي تنشر على عجل ويستوعبها القارئ في بساطة ويسر وانما هو كتاب يجب أن يتزود له ، يطالعه بكل طاقاته العقلية والروحية والوجدانية .

والقصة يسيرا ، تبدأ حيث يبدأ صراع الموهوم بين العلم والدين : شاب تربى تربية دينية ، وامضى طفولته الناعمة وصباه الطري ، في حضانة والد شيخ تقي ، ثم التحق بجامعة ، امرها موكول الى نفر من المشايخ الجامدين ، وهناك تطلعت نفسه الى المعرفة فبدأ يسائلهم من سر الوجود ، كنه الخلق ، فلا يجيبونه بغير الزجر والتصد والوعيد . ولما يئس منهم مضى يلتمس الجواب من اسئلته في كتب الفلاسفة ، فلم ترده الا حيرة وضلالا . وبلغت المحنة ذروتها لطرده من الجامعة جهلا بمسكر ساو المشايخ وراء اسوار جمودهم ولا يسمع بقول زملائه الطلاب ، بلونه الشك والحيرة الذائب .

وقال له ابوه ناصحا :

.. لقد كابدت قبلك يا بني كرب الشك وبلاء الحيرة ، ثم كانت نجاتي منها بكلمة سمعتها من شيخي العالم الفقيه الفيلسوف «ابي النور الموزون السمرقندي» : ان الفلسفة بحر على خلاف البحور سواحله خطرة يضل فيها الراكب والامان والايمان في لججه واعماقه ، تدع عنك يا بني هذه القراءات الناقصة المشوشة البتراء التي تهز الايمان وتجعله والعقل على طرفي نقيض .

(شد «عمران» رحاله يلتمس الشيخ «ابا النور» في سمرقند ، وكان قد اعتزل بها الناس في شيخوخته ، منقطعا الى الله متفرغا للزهد والتعبد .

واحتال «عمران» حتى اقتحم على الشيخ عزلته ، ومن ثم بدأت رحلته معه يخوض به بحار الفلسفة ومجاهل العلم ويحلق به في آفاق الدين على معارج من الفكر الطليق والاقناع الحر ، حتى اوصله بعد جهد ومشقة الى منطقة الايمان ، هناك حيث تنجلي الشبهات وتنجاب الشكوك ، ويتجلى نور الحقيقة ساطعا ، ليمحق ظلمات الزيغ والحيرة والضلال ..

في هذه الرحلة الشاقة المجهدة وعلى طول المسرى في متاهات الوجود واغوار الكون التماسا للهدى ، كان الفتى «عمران» يسأل ويجادل ، والشيخ «ابو النور» يصغي ويجيب ، لم يحاول مرة ان يزجر سائله او ينهره ، ولا ابدى بادرة ملل او ضجر ، مما ينفض الفتى من شكوك ارهقت عقله ، وعصفت بسلامه النفسي .

وفي هداة الليل ، كان الحوار بينهما يمتد حتى مطلع الفجر ليعود ليستأنف اذا ولى النهار ، وبرفق ومصابرة واحتمال ، اخذ الدليل بيد فتاه «ليسير مع الباحثين عن الله» من قديم الآباد ، ثم حلق به صعدا الى قمة «تلاقي المسافرة» حيث يلتقي عظام الفلاسفة ، والافذاذ العلماء ، واكابر المشايخ ، عند مشارف الايمان بأن الحق واحد ، وان تعددت سبل البحث عنه وطرق الدليل عليه ، ولا تختلف عليه العقول عند قوم يتفكرون ويعلمون ، ويوقنون ، ويؤمنون ، كما وصفهم القرآن الكريم .

التاريخ : ٢٧ / ٧ / ١٩٦٢

ثم يصل الشيخ رحلة في «الهلة الظمآن» حتى اذا اطمأن الى ان فتاه حيران ، قد اجتاز مرحلة الشك والحيرة ، وظفر بايمان العقل ، حتى يتلو عليه «ان كلمات ربي» آيات بينات ، يخشع لها العقل الحر المستنير ، مثلما يخشع له الوجدان المؤمن المطمئن ..

وكانت خاتمة المطاف ، وصية للشيخ الى فتاه ، يلقي نظرة شاملة على اشواط الرحلة المثيرة ؛ لماذا "الحق بين والضلال بين ، واذا كل ما اجهد الانسانية من صراع بين العلم والدين ، انما كان مصدره في الحقيقة :

جمود شيوخ يعيشون في عزلة من العلم والحياة وراء اسوار صماء تحجب عنهم الآفاق الرحبة الحافلة بآيات القدرة يهتدي اليها العقل البشري الحر ، ويكشف عنها العلم في دأب واصرار ، ولا يدركها الا الذين ينطلقون احرارا مستجيبين لدعاء السماء :

« سنريهم آياتنا في الآفاق ، وفي انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق »

وغرور متفلسفين ومتعالمين ، يتشدقون بكلمات خاوية تافهة عن تضاد بين العلم والدين ، وحظهم من اولهما قشور ومن الآخر هباء ..

اما الراسخون في العلم ، فيوقنون ان الايمان حق وضرورة ..

واما فقهاء الدين ، احرار الفكر والعقل ، فيؤمنون ان الاطلاع على اسرار العلم فريضة ، وضرورة لكمال الايمان : «انما يخشى الله من عباده العلماء »

وانبه هنا الى ملحظ جليل وخطير للاستاذ الشيخ الجسر ، حين حشد الادلة العقلية للايمان وتتبع الشواهد العلمية ، رياضية وطبيعية المؤيدة له ، لم يغب عنه ان ومي هذه الادلة انما يحتاج اول ما يحتاج الى شغف بالحق ، والى فكر متحرر من اغلال التعصب ، ومن الخضوع لسيطرة الوهم الشائع ، بأن العلم والدين ضدان لا يجتمعان .

وحين تتبع فضيلته ما في القرآن الكريم من آيات محكمة ، مطابقة لأحدث ما وصل اليه العلم ، لم يخطر بباله لحظة ان يدعو الى القولة السائجة بأن القرآن

الكريم جمع كل نظريات العلوم ، بل حرص الشيخ على ان يحمي فتاه من التأثر بتلك البدعة السائجة ، وكأن في نفسه منها شيء جعله يقول لشيخه :

ـ انني سمعت من بعض العلماء ان القرآن لم يترك شيئا من العلوم الا اشار اليه .

لكان الجواب صريحا :

ـ كلا يا حيران كلا .. فالقرآن ليس بدائرة معارف علمية ، ولا من مقاصده ارشاد الناس الى العلوم الكونية من باب التعليم . ولكن ماورد فيه من الايات ، انما ورد بقصد التنبيه الى ما في خلق العالم من آثار الارادة والقدرة ، والعلم والحكمة ، والاتقان والاتزان ، الدالة على وجود الله ، النافية للتكوين بالمصادفة ، ولم يقصد به تقرير العلوم الكونية .. لقد اشار الى دلائل وجوده تعالى وقدرته وعلمه وحكمته ، ببيان عجيب يفهمه على فطرته ، البدوى الساذج في القرن السابع ، ويفهم اسراره رجل العلم في القرن العشرين .. وفي هذا يتجلى اعجاز القرآن ، لا في بلاغته وحدها التى يدركها العرب ، ولكن بما يرى البشر كافة من آياته تعالى في آفاق السماوات والارض ، وفي انفسهم .. يقررها القرآن الذى نزل منذ نحو اربعة عشر قرنا ، على النبى الامى في الجزيرة الامية ، بابلغ عبارة واوجز اشارة والطف تنبيه ، تقريرا معجزا يدرك العامة ظاهره ، ويبقى تحت الاعماق للاجيال ، مالا يستطيع ادراكه الا العالمون

فلماذا جمعت هذه الآيات المحكمات ، مع ما ايدها من حقائق العلم على صعيد واحد ، تظهر الحق الذى يستحيل على الشك ان ينازع فيه اليقين او يزعزعه او يزلزله .

والى هذا قصد الشيخ ، حين جمع ادلة القرآن وادلة الفلاسفة مع شواهد العلم ، على صعيد واحد ، لتظهر الصورة الشاملة للحق بكل جلالها وجمالها .

وبعد فما اردت بمقالى هذا التعريف بكتاب تحتاج كل كلمة من صفحاته التى قاربت خمسمائة ، الى التدبر والتأمل

كلا .. ولا كان القصد من المقال ، تقديرا للمؤلف اعلم حق العلم انه لايميل الى الوفاء به والاعراب عنه ..

وانما هى كلمة سريعة ، اردت بها الوفاء بحق القراء على ، حين الفت طلاب الحق ومشتاق المعرفة منهم ، الى قمة رائعة يعز نظيرها في هذا الاوان ، وحين ادلهم على اوفى واخصب ما طالعت في موضوع : الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن

« ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ، ويزداد الذين امنوا ايمانا »

صدق الله العظيم

علم بلا أجر

بقلم : الدكتورة بنت الشاطئ

يارسول الله !
مع هلال ربيع نحتفل بذكرى مولدك
والى مقامك العالى نقدم قرباننا
العلم لكل طالب
بلا اجر ولا ثمن ..
ملبين دعاءك الكريم
الذى ظل يتردد ملء سمع الزمان
منذ بعثك الله تعالى فى الاميين
«رسولا منهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »

ياخاتم النبيين ..
اى تحية تهدى الى ذكرى المولد
احب اليك ، واحق برضاك ..
من ان يهل هلال ربيع
فيرانا على صراطك الحق ؛
قد شارفنا الغاية الجليلة
واستجبنا للدعاء النبيل
فآمنا ان «القراءة» واجب وفريضة
وان العلم حق شرعى مشترك
وان الجهاد لكفالة هذا الحق
دين .. وايمان

والتاريخ الذى بهره ان يكون « كتاب » معجزة نبى امى ، من قوم اميين
والذى رنا اليك ماخوذا
وانت تتلقى كلمة الوحى الاولى
« اقرا »
فتجيب معتذرا : ما انا بقارىء .

« وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذن لارتاب المبطلون »

التاريخ الذى اصغى اليك فى عجب
وانت تتلو فى الاميين العرب
منذ نحو اربعة عشر قرنا من الزمان
كلمات السماء :
« الرحمن ، علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان »
«ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون»

التاريخ الذى لاعهد له برسول امى
يجعل جهاده فى سبيل العلم
جهادا فى سبيل دعوته ..
مؤكدا ان الايمان برسالته
نور يهتدى اليه «اولو الالباب»
ومبلغا دعاء السماء : —
«بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم»
«والراسخون فى العلم ، يقولون آمنا به»
«ويرى الذين اوتوا العلم ، الذى انزل اليك من ربك هو الحق»
«وتلك الامثال نضربها للناس ، وما يعقلها الا العالمون»
«انما يخشى الله من عباده العلماء»

هذا التاريخ ..
يشهد اليوم انا نسير على نهجك
ونهتدى بهداك ..

ويسجل انا قد حملنا لواءك الاغر
لنحسم معركة طال مداها
منذ بدات جهادك لتعلم الامين
وجعلت فداء الاسير المتعلم
ان يعلم عشرة من صحابتك
القراءة .. والكتابة
وقلت لقومك اصحابك داعيا ومحرضا
((اطلبوا العلم ولو فى الصين))
وبينهم وبين الصين حينذاك
اماد وابعاد .. ومخاطر واهوال !

ولقد طال على امتك الابد
وهم راسفون فى اغلال الجهالة
محجوبون عن نور العلم ..
وقدجعلته ((فريضة على كل مسلم ومسلمة))
وعاشوا زمنا وادهارا ..
يخبطون فى ظلمات امية عمياء
كلما ارادوا ان يخرجوا منها
شدتهم اليها ايدى جبابرة طغاة
يخشون ان يفتح العلم عيون رعاياك
وان يكشف الوعى اوضاعا باغية لئيمة
تعطل شريعتك الغراء
وتهدر انسانية الانسان

▲

وتتابعت اجيال وراء اجيال
والعلم فى امتك يباع ..
باغلى الاثمان .
كى يحال بينه وبين ملايين الفقراء
ممن سلبوا ثمرة كدهم وحصاد زرعهم
ووئدت فيهم نوازع الطموح

وباءوا بالشقاء والحرمان ..
فباتوا ليلهم الطويل البهيم
يحلمون ((بجنة اكثر اهلها الفقراء))
مخدرين باصوات ماجورة تغنيهم
الجهل نعمة،والصبر طيب،والقناعة كنز .
والفقراء لهم جنة الاخرة ..

كان لم يكن من نعمة الله عليك :
ان وجدك يتيما فاوى .
((ووجـدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فاغنى))

▲

فلبيك لبيك ، ياداعى السماء ..
العلم لنا حق .. وعلينا فريضة
وبابه مفتوح عندنا لكل طالب
يدخله حرا كريما ..

لابذل وجهه بسؤال واستجداء
ولايصده عنه عجز عن اداء الثمن
وقد هدانا الله بك
والعلم فى شريعتك لايباع..
لانه سبيل الله ..
به يستكمل الانسان انسانيته
ويصح ايمانه

وبنوره يهتدى الى الرشد
ويميز الحق من الباطل
ويعرف الطيب من الخبيث
وقد بعثت فينا لتعلمنا

وماكنت تطلب اجرا او تتقاضى ثمنا
((قل ماأسالكم عليه من اجر ، الا من شاء اتخذ الى ربه سبيلا))

ويا هلال ربيع :
هذه تحية مصر الثائرة المؤمنة
فى احتفالها اليوم بك
وموعدنا معك قريب
لترانا فى دورتك التالية

وقد تم لنا النصر فى المعركة الاخرى
فادينا حق الله والانسانية
لكل محتاج ومحروم
واكرمنا كل اليتامى
اكراما للنبى اليتيم
فالى موعدنا غدا ياهلال ربيع
اوليس الغد بقريب .

التاريخ : ١٧ / ٨ / ١٩٦٢

١ شاعر من الشارقة



جمهرة القرا يعرفون سمو ((الشيخ صقر بن سلطان القاسمي)) حاكم الشارقة على ساحل عمان ، وضيفا عزيزا يحل بديارنا اليوم ، في بلده وبين اهله وعشيرته لكن قليلا من خاصة المهتمين بالحركة الادبية للعرب اليوم ، في افقها الواسع هم الذين يعرفونه كما اعرفه : اديبا شاعرا

ومعرفتي به لم تكن بلقاء شخصي ، وانما هو اللقاء الفكري الذي بدا منذ قرات ديوانيه : ((الفواغي ، وصوت الحق)) وقد تفضل فبعث بهما الي قبل سنوات ، من اقصى شرق الجزيرة .

بطاقة لأمير!

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

يوما قلت في نفسي ، واستغفر الله مما قلت : لعل الشيخ الامير يتسلى بالشعر او لعله بعد ان تمت له ابهة السلطان ، يابى الا ان يضيف اليها بعض درر الادب : زينة وحلية ..

ومن قبل ، عرف التاريخ الادبي لبعض السلاطين ، مثل هذا الولع بزينة الادب ! غير اني ماكدت امضي في مطالعة الديوانين ، حتى ادركت اني اصغي الى صوت شاعر ، مرهف العاطفة ذكي الوجدان ..

ورجعت القافية في سمعي ، صدى من قديم الجزيرة الاصيل ، حين كان للشعر فيها دولة وسلطان ..

كان الشاعر ، في ديوانيه هذين ملتزما بالعمود التقليدي ، لايخرج على قيود شكله العروضي ، ولايكاد يتجاوز حدود مضمونه الموروث ، غير اني لمحت من وراء تلك القيود ، رغبة خفية في التحرر ، وتطلعا ملحا ، الى الانطلاق نحو آفاق جديدة ، وا[illegible] بتيت شاعريته تحوم حول النبع المطمور في اعماق الصحراء ، وكانما كان كل جهد الشاعر ، ان ينفذ الى تلك الاعماق بغية ورود النبع الصافي ، في اصوله الاصيلة غير مختلطة بالزيت الذي ينساب تحت سطح الرمال ..

ومن ذلك النبع نهل شاعر الشارقة ، ومن زجاجته سقى (فواغيه) [illegible] رشداها العطر ، ولا اثر ابه لرائحة البترول ..

وانطلق ((صوت الحق)) يشدو بالنغم متجاوبا مع ماوعت الصحراء من اصوات شعرائها القدامى ، الذين رووا رمالها بالشجن العذب ، وملؤوا ملء فضائها العريض فخفقت قلوب البشر ، وحنت الابل ، وطرب وحش الفلاة ..

وامسكت نفسي مع ذلك ، فلم اكتب عن شاعر الشارقة !

اتقول لماذا ؟

كنت اذ ذاك قريبة عهد برحلتي الى جزيرة العرب ، وقد بهرني هناك جبروت العلم الذى نقل البدو بغتة من عصر الناقة الى عصر الطائرة ، حين كشف عن سر الزيت الذى اخفته الصحراء طويلا ..

وتاثرت بما لقينا من كرم ضيافة الملك الراحل ، « عبد العزيز آل سعود » الذى امر بمنحي لقب «اميرة الصحراء» تحية لاعتزازي بعروبتي ، وولعي بدراسة تاريخ العرب والاسلام .

وتاثرت كذلك ، بما سمعت من شعر «الامير عبد الله الفيصل» حين استقبلنا بتمره الفخم في جدة .

لكني رغم كل ما رايت وسمعت ، بعيدا عن قصور الضيافة ، ومعامل البترول ..

وعدت لاكتب عن رحلتي في «ارض المعجزات» فكان امتحانا لامانة قلمي وشرف ضميري .

وانتصرت الامانة :

فسجلت في «ارض المعجزات» ابشع صورة ـ والتحية ـ لماساة الرق في نجد ..

ونقلت المشهد الفاجع لجماعة البدو رايتهم ، يصلون صلاة الاستسقاء بعد ان اجهدهم الظما واضر بهم الجوع ، على بعد خطوات من مطعم الضيافة في « مطار الظهران » حيث تناولنا افطارنا السخي الشهي ، وعلى مائدتنا من الشراب حليب وقهوة وشاى وكاكاو ، وعصير انواع من الفاكهة ..

وكتبت بعدها عن صدمة الانتقال المباغت الذى اعطى الترف المادى على حساب انسانية الانسان !

والامير الشاعر هناك ، يشدو بقصائده العاطفية المطربة ، وكل هذا يحدث بمراى منه ومسمع

ولا انكر مع ذلك ، ان الامتحان كان قاسيا !

فيوم نشرت «ارض المعجزات» وكتبت بعده ماكتبت عن افاعيل الزيت ، كان الجو السياسي بين القصر الملكي بالقاهرة ، وبالرياض ، صافيا لا تشوبه سحب ولا تعكره غيوم .

والمثل عندنا يقول : اطعم الفم تستحي العين ..

وقد بلوت نفسي ، فما استطاع كرم الضيافة ولا لقب «اميرة الصحراء» ان يكسر عيني فلا ترى ماساة الرق ، ومشهد صلاة الاستسقاء ، وافاعيل الزيت ..

وقد خطر لي ، انى اذا كتبت عن شاعر الشارقة ، فربما التمس وسيلة لاكرامي على نحو ما اكرمني عاهل الجزيرة الراحل ، فاعفيت نفسي من التعرض مرة اخرى ، للامتحان ..

وأذكر انني تساءلت بعد ان فرغت من قراءة «النواغي ، وصوت الحق»

ترى الى متى يغيب تيار العصر بشاعر الشارقة ؟

والى متى يظل حائما حول النبع الصافي بجاذبية لاتقاوم ؟

وما مصير ازاهيره وفواغيه ، يوم تنفذ الات التنقيب عن البترول ، الى الاعماق النقية ، فيختلط سيل الزيت بفيض النبع وتغزو آبار الذهب الاسود كل المنطقة هادرة صاخبة ؟

وكيف يغدو صوته ، عندما يتسلل دعاة الفتنة الى ارجاء الجزيرة ، وتنتقل جولات الصراع في معركة التحرير ، الى سواحل الخليج وعدن والبحرين وعمان ، فيعلو زئير الاسود الغضاب من ابناء العرب الاحرار هناك ؟

وبقيت اسئلتي بغير جواب ..

حتى بعد ان زرت « الكويت » .

وشاهدت هناك نفرا كراما ، احتفظوا بضمائرهم ورءوسهم ، فلم تصبهم اللمسة الذهبية بدوار !

وحتى مع يقينى انه لا يزال فى صميم الجزيرة ، نفوس عربية حسرة تتململ من لعنة ((**الملك ميداس**)) وتتاوم لكي تحتفظ برشدها وايمانها .

اجل ، بقيت اسئلتى بغير جواب .

الى ان اجاب عنها بطاقة للامير تحمل فتركها لى ، تحية ، عندما زار مصر منذ عامين وكنت حينذاك فى رحلة بالخارج .

واعترف بانى لم اتأثر للتحية الكريمة، قدر ماتأثرت لهذه البطاقة غير المألوفة ، وانفعلت باسلوب التحية فيها :

لقد طبع الشيخ الحاكم اسمه على ظهر صورة (فوتوغرافية) ملونة لميناء المقاطعة الشرقية للشارقة : **حور فكان**

وكتب تحية بخط يده ، كلمات ثلاثا :

((**صورة من بلادك**))

وصدق ، فهذه صورة من بلادى ، وكل شبر من ارض العرب بلادى

ولو كنت يومها بمصر لرددت تحية الشاعر قائلة ..

وانت ياأخى مرحبا بك فى بلادك

من هذه البطاقة ، عرفت الى حد ما ، جواب ماكنت اسأل عنه ..

وكانت كلمة الشاعرة ، ابلغ ماتأثرت من قصائد [illegible]

وتوقعت ان [illegible] يل الزيت ، لن يمتسل الى نبع [illegible]يته فيعكرها

وان بريق [illegible] نم الاسود ، لن يغلب نور ايمانه بعربيته ، ولن يفتنه عن دعاء الحق والخير [illegible] الجمال ..

ورجوته لتوأمه : شاعرا عربى الصوت حر النشيد ، يحدو الاباة فى معركتهم هناك من اج[illegible] حماية حقيقتهم ، ويلهب نضالهم فى سبيل الوجود الكريم ..

و[illegible] [illegible]طمئنة ، الى ان بطاقة الشاعر واعدة بخير كثير .

ولم يطل بى الانتظار :

ففى شهر نوفمبر الماضى ، حمل البريد الادبى الى [illegible] ، من ساحل عمان ، تجربة اولى لملحمة **شعرية بطولية** لشاعر الشارقة ..

تجربة لم [illegible] يعد ، وانما هى مخطوطة بقلم الشاعر ، بعث بها الى قبل نشرها ، على غير تعارف شخصى بيننا

وقد ابقيتها لمطالعات الصيف .

فلما قرأت نبأ زيارة «الشيخ صقر القاسمى : حاكم الشارقة» لمصر ، التهمت التجربة المخطوطة ، لاقدم بها الى قراء الادب شاعرا عربيا ..

الى لقاء ، فى المقال التالى بمشيئة الله .

التاريخ : ٢٤ / ٨ / ١٩٦٢

٢ شاعر من الشارقة

ملحمة ... لم تتم

بقلم : الدكتورة بنت الشاطئ



محى الدين صابر



أمير الشرقا

وعدت القراء بان اقدم لهم اليوم ، تجربة ملحمية تلقيتها مخطوطة من شاعر الشارقة «الشيخ صقر القاسمي»

وقد ذكرتني هذه التجربة ، بملحمة اخرى افريقية جديدة: اعني ملحمة «الرسالة من افريقيا» للشاعر السوداني «محيى الدين صابر» وقد تلقيت منها فصولا ، بادرت مغتبطة ، الى تقديمها لقراء صفحة الادب .

وهي ايضا ملحمة بطولية لم تتم ..

وان لم يخطئنا مع ذلك ، ان نلمح في اناشيدها الاولى ، منطلق الشاعر نحو افاق جديدة ، حيث يرقب من مرصده المرتفع يقظة العملاق الافريقي بعد سبات طويل ، ويصغى الى صوت تحطيم الاغلال التي كبله بها المستعمر الغربي ، لمدى قرون واجيال ..

وحيث تهيأ للشاعر ، وهو محلق في الافق العالي ، ان يرنو الى اخيه في ربوع القارة الاسيوية ، وهو يمارس نفس التجربة : تجربة اليقظة وتحطيم الاغلال .

ومن هناك ..

من شط النيل الازرق في قلب افريقية تنطلق رسالة محيى الدين ، الى كل المناضلين في شرقنا الكبير ، مشيعة ظلمات الليل الذي طال ، ومباركة جهاد البواسل من «بيان دى فو» الى الكونغو ، ومن اوراس الى القنال ..

وتسمع في الملحمة ، من مستهلها ، هدير المعارك المشبوبة ، وصلاة الشهداء الابرار ، ودعاء الفجر الجديد .

فماذا عن ملحمة شاعر الشارقه ؟

الفصل الذي تراءت منها ، يتأهب للتحليق مصعدا نحو الافق الذى وصل اليه شاعر السودان ، ولكن «الشيخ صقر» لا يزال في مرحلة انطلاقه الاولى محوما حول معركة التحرير في الجنوب العربي لم يجاوزها بعد الى حيث تلتقي الروافد لتصب في النبع المشترك للوطن الكبير ..وعذره ، ان هذه المنطقة من الشرق العربي لا تزال تتهيأ للجولة الحاسمة ، فلا عجب ان تريث في وقفته هناك ، الى ان تبلغ المعركة ذروتها الفاصلة ..

التاريخ : ٢٤ / ٨ / ١٩٦٣

وبعدها يستطيع الشاعر ان يحلق بجناحيه عاليا ، الى سماء الشرق الكبير
هناك حيث تتجاوب اصداء النغم ،صاعدة من ارجاء افريقية وآسيا ، فى «سيمفونية» واحدة ..

هناك حيث تلتقى ارواح الشهداء ،من الجزائر ومصر ، ومن الكونغو وايريان فى الملكوت الاعلى ..

على نحو ما تهيأ لشاعر السودان فى ملحمته «رسالة من افريقيا» منذ استهلال النشيد ..

وشاعر الشارقة ، فى النشيد الاول من ملحمته ، يجسم المعركة الدائرة فى هذه المنطقة ، مصورة بطولية شاعرية ، قبل ان يحسمها السلاح ..

وهو فى هذا يعى دور الشاعر الحركما عرفه التاريخ : يحدو الركب فى مسراه ، ويغنى لفجر النصر ..

وبطلة الملحمة فتاة عربية

وقد اختار لها الشاعر اسم ابنتــه «الفاطمة» الطالبة بمدرسة «فاطمة الزهراء» للبنات بالشارقة .

ويؤكد الشاعر ان القصة واقعية ..

واذن فقد استطاعت فتاة العرب هناك ان تتلقى اللواء الذى حملته جواء العربية قبل ان تبتلى بمحنة الوأد المعنوى والنبذ الاجتماعى ..

وويل لاعداء الحرية ، اعداء الحق والخير والجمال ، اذا كانت «الفاطمة» قد استعادت قدرة ساعدها على الحركة بعد ان عطلتها القيود والاصفاد ، وانطلقت بكل ارادة حواء ، وبكل موروثها القديم من العزة والاباء ، تشارك فى المعركة على نحو ما فعلت جميلة الجزائر ، وفاطمة الشارقة فى ملحمة الشاعر ..

« فاطمة » بنت الامير العربى ، التى ترعرع صباها الغض فى حمى طود اشم ، رد عادية العزاة قرونا ، بصموده العنيد .

وتوسم فيها ابوها مخايل النجابة والطموح ، فى الوقت الذى كان فيه الغزاة قد اعادوا الكرة ، واقتربوا من الحمى ، بعد ان تهاوت قلاع وحصون مجاورة .

فاقبل الامير على فتاته يعدها لليوم المرتقب ، دربها على فنون السلاح والفروسية وتعهد فى ضميرها بذرة الاباء والعزة حتى ازدهرت .

ثم حان اليوم : انقضت طائرات العدو على الحمى بليل ، ووقع اخو فاطمة اسيرا بخدعة لئيمة ، فكظمت فاطمة اساها ، واقامت ترقب المعركة الدائرة بين قلة مؤمنة بسه عزلاء ، وبين كثرة باغية ، مسلحة بأحدث آلات الغدر والدمار :

الصواريخ والقنابل تنهال بلا رحمة ولا مقدار
طائرات يرج من صوتها الجو ، وتهوى بآمن وجدار
وقلاع مرت عليها مئات من سنين مليئة بالفخار
شادها الفتح من بنى يعرب الصيد ، وباهت بمجدها القهار
هدمتها قنابل البغى والغدر ، بليل يعج بالاعصار
الاطفال يصرعن اثر الثكالى ، ورضيع بجواره **صدر عار**
وقرى كن آهــلات فاصبحن من الاهل والسلام عوارى
خف عنها حماتها للقا الموت ، وصد العادى ، وفك الاسار
كلما هدم البغاة جدارا ، حصنته اجسامهم بجدار
ومضى العام ، والردى فاغر الشدق ، وزند الجهاد — لازال — وار
فاذا اقبل الدجى ، هاجموا الخصم ، وهدوا حصونه بالنار
قاتلوه ببعض ما غنموه منه ، من مدفع ومن بتار

ونفدت طاقة فاطمة على الانتظار ، فتسللت فى الليل الى مخزن السلاح ، وحملت مدفعا صغيرا ، ومعه بعض الزاد والماء ، ثم خرجت متنكرة فى زى فارس ، تلتمس الطريق الى معتل من معاقل قومها الاباة ، فما راعها الا ازيز طائرة مغيرة يمزق صمت الليل ، فربضت فى مكمن هناك ، وقد صممت على امر :

لا نمتنى السراة من آل قحطان ، ولا الصيد من حماة نزار
ان وهى دون صدها مدفعى الغالى ، واسقاطها شواظ شرار
يا للثار الاحرار ! اى حياة بعد احرار امتى ودارى !
لتهن هذه الحياة اذا لم احم فى حومة الجهاد ذمارى
لست للخدر ! ثم لو كنت انثى ، ان خدرى فى جحفل جرار
لست للبعل ! بعلى المدفع الثائر فى قبضتى على الاشرار
فاشهدى يا سماء عهدى ، وخطى قسمى واحملى منار شعارى

هناك ، ياندل ، انها رمية الله رمتها من لم تصم بشنار
فسقطت ريشة الزناد فطارت للاعالي قذيفة من نار
وتعالت : الله اكبر ، تشدوها شفاه الملائك الاطهار
ايه ياشمس اشرقي ، واغسلي العار ، وردي لموطني احراري
قبلي كل ربوة من ربا الشامخ كانت سخية بالثمار

وتشرق الشمس ، واشلاء الطائرة مبعثرة حطامها يلتهب ، وقائدها ملقى على الساحة يلفظ آخر انفاسه .

واصغت فاطمة الى لهاث المحتضر فادركت انه يلتمس جرعة ماء . فاسرعت الى مكمنها وجاءت من جعبة زادها بكوز فيه ماء ، واقبلت على عدوها تسقيه ..
واذ مدت ذراعها لتسنده ، اختلجت عينا المحتضر بنظرة دهشة ، قبل ان يطفئهما الموت .

لقد عرف ان الفارس البطل ، الذي صرعه ثم سقاه ، فتاة !

واسدل الستار على هـــذا المشهد ، وفاطمة تمضي مع موكب الضياء للشروق !

وليس لنا الا ان ننتظر بقية اناشيـــد الملحمة ، لنعرف الى اين ينطلق الشاعر
وان وسعنا مع هذا ان نسجل : ان الشاعر في النشيد الاول من ملحمته ، ظل ملتزما بقيود المصطلح العروضي في الوزن والقافية ، مع جدة في الـ[illegible] ـر والمضمون .

ولعل التزامه بالقيد الشكلي ، هو المسئول عن بعض النماذج القلقة اضطرته اليها وحدة القافية ، ومن انجائه ، كذلك ، الى ما يعرف في المصطلح ، بالضرورات الشعرية .

ولا اعرف ان كان الشاعر سوف يغير نغمة الايقاع ، وزنا وقافية ، فيما يلي من اناشيد الملحمة .

لكني اعرف انه قادر على التخلص من هذه الضرورات ، حين يمضي في انطلاقه الشعري الى اقصى طاقته ، عند غاية الملحمة .

وحسبنا الان ، ان نبارك «فاطمة» في معركتها الباسلة ، وان نحيي نشيد المطلع ، لملحمة شاعر الشارقة ، تحية الامل والرجاء !

التاريخ : ٣١ / ٨ / ١٩٦٢

أضواء على تاريخنا

الشوقيات المجهولة

بحث الدكتور محمد صبري السوربوني

تعليق الدكتورة بنت الشاطئ

استاذنا المؤرخ « الدكتور محمد صبري » لا يدع ثاره يفوت ..

فعندما قدمت الى قراء الادب في مستهل هذا الموسم ، المجلد الاول من « الشوقيات المجهولة » كرهت للاستاذ الجليل ان يصدر الكتاب بتحذير صارم ، يحتفظ فيه لنفسه بكل الحقوق فيما نشر من مجهول الشوقيات ، وينهاحق استئذانه في الاقتباس منها او الاخذ عنها ، واستشهدت لموقفي بكلمة « الامام الشافعي » رضي الله عنه : « وددت لو ان الناس انتفعوا بهذا العلم دون ان ينسب الي منه شيء »



احمد شوقي .. أمير الشعراء



الدكتور محمد صبري السوربوني

ثم حدث ان اثرت هنا فى شهر رمضان قضية الكتيب الذى نشرته وزارة الثقافة هدية الموسم الدينى الكبير ، اعنى كتيب «القرآن وعلم النفس» بقلم استاذ جامعى استباح فيه ان ينقل الصفحات كاملة من بحث استاذ لنا كبير — نشر ثلاث مرات فى البيئة الجامعية .

ولم يدعها الاستاذ الدكتور صبرى تمر ، بل بادر فاتصل بى تليفونيا ليقول :

«لم اشأ ان ارد على نقدك للتحقيق الذى صدرت به الشوقيات المجهولة احتراما لحرية رأيك . لكن بشاء الله ان ينتصف لى منك ، بقلمك انت فيكون فيما كتبت اليوم من قضية القرآن وعلم النفس ، ابلغ رد : اذ انه متى ضاعت الحرمات الى هذا الحد ، واستباح استاذ جامعى ، ان يدعى ما ليس له ، على هذا النحو الصارخ ، فقد صار لى كل العذر اذا انذرت وحذرت ، كيلا يستباح جهدى وينهب ! »

وقد ذكرت هذا كله ، وانا اقرأ المجلد الثانى من «الشوقيات المجهولة» واتاثر لما بذل فيه الاستاذ المحقق من جهد مضن ، لكى يكشف عن آثار شوقى المطوية ، التى لم يسبق نشرها فى المطبوع من شوقياته ودواوينه :

والواقع ان عمل الدكتور صبرى فى **نشر مجهول الشوقيات ، ليس الا مرحلة الاساس فى بناء كبير ، شانه فى ذلك شان كل مانشر من تراثنا ، حيث يقدم المحققون مادة الدرس الادبى لمعاصريهم من الدارسين ولاجيال منهم خالفة .**

ونحن حتى اليوم لم نستكمل المواد الاصيلة التى يصح بها تاريخنا الادبى ويفهم ، كما لم نؤد حق شاعرنا الكبير ولم نستجل من تراثه صورة ماضينا القريب .

والنصوص الشعرية لا تكفى وحدها [illegible] الى اضواء من ظروفها وملابساتها ، تعين على وضوح الرؤية ، وهو ما يفرضه الواجب الادبى على [illegible]ن عرفوا الشاعر معرفة شخصية واتصلوا به اتصالا وثيقا .

واشهد ان استاذنا «الدكتور صبرى» عرف واجبه ونهض بعبء ادائه : فهو لم يكتف بنشر المطوى من شعر شوقى ، نصوصا مروية ، وانما عنى كذلك بأن يجلو لنا الجو الذى نظمت فيه القصائد وان يزيح الستار عن كثير من اسرار تاريخنا المعاصر ، لا يعلمها الا قليل .

وهذا الكشف لخفايا الدواعى الملهمة للشاعر لا يضىء عصر شوقى فحسب ، ولكنه كذلك يقدم لنا شاعرنا مؤرخا ادبيا لعصره ، ونموذجا فذا لشاعر معاصر ، يعيش بوجدانه فى دوامة الاحداث الكبرى ويرصد وقعها على نفسه ، ويسجلها بشاعرية ملهمة .

وذلك ما [illegible] يتح لنا ان نظفر به فى اكثر المطبوع من آثاره ، وقد قرأتها جميعا وحفظت منها الكثير ، وشغلت احيانا ببعض دراسات فيها ، ومع ذلك ، لا احسبنى عرفت الشاعر مثلما عرفته وانا اطالع ما [illegible] الدكتور صبرى من حواشى **وتعليقات ، فى الهوامش التى تشغل مكانا هاما من « الشوق[illegible] المج[illegible]لة » وتعتبر فى رايى عنصرا جوهريا لفهم [illegible] شوقى وعصره .**

ومن اين لى ، ان ادعى فهم الشاعر ولم اكن قد قرأت مثلا شوقياته المجهولة التى نظمها فى وداع « **اللورد كرومر** » بلسان الشعب على اختلاف طوائفه ، واخرى رد بها على الدعوة التى تلقاها للمشاركة فى الاحتف[illegible] ترقية لمستشار «**الفتحى زغلول**» اثر فاجعة دنشواى !

بل من اين كان لى ان استبين بطولة الضمير الحر لشاعر يخوض بوجدانه المعركة الكبرى لقومه ، وهو مكبل باغلال الوفاء لاولياء نعمته ؟ وان اعرف الى اى مدى استطاع شوقى ان يفى بامانة الفن وشرف الكلمة ، رغم كل القيود التى كانت [illegible] تكبل حريته فى الاستجابة لنداء الشر[illegible] ، والتعبير عن الوجـ[illegible] العام

انى لانحنى جلالا للشاعر ، وانا اتلو «الدور» الغنائى ، الذى بعث به الى احدى الصحف القومية [illegible] مستعار ، مطالبا بأن يبدأ المغنى فى حفلات الافراح ، بهذا الدور :

ياحمامة دنشواى نوحى للسير جراى
فى الظلام .. كيلا ينام ..

وابتسم ضاحكة من سذاجة انفعالى بقصيدة «سداح يا ملك الكنار» وقد كنت انشدها فى الندوات والمحافل الادبية ، وفى يقينى انها دفاع فى قضية تحرير المراة ومواساة شاعر لباحثة البادية وبنات جيلها ، بين غضبان السجن !!

ولم اكن ادرى ، انها رسالة الشاعر الى «الوردانى» فى سجنه ، حتى اعاد الدكتور صبرى نشر القصيدة فى الشوقيات المجهولة ، وحل رموزها فعدت اطالعها بانفعال جديد ، بعد ان انكشف السر :

وكذلك فعلت مع قصيدة «ورد الربيع» التى حسبناها زمانا من وحى الطبيعة ، وغاب عنا الرمز بالورد الى «الوردانى» :

يا ورد انت سنا العيو
ن اذا الدجى لم ينجل
احييت من ميت النفو
س وكنت خير مؤمل
يا ورد ان ابعدت عن
نظرى ، فانت بمنزلى
واذا خلوت مفكرا
كنت الانيس الفرد لى
اسفى على هذا الربيـ
ـع وورده المترحل
احيا النفوس بعرفه
ونأى ، كأن لم يفعل
فعسى نرى نفحاته
فى روضة المستقبل !

الا ما كان اشد سذاجتنا ، ونحن نقرا قصيدة «الكنار» الاسير فى ديوان الشعر **الاجتماعى** ، ونعد قصيدة «ورد الربيع» **من ادب الطبيعة !**

وما كان احوجنا الى مثل الدكتور صبرى ، وقد ادرك عصر شوقى واطلع على اكثر اسراره وخفاياه ، اطلاع مؤرخ حجة فى التاريخ الحديث ، لكى يسجل ما حف بالشوقيات من ظروف ويبدد ما غطاها من ظلال ، بامانة وصدق ، بعيدا عن المؤثرات والضرائط والقيود ، التى الجمت بعض اقلام الدارسين والمؤرخين ، وانحرفت باخرى ، ابان حكم الاسرة الالبانية الدخيلة ـ فضللت وزيفت .

وقد اختلف مع الدكتور صبرى ادبيا على ملاحظه النقدية المتصلة بالذوق الفنى ، واحتكم الى مقاييس غير التى يحتكم اليها ، وبخاصة حين يوازن [illegible] شوقية ونواسية او بارودية ..

وقد يعوزنى الاقتناع احيانا حين يضيف قصيدة مجهولة الى الشوقيات ، دون ان يقدم الينا مبررات اعتقاده بانها لشاعرنا الكبير (ص ١٠٧)

وقد انكر عليه ، كما سبق ان فعلت فى نقدى للمجلد الاول ، بتره لابيات يعترف بانها فى تقديره «من جيد شعر شوقى فى صباه » ـ ٢٨٦ ـ واسقاطه لابيات المديح اكتفاء من القصيدة بما لا علاقة له بالمديح ـ ٢٢ .

وقد أسف لتسع قصائد كاملة من مطوى آثار شوقى ، امر الدكتور صبرى على اهدارها وتركها بمنطقة الظل ، بحجة كونها فى رايه «مجرد نظم » ، كما انها ليست فى مستوى شعر شوقى فى صباه ـ ٢٩٧ .

وقد اقول له ما قلت من قبل : ان لك مطلق الحق فى اسقاط ما شئت من تراث الشاعر ، لو كنت تقدم الينا «مختارات» من الشوقيات المجهولة ، اما وانت تستكمل ديوان شاعرنا بالمجهول من آثاره ، فليس لك اى حق فى ان تسقط بيتا واحدا مما اهتديت اليه ، لان للنص الادبى حرمة الوثائق والآثار التاريخية ، من حيث هو خيط فى نسيج عصره . وتظلم عملك الجليل ، حين تكتفى فى مثل هذا الموقف بذكر المصادر التى يمكن ان نرجع اليها فى التماس ما اسقطت من الشوقيات المجهولة ، فتقاليد العلماء والباحثين ، وانت منهم ، تضع جهد السابق بين يدى اللاحق ينتفع به ويبدأ خطوة جديدة فى ميدان البحث ، من حيث انتهت الخطوات السابقات

قد اقول كل هذا ، ثم لا اتردد مع ذلك فى الاعتزاز بالشوقيات المجهولة

١٩٦٢/١٠/٥

قضايا نقدية

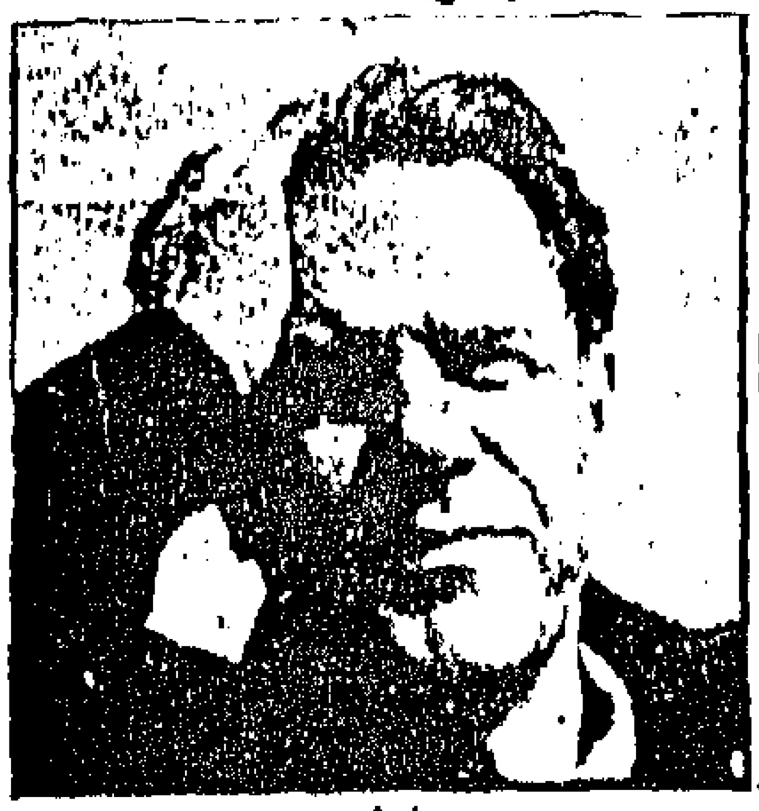
الساقية



عبد المنعم الصاوي



نجيب محفوظ



داريل

خماسية بقلم عبد المنعم الصاوي

نقد الدكتورة بنت الشاطئ

« جوهر العمل الفني في الثلاثيات ، او الرباعيات والخماسيات ، يقوم على فرق دقيق يتهاوى بين قصة مسلسلة بحيث تستكمل كل حلقة استقلالها الفني ، والظاهر فيبدو ، في غير حاجة الى تكملة او بقية ».

قرأت « الساقية » عقب ظهورها ، وترددت طويلا قبل ان اكتب عنها .

فلقد عرفت كاتبها « الاستاذ عبدالمنعم الصاوى » زميلا لي في قسم اللغة العربية بآداب القاهرة ، ثم عرفته كاتبا صحافيا بارعا ، قبل ان يفترق بنا الدرب ، فابقى في الجامعة حيث احب ، ويمضي هو جادا حتى يصل الى منصب الوكيل لوزارة الثقافة .

وقد ظننت انني معفاة من الكتابة عنها ، حين توقعت انني لن افرغ من دراستها ، حتى يكون عدد من الزملاء قد بادروا بالكتابة عنها قبل ان يجف المداد الذي طبعت به ، واذ ذاك تكون كتابتي في موضوع قد ابتذل ...

٥/١٠/١٩٦٢

غير انى ما ذهبت مرة الى الريف ، واخذت مكانى هناك بجانب الساقية ، اصغى الى انينها ، الا ذكرت القصة التى اغفلتها زمنا ، دون ان افكر فى الظلم الذى يلحق اى عمل فنى ، من كتابات سريعة مرتجلة ،تصدر عن انفعال عابر ، بما لا صلة له بالفن !

انها اشبه بضجة « الزفة » تعلو صاخبة ، ثم لا تلبث ان تفتر ويتلاشى صداها ....

وقصة « الساقية » عمل فنى جاد ، وليس من الانصاف ان يدعها النقاد ، دون تقويم جاد ...

لكن الاستاذ عبد المنعم ، قدم لنا من «الساقية» حلقة واحدة هى «الضحية» ـ فى خمسمائة صفحة ـ واعدا بحلقات اربع تاليات ، يكملن الخماسية .

فهل يسهل تقويم قصة لم تتم فصولا؟

هذه هى القضية ...

والادب المعاصر قد عرف هذا النوع من القصص ذات الحلقات ، فى مثل مجموعة « زولا » التى تصور قطاعا زمنيا من المجتمع الفرنسى فى اجيال متعاقبة ، وفى مثل « رباعية داريل » التى جعل الاسكندرية محورها ، ثم ترك لابطال قصته الاربعة ، ان يرويها كل واحد منهم ، كما انفعل بها ، وهنا فى مصر ، اشتهرت « ثلاثية نجيب محفوظ » وقد سلك فيها مسلك « زولا » مع اصالة واستقلال .

وعبد المنعم الصاوى لا يكتفى بثلاثية او رباعية ، بل يمضى شوطا ابعد ، ليجعل « الساقية » خماسية الحلقات ، اولاها هذه « الضحية » ...

والاصل ، فى منهج النقد الادبى ، ان نقوم مثل هذه الحلقات فى مجموعتها متكاملة ، حيث نستطيع ان نستبين مجرى الاحداث الى غايتها ، وان نلمح الخيط الذى يربطها فى حلقاتها متسلسلة ، ونتبين مدى الطاقة الفنية للكاتب ، بمقدار مهارته فى هذا الربط ، وان نتبين كذلك ، مدى الاسعاد التى يتاح له ان يبلغها عند نهاية الشوط .

« ابو المكارم » الاخرس الذكى الطيب ، الذى احب الضحية حبا صوفيا لا امل فيه ! لم يؤد دوره بعد ..

و « ابو عوف » والد الضحية ، وراء قضبان السجن ، حكموا عليه ظلما بتهمة قتل ابنته ، منطويا على سر رهيب ، باعترافه بجريمة لم يقترفها .

و « ام الهنا » و« عيسدة » والدة الضحية وشقيقتها ، يتهيأن لرحلة ، بعيدا عن مسرح الجريمة ، الى مصير مجهول ...

و « جلال » طفل الضحية الرضيع ، وحيد على المسرح ، لا يدرى احد ما تخبئه له الايام ، وقد لسبوه ظلما وافتراء الى غير ابيه !

و « المجرمون » الذين اقترفوا كل هذا الاثم ، فاتهموا الضحية البريئة بالزنا كيلا يكون لطفلها حق فى ميراث ابيه الشرعى ، وقذفوا بالضحية الى امواج الرياح ، وساقوا اباها الى السجن بالتهمة الظالمة ، هؤلاء المجرمون، مطلقو السراح ... الى حين ينكشف السر ، ولا بد ان ينكشف !

وهكذا انتهت الحلقة الاولى من الخماسية ، والجو مشحون باسئلة جوابها فى مضمر الغيب ، وسرها مطوى فى ضمير الكاتب ...

تماما ، كما يسدل الستار ، على مشاهد الفصل الاول لاحدى المسرحيات

صحيح ان « الضحية » قد انتهى امرها بمصرعها الباغى غريقة فى الرياح ولكنها نهاية معلقة !

فليس مصيرها امرا يخصها وحدها ، وقد تركت وليدها ، موسوما بفرية ابن الحرام ، بين مخالب عمه الوحش « ابو سريع » ..

ثم هو حسم مؤقت ، مادام سر مصرعها لم يكشف على حقيقته ، وقاتلها مطلق السراح ، وابوها البرىء بين قضبان السجن .

افكان الاستاذ عبد المنعم ، مستطيعا ان يستقل بهذه الحلقة ، غير معلقة على ما بعدها ، الا بوجه يكشفه تتابع الحلقات ؟

١٩٦٢/١٠/٥

ذلك مالا يمكن الحكم عليه قبل قراءة الضبابية كاملة ، وليس أمامنا اذن ، الا ان نتناول الضحية بنقد جزئى ، باعتبارها عملا لم يتم .

واستطيع ان اقول ، ان الضحية تروى ماساة الانسان فى هذه الارض الطيبة ، حين كانت اقدام الاقطاع تسحق فيها انسانية البشر ..

واذا اخذ نقاد على الضحية ، وعلى كل ضحايا الاقطاع من اهلها ، هذا النوع من الاستسلام البائس الصابر ، تحت وطأة البغى والجبروت ، فلست معهم فى هذا المأخذ ، وقد عشت الماساة الفادحة ، فلما اردت ان ارويها فى قصة « سيد العزبة » لم استطع بحال ما ، ان افلت من احتكام الواقع الاليم ، فانجو بالضحايا من هذه المواجهة التعسة للبغى ، بالصبر والاستسلام .

وانا مع كاتب الضحية ، فى ان هذا الصمت الحزين املى صوتا من هتافات التمرد ، وان ذلك الاستسلام الصابر ، اقوى من اندفاع العصيان ..

لكنى لم انتظر بقصتى ، وقد كتبتها قبل الثورة بثمانية اعوام ، حتى ارى جيل الضحايا يحدد لنفسه ، بالصمت والصبر ، مكانا يمارس فيه حياة جديدة .

اما الاستاذ عبد المنعم فقد انتظر فلم يرو من القصة كلمة ، حتى راى الضحايا يمارسون حياتهم الجديدة ، التى لم نلمح بوادرها فى الضحية ..

واغلب ظنى ، انه سوف يلقانا فى حلقة تالية من « السانية » وقد اضاءت الثورة للضحايا ذلك الطريق الموعود !

وان تكن احداث الضحية ، لا تسمح بأمل ، ولا تعد بنجدة ، ولا تغرى بتطلع الى فجر مرتقب ..

لقد اغرق الضحية فى ظلمات رهيبة ، وسلط عليها من افاعيل الاقطاع ، ما يهون معه مصرعها غريقة بين الامواج

اسرف فى وصف سعادتها بالحياة الفقيرة الخشنة ، صبية حسناء لا يهمها ، بكدح فى سبيل كسرة الخبز ، يمن به عليه صاحب الارض .

ثم اسرف فى مسخ ادمية الصبية واهلها ، حين ساقها صاحب الارض الى داره عروسا ، وامر على والديها واختها ، ان يقتربوا من بيت صهرهم الغنى ، او يفكروا فى ان لهم بنتا هناك

واسرف فى رسم محنة الزواد التى امتحنت بها الصبية العروس ، قبل ان تحمل من زوجها جنينا ، يجن به جنون الورثة حقدا واستكبارا !

.. وتفنن فى مشهد المصرع الاليم للعروس ، حيث ساقها عم الطفل ، بليل ، الى الرياح ، وامر اباها ان يقذف بها بين امواجه ، ليقال انه غسل عارها المكذوب ، فلما عجزت الابوة عن اقتراف هذا الاثم ، تولى الامر سفاح مأجور ، ثم سيق الاب الثاكل الى المحكمة ، ليعترف بجريمة لم يقترفها !

ولا عيب فى هذا الاسراف كله ، لو لم يعدنا الكاتب بفجر جديد ، ادركه فعلا ، وكان عليه ان يمهد اليه خفية ، بان يستبقى وسط امواج الظلمة ، شعاعا يشير من بعيد ، الى مسرى المدلجين فى جوف الليل البهيم ..

ومن حقه ان يتمسك بحرية الاديب فى ان يخفى هذا الشعاع ، فلا نملك الا ان نسلم له بها ، ثم نقول مع ذلك :

لا عيب فى هذا الاسراف ، لو لم يعوزه الاقناع !

١٩٦٢/١٠/٥

ففي المآسي الواقعية ، للأديب مطلق الحق في ان ينقلها الينا عبر وجدانه ، مضيفا اليها من اعماق ذاتيته الفنية ، ما شاء من صور وظلال ، لكن على ان ينجح في اقناعنا ، بأن هذا امكن او يمكن ان يحدث في الواقع ، لكي نندمج في احداث القصة ، وتتم التجارب بيننا وبينها .

والناقد يصر على هذا الاقناع ، اذا كان قد عرف مسرح القصة ، وعاش في البيئة التي اختار منها المؤلف ابطاله .

واظن ان معرفتي المباشرة بالريف ، وصلتي الوثيقة بأهلي فيه ، تسمحان لي بمثل هذا الاصرار على الاقناع الذي افتقدته وأنا اقرأ القصة ، واتمثل احداثها على المسرح الذي عشت فيه اكثر عمري ..

رغم اعجابي بجدية هذا العمل الفني الذي يشهد بأصالة واقتدار ..

ومع تأثري البالغ ، لقصة تأخذ الدور الاول فيها ، تلك الساقية التي احببناها ، وعرفناها علامة مميزة لارضنا الطيبة .

ولعل الزميل الاستاذ عبد المنعم ، في غير حاجة الى ان اؤكد له انني سوف اترقب الحلقات الاربع الباقيات من خماسية « الساقية » لارى ما صنعت الايام بأولئك الذين اهتزت لهم قلوبنا بأعمق مشاعر الرحمة ، وهم يهيمون حيارى صامتين ، في متاهة الضباب .

اعتذار :

في مقالي عن « ملحمة لم تتم » اشرت الى ملحمة « رسالة من افريقيا » للشاعر السوداني محيي الدين فارس . وقد ذكر في المقال سهوا ، باسم الاديب السوداني الدكتور محيي الدين صابر ، فرأيت من واجبي ان الفت الى هذا الخطأ واعتذر عنه ..

بنت الشاطئ

التاريخ : ١٢ / ١٠ / ١٩٦٢

في موكب النصر

تحية إلى المجاهدتين

جميلة بوحيرد وزهرة بوظريف

بنت الجزائر

من : بنت الشاطئ

اخت يا بنت الجزائر
كل الفاظ لنـــا تبدو هزيله
عندما نرفعهـــا الى عالى مقامك !
والمعانى الخصبة الكبرى الجليله
تتراءى شبه صماء عقيمه
حين تدنو ، فى خشوع ، من رحابك

اخت يا بنت الجزائر
امس ... والليـــل بهيم
وظلام البغى داج مدلهم
كنت أدرى ما أقول
كنت اهتف ان اختى فى الجزائر
تمضى وفى يدها النصر ..
لا فى بد اخـــرى ، بباريس او ببلاد العم سام
كنت اهتف فى عناد الكبرياء :
ان اختى فى الجزائر
اختى جميلة ، زهـــرة بوظريف

التاريخ : ١٢ / ١٠ / ١٩٦٢

والاخربات
كل اخت في الجزائر
في كل حي ، بل كل شبر ، من حمى الوطن العزيز
لقد اقررت هذا المصير لقومها
من وقت ان بدا الكفاح ....

لا النفي يثنيها عن الهدف النبيل
لا النار ، لا التعذيب ، لا افاعيل الوحوش ...
بل لا المشانق ، لا المذابح ، لا المخزيات المنكرات
لا شيء من هـذا ، لا شيء قط
يستطيع صرفهـا
عما ارادت للجزائر

تمضي وفي يدها المصير
تمضي بكل جلالها وابائهـا



جميلة

رمز البطولة والكرامة والشرف ....
لتعلم الالى انتهكوا حلرق الآدمية
الا مكان لشرعة الغاب الدنية ..
في ارضنـا :
مهد النبوة والرسالة والبطولات الكبر !

اخت يا بنت الجزائر
امس والليل بهيم
كنت ادرى ما اقول
والآن يبهرني جلالك
فاعود ملجمة اللسـان !

البيـان اليوم قد صار عصيا
كلما حاولته الفيته ، شق عليا
كان حتى هذه اللحظة طوع لساني
وبديا . . .
ثم لما جئت اشدو لك يا بنت الجزائر
ابطل السحر البياني صباؤك
فاذا الالفاظ حيرى في شفتيا

التاريخ : ١٢ / ١٠ / ١٩٦٢



زهرة

اخت يا بنت الجزائر
يظلم القائل انك رمز العربيـــه
انت رمز الجوهر الحر لهذى البشريه
انت رمز الطهر فيهـــا والاباء
رمز كل الخير فيها والجمال

انت يا اجمل زهره
انت يا اعذب نغمه
انت يا اروع رؤيا
فى ضمير البشريه
اسمك الغالى على كل لسان
يبهر الدنيا على مر الزمان
طيفك القدسي فى كل مكان
يبعث النشوة فينا مبارية !

فاذا ما عدت يا اخت الى ارض الجزائر
قبلى طيب ثراها
صافحى ، لى ، كل اهلى بالجزائر
اسجدى ، عنى ، على الارض المزكيه
باركتها روح مليون شهيد ..
يبعثون اليوم فى موكب نصرك
ملء مجد ، وحيـــاة ، وخلود

اخت يا بنت الجزائر
كل الفاظ لنا تبـــدو هزيله
عندما نرفعها الى عالى مقامك
والمعانى الخصبة الكبرى الجليله
تتراءى شبه صماء عقيمـــه
حين تدنو فى خشوع من رحابك !

التاريخ : ١٩ / ١٠ / ١٩٦٢

قضايا أدبية

« متى استعبدتم الناس
وقد ولدتهم امهاتهم
احرارا؟!» عمربن الخطاب

أين مأساة الرق فى أدبنا المعاصر؟

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



توفيق الحكيم
سلطان الحائر ؟



على احمد باكثير
سلامه ؟



حافظ وهبه
وجزيرة العرب

اعترف بانى لم افكر فى عرض هذه القضية ، قبل ان اسافر الى الخارج فى منتصف اغسطس الماضى ، دون ان يخطر ببالى انها سوف تواجهنى هناك . فما كادت الطائرة تهبط بنا فى « ميونخ » حتى فوجئت بموضوع « الرق فى بلاد العرب » يشغل الصفحات الاولى من الصحف المعروضة بالمطار . وكانت المفاجاة اقسى ، حين الفيت القوم يخوضون فى حديث مأساة الرق لمناسبة الاحداث الاخيره فى الجزيرة ، وقد عجبوا ان يكون بيننا نحن العرب ، من لا يزال يستعبد اخاه الانسان . واذ عرفوا انى كاتبة عربية ، اقبلوا على يتساءلون كيف يجرى الحال فى اسواق النخاسة ، وكيف تتم صفقات البيع والشراء البضاعة الآدمية ؟!

وظننت انه يكفيني ان اسألهم ان يتركوا الشرق العربي بحسبي هذ الحكايات المختلفة من عصور كان الرق فيها وضعا اجتماعيا سائدا في الشرق وفي الغرب على السواء ، واجدر بهم ان يهتموا بقضايا الاضطهاد العنصري الذي يمارسه الغربيون ، في امريكا وفي جنوب افريقيا ممارسة بشعة تؤرق الضمير الانساني .

اما عن مصر ، فقد اعفاني من الدفاع عنها احد رفاق السفر — وهو جامعي مستشرق ، زار اكثر الاقطار العربية — حين اكد لاصحابه ان مصر لاتمارس هذا الصنف من التجارة باى حال ، فلا اثر فيها لاسواق النخاسة ولا لبضاعة الرقيق بل ان الرق محرم فيها بحكم القانون .

غير انه لم يلبث ان التفت الي يسألني عن موقف ادبنا العربي المعاصر من هذه المأساة التي لاتزال تجرى في بعض مناطق من بلاد العرب . وقال فيما قال ، انه وان لم يجرؤ على ان يدعي الخبرة الكافية بادبنا الحديث، الا ان اتصاله بالاستشراق وتتبعه لما يترجم الى الالمانية من اعمال ادبائنا المشهورين ، يسمحان له بان يدعي بعض العلم بنشاطنا الادبي والفكري وهو لايذكر انه قرا او سمع عن اديب عربي معاصر، عالج هذه المأساة الانسانية وكم يسره ان ادله على مايجهل من اعمال ادبية لنا ، موضوعها الرق ، على نحو ما فعلت ((هاريت بيتشر ستو)) في قصة ((كوخ العم توم)) .

ولبثت مليا افكر في سؤاله ، وتدخلتني ذاكرتي فلم تسعفني بجواب . فمبلغ علمي ان ادبنا المعاصر قد تخلى عن هذه القضية فلم يواجهها مواجهة صريحة سافرة او رمزية مقنعة .

وقد استحييت ان اجيب السائل — بعد ان ذكر قصة كوخ العم توم — بانني شخصيا كتبت عن الرق في قصتين : رويت في احداهما مأساة ((آمنة)) التي قابلتها في بلدة «الخبر» — بنجد — مهدرة الآدمية . وعرضت في الاخرى مأساة ((حليمة)) نقلا عن احدى ممنوقات الخديو المخلوع . فلبست القصتان من مستوى قصة الكوخ ، وقد طويتا في متاهة النسيان دون ان تحدثا اى اثر ، فدل هذا على انني فيهما لم اعبر عن وجدان ادبي عام ، يتلقى مثل هذه المأساة بعطف ومشاركة وانفعال .

وترددت كذلك في ان اشير الى مسرحية «السلطان الحائر» للاستاذ توفيق الحكيم ومسرحية «سلامة» للاستاذ علي احمد باكثير ، وقصتي عن «فريدة : جارية الخليفة الواثق» .. لعلمي انها جميعا ، لاتعالج مأساة الرق في عصرنا ..

وطال صمتي وانا اجهد ذاكرتي عنا لتسعفني بما اجيب به السائل ، ويبدو انه فطن الى حيرتي ، فاستدرك يقول في شبه اعتذار ، انه يقدر حرج الموقف بالنسبة الى الكتاب العرب ، وبخاصة من يدينون منهم بالاسلام !

ولم يدر انه بمثل هذه الاشارة الجارحة — عن غير قصد — الى الاسلام ، قد هيأ لي فرصة الافلات من سؤاله المحرج من موقف ادبنا المعاصر من الرق ، لاتحدث من الاسلام فالفته الى خطأ الحكم على شريعتنا السمحة ، بسلوك بعض المسلمين في مصر من العصور او بيئة من البيئات ثم اؤكد له ان موقف الاسلام من الرق كان كفيلا بالقضاء عليه قضاء حاسما في

العصر وقت ، لو ان الظروف الاجتماعية واتت على ذلك . فالاسلام قد فتح كل الابواب لتحرير العبيد الذين اوجدهم نظام مقرر ، ووضع اجتماعي سائد فى ذلك العهد البعيد : رصد نحو (١/٢ ١٢ ٪) فى المائة من اموال الزكاة — وهى الايراد الثابت لميزانية الدولة الاسلامية — لتحرير الارقاء ، وجعل عتق الرقبة : كفارة شرعية عن القتل الخطأ ، والفطر عمدا فى رمضان ، والحنث فى اليمين ، وغير ذلك .. ثم سد الباب الاكبر لمورد الرق ، باية حددت موقف المسلمين من اسراهم فى الحرب باحدى اثنتين : اولاهما ان يمنوا على الاسرى بالحرية ، والاخرى ان يتقبلوا منهم الفداء ، عنيت بذلك قوله تعالى فى سورة محمد :

« **حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء ، حتى تضع الحرب اوزارها** »

واوشكت ان اشير الى موقف الاسلام من الاوضاع الاجتماعية التى القاها الرسول صلى الله عليه وسلم فى البلد الحرام ، فتلقى من وحى ربه هذه الايات من «سورة البلد» تنكر تلك الاوضاع الفاسدة التى ورثوها ولدا من والد ، وتغرى الانسان بوضع آخر كريم ، جدير بمسئولية انسانيته ورشد ادراكه :

« **لقد خلقنا الانسان فى كبد . ايحسب ان لن يقدر عليه احد . يقول اهلكت مالا لبدا . ايحسب ان لم يره احد . الم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين . وهديناه النجدين . فلا اقتحم العقبة . وما ادراك ما العقبة؟ فك رقبة ، او اطعام فى يوم ذى مسغبة . يتيما ذا مقربة . او مسكينا ذا متربة . ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة** »

غير انى قدرت ، ان الامر فى هذا النسق القرآنى المعجز ، يدق عن شرحى له بلغة اجنبية ، ... يدق عن فقه اى مستشرق ، لاسرار البيان العربى .

واكتفيت بان انهى المحادثة بيننا بكلمة لامير المؤمنين «عمر بن الخطاب» لواليه على مصر ، عمرو بن العاص :

« **متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟ !** »

واقمت هناك ما اقمت ، وانا لا اكف من التفكير فى موضوع تخلى ادبنا الحديث من قضية انسانية ما كان يجوز له ان يغفلها او يتجاهلها .

وقد ثبت انى اذكر ما طالعت من مؤلفات حديثة لكتاب زاروا جزيرة العرب او اقاموا فيها او كتبوا عنها ، فلم اذكر ان كتابا منها تعرض لماساة الرق ؛ ولم اشأ مع ذلك ان اكتب فى الموضوع ، حتى رجعت الى الوطن والتمست فى مكتبتى من هذه المؤلفات لاعيد النظر فيها رجاء ان اكون نسيت او اخطأت .

وبين يدى وانا اكتب هذا المقال ، ماكتبه السادة : الدكتور عبد الوهاب عزام — رحمه الله — وحافظ وهبه واحمد حسين وعبد الرحمن نصر . وما كتبته السيدات : هند سلامه ، وزينب الغزالى ، وسنية قراعة .

ولا اشارة فيها لماساة الرق من قريب او بعيد ..

وخطر ببالى ، ان الشعراء المعاصرين ممن عاشوا فى الجزيرة ، اولى بالانفعال بالماساة ، بحكم وجدانهم اليقظ وحساسيتهم المرهفة . فعدت اقرا — للمرة الثانية — ديوانين كبيرين : احدهما من «الشعراء نجد» فى القرون الثلاثة الاخيرة ، جمعه الاستاذ «عبد الفتاح الحلو» فى ستمائة صفحة ، ونشر عام ١٩٥٩ .

والثانى «الشعراء نجد المعاصرون» وفيه مختارات من قصائد ثلاثة وعشرين شاعرا مع دراسة للشعر الحديث فى الجزيرة بقلم الشاعر «السيد عبد الله بن ادريس» وقد نشره عام ١٩٦٠ ، فى ثلاثمائة صفحة .

وخاننى الرجاء : فالمجلد الاول تستنفد ثلاثة الشعراء فيه ، منظومات الزهد والوعظ ، والهجر والعتاب والوصال ، وشكوى العذول والرقيب ، والمدح والاعتذار والرثاء . وفى الديوان قصائد فى مدح الساعة ، ومصلح الساعة ، والشكوى من ارق بسبب البراغيث (!) ووصف الوردة ، والعمامة الحجازية ، وفى القهوة والشاى ، ومجلس انس فى النخيل .

وتفاءلت خيرا ، حين قرات فى الفهرس عنوان قصيدة عن **الزيت ، وتجار الزيت** يشير الى صفحة ١٩٣ . فلما التمستها هناك ، القيت عنوانا فحسب ، ليس تحته الا بياض وفراغ ! !

التاريخ : ١٩ / ١٠ / ١٩٦٢

اما (الشعراء نجد المعاصرون) فلم ار اى واحد منهم تعرض لمأساة الرق ، وان تاثرت اعمق تاثر ، بقصائد فيه تسجل صدى انفعال بعض الشعراء ، بمحنة الفقر واوضاع النظام الطبقى ، وارجو ان تتاح لى فرصة دراسة هذا الديوان على مهل .

واحاول مع هذا ، ان التمس بعض العذر لادبنا المعاصر بما شغله من معركة التحرير الكبرى التي خاضها ضد استرقاق الشعوب ، وضد بغى الطغيان وضراوة الاقطاع، وهي معركة كانت كافية لان تستغرق اكثر نشاطه ، فلعله من اجل هذا ، ترك ماساة الرق للزمن علها بوسيلة او باخرى ، واثقا ان موجة التحرير والوعى لابد ان تجتاح — فيما تجتاح من رواسب العصور الخوالى — تلك البقايا المتخلفة من الرق ، فى مناطق محدودة من بلاد العرب ، مهد الرسل والانبياء ، ومبعث الرسالات الكبرى التى قررت حق الانسان فى الحرية والكرامة والشرف .

التاريخ : ٢٦ / ١٠ / ١٩٦٣

"من فات قديمه تاه" مثل شعبى

قضايا أدبية

وجودنا الأدبى بين القديم والجديد

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

اذا كان الزميل «الدكتور لويس عوض» قد شكا عزلتنا عن جديد الادب الغربى ، فانا — من ناحية اخرى — اشكو عزلتنا عن ماضينا الادبى : قريبه وبعيده ..

وما من شك فى ان ضعف اتصالنا بما استحدث الغرب فى السنوات العشر الاخيرة من اعمال ادبية ذات شأن، يعتبر قصورا فى ثقافتنا ، غير ان عزلتنا عن ماضينا الادبى لايمكن ان تحتسب من قبيل القصور او التقصير ، وانما هى فى رايى خطيئة ونقص ، لوثيق صلتها بما نلهج به اليوم من تحقيق وجودنا ووعى ذاتنا .



توفيق الحكيم

والذى يعرفه عامة المثقفين من ماضى ادبنا، لا يعدو اللمحة السطحية والادراك الضحل ، واكثره مما تلقوه فى الدراسة الثانوية التى بعد عهدهم بها نسبيا ، وانقطعت صلتهم بالادب العربى فيها بمجرد عبورهم تلك المرحلة الى التعليم العالى . وهذا الذى تلقوه ، على

التاريخ : ٢٦ / ١٠ / ١٩٦٣

مسالته ، كان محصورا فى نطاق مختارات مما اصطفاه قدامى نقاد الادب ومؤرخيه، متاثرين بعقلية زمانهم ومزاج مجتمعهم المحكوم بفردية مستبدة ، المتصدع بطبقية ضارية.

أما نقاد الادب الذين يسيطرون اليوم على مراكز التوجيه للوجدان العام ، فأكثرهم مشغول بالبضاعة الطازجة . وحين يعييهم إن يلاحقوا ما تخرجه مطابعنا التى لا تكف لحظة عن الدوران، موردة إلى السوق الثقافية ، فى كل يوم بل فى كل ساعة ، جديدا من البضاعة ، حين يعييهم ان يلاحقوها ، اختار كل ناقد منها ما يرضى مزاجه ، او يتصل بمذهب له فى الادب والنقد ، **وبقى اكثر الجديد فى منطقة الظل ، حتى يمر عليه الموسم فيمسى قديما لا يصح ان يتناوله ناقد ممن يؤثرون جديد البضاعة ، ويستنكفون من الالتفات الى الامس الذى مضى وراح ، معتذرين لهذا بانهم انما يعيشون يومهم ، ويعالجون قضاياه الحية** . وربما عدوا من يجرؤ منا على مناقشة كتاب أدبى فات موسمه رجعيا يعيش فى الماضى ،ويمزق ما نسجته العنكبوت على كتب الفن بها فوات الموسم ، فى غيابة مخازن دور النشر ومحفوظات دور الكتب

ولست اعفى نفسى من الملام ، فكم تحرجت من تقديم كتب الى القراء بعد عام ظهورها ، وحين كنت افلح فى مقاومة هذا التحرج واجد الشجاعة لافعل ، كنت أكتب ما اكتب ، وفى نفسى شعور بانى اعيش فى واد غير ذاك الذى يعيش فيه القراء ، لكثرة ما الفوا الا يتحدث اليهم النقاد الا فى احدث ما اخرجته المطابع . اما قديم الكتب الادبية فما جرؤت على ان اتناول منها الا ما ينشر حديثا من كنوز تراثنا ، فيكسبه هذا النشر صفة الجديد ويعطينا الفرصة للاحتيال على وضعها بين كتب الموسم

▲▲▲

والقضية فى رايى ، جديرة بان تاخذ حظها الاوفى من العناية ، فقد شابها لبس خطير ، صارت به حيوية الموضوع رهنا بحداثته ، وقيمة العمل الادبى محصورة فى موسم ظهوره .

ولست اجهل ان من النقاد من لايزالون يشغلون بمسرحيات شوقى وعزيز اباظة وتوفيق الحكيم ، وقصص لهيكل وجبران ونجيب محفوظ ويحيى حقى، فات موسمها ، لكن هذا التناول ، فضلا عن قلة من يجرؤون عليه ، وارتباطه بشهرة الاديب ، لا يلقى من الاستجابة لدى جمهرة القراء والمثقفين ، ما تلقاه مقالات من جديد الاعمال الادبية . تغمر السوق الثقافية ، وتسيطر على اذواق الجماهير .

ولمن شاء ان يتتبع ما يكتب فى الموسم الواحد ، عن مسرحية جديدة لكاتب محظوظ ، فى مختلف الصحف والمجلات ، وان يقابل هذا كله بمقال يتيم ، يكتبه ناقد جاد ، عن عمل ادبى فات موسمه .

▲▲▲

ولم اكتب هذا المقال لادعو الى الحد من الاهتمام بجديد اعمالنا الادبية ، والا كنت داعية الى عزلة اخرى اشد وطأة ، واقرب الى ان توصف بالشذوذ. واخشى ما اخشاه ان يقرا قارىء مقالى خطفا ، ثم يتوهم انى افكر ، او يمكن ان افكر ، فى الدعوة الى الانفصال عن حاضرنا الادبى ، او آخذ على النقاد اهتمامهم به . ويفوته — مع القراءة السطحية الخاطفة — ان يدرك حقيقة ما اقصد اليه بهذا المقال ، حين اؤكد ان الحاضر لا يمكن ان ينفصل عن ماضيه ، **وان وعى وجودنا الادبى لا يمكن ان يتم ، ما لم نستبن ملامح امسه ، ونصله بجذوره الضاربة فى اعماق الزمن .**

والاهتمام بماضينا الادبى ، ليس مقصودا به مجرد الوقوف على الاطلال ، والنبش عن الجذور وانما هو القصد الى استكمال العناصر الجوهرية التى

التاريخ : ٢٦ / ١٠ / ١٩٦٢



يحيى حقى



احمد شوقى



عزيز اباظه



نجيب محفوظ

(٣)

لابد منها فى معركة تحقيق الذات .

والماضى ـ كل الماضى ـ بعض هذه الذات ، منه نستجلى ملامح اصالتها واسرار وجودها ، وندرك ما تعرضت له من تيارات وما خاضته من معارك ، فى صراعها من اجل البقاء ..

وماضينا الادبى هو فى حساب الطبيعة وتقدير التاريخ ، **الشطر الوجدانى من ذاتنا** وليس يهون على من يناضلون فى معركة اليوم ، ان يلقى بهذا الماضى فى متاهة النسيان وزوايا الاهمال ، وان ننسى فى اهتمامنا بجديد ادبنا ـ وهو اهتمام واجب ، تفرضه علينا حياتنا ـ ان نظل معه على صلة بكل ما صنع مزاجنا واثر فى نفسيتنا ووجه اذواقنا ، على مسار الزمن ، جيلا بعد جيل ..

والمهمة شاقة وعسيرة ، وربما كان اشق ما فيها ان غمر السوق الثقافية بمقالات النقاد عن البضاعة الجديدة ، قد ترك اثره فى استجابة الجمهرة من القراء ، والقى على القديم فى ذوقهم ظل الرجعية والجمود فصاروا لايهشون اليوم الا لكل جديد مثير . ولكنى لا ارتاب فى انهم لن يلبثوا ان يستجيبوا بوعيهم لما نكتب عن ماضينا الادبى ، اذا ما تناولناه نحن باسلوب حى ، يصل ما بينه وبين حاضرنا الذى نعيش فيه ، ومعركتنا الكبرى التى نخوضها لحماية حقيقتنا ، وصون مقوماتها الروحية والمعنوية .

ثم يبقى بعد هذا ، ان تناول القضايا الحية لماضينا الادبى ، شاق على الشباب من نقاد جيلنا الحاضر ، ممن لم يتح لهم فى مرحلة الدراسة والتعليم ، الاتصال بتراثنا فى اصيل منابعه ، ثم لتلقفهم دوامة العصر ، خضمها المائج ، فلم تترك لهم فرصة العودة الى ذلك الماضى الادبى ، يدرسون تراثه بعمق واستقلال . وهنا يبقى العبء على من تخصصوا فى الادب العربى ، رسالة لا يجوز لهم ان يتخلوا عنها .

وبهذا تسد الثغرات فى وعينا الادبى الحاضر ، فيوجد من يهتمون بمعالجة قضايا ماضيه متصلة بحياتنا وواقعنا ، الى جانب من يشغلون بتتبع الادب الجديد ويصلون القراء بمستحدث اتجاهاته ، فى الشرق والغرب جميعا .

واعود فاؤكد انى ما انكرت الدعوة الى الاهتمام بجديد الادب الغربى ، وانما اردت الا تنطلق هذه الدعوة فى افقنا دون أن نقترن بدعوة اخرى ، الى وضع حد لهذه العزلة التى نشكوها ، عن ماضى أدبنا : قريبه والبعيد .

اما قريبه ، فاعنى به اعمالا قيمة لادباء معاصرين ، لم يهتم بها النقاد حين ظهورها ، ثم طويت بعد ذلك فلم يعد احد يذكرها او يشير اليها ، بالرغم من اهميتها وجدواها على وجودنا الادبى الحاضر ..

واما البعيد منه ، فذخائر تراثنا التى يندر بين النقاد من يراها اهلا لموضوع حى ، يغذى الثقافة العامة بما لانستغنى عنه من عناصر الوعى والاصالة .

ومن عجب ان المستشرقين الاجانب ، يجدون فى هذا التراث الادبى مادة خصبة لا تعوزها الحيوية والاثارة ، ولهم فى هذا الميدان رصيد ضخم يفوت العد والاحصاء ، وهو ما ارجو ان اتناوله فى مقال مستقل ، يعطى القارىء فكرة عن اهتمام الغرب الحديث بقديم لنا ، يراه اكثرنا غير ذى موضوع !

التاريخ : ٢٧ / ١٠ / ١٩٦٢

• رأى شخصى

معارضة فى ترشيح بنت الشاطئ للمجمع اللغوى

بقلم
عباس الأسوانى

تجرى بعد غد (الاثنين) انتخابات المجمع اللغوى لشغل الكراسى الخالية . والمجمع اللغوى بما قبل فى نشاطه الحالى ـ هو احد هيئاتنا الثقافية الكبرى، تسبغ عضويته على مكتسبها شرفا عظيما لا فى بلادنا فحسب وانما فى الخارج ايضا . كما انه على قدر مكانة «الخالدين» الحقيقية يمكن ان تقاس الى حد ما مكانتنا الثقافية . ومن هنا كان من حقنا جميعا ـ بل من واجبنا ان نتابع نشاط المجمع فى اهتمام وان نسهم بما نستطيع فى تدعيم كيانه وان نعلن على وجه الخصوص راينا فى المرشحين لعضويته .

وعلى اساس هذه الاعتبارات اعلن اعتراضى على ترشيح الدكتورة عائشه عبد الرحمن وادعو الى عدم انتخابها فى مجمع الخالدين ولا علاقة لاعتراضى بانتاجها الادبى . فهذا الانتاج سيكون موضع تقدير دقيق من ادباء المجمع الكبار .. خاصه ما تعلق منه بزعمها الاخير الجرىء من انها ابتدعت مفهومات جديدة للشعر العربى سبقت بها الاولين .. ان سبب اعتراضى يرجع الى انها ارتكبت خلال العام الماضى مخالفتين جسيمتين لايحق لمرتكبهما ان يرنو الى مقعد بين الخالدين .



بنت الشاطئ

المخالفه الاولى

اما المخالفة الاولى فتتعلق بالسلوك الادبى المتعارف عليه بين الادباء جميعا عندما يقع بينهم خلاف فى الراى . وهذا السلوك يقضى بان تنحصر معاركهم فى نطاق المجادلة حول وجهة النظر المختلف عليها .. مهما استعرت نار المعركة وتطاير الشرر من الفاظها القاسية وتعبيراتها الجارحة . وقد انتهكت السيدة بنت الشاطىء هذا العرف الادبى انتهاكا معيبا عندما احتدم النقاش بينها وبين الاستاذ العقاد حول كتابه (المرأة فى القرآن) .. وعندما اثارها وهو يؤيد وجهة نظره بشواهد من حياتها هى ثم يطالبها فى

النهاية بان تفشسم برقعا على عقلهـا لا وجهها !

وكما نعترف للاستاذ العقاد بفضله على الادب فنحن نسلم ايضا بانه كثيرا ماستخدم في كتاباته قلما جادا ومنطقا جادا عليما يسلم به حتى خصومه .. ولكن واحدا من الذين هاجمهم العقاد ـ حتى بغير حق ـ لم يفعل ما فعلته ابنة الشاطيء التي تخطت في ثورتها كل الحدود ..

ونسيت أصل القضية وراحت تتهم العقاد بالخيانة الوطنية لمناصرته الغرب ضد النازى خلال الحرب الاخيرة .. ولم تكتف بذلك .. وانما عمدت الى التشكيك في ايمان العقاد بثورتنا ورمته بالتخلف عن ركبها وراحت تعدد تواريخ مناسباتنا الوطنية ثم تعقبت في اسلوب بوليسي مقـالات العقاد في هذه التواريخ .. لترميه بانه لم يشارك في هذه المناسبات وانه كان مشغولا عنها بالرد على رسائل القراء ..

وهذا الاتهام الخطير الظالم .. والذى لم يقصد به بطبيعة الحال سـوى اثارة السلطات على العقاد . كان واضح الغرض ظاهر البطلان . لان العقاد من اوائل الثائرين على طغيان الملكية ومن اوائل الذين شاركوا ـ بعد قيام الثورة ـ مشاركة فعلية في منظمات الثورة ولجانها الثقافية وتوجت الثورة كفاحه الادبى الطـويل فمنحته جائزة الدولة في الادب .وتسلمها العقاد مكرما من يدى السـيد رئيس الجمهورية في حفل عظيم .

ولا جدال في ان فقدان السيدة ابنة الشاطيء لاعصابها وانسياقها وراء غيظها في معركة أدبية الى الحد الذى يدفعها الى محاولة الاضرار بخصمها عن طريق قذفه باخطر الاتهامات التى لاعلاقة لها بموضوع المعركة ـ مخالفة تشين السلوك الادبى الذى يلتزم به الادباء كافة .. كما انها مخالفة يمكن ان تنعكس منهـا دلالات لاتحسن الى السيدة بنت الشاطيء في شيء وانما تجعلها ـ وبحق ـ غير أهل للظفر بعضوية المجمع .

المخالفة الثانية

اما المخالفة الثانيه فتتصل بمسئوليتها الادبية كناقدة شهيرة .. وهى مسئولية كان يجب أن تدفعها الى التـدقيق في النصوص والاطلاع على المراجع والاصـول قبل التصدى لابداء النقد واصدار الاحكام . خاصة والسيدة شديدة الفخر بمنهجهـا الجامعي الذى يقوم أصـلا على البحث والتحقيق . وانني اعلن في أسف ان السيدة بنت الشاطيء لاتلتزم كثيرا بهذه المسئولية حتى ولو اتصل الامر بقضـية ادبية هامة .. فقد نشرت الدكتورة في ١٠ يناير سنة ١٩٦١ مقالا تحت عنوان « سرقات أدبية » مقالا طنانا تناولت فيه اتهام الشاعر نزار قبانى بان قصـيدة (وحيدة) التى نشرها باسمه مسروقة لفظا ومعنى من قصيدة لشـاعر فرنسى معاصر . وقد طالعت مقالها ـ وكانت قد أوردت فيه القصيدتين ـ فادهشني انها اخطأت في اسم الشاعر الفرنسى ..لامرة واحدة ، وانما عدة مرات .. ثم راجعت الترجمة العربية للقصيدة الفرنسـية المسروقة فوجدتها ترجمة غير دقيقة .. سقطت منها ابيات ثابتة في الاصـل الفرنسى .. وعادت الدكتورة فرددت اسم الشاعر خطأ في مقال آخر في ١٠ مارس من نفس العام فتأكد لى انها لم تطلع على النص الفرنسى للقصيدة مطلقا بل انهـا لاتكاد تعرف اسم الكتاب الذى يتضمنه اذ ثبت انها هى نفسها قامت بالسطو على الترجمة الخاطئة والاسم المحرف دون ان تشير بكلمة الى محل السطو .. وحملت هذا الخطأ المزدوج الى سرادقها في الصفحة الادبية حيث اتخذت في صدره مجلس الباحث المدقق والناقد الحصيف ..وراحت تتولى القصيدتين بالشرح والتعليق وبيان اوجه السرقة ومصادر الاختلاس .. وبذلك ادانت السيدة بنت الشاطيء نفسها وقدمت بيدها الدليل على انها لاتمارس مسئولية الناقد الذى يقرأه مئات الالوف ويتعين عليه دائما ـ قبل التصدى لاية قضية ـ ان يبحث عن الاصول وينقب عن الاسانيد وحتى لاتجهد الدكتورة نفسها .. فانذا اتطوع فارشدها الى اسم الشاعر صحيحا فهو جاك بريفـير واسم الديوان هـو « بارول » !

ولو استطاعت الحصول عليه ـ لنفاده من السوق ـ فستطالع في صفحة ١٧٦ قصيدة (الافطار) التى اغتصبها الاستاذ قباني بلاخشية ولا حياء .. والتى نشرت هى لها ترجمة غير دقيقة وباسم مغلوط لانها لم تكلف نفسها عناء البحث ولا مشقة الرجوع الى النص الفرنسى .

هاتان هما المخالفتان اللتان ارتكبتهما الدكتورة بنت الشاطيء وهما مخالفتان لم يسقطا بمضى المدة .. ولم يصدر عنهما عفو شامل من الراى العام الادبي ولذلك فمن الواجب أن يوضعا تحت انظار مجمع الخالدين .. وأن يرفقا بورقة الترشيح

عباس الاسواني

التاريخ : ٢ / ١١ / ١٩٦٢

النقد شهادة، يقف فيها الناقد على حفرة من نار ، ليقول مايؤمن انه حق ، كيلا يبوء بلعنة الاثم — اثم القلب والضمير — التى تحيق بمن يكتم الشهادة ...

قضايا أدبية

حفرة من نار

بقلم : الدكتورة بنت الشاطئ

ترتفع فى افقنا الادبى بين حين وآخر شكوى مرة من ضعف حركة النقد عندنا وقصورها من القيام بدورها الخطير فى الرقابة على حياتنا الادبية ، وتتبع اعمال الادباء والمفكرين ، بالتقويم الجاد الذى لايمكن ان تصح حياتنا بدونه .

ولو قدر الشاكون اى امتحان رهيب يتعرض له الناقد الحر ، فير الموتور ولا المأجور ، لفهموا وعذروا ..

ومن الامتحان ماهو محنة !

ولست اعنى بها «ان كلمة الحق لم تدع لى صديقا» فقائل الحق حين يخسر صديقا واحدا ينقده ، يكسب فى مقابل هذه الخسارة ، الوف الاصدقاء ممن يحترمون كلمة الحق !

انما المحنة ، حين يعلن الناقد رايا له فى اديب مشهور،يخالف الراى الشائع المألوف ، فيصدم بذلك الحس العام ، ويتعرض لسخط من تستهويهم شهرة الاديب ، او من يتعصبون له ويحملون عرشه ، على حد تعبير «العميدى» فى كتابه «الابانة عن سرقات المتنبى»

وقد تهون المحنة ، مع ادباء فات زمانهم ، لكنها لا تهون بحال ما ، حين يكون المنقود واحدا من مشهورى العصر ، لا يطيق نقدا لما يكتب ، ويستعمل فى الخصومة الادبية او الفكرية ، اسلحة الخصومة الحزبية ، مما يغرى النقاد بكتمان رايهم فى مؤلفاته ، ايثارا للسلامة وتجنبا للاذى ، فيخونون بذلك الامانة الصعبة ، ويتخلون من مسئوليتهم فى الرقابة النقدية .

وللسلف الصالح كلمة مأثورة هى :

« اعراض الناس حفرة من نار ، لكن يوقف عليها فى الرواية والشهادة »

والنقد شهادة ، واداؤها فريضة لا يجوز لناقد امين ان يتخلى عنها ، ولو وقف على حفرة من نار ..

كيلا يبوء بلعنة الاثم التى تحيق بمن يكتم الشهادة ، والله تعالى يقول :

« ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فانه آثم قلبه »

واثم القلب افدح من اثم الجوارح ..

بل ان النقد اخطر انواع الشهادة ، لانه يتصل بالمصلحة العامة ، لا بمصلحة فردية ، ومن هنا كانت المسئولية فيه مضاعفة ، والتبعية ثقيلة .

وقد تعرضت لهذا الامتحان ، الذى هو محنة، عندما تصديت لنقد كتاب الاستاذ الكبير ، عباس العقاد ، عن «المرأة فى القرآن الكريم » وانا اعى اتم الوعى ، ما تعرض له نقاد قبلى ، فغضب عليهم الكاتب الكبير ، واذكر اسلوبه الجارح فى الرد على المغفور له «الدكتور محمد حسين هيكل» و« الدكتور مندور مندور داير ما يدور » وغيرهما ممن وقفوا على حفرة النار ، ارضاء لضمائرهم واداء لواجبهم الاجتماعى والخلقى .

وابيت مع ذلك ان اكتم شهادة ارى انها حق ، بباعث الخوف مما قدرت تماما انى سوف الاقيه ..

وكان الوقوف على حفرة النار ، اهون على ضميرى واخف وطأة ، من ان الجم قلمى تجاه كتاب ينشر فى الناس باسم القرآن الكريم ، ونبه يبغى المؤلف باقصى ما يستطيع من قوة جدل ، من خليقة المرأة ، ما عرف عنها من حياء وحنان ونظافة ومن طهر وعفاف !

وكنت قد قرات هذا الكلام كله ، بنصه فى مؤلفات سابقة للاستاذ العقاد ، واخص بالذكر منها « هذه الشجرة » فتركت له رايه فى المرأة دون ان اعلق عليه بكلمة ، اما بعد ان نقل هذا الكلام فى كتاب يحمل اسم القرآن الكريم ، ثم سجل فى يومياته «ان رايه فى المرأة هو راى الخالق» ـ سبحانه ـ فان الموقف قد تغير وحان على ، ان اقف على حفرة من نار لاؤدى الشهادة فى نطاق معرفتى بكتاب الله تعالى ، كيلا ابوء بلعنة الاثم ! اثم القلب !

ولكى ابرأ كذلك من لعنة اجيال من بناتنا ، تسأل : كيف جاز لنا ـ وفينا قارئات وكاتبات ـ ان نسكت على مثل قول الكاتب الكبير، فى كتاب عنوانه «المرأة فى القرآن الكريم» :

« جرى حديث متنقل فى مجلس يضم رهطا من الرجال والنساء على قسط شائع من التعليم والعرف والاداب الخلقية ، فانساق الحديث الى رجل يتجاوز الخمسين ذاع عنه انه يستدرج الفتيات الغريرات الى داره فيلهو بهن .. ويدفعهن الى سهرات العبث والمجون ، فكان النساء اقل من حضر المجلس ، اشمئزازا من سيرة ذلك الخليع ، كانهن لا يرين نقصا فى رجل من الرجال بعد ان تكتمل له الفحولة الحيوانية ! او كانهن لا يصدقن ان الفتيات الغريرات يسقطن فى شراكه مخدوعات مغلوبات على مشيئتهن، ولكنهن راضيات مسرورات ، بما اتيح لهن من فرص المتعة والابتهاج ! ! » ص ٦٠

وقد نصح لى قاض كريم ، فى مجلس ادبى ضم شهودا من اساتذة الجيل ، ان استعدى القضاء على هذا القذف العلنى المهين ، لكنى ابيت ان افعل ، كراهة

التاريخ : ٢ / ١١ / ١٩٦٢



د. محمد حسين هيكل



العقاد



د. مندور

ان استعدى سلطة ما ، على كاتب من كان ، ثم ان الاستاذ العقاد اعفانى من مجرد التفكير فى مشورة القاضى الكريم ، حين رد على نقدى ــ الذى لم اخرج فيه قيد شعره من حدود الموضوع ولا تجاوزت ما يقتضيه شرف الخصومة الفكرية من عفة الاسلوب ــ فكتب سيادته بقلمه الجارح يقول : **اننى لا انتمى الى فصيلة حواء** ، فانا بذلك ، وبغيره من حياتى الخاصة ، **آخر من يجوز لها**

الدفاع عن المراة ..

وهذا اسلوب لا نعرفه فى الخصومة الفكرية ، لكنى وجدت فى عبارته، شهادة منه لى ، **باني لا انتمى الى الفصيلة التى عرفها وقال فيها ما قال .**

ثم انى قدرت ان هذا القذف العلنى ، لا يختص ببنات حواء وحدهن ، بل هو قذف فى البشرية على العموم والاطلاق ، **لانه مامن رجل لم تلده ام !**

***

والناقد نفسه ، غير معصوم من الخطاء ولذلك كان من حق اى قارىء ، يلتفت الى هذا الخطأ ، ان يؤاخذه عليه ، بل ان من **واجبه** ان يقسو فى محاسبته ، اذا هو **انحرف عن** تقاليد الخصومة الفكرية ، **لكن بشرط** ان يقدم عبارة الناقد بنصها ، وفى سياقها ، لا ان يلتقط الفكرة منها ارتجالا ، او ان يبتر العبارة من مكانها وسياقها ، او يعتمد على الذاكرة ، وما اكثر ما تخون !

وكل ما كتبته فى نقد كتاب « المراة فى القرآن الكريم » مسجل محفوظ ، وليس فيه على الاطلاق ، ادنى اشارة الى تذل بخيانة ، او استعداء عليه بسلطان ! ولمن شاء أن يرجع الى ما كتبت ، فى نقد الكتاب ، ويحاسبنى على كل كلمة فيه ، دون أن يخلطه بمقالات لى اخر ، كمقالى الذى كتبته تحية لرائد الفضاء ــ وليس له بنقد الكتاب ادنى صلة ــ وبشرت فيه بعصر جديد للانسان ، يحقق فيه وجوده الحر الكريم ، وتحترم انسانية الشعوب، فلا يجرؤ كاتب ــ لم اصرح باسمه ــ على ان ينشر فى مصر العريقة ، ابان محنتها بالاستعمار الانجليزى ، مقالا عنوانه «الانجليز حلفاء طبيعيون للشرق الاوسط» يفاضل فيه، لهذا الشعب الاصيل العريق، بين عبد وسيد !

وتحرجت من التصريح باسم كاتب المقال، فكيف يتصور مثلا، مع **هذا التحرج** ان استعدى السلطان على كاتب لم اذكر اسمه، وانا التى كرهت ان استعدى القضاء على هذا القذف العلنى فى ام الانسان !!

وكل ما ارجوه ان يتاح لى طبع مقالاتى فى نقد كتاب الاستاذ العقاد، وردوده عليها ، فى كتاب مستقل ، ابرا به امام الحق والضمير والاجيال القادمة ، من اثم كتمان شهادة **اعتز بكل كلمة لى فيها** لانى اعدها دليلا على ما افهمه من شرف الخصومة الفكرية ، وما آخذ نفسى فيها بصرامة من كريم تقاليدها ومن اسلوبها كما اعدها دليلا على الاستبسال فى الوقوف **على حفرة من نار ، لاقول كلمة حق او من بها !**

***

كذلك من حق اى انسان ، ان يسألنى مثلا : لماذا لم آخذ نفسى ، بما ناديت وانادى به دائما ، من ضرورة الرجوع الى النصوص المنقودة ، حين ناقشت قضية **اتهام الشاعر « نزار قبانى » بسرقة قصيدته وحيدة** ، من قصيدة القطار لشاعر فرنسى معاصر ، اخطات فى كتابة اسمه ، اكثر من مرة .

لكن الموقف هنا ، لم يكن يقتضى حتمية الرجوع الى القصيدتين ، فى مرجعهما الاصلى . ذلك لانى لم اقل قط اننى التى اكتشفت ما بين القصيدتين من تشابه ، او اطلعت على النصين الاصليين لهما ، وانما قررت فى مستهل المقال، انى انظر فى دعوى السرقة، بمقابلة **النصين كما نشرا فى صحيفة الاتهام ! دون ان ادعى ، وما كان لى ان ادعى** ، انى قرات اصل القصيدتين ، او عرفت صاحب القطار ! وكان لى راى صريح فى ان القصيدتين ــ كما جاءتا فى دعوى الاتهام ــ متشابهتان ، وان تكن **وحيدة** فيها اضافة جديدة ، غيرت الموقف الشعرى فى **القطار** ، ثم لما سمعت من نزار ، انه هو الذى قدم قصيدته مقترنة بقصيدة الشاعر الفرنسى ليؤيد بها رايا له فى ان **الشعر الجديد** يهتم بما قد يعده اصحاب القديم من **توافه** الحياة اليومية للانسان ، **التى لا يليق بشاعر ان يلتفت اليها** ، فضلا من ان يتخذها موضوعا شعريا ، اقول : لما سمعت دفاع نزار ، بادرت **الى نشره راجية ان الفت الى خطا من يقذفون بتهمة السرقة الادبية ، على عجل ودون تثبت .**

وفى كل هذا ، لم اشر قط الى اطلاعى **على النص الفرنسى لقطار** ، بل اجريت المقابلة على **الترجمة** الواردة له فى دعوى الاتهام ، مقابلة على قصيدة **وحيدة** التى لم اكن قراتها فى غير صحيفة الدعوى

***

وما اقول هذا لابرىء نفسى من خطا او تقصير ، فحاشاى ان ادعى العصمة مما يجوز على البشر ، كل البشر . بل اقوله اعترافا بواجب كل فرد ، فى ان يتتبع عثرات الناقد ، واعترافا بحق جمهور القراء ، فى ان يسمعوا كلمة الحق فيما يقراون !

وتقديرا لمسئولية الناقد ، **الادبية والاجتماعية ، التى تفرض عليه احتمال اى امتحان ، وتلزمه بالوقوف على حفرة من نار !**

التاريخ : ٩ / ١١ / ١٩٦٢

كتاب رائد

اهدت الشاعرة هذا الكتاب الرائد ، الى سيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، تقديرا لايمانه بالامة العربية ، وجهاده المخلص فى سبيلها .

وأنا بدورى ، اهدى هذا المقال ، تحية متواضعة ، الى بغداد العزيزة : عاصمة العرب الفكرية الكبرى لمدى خمسة قرون ، ومهد الشاعرة الاصيلة المبدعة ، التى دخلت تاريخنا الادبى رائدة وموجهة ، لجديد شعرنا المعاصر .

قضايا الشعر المعاصر

تأليف : الشاعرة نازك الملائكة

تقديم : الدكتورة بنت الشاطئ

من حق القراء ان اعترف لهم ، بان مؤلفة الكتاب «الشاعرة نازك الملائكة» تربطنى بها اعز صداقة واعمق مودة ومن حقهم كذلك ، ان اعترف لهم بان «نازك» عندى هى شاعرة العصر ، بل لا أتردد فى الحكم لها بانها شاعرة العربية الاولى .

. ولكن من حقى عليهم ايضا ، ان يعلموا ان صداقتى لنازك ، بدأت قبل ان التقى بها بسنين ، وكان اعجابى بالشاعرة هو الذى ربط بينى وبينها على البعد ، ومنحنا نعمة التجاوب النفسى والمشاركة الوجدانية والالفة الروحية . كما ازكد لهم ، اننى فيما كتبت واكتب عن «نازك» احاول قدر ما تطيق بشريتى ، ان اتجرد من الهوى ، والتزم ادق ما تفرضه على امانة النقد وحرمة المنهج وشرف الكلمة

واذا كنت ابادر اليوم فاقدم «قضايا الشعر المعاصر» ولما يمض على وصوله الى يدى غير ايام معدودات ، فما ذاك الا لانى عشت مع «نازك» فى كتابها منذ اتجهت اليه ، وكنت حيثما التقى بها ، فى بغداد او القاهرة ، اصغى اليها وهى تتحدث عما يشغلها من قضايا الشعر الحر ، وكثيرا ما استأنفنا الحديث عنها فيما نتبادل من رسائل

فهذا الكتاب فيما اعلم ، لم تظفر بمثله مكتبة الشعر العربى منذ وضع « الخليل بن احمد » فى القرن الثانى الهجرى ، علم العروض ، ثمرة استقراء دقيق بارع ، وتذوق واع ، لتراثنا من اصيل الشعر .

ثم هو — من ناحية اخرى — كتاب رائد فى ميدانه ، وضع الاصول الفنية والضوابط العروضية ، لهذا الشعر الجديد الذى لا اعرف احدا قبل «نازك» قد حدد له منهجا او ضبط له قواعد . بل ان الكثرة الكاثرة من قومنا ، حسبوه ضربا من الفوضى لا ضابط لها ، او نمطا من النثر لا صلة له بالعروض الخليلى

واذا كان الشعر الحر ، يعترف بنازك رائدة اولى فى الميدان ، بقصيدتها «الكوليرا» التى سجلت فيها باسلوب جديد فى الشعر ، صدى وقع محنة مصر بهذا الوباء — عام ١٩٤٧ — على وجدان الشاعرة ، فان تاريخنا الادبى سيذكر لها ، بجليل التقدير والاكبار انها اول من قدم دراسة منهجية ، خصبة واصيلة ، تحرر مفهوم الشعر الحر من الفوضى والعبث والابتذال ، وتبسط اصوله وقواعده وترسخ قيمه الفنية ، وتربطه باصيل جذوره فى عروض الخليل

وليس بغريب ان تكون «نازك» ذاتها اول من يحرص على حماية الشعر الحر من سوء الفهم وتعثر التجربة ، وتسهر على صيانته من اسفاف الابتذال وعبث الفوضى . شأنها فى ذلك شأن اصحاب الدعوات الجديدة : يشقيهم ان يساء فهمها ، ويعذبهم ان يدعيها من ليسوا اهلا لها ، ويؤرقهم التفكير المضنى فى حراستها ، لا من فضول الادعياء فحسب ولكن من اتباعها المخلصين كذلك ، ممن استهوتهم الحرية ، فلم يقدروا تبعاتها الباهظة .

وهذا هو ما حاولته «نازك» فى كتابها الجديد ، الذى يشهد بعمق معاناتها ، وتحس فى الفاظه وعباراته ، بل فى مذاهبه العلمية وضوابطه العروضية ، نبض قلب الشاعرة الرائدة . وتأخذك نشوة الاريحية ، بما يعمر قلبها من ايمان بالحركة الجديدة ، وما يساورها من هموم القلق عليها ، والتفانى فى حراستها ولو كنت من اعداء هذا الجديد !

والقضية الاولى التى شغلت نازك ، هى النظر فى الشعر الحر باعتباره حركة تستجيب لدعاء التطور ودفع الحياة ، وتفرضها ظروف اجتماعية وسنن تطورية لا مفر للشاعر المعاصر من مواجهتها ومسايرتها .

وككل حركة جديدة ، لم يكن من المستطاع ان تتقى عثرات البداية الفجة الى ان تستكمل نموها وتملك رشدها وتبين لها اداتها وتملك جذورا راسخة

ومن هذه العثرات ، ما قضت به ظروف نشأة الحركة ، ومنها ما جاء



نازك الملائكة

عن مزايا مضللة في الشعر الحر ، اخطرها هذه الحرية البراقة التي التبست بالفوضى وانزلقت بكثير الى منحدر الابتذال والرخص والتكرار المقلد لجديد الشعر .

وتؤكد « نازك » بالتتبع الدقيق ان اغلب الشعراء الناشئين الذين كتبوا الشعر الحر ، كانوا دون **مستوى الحرية** التي اعطيت لهم . بل ان شعراء اصلاء ، قد ضللتهم موسيقية الشعر الحر ومزية التدفق فيه ، فانقلب **هذا التدفق الى انحدار** ، واعوز الشعراء معه ، ضبط الوقفات ، واتقاء بغتة الخاتمة ، حيث يغرى التدفق بالمضي ، فيلوذ الشاعر بما سمته نازك (**الظاهرة : ويظل**) يختم بها القصيدة ، وكأنه يقول : وعلى هذا النحو يمضي الموقف .. او يضطر الى تكرار مطلع القصيدة ..

وهكذا ينقلب ماهو مزية للشعر الحر من حرية وموسيقية وتدفق ، الى مزالق خطرة وشراك خفية ، فضلا عن ان اعتماد الشعر الحر على التفعيلة الواحدة قد يسوق الى رتابة مملة ، لا ينجو منها الا ذوو الاصالة والاقتدار ..

وتنتهي «نازك» من هذه القضية ، **بان الشعر الجديد غير مسئول عمن اقتحموا ميدانه بمواهب فجة وثقافة ضحلة ، اما الشعراء الذين وقعوا في الشراك الخفية وكان منهم ضحايا مزالقها الخطرة ،** فحسبهم انهم هم الذين انقذوا الشعر الحر ، **بعثراتهم التي كانت معالم هادية على الطريق الوعر .**

وتعالج «نازك» بعد هذا : **الفيسة الجذور الاجتماعية للحركة** ، فلا تضيق بتمسك جمهرة القراء بالنسق الموروث للقصيدة العربية ، بل تعد مقاومتهم للجديد الطارىء ، **مظهر تماسك واصالة في شخصية الامة** ، تريد ان تصون مقومات وجودها وتعتز بما لها من ماض في الشعر غني وعريق ..

ثم تكشف عن **مجهول صلة هذا الجديد بقديمنا : فالحركة قامت في جوهرها ، على التفات الى خاصية رائعة ، في ستة من بحور الشعر العربي ، تجعلها طيعة** لابداع اسلوب جديد من صنع هذا العصر تلبية لحاجة روحية تبهظ كيان شباب جيلنا ، واستجابة لنداء الحرية التي يهيمون بها ، وتحقيقا لوجودهم الفني المستقل ، مع ارتباطه الوثيق بجذور ماضيه .

ليس هذا فحسب ، بل ان بحورا ثمانية من القديم ، ستظل حيث هي ، لا يملك شعراء العصر ان يتخلوا عنها ، لاعتبارات فنية ، تجعلها غير ملائمة لاستحداث جديد وتستبقيها لموضوعات شعرية ، لا يسهل على الشعر الحر ان يعالجها ، في البحور الثمانية الاخرى ، التي لا تزال الحركة

التاريخ : ٩ / ١١ / ١٩٦٣

محصورة فى نطاقها .

وهنا تصحح الدراسة الرائدة ، ما شـاع ـ خطا ـ عن سهولة الشعر الحر ، محتجة لهذا ، بما يشهد به الواقع من سهولة التقليد ويسر الخضوع لنمط مقرر ومعتاد مالوف ، وبما تعرف الحياة من مسئوليات الحرية وتكاليفها . فالمقلدون معفون من مشقة الاختيار ومخاوف الاستقلال وامامهم كذلك فرصة مضاعفة ، بالنظم فى بحور ستة عشر ، وبالوقفات المريحة التى يكفيها ان تعتمد على وحدة القافية وليس ادل على صعوبة الشعر الحر من ان شعراء كبارا كتبوا القصائد التقليدية والحرة فلم تقع اغلاط الوزن الا فى قصائدهم الحرة ، حيث لا يامن الشاعر ان ينتقل من «الرجز» الى «السريع» او «المنسرح» لمجرد ان مستفعلن تتصدر البيت .

***

وتاتى بعد هذا قضية الضوابط العروضية للشعر الحر الذى يقوم على وحدة ((التفعيلة)) بدلا من وحدة الشطر ، وبتصرف فى التوزيع الموسيقى للتفعيلات ، ملتزما قواعد التدوير والزحاف والوتد وغير ذلك مما هو قضايا عروضية بحتة والتهاون فى هذه القواعد ، هو المسئول عن الاغلاط الذوقية والموسيقية لشعراء الجديد ، كما ان الجهل بها هو المسئول عن ذلك العبث المبتذل ، الذى يلعب فيه بعض المحدثين بالاوزان الحرة ، كما يلعب طفل غير مسئول بحزمة اوراق ثمينة غالية ، فيدعكها ويبعثرها ويمزقها غير مقدر ما بين يديه من ثروة .

وتقدم «نازك» هنا ، ادق الضوابط للشعر الحر ، القائم على وحدة التفعيلة ، مستغلا تلك الخاصية الرائعة فى عدد من بحور الخليل ، مع بيان طاقة كل بحر منها على احتمال حرية التصرف فى التوزيع الموسيقى ، دون ان يخرج قيد شعرة ، على ضوابطها الاصلية فى العروض الخليلى . وانما التفعيلات فيها ، شأنها شأن النسب فى الموسيقى ، ثابتة ثبوت الارقام فى الرياضيات ، مهما تتجدد الانماط والاساليب . واى اخلال بهذه الضوابط الثابتة ، يخل بتناسق النغم ، وموسيقية الإيقاع .

وقدمت «نازك» دراسة قاعدية ، وتطبيقية واستقرائية ، لقوانين الشعر الحر ، متسكئة على فقه بالعروض الخليلى ، ينـدر مثله فى عصرنا ، وعارضة شواهد من نماذج الشعر الحر ، ضبطت ايقاعها على المصطلح العروضى فى دقة واحكام ، كما استقصت بجانبها الاخطاء العروضية فى شعر المجددين ومنتهية من هذه القضايا العروضية الى ان خطأ الذين تهاونوا بهذه الضوابط فى الشعر الحر ، كخطأ الذين حكموا عليه بانه نثر ، فكلا الخطأين ناتج عن جهل بعروض الخليل ، ومدى صلته الوثيقة بجديد الشعر .

***

وللذين اساءوا فهم حركة الشعر الحر ، او ظنوا بها الظنون ، فاشفقوا منها على اصيل تراثنا ، واخطأهم وعى صلتها الوثيقة بقديمنا ، اقول ما قالت « نازك » :

((ان بعض النقاد يعتقدون اعتقادا جازما اننا دون مستوى الغرب فى الشعر ، وان علينا ان نستعير اساليبه ونظرياته ومقاييسه ، اذا اردنا ان ننشىء شعرا جديدا او ننقده ، دون ان يدركوا مدى خصب الشعر العربى وغناه . وهم لن يدركوه الا بعد ان نؤمن بانفسنا ، ونعتز باصيل موهبتنا ، ونابى ان نقف من أدب غيرنا موقف الاستجداء المهين . وقد سئمنا سماع الكلمات والنظريات الغربية فى الافق العربى ، واصبحنا نتعطش الى قيم نقدية جديدة متكئة على اصالتنا ، ومرتكزة على لمح الظواهر الخاصة بشعرنا ، لا بشعر سوانا . وسيرتوى هذا الظمأ حين نتخلص من عقدة النقص ، وتكتشف الامة العربية ، منابع فنها ووجودها ، فى ذاتها وكيانها)) .

تحية لنازك فى معركتها الباسلة ...
وليشهد الله اننا بلغنا .

التاريخ : ١٦ / ١١ / ١٩٦٢

قضايا نقدية

الظاهرة الادبية العامة ، لايمكن ان تؤخذ من اعمال فردية قليلة ، سجلت انفعال عدد من ادبائنا بالمأساة ، دون ان يكون لها من الصدى العميق فى الافق العام، ما يؤرق الضمير العربى فلا يهدأ ولا يستريح، حتى يسترد الأرقاء آدميتهم المهدرة .

أصداء المأساة

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

عندما يتناول الناقد او الدارس قضية ادبية ، لايجوز له ان يصدر فيها حكما عاما مطلقا ، الا على اساس من الاحصاء الدقيق لكل ما فى الميدان الادبى من مواد القضية ، والاستقراء الواعي لظواهرها ودلالاتها .

وذلك مالا يتاح لاحدنا ، الا بقدر ما تتسع غلية طاقته، ويمكنه اطلاعه، ويتسع له الوقت الكافى للاحصاء والتتبع ، فى طمانينة واناة .

وفى تراثنا الفكرى والادبى كتب مشهورة تحمل عنوان «الاستدراك ، او الفوات ، او التكملة» وفيها يستدرك لاحق ما فات سابقا فى كتاب الفه ، فلا ترى فى هذا الاستدراك ما يمس مكانة السابق او ينقص فضله ، او يهدر ما لكتابه من قيمة . .

وظاهرة الاستدراك هذه ، مما تعتز بها المكتبة العربية ، وتعدها تعاونا مثمرا بين الكتاب فى خدمة العلم !

ومثلها ظاهرة التذييل او الالحاق ، يضع المؤلف كتابا فى موضوع ، ينتهى به عند عصره ، ثم يأتى بعده من يتلقون الامانة ، فيضيفون جديد عصورهم ، فكأنها الشعلة يتلقاها خلف عن سلف ، لتبقى مضيئة على تعاقب الاجيال .

اقول هذا لمناسبة قضية مأساة الرق فى ادبنا المعاصر ، التى عالجتها هنا فى اكتوبر الماضى ، فى ضوء كلمة سمعتها بميونخ من مستشرق المانى ، لا يذكر فيما قرا او سمع ان اديبا عربيا عالج مأساة الرق التى لاتزال تجرى فى بعض مناطق من جزيرة العرب ، وكم يسره ان ادله على مايجهل من اعمال أدبية لنا تناولت المأساة على نحو ما فعلت «هاريت بيتشر ستو» فى قصة «كوخ العم توم»

وقد كتبت فى المقال مالم أقله للسائل : «فمبلغ علمى ان ادبنا المعاصر قد تخلى من هذه القضية فلم يواجهها مواجهة صريحة سافرة او رمزية مقنعة»

وعبارة ((مبلغ علمي)) شاهدة على انى لم أجرؤ على اطلاق الحكم عاما جازما، بل حصرته فى نطاق ما أعلم . ورأيت مع ذلك، الا ان احدد اسماء الكتب والدواوين التى كانت بين يدى وانا أكتب المقال ، وكلها لكتاب زاروا جزيرة العرب اوعاشوا فيها . مبالغة منى فى الاحتياط والحرص ، واعترافا باحتمال وجود اعمال ادبيـــة اخــرى ، عن الرق المعـــاصر ، فاتنى ان اطلع عليها ، أو اطلعت عليها وخانتنى الذاكرة فلم اعد احفظها .

وكم شعرت بالغبطة ، حين تلقيت فى بريدى الادبى ، رسائل عديدة ، يستدرك فيها كاتبوها ما فاتنى ، ويلفتون الـــى قصورى فى التتبع والاطلاع ...

واحدى هذه الرسائل ، من الاديب العراقى السيد ((هلال ناجى)) وقد بداها استغراب حكمى القاسى الذى يرانى فيه ظلمت نفسى وظلمت الادب العربى ،عندما غفلت قصائد لبدر شاكر السيـــاب فى ازهار ذابلة» والسماوى فى «أغـــانى قافلة» كما اغفلت كتبا لمعاصرين، عالجوا موقف الاسلام من الرق ، وخص بالذكر ــم : الســيد عبد الحميــد الخطيب « أسمى الرســالات » والشاعر ابراهيم اشم فلالى فى «الرق فى الاسلام» ــ **هذا الكتاب فيما اعلم للاديب الحجازى عبد الله عبد الجبار ــ والاديب محمــد حسن عواد فى «عبد الملك بن مروان : محرر العبيد»** والشاعر عبده بدوى فى شخصيات افريقية» والسيد حافظ وهبه «جزيرة العرب فى القرن العشرين» وعذرى واضح ، فالحكم الذى اصدرته مقيدا بمبلغ علمى، يشملنى فيما لا اعلم. وكتاب السيد حافظ وهبه الذى كان بين يدى وانا اكتب المقال ، هو ((خمسون عاما فى جزيرة العرب))

وليس فيما ذكره الزميل السيد ناجى ما يتصل بالقضية مباشرة ، الا قصائــد السياب والسماوى ، واعترف بانى لم اقرا «اغانى التـــافلة» اما «شخصيات افريقية» ففيها حديث عن قائد ثورة الزنج فى العصر العباسى ، لا فى عصرنا الحاضر ومثلها كتاب «عبد الملك بن مروان» الذى يعالج موقفه من الرق فى العصر الاول ومن ثم لم اشر اليهما، والا لكان من الحق ان اشير الى القصة الرائعة ((على باب زويلة)) للاستاذ محمد سعيد العريان ، لولا ان موضوعهـــا مأســــاة الرق فى عصر المماليك ، لا هذا الرق الذى يمارس فى عصرنا باسواق النخاســة .

والذى كتبه الكتاب عن موقف الاسلام من الرق ، لم يكن موضوع مقال محدد بعنوانه : مأساة الرق المعاصر فى ادبنا المعاصر . واذا كنت قد اشرت الى موقف « القرآن الكريم » من الرق ، فما كانت الاشارة الا تلخيصا لعبارة قلتها للمستشرق دون ان اقصد بحال ما الى ان استقصى مؤلفات الذين كتبوا عن الرق من حيث هو قضية اسلامية ، لا قضية ادبية فنية

وبمثل هـــذا ارد على ((الاستاذ محمد شوكت التونى المحامى)) الذى ظن انى تجاهلت كتابه القيم « محمد : محرر العبيد »

ومن الكويت ، جاءتنى رسالة من الزميل الشاعر ((محمد مصطفى حمام)) اشار فيها الى كتاب الاديب الحجازى عبد الله عبد

التاريخ : ١٦ / ١١ / ١٩٦٢



سعيد العريان

الجبار : «لا رق فى الاسلام» كما ارفقها بقصيدة نظمها الشاعر حمام حين حج الى الارض المقدسة ، وذكره مقالى بها ، فجعل يبحث عنها حتى عثر عليها .

والقصيدة مؤثرة حقا ، لكن كيف يمكن ان نحسبها للادب المعاصر ، وقد ابقاها صاحبها مطوية حتى كتبت مقالى ، فبعث بها الى ، ليبرىء نفسه من تهمة التقصير ، دون ان يدرى انه قدم بيده الدليل على ان انفعاله بالمأساة كان عابرا !

واقول مع هذا ، اذا اضفنا القصيدة الى رصيدنا الادبى فى مأساة الرق المعاصر واضفنا معها قصائد السياب والسماوى، وقصائد الشاعرة نازك الملائكة «الارض المحجبة ــ الهاربون ، فى وادى العبيد» وكلها من اصداء المأساة ، فهل تكفى وامثالها معها ، لتسجل ظاهرة عامة فى ادبنا المعاصر ؟

فى رايى انها مثل قصتى عن «آمنة وحليمة» ليست سوى أعمال فردية، تسجل اصداء الوقع السريع العابر للمأساة على وجدان اربعة ادباء او خمسة دون ان يكون لها من الصدى العميق على الوجدان العام ، بعض ما كان لقصة «كوخ العم توم» .

والظاهرة الادبية لايمكن ان تؤخذ من مثل هذا ، وانما يستطيع ادبنا المعاصر ان يدعى الاهتمام بالمأساة ، لو ان فيه عملا ادبيا فرض نفسه علينا جميعا، وهز الوجدان العربى العام ، وترك اصداءه فى الافق تشعل ثورة انسانية لتحرير العبيد ، وتؤرق الضمير العربى فلا يهدأ حتى يسترد الارقاء بشريتهم المهدرة وحريتهم المسلوبة .

وذلك مالا علم لى به .

وان كنت على يقين من ان ادبنا الثورى بنضاله فى معارك التحرير من طغيان الاقطاع وضراوة الاستبداد ومهانة الاستعمار قد شارك بعمق وايجابية فى انتصار الثورة الكبرى التى لن تدع ميدان المعركة دون ان تصفى هذه البقايا المتخلفة من عصور الاسترقاق .

وقد بدات اصداء الثورة على الرق تتردد فى شتى ارجاء الافق العربى . ولن يطول بنا الانتظار لنهاية المأساة التى اباحت استرقاق البشر فى عصر لا يطيق ان تهدر آدمية انسان ، او يسلب حقه فى الوجود الحر الكريم .

التاريخ : ٢٣ / ١١ / ١٩٦٢

قضايا فكرية

ضباب على الأفق

عندما نشر المستشرق « كارل بروكلمان » كتابه القيم « تاريخ الادب العربى » ابى عليه ضميره العلمى ان يجحد ما لمفكرى العرب من جهد خصب فى نمو الثقافة الانسانية ، وبناء صرح العلم .

وأنا انكر ان يكون للشعر العربى مثل هذا الاثر ..

واعتبرناها شهادة للغربيين انفسهم قبل ان تكون شهادة لنا ، فقد طالما انحرف بكثير منهم التعصب والهوى ، فضلوا ضلالا بعيدا فى احكام جائرة لهم علينا ، لا يؤيدها منطق ، ولا يقرها منهج ، ولا يسلم بها الحق التاريخى ..

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

وكان من بين تلك الاحكام الجائرة ، ان العقلية العربية لاحظ لها من عمق ولا طاقة لها على الابداع . وكانت بذرة هذا الاتهام ، من بين ما ألقاه دعاة الاستعمار فى ارضنا الطيبة ، ايام كان الحمى مستباحا .

وقلنا لما قرأنا هذه الشهادة : كلمة ينصفون بها انفسهم قبل ان ينصفونا ، ولو لم يقلها « بروكلمان » او غيره ، لشهد لنا بها التاريخ الذى راى الامة العربية فى عصر ازدهارها الحضارى ، تحمل مشعل الفكر فتضىء به ارجاء الدنيا ، وعرف الدور الكبير الذى قام به تراثنا الفكرى والادبى ، فى حركة الاحياء التى بدأ بها الغرب نهضته الحديثة ، وما قدم لها من عناصر حيوية ، اتاحت لها ان تنطلق باوروبا من ظلمات العصور الوسطى .

ولقد سمعت المؤرخ الجليل «ارنولد توينبى» حين التقيت به هنا منذ عام ، يتحدث فى تأثر وانفعال ، عما يدين به الغرب الحديث لمفكرى العرب ، ويؤكد ان حركة «الرينسانس» لا يمكن ان تؤرخ بأمانة او تفهم بوضوح ، الا اذا ارتبطت بما انتقل الى اوروبا من تراث الفكر العربى ، عن طريق تركيا والاندلس ، او عن طريق صقلية وثغور البحر المتوسط التى ظلت طوال عصور ، تتلقى بضاعة الشرق العربى ، التجارية والفكرية والفنية ».

ولقد تحول التيار بعد ان بلغت النهضة الغربية اوج ازدهارها ، وهبت رياح مشئومة اطفأت المشاعل المضيئة التى كانت تتألق فى وطننا العربى ، وترسل اشعتها الى بعيد الآفاق .

وطال علينا ليل المحنة ، قبل ان يلوح نور الفجر مؤذنا ببعث جديد

ولم نكن فى حاجة الى زمن طويل منذ اصغينا الى نداء البعث ؛ لكى نسترد ثقتنا بأنفسنا ، ونعرف طريقنا لكن الذى عوق خطانا ، ان امجاد ماضينا كانت قد طويت عنا ؛ وان عريق

التاريخ : ٢٣ / ١١ / ١٩٦٢

تراثنا الفكري قد ضاع اكثره في سبب الاعصار التتري الجائح والغزو الصليبي الغادر . والذي بقي منه ، تسرب اكثره الى الغرب ، وحمل قدر كبير منه ايما حمل من ثروتنا ، الى خزائن الترك ، ايام محنتنا بالحكم العثماني ، فلم يبق لنا منه الا اقل القليل .

وشدت اعيننا الى الغرب ، مبهورة بجديد حضارته المادية والفكرية ، فلم يكن لنا بد من ان نستعير ، وننقل ، ونترجم ، دون ان نشعر بغضاضة من يستجدي ، فكذلك اخذ الغرب عنا ونقل منا ، واحتاج الينا ، ولم يقل احد انه استجدى ، لكنه لم يكتف بما نقل واستعار بل جد — بعد نهضته — في البحث عن جذور مذهبه الفكري ، والتمس من تراثه القديم ، اليوناني والروماني ، ما يدعم نهضة الاحياء ، ويمدها بعناصر القوة والاصالة ..

وكذلك فعل العرب في مستهل العصر العباسي : نقلوا التراث الفكري لليونان والفرس والهند ، وهضموه اتم الهضم ثم ربطوا مستحدث فكرهم بأصيل تراثهم الروحي والادبي ، فكانت لهم شخصيتهم الفكرية المميزة ، وجاءت ثمار عقولهم المنتجة ، ذات طابع خاص مستقل ، لا يضيرها ان انتفعت بتراث الفكر الانساني ولا يمسخها ان تمثلت ما ترجم اليها من معارف ..

***

وقد ادرك رواد البعث مدى حاجتنا الى ان نصل ثقافتنا المستحدثة ، بما لنا من ماض فكري ، اصيل وعريق ، فشهد فجر اليقظة **حركة احياء لتراثنا** واصغى الى صوت الدعاة ، في اعقاب ليلنا الطويل ، يذكرنا بأمجاد لنا ماضية ويلح علينا في ان نلتمسها ، لتكون الاساس **الراسخ لجديد نهضتنا** ، ولا بأس علينا في ان نتصل بتيارات الفكر الغربي ، وان ننتفع بما استحدث العقل الانساني الذي هو ملك مشترك للبشرية ، دون ان نلغي مقومات شخصيتنا ، او نبتر من جذورنا ونذوب في غيرنا ..

وكان الظن ان ينجح جديدنا الفكري في ان يحسم كل شبهة حامت حول العقلية العربية ، وان يضيف رصيده الى ما اعترف لنا به التاريخ من قديم مشاركتنا في بناء صرح الثقافة الانسانية ، لكن الظلال عادت تحوم في الافق : مشككة في العقلية العربية المعاصرة ، ومستريبة في ان تكون قد استطاعت — ولما يمض **على البعث غير قرن واحد** — ان تتخلص من آثار الخمول الذي ران عليها في ليل الظلمة الطويل ..

وشباب الجيل : متأثرون بهذا الشك ولا حق لنا في ان نلومهم ، فهم معزولون عن اصيل تراثنا الفكري .

وربما ضاقوا بمن يلفتهم اليه ، وزهدوا فيما نقدم اليهم منه ، واعتبروا المشتغلين به «**بقلة قديمة**» لا تصلح للعصر !

بل اخشى ان اقول انهم معزولون كذلك عن جديد اعمال مفكرينا الاصلاء

وقد اغرقت السوق الثقافية ببضاعة رخيصة ومطالعات سريعة ، اذا قورنت باعمال مفكري الغرب بدا هزالها وظهرت تفاهتها وسطحيتها .

ولو اتصلوا بما يقدمه مفكرونا الاصلاء الى المكتبة العربية ، لآمنوا بأن العقلية العربية لم تصب بعقم ، ولا ادركها الضمور والذبول ..



توينبى

لكن مثل هذه الاعمال الجادة الخصبة لا تلقى رواجا فى السوق ..

والذى يرجى له الرواج منها ، تثار حوله غبار الشك ، ويتعرض للتجريح والاتهام بالاخذ والاقتباس !

ويلتقط ملتقط ، قضية فى الكتاب سبق ان عالجها مفكر غربى ، ليقذف بالتهمة الخالدة ، التى راجت فى ميادين الفن والادب والفكر عندنا !

وكانما لا يجوز لمفكرينا ان يجرؤوا على اقتحام ميدان شغله السادة الغربيون ولا ان يتطاولوا الى معالجة قضايا تعرضت باهتمام الفرنجة !

والمولعون بهذا التشكيك ، يحبون بذرة الاتهام للعقلية العربية ، من حيث يدرون او لا يدرون .. مما يدفعون الى الارتياب ، فى ان يكون كتاب قيم ، يتسم بالعمق والاصالة من صنع ذهنية عربية !

ولقد بلغ من سفه المعتدين على كرامتنا العقلية وسمعتنا الفكرية ، ان اتهموا اساتذة فى جامعاتنا بالسرقة ، لان فيهم من رجع الى مصادر تاريخية عربية ، سبق ان رجع اليها طالب بجامعة بيروت الامريكية !

ولان آخر ، اقتبس فى كتاب له عن النقد العربى ، آراء لكاتب غربى ، وسجل المصدر الذى نقل منه بامانة ، فقيل : سارق ! دون ان يشار الى امانته فى ذكر مصادر مادته !

ولان ثالثا ، من ائمة الفكر العربى المعاصر ، عالج فكرة سبق ان عالجها كاتب اوربى ، فاجتاز المنطقة المحرمة على المفكرين العرب .

والمثل عندنا يقول : العيار الذى لا يصيب ، يدوش !

فهل نلوم شبابنا ، اذا غشيهم دوار لكثرة ما ينطلق فى الجو من قذائف !

وهل ننكر عليهم ، ان يحجبوا عن الاتصال بالافاق العالية لمفكرينا ، لكثرة ما يغشاها من ضباب يحجب الرؤية ، بالابخرة المتصاعدة من السطوح الدانية والمستويات الهابطة ؟

كلا .. لا ملام ولا عتاب .

وانما هى ازمة ، ارجو ان افرغ لها بمزيد بيان ، فى مقال لاحق ، والله المستعان !

التاريخ : ٧ / ١٢ / ١٩٦٢

قضايا فكرية

معركة وجود .. ومصير

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

اشرت هنا ، فى مقالى الماضى ، الى ما يغشى افقنا الفكرى من ضباب يحجب الرؤية ، بالابخرة المتصاعدة من السطوح الدنيا والمستويات الهابطة . وهذا الضباب يحول بين شبابنا المثقف وبين الاتصال بالآفاق العالية لمفكرينا الاصلاء ، فيتصورون ان كل بضاعتنا الفكرية هى هذه المطالعات السريعة ، واللقطات التى يلمها الكاتب من ساعات يقضيها بين دوائر المعارف الاوربية .

ويظنون بالعقلية العربية الظنون ، فيولون وجوههم شطر الغرب ، يلتمسون لديه ما اعوزهم من زاد فكرى خصب ، لايجدونه فيما يغمر اسواقنا من ثمار فجة ..

وهذه هى الازمة التى لابد من مواجهتها بكل صراحة وشجاعة ، مهما تكن كلمة الحق مرة وقاسية .

***

وللازمة اسبابها البعيدة : منها ماهو ظاهر مكشوف ، ومنها ماهو خفى مقنع ، ونحتاج لكى نكشف عنها ، الى ان نرجع الى ماضينا القريب حيث ... رواد البعث الفكرى ، الذين سهروا على ايقاظ الوعى وامداد الحركة القومية بحاجاتها المعنوية ، قد ادركتهم المنية ، واحدا بعد الاخر ، والذين امد الله لنا فى حياتهم ، تركوا العبء الباهظ ، الذى حملوه طويلا ، لجيل جديد من المفكرين ، كانت الجامعة ومدرسة القضاء ، قد بدأتا فى اعداده وتكوينه ، على ايدى الرواد الكرام مع البقية الصالحة من شيوخ الازهر واساتذة دار العلوم .

لكن هذه الطبقة الجديدة ، لم تستطع ان تتقدم الى الميدان بسرعة ؛ فقد تفتح امامها من افاق المعرفة مالم يخطر لها من قبل على بال ، وبدا لها طريق الوصول ابعد مما قدرت ، واطول مما تصورت . وكانت كلما قطعت شوطا منه استشرفت الى ماوراءه ، وايقنت ان محصولها من العلم والمعرفة جد ضئيل . فدابت على الدرس المتخصص فى تواضع العالم الذى يكتشف انه يزداد حاجة الى العلم ، وظمأ الى المعرفة بقدر مايزداد تحصيلا وفقها .

فى تلك الفترة — التى كان افراد الطبقة الجديدة من مفكرينا ، يتأنون فيها من حمل الامانة الصعبة ، ويوغلون فى ارتياد المجهول من افاق المعرفة ، ويعكفون على الدرس المتخصص فى رهبة علمية ، بعيدا من الاضواء ، كان دعاة اليقظة القومية الذى فتح عيون الجماهير وعقولهم ،

يتطلب غذاءه الفكرى ، ويلتمس مقومات وجوده المعنوى .

وانتهز المنتهزون الفرصة ، وزعموا انهم يلبون حاجة الجماهير المتطلعة المعرفة فمن جانب كان المستعمر يقدر في الادراك ان مصيره هنا رهن بالوعي الثورى يتولى قيادته مفكرون امناء وكتاب احرار ..

ومن جانب آخر ، كان القصر والاحزاب السياسية ، في اشد الحاجة الى دعاة لهم ، يؤثرون في الرأى العام ، ويخدرون وجدان الجماهير وعقولها ، في اعقاب ثورة ١٩١٩ التي كانت نذيرا بالغ الخطر ...

والتقى هؤلاء جميعا كل التقاء في المعركة التي ابتنوا حق البقاء انها بالنسبة اليهم والى الامة ، معركة وجود ومصير ..

وحطوا اعينهم على الجامعة ، التي اريد لها ان تكون قلعة الوعي الحصين اليقظة ومنارة الفكر .

وكان الظن بها ان تظل حارسة على الوعي الفكرى ، وفي الحق انها ناضلت طويلا لتصون منارتها في مهب الريح ، ويمكن القول ان مقاومتها امتدت الى العقد الثالث من هذا القرن ، ثم لم تلبث آفة السياسة ان احدثت ثغرة نفذت منها الى الحصن الذى طالت مقاومته .

وكان بالمكان عند دعاة تاريخنا الفكرى وسجلته وثائق الهيئات العلمية في الجامعة وغير الجامعة ؛ ان يملأ الميدان ، بالادعياء والماجورين والمحاسيب والوصوليين !

من هؤلاء من غره ما حصل من قشور المعرفة ، ولم يطق احتمال مشقة الجهد المضنى بحثا عن اللباب الحر فلم يدع فرصة العمر تفوته ، وخرج يصول ويجول في الميدان الخالي قبل ان يزاحمه فيه ذوو الاصالة والاقتدار ..

والآخرون منهم ، قطعوا الاشواط ، لكن على اكتاف غيرهم او عبروا الطريق الوعر لكن على اجنحة غير مشروعة ، حيث وجدوا في عالمهم ايادى تشق عنها فسيحا ، تهديهم الالقاب الجامعية بغير استحقاق ، وتخلع عليهم رداء العلماء ، منحة رضى او مقابل ثمن ، على نحو ما كانت الرتب والالقاب وكسوة التشريفة ، تمنح وتخلع من القصر على من يحوزون الرضى السامى او يدفعون الثمن !

وفريق ... ، لم يجد لديه ... ضالة والاستعداد ، ما يعينه على الغوص في بحار المعرفة فالتمس فتات الموائد الغربية ثم ظهر في الميدان يتشدق بالفاظ ضخمة رنانة ، ويتقدم الى السوق بضاعة مستعارة جمعها جمعا لما من هناك ومن هنالك ، واعطاها عناوين اعلانية براقة !

ومع المد الثورى ، ان لكل هذه الاوضاع الفاسدة ان تنحسر ، وان يقوم الوعي رقيبا على التموين الفكرى يصد مزيفيه ومغابنيه !

لكن ، لم يكن من السهل على اصحاب البضاعة المزيفة او الرخيصة المبتذلة ،ان يفتقدوا السوق !

كما لم يكن من الهين على الادعياء ، ان يتخلوا عن مراكزهم المالية .

وهكذا لم يكد مفكرونا الاصلاء يتقدمون الى الميدان ليغذوا وجودنا الثوري ، حاملوا عبء القيادة الفكرية والعلمية بعد ان استكملوا عدتهم لها ،حتى ضج الافق بزئير حرب مسعورة ؛ ، مموّلة ومستترة، يشنها المزيفون ويعبئون لها كل طاقاتهم واسلحتهم ، تشبثا ببقائهم وحرصا على مراكزهم ، وحماية لمكاسبهم في السوق .

هؤلاء المعرقلة يستميتون في ابعاد الاصلاء عن الميدان ..

والذين اختلسوا الدرجات العلمية **بطريق حرام ، لايطيقون رؤية من نالوها بجدارة واستحقاق ..**

والذين يعيشون على فتات الموائد الغربية للمعرفة ، او الذين يزيفون ترجماتهم لحساب المؤسسات الاجنبية ، بطلاء التاليف والابتكار ، يؤرقهم الخوف من ذوى الاصالة والابداع ..

ومن بعيد او قريب يعبث اعداء لنا مرتدين زى الصداقة ، **يهمهم ان يعطلوا** نهضتنا الفكرية ، ولايترددون في امداد المعركة باسلحة لهم مادية ومعنوية ،تؤجج ضرامها وتكثف غبارها ، **لكي تختلط القيم** وتضطرب الموازين ، **وتختل المقاييس ،في متاهة النقع المثار ..**

واذكروا الكلمة التى نقلتها اليكم في مثل هذا الشهر من العام الماضى، عن اديب افريقى، سمعته – ونحن نعد لمؤتمر كتاب آسيا وافريقية – يقول لنا في حماسة وايمان :

«ثقوا ان مستقبلنا معركة فكرية »

واتساءل في دهشة وعجب : **أهم من** الغفلة بحيث يحسبون ان الزيف يمكن ان يعيش طويلا ، بعد ان وعينا ذاتنا وحققنا وجودنا **!**

ام انها محاولة يائسة ، لتعويق خطواتنا على الطريق ، وكل يوم يفوت مكسب **!**

ومهما يكن الامر ، فان الامة ستخوض معركتها الفكرية كما خاضت معاركها الاخريات .

والنصر آت لا ريب فيه ، « انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا » .

التاريخ : ١٤ / ١٢ / ١٩٦٢

قضايا فكرية

ضمير التاريخ



احمد شوقي

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

> • لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين بالحق الى يوم القيامة لا يضرهم من ناوأهم •
>
> من حديث شريف

ذات مساء ، من شهر يوليو الماضي ،كنا في ندوة ادبية نتحدث عما اثار الـ« الميثاق » من محاولات لتزييف تاريخنا.

واذكر انى قلت يومها : ان ضمير التاريخ قد غلب زيف المزيفين لما مضى،فاستبقى بين ركام الزور والبهتان،كلمات صدق هدتنا الى الحقائق المطوية ،وكشفت لنا عن اكاذيب المضللين واباطيل المفترين .

وفوجئت بسؤال ينم عن تهكم وانكار:

« وهل التاريخ انسان حى يقال ان له ضميرا ؟ وهل يعدو ان يكون كتابا،الفته اقلام بشر ،يملون عليه ما ارادوا؟!»

واكاد اليوم ، وانا اكتب مقالى تحت هذا العنوان ، اتمثل ابتسامة السخرية على وجوه من لا يتصورون ان للتاريخ ضميرا حيا وبصيرة نافذة وذاكرة واعية ، واجازف مع ذلك ، بالكتابة عن هذا الذى سخروا به وجحدوه !

التاريخ : ١٤ / ١٢ / ١٩٦٢

ان التاريخ يكتب حقا باقلام البشر .

وقد شهدت الدنيا — منذ كانت — محاولات لتزييفه باقلام مأجورة او موتورة ، او مسخرة مستهواة !

وليست لى الجراة على ادعاء العلم بتلك المحاولات فى نطاق التاريخ الانسانى العام ، ولا انا ممن وهبهم الله القدرة على ان **يحيطوا بكل شىء علما فيجمعوا الدنيا فى صفحات كتاب ،** او يفتوا فى قضايا العالم كله ، قديمه ووسيطه والحديث ، شرقه وغربه ، وشماله والجنوب !

بل ان علمى يقصر عن ان يحيط بالتاريخ العام للعرب والاسلام كله ، ومن ثم لا اتناول منه الا شيئا مما يتصل بتاريخنا الفكرى والادبى ، احتراما لكرامة عقلى وعقول القراء !

ومحاولات التزييف فى هذا الجانب من تاريخنا ، كانت نتيجة حتمية للاوضاع السياسية التى حكمت الشرق العربى — لمدى قرون — بفردية طاغية مستبدة ، جعلت من بيت المال خزانة خاصة للحاكم فردا او حزبا او اسرة .

ومع المال قام الارهاب يحمى تلك الاوضاع ، حين لا يجدى الاغراء والترغيب .

وبيعت اقلام وضمائر ، فى سوق النخاسة والنفاق ، وراج من بضاعة الفكر والادب ما يحمل بصمة البلاط او ما يجيزه الحزب الغالب .

واشتهر من الكتاب والشعراء ، من **توقفوا على الاعتاب ، وباعوا انفسهم رخيصة لكل من جاوز قدره ونسى بشريته ، فراح يمارس حقوق الالهية ، يرفع بها ويضع ، ويعز ويذل ، ويغنى ويفقر ، ويحيى ويميت ..**

لكن .. هل يمكن ان يكفر الناس جميعا ، فى اى عصر ، بالقيم الانسانية العليا ، فلا يوجد بينهم ذو ضمير حى ، لا يلين تحت تاثير رغبة او رهبة ؟

او يمكن ان نتصور ، ان الوباء مهما تفشى ضراوته ، لا ينجو منه انسان ، يستطيع ان يقول كلمة الحق باى ثمن ! **محال ! ؟**

لقد وجدت الانسانية فى عصور محنتها من استعصت ضمائرهم على الزيغ والفساد والاستهواء ، لكن اولئك الاحرار حاقت بهم لعنة عصورهم ، فاحرقت آثارهم ، او صودرت وحرمت قراءتها بقرار من ذوى السلطان ، او فتيا ممن سايرهم من رجال الدين .

وكانت تلك محنة الادباء والمفكرين الاحرار ، فيما سلف من أزمان .

او بتعبير ادق ، كانت محنة تاريخنا الذى الح عليه المزيفون والمخدوعون بترا وتشويها ومسخا .

لكن ضمير التاريخ غلب — كما قلت — كل زيف ..

وقد تمثل هذا الضمير فى كلمات حق جرت بها اقلام امينة ، وفى آثار فكرية وادبية استنقذها التاريخ من براثن الضياع والمصادرة ، وظل يحرسها حتى وصلت الينا ، فكانت النور الكشاف الذى استطعنا على هداه ، ان نعرف ماضينا على حقيقته ، لا على الصورة الممسوخة البتراء ، التى رسمها المزيفون عن عمد او عن استهواء !

ونحن فى الجامعة ، لا يشغلنا شىء قدر ما يشغلنا توثيق النصوص التى هى مادة الدرس المنهجى لتاريخنا ، ثم قراءتها من جديد ، التماسا لما وعت ذاكرة الزمن من آثار الحقيقة التى تاهت طويلا ..

وربما صح ايماننا بان للتاريخ ضميرا لا يقبل الزور ، ولا ينطلى عليه بهتان . لروعة ما يلقانا من اصراره على رصد ما يكشف عن اى تزوير فيه .

.. ولطول ما نشهد من عقم الجهود التى بذلت عبثا لتزييفه !

اناضرب بعض الامثال ، لما كان من ذلك الجهد العقيم ، فى ماضينا البعيد والقريب ؟

« ابو حيان التوحيدى » : انكره اهل عصره لقوة نفسه ، فنبذوه بالتهمة التقليدية : الزندقة ، ونفساه « الوزير المهلبى » فظل تائها حتى مات عام ٤٠٠ هـ وجاء « ابن الجوزى » من بعده فقال عنه فى (تاريخه) ما قال .

كما اوصفه « الذهبى » فى « ميزان الاعتدال ، فى نقد الرجال » : طعنا وتجريحا .

ولكن ضمير التاريخ ، تمثل فى شهود ثلاثة عدول ، سجلت شهادتهم فى كتاب « طبقات الشافعية » للامام الشيخ تقى الدين السبكى » ونص الشهادة:

« ابو حيان التوحيدى .. كان اماما فى النحو واللغة والتصوف ، فقيها مؤرخا .. قال ابن النجار : كان فقيرا صابرا متدينا صحيح العقيدة » .

وبعد ان نقل الشيخ السبكى كلام الذهبى وابن الجوزى وغيرهما ، عقب عليه بشهادته :

« اقول : الحامل للذهبى على الوقيعة فى التوحيدى — مع ما يبطنه للصوفية — هذان الكلامان . ولم يثبت عندى الى الآن من حال ابى حيان ما يوجب الوقيعة فيه ، ووقفت على كثير من كلامه ، فلم اجد فيه الا ما يدل على انه كان قوى النفس مزدريا باهل عصره ، ولا يوجب هذا القدر ان ينال منه النيل . وسئل الوالد — رحمه الله — عنه فاجاب بقريب مما اقول . » ج ٤ ص ٣

ونجا التاريخ بهذه الشهادة لابى حيان، لان مثل كتاب « طبقات الشافعية » مما لا يتعرض لاحراق او مصادرة !

• • • • •

وابو العلاء المعرى : ضاقت به عصور الطغيان ، فانكروا شاعريته لانه عف بها عن الاستجداء والهوان ، ورموه بالزندقة لانه كفر باوثان زمنه وطواغيت مجتمعه وابى ان يسجد الا لله وحده . وزعموا انه الف كتابا عنوانه « الفصول والغايات » يعارض به سور القرآن الكريم .

لكن التاريخ حفظ لنا نسخه خطية من « الفصول والغايات » لنقرأ فيهما ابتهالات ضارعة فى تمجيد الله تعالى . كما حفظ آثارا له اخريات ، عرفناه فيها على حقيقته : الاديب الكريم الذى باع كل الدنيا لتسلم له حرية رايه وشرف كلمته وعزة انسانيته ، والذى خاض معركته فى بسالة تقرب من الاستشهاد ، فعاش — عمره — عدوا للنفاق والطغيان !

• • • • •

« وابن رشد » : الفيلسوف الحر الاصيل ، سعى به خصومه وحساده لدى السلطان بتهمتين ، تكفى احداهما للقضاء عليه : الكفر وعداوة ولى الامر .

وضربوه فى المسجد ، وظنوا انهم فرغوا منه واستراحوا ، وما دروا ان الحق لا يلبث ان ينجلى ، وان التاريخ سوف يضع اسمه بين اقطاب الفكر الانسانى : اماما للفلسفة الرشدية التى كانت مبدا للثقافة الاوربية فى عصر الاحياء !

• • • • •

وسلطان العلماء « العز بن عبد السلام » : ارقتهم شجاعته فى قول الحق لا يخشى فيه لومة لائم او غضبة مارد ، فحددوا اقامته ، وحرموا عليه الاتصال بالناس ، وخيل اليهم انهم بذلك اخرسوه واعدموه ، لكنه عاش فى ضمير التاريخ ، مثلا اعلى لعزة العلم ، وامانة الفتيا ، وكرامة الانسانية .

وشوقى ، امير الشعر العربى الحديث : نبحته اصوات حساده ، والقوا ظلال الشك على وطنيته الصادقة مستغلين صلته بالقصر ، لكى يسلبوه مجده الفنى ويرثوا مكانته بعد ان يزحزحوه عنها ، ويبقى التاريخ مأمن من الزيف والدجل ، فسخر لنا « الدكتور محمد صبرى » بنشر المطوى من الشوقيات المجهولة ، لنرى فيها الشاعر الذى اخلص لفنه وامته ، واستطاع — رغم ماكان يكبله من قيود الوفاء لاولياء نعمته — ان يسهر على معنويات الشعب ويذكره بامجاد ماضيه ، وان يحتال ليرسل صوته ، من داخل قلاع الطغاة ، يحدو امته الى الوجود الكريم ، ويشدو لها باناشيد الحرية واباء الضيم ، ويغريها بالثأر لضحايا الجور والاستبداد والاستعمار . وحين كان شعراء آخرون لا تربطهم بالقصر ادنى صلة ، يطبلون ويزمرون للطاغية ، او ينشدون قصائدهم فى وداع اللورد كرومر وفى استقباله ، كان « شوقى » شاعر القصر ، يلهب الشعور القومى بقصائد تحمل توقيعا مستعارا ، ويطلب الى المطربين

التاريخ : ١٤ / ١٢ / ١٩٦٢

في عصره ، ان يستهلوا غنائهم في الاندراج بمثل هذا الدور المثير :

يا حمامة دنشواى
نوحى للسير جراى
تحت الظلام
كيلا ينام !

و « مصطفى صادق الرافعى » داعية الوطنية والايمان : حاولوا تزييف تاريخه ، فمسخوا صورته في كتاب التمسوا له كل وسائل الدعاية والترويج ، ودقوا له الطبول والاجراس ، لنقرأ فيه أول ما نقرأ ، ان أدب الرافعى لا يمكن ان يفهم الا في ضوء عقد ثلاث ابتلى بها : كان مريضا ذا آفة تملأ نفسه بالحقد على الاصحاء ، وكان فقيرا ، والفقر في رأيهم آفة ، وكان سورى الاصل يعانى عقدة الغربة : ان رضى تملق وداهن ، وان غضب صب نقمته على اصحاب البلد الذى آواه وأهل بيته ، وما نشيده :

* اسلمي يا مصر انني الفدى *

الا صدى لهذه العقدة !

وظنوا انهم بهذا المسخ ضحكوا علينا وعلى التاريخ ، وطووا الى الابد سجل الرافعى ، بكل ما فيه من مفاخر .

لكن الرافعى عاش في ضمير التاريخ ووجدان الامة ، كما عاش شوقى ، والعز بن عبد السلام ، وابن رشد ، وابو العلاء ..

والمزيفون هم الذين مضوا ويمضون الى مناهة العدم ، موصومين بعسار الجريمة ، ولعنة التاريخ .

وبعض هذا الذى ضربت من امثال يكفى لكى يطمئن الذين يشفقون على حياتنا الفكرية الحاضرة من زيف المضللين واباطيل المهرجين ، وليزداد الذين آمنوا ايمانا ، ولا يرتاب الذين يثقون في شرف الانسانية الحرة ، كما تمثله الرسول عليه الصلاة والسلام في حديث معناه :

« لا تزال طائفة من امتى ظاهرين بالحق الى يوم القيامة ، لا يضرهم من ناوأهم » .



د. صبرى السربونى



مصطفى الرافعى

التاريخ : ٢١ / ١٢ / ١٩٦٢

ذكريات وأطياف

كيف تحدينا اليأس؟

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



أحمد لطفى السيد



د . طه حسين

فى عيد العلم

الى أهلنا وأساتذتنا الكرام ، الذين وقفوا معنا ونحن نخوض معركة التحدى ، وأبوا ان يسلمونا الى اليأس والضياع !

معذرة الى القراء ، اذ القاهم اليوم بغير ما عودتهم من قضايا فسكرية وادبيـة ، فامضى معهم هذه اللحظات فى جو مشحـون بذكريات عاودتنى وانا اشهد عيد العلم ، ومع اطياف كريمة ملأت دنياى ، منذ سمعت كلمة السيد الرئيس عن جيلنا الذى تحـدى اليأس ! .

ولقد دعيت الى الحفل مـع اساتذة الجامعة ، ثم مع اعضاء لجان الترشيح لجوائز الدولة . وكنت اوثر ان ادعى اليه مع آباء المتفوقين وامهاتهم ، لكن لجنـة تنظيم العيد — عفا الله عنها — اسقطتهم من حسابها ،وهم اولى بالحفل واحق من يدعى اليه .

ومع ابنتى ذهبت ..

وبهـا رجعت الى ذلك المعهد الذى وقفت فيه بباب الجامعة ، اطرقه لمدى عام طويل ، حتى كلت يداى ، وهو فى وجهى موصد !

لم يكن فى يدى **جواز المرور** الوحيد المعترف به حينذاك : اجر العلم ونفقات الدراسة

ولا سبيل الى الظفر بهذا الجواز الا عن طريق العمل ، والانتساب ممنوع! وقيل ان الجامعة قد تعفينى من الرسوم اذا حرر والدى شهادة فقر وتسول ، يمضيها اثنان من موظفى الحكومة الكبار ويشهدان بصحة ما فيها من **كشف لحال الاسرة !**

ووالدى — حفظه الله — كان يؤثر ان يرانى احمل الى القبر جثة هامدة ، على ان يرانى طالبة بالجامعة ! .

وعذره ، انه من جيل يحرم على بنات المشايخ العلماء ، ان يخرجن من بيوتهن الى المدارس .

وقد بقيت مع اخواتى الخمس فى بيتنا نتلو القرآن الكريم ونتلقى علوم العربية والاسلام !

ودون ان يدرى ابى ، تسللت من البيت خفية ، فأديت امتحان الشهادات العامة ، مع الذين ادوه من منازلهم !

ولم ادخل مدرسة ابتدائية او ثانوية وان الامر فيهما لاهون من دخول الجامعة !

وهكذا وقفت ببابها حائرة ، لا اجرؤ على الالتحاق بها علنا فأبوء بغضب ابى ولعنته !

ودخولها خفية ، يقتضى ان يكون لى عمل ابرر به اقامتى فى العاصمة ، وادفع منه اجر تعليمى وهو اجر باهظ ، لا يعفى منه تفوق او امتياز ..

والطلاب الذين دخلوها بشهادة فقر واعياهم ان يسددوا الرسوم الاضافية لم يكن يسمح لهم بدخول قاعة الامتحان ولو كانوا من الاوائل الممتازين ..

ولمؤرخ حياتنا العلمية ، ان يرجع الى سجلات الجامعة ، ويحصى عدد الذين حيل بينهم وبين مواصلة التعليم ، لعجزهم عن دفع ثمنه وسداد رسومه !

اما نحن الذين قطعنا الطريق الوعر على الشوك والصخر ، فسنظل مـا عشنا نروى ماوعت ذاكرتنا من مواقف عصيبة واجهناها !

وكثيرا ما ساءلت نفسى : كيف اتيح لنا ان نعبر ذلك الطريق الصخرى الشائك ، دون ان يقنعنى جواب !

حتى سمعت كلمة السيد الرئيس فى هذا العيد :

« كان جيلنا ، هو جيل تحدى اليأس والتغلب عليه »

فعرفت الجـواب ، وادركت اننا ما عبرنا الطريق الا بالتحدى لعوامل اليأس ودوافع القنوط .

لكنى ذكرت كذلك ، اننا لم نكن وحدنا فى معركة التحدى ، بل كان معنا اساتذة لنا كرام ، ابوا ان يسلمونا الى الضياع

وفى موكب العلم مرت بى اطيافهم ، فرق قلبى من فرط الخشوع والاجلال ، لاولئك الذين وقفوا معنا فى غشية المحنة وآبان الكرب ..

فمنهم من تقدم فى **اللحظة الحرجة** ، فأدى الرسوم الجامعية عن طلاب حيل بينهم وبين دخول قاعة الامتحان .

واعفاهم من هوان الموقف ، بكلمة

لا تزال ملء مسمعي :

« ليس هذا من مال ورثته ، وانما هو بعض ما يدفعه لى الوطن لكى اعلمكم . ولست اقدمه اليكم هبة او احسانا ، بل اعتبروه دينا فى ذمتكم ، تسددونه بعد اليسر ، لمحتاجين من ابناء الجيل الخالف ، فى هذا الوطن المنكوب الذى لا ينال فيه حق العلم ، الا ذوو الثراء »

والذى قال هذه الكلمة ، هو نفسه الذى عهدناه يلمس فقراء الطلبة المهددين بالحرمان من المضى فى الدراسة ، فيقدم اليهم محاضراته كى يطبعوها ويوزعوها على المقتدرين من زملائهم ، ويستعينوا بثمنها على مواصلة الدرس !

. . . .

ومنهم من كان يقرأ بحوثنا الخاصة ، ثم يتحرى النشيء المجتهد منا ، فيتقدم اليه بمكافأة مالية ، على ماقدم من بحث

ولست انسى يوما وقفت فيه أحتج على استاذنا الدكتور طه حسين — متعه الله بالصحة — حين كافأ زميلا لى على مقال لم اره يستحق التقدير ، وامضيت ساعة المحاضرة ، اناقش الزميل وانتقده واستاذنا يصغى فى ضيق ظاهر ، حتى اذا انتهت المحاضرة ، صحبنى الى مكتبه ، وقال لى بضع كلمات ، فهمت منها السبب الذى دعاه الى تقديم المكافأة المالية ، وان لم يقله صراحة ! وخرجت من حضرته ، وملء نفسى شعور باكباره ، وخجل من موقفى مع الزميل !

. . . .

كذلك لن انسى ما عشت ، يوم سعيت الى استاذنا الجليل «الشيخ مصطفى عبد الرازق — رحمه الله » استأذنه فى التخلف عن محاضراته الى حين . فلما استفسر عن السبب ، حدثته بقلقى من ناحية ابى ، لما ابدى من ارتياب فى امر ذهابى الى الجامعة ، وخشيتى ان يبعث من يراقبنى ، فتكون كارثة !

وفوجئت باستاذى الشيخ غاضبا يحتج على ما كان من تقصيرى فى حقه حين لم افض اليه بكل متاعبى ! ثم كانت المفاجأة اشد وقعا وتأثيرا ، عندما [illegible] الى فى تلطف وعتاب :

— وماذا عن ظروفك المالية فى مثل هذه الحال ؟ انك لم تحدثينى عنها ، لاعلم كيف تسددين اجر التعليم وتدبرين نفقات الدراسة ؟

ولم يدعنى انصرف ، حتى اطمأن الى انى اكسب من عملى ما انفق منه

. . . .

وماذا اقول عن ابى الروحى ، استاذنا الجليل «احمد لطفى السيد» الذى حرص على ان يشهد امتحانى لدرجة الليسانس ، فسعى من مكتبه بادارة الجامعة الى لجنة الامتحان الشفهى ، ثم لما عرف اصرارى على الدراسة العليا ، اباح لى مكتبته ادخلها متى شئت ، وحين قضت الظروف على ، ان ارجع الى الريف فاقيم فيه ، زودنى يوم السفر بزاد معنوى من التشجيع ، وبزاد آخر مادى : هدية من ذخائر الفكر الغربى وامهات المراجع العربية ، تلطف فحملنى على قبولها ، بما أكد لى من استغنائه عنها بنسخ منها مكررة ، اصنع له جميلا لو خففت من خزانة كتبه ضيقها بها !

. . . .

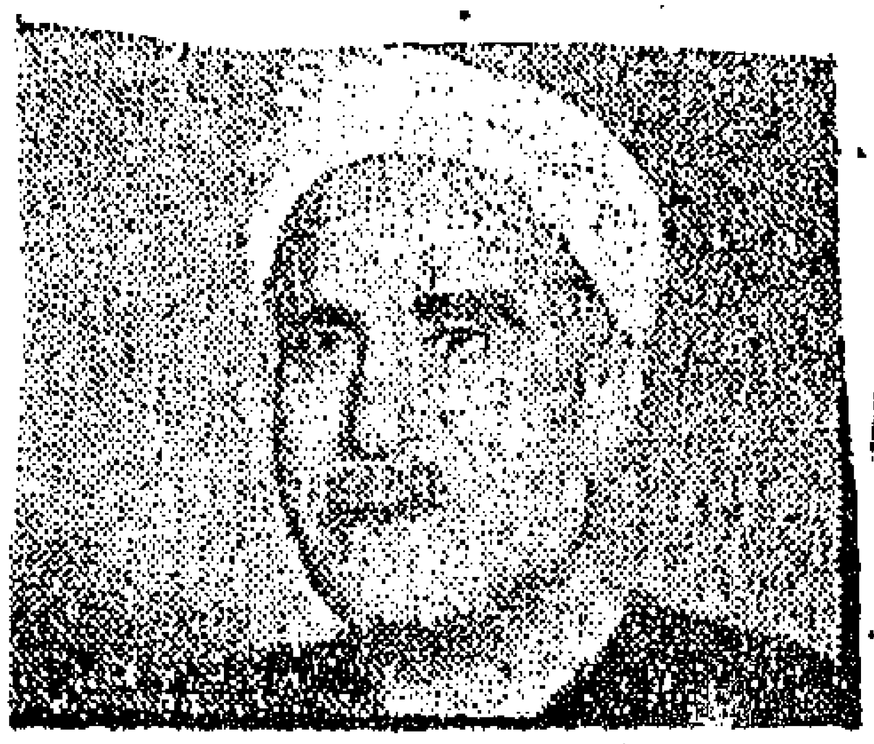
بل ماذا اقول عن امى ، والجنة تحت قدميها ، تلك الموءودة التى كبلتها اغلال الحريم فلم تتردد فى ان تدفع حياتها لكى تحررنى من تلك الاغلال ، فى ظروف عصيبة ، كان اليأس فيها راحة ورحمة ، وكان تحديه مجازفة وانتحارا ؟ !

مع هؤلاء عشت واعيش ، منذ شهدت عيد العلم مع ابنتى ، واصغيت الى تلك الكلمة المثيرة من جيلنا الذى تحدى اليأس !

الا ما ابعد اليوم من الامس !

وما اروع ذلك الانقلاب الثورى ، الذى الغى مثنوية التعليم ، ثم اباحه لابنائنا جميعا ، بغير اجر ولا ثمن ؟

واين كنا ، والامتياز غير معترف به جوازا للمرور الى دور العلم ، من هذا الحاضر الذى تتسلم فيه ابنتاى كل شهر مكافأة سخية من الجامعة !



الشيخ مصطفى عبد الرازق



د . محجوب ثابت

التاريخ : ٢٨ / ١٢ / ١٩٦٢

كان الله معنا

عندما تحدينا اليأس

"إن لله عبادًا
إذا أراد أرادوا"

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

مرة اخرى ، اعتذر الى القراء عما اشغلهم به من حديث خاص، اتابع فيه رواية بعض ذكرياتي من معسركتنا مع اليـاس : تلك الذكريات التى طويتها زمانا تحت ضغط الشواغل والمشاغل ،الى ان سمعت كلمة السيد الرئيس ، فى عيد العلم ، عن جيلنا ، فاذا بها تشدني الى ذكريات المعركة بجاذبية لا تقاوم ، وتسيطر على وجداني فلااملك الانصراف عنها:

وعلى الهامش : ارجو ان يكون السادة القراء قد انتبهوا الى الخطأ المطبعي الذى عكس العبارة المختارة شعارا لمقالى فى الماضى : « ان لله عبـادا ، اذا ارادوا اراد » وقد هون على ، ان العبارة وردت مرتين فى سـياق المقال ، على وضعها الصحيح .

وأمود فاسال : كيف استطعنا ان نعبر الطريق الوعر ، متحدين اليأس فى ظروف عصيبة ، تجعل من ذلك التحدى مجازفة وانتحارا ؟

ان اساتذتنا الكرام ، الذين وثقوا معنا وابوا ان يسلمونا الى الضياع ، لم نلتق بهم الا فى الجامعة ، فماذا كان من امرنا فى المراحل الاولى من الطريق قبل ان نصل الى الجامعة !

وهل كنا وحدنا ، ونحن نهشم الشوك ونفتت الصخر ، ونتحدى لؤم ثنوية التعليم لنقتحم باب الجامعة الموصد فى وجوهنا نحن الذين تعلمنا فى الكتاتيب ، ولم يسمح لنا بدخول المدرسة الابتدائية او الثانوية (والافرنجية) كيلا نختلط بتلاميذها ، ابناء الطبقة الارستقراطية !

كلا ! لم نكن وحدنا قط !

بل كان الله دائما معنا ، ياخذ بايدينا فى المازق الحرجة ، ويفيض علينا من نور رحمته ، ما يثبت قلوبنا الغضة ، عندما تدلهم الظلمة ، وتضغط علينا دوافع اليأس ، وتعوى نذر الهزيمة الماحقة !

[illegible]

جيلى ، الذين خاضوا تلك المعركة ، **قصته المثيرة .. وما ارتاب فى انهم جميعا قد تداركتهم رحمة من ربهم ، فى اللحظات التى اوشكوا فيها على انهيار .. فالذى ارويه اليوم من ذكرياتى ، ليس الا بعض مشاهد من القصة الكبرى ، للجيل الذى تحدى اليأس وقهره .**

* * *

اجل ، كان الله معنا !

تجلت لى رحمته وانا اؤدى امتحان الشهادة الابتدائية ، فى لحظة غلب فيها اليأس ، وبدا الامل سرابا تبدد ..

كنت اؤدى امتحان اللغة الانجليزية ، معتمدة على موضوع الانشاء فيه ، فقد كانت قصة «السندباد البحرى» المقررة علينا من القصص التى قراتها بالعربية ووعيتها وظننت ان ما حفظت من مفردات اللغة الانجليزية ، يكفى لان اكتب فى اى موضوع ياتى من القصة .

لكنى حين بدات اكتب «اثنتى عشرة جملة ، عن نجاة السندباد من وادى الافاعى» استحال على ، ان اتذكر كلمة (نسر) بالانجليزية ، والنسر هو بطل الموقف ، ولابد من ذكره فى ست جمل على الاقل !

وكنت بحيث اتخلص من المازق ، بكتابة نسر بالعربية بين قوسين ، لكنى سمعت من زميلات الامتحان ، ان مدرساتهن انجليزيات ، لايترددن فى اسقاط الاجابة كلها ، اذا شابتها كلمة عربية !

وبسذاجة الفتاة الريفية ، ناديت مراقب اللجنة ، وشرحت له ظروفى ، وتوسلت اليه ان يذكر لى لفظ نسر بالانجليزية فان مصيرى كله ، يرتهن بها !

والجمته دهشة ممزوجة بالقلق ، للحظة طالت ، حتى خفت ان يخرجنى من القاعة ، لكنه ما لبث ان قال :

— آسف ، فانا مدرس عربى من تلاميذ والدك ، ولا اعرف الانجليزية

ومضى بعيدا ، وكانه يشفق على نفسه وعلى ، من ضبط حادثة التلبس بمحاولة الغش !

والقيت القلم من يدى ، ومضيت احدق شبه ذاهلة ، فى حطام الامل الذى تقوض !

لكن الله تعالى انقذنى من حيث لا احتسب !

وقعت عيناى فجاة ، على قلم الرصاص الذى كنت اكتب به (مسودة) الموضوع فافلتت من فمى صيحة فرح لم استطع كتمانها .

وجدتها !

وجدت صورة نسر باسط جناحيه ، مرسومة على قلمى ، وبجانبها :
Eagle Pencil

وفى لحظات قصار ، كنت قد فرغت من كتابة موضوع — عليه القيمة — من نجاة السندباد من وادى الافاعى ، وكانى التى نجوت من واد تتلوى فيه افاعى اليأس والقنوط ..

وخرجت وقد استراحت نفسى من القلق طالما ساورنى ، كلما فكرت فى اننى اعصى والدى فى السر ، وكنت فى ريب من رضى الله عن موقفى ، حتى جاءت آيته ، لانجو بها من محنة القلق ، واطمئن الى ان الله يريد لى ان امضى فى طلب العلم !

* * *

بعد عام واحد ، من نيلى الشهادة الابتدائية ، كنت استعد لاداء امتحان الشهادة الثانوية قسم اول . وفى ليلة الامتحان ، ارقنى خوف طاغ ، بعد ان سمعت من جارة لى متقدمة للامتحان نفسه من («معمل» ، **واجهزة ، وتجارب عملية»**) فى دروس الطبيعة والكيمياء ..

وفى حياتى ، ما سمعت عن شىء من هذا ، **ولا تصورته ! وانما كان كل همى ان استظهر الكتب المقررة على المدارس الثانوية ، فى « الحرارة ، والمغناطيسية والكهرباء » تاليف اسماعيل حسنين !**

واجهدنى الارق ، فلم انم الا قبيل الفجر !

وتجلى الله لى فى الرؤيا !

حلمت أنى أؤدى الامتحان فى الطبيعة من طرق نقل الحرارة ، وفى التاريخ عن حركة مارتن لوثر ، وفى الجيولوجيا عن العصر الفحمى ..

وصحوت من نومى ، وقد عاودنى ما اضعت من ثقة واطمئنان ..

ودخلت الامتحان وانا اردد كلمة الصوفية :

« ان لله عبادا ، اذا ارادوا اراد »

ولم تكن مفاجأة لى ، ان جاء سؤال فى التاريخ عن مارتن لوثر ، وسؤال فى الجيولوجيا عن العصر الفحمى ! ثم فى الطبيعة عن طرق نقل الحرارة التى حفظتها عن ظهر قلب : الحمل والتوصيل والا[illegible] !

ولكن صدمة المفاجأة روعتنى ، حين وجدت هذا السؤال الذى اعتمد عليه لانجح ، مذيلا بعبارة **(مع شرح خاصية الترمس فى حفظ الحرارة)** !

وفى حياتى ، لم اكن عرفت او سمعت الا بهذا الترمس ـ بكسر الميم ـ البقل المعروف !

وسألت مراقب الامتحان ، عما اذا كان فى هذا اللفظ خطأ مطبعى ، والا فما الذى ادخل الترمس فى الحرارة ؟

ولما اجاب بالنفى ، استعنت بذكائى فظننت ان اهل المدن الكبرى يستعملون بقل الترمس فى تلطيف الحرارة ! ولم ار فى ذلك ما يدعو الى العجب ، فقد قرأت فى بعض كتب المرحلة الاولية ، ان نوى المشمش ، يستعمل فى تنقية مياه الازيار !

واجبت عن السؤال بكل شجاعة وثقة ، فذكرت ـ بعبارة انشائية منمقة ان لبقل الترمس خاصية طبيعية لتلطيف الحرارة ، واستشهدت لذلك بباعة الترمس ، الذين طالما رأيتهم فى دمياط يضعون القلل على عرباتهم فى عز الصيف لتروى الظامئين بمائها الملطف بالترمس

وخرجت من قاعة الامتحان وانا اتنفس ارتياحا ، لقد انتهت ايامه !

واحاطت بى الزميلات ، يسألن عما دعانى الى الاشتباه فى خطأ مطبعى للترمس ! اجبت بكل بساطة !

ـ لم اكن اعلم انكم تلطفون الماء فى المدن ببقل الترمس! ولكن ذكائى اسعفنى فاجبت عن السؤال بكذا وكيت ..

ولست انسى ما حييت ، ما ارتسم على وجوههن من دهشة واستغراب وتقدمت احداهن ـ السيدة نحيه ماهر : ناظرة القبة الثانوية ، الان ـ فأرتنى علبة معدنية اسطوانية الشكل ، كانت معها ، وسقتنى منها ماء مثلجا ، زعمت انه فيها منذ مطلع الشمس !

وظننتها تسخر بى ، حين اضافت ، انها تضع فيه الشاى المغلى فى صبح الشتاء ، فتشربه فى المساء دون ان يبرد ! !

ولكى تبرىء نفسها من السخرية بى اذنت لى فى احمل هذا الترمس معى الى البيت ، واجربه !

وبتنا ليلتها ، انا واخواتى الخمس وما ينتهى لنا عجب من ذلك السحر الذى ظنناه من عمل الشيطان ، فاغلقنا علينا غرفتنا خوفا من والدنا الشيخ المتصوف

وقد كنا نعرف ((الزمزمية)) التى يحملها معه فى حجه كل عام ، اما هذا ((الترمس))

لشيء وراء معرفتنا ، وتخيلنا ، وتصورنا.

وظهرت نتيجة الامتحان :

ساقطة في الطبيعة !

وناجحة بدرجات النهاية العظمى في المواد الادبية ، ومعها الحساب والجبر

وبدرجة جيدة في اللغتين الاوربيتين وفي الهندسة التي لم اجب فيها الا من النظريات !

وكانت حكاية «الترمس» فكاهة الموسم فرجت من السادة المصححين ، كرب عملهم في الصيف ، وبلغت مسمع الاستاذ الجليل «محمد العشماوي : السكرتير العام لوزارة المعارف» فبادر بنقلي من وظيفتي مدرسة بالمدارس الاولية ، الى وظيفة مكتبية بكلية البنات ، كي ارى (المعمل والاجهزة)

وكان قد عرفني ، حين تقدمت لشغل وظيفتي الاولى ، وانقذني من عجرفة «المسز جارفس : كبيرة طبيبات المعارف» وظلمها !

فلقد حدث ، قبل ان اتقدم اليها لاجراء الكشف الطبي ، ان اجريت كشف تجربة بمعرفة احد الاطباء ، فاشار باستعمال نظارة طبية ، لان احدى العينين ، وصلت الى ١/١٨ .

وكنت اقيم مع عمي ، الذي كان ناظرا لاحدى مدارس البنين بامبابة ، فلم اتردد وليس معي ثمن نظارة — في ان آخذ نظارته ، واذهب بها الى وزارة المعارف لاجراء الكشف الطبي ..

دون ان يخطر ببالي ، ان لكل عين عدسة خاصة على مقاسها !

واجرت «مسز جارفس» الكشف علي فكانت النتيجة ١/٦٠ (واشرت على ورقتي، بعدم صلاحيتي قطعا ، لممارسة التعليم!

وبانجليزيتي المكسرة ، حاولت ان أؤكد لها اني استطيع بغير نظارة ، رؤية علامات الصفين الثاني والثالث من اسفل اللوحة !

لكنها اشارت الي ، بعجرلة ، ان انصرف ، دون ان تلقي بالا الى ما اقول!

وذهبت من فوري الى الاستاذ العشماوي اشكو اليه هذا الظلم، وانا اولى الناجحات في القطر كله ، لشهادة كفاءة المعلمات الاولية !

واصغى الى قصتي مع النظارة في عجب ثم امر باعادة الكشف الطبي علي !

وامرني — حفظه الله — بأن اذكر دائما ، ان بابه مفتوح لي ، كلما واجهت عقبة !

وكان نقلي الى كلية البنات ، نجدة فقيها اخذت فكرة عن (المعمل) وتقدمت لامتحان الدور الثاني في مادة الطبيعة ، ونجحت ..

وادركت ان الله ما امتحنني بالرسوب الوحيد في حياتي ، الا **لحكمة !**

فقد غرني بالعلم الغرور ، وظننت انى استطيع تحصيله من الكتب ، فاراد الله لي الخير ، بما كبح من جماح غروري، وبما هداني الى الطريق الصحيح للمعرفة..

ولولا هذه الصدمة ، لضللت ضلالا بعيدا ، وعشت عمري في جهالة عمياء لا افرق بين ترمس وترس ، او بين نظارة ونظارة .. ولا اميز بين راى ورؤية ورؤيا ! ولا بين دراسة منهجية ومطالعات في الكتب ...

وقد تداركتني رحمته ، فلم اتلق ذلك الدرس القاسي الا بعد ان فرغت من اداء الامتحان !

سبحانه ! ما اكرمه رحيما ، وما اعظمه مؤدبا ، وما اجله هاديا !

هو الذي انقذنا من وادي الافاعي ومتاهة الظلام ، واصطفى جيلنا لمعركة تحدي اليأس ، فمضينا على الطريق ، وشعارنا الهادي :

« إن لله عبادا ، اذا ارادوا اراد »

التاريخ : ١١ / ١ / ١٩٦٣

كشف حساب

عن الوجود الأدبي للمرأة العربية

تقدمه : بنت الشاطئ

لم يهن على ، وانا اطالع ما قدمه الاهرام من عرض حافل لحصاد عام ، ان ادع المناسبة تفوت ، دون ان القى نظرة خاصة على الوجود الادبى والفكرى للمراة العربية الجديدة ، التى خاضت معركتها ضد الرجعية فى بسالة وشجاعة واصرار ، واستطاعت فى مدى جيل واحد ، ان تقطع الشـوط الطويل ما بين متاهة الاميـة العمياء وآفاق النور والمعرفة ، وان تعبر على الصراط الممتد من ظلمات الحريم الى المنصب الوزارى .

ولقد يقال ان المراة اندمجت فى الركب السائر ، ولم يعد لها ان تستاثر بحديث خاص ، لكنى حين اذكر ان بنات هذا الجيل منا ، قد ولدتهن امهات اميات ينتمين الى صميم عصر الحريم التركى ، ارى من حق التاريخ المعاصر ، للوطن العربى ان نتقدم اليه بحسابنا الخاص ، ليشهد اننا كنا اهلا لذلك الرجاء الكبير الذى اناطه بنا رواد البعث ، حين جعلوا تحرير المراة العربية عنصرا جوهريا فى برنامج تحرير الوطن ، ولتشهد الامة اننا نحمل نصيبنا من العبء الجليل ، فى نضالها الظافر من اجل تحقيق الذات .

ثم ان للموضوع جانبه الانسانى المثير لهذه المراة التى تقدم كشف حسابها من عام ، لا تزال تواجـه من يمـارى فى انسانيتها ، ويجادل فى ان الله تعالى خلقها والرجل من نفس واحدة ...

التاريخ : ١١ / ١ / ١٩٦٣

وتواجه كذلك ، من يرتابون فى جدوى تحررها من محنة النبذ والتعطل ، وينادون بارجاعها الى قفص الحريم . فضلا عن ان كثرة من قومنـــا ، لا تزال تؤثر تعليم الولد ، ويهون عليها ان تجوع لتدبر نفقات دراسته ، ولا يهون عليها ان تتحمل ابسط قدر من التضحية ، لتستكمل اخته تعليمها وفى ظروف كهذه ، يكون الكفاح شاقا وعسيرا ، بما يلقى على كاهل المراة من عبء التصدى لرواسب الرجعية فينا .

وحين القى نظرة على عامنا الذى مضى اسجل تلك المعركة التى خضناها مع هؤلاء الذين اقضبهم ان ينص «الميثاق» على وجوب مساواة المراة بالرجل . فقد اساء كثير منهم فهم مغزى هذه المساواة ، عن جهل او تجاهل ، وتساءل منهم متسائل عما اذا كان يحق للمراة ــ بمقتضى هذا النص فى الميثاق ــ ان تعدد الازواج وتطالب بمثل حظ الرجل فى الميراث ! !

وتباكى المتباكون على الفضيلة المتحنة بنا ، وعلى التقاليد المهدرة بهذه المساواة وكان على الواعيات منا ، ان يتصدين لتحرير مفهوم الألفاظ من الدلالات الخاطئة لنفرق القوم بين المساواة والمسخ ، بين التحرر والتحلل ، بين الانطلاق والفوضى ، بين التقاليد التى هى قوام اصالتنا ، والرجعية التى تفرض علينا ان نعيش بعقلية العصر العثمانى !

ثم كان كفاحنا ، لاقتحام ابواب ظلت الى ما قبل هذا العام موصدة فى وجوهنا : ففى «الازهر» تم افتتاح كلية اسلاميـــة للبنات ، بعـــد ان لبثت الرجعية لدى اجيال ، تطيق رؤية بنات المسلمين فى (المراقص والكباريهات) ولا تطيق رؤية احداهن فى حرم الازهر الشريف !

ورشحت اثنتان منا لعضـــوية المجمع اللغوى ، الذى ظل حتى اليوم دائرة مغلقة على الرجال . واذا كانت المحاولة لم تتم ، فيكفى ان يسجل هذا العام ، سابقة الاعتراف بالوجود العلمى للمراة وحقها فى عضوية المجمع ، وبخاصة اذا ذكرنا ان المرشحتين ، نالتا فى الجولة الاولى للانتخابات : ثمانية اصوات وعشرة على حين لم يظفـــر بعض المرشــــحين الا بصوت واحد !

وسجلت «الجامعة» نصرا علميا غاليا وعزيزا ، لثلاث جامعيات ، تم تعيينهن فى هذا العام ، فى درجة « اســـتاذ ذى كرسى » وتتجلى دلالة هذا النصر ، اذا ذكرنا ان رصيد الجامعيات فى عامنا من كراسى الاستاذية ، كان يساوى رصيدهن كله ، فى كفاحهن العلمى الطويل ، وذكرنا منه ، ان احداهن ــ الدكتورة نور شريف ــ وصلت الى « كرسى اللغة الانجليزية وآدابها » بجامعة الاسكندرية ، وهو منصب



الشاعرة نازك الملائكة



الدكتورة نور شريف

لم يصل اليه بعد اى جامعى عندنا !

ومن قبل،وصلت الدكتورة «درية فهمى» الى كرسى الاستاذية للغة الفرنسية وآدابها ، وحتى اليوم لم يصل اى جامعي عندنا الى هذه الاستاذية .

وشاركت الكاتبة العربية ، فى كبرى القضايا الفكرية التى شغلت الميدان الادبى عندنا ، واود ان اجلو هنا موقفها من بعض تلك القضايا التى شاركت فيها بدافع من الحرص على سلامة وجودنا القومى العام ، دون ان يكون لهذه القضايا اتصال مباشر بالمرأة خاصة .

ففى قضية «مأساة الرق فى ادبنا المعاصر» كان التصدى لها لفتا الى هذه المأساة الانسانية التى تؤرق الضمير العربى الحر .

وكتاب جامعة بيروت الامريكية «الادب العربى فى آثار الدارسين» كان نقده الموضوعى ، دفاعا عن الحق الذى اضله التعصب والهوى ، وكشفا عن هدف بدا واضحا وملتزما ، وهو تشويه السمعة العلمية للجامعة المصرية فى الدراسات الادبية .

كما كان الاهتمام بقضية السرقات الادبية فى كتاب «الإبانة عن سرقات المتنبى للعميدى» ثم فى كتاب « القرآن الكريم وعلم النفس للاستاذ عبد الوهاب حمودة » موجها الى تصحيح القيم والموازين الادبية ، والدفاع عن حرمة الحق وكرامة الجامعة . وقد كان الحرص بالغا ، فى ان تساق دعوى الاتهام بالسرقة، مؤيدة بالنصوص الشاهدة عليها .

ونسجل عامنا هذا ، ظهور الدراسة العربية فى ميادين صعبة ، لم يسبق لها ان دخلتها — مؤلفة — فيما مر من طويل العصور :

فلاول مرة فى تاريخنا كله ، تتلقى المكتبة العربية فى « قضايا الشعر العربى المعاصر» محاولة اولى رائدة، فى الضوابط العروضية والفنية لشعرنا الجديد ، تحرره من سوء الفهم،وابتذال الاستعمال، وتنفى عنه اولئك الذين اقتحموا ساحاته بموهبة فجة ، او بغير موهبة على الاطلاق، وقد خيل اليهم انه يكفى احدهم ان يبعثر الالفاظ ويمزق العبارات ، ليحسب على شعراء الجديد !

وتلقت معه، فى كتاب «التفسير البيانى للقرآن الكريم» محاولة منهجية، لاول دارسة عربية تشتغل بتفسير كتاب العربية الاكبر ومعجزة الاسلام الخالدة . وهى فى هذه المحاولة ، تطبق المنهج الجديد لتناول القرآن الكريم من حيث هو نص ادبى معجز، وتذوق اسراره البيانية الباهرة ، بعد تحرير فهمه من الشوائب الدخيلة التى اقحمتها على تفسيره، اسرائيليات ومذهبيات وقفت بها اذواق اعجمية ، متاثرة بظروف زمانها وعقلية بيئتها ومزاج مجتمعها .

وقد وعى تاريخ العربية والاسلام ، الى ما قبل العصر التركى، اسماء فقيهات اعترف لهن بالاصالة والاقتدار ، ومنهن من وصلت الى مرتبة «المشيخة» اى الاستاذية ومن نالت لقب «تاج العلماء» ولكن لم يحفظ لنا اى اثر مدون لهن فى العروض او التفسير،بل لم يات باسمائهن — غالبا — الا فى سياق الترجمة لمن تلقى عنهن من اعلام اللغة وائمة الفقه ورواة الحديث .

من يدرى؟ لعل لهن آثارا فى ذلك الميدان الصعب ، طواها الزمان فيما طوى من تراث فكرى وادبى للمرأة العربية التى وأدتها عصور الظلمات وأدا معنويا واجتماعيا ، والقت بها الرجعية ، مخدرة فى سجن الحريم التركى المسمى حقا بالخدر ، والجمتها باصفاد من الاساور والعقود والخلاخيل ، تلهيها بها من اغلال معنوية من الجهل والرق والهوان .

دون ان يردعها ضمير ..

ودون ان تخشى يوم الحساب العسير :

« واذا الموءودة سئلت ، باى ذنب قتلت ، واذا الصحف نشرت » ...

واذا مد الله تعالى فى العمر ، رجوت ان القى قومى فى آخر عامنا الجديد، بكشف حساب عن الوجود الادبى والفكرى ، لهذا الجيل من بنات الموءودات . والله المستعان !

بنت الشاطىء

التاريخ : ١٨/١/١٩٦٣

المناخ الفكرى لأدباء العصر

قضايا أدبية

((اننا لانملك ، ولايجب ان تدعى ملكية اية سلطة تحرم قوى التطور الجديدة ، من حقها المشروع حتى فى الخطأ))
من خطبة الرئيس
فى عيد العلم



زكى نجيب محمود



صلاح عبد الصبور



حجازى

بقلم الدكتورة بنت الشاطىء

اعتذر هذه المرة ، الى الذين تفضلوا فكتبوا يدعونني الى ، المضى مع ذكرياتى عن معركة التحدى لجيلنا ، فلى رأيى أن مثل تلك الذكريات ، يمكن ان تنشر كتاب ، أما هذا المنبر العام ، فللقضايا الفكرية التى يصح بها وجودنا المعنوى ، وما كتبت الذى كتبت من ذكرياتى ، الا لمناسبة عرضت، حين تحدث السيد الرئيس فى عيد العلم عن جيلنا ..

ومازلت اعيش فى جو ذلك الحديث الملهم انى اليوم اتناول منه قضية من اهم القضايا الادبية عندنا :

فهذا ((المناخ الفكرى)) الذى تحدث عنه الرئيس ، قد مس الوتر الحساس و الوجدان الادبى العام ، وهو يرقب الصراع المرير بين القديم والجديد ، ويشهد مايكابده شعراء اليوم لينتزعوا حقهم فى ان يمارسوا تجربتهم ، ويتنفسوا ملء الحرية والانطلاق فى المناخ الفكرى لعصرهم ، والرجعية واقفة لهم بالمرصاد ، تحاول كتم انفاسهم بكابوسها الخانق الذى يجثم على عقولهم الشابة ، وقلوبهم المتفتحة للحياة ..

وما انسينا مأساة ((مهرجان الشعر بدمشق)) حين كتب رئيس لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، ينذر باستقالته من اللجنة ، ويأمر بعدم القاء كلمته فى المهرجان اذا سمح لعبد الصبور وحجازى — وهما من شعراء الجديد — بالاشتراك فى المهرجان

ولا نحن بغافلين عن تحريم مشروعية لجنة الشعر على اى شاعر جديد ليس ان من اعضائها ، من لم ينظم فى حياته بيتا من الشعر ، كالدكتور زكى نجيب محمود !

التاريخ : ١٨ / ١ / ١٩٦٣

— ٢ —

وحتى الساعة لا تزال دواوين الشعر الجديد بساحة دنسة ، لايجوز في راى اللجنة ان تجتاز عتبتها المقدسة ، او يطمع ديوان منها الى جائزة من جوائز الدولة ولو كان هذا الديوان « مأساة جميلة » للشرقاوى ، او « الناس في بلادى » لعبد الصبور [illegible]

ويقال عينا ان اصحاب الجديد خرجوا على قديم الشعر العربي هدامين ومحطمين ، وقرأنا « قضايا الشعر العربي المعاصر » لنازك الملائكة فية صرامة الالتزام بضوابط المصطلح العروضي للخليل الى حد يسرف .. وكتب الدعوة فيه الى التخلص من عقدة النقص التي تشدنا الى جديد الغرب ، غافلين عن اصالة العربية ، وطاقتها على الابداع والتجديد ، وحيويتها المذخورة التي تمكنها من البقاء دماء العصر ، في مرونة وطواعية ..

وقيل ايها القائلون ان شعراء الجديد غير ملتزمة ؟ وتمثل [illegible] « شنق زهران » ، والخبز والبترول ، والشريد ، والهاربون ، وصلاة الاشباح » قصائد حمراء .

فاسمعوا صوت شاعرة الجديد ، وهي تلتذ الملائكة في ابائه بمثل تمجيدتها الارض المحجبة التي خدروا بها وجداننا :

ثم قالوا : ان فيهــا بلسمــا
هيــأته لجــراح البشرية
واردناها فلم نظفــر بهــا
وجعلنا لامانينــا الشقيه

●

الملايين عيــون ظمئــت
من ان تلك سلوى واحـده
والملايين شفــاه عطشــت
ليس ترويهــا الوعود البـارده

●

وصبانا كان جــرحا ســاهدا
يشرب الملح ويلتمسات السعيرا
واغانينـــا وصفنــاها اسى
وسلفناها غيومــا وهجيرا

●

لم نزل نحلــم في اعمــارنا
ظلمات ليس فيهــا ظل شمعه
وزحفنــا وجــررنا معنــا
الى قيــد في الاكف المسحله
ووجــدنا دربنـــا مقبرة
مالنا فيهــا سوى الموتى اهله

●

هــدلونا عــن نهار ناعم
فوجدنا دربنــا جــوعا وعريا
وسمعنا عــن نشاء وشذى
فرأينــا حولنــا قبحــا وخزيا
وزمعنــا في شقــاء قاتل
وكلفــانا بإحسنا شبعا وريا
وعرينــا وكسونا غيرنا
وكسبنا القيد والدمع السخيا

●

اين تلك الارض ؟ من حجبها ؟
نحن شدناها بزنات النفوس

التاريخ : ١٨ / ١ / ١٩٦٣



توفيق الحكيم

واجمنا في الدجى اطلالنا
لنفديها ، وجدنا بالنفوس
وسقينا ارضها من دمنا
ومنحناها لارباب الكئوس

●

اين تلك الارض ؟ هل حان لنا
ان نراها ام ستبقى مهملة ؟ .
المتحوا الباب فقد صاح بنا
صوت آلاف الضحايا المرهقة

●

صوتهم خشنه البؤس لمنشا
ابتسم كلمه او بريق او لينه
وخشاه الدمع ملحا قاسيا
وشكاياه وجوما وخشونة
صوتهم خالطه الصبر وكم
قد صبرنا في شحوب وسكينة
لعنة الحس علينا ان يكن
لسدنا كالامس امضادا مهينه

وهذه ترمزية ملحوظة من راى البيض الاطهار ، وايمان مابعده ايمان ، ان يشتهى كبيرهم ان يكون الها ، فتسأله احداهن : ماذا تعطيني لو كنت الها ؟
فيجيب :

بل لو غدوت كما اشتهيت واشتهى
ربا ، اخذتك انت اخذ الواثق
لترين انك حين فزت بحبوتى
احلى واجمل من جميع خلائقى
وتسيطرين على العروق وفوقها
نبضات قلبى المستهام الوامق
ان كان رب الكون عندك قلبه
اهون لديك بانجم وصواعق
وبكل شمس في السماء وشينة
وبكل بحر في البسيطة دافق

***

واذا سأل قارئ : لماذا لا يتعرض المسرح الجديد — ولا خلاف في كونه صناعة اجنبية — لمثل هذه الحرب الشعواء التي يتعرض لها الشعر الجديد ، فلنلتمس الجواب عند عميد كتاب المسرح عندنا ! فبدلا من ان يجمد على قديمه ، ويبدد جهده في هدم الجديد ، سار بذكاء مع التيار ولم يتردد في ان يمارس تجربته . ومهما يكن الراى في جديده «ياطالع الشجرة» بل مهما يراها بعضهم مجازفة ومغامرة من مثل توفيق الحكيم ، فيكفي انها تشهد بقدرته على احتمال المجازفة والمغامرة ، حتى لو كلفه ذلك ان يتسامى المسرور من جرمه ، فيتبرع لمسرح الجيب باحدى مسرحياته ، على سبيل التشجيع متنازلا عن الثمن المالي ، وهو الذى من علينا بنسخة — هدية — من مسرحيته الجديدة ، وهان عليه ان نرسل — على راى منه وسمع — من يشتريها لنا من السوق بثلاثين قرشا .

***

وفى الدراسات الادبية ، اعفانا اساتذتنا الكبار من تبديد الجهد في حرب بين قديم وجديد ، فكانوا هم من امرونا بالتحام الماضي لم نقحم من قبل ، ووقفوا يرقبون خطوا اتنا ادلاء موجهين ، ويباركون مانستحدث من قيم جديدة ، في غبطة الاب المنجب وفرحة الوالد الصديق وراوا فينا استجابة فكرية لهم ، وامتدادا لحياتهم الخصبة الباقية .

***

وقد آن لاعداء جديد الشعر ان يدركوا عقم محاولتهم تحدى التطور ، ويتدبروا مليا كلمة السيد الرئيس في عيد العلم :

« انها سوف تكون مسئوليتنا نحن ، اذا حاولنا لاى سبب من الاسباب ، مهما كان حسن النية ، ان نقتحم استعداد هذا الجيل للتقدم ، او نعوق امكانياته عن الانطلاق الى مداها ..

« اننا لانملك ان نكون اوصياء على هذا الجيل قهرا وتحكما ، حتى ولو كان دافعنا الى ذلك ما نتصوره من الرغبة في تجنيب الخطاء لاضرورة لها ، او الاشفاق عليه من مسئوليات ربما لا يطيق حملها

« اننا لانملك ، ولا يجب ان ندعى ملكية اية سلطة تحرم قوى التطور الجديدة ، من حقها المشروع حتى في الخطأ ، فمن طريق الخطأ ، وبالتجربة وحدها ، يتأكد الصواب »

آن لهم ان يوفروا على الامة ، جهدا عقيما يتبدد عبثا لقسر جيل اليوم على ان يعيش في المناخ الفكرى لجيل مضى ، وقد خلقوا لزمن غير زمانهم .

***

وبعد فقد يبدو غريبا ان أدافع عن الجديد مع المعروف من محافظتى ، بل قد يبدو في موقفي هذا ما يشبه التناقض ، مع تخصصي في نصوص تراثنا ، وولعى بروائع ادبنا الاصيل ، ودعوتي الى الاتصال بماضينا الفكرى والادبي . والحق الا تناقض فيه ، عند من لا يخلطون بين المحافظة والرجعية ، ولا يثقل عليهم ان يميزوا بين الاصالة والجمود .

التاريخ : ١٩٦٣/١/٢٥

مأساة واق الواق

كتاب عن اليمن

تأليف : الأستاذ محمد محمود الزبيري

تقديم : الأستاذ عبد الرزاق البصير

تمثل الرسالة «الغفرانية» لأبي العلاء المعري ، مكانة فريدة في البناء العربي والأدب العالمي ، وقد تأثر بها عدد من الأدباء في الشرق والغرب . ولعل من أحدثهم عهدا «الأستاذ محمد محمود الزبيري» في قصته «مأساة واق الواق» التي عالجت قضية القومية العربية وصراع شعوبها ضد الطغيان والاستعمار ، بأسلوب أدبي رمزي ، في صورة رحلة خيالية إلى الجنة والنار ...

وقد بدأ «الزبيري» رحلته ، بمجلس ضم عددا من علماء الشريعة ، في ليلة القدر ، وقد راحوا يتحدثون في شئون الأحداث الجارية في عصرنا ، كالتفرقة العنصرية ومسألة الكونغو ، وكان «العزى محمود» بطل القصة ، يصغي إليهم غير مشارك في الحديث ، وقد أحزنه أنهم لم يهتموا بمأساة بلده «واق الواق» المتعلقة بالمحاولات والاستغلال ، ولكي يلفتهم بصدقه ، أشفق منهم على أن يذهبوا به إلى «الشيخ سعدان [illegible] المنفلوطي» لكي يرقيه ويطلق روحه بالحديث عن مأساة بلده الذي يظنونه من خيال الأساطير .

والطالب الوحيد «العزى محمود» فشاهدت الملائكة هابطة صاعدة ، في سماء مشرقة بالأنوار المناسبة لليلة القدر ثم تعلقت الروح بأحد الملائكة ، فطافت مع ركبها السماوي

كاتب المقال ، الشاعر الكويتي الأستاذ «عبد الرزاق البصير» تعرفه الدوائر الأدبية بنشاطه في مجال الوحدة الفكرية ، واهتمامه بالتعريف بأعلام الأدب العربي المعاصر ، وقد مثل الكويت في مؤتمر أدباء العرب ، ثم في مؤتمر الكتاب الأسيوي الأفريقي الذي عقد بالقاهرة في الشتاء الماضي .

أما كاتب المأساة ، فهو المجاهد اليمني الشاعر الحر «الأستاذ محمد محمود الزبيري» الذي حمل قلمه سلاحا في معركة وطنه وألهب بشعره الثوري وجدان الشعب ، وأدى ضريبة الحرية ، سجينا في «حصن وشحة» [illegible] سنوات ، هاجر بعدها إلى عدن فنشر جريدته «صوت اليمن» ثم هاجر إلى القاهرة ، حتى هبت الثورة ، فعاد إلى وطنه وزيرا للمعارف ..

ومأساة «واق الواق» — التي اتخذها رمزا لبلاده — قصة مسرحية ، يبلغ الإرهاص الثوري فيها ذروته ، وتمتد طليعة البعث الأدبي ، ودعاة الفجر [illegible] [illegible]

بنت الشاطئ



عبد الرزاق البصير

١٩٦٣/١/٢٥



الزبيري

حول الكعبة ، وسواحل البحر الاحمر ، مصغية الى الادمية الصاعدة من الاكواخ لا من القصور .. ثم يصعد الملاك الى آفاق السماء ، والروح متعلقة به ، تطير بسطيئة نورانية ، فيها حورية تنشد شعرا للعزى «محمود» بصوت شجى ساحر . وسالت الحورية «ابليس» الملاك عما يحمل ، فاجاب انه يحمل روح انسان تعلقت به على غير رضاه ، لانه محسوب من الاحياء .. ثم تلقى الملاك اجنحته للشمالية ، استقلت الروح ، فتعلقت بصدر السامية ، وما ان ابصرتها « ابليس » على مرتبتها وكانت قد سالت الله عز وجل ان يؤثرها بمهمة المحافظة على دماء الشهداء لئلا تسقط قطرة منها على ارض تطؤها اقدام المستعبدين الاذلاء ، كما التمست على الله ، ان تتجمع دماء الشهداء الاحرار في لجة تحجب عن بلادها الغيوث السخية التي كانت بها ارضها جنة من جنات الله ، وذلك الى ان يثور الشعب على الاستعباد ، ويتحرر من استعباد الرق والهوان .

وجرى حوار بين روح «العزى وابليس» من حرية الشعوب التي لا تنال الا بالبذل والفداء ، والملاك يستمع الى تلك المحاورة حتى انتهت ، فبدا عليه القلق من ان تعود الروح فتتعلق به ، لكن «ابليس» اشترطت عليه ان يمضي لسبيله ، ويدع لها الروح في ساحة الحق فيها .

وسالت الروح : كيف استطيع العودة وحدي الى الوطن بعد ان مضى الملاك الذي انطلق به ! وصارحها «ابليس» بانه لا يؤثر على وطنه مكانا آخر ولو كان في الجنة ، فالوطن يخوض معركته الكبرى التي عاش «العزى محمود» عمره يترقبها ويغري بها ، وانه ليشفق من ان يحرم بعد الاستشهاد ، ليسمو به مكانه بين الشهداء ولم يبذل حياته فداء الوطن بالفعل ، فاجابته «ابليس» :

ـــ دع هذا لي ولا تخف .

ثم توسلت حورية اخرى من الاولى ، لتصعد بروحه الى رياض الشهداء حيث النعيم الذي لا يوصف ولا يحد ، ومنها انتقل الى الاعراف ، فلقي جماعة من شهداء بلده «راق الوالي» في طريقهم الى الجنة وبعد نقاش حار ، وحديث طويل ، اخذ الشهداء يفكرون في الوسيلة التي يدخل بها «العزى» الجنة ، وهو بعد من الاحياء وتطوع احدهم «الشهيد عبد الوهاب نعمان» ليمضي الى الجنة وجاء برخصة مشروطة بالا يشتغل بالسياسة ! لكن الجماعة استقر رايها بعد طول مناقشة لهذا الشرط ، ان يتمهل «العزى» ريثما يؤتى له برخصة غير مشروطة ، وفي فترة الانتظار بدا له ان يذهب ـــ مع رائد ـــ الى الجحيم ، ليرى «الطغاة» ماليه بلاده في اهوال العذاب .

وفي جولته بالجحيم ، مر بزمر وعصابات من اعتوا الطاغية على البغي والجور والاستبداد : جواسيس لئام ، تبتروا في حيطان النار بالمسامير ، وقذائف الرصاص تنهال عليهم من مكان خفي ..

المتاجرون من رجال الدين ، وعلى رؤوسهم عمائم من اللهب تتمرد منهم وحول اعناقهم سبحات متوهجة تشبه الخناجر والمستحلفون الذين باعوا اقلامهم للشيطان ، والقضاة السوء الذين ماتت ضمائرهم وخربت ذممهم ، وقد انتفخت بطونهم كالقرب .

والامراء والمتلاعبون ، وقد التفت حولهم ورؤوسهم باحبال ملتهبة ، من السجاد والشمال ..

وظل «العزى» يتنقل في دهاليز جهنم ، الى ان بلغ مقر «الطاغية» في سراديبه من

١٩٦٣/١/٢٥

نار لوقها جبال من لهب، وحدثه «المعري» من جرائمه، ومن امانة الحكم التي خانها، فاستحق لعنة الرعية الساخطة وعذاب الجحيم ...

ويقول الطاغية : ولكني كنت محكوما بعقلية آبائي واجدادي، فلماذا لم تنصروا لي بعض العذر !

فيجيب المعري : ومن التمست العذر لشعب يراد به ان يحكم بعقلية العصور الوسطى، في العالم الجديد ! انك كنت بقية شاذة تخلفت من الماضي في غفلة من الزمان، فكان وجودك وجودا غير شرعي في هذا العصر الحديث !

ويعتب الطاغية : اذا كان ما تقول حقا واخطاني التوفيق، فالتوفيق ليس بيدي وانما هو بيد الله، وبهذا اكون ضحية القدر، ومظلوما لا ظالما.

واجابه المعري : بل هو العدل الالهي يؤاخذك بما سفكت من دماء الابرياء، وما سلبت من قوت الضعفاء، وما اقترفت من آثام، فحق عليك سوء المصير وهول العقاب.

ورأى الرائد ان مكث «المعري» في جهنم قد طال واشفق عليه من غلظة النار، فاجتذبه وخرج به من الباب السري الى حيث وجد «رائد» الشهداء في انتظاره بالاعراف، وقد استطاعوا ان يظفروا له برخصة غير مشروطة لدخول الجنة، واقلت جياد من جياد الفردوس، فحلقت بهم في الفضاء، وحطتهم الى رحاب الجنة.

وهناك التقوا باحد شهداء واق الواق واسمه «جنان»، فاستقبلهم بحنان وترحاب ودار الحديث بينهم عما كابدت بلادهم من محن وبلاء، فكان مما ذكروه، حديث «ام آل ابي دنيا» التي ذبح الطاغية اولادها الثلاثة، فوقفت تحاكمه بين يدي الله.

واستأنفوا رحلتهم في «الجنة»، الى ان نزلوا في ضيافة «سيف بن ذي يزن» بقصر غمدان الذي بني له في الفردوس على غرار قصره باليمن. والتقوا معه ببعض زائريه، فطاب لهم الحديث، وقد استأثرت «ام الشهداء» بالقدر الاكبر منه، واثارت في قلوب الزائرين شغفا بها، فود كل منهم ان يظفر بها زوجة في الجنة. وبلغت قصة هذا التنافس مسامع زوجها الاول، عن طريق موجات تحمل الانباء الى اهل الجنة، فاقبل برفع دعواه الى «المحكمة العليا» برئاسة «ذات النطاقين : اسماء بنت ابي بكر» وعضوية «رابعة العدوية وغزالة الخارجية، وليلى العامرية».

وبعد ان استمعت المحكمة الى الدعوى وناقشت اقوال الخصوم المتنافسين، قضت بان يترك الامر الى «ام الشهداء» فيكون لها مطلق الحرية في ان تختار من تشاء، زوجا لها في الجنة.

وتنفض الجلسة، لينتقل «المعري ومحمود» الى مشهد آخر، لمجلس يضم جماعة من الشهداء، يدور الحديث فيما بينهم من قصة انتقال الامامة والمذهب الزيدي الى بلاد «واق الواق»، وكيف مسخه الطغاة، من امر بالمعروف ونهي عن المنكر ونشر للعدل والاصلاح، الى جور واستعباد للناس، وانتهاك لحرمات الشعب ونهب امواله. وينتهي الحديث الى اقتراح بعقد مؤتمر تلقى فيه الخطب والقصائد المثيرة، وينادي بعقد محاكمة كبرى للطاغية، حيث يقف الضحايا واحدا بعد الاخر، ليروي كل منهم ما لقي من بغي المستبد الآثم، وبعد ذلك تصدر المحكمة حكمها، بان يبعث الشعب ليخوض معركته الباسلة مع الطاغية، ثم يقضي فيه بحكمه، وويل للطغاة من غضبة الشعوب

وبعد فلعلي اشعر باني اوجزت الحديث عن «ملهاة واق الواق» ايجازا شديدا وضاق المقام عن ذكر شيء مما يحفل به الكتاب من روائع ادبية واحداث تاريخية وكل ما ارجوه ان اكون بهذه الاشارة الموجزة، قد شوقت القراء العرب الى عمل ادبي بارع، يروي فصولا حية من تاريخ بلد هو جزء من وطننا العربي الكبير

بنت الشاطئ

التاريخ : ٨ / ٢ / ١٩٦٣

من البيان المعجز

ان سعيكم لشتى !

« والليل اذا يغشى . والنهار اذا تجلى . وماخلق الذكر والانثى . ان سعيكم لشتى . فاما من اعطى واتقى ، وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . واما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى . ومايغنى عنه ماله اذا تردى . »

((قرآن كريم))

بقلم الدكتورة بنت الشاطىء

موسمه من سورة الليل ، وهى مكية [illegible] نزلت بعدها على الترتيب ، سور [illegible] والضحى ، والشرح ، والعصر ، فبدت فيها ظاهرة اسلوبية من البيان المعجز ، يجلو فيها المعانى بماديات من الاضواء والانوار والظلمات ، فى مختلف درجاتها على مدى اليوم الواحد : من غشية الليل وتجلى النهار ، ومن اشراق الضحى وسجو الليل ، ومن تالق الفجر ايذانا بمولد الصبح ، وفتور العصر فى الاصيل ايذانا بغروب الشمس

ويتتابع الوحى من بعد ذلك ، فيجلو المعنوى من الهدى والضلال ، بالمادى من النور والظلام .

والسورة تبدأ بواو القسم . والراى السائد عند المفسرين ان القسم القرآنى بها دليل على عظمة المقسم به . وسيطرت عليهم هذه الفكرة فراحوا يتكلفون وجه التعظيم فى كل مقسم عليه بالواو ، دون ان يفرقوا بين الحكمة والعظمة . وشغلهم ذلك من لمح الاسرار البيانية للسياق المحكم ، الذى يربط المقسم به بالمقسم عليه

والإستقراء الدقيق لمواضع القسم القرآنى بالواو ، يهدينا الى انه اسلوب بيانى رائع ، لجلاء المعنويات بالحسيات . ففيه يكون اللفت اللغوى بالواو ، الى واقع حسى مدرك مشهود ، توطئة لبيان مالا يدركه الحس ، من معنويات وغيبيات

وفى سورة الليل ، نجد اللفت بهذا الاسلوب البيانى ، الى تفاوت ما بين الليل والنهار ، واختلاف خلقة الذكر والانثى ، توطئة لجلاء ما هو معنوى من تفاوت سعى الناس ، وغيبى من تفاوت الثواب والعقاب .

ولا يتسع المقام لبسط القول فى كل هذا ، وانما ادعه لمجاله الرحب فيما نتناول من التفسير البيانى بالدراسات الجامعية العليا ، واكتفى هنا بالوقوف عند آيات من السورة ، تهدى الى الحق فيما نشهد من صراع القيم ، حيث تناضل الانسانية الكريمة للتحرر من ضراوة النفعية وعبودية المال .

وان كنت اخشى ان يلتقط احد الطالعين الايات الاولى من سورة الليل ، فيتعجل الاستدلال بها على راى له فى (دونية

التاريخ : ٨ / ٢ / ١٩٦٣

المراة) ! ! وكلا . . ليس فى الامر الا اللفت الى ما بين الجنسين من اختلاف فى الخلقة لا تمسخ فيه فطرة احدهما ، وهو واضح وضوح الليل والنهار ، ولو جاز الاستشهاد بهذه الايات على اشراق فى طبيعة احدهما دون الاخر ، لكان لنا ان نقول ان «الليل اذا يغشى» للذكر «والنهار اذا تجلى» للانثى ، بمقتضى النسق النظمى للايات ! !

ولكنا لا نتعلق بشىء من هذا ، لان اللفت هنا — فيما نرى — الى ظاهر الاختلاف ، الذى يدركه الناس بفطرتهم ويشهدونه بحواسهم .

والتوجيه بهذا ، الى ما سياتى بيانه من تفاوت فى سعى الناس فى الدنيا ثم من تباين الثواب والعقاب فى الاخرة والمال ، مما هو غير حسى ولا مشهود

« ان سعيكم لشتى »

وربما كان اصل السعى فى الاستعمال الحسى اللغوى ، هو المشى . لحظ فيه ان الساعى ، بمعنى الماشى ، يبتغى عملا او يتجه الى مقصد يداب له ، فكان السعى بمعنى العمل مع القصد والداب .

وفى الاستعمال القرآنى للمادة ، نجد الدلالة الاولى للسعى بمعنى المشى ، على الحقيقة او التخييل ، فى آيتى (طه ٢٠ ، ٦٥) عن عصا موسى التى القاها «فاذا هى حية تسعى» وعن حبال السحرة وعصيهم : «يخيل اليه من سحرهم انها تسعى »

او على المجاز فى آية (التحريم ٨) : «نورهم يسعى بين ايديهم» ومعها آية (الحديد — ١٢)

كما نجد الدلالة الثانية للسعى بمعنى العمل ، فى آيات :

الانبياء ٩٤ «فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه »

الاسراء ١٩ «ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا »

الكهف ١٠٤ : « قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ؟ الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا »

ودلالة القصد اوضح فى آيات :

البقرة ١١٤ : «ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها » .

والمائدة ٣٣ ، ٦٤ : «ويسعون فى الارض فسادا»

وواضح ان السعى فى آية الليل ، هو من الدلالة الثانية ، اى العمل مع القصد . ومثله السعى فى آيات : الانسان ٢٢ ، النجم ٤٠ ، الغاشية ٩

واصل الشت فى اللغة التفرق . يستعمل حسيا فى الشتيت (من الثغور) وهو المفلج الاسنان . وذهبوا اشتاتا ، اى متفرقين . ومن التباعد والتوزع الملحوظين فى التفرق ، استعمل التشتت مجازيا فى تفرق الاهواء والقلوب واختلاف المقاصد

وفى الاستعمال القرآنى ، جاءت المادة خمس مرات : اثنتان بصيغة اشتات ، منصوبة على الحال :

النور ٦١ : « ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا »

الزلزلة ٦ : « يومئذ يصدر الناس اشتاتا »

والثلاث الاخريات ، بصيغة شتى :

آية الليل ، وآية الحشر ١٤ : «تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى»

وآية طه ٥٣ : «فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى »

وواضح ان اشتاتا فى الاستعمال القرآنى ، من التفرق المقابل للتجمع ، اما شتى فمن الاختلاف والتباين .

ولا حاجة بنا الى ان نجهد انفسنا مع جمهرة المفسرين ، لنتاول مقصد القرآن الكريم بتباين السعى ، فقد تولت الايات بعد ذلك بيانه ، بما لا يدع مجالا لتاول :

«فاما من اعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى . واما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى »

ويعنينا هنا ، ان نتبين وجه الاعطاء والبخل .

ونستقرىء مواضع الاعطاء فى الكتاب الكريم ، فنراه استعمل الاعطاء مسندا الى البشر ، فى : الصدقات ، والجزية

(التوبة) ، وامسك من ذكر وجه العطاء فى آية النجم :

((افرايت الذى تولى . واعطى قليلا واكدى))

التى نستأنس فى تفسيرها بآية الليل .

اما البخل ، فجاءت المادة فى القرآن نعلا ومصدرا — فى احد عشر موضعا يتبين من سياق الايات فيها جميعا ، انه البخل بالمال ، وبما آتى الله من فضل .

من هذه المواضع : اربعة فى «سورة محمد» متبعة بقوله تعالى : «والله الغنى وانتم الفقراء »

ومرتان فى آية (آل عمران — ١٨٠) متبعة بقوله تعالى : ((ولله ميراث السموات والارض))

ومرتان فى آية (الحديد)٢) التى تختم بقوله تعالى : «فان الله هو الغنى الحميد»

وانه لكذلك ، الاعطاء والبخل بالمال ، فى آيتى الليل :

« فأما من اعطى واتقى »

«واما من بخل واستغنى»

يشاهد من النص فى الايات بعدهما:

«وما يغنى عنه ماله اذا تردى»

«الذى يؤتى ماله يتزكى»

والبخل بالمال او اعطاؤه ، انما يكونان — كلاهما — فيما يجب ان ينفق فيه المال من وجوه الخير العام ، واداء حق الله فيه لاصحابه وذويه ، على ما هو بين من تتبع الاستعمال القرآنى للمال والاموال ، على وجه الاستقراء .

وهذا هو التصديق بالحسنى ، ممن اعطى واتقى . والتكذيب بها ممن بخل وظن انه بماله مستغن عن فعل الخير واداء حق الله والجماعة .

والتيسير لليسرى ، هو وعد الله للباذلين المعطين المتقين ، ولم تأت اليسرى فى القرآن الكريم الا مع التيسير مسندا الى الله تعالى ، وذلك فى آيتين : آية الليل ، وآية الاعلى :

«ونيسرك لليسرى» خطابا للرسول عليه الصلاة والسلام . وما اروع ان يوعد الذى اعطى واتقى ، بهذا الذى اوثر به النبى الكريم !

• • • • • • •

اما العسرى ، فلم تات فى القرآن كله — بهذه الصيغة — الا فى آية الليل وحدها ، وان جاء العسر مقابلا لليسر فى آيات «البقرة ١٨٥ — والطلاق ٧ — والشرح ٥ ، ٦ » كما جاء من المادة عسر ، وعسير ، صفة ليوم القيامة بخاصة فى آيات :

القمر ٨ : «يقول الكافرون هذا يوم عسر »

المدثر ٩ : «فذلك يومئذ يوم عسير . على الكافرين غير يسير »

الفرقان ٢٦ : «الملك يومئذ الحق للرحمن ، وكان يوما على الكافرين عسيرا »

وهذا الاختصاص ، يجلو حس البيان القرآنى للعسر الذى استعملته العربية فى قديمها اسما لقبيلة من الجن او ارض يسكنونها ؛ ثم قيل العسر للشكس الشرس وللانثى عسر عليها ولادها ، كما قيل اعتسار البعير ، ركوبه قبل ترويضه .

ونرفض مذهب القائلين بأن العسرى جاءت فى آية الليل ، لمجرد رعاية الفاصلة لما يجوز فى البيان العالى ، التعلق باعتبار شكلى وزخرف لفظى ، دون ان يقتضى المعنى استعمال اللفظ .

وقلمسنا يفرق المعجميون بين العسر والعسرة والعسرى فى الدلالة اللغوية مع ان العربية تغير صيغة المصدر او الفعل ، لملحظ خاص فى الدلالة ، وهو ما تشهد به المعجزة البيانية ، حين تؤثر

التاريخ : ٨ / ٢ / ١٩٦٣

صيغة بعينها فلا يمكن ان تقوم صيغة اخرى مقامها .

واستعمال العسرى هنا ، ليس ملحوظا فيه المصدرية كالعسر والمعسرة، وانما الملحوظ فيه اقصى العسر واشده او هو العسر الذى ما بعده عسر . ونظيره — من غير المادة — آية الدخان:

« يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون »

وآية الاعلى : «ويتجنبها الاشقى ، الذى يصلى النار الكبرى ، ثم لا يموت فيها ولا يحيى »

واستعمال التيسير مع العسرى ، مبالغة فى الوعيد والانذار ، ونظيره قوله تعالى فى آية التوبة ٣٤ :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ، فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جنهم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ماكنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون »

ومنها آيات : النساء ١٣٨ — التوبة ٣ — لقمان ٧ — الجاثية ٨ — آل عمران ٢١ — الانشقاق ٢٤ ... وفيها جميعا التبشير بعذاب اليم للمنافقين ، والكفار ، والمتكبرين والباغين : مبالغة فى الوعيد ، كهذا التيسير للعسرى لمن بخل واستغنى ..

«وما يغنى عنه ماله اذا تردى»

والقرآن الكريم يفرق تماما بين الغنى والمال ، ويكرر النذير لاصحاب المال ممن اضلتهم فتنته :

«فما اغنى عنهم مالهم وما يكسبون»

«لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا»

«ما اغنى عنى ماليه»

«ما اغنى عنه ماله وما كسب»

. . . .

والتردى ، لم يستعمله القرآن الكريم بهذه الصيغة الا مرتين : فى آية الليل وآية طه ١٦ :

«ان الساعة آتية .. فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى »

وتردى ، فى القياس العرفى ، مطاوع النعل اردى ، ومنه فى القرآن الكريم

« وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ، ارداكم » — فصلت ٢٣

«فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين» — الصافات ٥٦

والردى فى اللغة : الهلاك ، وهيهات ان يغنى عن بخيل ماله اذا تردى فى مهواة الضلال والجحيم ..

« فانذرتكم نارا تلظى ، لا يصلاها الا الاشقى ، الذى كذب وتولى ، وسيجنبها الاتقى ، الذى يؤتى ماله يتزكى ، وما لاحد عنده من نعمة تجزى ، الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ، ولسوف يرضى »

هو اذن الانفاق للخير والحسنى ابتغاء مرضاة الله تعالى ، لا على سبيل الرياء والقصد الى منفعة فردية لاخير فيها للامة : (البقرة ٢٦٢ — النساء ٣٨ التوبة ٣٤).

وعلى هذا النسق الباهر ، يتم الربط بين المقسم به والمقسم عليه ، فيكون تفاوت العقاب والثواب على قدر تفاوت سعى البشر بين بخل خاسر واعطاء خير ، قد تجلى فى اروع بيان ، بما استهلت به السورة فى اللفت الى واقع مشهود ، من اختلاف الليل اذا يغشى ، والنهار اذا تجلى ، وما خلق الذكر والانثى !

التاريخ : ١٥ / ٢ / ١٩٦٣

من
البيان المعجز

« ويل لكل همزة لمزة . الذى جمع مالا وعدده . يحسب أن ماله أخلده . كلا لينبذن فى الحطمة . وما أدراك ما الحطمة . نار الله الموقدة . التى تطلع على الأفئدة . انها عليهم مؤصدة . فى عمد ممدة »

قرآن كريم

وما أدراك ما الحطمة

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

هذه آيات « سورة الهمزة » وهى من السور المكية التى اختصت بالدعوة الى تحرير البشرية من اوضاع اجتماعية ، فاسدة باغية . واللافت فى السورة ، انها لا تتحدث من الوثنية الدينية ، وانما الحديث كله عن وثنية المال وما تدفع اليه من تجبر وغرور وازدراء للناس ممن لا جاه لهم ولا مال وتحقير لهم .

والنذير فيها بالمصير الرهيب لهؤلاء المتكبرين المفتونين بجمع المال وحشده ، مثلها فى ذلك مثل سور الليل ، والتكاثر والبلد ، والماعون ، والمطففين .. وفيها الويل لاولئك الذين تكالبوا على الحطام الفانى ، وزين لهم الغرور انهم طبقة فوق البشر ، فراحوا فى خيلائهم وطغيانهم يستعبدون الناس ويزدرونهم ..

التاريخ : ١٥ / ٣ / ١٩٦٣

وتبدأ السورة بآية :

«ويل لكل همزة لمزة»

وذلك الانذار بالويل، تكرر سبعا وعشرين مرة في القرآن الكريم: للكافرين، والمشركين والمكذبين ، والظالمين ، والمطففين ،والذين هم عن صلاتهم ساهون ، والمرائين ،والذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون :هذا من عند الله ، والقاسية قلوبهم ، وكل افاك اثيم ..

ولم تات «الهمزة» — بهذه الصيغة — في القرآن كله الا في هذه الآية ، وان جاء من مادتها صيغتان اخريان في موضعين :

آية القلم ١١ : «ولاتطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد اثيم » .

المؤمنون ٩٧ : « وقل رب ، اعوذ بك من همزات الشياطين »

كذلك لم تأت «لمزة» في القرآن كله بهذه الصيغة الا هنا، وجاء من مادتها الفعل مضارعا في ثلاث آيات :

الحجرات ١١ : « ولا تلمزوا انفسكم، ولا تنابزوا بالالقاب »

التوبة ٥٨ : «ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا ، وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون »

ومعها اللمز في الصدقات كذلك ، في آية التوبة ٧٩

وهذا كل ما في القران الكريم من مادتي الهمز واللمز ..

ولاخلاف بين المفسرين او اللغويين ، في ان مثل صيغة همزة ، ولمزة ، تستعمل فيمن يكثر منه الفعل حتى كان ذلك عادة منه قد ضرى بها . لكنهم لم يتفقوا على الدلالة : فمنهم من لايفرق بين الهمزة واللمزة ، ومنهم من جعل الهمز للتحقير والعيب في الغيبة ، او التعريض بالاشارة والكلام المبهم . اما اللمز فهو تحقير الغير صراحة ومواجهة .

ومنهم من قال بالعكس ..

ونحتكم الى القرآن الكريم، فنراه يفرق بين الدلالتين ، حين يستعمل الهمز لوسوسة الشيطان، والنميمة ، وفيهما الخفاء والغيبة اما اللمز فيستعمله مع التنابز بالالقاب، وفي الاعتراض على تقسيم الصدقات ، ولا يكون ذلك الا مواجهة .

وهذه التفرقة، تؤكد اصالة الاستعمال اللغوي ، الذي فرقت فيه العربية بين المادتين :فاستعملت اللمز في الضرب والطعن، اما الهمز فاستعملته حسيا ، في الهمزة — بفتح الهاء — للمكان المنخسف، والنقرة، والمهماز حديدة في مؤخر خف الذي يروض الفرس ، والمهامز مقارع النخاسين ، ينخسون بها الدواب والرقيق ، ولايكون النخس في العربية الا في مؤخر الدابة او جنبها .

وبين القرآن الكريم ، دوافع ذلك الداب على تحقير الناس همزا ولمزا ، في الآية التالية :

« الذي جمع مالا وعدده »

هو اذن غرور المال وضلاله . ويلحظ هنا ان القرآن استعمل جمع ،وهي تاتي في الحشد مع الكثرة والاختلاط . وذلك هو حس العربية الاصيل للمادة ، حيث اطلقت المجمعة على ما اجتمع من الرمال، وجماع الناس اخلاطهم، وتجمعوا :اجتمعوا من هنا وهناك ، والاجماع سوق الابل جميعا ، والجمع الجند يحشد للمعركة .

وذلك هو مانحسه ، في تتبع الاستعمال القرآني للمادة ، واكثر ماتجيء ليوم القيامة في نحو اربعين موضعا ، لايخطئنا فيها هذا الحشد الكثير المختلط : المرسلات ٣٨ : «هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين»

الشورى ٧ : « وتنذر يوم الجمع لاريب فيه . »

الكهف ٩٩ : «ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا »

الجاثية ٢٦ : «قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة »

التغابن ٩ : «يوم يجمعكم ليوم الجمع، ذلك يوم التغابن»

آل عمران ٩ : «ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه »

الدخان ٤٠ : « انيوم الفصل ميقاتهم اجمعين»

هود ١٠٣ : «ذلك يوم مجموعله الناس وذلك يوم مشهود»

وجاء الجمع ، فى غير القيامة ، ملحوظا فيه كذلك هذا **الحشد مع الكثرة والاختلاط** فى مثل آية المعارج ١٨ :

« كلا انها لظى ، نزاعة للشوى، تدعو من ادبر وتولى . وجمع فاوعى »

وفيها النذير والوعيد ، لمن جمع فاوعى كهذا النذير فى **«الهمزة» لمن جمع مالا وعدده ..**

«يحسب ان ماله اخلده»

والخلد فى العربية ، الثبات وطول المقام

استعملته حسيا فى **الخوالد** ، وهى**الجبال والحجارة والصخور** ، لطول بقائها، ومنها قيل المخلد ، للرجل الذي اسن دون ان يشيب !

وللخلد فى المعجم القرآنى سره البيانى الباهر : فهو لايكون ابدا الا فى الدار الاخرة وقد احصيت من مواضع استعماله فيها ٧٥ مرة ، مناصفة بين **الخلود فى الجنة والنعيم** (٣٨ مرة) او فى **النار والعذاب والجحيم** (٣٧ مرة) !

اما حين يستعمله فى **الدنيا** ، فعلى وجه **النفى والانكار** ، ان يكون فى العاجلة الفانية خلود ! ترى ذلك واضحا فى آيات :

الانبياء ٣٤ : **«وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد، افئن مت فهم الخالدون . كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، والينا ترجعون . »**

الانبياء ٨ : **«وماارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم ، فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون . وماجعلناهم جسدا لاياكلون الطعام وماكانوا خالدين »**

الشعراء ١٢٩ : **«وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . واذا بطشتم بطشتم جبارين»**

ومعها اية «الهمزة» : **الذى جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله اخلده !**

« كلا ! لينبذن فى الحطمة »

ومع الردع بكلا ، **ياتى هذا النبذ** الذى استعملته العربية فى الشيء الهين المطروح .

والمنبوذ : **ولد الزنا ، واللقيط الملقى فى الطريق** ، والنبيذة : الناقة لاتؤكل من فرط ستمها وهزالها . والانباذ : الاوباش !

وبكل ما فى هذا ، من **دلالة الهوان والضياع والطرح والالقاء** ، يستعمله القرآن فى آية الهمزة ، بصيغة التأكيد ، لعابد المال المتجبر الذى يحتقر النـــاس ويزدريهم

ويبهرنا هنا فى البيان المعجز ، ان يختار **النبذ للهمزة اللمزة الذى يزدرى الناس** غائبين وحاضرين ، وان يتوعد سبحانه من يحسب إن ماله اخلده ، **بخلود** لم يخطر له على بال ، منبوذا فى الحطمة !

واصل الحطم فى العربية الكسر ، مع اختصاص بكسر ماهو يابس كالعظام .

ومن استعماله الاصيل فيها : **الحطوم** للاسد يحطم كل شيء بدقه ، وللريح تتوقى البناء . **والحاطوم والحطمة:** السنة المشئومة ورجل **حطم** : يلتهم كل شيء ولايشبع .

وهذا الملحظ ، من التكسير مع الضراوة والعنف والقسوة ، لاتخطئه فى الاستعمال القرآنى للمادة ، وقد جاءت فيه ، فى ستة مواضع ، احدها فعل مضارع ، فى آية النمل ١٨ :

«حتى اذا اتوا على وادى النمل قالت نملة ياايها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده»

ولنا ان نتصور ، وطأة الحطم من جنود سليمان من انس وجن، للنمل مع ضآلته وضعفه !

وثلاثة ، بصيغة **حطام** ، للزرع المصفر اليبيس المهشم ، تمثيلا **لحطام الدنيا** ، فى آيات الزمر ٢١ ، والحديد . ومعهما **آية الواقعة ٦٥** .

والمرتان الباقيتان ، بصيغة **الحطمة** ، فى سورة الهمزة ، التى **اطردت** بهذه الصيغة وتولت الآيات بعدها بيانها :

« وما ادراك ماالحطمة ؟ »

واستعمال **ما الاستفهامية** فى هذا الاسلوب يحتفظ لها باصيل دلالتها الاولى على **النفى** . والدراية اخص من العلم . والخاصة البيانية **لهذا الاسلوب** فى القرآن الكريم، استعماله فى التهويل والاثارة ، **لما يجاوز دراية البشر اما لجلال الامر وعظمه** ، كما فى آيات :

القدر ٢ : «انا انزلناه فى ليلة القدر . **وما ادراك ماليلة القدر»** .

البلد ١٢ : «فلا اقتحم العقبة . وما ادراك ما العقبة »

واما لكونه من الغيب المتعلق بالمصير المحتوم ، فى اليوم الاخر الذى تقصر دراية البشر عن تصوره وتمثله ، وذلك فى آيات :

المطففون١٨ : «كلا انكتاب الابرار لفى عليين . وما ادراك ماعليون »

الحاقة ٢ : «الحاقة ، ماالحاقة . وما ادراك ما الحاقة »

القارعة ٢ : «القارعة، ماالقارعة. وما ادراك ما القارعة»

المرسلات ١٤ : «لاى يوم اجلت. ليوم الفصل ، وما ادراك ما يوم الفصل »

الانفطار : ١٧ «وماادراك مايوم الدين ثم ماادراك مايوم الدين»

القارعة ١٠ : «وما ادراك ماهيه . نار حامية . »

المدثر ٢٧ : «سأصليه سقر. وما ادراك ماسقر »

المطففون ٨ : «كلا ان كتاب الفجار لفى سجين . وماادراك ماسجين »

وفى كل هذه الايات ، يعقب القران الكريم عليها ببيان لمناط العظمة اوالهول.والحطمة فى اية الهمزة ، متلوة ببيانها :

« نار الله الموقدة »

وباستقراء الاستعمال القرآني للنار،نرى الغالب فيه مجيئها لنار الاخرة حيث استعملت فيها نحو١٢٠ مرة، مقابل ٢٥٠ مرة للنار فى الدنيا ، اما على الحقيقة ، واما على المجاز فى نار الحرب (المائدة ٦٤) .

ومع غلبة استعماله للنار فى الاخرة ،لم يستعملها قط مضافة الى الله تعالى ، الا فى آية الهمزة ! فشهد ذلك بنداحة النكر لعبودية المال وما يغرى به من تكبر وبغى وضلال ..

والاصل فى النار ، ان تكون متقدة . ونرى البيان المعجز قد وصفها مع ذلك ، فى هذا المقام ، بانها نار الله الموقدة ، مبالغة فى النذير والترهيب، وقد استعمل القرآن الكريم صيغة وقود ، لنار جهنم على التخصيص ، مع بيان لمادة هذا الوقود فى آيات :

البقرة ٢٤ : «فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة»

ومعها آيتا : آل عمران ١٠، والتحريم٦ ونظيرها ، آيتا :

الانبياء ٩٨ : «انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم »

والجن ١٥ : «واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا »

ونلحظ بيانى آخر نار الله الموقدة .

« التى تطلع على الافئدة »

فقد اسند الاطلاع الى النار،فتشخصها بهذا الاسناد كائنا حيا يطلع على الافئدة كما شخصها فى مشاهد اخرى :

مبصرة : « اذا راتهم من مكان بعيد ، سمعوا لها تغيظا وزفيرا »

داعية : «تدعو من ادبر وتولى . وجمع فاوعى »

منفعلة : « اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور تكاد تميز من الغيظ »

واعطاها صفة الولاية على المفتونين المغرورين والكفار فى آية الحديد :

«فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ، ماواكم النار هى مولاكم ، وبئس المصير »

وتختم السورة بهذا الوعيد الرهيب :

«انها عليهم مؤصدة . فى عمد ممددة»

فنلمح السر البيانى الرائع فى استعماله : عليهم ، بما تفيد من الاطباق الملاصق المباشر ، ولايمكن ان نقوم مقامها بيانيا : فوقهم ، .. لاحتمال أن تكون الفوقية غير ملاصقة ولا مباشرة .

والعربية استعملت الوصيد للبيت يتخذ للمال من حجارة فى الجبال ،كما استعملت الموصد ، لخدر المراة المحجة ، ومن هذا الاحكام والتحصين ، قيل اوصد الباب اذا اغلقه وسده سدا محكما .

ولم تات المادة فى القران الكريم الا ثلاث مرات : الوصيد فى اية الكهف ، ومؤصدة فى ختام سورة البلد :

«والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة » والآية مسبوقة ببيان لاوضاع اجتماعية فاسدة ، ضل فيها ذوو المال ضلالا بعيدا ، فاسترقوا البشر ، وطغوا واستكبروا ..

وفيها من الايصاد ، والاطباق الملاصق المباشر ، ما فى ختام سورة الهمزة .

« عليهم نار مؤصدة . فى عمد ممددة »

نذيرا ، كذلك ، لكل همزة لمزة ، الذى جمع مالا وعدده !

ملاحظة : فى المقال الماضى ، وقع لبس فى عبارة: فما أغنى عنهم مالهم وما كانوا يكسبون، حيث وضعت بين قوسين،فأوهم ذلك انها آية قرآنية، والاصل ان تجىء بيانا لما نقلنا من آيات فى عدم غنى المال والكسب . فوجب التنبيه والاعتذار .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ٢٢ / ٢ / ١٩٦٣

« أرأيت الذى يكذب بالدين ؟
فذلك الذى يدع اليتيم .
ولا يحض على طعام المسكين »

((قرآن كريم))

من البيان المعجز

أرأيتَ الذى يُكذِّبُ بالدِّين؟

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

من القرآن الكريم اقدم هذه الآيات الى الانسانية الشرية ، فى طموحها الى الخير ، وسعيها الدائب نحو مجتمع مثالى ، يتواصى فيه الناس بالحق ، ويتناهون عن المنكر .

والآيات الثلاث مكية ، من ((سورة الماعون)) وقد نزلت بعد ((سورة التكاثر)) التى انذرت من يتكالبون على حطام الدنيا ، الى اثرة وغرور ، بالجحيم يرونها عين اليقين .

وتستهل السورة بهذا الاستفهام المثير :

((ارايت الذى يكذب بالدين))

والاصل فى الاستفهام ، فى الوضع اللغوى ، ان يكون من سائل يطلب فهم مالا يعلم . اما حين يكون السائل على علم بالمستفهم عنه ، فان الاستفهام يخرج بذلك من وضعه اللغوى الى وضع بلاغى فنى .

وفيما احصى البلاغيون من اغراض يخرج اليها الاستفهام عن معناه الاصلى ، لا اجد المصطلح الذى يجلو السر البيانى لمثل هذا الاستفهام القرآنى فى آية الماعون كما لا اجده فيما ذكر مفسرون — منهم الإمام الشيخ محمد عبده — من ان المقصود به هنا ، التنبيه الى خفى مجهول . على حين ارى اعجازه البلاغى ، فى الاستفهام عما يراه الناس واضحا غير خفى ، ويحسبونه معلوما غير مجهول ، إذ ليس التكذيب بالدين مظنة خفاء ، والناس يرون انه يكفى الانسان لكى يكون مصدقا بالدين ، ان ينطق بالشهادتين ، ويؤدى العبادات المفروضة من صلاة وصوم وزكاة وحج .

ومن ثم ياتى هذا الاستفهام ، عما يراه الناس مستغنيا عن كل بيان ، فيثير اقصى الانتباه واليقظة ، والدهشة والترقب ، انتظارا لجواب غير متوقع ، وتطلعا الى معرفة ماذا يكون التكذيب بالدين غير الذى يعلمون من امره :

التاريخ : ٢٢ / ٢ / ١٩٦٣

والكذب نقيض الصدق ، وقد استعملته العربية أصالة فى الناقة يظن انها حامل ثم تخلف الظن ، وفى البرق يوهم ان وراءه مطرا ثم لايكون مطر : كمااستعملته فى **خداع الحس** . فقالوا كذبت العين اذا اخطات حقيقة ماتبصره . وانتقل الاستعمال مجازيا الى الرؤيا الكاذبة ، والرجاء الكاذب ، وكل ماأخلف الظن والتقدير .

وبهذا الحس الاصيل ، من خيانة التقدير ومخالفة الحق ، ياتى التكذيب فى القرآن الكريم ، اكثر مايجىء ، فى التكذيب بالله وآياته ، وبمن اصطفى من انبياء مرسلين ، وهو التكذيب بالحق وبالصدق . ومنه كذلك ، التكذيب بالنذر ، وبالساعة ، وبلقاء الله والاخرة ويوم الفصل ، وبجهنم والعذاب

وكثر فى القرآن الكريم اللفت والانذار **بعاقبة المكذبين** ، ووصفوا بانهم **الضالون والمجرمون ، والكافرون ، والغافلون** . كما اسند اليهم : **الافتراء ، والظلم ، والاثم والاعتداء ، والمعصية والخسران ، واتباع الاهواء**

وجاء التكذيب بالدين فى آيات :

الانفطار ٩ : ((ياايها الانسان ماغرك **بربك الكريم** . الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة ماشاء ركبك . **كلا بل تكذبون بالدين**)) .

التين ٧ : ((**فما يكذبك بعد بالدين . اليس الله باحكم الحاكمين**))

وآية الماعون : ((ارايت الذى **يكذب بالدين**)) .

((**فذلك الذى يدع اليتيم**))

والدع : الدفع العنيف مع قسوة وجفوة ولم يستعمله القرآن الكريم الا فى موضعين

الاول ، عن المعاملة فى **الدنيا** ، وقد **خص به اليتيم** فى هذه الاية .

والثانى ، عن المعاملة فى **الاخرة** ، وقد خص به **المكذبين** ، فى آية الطور :

((**فويل للمكذبين . الذين هم فى خوض يلعبون . يوم يدعون الى نار جهنم دعا . هذه النار التى كنتم بها تكذبون**)) .

وهذا وحده ، يكفى للمح الحس القرآنى للدع ، بما فيه من قسوة وجفوة وصرامة .

واليتم فى العربية الانفراد . واليتيم من الناس من فقد اباه . استعمله القرآن الكريم ، **مفردا** ، ثمانى مرات ، بيانا لما يتعرض له اليتيم من ظلم ، وضياع وقهر ، ودع ! واحداها للرسول الكريم فى آية الضحى :

« **الم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى** . ووجدك عائلا فاغنى . فأما **اليتيم فلا تقهر** . »

نعمة كبرى يذكر الله بها عبده اليتيم المصطفى للنبوة ، ليحمى اليتيم من القهر كما حماه سبحانه وآواه !

والعربية تجمع اليتيم على : **ايتام ، ويتامى ، وميتمة** . لكن القرآن الكريم لايستعمل من هذه الجموع الا **اليتامى** ، فى كل المواضع التى ورد فيها جمع يتيم وعددها اربعة عشر موضعا ! **مما يؤكد اختصاص القرآن بمعجمه الفريد** .

ويلحظ فى تتبع آياته الكريمة فى اليتيم واليتامى ، ان اليتيم جاء مع المسكين والاسير فى آية الانسان (٨) ومع الرقيق ، ومسكين ذى متربة فى آية البلد (١٥) ومع الضال والعائل فى آية الضحى (٩) كما جاء اليتامى مع المساكين وابن السبيل فى خمس آيات ، وجاء معهم الارقاء فى آيتى البقرة (١٧٧) النساء (٣٦) نشهد ذلك بحساسية بالغة الدقة لمكان اليتيم فى الوضع الاجتماعى الفاسد المتصدع ، مما اقتضى ان يقرر القرآن الكريم **حق اليتيم** فى المجتمع الاسلامى الصالح ، **وان يجعله تاليا لحق الله** والرسول وذى القربى ، فى آيتى الانفال (٤١) والحشر (٧) ومعهما آيتا البقرة (١٧٧ ، ٢١٥) **كما جعل الاحسان باليتامى ، تاليا لعبادة الله والاحسان** بالوالدين وذى **القربى** فى آيتى البقرة (٨٣) والنساء (٣٦)

وصور من ياكلون اموال اليتامى ظلما بهذه الصورة البيانية البالغة اقصى الترهيب والبشاعة والوعيد :

((**ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ، انما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا**)) النساء ١٠

واكل مال اليتيم ، مع ذلك ، ليس اقدح نكرا من «دع اليتيم» الذى يعده القرآن الكريم تكذيبا بالدين ، كما يعد مسه كذلك :

« ولايحض على طعام المسكين »

والعربية تستعمل الحض فى الحث وبعث الحمية ، واصل استعماله فى الحث على السير ، او لعل الاصل فيه : الحضض وهو داء يشفى بعصارة الصبر ، او هو عصارة الصبر يتداوى بها .

اما القرآن الكريم فله ملحظ خاص فى هذا اللفظ ، حيث لم يستعمله قط الا فى انكار عدم الحض على رعاية المسكين . ويبهرنا من اتساق بيانه المعجز انه جاء بهذا الانكار ، قرين الكفر بالله والتكذيب بالدين :

ففى آية الحاقة ٣٤ : «انه كان لايؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم ههنا حميم . ولاطعام الا من غسلين . لاياكله الا الخاطئون »

وفى آية الفجر ١٧ : «كلا بل لاتكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين وتاكلون التراث اكلا لما . وتحبون المال حبا جما.كلا اذا دكت الارض دكا دكا .»

وفى آية الماعون : « ارايت الذى يكذب بالدين. فذلك الذى يدع اليتيم . ولايحض على طعام المسكين.- فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراءون ويمنعون الماعون »

وذلك هو كل ما فى القرآن الكريم من الحض خص به اولئك السلبيين الذين لايؤدون حق الجماعة ، ولايتداعون بالخير والمرحمة ، وفى حسابهم انه يكفى الانسان ان يعيش لنفسه ويعمل لصالحه ويؤدى واجبه الفردى ، وان خطيئات غيره ، لاتتبع عليه منها تبعة السلبية والسكوت على منكر !

وبمثل ذاك البيان المعجز ، يروض القرآن الكريم بشريتنا على احتمال المسئولية العامة ، ويرتقى بها الى حيث لايكتفى منها بالعمل الايجابى او السلوك الفردى ،بل يعتبر دع اليتيم تكذيبا بالدين ، كما يعتبر عدم الحض على الخير كفرا وخطيئة ولعنة ، وليس وراء ذلك مطمح للانسانية ، فى الالتزام بتبعة انسانيتها ، واحتمال امانة الحق العام ، فى التداعى بالحق والخير ، والتناهى عن المنكر !

والان وانا اوشك ان ادع هذا الحديث الى القراء من البيان المعجز الى موسمه فى رمضان المقبل ان شاء الله ، اود ان اعتذر الى عدد منهم ، شكوا الى ، مايجدون من صعوبة فى متابعة ماكتب . واشهد لقد حاولت جهدى ، التبسيط والتيسير والايجاز ، فاذا بقيت بعد ذلك صعوبة ، فلاباس على القراء من احتمالها وهم الذين يحتملون اليوم . قراءة «اللامعقول» ولا مجال للقياس او مقارنة بينه وبين ما نتناول من اسرار المعجزة البيانية الخالدة !

التاريخ : ١ / ٣ / ١٩٦٣

شاعرة من العراق

> في قديمنا ، تلقى بنو الخنساء الميراث الشعري عن أمهم الشاعرة ، وفي حديثنا ، تلقت نازك الملائكة ميراثها الأصيل ، عن أم شاعرة !

.. من أم نزار .. إلى نازك ..

الميراث الشعري

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

في دراستي للخنساء : شاعرة العربية الاولى ، وقفت الطيل التأمل في الميراث الشعري الذى تلقته الشاعرة عن قبيلتها قيس عيلان ، وآبائها السلميين ، ثم أورثته بنيها من بعدها ، فكانوا كلهم شعراء !

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١ / ٣ / ١٩٦٣

ولم يكن الذى لفتنى الى ذلك الميراث الشعرى ، تلك الاناشيد الحماسية التى قالها بنوها الاربعة ((يوم القادسية)) والتى اعتزت بها كتب طبقات الصحابة مثل ((الإصابة)) و ((الاستيعاب)) ونقلتها اكثر الكتب المدرسية للادب العربى ، وانما لفتنى اليه بوجه خاص ، ان الخنساء هى ام الشاعر ((ابى شجرة ابن عبد العزى السلمى)) الذى حرص ((الطبرى)) ـ عميد مؤرخى الاسلام ـ على رواية شعره فى حروب الردة ، وانها كذلك ، ام الشاعر المشهور ((العباس ابن مرداس)) الذى احتفل به مؤرخو الادب العربى من قديم ، فترجم له الاصفهانى فى (الاغانى) وابن قتيبة فى (الشعر والشعراء) والمرزبانى فى (معجم الشعراء) واختار ابو تمام عددا من قصائده فى (ديوان الحماسة) كما اختار البحترى ثمانى قصائد له فى (حماسته) .

واحتفل به كذلك مؤرخو الاسلام وكتاب السيرة الاولون ، وبحسبى ان اذكر هنا ان ((ابن هشام)) روى له فى (السيرة النبوية) اكثر من عشر قصائد طوال جياد ، قالها فى ((يوم حنين)) وحده ، مما يشهد بمدى مواتاة شاعريته الخصبة .

ولم يتخلف هذا الميراث الشعرى فى ابنة الخنساء ((عمرة بنت مرداس)) الشاعرة المشهورة بمراثيها فى ابيها مرداس ، واخيها العباس بن مرداس وولدها الاقيصر .

وحين بدا لى ان اتتبع ميراث الامومة الشاعرة فى تاريخنا الادبى ، ذكرت اول ما ذكرت ، الشاعرة العراقية ((ام نزار الملائكة)) التى انجبت شاعرة عصرنا نازك الملائكة .

وام نزار : ((السيدة سلمى بنت عبدالرازق الكاظمية)) تنتمى الى اسرة عربية عريقة ، يتصل نسبها بآل المنذر فى الحيرة . وليس بينها وبين ((نازك)) من فرق السن ، غير خمسة عشر عاما ، لكن هذه الفترة الزمنية القصيرة ، شهدت بوادر الانتقال الحاسم بين جيل الحريم التركى ، وبين جيلنا الذى افلت من قفص الخدر ، وانطلق الى الآفاق الرحبة .

وتمثل ((ام نزار)) بشخصيتها وشعرها ، ذروة التمرد الثورى فى اعماق المرأة العربية المكبلة بالاغلال ، كما تسجل هدير الموجة المتحفزة للانطلاق عبر الحواجز والسدود ، وترجع اصداء شجنة باهظة من الاسى والشجن ، لاجيال متعاقبة من امهاتنا ، طال عليهن الامد وهن مهدرات الوجود العاطفى ؛ مجهدات بالوأد المعنوى .

ولقد ظهرت ((عائشة عصمت تيمور)) فى الافق الادبى ، قبل ام نزار بنصف قرن او اكثر ، فكانت شاعرة الطليعة ، لكنها اكتفت بتحقيق وجودها الادبى من وراء حجاب ، دون ان تفكر قط فى التمرد على الاغلال ، او تعلن دعاء فجر جديد للمرأة العربية المخدرة فى قفص الحريم ، اللاهية بصليل اصفادها من عقود واساور وخلاخيل ، تحيط بالعنق والذراع والساق ! بل ان التيمورية اعتزت بحجابها التركى وباهت بحجلها مفاخرة فى قصيدتها البائية المشهورة :

بيد العفاف اصون عز حجابى
وبعصمتى اسمو على اترابى
ما عاقنى حجلى عن العليا ولا
سدل الخمار بلمتى ونقابى

وكانت ((ام نزار)) مثلها مقيدة بالحجل مكبلة بالاغلال ، لكنها ظلت ما عاشت تهدر بالثورة عليها ، وتئن من معاناة الصراع بين واقعها المقيد وطموحها الطليق :

فالام يا قلبى الطموح تهيم فى
وديان افكار تذيق العلقما
جاوزت ياقلبى الحدود الم يحن
لك ان تكف عن الطموح وتسأما

ثم لما اعياها ان تحطم قضبان القفص ، تركت الامانة لجيل بناتها ، يحدوهن دعاؤها المثير :

رضيتن على الاسر
فهنتن مدى العمر
وامعنتن فى الصبر
على غائلة الدهر !

متى تعملن للافلا
ت من اسر الشقا العاتى
متى تفخرن بالماضى
متى تبسمن للآتى

الفنا الضعف وارتحنا

لبـاوانا . رضيـات
فلم نهو من الدنيـا
بسـوى ثوب ومرآة !

كذلك لم تحاول شاعرة الطليعة ان تتجاوز حدود دنياها الخاصـة ، الى الحيـاة العامـة لقومها ، اللهم الا فى المجال المشئوم ، المحدود ببلاط السلطان والخديو ، فجاء شعرها سياسيا هابطا سقيما مسفا ، على حين استطاعت « ام نزار » ـ ولم تتح لهامثل ظروف عائشة تيمور ـ أن تنطلق من محبسها عبر الاسوار والقضبان ، محلقـة فى الافق القومى العام ، ومشاركة فى قضايا العرب بكل حماسها ووجدانها وقد استثارت قضية فلسطين ، حين لاحت نذر النكبة ، باهتمام الشاعرة ، ولها فيها قصائد ذات عـدد ، بلغت احداها مائة بيت ، وفيها ترفع النجوى الى الرسول صلى الله عليه وسلم قائلة:



نازك الملائكة

يارسول الهدى اجر قدسك السا
مى وانقـذ مسراك من تهديد
فلـكم فى ديار مسراك بـؤس
وشـهيد يروح اثر شـهيد
خرقت حرمة البراق. وريعت
بجيـوش من كل عات مـريد
واستحالت ارض السلام ميادي
ن حـروب بين الهدى واليهود !

وتقول فى قصيدة اخرى :

حـادث فيـه للعروبة ذل
بعد عز قد طاول الاحقابا
افترضى الليوث ان يطا الغا
ب عـدو فيستبيح الغـابا !

مسجلة بذلك انطلاق الشاعرة العربية من حدود ذاتيتها الفردية ، الى رحاب الذاتية الجماعية للامة العربية

وفى الصورة الفنية، مالت «ام نزار» الى نوع من التحرر فى الشكل التقليدى للقصيدة العربية ، فتصرفت فى التوزيع الموسيقى لبعض قصائدها ، استجابة للنغم الداخلى فى وجدانها ، ويظهر هذا بوضوح فى قصيدتها « المذياع الصامت » :

ايها الصامت المعـذب روحى
بعـدما كنت مؤنسى وسـمرى
هاج لى صمتك الحزين شـجونا
مبهمـات ، فغـاب عنى. سرورى
ودهتنى الاوهـام تبعـث فى الافـ
ـق صنوفا من العـذاب المثير
اتاسى بالقرب منـك لعـل الـ...
قرب شـاف من لوعتى وسعيرى
وامنى النفس التى فاتها الصبـ...
ـر بلحن من صوتك المسحور
اثقل البحث سـاعدى واضنى الـ
جهد قلبى وهـدنى تفـكيرى
غـلنى استطيع عرفان سر...
غـاب عنى فتهت فى ديجـور
وسجا الليـل واعتكر
وتغنيـت بالسـهر
اجهـد القلب بالفكر
كيف اسـلو والسكون شبو ح
مرعبـات وللـدجى اوهـام
وحـوالى عـالم يتنزى
فى اصـاليله ، فـلا يلتـام
وعلى الافـق حـمرة تتراءى
وعـلى الارض من بنيهـا ركام
وحيالى من اشتباك المآسى
غـمم جـد جـدها وضرام

ثم تمضى على هذا النسق حتى تختم القصيدة بهذا المقطع :

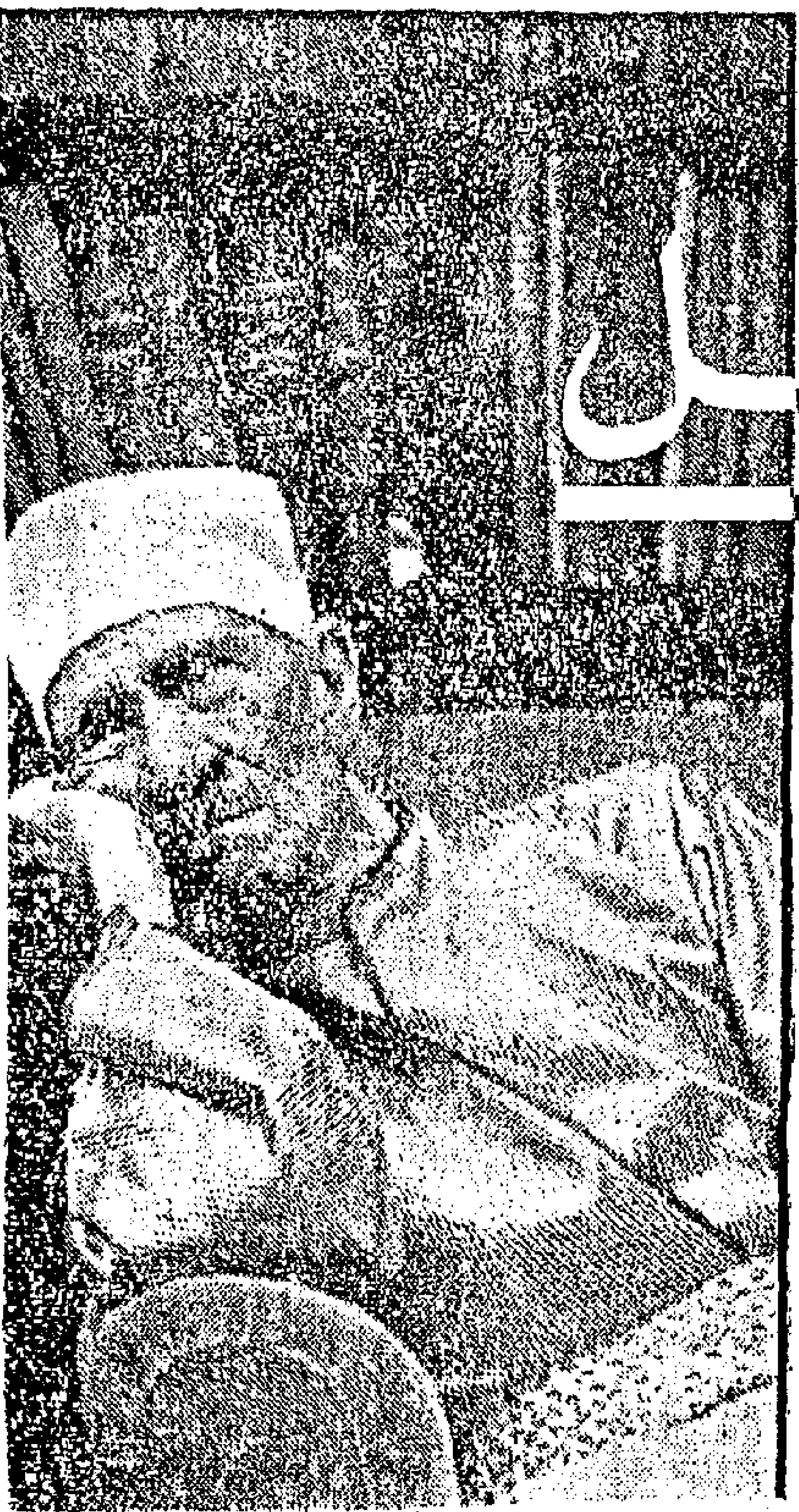
فانا بين وحـدتى
وسـكونى ولهفتى
رهن شجو وحيرة !

مقـدمة لنا من تراثها الشعرى ما يضىء لنا شخصية ابنتها الشاعرة « نازك » اضاءة كبرى ، تكشف عن سر ذلك الالم العبقرى الذى يصهر وجدانها الرهف ، وتجلو ملامح « الذاتيـة الانسانية » التى تميز شعر « نازك » بحيث يشق على القارىء ان يفصل فيه بين تجربتها الخاصـة ، وبين التجربة البشرية الموغلة فى اعماق النفس الانسانية

وفى شـعر « ام نزار » المقـدمة الطبيعية لجديد ابنتها « نازك » والملامح الاولى لما اضافته بسخاء الى الشعر العربى ، حين انطلقت به فى اصالة وابداع من حدود السطح والشكل ، ومن ابعاد الطول والعرض ، الى العمق والجوهر والصميم !

واذا كانت نازك فى اهدائها ديوانها الى امها ، قد سجلت انها اكبر شاعرية خصبة تتلمذت عليها ، فمن الحق ان اضيف الى هذه التلمذة ، ما اخذت نازك عن امها تلقائيا ، من ميراث شعرى اصيل ، هيا لها ان تكون دون اديبات الجيل ، شاعرة العربية الاولى فى عصرنا؟

التاريخ : ٨ / ٣ / ١٩٦٣



الدرس الأخير لمعلم الجيل

لم يمت فجأة ...

ولم يرحل عنا بغير وداع ...

بل لبث لمدى أسابيع وأيام، يذوي أمام أعيننا في استسلام وديع، ويغيب عنا لحظات في تأمل مستغرق، فيخيل إلينا أنه يتصل بغير عالم الأرض، ويطل بروحه على أفق بعيد، غير مدرك ولا منظور ...

ثم يئوب إلينا، هشا كالطيف، شفافا كالروح، رقيقا كالملاك ...

وتخفف من أثقال مادته رويدا رويدا، فتضاءل جسمه ووهنت حركته، وخفت صوته حتى صار إلى همس، ولم يعد كيانه النحيل يستجيب لجاذبية من أرضنا، ونحن خاشعون بين يديه، ندرك أنه يعبر الجسر الخفي بين الأرض والسماء، فيتمهل في خطوه، كيلا يروعنا بصدمة المباغتة، وكي يمنحنا فرصة التزود للفراق لا يدري أحدنا كنهه أو مداه ...

وكلما خطا خطوة على المعبر الخفي، تلفت إلينا في حنان غامر، وألقى علينا نظرة إشفاق ورحمة، قبل أن يعود فيتسلل بعيدا منا، تحف به أرواح رفاق له وصحب أعزاء، خلفوه من زمن، وساروا على الدرب قبله، ومضوا إلى حيث يوشك أن يمضي ...

ورغم ذلك، لم أسمعه قط يتحدث عن الموت، ولا بدا منه في أخريات مقامه فينا ما ينم عن جزع أو قلق، وإنما كنا نحن الذين نجزع، فيلقى جزعنا بابتسامة مشفقة، ونظرة من يرثى لجهلنا وضعفنا وغرورنا ...

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

التاريخ : ٨ / ٣ / ١٩٦٣

وكنا نفهم ، وندرك ، ونعى ...
نفهم انه المصير المحتوم ... لا مفر !
وندرك ان الاوان قد آن...لا مهلة !
ونعى الا حيلة لنا فى الامر ... اى حيلة !

لكن لا شىء من هذا كله عصمنا من الجزع ، ونحن نرى معلمنا الحبيب ، يوشك ان يمضى !

وتزودنا منه ، كما شاء لنا ...
لكن لم يغن عنا ذلك الزاد شيئا ، حين خطا معلمنا خطوته الاخيرة على المعبر...
ومضى . . . . وبقينا .
واستراح ... وشقينا .
ونام . . . . وسهرنا .
وتخفف من كل اثقال المادة واعباء الوجود ...
وخلفنا اسارى القيود ...
وخلى لنا الهموم والاشجان !

نام معلمنا الذى سهر طويلا ، ونحن رقود نيام ...
وانطفأ الوجود ، فيمن كان قبس نور ، اضاء لنا ظلمة ليلنا الداجى البهيم ...

ونشبثت به قبل ان يمضى ...
ووقفت بجانبه ، ارنو اليه خاشعة ، قبل ان يحملوه الى مضجعه الاخير ، فى التربة المباركة التى عاش عمره يطهرها من البذور المشئومة ، للرجعية والفساد ، والرق والطغيان ...

ومن عجب انى لم اتصدع امام هول المشهد ...

من عجب انى لم امتلىء منه رعبا ، ولا وليت منه فرارا ، كيلا ارى الراس الكبيرة معصوبة ، والعين البصيرة مطفأة ، والقلب الحى اخرس هامدا !

غلب الشعور بجلال المعلم ، على فظاعة المشهد ... وسيطر على احساس التلميذة المريدة ، وانا واقفة بحضرة معلمى ، اتلقى عنه الدرس الاخير :

« الكون والفساد » فى المادة ...
و «الخلود والبقاء» ، للفكر والعقيدة والروح ...

و « السياسة » مهلكة ولعنة ، اذا كانت حرفة مرتزق ، والاعيب بهلوان ، ونفعية وصولى ...
و « السياسة » سر البقاء ، حين تكون امانة حاكم ، ومسئولية راع ، ورشد عقل ناضج ، وصحة ضمير سليم ...

و « احمد لطفى السيد » : المخلوق البشر ، يموت كما يموت كل حى ، فلا تكسف شمس ولا يخسف قمر ، ولا يتوقف الفلك لحظة فى مداره،حدادا على فقيد غال وكريم ...

و « المعلم » يبقى : فكرة ثاقبة نيرة ، وروحا رائدة ملهمة،وعقيدة ثابتة راسخة، وجوهرا حرا اصيلا،يتألق سناه الوهاج، ليهدينا على الطريق ...

عزاء لمصر الخالدة ، فى البقية الصالحة ممن آمنوا بها ، حين كفر بها العملاء والغافلون ...
وعزاء للحرية العقلية والاجتماعية ، التى ناضل عنها معلم الجيل ، حين سكت المستضعفون ، وتخاذل المنافقون والماجورون ...
وعزاء للشخصية الشرقية التى تجلت فيه بكل اصالة القديم وعزته ، وكل حيوية الجديد وجاذبيته ، حين جمد الجامدون متخلفين ، وجمح الجامحون مفتونين ...
وعزاء لنا ...
نحن خاصة اهله واصدقائه ، وتلامذته ومريديه ...
نحن الذين شيعناه الى مثواه بالفخر ، وارقدناه بايدينا فى مضجعه ...
وهان علينا ان نسوى فوقه التراب !
عزاء لنا ...
لقد مضى معلمنا ... وبقينا .
واستراح ... وشقينا .
ونام ... وخلفنا من بعده يتسامى مسهدين !

التاريخ : ١٥/٣/١٩٦٣

قضايا نقدية

مسئولية الحرية في النقد الأدبي


ابراهيم ناجي


على محمود طه


شوقي

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

اخطر ما تتعرض له الحرية ، هو الجهل بتبعاتها ومسئوليتها ، واختلاط مفهومها بشوائب ضالة من الفوضى والتحلل

فالاصل في الحرية ، على غير مايتصور اكثرنا ، ان تكون مبدأ والتزاما . وجوهر الفرق بينها وبين العبودية ، ان قيود الحر مفروضة عليه من تلقاء نفسه ، يلتزم بها عن طواعية واختيار ، اما قيود العبودية فيفرضها الغير قسرا ، على وجه القهر والالزام ..

وحرية الكلمة ارقى انواع الحريات لانها اداة التعبير عن الرأى الحر ، ومظهر الاحترام لكرامة الانسان في اخص مايميزه عن الحيوان الاعجم ..

وحين تمارس حرية الكلمة في المجال العام ، تزداد مسئوليتها خطرا ، بحكم خروجها من نطاق الحرية الشخصية التي تختص بالفرد وحده ، لاتتجاوزه الى سواه ..

والناقد الادبي ، بممارسته حقه في حرية الكلمة ، يحتمل بمقتضى هذه الحرية تبعة المشاركة في التوجيه الفكري للامة ، والتأثير على وجدانها العام ، وعلى وجودها المعنوي الذي هو مناط سلامتها وحياتها ..

ولا يتصدى لهذه الامانة المهمة ، الا القادر على احتمال قيودها الباهظة ، المتدرع بجلال تقاليدها الصارمة . وادنى تفريط في هذه التقاليد ، او استهانة بتلك القيود ، يضع الناقد دون مستوى الحرية للكلمة الناقدة المسئولة ..

ونحن المشتغلين بالنقد الادبى ، اجدر الناس باحترام حقوقنا فى ان ينقدنا والا شهدنا على انفسنا باننا غير اهل لشرف الكلمة الحرة ..

بل اننا نخون قضية الحرية ، اذا جحدنا حق غيرنا فيها ، لخطأ يتورط فيه او تصور يؤخذ عليه ، فالخطأ والتصور مما يجوز على البشر ، كل البشر ..

غير ان علينا واجبا اخر نحو حرية الكلمة الناقدة ، وهو ان نحميها من الزيف والانحراف ، او من التطاول والافتراء ..

فمن حق اى ناقد ، ان يناقش ما اكتب شرط ان يحترم حق كل فرد ، الا يتجنى علي ثم ينتقدنى فيما لم اقله ، ويؤاخذنى على مالم يجر به قلم لى او لسان !

⁂

اقول هذا لمناسبة مقال كتبته هنا من « المناخ الفكرى لابناء العصر » دافعت فيه عن حق شعراء الجديد فى حرية التجربة ، وما يختلف الرأى فيها ، واشرت الى بعض مايكابدونه تحت ضغط رجعية ذات سلطان ، تقف لهم بالمرصاد وتحاول كتم انفاسهم بكابوسها الخانق الذى يجثم على مشاعرهم الشابة ، وقلوبهم المتلهفة للحياة ، ووجدانهم المتأثر بمناخ العصر ..

وتصديت فى هذا الدفاع ، لما يقال من خروج اصحاب الجديد على قديم الشعر العربى هدامين متحللين ، على حين نشكو نحن ، من صرامة التزامهم بادق الضوابط للعروض الخليلى . كما تصديت بعد ذلك للتهمة الرخيصة المبتذلة ، التى تصبغ اصحاب الجديد بصبغة رمزية حمراء ، فنقلت مقاطع من قصيدة « الارض المحجبة » لشاعرة الجديد ، واخرى من قصيدة « لو كنت الها ! » لكبير اعداء الشعر الحر واردت بهذا النقل ان استبين مفهوم الرمزية والالحاد ، بعد ان فرغت من بيان التزام الشعر الجديد بالمصطلح العروضى

دون ان ابدى رأيا خاصا فى المذهب المستحدث او افاضل بين قديم وجديد ، اكتفاء بما سبق ان قررته غير مرة ، من ان الشعر عندى ، يجب اولا ان يكون شعرا ، ثم لايعنينى بعد ذلك ان يأتى فى اى صورة ، وعلى اى قالب ؛ لماذا اتأمل باصول الشعر الجاهلى ، ويشجينى صوت « ابى العلاء » من وراء الحقب والقرون ، ولا امل صحبة « شوقى ، وناجى ، والزهاوى ، والاخطل الصغير ، والهمشرى ، والشابى ، والتيجانى ، وكذلك جبران ، وعلى محمود طه » فى روائعهم ، كما انفعل اليوم بقصائد الاصلاء من شعراء الجديد ، والقديم ، واستجيب لها فى طرب وشجو

كل ماقصدت اليه ، هو الدفاع عن حق شعراء جيلنا فى ان يمارسوا تجربتهم وان يتنفسوا هواء عصرهم بملء الحرية والانطلاق ..

⁂

ولقد تلقيت بعد نشر المقال ، رسائل ذات عدد ، يستغرب كاتبوها انى جئت فيه بقصيدة موزونة ، وهم لايتصورون ان حرية الشعر الجديد تفيده باى وزن او قافية !

وتجاوزت عمدا عن عشرات الرسائل وانا التمس العذر لكاتبيها — وهم من عامة القراء — ان فاتهم التنبه الى ما سجلته فى المقال نفسه ، من التزام الشعر الحر بقيود قاسية من الضوابط العروضية

ثم انى فى الواقع ، لم ادر ماذا استطيع لاقنعهم بخطأ الفكرة الشائعة عن الشعر الجديد ، بعد ان كتبت اكثر من مرة ، اؤكد انه غير مسئول عن بضاعة الادعياء ، ممن اقتحموا ميدانه بموهبة فجة او بغير موهبة على الاطلاق ، وهم يظنون انه يكفى احدهم ان يبعثر الالفاظ ويرص العبارات ، ليصبح على شعراء عصره

وما عبثى ؛ واى قصيدة اتى بها من دواوين شعراء الجديد الاصلاء ، لاتخرج بحال ما من بحور الخليل ، ولا تخل بضوابطه ، وانما تأخذ حريتها فى الالتزام بوحدة التفعيلة بدلا من وحدة الشطرين وفى التصرف فى التوزيع الموسيقى للتفعيلات استجابة لنغم الايقاع فى وجدان الشاعر !!

من اجل هذا كله ، تجاوزت عن الرسائل الخاصة التى تلقيتها ، وملء نفسى شعور بالتسامح ، غير مشوب بادنى شائبة من سخط او ضيق ..

⁂

غير انى عجبت حقا لاثنين من الزملاء النقاد ، كتبا الان مقالات عن ذلك الخطأ الذى تورطت فيه ، حين خلطت بين الشعر الموزون ، والشعر الجديد الحر ! وتطوع

التاريخ : ١٩٦٣/٣/١٥

الناقد الادبى لجريدة المساء ، لتنبهنى الى ان التمسبدة من بحر الرمل ، فلا يمكن أن تحسب من الشعر الجديد ! ثم تاخذ لبرر خطئى ، بما يعوزنى من الفطرة الادبية !

فبالله ماذا اقول له ؟ ومبلغ علمى ان القصيدة من الشعر الجديد تكون من بحر الرمل ، كما تكون من بحور الهزج والرجز والكامل والمتقارب والخبب وهى البحور الصافية التى يتالف شطراها من تكرار تفعيلة واحدة ..

بل يجوز كذلك ، ان تصاغ قصائد الشعر الجديد — مع صعوبة وحذر — من البحور الممزوجة التى يتكون شطرها من تفعيلتين ، تتكرر احداهما متتالية ، كالسريع والوافر ، وذلك بالتنويع فى عدد التفعيلة المكررة وحدها ، دون غيرها .

وليس المهم — على كل حال — ان يخطىء ناقد مهم الضوابط العروضية للشعر الجديد ، ثم يتصور انى انا التى اخطات . فالخطأ يجوز عليه ، كما يجوز على ..

وللزميل كذلك ، مطلق الحرية فى ان يقول ما شاء ، عما يعوزنى من موهبة ادبية فليس من حقى ان اعترض عليه او على سواه ، الاعتراف لى باى موهبة !

انما يعنينى هنا ، مايتصل بمسئولية الناقد تجاه حرية الكلمة التى يمارسها فى المجال العام : فالمقال الذى نشره الزميل فى « المساء » ، يقوم على مناقشة عاجلة نصها الى ننقل بنصه :

« ان الكاتبة جاءت فى مقالتها — عن المناخ الفكرى — بابيات من بحر الرمل موزونة كاملة التفعيلات ، وقالت للقراء انها من الشعر الجديد الذى لا يلتزم بالاوزان » .

كيف ، ومتى ، واين قلت للقراء هذا الكلام الذى لايمكن ان يخطر لمثلى على بال !

لعلى قلته دون ان ادرى ، عن غفلة او سهو ، وجل من لايغفل ولا يسهو ..

وارجع الى نص مقالى عن المناخ الفكرى فاراني جئت بقصيدة «الارض المجدبة» فى مجال الحديث عن تهمة التربزهة المبتذلة ، التى تدنوا بها شعراء الجديد .

اما حكاية الوزن هذه ، فكانت فى موضع آخر ، يتصل بتهمة تحلل الشعر الجديد من الضوابط العروضية . ونص عبارتى نقلا من صفحة الادب باهرام الجمعة ١٨ — ١ — ١٩٦٣ :

« ويقال حينا : ان اصحاب الجديد خرجوا على قديم الشعر العربى هدامين متحللين . وقرانا كتاب : قضايا الشعر العربى المعاصر ، فكانت الافضية فيه صرامة الالتزام بضوابط المصطلح العروضى للخليل الى حد مسرف . وكانت الدعوة فيه الى التخلص من عقدة النقص التى تشدنا الى جديد الغرب ، فالغنى عن اصالة العربية وطاقتها على الابداع والتجديد ، وعبقريتها القادرة التى تمكنها من تلبية دعاء العصر فى مرونة وطواعية . »

التاريخ : ١٥ / ٣ / ١٩٦٣

لعلى اى وجه ، اقحمت ابيات قصيدة « الارض المحجبة » على مشارتى هذه !
وكيف امكن ان يسى كلامى ، عند ناقد مسئول ، الى مازعم انى قلته لقرائى من «الشعر الجديد الذى لايلتزم بالاوزان» وما قلت الا ان التضحية نبه صرامة الالتزام بضوابط العروض !
احدى اثنتين :
اما ان يكون الزميل الناقد لم يقرا ماكتبت ، وانما اكتفى بنظرة سريعة خاطفة تعدى بعدها لمسئولية نقده !
واما ان يكون قد قراه كما يجب ان يقرا ، ثم حرفه ومسخه ، عن عمد وافتراء ..
وانا استبعد الثانية دون اى تردد !
ويبقى ان اسال :
هل تجيز لنا تقاليد الحرية فى النقد الادبى ، ان نتعرض لنقد مالم نقرا ..
وهل من مفهوم الكلمة الحرة ، ان نلقى الراى الادبى العام ، بمناقشة قضية لم نكلف خاطرنا بالاطلاع على مستنداتها ورمى نصوصها !
لقد يهون هذا من عامة القراء ، لكنه لايهون اطلاقا ممن يحمل امانة النقاد فى ارسيم نطاق لها عام ، بالصحافة ..
ثم لااقول بعد هذا ، الا ان حرية الشعر الجديد كما افهمها ويفهمها ذوو الموهبة الاصيلة ، مسئولية وتبعة ، وقيود صارمة لانظير لها فى الشعر التقليدى يصب فى قوالب ثابتة .
وكذلك نؤمن بان الكلمة الحرة فى النقد الادبى ، مسئولية صعبة ، والتزام بقيود ثقيلة يحترمها الجديرون بشرف الحرية ، المقدرون لامانة القلم .

التاريخ : ٢٢ / ٣ / ١٩٦٣

لكيلا ننسى ، وسط هذا الضجيج المثار لعيد استعرناه من الغرب، أن لنا نحن العرب ، عيدا مقدسا للامومة : نحتفل به منذ ما لا يحصى من القرون ، فى موعده السنوى الذى لايتخلف : عبادة ودينا ، وشعيرة من شعائر الحج فى الجاهلية والاسلام !

لكيلا ننسى

قصة من تاريخنا

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

مرة اخرى ، اكتب عن عيد الامومة عند العرب كما عرفه تاريخهم العريق منذ كان ..

وليس اشق على الكاتب ، من ان يعود فيكتب فى موضوع سبق أن تناوله اكثر من مرة . ذلك لانه يشفق ، مع العسود ، من ابتذال التكرار وامـلال الالحاح ، واجازف مع هذا فاكتب فى الموضوع ، ولا آتى فيه بجديد لم اقله من قبل ، لكن يهون على ، ان احتمـل كل مشقة ، فى سبيل الدفاع عن حق اومن به ، والالحـاح فى التذكير بماض لنا ، مجيد وعريق ، مرت عليه الحقب والادهـار ، وما يزال يفـرض ذكراه على الدنيا ويتحدى بها الزمان ..

وان كنا نحن عنها لاهين ..

ولقد شق على الزمـان ان يطمس بهاء هذه الذكرى رغم امعاننا فى تجاهلها نحن الذين نخوض معركتنا من اجل حماية حقيقتنا ، ووعى ذاتنا ، وتحقيق وجودنا !

نحن الذين القيت علينا — بحكم وجودنا في هـذه المرحلة الثورية — مسئولية تصحيح تاريخنـا الذى اوسـعه عملاء الاستعمار والطغيان ، مسخا وتشويها وطيا ..

ومن عجب ان نكون نحن الذين نتجاهل ما اعيا هؤلاء جميعا ان يطمسوه اويزيفوه !

والقصة — كما وعاها تاريخنا الديني **تبدأ من قديم موغل في القدم ...**

وقد تتابعت فصولا ومشاهد ، بالغة **القوة والاثارة ، ثم لم يسدل عليهـا الستار قط ، على تطاول العصور ومر الادهار ..**

فمنذ مالايحصى من القرون ، التقت **الاقدار بفتاة مصرية تدعى « هاجر »** في اغلال الرق ، وطوحت بها بعيدا **عن الاهل والدار : امة غريبة مستعبدة ،** للسيدة « **سارة** » **زوجة ابراهيم عليه** السلام ، في ارض كنعان ..

بدأت المـأساة حين بلغت السـيدة « سارة » سـن اليأس عقيما لا تلد ، فبدا لها — في لحظة قنوط — ان تهب زوجها هذه الفتاة المصرية ، لعلها تعطيه الولد ، **او لحسبها أن تمنحه راحة اليأس !**

وحملت « هاجر » فضاقت بها سيدتها اذ تغدو بحملها امامها وتروح ، فتذكرها بعقمها !

وتجملت «سارة» بالصبر طويلا : حتى اذا وضعت هاجر وليدها « **اسماعيل ابن ابراهيم** » نفذ الصـبر وغبه القهر واقسمت السيدة على زوجها ، الايظلها وجاريتها ، سقف بيت !

قال مقدرا وعاذرا :

— هي جـاريتك ، والامر اليك ..

وانطلق متجها الى الجنوب ، تتبعه « هاجر » ووليدها في حضنها ، فما زال يمعن في السير بعيدا ، حتى بلغ بقعة مهجورة في واد اجرد غير ذى زرع ، عند اطلال البيت العتيق ، حيث تركهما هنـاك وحيدين في البرية الموحشـة ، وترك لهما بعض الزاد ، وسقاء فيه ماء ..

ثم ودعهما ، وهم بالرجوع من حيث جاء ..

وطافت عينا « هاجر » بالبرية الجرداء من حوليها ، فاخذها الرعب ، وتشبثت بسيدها تسأله ان كان حقا ، سيتركهما في هذا الخلاء المقفر ؟

ولما اجاب بالايجاب ، لم تجد ما تقوله الا ان تسأل :

— آلله امرك بهذا ؟

قال : **اجل ...**

فرفعت وجهها الى السمـاء وقالت في ضراعـة وابتهـال : « **اذن فالله لا يضيعنا !** »

وابعد « ابراهيم » في السير شمالا ، وهو يدعو ربه :

« **ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا** ليقيموا الصلاة **فاجعل افئدة من الناس تهـوى اليهم ، وارزقهم من الثمـرات لعلهم يشكرون .** »

ثم كان المشهد الثاني ، وهاجر لائذة بوليدها باطلال البيت العتيق ، وقد نفد ما لديها من زاد قليل وماء ، فهامت على وجهها في الوادى الاجرد ، تبحث لطفلها عن قطـرة ماء . ثم بدا لهـا أن تعرج على سفح **الصفا او المروة** ، لتشرف على الوادى من اعلى مـكان فيـه . وكلما بلغت قمة ولم تجد شيئا ، انثنت من جديد **فهرولت** الى القمة الاخرى ، متشبثة بأمل لاتجرؤ على التخلي عنه !

وظلت تسعى **مهرولة** ، مابين **الصفا والمروة** ، **سبعة اشواط** ، حتى خامرها اليأس نهدها التعب ، وتهالكت على اديم الصحـراء ، دون ان تقـوى على النظر الى ولدها والحياة تتسرب من كيانه أو على الاصغاء الى لهاث ظمئه يوشك أن يكون حشرجة احتضار . **بل « غطت وجهها بلفاعها — كما تقول التوراة — وهي تئن قائلة : لاانظر موت الولد ! »**

وتمضى القصة فتقول : ان السمـاء استجابت لضراعة الام المنبوذة : **فحلق طائر في الافق ثم هبط قريبـا منها فنبش**

فى الرمال ، لتتفجر الماء من نبع « زمزم » !

وجلب الماء قوافل الرعاة من البدو الرحل ، فدبت الحياة فى الوادى الاجرد

وماش « اسماعيل » ليرفع القواعد من البيت العتيق ، مع ابيه ابراهيم ، ويتلقيا عهد الله سبحانه :

« وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل : ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود »

وماشت « هاجر : الامة المنبوذة » **رمزا للامومة الانسانية ..**

وصارت هموم امومتها قصة تروى كما صار مسعاها بين الصفا والمروة : عبادة ودينا وشعيرة من شعائر الحج فى الجاهلية والاسلام !

ولقد قرانا القصة فى تاريخنا الدينى وتلونا ماجاء من مشاهدها فى كتبنا السماوية المقدسة ، دون ان نتدبر [illegible] ..

وفى كل عام ، يسعى الوف والوف من الحجاج ، **بين الصفا والمروة ، مهرولين سبعة اشواط** ، دون ان يخطر ببالنا أنهم انما يمجدون الامومة ، ويعيدون تمثيل المشهد الحى ، لذكرى ام خلدتها هموم امومتها !

وحين آن لنا ان نحتفل بعيد الام ، **استعرنا موعده** وصورته من الغربيين **فاحتفلنا به مثلهم فى يوم ٢١ من شهر مارس** وسط ضجيج من طبول الاعلان التجارى عن هدايا تقدم للامهات !

وقامت مؤسسة لعيد الام ، قبضت من ميزانية الشئون الاجتماعية — **للقاهرة وحدها — ستة آلاف جنيه** فى الموسم الماضى ، **من اموال البر المخصصة لرعاية اللقطاء والمحتاجين والعجزة وابناء المصدورين والمسجونين !**

وصرح لها بتوزيع طوابع قيمتها عشرون **الف جنيه** — وانا انقل هذه الارقام والبيانات من محاضر رسمية — لتقيم لنا هذا الاحتفال بعيد الام ، وتدرب بضع عشرات من الامهات ، فى ثلاث **شقق من المساكن الشعبية : على بعض الاعمال** : كالخياطة مثلا : بآلات تقدمها مؤسسة معونة الشتاء ، بلا ثمن ، لمؤسسة عيد الام ..

وآخر اخبار العيد ، ان مؤسسة عيد الام ، **اقترحت ان تلقى الطائرات اكياسا من الحلوى ، فى اليوم المشهود !**

ولا باس بهذا كله ، لكن بشرط الا ننسى فى غمرة الضجيج الاعلانى والرواج التجارى ، ان لنا عيدا **مقدسا** للامومة يحتفل به العرب منذ ما **لايحصى من** القرون ، وسيظلون يحتفلون به ما عبد الله فى الارض !

فى موعده الذى لايتخلف سنويا ، مع عيدنا الاكبر فى شهر ذى الحجة من كل عام قمرى ..

وهو فى عقيدتنا — نحن العرب والمسلمين — **عبادة ودين** ، وليس فرصة لدق طبول الدعاية وابواق الاعلان ، وسوقا لرواج بضاعة المتاجر !

التاريخ : ٢٢ / ٣ / ١٩٦٣

فهل اشق على قومى العرب ، لو رجوت ان يذكروا اليوم ، اننا لم نكن قط فى حاجة الى ان نستعير عيد ٢١ مارس من الغرب ، ولدينا عيدنا العريق ، بكل جلال رمزه وسمو مغزاه ؟

او هل اشق على امتى العربية ، لو رجوت ان يكون احتفالها بعيد الامومة ، فى مستوى جلال اصالته فينا ، وروعة دلالته ؟

وماذا تصنع هدايا السوق ، واكياس الحلوى وضجيج الطبل والزمر ، لامهات شقيات بالحرمان واخريات كادحات تضغطهن الاوضاع بين شقى الرحى ؟

وماذا علينا ، لو استبدلنا بكل ذاك الضجيج الذى يكلفنا الوف الجنيهات سنويا ، مشروعا قوميا عاما ، يقدم الى الامهات فى شهر ذى الحجة من كل عام — يوم يسعى الحجاج بين الصفا والمروة — هدية اكثر جدوى من زجاجات العطر واكياس الحلوى وادوات الزينة التافهة ، والحلى الزائفة !

كان نقدم لهن قانونا جديدا لتشريع الاسرة ..

او قرارا ملزما بنقل كل موظفة عاملة الى حيث يعمل زوجها ..

او قرارا آخر بمنح اجازة امومة للموظفات والعاملات ، تمتد الى ثلاثة اشهر فى فترات الوضع ، باجر كامل ..

او انشاء دور حضانة تستوعب اطفال كل العاملات ..

او مشروعا تتبنى به الدولة ، كل الصغار اليتامى واشباه اليتامى ، ممن لايجدون رعاية الابوة ..

اننا بمثل هذا ، نسعد امهاتنا ، ونرقى الى مستوى عيد الامومة ، كما عرفه تاريخنا العريق الاصيل : عبادة ودينا ، وانقاذا لامومة شقية مهمومة من اجل الولد

فان ذهبت كلمتى هذه ايضا ، صرخة فى واد ، كما ذهبت اخوات لها من قبل ، فحسبى ان اظل ادعو وانادى ، دون ملل او ضجر ، الى ان تجد دعوتى مجيبا ويلقى ندائى مسمعا ..

« والسلام على من اتبع الهدى » !

التاريخ : ٢٩ / ٣ / ١٩٦٣

قضايا فكرية

شعار للجامعة

> بلغني أن العلماء يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء !
> «الإمام مالك»

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

اشتركت فى عدد من الندوات الجامعية التى نظمتها الكليات لدراسة الميثاق ، وقد لفتتنى هذه الندوات الى ما يعوزنا من وجود رأى جامعى عام ، يقول كلمته فيما يشغل الامة من قضايا فكرية وعلمية

والوضع الجامعى القائم ، لا يسمح بوجود مثل هذا الرأى على النحو الذى اتصوره ، فلكل قسم بالكليات الجامعية مجلسه الذى ينظر فى شئونه الخاصة ، ويلتقى الاساتذة ذوو الكراسى فى مجلس للكلية ، تعرض عليه شئونها ؛ ثم يلتقى العمداء مع مدير الجامعة ووكيلها فى مجلس جامعتهم ؛ ومن بعدهم يلتقى المديرون والوكلاء فى المجلس الاعلى للجامعات .

ومثل هذا النظام ، اذا نهض بامور الجامعة على ما تقضى به لوائحها ، فان فيه ثغرة لن يملاها الا التقاء اساتذة الجامعات كلهم فى مجلس جامع ، يتدارسون فيه القضايا الفكرية الكبرى التى لا مكان لها فى اللائحة ، ويتبادلون وجهات النظر فى الشئون الثقافية العامة التى لا تختص بها جامعة دون اخرى

ونظام الجامعة ، لا يصل بعضو هيئة التدريس الى كرسى الاستاذية ، الا بعد ان يقضى سنين عددا ، ادناها تسع سنوات ولا حد لاكثرها : مدرسا واستاذا مساعدا ، فضلا من الشروط الصارمة التى تنص عليها اللائحة ، من حيث مضى ستة عشر عاما على الاقل بعد تخرجه فى الجامعة ، وتقديمه ابحاثا اصيلة فى مادة تخصصه ، تشكل لفحصها لجان من كبار الاساتذة يعتمدها المجلس الاعلى للجامعات ..

اريد ان اقول : ان هؤلاء الاساتذة قد امضوا العمر كله فى الجو الجامعى فانضجتهم التجربة والزمن ، ولمسوا مشكلاتها طلابا ومعيدين ، ثم مدرسين واساتذة . ولست اتعصب لهم بحكم شرف انتمائى اليهم ، حين ادعى انهم يشغلون مراكز القيادة الفكرية والعلمية فى الامة . وهذه المراكز تلقى عليهم تبعة باهظة وامانة صعبة ، وتحملهم مسئولية الرقابة على التموين العقلى للوطن ، مما يقتضى وجود رأى جامعى عام ، يقول كلمته فى مشكلاتنا وقضايانا القومية ، وبخاصة ما كان منها ذا طابع فكرى .

وهذا الرأى العام ، لا يمكن ان يتكون فى مجالس الاقسام والكليات معزولا بعضها عن بعض ، ولا فى مجالس الجامعات تنظر فيما تتلقى من قرارات مجالس كلياتها مقيدة بنصوص اللائحة . ولا فى المجلس الاعلى للجامعات حيث لا يلتقى فيها الا المديرون والوكلاء وعدد محدود من الاعضاء

وانما يتكون حقا يوم يكون لنا مجمع للاساتذة يلتقى فى مؤتمرات دورية ، للنظر فيما يشغل الامة من قضايا تتصل بوجودها الفكرى والعلمى ، ويحدد موقف الجامعة منها ورأيه فيها ، وقد يبدو له فيتواصى بتقليد معين ، يلتزم به اعضاء الاسرة الجامعية .

واذا اردتم المثل ، فهذا «الميثاق» بين ايدينا ، ألقى على الجامعة المسئولية عن صنع مستقبل الوطن ؛ واثار قضية العلم للعلم والعلم للمجتمع ، واشار الى ما لحق تاريخنا القومى من تزييف ، فاين يا ترى يمكن دراسة هذه القضايا

التاريخ : ٢٩ / ٣ / ١٩٦٣

الفكرية ، اذا لم يلتق اعضاء الاسرة الجامعية ويتدارسوها !

والامة العربية تشكو من تيارات الغزو الفكري، تتسلل الى عقول ابنائنا ووجدانهم من طريق مؤسسات اجنبية فاحشة الثراء ولم نسمع من راى الجامعة في هذه المؤسسات ، ولا شعرنا انها ادركت مسئوليتها من الرقابة على ما يقدم الى ابناء العرب من غذاء فكري دخيل ، ولا سمعنا من رأى جامعي هام ، ياخذ الاساتذة بتقليد كريم ، يقاومون به جاذبية الاغراء المادي الذي يعرض عليهم لقاء العمل لحساب هذه المؤسسات ، حتى لا يخدع الشباب باسمائهم مطبوعة على ترجماتها ، ولا تصدم الامة الواعية ، باسم استاذ جامعي ، يقدم ترجمة لقصة تافهة او بضاعة هزيلة او مسمومة فالناس لا يتصورون ابدا ، الا اننا بمثل هذا ، ننزل وراء الكسب المادي ، من قمة المسئولية والتحكيم ، الى سوق الاتجار بالقلم والارتزاق الرخيص من خزانة مؤسسات اجنبية ، يفرض علينا وعينا وشرف منصبنا العلمي ان نكون نحن رقباء عليها لا ماجورين لها ..

وتثار بين حين وآخر ، قضايا ذات خطر ، منها ما يتصل بالوجود المهم للامة العربية : كمذاهب الفكر المعاصر ، وصراع القيم الروحية والمادية ، والاتصال الفكري بين ابناء الوطن العربي ، ونشاط الاستشراق الغربي ، وتراث لنا مبعثر ومضيع ، وازمة المثقفين ، وهبوط المستوى الثقافي للجامعيين ، و ... و ...

ومنها ما يمس سمعة الجامعة : كارباح حقيقية او وهمية ، يقال أن اساتذة الجامعات يكسبونها من طبع مذكراتهم وبيعها ، ومثل تهم السرقات الادبية والعلمية التي تنسب الى بعض المنتمين الى الجامعة ، والتي لو صحت ، لوجب حرمانهم من شرف الانتماء اليها .. والجامعة صامتة ، وعذرها الا مجال للنظر في مثل هذا ، في مجالس الكليات والجامعات المشحونة بشئون الطلبة واعضاء هيئة التدريس والميزانية والامتحان والمقيدة بنصوص اللائحة ..

وتنشر بين حين وآخر ، كتب مطبوعة في الخارج او في بعض عواصم الوطن العربي تعرض حياتنا العلمية والادبية عرضا مشوها وزائفا ، مثل كتاب « الادب العربي في آثار الدارسين » الذي نشرته جامعة بيروت الامريكية ، ودقت له طبول الدعاية واجراس الاعلان ، واشرف على طبعه والدفاع عنه ، استاذ جامعي عربي ، يعمل مندوبا ووكيلا لمؤسسة ثقافية اجنبية في احدى عواصم الوطن العربي .

وقد القى الكتاب ظلال الريب على المستوى العلمي لاساتذة جامعتنا ، واتهم عددا منهم بالسرقة الادبية اتهاما صريحا معلنا ومسجلا ، وجرح آخرين ، بعدم وجود مؤلفات لهم اصيلة في مجال تخصصهم ..

وكتبت عن هذا الكتاب عشر مقالات متتابعة في هذه الصفحة ، نشرت في احداها وثيقة « للاستاذ الدكتور عمر فروخ » ينفي بعض ما نسب اليه ونشر باسمه في كتاب بيروت ، ويصفه بالتزوير الرخيص — كنص عبارته . ومضى عام .. وبعض عام ، دون أن ترى الجامعة ضرورة للاكتراث بهذه القضية التي تمس سمعتها العلمية في الوطن العربي ، وكأن الامر لا يعنيها من قريب او بعيد ..

وحين نقول : ان من حق الامة على الجامعة ، ومن حق الجامعة على نفسها الا تمر هذه القضايا وامثالها دون ان تحدد موقفها منها وتجلو للوطن وجه الحق فيها ؛ فان المسئولية في هذا لا تقع على كاهل جامعي ، مهما يكن منصبه ، فردا كما لا يمكن أن يحملها مجلس من المجالس الجامعية ، المحددة في اللائحة ، مستقلا .. وانما هي مسئولية مجمع الاساتذة الذي آن له أن يظهر في هذه المرحلة الثورية من حياتنا الجادة ، الطامحة الى الوجود الكريم ..

والامر ، على هذا الوضع ، يتصل بقضية كبرى طالما شغلت البال ، وقال قائلون فيها ما قالوا من سلبية الجامعيين وعزلتهم ، ودافع هؤلاء — صادقين مخلصين — بأن طبيعة عملهم ، وما اجله ، تحد من نشاطهم العام ، دون أن تعزلهم عن الحياة بحال ، وأن ليس من الحق القول بهذه العزلة ، في قوم عاكفين على صنع عقول الشباب ، مجاهدين في سبيل العلم . واعتذر فريق منهم بانهم لو دعوا الى المشاركة في اى مجال عام لاجابوا ، وانكر عليهم منكر ، ان ينتظروا حتى يدعوا ..

ولن يتحسم الموقف الا عن طريق مجمع للاساتذة ، يتخذ له شعارا من كلمة قالها « الامام مالك » منذ اثني عشر قرنا من الزمان :

« بلغني ان العلماء يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الانبياء »

الأهرام
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٢ / ٤ / ١٩٦٣

قضايا فكرية بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

"بين شقي الرحى"

عشت هذه الايام مع اخوتى الاعزة الاحرار ابطال الجزائر ، وكان الحديث بيننا يدور اكثر مايدور ، حول ماساة الضياع الفكرى الذى يرهق جيلا من شباب العرب ، انقطعت صلته بجذوره الاصيلة، ولم يشأ — ولا كان فى استطاعته لو شاء — ان يستعير جذورا غريبة طارئة

وانه للجيل الذى واعده القدر ، فشهد مشرق البعث ، وعاش المعركة الكبرى التى خاضها الشرق الكبير ، من اجل الحياة الحرة والوجود الكريم ..

ففى الوقت الذى تجاوبت فيه آفاق الوطن الكبير بهتاف الثورة على الرق والهوان ، واختلط هدير الثورة باصداء الاغلال المحطمة والصروح المنهارة للبغى والطغيان ، وتراكمت على الساحة المجيدة اشلاء الشهداء وانقاض الاستعباد، الفى فريق من شبابنا المثقف انفسهم تحت ثقل فراغ روحى رهيب ، يضغطهم بين شقى الرحى : فعقولهم قد تشبعت بالثقافة الغربية ، ووجدانهم قد تسلط عليه غزو فكرى طويل ضار ، حتى ما عادوا يستطيعون ان يجدوا ذواتهم فى هذه الغربة المعنوية ..

وتذاكرنا دور الاستعمار فى هذه المأساة ، وكيف عبأ قواه وجند عملاءه لعزلنا عن اصولنا وبترنا من جذورنا ، فزين للشباب المثقف من جيلنا ، ان الالتفات الى ماضينا رجعية وجمود ، وان الاتصال بمنابع الفكر العربى والحضارة الشرقية تخلف وتاخر ، وشبوا وفى وهم اكثرهم انهم لن يستطيعوا مسايرة الزمن والاستجابة لروح العصر ، مالم ينسلخوا من شرقيتهم وينبذوا عروبتهم ويقبلوا على الفكر الغربى ينهلون من موارده السخية ، ويستمدون منه زاد عقولهم وغذاء وجدانهم ..

واعان التقدم الباهر الذى حققه الغرب الحديث فى مجال الحضارة المادية والكشف العلمى ، على رسوخ هذه الفكرة وبلغت المأساة ذروتها حين صار مفهوم الشرقية مرادفا للتخلف ومفهوم التدين مرادفا للغيبية ، كما صار الذين يهتمون منا بالبحث عن جذورنا ، دعاة رجعية وجمود ، يريدون أن يلووا اعناق شباب هذا الجيل من ابناء العرب ، ليسيروا ووجوههم الى الوراء ، فى عصر غزو الفضاء ..

وتذاكرنا كذلك ، اشخاصا بذواتهم من شباب جيلنا ، ثقلت عليهم وطأة الضياع ، فهم يعيشون غرباء : ان عاشوا فى وطنهم هفت عقولهم الى الغرب الذى سيطر عليهما بجاذبيته الآسرة ، وتسلط على وجدانهم بما قدم اليهم من تموين فنى ، فى مرحلة التأثر والتلقى والتكوين . فاذا ولوا وجوههم شطر الغرب ، مهوى عقولهم ، اعوزتهم هنالك الجذور التى تربطهم بارض غريبة ، لا هم منها ولا هى منهم !

وكنت قد فرغت لتوى من قراءة الكتاب القيم للاديب الشاب ((غالى شكرى)) عن ((سلامة موسى وازمة الضمير العربى)) فادركت — كما لعلى لم ادرك من قبل — ان مأساة الضياع الفكرى لا تقتصر على هؤلاء النفر ممن سرق الاستعمار عقولهم ووجدانهم ، وانما هى مأساة عامة ، يتعرض لها اكثر الشباب العربى المثقف ، من ابناء هذا الجيل ..

ذلك لانهم فى الغالب الاعم ، يحيون حياتهم الفكرية غير متصلة بجذورها

الضاربة فى اعماق الزمن ، فيفقدون اصالتهم فى زهو العصرية .

وفى وهمهم أن اليوم مستقل عن الامس وان دماء التطور لايجوز ان يختلط بصدى يتسلل اليه من ماض ولى وراح ..

عقولهم مشدودة الى الجديد الحاضر، وعيونهم مبهورة باضواء الحضارة المادية المستحدثة ، وهم مع ذلك عاجزون — وان جهلوا عجزهم او تحدوه مكابرين — من التخلص من احتكام الميراث الذى تاصل فى اعماقهم ، وجاذبية الارض التى انبتتهم من ثرى الاباء والاجداد ..

فان لم يبلغ الموقف بهم مبلغ الضياع فاقل ما يوصف به انه محنة تمزق بين العقل والروح ..

تظاهرها محنة اخرى من الانفصال الفكرى والروحى بين الشباب المثقف وبين جمهرة اهله ممن فرضت عليهم الامية بليل ، أو تقطعت الاسباب بنهم وبين الفكر الغربى المحدث . وقد سبقنى السفير الهندى (بانيكار) فعالج هذه الازمة بعمق ووعى ، فى محاضرة له القاها بباريس عام ١٩٦٠ من ((المشكلات الثقافية فى الشرق الاسيوى الافريقى)) وكشف فيها عن تعطل الدور القيادى لشباب الشرق المثقف فى نهضة بلادهم ، اثرا لعزلتهم الفكرية من اهلهم ، وانفصالهم العقلي من جماهير الشعب .

ومن عجب ان تلفنا درامة المأساة ، ودعاة يقظتنا كانوا شديدى الحرص على ان تكون نهضتنا الحديثة حركة بعث يرسخها اساس من ماضينا العريق . وقد تقاسم رواد اليقظة فيما بينهم مناطق الميدان فناضل فريق منهم فى المجال السياسى وتولى آخرون عبء الدعوة الى الثورة الاجتماعية او الفكرية .. فما تخلى احدهم عن اصراره على البحث عن جذورنا فى منطقة جهاده تحت اللواء الموحد وفى الميدان المشترك ..

واذكر — والمجال ضيق — من كلام السيد الرئيس جمال فى ((فلسفة الثورة)):

((... وقصص كفاح الشعوب ليس فيها فجوات يملاها الهباء .. ان كفاح اى شعب ، جيلا بعد جيل ، بناء يرتفع حجرا فوق حجر ، وكما ان كل حجر فى البناء يتخذ من الحجر الذى تحته قاعدة يرتكز عليها ، كذلك الاحداث فى قصص كفاح الشعوب))

ثم استعير من ((فلسفة الثورة)) تشخيصا للماساة التى لا نزال نعانى من آثارها :

« ... ان شعبنا صنع معجزة ، ولقد كان يمكن ان يضيع اى مجتمع تعرض لهذه الظروف التى تعرض لها مجتمعنا ، وكان يمكن ان تجرفه هذه التيارات التى تدفقت علينا ، ولكننا صمدنا للزلزال العنيف ..

« انا انظر احيانا الى اسرة مصرية عادية من الاف الاسر التى تعيش فى العاصمة :

الاب ، مثلا ، فلاح معمم من صميم الريف .

والام سيدة منحدرة من اصل تركى .

وابناء الاسرة فى مدارس على النظام الانجليزى .

وفتياتها فى مدارس على النظام الفرنسى

كل هذا بين روح القرن الثالث عشر ، ومظاهر القرن العشرين .

انظر الى هذا واحس فى اعماقى بفهم للحيرة التى نقاسيها والتخبط الذى يفترسنا . ثم اقول لنفسى : سوف يتبلور هذا المجتمع وسوف يتماسك ، وسوف يكون وحدة متجانسة ، انما ينبغى ان نشد اعصابنا ونتحمل فترة الانتقال »

اجل ، مازلنا نعانى من آثار هذا التخبط وتلك الحيرة فى الصعيد الفكرى ، الذى لم يساير وعينا القومى فى ثوريته ، فشق عليه ان ياخذ دوره القيادى فى مجتمع ينادى (بشعارات) عربية صميمة وشرقية اصيلة .

وما يزال يعانيه ، بصورة اقسى واشد وطأة ، شباب مثقف فى اقطار اخرى من الوطن العربى ..

والسؤال الذى يعرض هو :

الى من تكل الامة العربية هذه الامانة الصعبة ؟ وعلى اى وجه تكون نجاة ابنائنا من ماساة الضياع الفكرى ؟

وذلك ما ارجو ان افرغ للاجابة منه فى مقالى التالى ، اذا وفق الله واعان ..

ولقد توهج معدن اصالتنا فى معركة الحرية التى افتداها فى الجزائر وحدها مليون شهيد ، وبقى أن نعرف السر الاكبر الذى صنع المعجزة فصان وجودنا رغم عوادى المحن ، وعبر بنا ظلمات ليلنا المدلهم الذى طال .. ولا يزال هو الذى يحمى بقاءنا ويشد اعصابنا فى مرحلة الانتقال ..

ومن ماضى تاريخنا ، لامن شيء آخر يمكن ان نهتدى الى ذلك السر ونجلوه ننتقذ الشباب العربى المثقف من ضغطته الباهظة بين شقى الرحى ..

ففى مرحلة ثورية ، كالتى نجتازها يجب ان يتامل الوعى الثورى بمدى حاجتنا الى الكشف عن ذلك السر الذى اضطلع بمعجزة حماية وجودنا فلم تغب بلادنا عن مسرح الاحداث على مسار الزمن الطويل ، وصنع معجزة البعث دون ان تمسخ شخصيتنا أو تذوب فى غاصب او دخيل ، وانه لقادر على تحرير شبابنا من براثن الضياع الفكرى فى مهب الرياح الدخيلة والتيارات الطارئة

وما اراني بعد فى حاجة الى ان اوكد للقرائى انى لست من الامسيين . الذين يستهويهم ان يعيشوا فى الماضى مشغولين به عن حاضر ومستقبل ، ولا انا ممن يطيقون او يتصورون انكار حتمية التطور واذا سمعوا دعاء العصر لووا رؤوسهم ووضعوا اصابعهم فى آذانهم وصدوا معرضين .

كلا ....

وانما التفت الى الماضى رانية دائما الى المستقبل ، متشبثة بفكرة ادين بها ورأى اعتقده عن ايمان لاعن سذاجة او استهواء : وهو ان وعينا لذاتنا يقتضى حتما ان نرتبط باصيل جذورنا ، لا حبا فى نبش التربة بحثا عن جذور غائرة فى الاعماق ، ولكن لكى نعرف حقيقتنا ونميز معدن اصالتنا ونهتدى الى جوهر شخصيتنا وسر وجودنا ..

التاريخ : ١٩ / ٤ / ١٩٦٣

قضايا فكرية

على الوطن الكبير يخفق اللواء الموحد فى افقه العالى ، عربى المنبت واللون والروح ، قد ارتكزت قاعدته على اعمق ما فى وجودنا من اصالة ، واعرق ما فى تاريخنا من جذور

وفى ظل هذا اللواء ، اتابع الحديث عن وجودنا الفكرى ، رجاء ان يساير وعينا القومى فى ثورته ، ويأتلف معه لونا وصبغة ، ومزاجا وروحا ..

اتابع تشخيص ماساة الضياع الفكرى الذى يضغط شبابنا بين شقى الرحى ، ويرهقهم بمكابدة الصراع بين تيارات فكرية اجنبية غريبة ، وبين جاذبية الارض العريقة التى انبتتهم ، والهتافات العربية التى تضج بها دنياهم .

والحديث اليوم عن الاسباب القريبة المباشرة للماساة

صناديق الدمى ومقابر الأنبياء

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



محمد حسين هيكل



سلامة موسى

اما اسبابها البعيدة فقد مضى القول فيها ، بما شهدته دنيانا من حرص الاستعمار على ان يبترنا من جذورنا لكى نتوه عن انفسنا فى مهب الريح الغريبة ، ونتنفس عقليا ووجدانيا فى جو مشبع بسموم الغزو الفكرى الدخيل ..

واحتاج لكى اجلو الموقف تماما ، الى ان استرجع صدى من الاصوات التى رجت دنيانا وزلزلت الارض تحت اقدامنا نحن ابناء هذا الجيل الذى لم يدرك فجر اليقظة ولم يعاصر رواد البعث ، وانما عاصر الرعيل الذى جاء من بعدهم ، زمن بين افراده من استطال فترة الانفصال ونبذا له عقم المحاولة التى لاذ بها الرواد الاولون ، حين التمسوا لنهضتنا المرجوة جذورا من ماضينا العتيق .

وجلجلت الاصوات فى الافق ، داعية الى التحرر مما سمته عتيقنا البالى ، ومبشرة بارض جديدة لاتمت اليه بادنى صلة .

واصغت آذاننا ونحن فى مطلع الصبا الباكر ، الى اصوات المعاول تنقض فى قسوة واصرار ، على الاسس التى ارساها فوق ارضنا ، اولئك الذين تولوا عبء ايقاظ الشرق فى داجى الظلمة ، وسهروا على مضاجع قومنا يهزونها بدعاء الفجر ، ويخايلونها برؤى مثيرة ، عن ماض لنا عزيز ومجيد ، طوته المحن فى غيابة العصور الوسطى الاسلامية .

اصغت آذاننا مثلا ، الى صوت **اسماعيل مظهر** يقول فى مقالات مهداة الى «الاستاذ وصديقه ، **يعقوب صروف فى عالم الارواح**» :

«لقد وطئت اقدام الجيش الفرنسوى ارض مصر وتركتها ، واهل مصر فى فجوة **من كهف الزمان ، بل فى اعمق فجواته** : ماتحركت فيهم شاعرية ، ولا انفجرت فيهم انفعال ، ولا اهتزت لهم مشاعر لايعوزنا لاثبات هذه النظرية من دليل .. »

وتشتد ضربات المعول ، على «**السيد جمال الدين الافغاني**» الذى ميزه من غيره من زعماء المتدينين ، «انه اراد ان يتخذ من **قوة الدين** سبيلا للتاثر السياسى والدعوة السياسية القائمة حول فكرة

استقلال الشعوب الاسلامية ، واعداد العدة **لمقاومة النفوذ الاوربى فى الشرق** الاسلامى (!) وقد تعلم السيد جمال الدين منتحيا الاساليب العلمية **العتيقة** التى عكف عليها العرب منذ القرون الوسطى ، **فهو بذلك صورة مصغرة او مكبرة لعصر من العصور البائدة فى تاريخ الفكر الانسانى** . وهو بنزعته السياسية اشبه الاشياء فى عصره **بالهياكل الحفرية** التى تعيش بيننا بجثمانها ، وان رجعت بتاريخها **الى ابعد العصور ايغالا فى احتشاء الزمان** »

ثم يمضى المعول نافذا بضرباته الحادة الى اعماق وجودنا ممثلا فى جمال الدين الذى اعتبره اسماعيل مظهر : «**وريث العرب بحق فى علومهم وفلسفتهم** . وقف من الرقى الفكرى حيث وقفوا عند النظر الغيبى ، فكان فى كل **ماديجته يراعته او تحرك به لسانه** ، مثالا حيا لما اختلط من مباحث آبائه فى كتب اختلط فيها العلم بالفن ، ليخرج من مجموعها فلسفة هى عنوان على مابلغ الفكر الانسانى من تهوش وانحلال فى القرون الوسطى ..

فاذا نظرت فيما ابرز العرب **من صور الفكر ، من علم او ادب او فلسفة او فن** ، وجدت ان فيها من آثار **التخلخل والتشعب** ، ماهو جدير بان يبرز فى عصر عكف فيه الفكر على طريقة الشك الغيبى لم يعدها الى طريقة التحليل والنقد . ذاعت بينهم مذاهب فلسفية نقلها المترجمون **وجلهم من النساطرة واليهود ووثنيى حران** عن اليونانية ، ولكنك لاتجد عندهم مدارس فلسفية ينسب اليهم ابتكارها .. »

وكل المدارس الفلسفية للعرب ، عند اسماعيل مظهر : **مذاهب لاهوتية استعانت** بالفلسفة وببعض ضروبها دون بعض . **وكل مؤلفاتهم** ، حتى العلمية منها ، وسمت بطابع عقليتهم : «**هذه العقلية بذاتها هى التى ورثها السيد جمال الدين الافغانى ووقفت عند الاسلوب الغيبى ، وتنكبت كل طريق كان من الممكن ان يسلم الى الاسلوب اليقينى** . »

ومع صوت «اسماعيل مظهر» دوى صوت « **سلامة موسى** » الذى لم ير فى ماضينا العربى كله خيرا قط ، ولا وجد فى تاريخ الحضارة الاسلامية بذرة تصلح للبقاء . بل انه حين نشر كتابه المشهور «**هؤلاء علمونى**» لم يسمح **لاى مفكر عربى** ان ياخذ مكانا ولو فى ذيل الموكب الجليل لاساتذته : تولستوى وماركس وبافلوف ودستويفسكى ، وبرناردشو واليوت سميث وواطسن ، وفرويد وادلر ويونج وهافلوك اليس ، وما لا احصى من اسماء اجنبية ، **ليس فيها اسم عربى واحد !**

وكنا نصغى الى كل هذا فى مطلع صبانا ، ومنا من نشأ ، مثلى ، فى بيئة دينية محافظة ، وصلته بامجاد الحضارة الاسلامية وروائع التراث الفكرى والادبى للعرب ، ووعى من آيات القرآن الكريم أقيما انسانية ومثلا عليا ، لاتطمح البشرية الى اعز منها ، وحفظ كلمات كبارا لائمة سلفوا ، قررت عزة الانسان وشرف العلم وحرية الفكر ومسئولية العالم وامانة الكلمة ..

ومنا من لم يتح له شىء من ذلك قط ، اثرا لنشأته فى بيت تركى الطابع ، او بيئة متفرنجة مزهوة بعصريتها ، مفتونة بجديدها المحدث ..

وتمزقنا طرائق قددا !

وكان من الممكن ان يتبع لنا وعينا القومى ، هضم الثقافات الغربية **دون اتخاذها اصلا ننسى فيه اصلنا !**

كان من الممكن ان نغذى وجودنا الفكرى بكل جديد الغرب ، دون ان نفقد اصالتنا **ونتوه عن ذاتنا !**

كان من الممكن ان نسعى الى بناء عالمنا الجديد **فوق ارضنا** ، لكن الذى حدث فعلا هو ان الكثرة من اصحاب القديم **جمدت على قديمها فى رجعية كافرة بالتطور** ، ففقدت كل صلة لها بالعصر والحياة . كما ان الكثرة من اصحاب الجديد **فتنت بمحدثها وفقدت كل اتصال بقديمنا** ، نعز على القلة التى احتفظت برشدها واتزانها بين التيارين المتضادين ، ان تحمى جمهرة الشباب العربى من مأساة الحيرة والتمزق .

ومن شاء ان يدرك الى اى مدى بلغت المأساة ، فليقرأ كتاب الاديب « **غالى شكرى** » عن « سلامة موسى وازمة الضمير العربى » نموذجا حيا لتفكير شباب وصلتهم بسلامة موسى **ابوة فكرية وروحية** ، وتأثروا بالاصوات التى علت فى الافق داعية الى نبذ قديمنا كله ، ومبشرة بارض جديدة لاجذور لنا فيها ..

ان دعوات الاصلاح الاجتماعى والتفكير العلمى وكل ما هو من التطور والتقدم بسبب ، تبدأ عند امثال هؤلاء الشباب بسلامة موسى ، وهو قد تلقاها من الغرب مباشرة ، حيث سافر الى اوربا وهو فى **الثامنة عشرة** من عمره ، فوجد **طريق الخلاص** ، وعاش فترة التلمذة بعيدا عن « **الهياكل الحفرية فى اعمق فجوة من كهف الزمان** » كنص عبارة اسماعيل مظهر !

فأى عجب فى ان يكفر الاديب الشاب بكل ما لنا من تراث فكرى وميراث روحى والا يفرق بين الاديان ورجال الدين « لان الدين غالبا ، يتمثل فى كهنة الذين يعنيهم فى الكثير ان يتجمد الوضع القائم فى **قوالب حديدية** ، اسموها : **تعاليم السماء** ، **ونواميس الله** ، وغيرها من الاسماء الكهنوتية .

« لماذا جاء كتاب دينى ليصور ذلك المجتمع البعيد ، وجب ان ندرسه من **الزاوية التاريخية** ، لا ان نطبق تلك القيم بصورة آلية على حياتنا الحديثة وكاننا نقوم بعملية انتحارية نهدف منها ان **نزج بقوام مجتمعنا الكبير داخل صناديق حديدية صغيرة لاتتسع الا للدمى (!!) فما كان** يتسع لطفولة الجنس البشرى ، لاريب ان يضيق عليه فى شبابه » — ص ٢١٠

ثم يتناول الاديب الشاب معوله ، فيهوى به على الكتاب الذين لم يبشروا مع سلامة موسى بالارض الجديدة : « فقد تمكنت القوى الرجعية من اجتذاب اكثرهم والانحراف بهم الى طريق مصالحها » . وغد من هؤلاء « **محمد حسين هيكل** » اذ **يدع جان جاك روسو جانبا** ، ويهرول **الى التاريخ الاسلامى** ، **يجتر منه افكارا بالية** » ص ٢٠

« وزكى نجيب محمود فى (الشرق الفنان) يتبنى اكثر النظريات رجعية فى الفكر الاوروبى ، حين يقسم العالم الى شرق وغرب : الشرق محراب الروح والغرب محراب المادة ، لالشىء الا لان الطبيعة ارادت للشرق ان يظل شرقا ، وللغرب ان يظل غربا (!!) **ان يفوز الشرق الى الابد بمركزه الاستراتيجى فى مقابر الانبياء !** وان يفوز الغرب الى الابد بناصية العلم والتقدم . اى اننا يجب ان **نتشح بالسواد** فقد كتب علينا التخلف ، **فى لوح القدر الذى تخطه انامل الدكتور زكى نجيب محمود** ، **التى فقدت الحياة فيما يبدو** » ص ١٤٣

ولا الوم الاديب الشاب ، بل اؤكد له انى قرأت كتابه كله ، وملء نفسى شعور بالعطف والفهم والتأثر . وما نقلت الذى نقلته منه ، الا لكى يرى قادة الفكر فينا صورة صادقة وامينة ، لمأساة الضياع الفكرى الذى شد عقول شباب منا الى محدث الغرب ، دون ان يبقى لهم على شىء يربطهم بجذورهم فى الارض التى عرفها التاريخ زمانا صانعة للحضارة والتى مسخت فى ضمير هؤلاء الشبان ووعيهم ، فلم يعودوا يرون فيها الا الصناديق الحديدية للدمى ، ومتحف الهياكل الحفرية ومقابر الانبياء ..

وانى لارجو ان نلتقى هنا مرة اخرى لعلنا نلتمس وسيلة ترد على الشباب ايمانهم بهذا الشرق العريق !

التاريخ : ٢٦ / ٤ / ١٩٦٣

دفاع عن العاطفة

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

أمسكت قلمي طويلا ، عن هذه الكلمة التى اكتبها اليوم دفاعا عن العاطفة !

بعد كل الذى قيل وكتب ، تحـذيرا من خطر الانقياد اليها والانفعال بهـا ، حين كنا نقرر مصيرا يجب — فيما يقال — أن يحتكم فيه العقل وحده !

وما كان ليخطر ببال احد ، ان تعلن وثيقـة الوحدة قبل دراسة رشيدة واعية،ومن ثم لم أفهم وجها للالحاح فى طلب ((وحدة مدروسة)) غير متـاثرة بعاطفة الجماهير ...

لكن هون على ، ما أعلمه علم اليقين من أن هـذه العاطفـة تفرض وجودها ، مهمـا يحاول المحاولون تنحيتها عن وجودنا !

فهذا الحدث الجليل الباهر ، الذى هز الدنيا باعلان الوحدة ، لم يكن فى حقيقة الامر ايذانا بمولد امة ، استقل العقل وحده بتدبيره ، وانما كان تـجيلا لواقع مشهود مقرر ، لم يعد فى استطاعة احد ان يتجاهله .

واقع املته على التاريخ المعاصر ، ارادة شعب عربى لم يعترف قط بان الذى بين ابنائه يمكن ان ينفصل او ينقطع .

وقد شهدت دنيانا فيما مضى ، محاولات شتى يائسـة ، اقامت بيننـا الحـدود والسدود ، وبنت الحـواجز والموانع وبقينا على البعـد نلتقى قلبـا وروحا وعاطفة !

وسهر وجداننا المشترك على هـذه الوحدة يحميها ويصونها ويحققها ، عبر الحواجز والسدود !

حتى بلغ المد الثورى اقصى مـداه ، فاندفعت جماهير الشعب العربى بعاطفتها المغالبة القاهرة ، تـكتسـح كل الموانع وتفرض ارادتها على التاريخ .

وما كان قادتنا الذين سجلوا وثيقـة الوحدة ، الا معبرين عن وجدان الشعب ومستجيبين لارادته !

ومن اجل هذا تريثت ، فلم ادافع عن العاطفة تجاه الذين هونوا من شأنهـا وطالبوا باسقاطها من الحساب ، الى ان تم تسجيل وحدتنا ، فجئت اقول الكلمة التى كانت فى نفسى !

وليقل من شاء ، ان حواء تدافع عن العاطفة ، فلست اكره هذا ولا ابرأ منه لانى ان فعلت ، جحدت فطرتى وجحدت مكان الفن فى الحياة ...

وانكرت تاريخ الانسـانية الطويل ، الذى كتبته عاطفة البشر قبل ان تكتبه عقولهم !

وهل يظل البشر بشرا ، اذا تجردوا من عواطفهم وخضعوا لسيطرة العقـل وحده ؟

ولنفرض انهم حاولوا ذلك او ارادوه ، فهل هو ممكن فى حساب الطبيعة ، جائز فى قانون الحياة والفطرة ؟

اللهـم انى لادرك ان العلمـاء فى صوامعهم ومعاملهم ، لا يتجردون لحظة من عاطفة !

التاريخ : ٢٦ / ٤ / ١٩٦٣

وادرى ان **غزاة الفضاء** ، يحلقون فى أفاقهم العالية بوجدان يقظ وعواطف مستثارة ..

واقدر خطر التسئة الوجدانية التى يتولاها الفن فى الدول ذات المجد العلمى ،

ولا علم لى اطلاقا ، **ببطل من ابطال التاريخ** ، خاض معركته **بقلب مغلق وعواطف صماء !**

ولا قرات فيما قرات ، **قصة ثورة** تولى العقل **قيادتها بمنأى عن العاطفة !**

وكلما استرجعت فى بالى احداث التاريخ الكبرى ، شق على ، ان اجد بينها أى حادث ، أهدرت **فيه العاطفة** ، وأعيانى أن أتصور امكان وجودنا بغير عاطفة ، وقيام حياتنا بغير فن يغذى وجداننا ويرضى مشاعرنا !

واقول مع هذا : ليس من الحق ان أزعم لجنسى **وحده** حق الدفاع عن العاطفة ، فاظلم أصحاب الفنون ، وكل ذوى القلوب الكبيرة والوجدان الحى والحس المرهف !

وفى بريدى ، هذا الاسبوع ، قصائد لثلاثة شعراء : اولاها نظمها الشاعر الشيخ **« صقر بن سلطان القاسمى : حاكم الشارقة ، على بساحل الخليج »** رثاء لفقيد العرب وبطل المغرب ، **الامير عبدالكريم الخطابى ..**

وقد تماحت المسافات والحدود فى وجدان الشاعر ، فهزه المصاب فى فقيد **تفصله عنه ابعاد شاسعة** ، واصغى الى قلبه يبكى **اخا بطلا** وهب حياته لتحرير أمته ..

ومن ساحل الخليج ، جاء صوت الشاعر ، يطلب ان نردد على **مثوى الفقيد** نشيد الوحدة ، وان تكون تحيتنا اليه فى مرقده ، القسم العظيم بالسعى لتحقيق حلمه الكبير فى جمع شمل العرب :

سفر مجد ينير عبر الصحارى ويعيد الامجاد من عهد خالد
بطل الريف يا نشيد البطولات وسيفا للبغى والجور حاصد
علم الريف والعروبة والاسلام والنصر والعدو الحاقد
واوروبا بجمعها ، بالصليبيين ، باقوى استعمارها والمكايد
انك الفارس المجلى اذا الروع تجلى وهابه كل ماجد
مد بجثمانك الطهور الى الريف لكيما يضمه ضم والد
ان فيه شوقا اليه فدعه ، يلثم العطر من رفات العائد
وينير السبيل للنشء منه ويصوغ الجهاد اغلى قلائد
بحياتى يا واهب المغرب النصر ومنى من راحتيه الفراقد
لا وحق الاخا ، سواك الذى يرثى وتبكيه بالدماء القصائد
ليس للشعر فى رثائك باع ، ما الذى قد يقوله فيك واجد ؟
مد الى الريف حيث صلت اباء بالمجلين من بنيك الاماجد
وصبغت الاديم بالاحمر القانى وارهبت كل خصم معاند
عدت والارض حرة يمخر الجو بعلياك سابح بك صاعد
فانس ما قد حملته من عناء وانس ما قد كبدته من شدائد
يا بنى المغرب الحبيب وانا رغم بعد الحدود كف وساعد
جمعتنا الآلام والدين والدم والضاد واتحاد العقائد
فاتركوه لا تنبشوا الجرح فيه رب جرح ادماه باك وعائد
واندبوه اذا اردتم رضاه باناشيد وحدة وقصائد
اقسموا عند قبره ان تردوا وحدة العرب انه خير شاهد

والقصيدة الثانية ، من الشاعر الحجازى : السيد **«عدنان اسعد»** يشارك بها ، ملء عواطفه ومشاعره ، فى افراح الوحدة !

التاريخ : ٢٦ / ٤ / ١٩٦٣

قصائد من الخليج والحجاز والصعيد



الشيخ صقر بن سلطان القاسمي

رغم الاوضاع السياسية التى باعدت بيننا وبين الارض المباركة . مهد النبى العربى ، ومبعث الاسلام الذى اظلنا جميعا بلوائه الاغر الميمون !

فى هذه القصيدة ، يقول الشاعر الحجازى منشدا :

صفقى يا امتى او فاشهدى
مولد النور يحيى مولدى
مولد الشعب الابى الامجد
مصر والشام وبغداد ، غدى
كلنا يوم الفدا فى الموعد
نفتدى بالروح ارض الموعد

يا اخى هذى يدى ، انت يدى
انت عونى ، انت ذخرى للغد
كل ارض فى بلادى مولدى
كل شبر من ثراها مرقدى

والقصيدة الثالثة من الصعيد ، مطولة رائعة « من وحى الوحدة » للشاعر الاستاذ « احمد ابو بكر ابراهيم » ببنى سويف ، يوقع فيهاعلى وتر العاطفة المشتركة التى تجمع ابناء الشعب العربى على اختلاف اقطاره ، ويعبر عن المشاركة الوحدانية التى تتحدىٰ كل حاجز بيننا !

وابيات القصيدة ستة وستون بيتا، يضيق المجال عن استيعابها كلها ، ومن ثم اضطر كارهة الى الاكتفاء بمطلعها

لمن الصوت هادرا من بعيد
من ربا الشام ، من مغانى الرشيد
يتخطى حواجز البحر والبر
ويطوى للنيل زيف الحدود
امة تلتقى على الامل الرحب
وتلقى الزمام لابن الصعيد !
جمعتنا الدماء وهى طهور
ونمتنا لكابر فى الجدود

وحسبى ما نقلت من قصائد لشاعر الخليج ، وشاعر الحجاز ، وشاعر الصعيد ، دفاعا عن العاطفة التى خيل لبعضنا ان وجودنا يمكن ان يستغنى عنها ، او ان امورنا يمكن ان تدبر وتساس ، دون ان تحسب لعاطفة الجماهير كل حساب ...

التاريخ : ٣ / ٥ / ١٩٦٣

من ذكريات عيدنا

"لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا"
قرآن كريم (من سورة الفتح)

الرؤيا الصادقة !

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

اليوم يتم الزمن الفا وثلاثمائة وستة وسبعين عاما قمريا ، منذ شهد التاريخ محمدا صلى الله عليه وسلم على مشارف مكة ، في الف وبضع مئات من صحابه سعوا من دار الهجرة الى المسجد الحرام «صدتهم عنه الوثنية الباغية» ماخوذة بحمية الجاهلية !

كان قد مضى على هجرتهم من مكة ست سنين ، بعيدا من الحمى ، تهفو قلوبهم الى البلد العتيق ، وتطوف ارواحهم بالكعبة ، حيث تلقى «ابراهيم» امر ربه من قديم الحقب والادهار :

« واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق »

ست سنوات حافلة بجليل الاحداث شهدت نصر القلة المؤمنة على الكثرة الباغية

التاريخ : ٣ / ٥ / ١٩٦٣

فى «بدر» وشهدت بعدها يوم « أحد » ويوم «الخندق» وأياماًاخريات» واستؤصلت الجرثومة الخبيثة لليهود من بنى النضير وبنى قريظة ، وتطهر جو هذه المنطقة العربية من انفاسهم السامة !

لكن شيئا من هذا كله ، على خطره وجلاله ، لم ينس المسلمين «مكة» :

مهوى افئدتهم وارواحهم

ومثابة حجهم وحج ابائهم واجدادهم ..

ومبعث النور الذى انبثق فى داجى الظلمة ، يؤذنا بفجر جديد ..

ومهد النبى المصطفى ، المبعوث بآخر رسالات السماء ..

وانهم ليستقبلونها فى صلاتهم ، بقلوبهم ووجوههم ، حين يصبحون وحين يمسون وفى الظهيرة والعشى ..

قبلة واحدة ، لايعرفون قبلة سواها ..

وكعبة واحدة ، اليها الحج وعندها الملتقى ..

واله واحد ، لايعبدون ربا سواه ..

وفى الطريق الى مكة ، ذاع النبأ ان قريشا لن تدع الرسول وصحبه يدخلونها.

ويبلغ النبأ سمعه الكريم ، فيشق عليه عناد قومه وكفرهم ، ويعز عليه عنتهم وهم الاهل والعشيرة، فيقول عليه الصلاة والسلام :

« ياويح قريش ، قد اكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين العرب ، فان هم اصابونى كان ذلك الذى ارادوا وان اظهرنى الله عليهم دخلوا الاسلام وافرين .. فما تظن قريش ؟ فو الله لاازال اجاهدهم على الذى بعثنى الله به او تنفرد هذه السالفة ! »

واشار الى صفحة عنقه .

واستأنف الركب المؤمن طريقه حتى بلغ مهبط «الحديبية» من اسفل مكة، فاناخوا رواحلهم هناك، ينتظرون مايأتى به الغد..

ومع الغد ، جاء المنذرون من قريش واحدا بعد الاخر ، يؤكدون ان قريشا مصممون على القتال ، ليصدوا محمدا واصحابه عن مكة والبيت العتيق .

ويقول النبى مؤكدا :

«انا لم نات لقتال احد ، ولكنا جئنا معتمرين »

وترتفع أصوات المسلمين بالتلبية :

لبيك اللهم لبيك !

لاشريك لك لبيك !

فتخشع الدنيا ، وترتج الارض تحت اقدام من جاءوا من قريش ، ويعودون وقد اخذهم جلال المشهد فيقول قائل منهم :

ــلايحل لكم أن تصدوا هؤلاء عن بيت الله .

ويعقب آخر :

ــاى قوم ، لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشى ، فو الله ما رايت ملكا قط يعظمه أصحابه كما يعظم اصحاب محمد محمدا ... اذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، واذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم، وما يحدون النظر اليه تعظيما له !

وطال الاخذ والرد ..

والمسلمون عند الحديبية ، ينتظرون فى لهفة ، ان يأذن لهم الرسول فيدخلوا مكة . وما يساورهم ادنى ريب فى أنهم المنتصرون ، لو بدا لقريش أن تقاتلهم وتصدهم عن المسجد الحرام !

ولكن كيف يكون قتال ، فى البيت الحرام والشهر الحرام ؟

وماذا يكون من امر الذين يقيمون بمكة ، **من مسلمين ومسلمات ، آمنوا بمحمد وصدقوا برسالته ، ثم حبسوا هنالك فلم** يتح لكثير منهم ان يعلن اسلامه ، خشية

ان يفتن فى دينه !

او يأمن الرسول ، ان نشب قتال ، ان تصيب سهام المسلمين مقتلا من اخوانهم واخواتهم فى الدين ؟

ثم .. ألم يكف ما اكلت الحرب من هذا الحى من العرب ، طوال سنوات ست ؛ التت فيها قريش فلذات اكبادها وقودا للنار، فى معركة خاسرة ؟

كلا .. ان محمدا، عليه الصلاة والسلام لم يأت لقتال ، ولن تستطيع قريش بحميتها الجاهلية ان تجره الى معركة لايريدها ..

وان قلبه الكبير ، لمع بمؤمنين ومؤمنات بمكة، لا يعلمهم ! ويأبى الله ان يكون قتال، يصيب هؤلاء ، فتصيب حزب الله منه معرة !

فليس كل من بمكة آثما قلبه ..

وليسوا جميعا من الضالين المشركين ..

بل ان الامل لم يتخل عن النبى لحظة ، أن تثوب قريش الى رشدها وتؤمن بدين الحق ..

وفى منتدى قريش بالحرم ، كان زعماؤها يتدبرون الامر وقد أرهقتهم حيرة ما بعدها حيرة ..

فقريش تعلم علم اليقين ، أن لو كان قتال ، لانتصر محمد فى القلة العزلاء من صحابته المؤمنين !

وما نسيت قريش يوم ((بدر))

ولا نسيت يوم ((الخندق)) حيث غلبت القلة المؤمنة الاحزاب محتشدة متكاثرة ..

ثم ان قريشا لم تكن بحيث تجهل ان من بين اهل مكة من يضمرون الاسلام ، فلو قد نشب قتال لنصروا نبيهم وانضووا تحت لوائه مستبسلين !

وقد بلت أمثال هؤلاء ، وعرفت كيف يجدون الموت فى سبيل دينهم ، مجدا وانتصارا !

وما انذرت قريش محمدا بالقتال ، الا وهى تطمع فى ان يحدث الانذار اثره ، فينصرف عائدا الى المدينة ، رعاية لحرمة البلد الحرام !

لكن ظنها قد خاب ، وهذا هو مقيم بالحديبية يؤرق ليل قريش سهدا ، ويملا نهارها حيرة وقلقا ..

وان هتافه وهتاف من معه .

لبيك اللهم لبيك !

ليسرى ملء الفضاء العريض فتصغى اليه افئدة مشوقة الى الايمان ، وتنخلع قلوب اخرى قاسية ، من فرط الخوف والذعر ..

وبين الحديبية ومكة يسعى الساعون فى مفاوضات الصلح ..

وكان حسب قريش ان تظفر بهدنة بعد ان هدتها الحرب، وتدظنت انها انتصرت حين رضى محمد — صلى الله عليه وسلم — شرطا من شروط الصلح ، يقضى بأن ينصرف عامه هذا فلا يدخل مكة ، على ان يعود فى العام التالى بمن شاء من صحابته، فيدخلوها حجاجا ، ويقيموا بها ثلاثة ايام لا تزيد ، يكون المشركون اثناءها خارج مكة ..

وما دروا انهم قد باءوا بالاثم الكبير حين صدوا المؤمنين عن البيت الحرام ..

وانصرف الرسول عائدا الى دار الهجرة

وبين صحابته ، من شق عليه هذا المنصرف ، ورأى فى بعض شروط ((صلح الحديبية)) اجحافا بحزب الله المنتصر..

وغابت عنهم الحكمة فى عقد مثل ذلك الصلح ، حتى تلا نبيهم صلى الله عليه وسلم مما تلقى من آيات ربه فى طريقه من الحديبية :

((وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم ، وكان الله بما تعملون بصيرا . هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله ، ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ، ليدخل الله فى رحمته من يشاء ، لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما . اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ، فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها واهلها ..))

ومع هذه الايات الكريمة نزل الوعد الحق بالنصر الاكبر والفتح المبين :

((لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيدا .))

وصدق وعد الله .

فتحت مكة بعد اقل من عامين اثنين من صلح الحديبية .

ودخل المسلمون المسجد الحرام آمنين لايخافون ..

وخشع التاريخ ، وهو يرقب ذلك الذى خرج من مكة مهاجرا قبل ثمانى سنين، أعزل الا من ايمانه ، تطارده الوثنية العاتية، وقد جن جنونها ، يقف يوم الفتح — وهو فى ذروة مجده وانتصاره — على باب الكعبة المطهرة من رجس الاوثان ، فيهتف بملء الخشوع والتواضع :

((لا اله الا الله وحده !

((لا شريك له ..

((صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده ...))

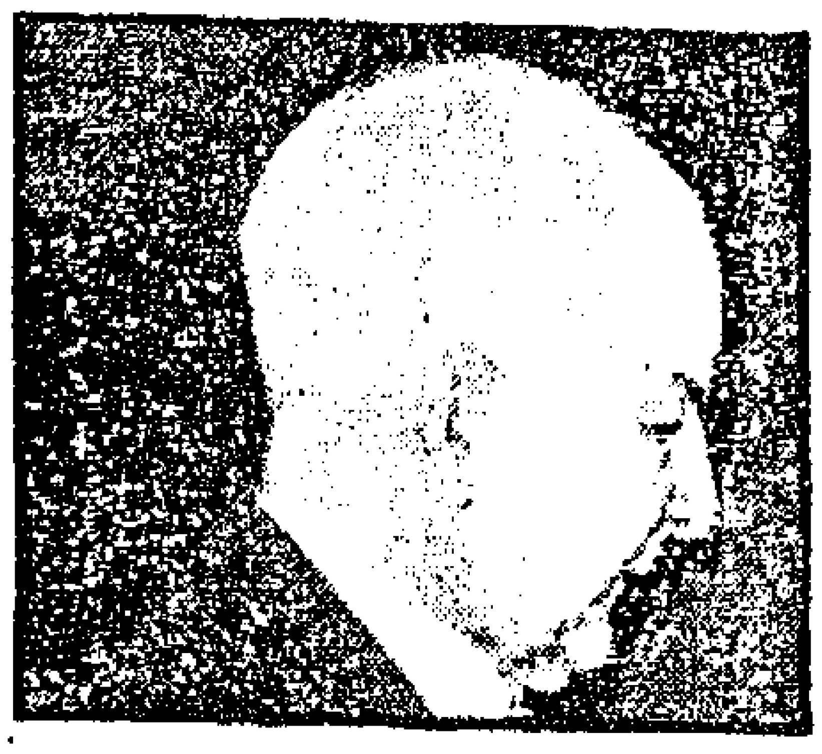
وبقى الهتاف يتردد ملء سمع الزمان ، على مر القرون وتتابع الاجيال !

هتاف عبد ، ونشيد ايمان !

التاريخ : ١٠ / ٥ / ١٩٦٣

مأساة الضياع الفكري

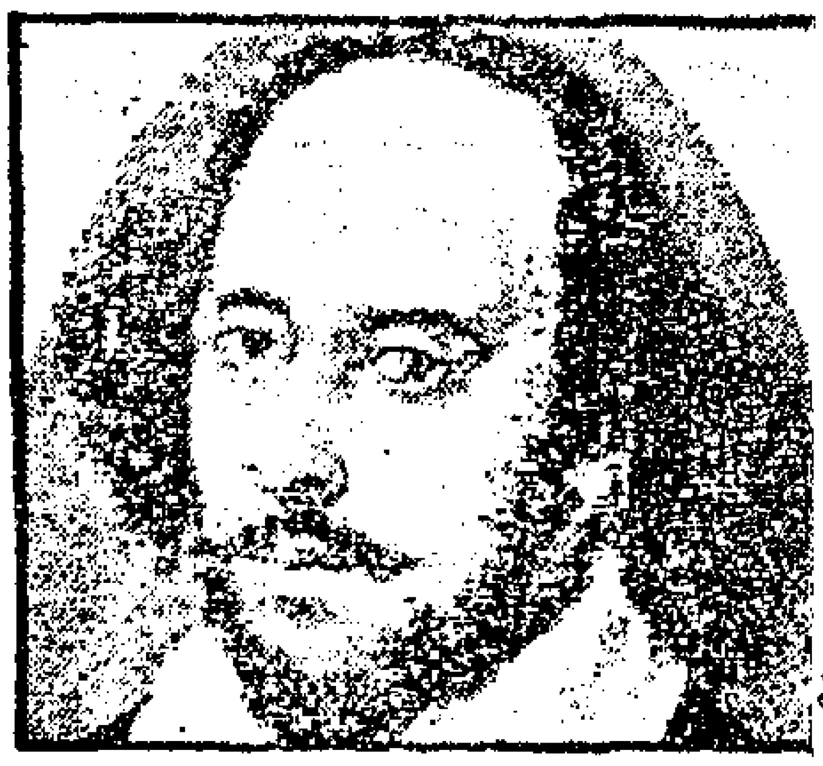
بين قصر الدوبارة وكلية الآداب!



كريزويل



الافغاني



شكسبير

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

اكثر الذين كتبوا الى ، معلقين او معقبين على ما كتبت هنا فى «مأساة الضياع الفكرى» لشباب هذا الجيل ، تساءلوا عما اذا كنت فى شعورى بالمأساة وفكرتى عنها ورأيى فيها ، متأثرة ببنوتى لاب شيخ ، ونشأتى فى بيت دين محافظ ؟

وفاتهم ان يلحظوا ان كثيرا من ابناء جيلى ، كانت لهم مثل هذه النشأة ، وقد تربوا فى حجور آباء من رجال الدين ثم اعشى سحر الغرب ابصارهم فكانوا من اشد الناس عقوقا لقديمهم ، وتنكرا لبيئتهم ، وانسلاخا من شرقيتهم !

التاريخ : ١٠ / ٥ / ١٩٦٣

واكشف اليوم عن لغز طالما حيرني وانا فى مستهل حياتى الجامعية ..

كنت حينذاك حديثة عهد بالخروج من بيئتى العربية الخالصة ، وكانت الجامعة تبدو لى من بعيد ، تحف بها هالة من العظمة والجلال ، وقد شاقنى الذى سمعت عن مناهج فيها حديثة ، لا عهد لى بمثلها وانا اتلقى دروس العربية والاسلام على والدى وزملائه من مشايخ الازهر . وقد طالعت خلسة بعض المجلات التى كانت محرمة فى عرف بيئتى كمجلة المقتطف ، واعترف بانى بدات استريب فى قيمة تلك البضاعة الفكرية التى تزودت بها وخامرنى بعض شك فيما لقومى من رصيد فى تراث المعرفة الانسانية ..

وكان المناخ الفكرى الذى تعيش فيه العاصمة يضج بالحديث عن عبث الاشتغال بالدرس الادبى ، ويرثى لمن يخونهم الحظ او تقسو عليهم الظروف فتوصد فى وجوههم ابواب الكليات العلمية ، ولست انسى ما تعرضت له من ضغط هنا كى اعدل من التحضير لامتحان البكالوريا لقسم ادبى ، وما اجهدنى من الحاح الناصحين بأن اختار القسم العلمى ، وكأنما كان لى فى الامر حيلة او خيار ..

ثم كانت المفاجاة التى لم تخطر لى قط على بال ..

فما كدت امضى فى دراستى بكلية الاداب عاما وبعض عام ، حتى تناهى الى سمعى صدى صراع حاد بين الدول الاستعمارية ، حول كراسى الاستاذية ورياسة الاقسام فى هذه الكلية ، وعجبت ايما عجب ، حين بلغنى احتفال ((قصر الدوبارة)) بالنصر الذى حققه ، حين عين ((الكابتن كريزويل)) رئيسا لقسم الاثار الاسلامية .

وكانت فرنسا تطمح الى ان يشغل احد ابنائها هذا المنصب الخطير ، الى جانب زميله رئيس قسم اللغة الفرنسية !

واذكر اننى سألت ((الدكتور شاخت)) يوما — وكان يدرس لنا فقة اللغة العربية واللغات السامية :

... يتوقع ان نصبح ونمسى ، فاذا شيوخنا الذين يدرسون لنا القرآن والحديث وتاريخ الاسلام ، قد استبدل بهم (الخواجات)) من الغرب ؟

فاجاب بلهجة من لم يفته ما فى سؤالى من سخرية :

— ولم لا ايتها التلميذة النجيبة ، واستاذك فى التاريخ الاسلامى قد تلقى علم هذا التاريخ على أحد هؤلاء الخواجات! وآخرون غيره من ابناء الازهر ، قد تلقوا دراستهم العليا للشريعة والفلسفة الاسلامية من اساتذة مسيحيين اجانب ، ونالوا درجات الدكتوراه من جامعات غربية !

وزادنى قوله — وكان حقا — تنبها الى ما يدور حولنا من صراع ، ورحت أتتبع ما تسجله محاضر مجلس الكلية من اصداء التصادم بين النفوذ الاستعمارى وحماة القومية المصرية العربية . وكانت اقسام الكلية على عهدى ، يتولى رياسة اربعة منها اساتذة اجانب ، يكفى لبيان مدى سلطانهم المرهوب ، ان اشير الى خطاب رسمى ارسله مدير الجامعة — الدكتور ابرهيم شوقى رحمه الله — الى عميد الكلية لكى يقراه فى أول جلسة تعقد لمجلسها ، وفى ذلك الخطاب يقول :

((داب بعض اساتذة الكلية المصريين ، على الدعوة الى تمصير مجلس الكلية ، وقصر رياسة الاقسام على الاساتذة المصريين دون الاجانب بدعوى انهم يجب ان يقتصروا على مهمتهم اساتذة خبراء . وأود ان أؤكد ان الوضع الحالى بالنسبة الى الاساتذة الاجانب لن يتغير فلا مجال للمضى فى اثارة مثل هذا الجدل الجارح لزملائنا العلماء الاجانب !))

وسجل الخطاب — بعد تلاوته — فى محضر مجلس الكلية : وثيقة رسمية ..

وسجل معه تعليق الاستاذ المصرى المقصود بكتاب السيد مدير الجامعة .

« ليس لاحد ان يحتكم فى المستقبل وسير التطور ، وانى اترك هذا للزمن »

ثم اعلن انسحابه من مجلس الكلية الى ان يتم تمصيره !

التاريخ : ١٠ / ٥ / ١٩٦٣

ولم ينقض لى عجب وانا ارى كلية الاداب — دون غيرها من الكليات — تستاثر بكل هذا الاهتمام من الدول ذات النفوذ الاستعمارى ، مع أن الكلية كانت فى حساب قومى اقل الكليات اهمية واهونها شأنا !

ثم هيأ الله لى من اساتذتى المصريين من كشف لى عن سر اللغز المحير :

فهذه الكلية بالذات ، هى التى تتولى دراسة وجدان الامة ومزاج الشعب وتكشف عن عناصر شخصيته ومقومات وجوده ، بما تقوم به من دراسة للغة الامة وآدابها وتاريخها وفلسفتها ، ثم هى التى تتولى فى الوقت نفسه ، فتح النوافذ الغربية أمام عقول الشباب ، بما تدرس من آداب اجنبية ، قديمة وحديثة وبما تختار من تيارات الفكر الغربى ومذاهبه ، فأى عجب فى أن تتصارع الدول الاستعمارية على مناطق النفوذ فيها ، وان يعدوها مركزا للغزو الفكرى والتاثير الوجدانى والدراسة فى الكليات الاخرى علمية موضوعية ، لا مجال فيها لتسلل الغزو ، ولا فرصة فيها لتشويه او تحريف ؟

وباهتدائى الى سر اللغز ، نجوت من الضياع الفكرى !

وتفتحت بصيرتى ، فادركت قيمة الكنز الذى نملكه من تراث المعرفة ، والذى طالما اغرانا مغرون بالصد عنه والزهد فيه والحوا علينا فى اهماله ونبذه !

فى الوقت الذى كانت دوائر الاستشراق تحرص فيه أشد الحرص على جمعه وتعكف فى شبه رهبنة ، على درسه ورعيه !

وانكر عقلى سذاجة المغالطة !

اذا اشتغلنا نحن العرب بتراثنا ، اتهمنا بالرجعية ووصمنا بالتاخر وشبهنا بالهياكل الحنطية !

واذا اشتغل به امثال مرجليوث وجب، وماسينيون وبرونتسال ، وكايتانى ودبلا فيدا ، وكراتشوكوفسكى ، وشاخت وجيومز ، فهم علماء افذاذ يعتز بهم الغرب الحديث ، وتباهى بهم انجلترا وفرنسا وايطاليا وروسيا والمانيا واسبانيا !

ونعنى بدراسة ((ابى العلاء)) مثلا ، فيقال : متخلفون يعيشون مع الموتى ويولعون باكفان الجثث المحنطة !

ويكتب عنه القس الاسبانى (ميجويل اسين بلاسيوس) فتقوم دنيا الغرب وتقعد ، وتزلزل الارض زلزالها !

وندعو — متأثرين بجمال الدين الافغانى — الى الاتصال بتراثنا والكشف من جذورنا ، فنوصم بالتخلف والغيبية ، أما حين ترصد الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية الوف الجنيهات ، لتعيد ترجمة مسرحيات لشكسبير ، سبق ان ترجمها امثال مطران ومحمد عوض ابرهيم ، فان مشروع اعادة الترجمة يعتبر خطوة تقدمية تعين على تطورنا ، وتنقلنا بساحرات مكبث وعصر شكسبير ، الى عصر غزو الفضاء !

ويهتم المهتمون منا بدراسة تاريخ الاسلام ، فيقال اننا نصر على ((ان يظل الشرق العربى فى مكانه الاستراتيجى بمقابر الانبياء)) !

اما اذا مشينا فى اساطير اليونان مع زيوس وباخوس ومارس وديانا وما لا ادرى من آلهة خرافية ، فنحن ذوو ثقافة عصرية ، نستحق بها جائزة الدولة وتقدير هيئاتها الرسمية العليا للآداب !

الى مثل ذلك المدى البعيد اضطربت المقاييس وتشابهت القيم واختل المنطق وضلت الموازين ، فيكون الشيء الواحد حراما علينا حلالا لغيرنا ..

وما هذا الذى تضج به دنيانا من الازراء بالدراسة الادبية والاستهانة بمقومات وجودنا الروحى والمعنوى الا نتيجة حتمية لذاك الاختلال ..

وما هذا الذى يرهق شبابنا من ضياع فكرى وضغطة مرهقة بين شقى الرحى الا بعض الاثر لما تسلط على فكرهم ووجدانهم من مغالطات ، لن يشق عليهم الكشف عن زيفها وسذاجتها ، لو انهم ثابوا الى منطقهم ، وسألوا عن سر اهتمام الغرب — غازى الفضاء — بصناديق الدمى عندنا ومقابر الانبياء .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٧ / ٥ / ١٩٦٣


د. على مصطفى مشرفه


لويس التاسع


محمد الاسمر

مهداة الى
بلدتى دمياط
فى عيد
انتصارها على
الصليبيين

مع الذكريات

البلدة الطيبة

الدكتورة بنت الشاطئ

احتاج من حين الى حين ، الى التوقفقليلا عن متابعة الاهتمام بالقضايا الادبية لاصغى الى ماق اعماق وجدانى من رجع الذكريات .

وربما كان هذا الاصغاء ، ضرورةنفسية ، استريح بها لحظة من جهاد المعركة فيميدان وجودنا الادبى والفكرى..

او لعله بعض تعويض عما اعتدتان اجده من غبطة ونشوة ، عندما كنت اكتب القصة،قبل ان تشغلنى عنهاالحياة العلمية والادبية ، وتلفنى فى دوامتها العنيفة الصاخبة !

او من يدرى ؟ لعله تنفيس عما يشحن وجدانى من مشاعر ورؤى لامجال للافضاء بها فيما اتناول من دراسات علمية للادب !

التاريخ : ١٧ / ٥ / ١٩٦٣

وقد رتفت هذه الوقتة مع ذكرياتى ، عندما اصغيت الى خطبة السيد الرئيس فى عيد العلم ، تمثلت بها عهد الكفاح المضنى الذى كابده ابناء جيلى ، لكى ينتزعوا حقهم فى العلم وسط ظروف عصيبة قاسية ، لم تكن تسمح لامثالنا ، من ابناء الشعب الذين حرمت عليهم المدارس الابتدائية والثانوية ، أن يقتحموا ابواب الجامعة ، فيختلطوا بابناء الذوات ويعكروا مزاجهم المرهف !

واليوم اعيش مع الذكريات ، على الشاطىء الحبيب الذى كان لطفولتى مهدا ولصباى ملعبا

فلقد امضيت اياما من عطلة هذا العيد فى بلدتى دمياط ، التى اعتادت أن تدعو ابناءها غير المقيمين بها ، فى مثل هذا الموسم من كل عام ، كى يشاركوها الاحتفال بعيدها القومى ، ويحيوا معها ذكرى انتصارها على الجيوش الصليبية الغادرة، وصمودها الباسل لغزو القراصنة وليجددوا عهدهم بالبلد الطيب : مهد الذكريات ، ومثوى الاهل والاحباب ..

وهناك وانا اسير على الشاطىء فوق ارض المولد ، وجدت نفسى !

لقد تغيرت بى الدنيا وتقلبت الحياة ، وتنقلت ما بين شرق وغرب ، وجبت الاقطار من «طشقند» فى أقصى المشرق الاسيوى ، الى «غرناطة» فى اقصى المغرب الافريقى ومن «غانا» فى قلب القارة العريقة ، الى « السويد » على اطراف الغرب الشمالى ، وبعد بى المقام عن وطنى الاول ، ولكنى ظللت وسأظل ، بنت هذا الشاطىء ، لم تغننى عنه مواطن اخرى تنقلت بينها ، ولا انسانى اياه كر الغداة ومر العشى !

قد يهون العمر الا ساعة
وتهون الارض الا موضعا

والساعة التى لاتهون عندى ، هى حين اعود الى ربوع بلدتى الحبيبة ..

وموضعى الذى لم يهن ولن يهون ، هو هذا الشاطىء الذى كان كل عالمى ودنياى :

بلاد بها حل الشباب تمائمى
واول ارض مس جلدى ترابها

هناك تنفست ملء الراحة والانطلاق، وانا استرجع ذكريات تفيض على وجودى نشوة غامرة من الشجو والشجن ، ومن الحب والحنين، ومن الانس والالف والاعزاز.

واسلمت نفسى الى تلك الذكريات **الغوالى** ، وهى تمضى بى خلال الاباد ، معيدة رؤى ماض بعيد لهذه البلدة الطيبة، واطياف اجداد لنا كرام ، صنعوا تاريخا حافلا بالبطولة والعصامية والكفاح ، وتركوا طابعهم الاصيل فى حياة الوطن ، كما تركوا ملامح شخصيتهم المتميزة فى الاجيال المتعاقبة منا ، على مر العصور

وما كل هذا الذى يميزنا ، نحن أبناء دمياط من حماسة وايمان ، ومن حب الكفاح وصدق العزيمة وصلابة الارادة ومن الشعور المرهف بالخير والجمال .. **ما كل هذا الا بعض ميراث اجدادنا الكرام واثر الطابع الاصيل لبيئتنا الفريدة ..**

فمن وراء التاريخ ، كان هذا البلد الطيب يفرض وجوده على الدنيا والتاريخ ، وكان اهله العاملون يشقون طريقهم فى البر والبحر ، ويصنعون حياتهم بعزيمة ماردة وكفاح عنيد وايمان صادق ، وارادة غالبة لا تقهر ..

وحين استرجع ذكريات طفولتى الخاصة وجولاتى على ضفاف النيل وشطوط بحيرة المنزلة ، وعلى ساحل البحر عند المصب الشمالى ، اذ ارقب اياب التجار على سفنهم الشراعية وعودة الصيادين من رحلاتهم على متن الموج ..

حين استرجع هاتيك الذكريات ، ادرك تمام الادراك **لماذا نشأنا وفى دمنا حب الكفاح وارادة النضال ، وفى خلقنا طبيعة العزم والصبر ، وفى قلوبنا نفحة التقوى وعز الايمان ، وفى وجداننا عشق الطبيعة والشغف بالحق والخير والجمال ..**

وامى اتم الوعى ، لم كان فى مزاجنا **هذا التلاؤم العجيب بين القيم المادية والروحية ، بين الحرص على الكفاح الدنيوى ، والخلقية المتدينة التى تكاد تكون لونا من التصوف ..**

وافهم كل الفهم ، كيف كان مولد « **سيدى ابى المعاطى** » يقام فى صميم **الحى التجارى** عند سوق السمك ومضارب الارز ومصانع الاثاث ، وكان « المعهد الدينى » بكل وقاره ومهابته ، يقوم فى **جامع البحر** الى جانب دور التجارة وقاعات نسج الحرير ومراسى السفن ومخازن ما تحمل من بضائع .

وافهم معه ، كيف كانت ارستقراطية التجارة ، تعيش فى وئام تام وانسجام نادر ، مع ارستقراطية العلم وروحانية الدين : فلم يكن اعتزاز المدينة بأقطاب التجار من ابنائها ، الذين كنزوا مهانة الحاجة والفقر ، دون اعتزازها بأبناء الها صنعوا مجدها العلمى كالدكتور على

مشرفة ومجدها الديني كالشيخ الخضرى ، والشيخ الدموجي — جدي لامى — وقد ولي مشيخة الازهر، ومجدها الادبي كالشاعر محمد الاسمر ، وكل من اضاءوا آفاقها بنور المعرفة والايمان .

ففى هذه البلدة الطيبة تعلم أجدادنا فى مدرسة الصيد ، الصبر والايمان ، اذ يبذلون اقصى الطاقة والجهد،ويتركون الباقى للخالق الرزاق ..

وفى مدرسة التجارة والصناعة ، تلقنوا منقديملذةالعملومتعة الجدوالمثابرة والاعتماد على الله والنفس ، واحترام السعى فى سبيل الرزق الحلال

وفى هذه البيئة الساحلية ، ما بين البحر والنهر والبحيرة ، تعلموا جرأة الاقتحام ومصارعة الموج ومواجهة الاعاصير والانواء ، وادركوا منذ كانوا ، ان الحياة ارادة ونضال

وكما كان هذا الموقع الفريد حافزا لانطلاقهم الى ماوراء البحر ، وسعيهم على متن الموج الى سواحل الشام وتركيا وقبرص واليونان ، كان كذلك مدعاة الحرص والتنبه الى الخطر الاجنبى ياتى من وراء البحار ، وينفذ الى النيل من ثغره على ساحل البحر الكبير، ومن هنا شب ابناء هذا الثغر على تقدير مسئوليتهم الكبرى عن سلامة الوطن وحماية أمنه السياسى واستقلاله الاقتصادى ، من الغزاة الطامعين والمرتزقة المغامرين ، وكان هذا هو الدور المجيد الذى لدمياط فى تاريخ مصر ، حيث ظلت قائمة على هذا الثغر تحرسه من عدوان القراصنة وتحميه من نهب الدخلاء وتمده باسباب القوة والرخاء والثراء ..

وامضى مع الذكريات ، فارانى طفلة فى مجلس ابى حفظه الله .. يجمع عدد من زملائه العلماء ، شيوخ المعهد الدينى ، يتبادلون الراى فى حال الاسلام والمسلمين فى لمناسبة ازمة تبشير . ويروى احدهم — لعله الشيخ محمد الخضرى فيما اذكر — حديثا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياعمر ، انه سيفتح على يديك بمصر ثغران : الاسكندرية ودمياط . اما الاسكندرية فقريبة من البربر ، واما دمياط فهم صفوة من شهداء ، من رابطها ليلة ، كان فى حظيرة القدس مع النبيين والشهداء »

وكبرت .. وقرات نص الحديث فى معجم البلدان لياقوت الحموى ، ثم لم اشأ ان احاول تحقيقه بالرجوع الى كتب الحديث الامهات ، لانه — على اى وضع كان — لا يفقد دلالته على ما اشتهر به اجدادنا من بسالة ونجدة وحفاظ على الدين . هكذا عرفهم التاريخ من قديم : حماة بواسل ، يرابطون على الثغر الشمالى حراسا امناء ، ساهرين على حماية الوطن من الاجانب الدخلاء .

واذكر فيما اذكر ، مظاهرات حماسية كانت تجوب انحاء دمياط وانا طفلة ، واصغى فيما اصغى الى اصداء خطب وقصائد كانت تلهب مشاعر الجماهير ، دون ان اميز منها غير كلمات من الحماية والاحتلال ، والانجليز والاستقلال ..

وكبرت ، وقرأت تاريخ بلدى ،

العرنت لماذا لم تكن دمياط كريمة مع دخيل ! وامتزت بما شاع عنا من بخل ؛ لقد كنا حقا لا نؤمن بشعار ((كرام لضيوفنا)) الذى آمن به غيرنا ، وما اطقنا ان ندع الاجانب الغرباء يمرحون فى ربوعنا وينتهبون خيراتنا ويسلبون قوتنا ! ولقد حاولوا معنا محاولتهم بكل وسيلة ، فآبوا بالخيبة والفشل يتندرون ببخلنا الذى هو فى الواقع شهادة. ومى وحفاظ ، ويتناقل السمار قصة ذلك اليهودى الذى دخل دمياط فبعث ولده بقرش الى السوق وامره ان يشترى به طعاما لهما وللحمار الذى يحملهما . فهام الولد على وجهه فى طرقات المدينة حائرا لايدرى ماذا يصنع ، حتى مر به دمياطى عرف امره فقال له وكانه يلقنه درسا : اشتر بطيخة بالقرش ، فكل انت وابوك قلبها واطعم الحمار قشرها ، ثم ادخر اللب للتسلية بقية النهار ..

وعاد الولد الى ابيه فرحان ، فما كاد اليهودى يسمع حديثه حتى وعى الدرس ، فهب مذعورا وهو يقول لولده : قم بنا فلنرحل ، اذ ليس لنا مع الدمايطة حيلة ، ولا لنا بينهم مكان .

ويضحك الدمياطيون للقصة ، ولسان حالهم يقول : معاذ وعينا ان يضحك علينا يهودى ، ومعاذ تاريخنا ان نبيح حمانا للدخلاء !

ولقد عرف التاريخ ثغورا ومدنا اخرى كان لها دورها المشهود فى النضال القومى ولكنه سيذكر لهذه البلدة الطيبة انها حملت الامانة من قديم ، وتصدت لصد عادية القراصنة والطامعين والمرتزقة من الغرباء .

وقامت وتقوم فى الوادى — بعد دمياط — مناطق صناعية مستحدثة مزدهرة ولكن الوطن سيذكر لدمياط ما تفردت به من مجد صناعى عريق تليد ، كذب دعوى الزاعمين ان مصر لاتصلح لصناعة ، ولن ينسى تاريخنا الاقتصادى ، ان دمياط كانت تبهر الدنيا بمصنوعاتها التى كانت ((تهدى الى ملوك الارض)) كما يقول « ياقوت الحموى » فى معجم البلدان ثم يستطرد بعد حديث طويل عن عجيب منسوجاتها الحريرية :

((واخبرنى بعض وجوه التجار وثقاتهم انه بيع فى سنة ٣٩٨ هـ ، حلتان دمياطيتان بثلاثة الاف دينار وهذا مما لم يسمع بمثله . ومن عجيب امر دمياط ، ان الحاكة فى معاملها يبدعون الثياب الرفيعة الجليلة القدر التى لاتنجب الا بها ، فان عمل بها ثوب وبقى فيه شبر نسيج بغير حاكتها ، علم ذلك السمسار المبتاع للثوب ، فينتقص من ثمنه)) !

وستتغير معالم البلدة الطيبة ، مع الثورة العمرانية الجديدة ، ومن يدرى ربما جئت فى غد الى دمياط فسرت فى طرقات جديدة لا تعرفنى ، ومررت بجيل حديث من ابنائها لا يدرون من اكون ، لكن هذه البلدة الطيبة ستظل وطنى الروحى وان جهلتنى ، وسيظل اهلها اهلا لى وعشيرة ، وان نسونى :

بلادى وان جارت على عزيزة
واهلى وان ضنوا على كرام !

التاريخ : ٣١ / ٥ / ١٩٦٣

مع الذكريات

الخطوات الأولى

بقلم : الدكتورة بنت الشاطئ

لم استطع — هذه المرة ايضا — ان اشد نفسى وقلمى من جو الذكريات الذى ما ازال اعيش فيه ، منذ رجعت الى الشاطىء ووجدت نفسى التى يشغلنى عنها هنا فى العاصمة ضجيج الحياة ، وتلفنى بها دوامة الشواغل والمشاغل ..

فهناك على شط النيل فى بلدتى دمياط ، كنت حيثما سرت وانى اتجهت ، اميز خطواتى الاولى على الطريق ، واستبين بوضـــوح وجلاء ملامح الصـــــورة التى انتهيت اليها ، لم اكد اخطىء منها ملمحا .

هناك ، عدت اجمع شتات ذاتى المبعثرة ، والم احلام طفـــولتى ورؤى صــــباى ، واقف من جديد عند نقطة الانطلاق لخطواتى الاولى التى بعد عهدى بها ، دون ان تغيب عنى فى متاهة النسيان ، او يطويها كر الغداة ومر العشى !



ايفو اندريتش



فرويد

وامام وجدانى المتفتح ، امتد خيط طويل ما بين مكانى اليوم فى الجامعة ، وبين مقعدى الاول فى «المدرسة اللوزى للبنات» الى جانب احدى النوافذ الشرقية بحجرة الدراسة ..

وتراءى لى حلم بعيد عبر الى ، حدود الزمان ، فردنى الى يوم بذاته ، كنت فيه ، فى السابعة من عمرى ، اجلس فى مقعدى مع تلميذات السنة الثالثة الاولية ، فاذا مفتش وقور يدخل الفصل ، ويبدا امتحاننـــا فيمـــا حفظنـــا مـــن ســـور «جزئى عم وتبارك» المقررة علينا ، وتقول له ناظرة المدرسة «السيدة زينب الحناوى» اننى احفـــظ اكثر القرآن ، فيســـالنى ان اسمع له جـــزءا من ســـــورة النور ،

التاريخ : ٣١ / ٥ / ١٩٦٣

اقول هذا وانا اتمثل نفراً من قومى ، يهزون رءوسهم حين يقراون هذا الكلام استنكارا لتأثرى برؤيا عارضة فى منام

ولعلهم لو نشأوا فى مثل بيئتى ، وتلقوا الميراث الذى تلقيته ، لما استنكروا ..

ومن عجب ، أنهم لايستغربون قصة غريبة ، قائمة على رواسب فى اعماق الذات من عهد الطفولة ..

وانهم ليقراون بشغف واحترام ، بحوث ((فرويد)) وغيره من علماء النفس الغربيين فى ((الاحلام)) وآثارها وبواعثها واصدائها وظلالها ..

حتى اذا قلناها نحن من صميم واقعنا ، عجبوا وتندروا ، ناسين اننا بشر ، قد يغلب اثر الرؤيا فينا منطق العقل واليقظة!

وامام وجدانى المتفتح ، امتد خيط آخر ، طويل كذلك ، ما بين مكانى المتواضع فى هذه الصفحة من اهرام الجمعة ، وبين مجلسى القديم فى غرفة معينة ، تطل على شاطىء النيل قرب (كوبرى دمياط) حيث منزل جدى لأمى ، رحمهما الله .

كان جدى قد أصيب فى شيخوخته العالية ، بحادث كسر عظم حوضه ، والزمه الفراش مقعدا ..

وكنت أشعر نحوه بولاء المدين بدين باهظ ، اذ اعتبرت نفسى مسئولة — بصفة غير مباشرة — عن اصابته !

ذلك انه كان يعارض والدى فى موقفه العنيد من تعليمى ، واصراره على حرمانى من الذهاب الى المدرسة . وشاء القدر أن تحدث الحادثة الأليمة ، اثر انصراف جدى مغضبا من حجرة ابى فى المعهد الدينى ، فصدمته عربة لم يلتفت اليها واقعدته كسيحا لمدى سنوات ..

وتحت الشعور بوطأة الندم ، الزمت نفسى بخدمته متفانية ، وكان من واجباتى المفروضة ، ان اكتب له ، بعبارة مجودة ما يمليه على ، من (عرائض ومقالات) يبعث بها الى الحكام فى مصر ، والى الصحف اليومية ، مطالبا فيها بانقاذ دمياط من الموت الاقتصادى ، بعد ان سدت رواسب النيل بوغازها قرب المصب ، وتعطلت الميناء التى كانت مرسى السفن التجارية ، حاملة الحرير الخام والاخشاب الى مصانع المدينة من ثغور الشام ..

وكانت تلك هى خطوتى الاولى ..

فلقد تعودت فى ذلك الماضى البعيد ، ان اترقب الصحف كل صباح فى لهفة ، لاطالع ما كتبت لجدى !

وغرنى الغرور ، فمضيت اتفنن فى الكتابة ، وابذل لتجويدها كل طاقتى ..

ثم مات جدى رحمه الله ..

وترك لى هذه الرغبة فى الكتابة ، غلابة ملحة ، لاقبل لى بمقاومتها ..

وشاءتنى ان استمر ، فكان على ان

ثم آخر من سورة الكهف . وينصرف راضيا وانا اضحك فى سرى مما حسبه امتيازا لى ، اذ كنت أعلم أنه امتياز موهوم ، يشاركنى فيه كل طلاب المعهد الدينى ، بل كل زملائى الصغار فى «كتاب الشيخ مرسى» الذى كنت اتلقى فيه القرآن ، اثناء عطلات الصيف التى كنا نمضيها مع اهل والدى ، فى قرية «شبرا بخوم» بالمنوفية ..

اجل ، ضحكت فى سرى ولم الق الى كلام السيد المفتش بالا ..

غير انى عندما أويت ليلتها الى فراشى رأيتنى فى المنام جالسة فى متعدى بالفصل ، واذا بملاك مجنح يهبط من السماء قرب النافذة الشرقية ، ويعطينى لفافة خضراء ثم يطير عاليا . ولما فتحت اللفافة وجدت فيها مصحفا شريفا !

وكنت بحكم نشاتى فى بيئة بحرية نهرية تموج بالاساطير وتجسم تهاويل الخيال ، ثم بحكم بنوتى لشيخ متصوف ، اتاثر بالرؤى وانفعل بالاحلام . فلما صحوت من نومى ، أدركت — عن يقين — ان حياتى كلها مرتبطة بهذا المصحف ، هدية السماء الى ..

ومن يومها ، عرفت الطريق ...

هكذا امتد الخط بين رؤيا الصبا ، وبين ما انتهى اليه تخصصى العلمى من الاشتغال بالتفسير البيانى للقرآن الكريم ..

اتوارى خلف اسم مستعار ، لانجو من غضب والدى ، اذ كان مما لايحل لبنات الشيوخ العلماء ، ان تظهر اسماؤهن فى الصحف !

والى الشاطىء انتسبت ، وبه تسميت فلزمنى طول عمرى ..

واسمع اليوم ان مشروع ميناء دمياط قد اخذ خطواته الاولى مع الدفع الثورى ..

واصغى الى السيد « اللواء محمود طلعت : محافظ دمياط » وهو ينقل الينا فى احتفالنا بالعيد القومى للبلدة الطيبة ، انباء ما وصلت اليه اللجنة الفنية القائمة بدراسة المشروع ، ويعدنا بأن يحمل الينا فى عيدنا القادم ان شاء الله ، بشرى البدء الفعلى فى تنفيذه !

اصغى الى كل هذا ، فالتفت الى الماضى فى حنو غامر وشجو مستغرق ، واذكر حلم اجداد لى ، عاشوا يناضلون من اجل تحقيقه ، واتمنى لو اسعف الزمان ، فكتبت « قصة النافذة الشرقية » كما كتب « أندروفيتش » قصة الجسر الذى على نهر درينا ..

واندمج بكل مشاعرى فى جو الذكرى ، فاعود بها الى موضعى المألوف على الشاطىء ، رانية الى اطياف الذين رحلوا ، وما تزال ارواحهم تطيف بنا وتحوم حولنا ، معيدة الينا رؤى ماض تحسبه دورة الزمن قد ولى وراح ..

التاريخ : ٧ / ٦ / ١٩٦٣

شاعرة من تونس

زبيدة بشير

شاعرة العواطف المكلومة

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

دعيت في هذا الموسم لالقاء محاضرات عن الشاعرات العربيات المعاصرات ، على طلاب القسم الادبي بمعهد الدراسات العربية العالية ، فشعرت بقصور البحث حين يقف عند شاعرات العراق والشام ومصر ، غافلا عن اخريات لعلنا لا نعرفهن ، في بقية مناطق الشرق العربي وطننا الكبير ..

وعكفت على المطبوع من دواوين الشعر العربي المعاصر ، فلم اجد اى اثر لشاعرة بالجزيرة العربية او الشمال الافريقي . وقد استطعت ان افهم صمت حواء في المناطق التى لا تزال اخواتنا فيها مهدرات الوجود الادبي ، لكنى لم استطع بحال ما ، ان اتصور عجز المراة العربية عن ان تحقق وجودها الادبي في اقطار من وطننا ، تحررت نساؤها من اغلال العزلة والوأد المعنوي ، وشاركن في الحياة العامة مشاركة ذات بال .

وكنت كلما ذكرت جميلة بوحيرد ، وزهرة بوظريف ، وخديجة خضير ، وملايين اخريات من اخواتنا اللواتي خضن معارك التحرير في فدائية واستبسال ، عجبت كل العجب ، كيف لم يصل الى آذاننا هنا ، صدى من نضال ادبي في المعركة ، للعربيات الحرائر اللواتى تقدمن الى خط النار ، واججن ضرامها بالوقود الحي من الابناء والازواج والاخوة .

ذلك لان اصالة العاطفية في فطرة الانثى ، تجعلها اهلا لمثل هذا الدور الحماسي في معركة الحرية ، وتؤهلها للقيادة الوجدانية فيها . واذا حيل بين المراة وبين هذا الدور الطبيعي في بلاد تحكمها الرجعية وتخنق انفاسها ، فلا مجال للظن بان تكون المراة العربية في الشمال الافريقي ، مكتومة النفس تحت الكابوس الخانق ، وهى التى اشتركت في جيش التحرير

وكنت قد تحدثت فى هذا من قبل ، الى بعض الزملاء من ادباء الشمال الافريقى الذين التقيت بهم فى مؤتمر الكتــــاب الاسيويين والافريقيين بطشــــقند ، وفى الحلقة الدولية لدراسة الادب العربي المعاصر فى روما ، وفى مؤتمرات ادباء العرب بالكويت والقاهرة، فاكد لى الاديب الجزائرى ((كاتب يسن)) ان المراة فى الجزائر ((قد اثبتت وجودها فى الصعيد الادبى ، كما اثبتته فى الصعيد السياسى والاجتماعى)) وقال لى((الاستاذ **محمد مزالى**)) محرر مجلة الفكر التونسـية : ((استطيع ان اشهد **بانه يوجد فى تونس وفى الجزائر والمغرب اديبات مناضلات الهبن حماسة المجاهدين بشعر نابض بالحيوية ، واسجاع وازجال فيها من المعانى والقيم ، ما سوف يقف عنده مؤرخ ادبنا المعاصر ، ويقدره حق قدره**))

وكذلك حدثتنى الاخت الصديقة (**خديجة خضير**)) عن مشاركة للمراة الجزائرية فى معركة وجودنا الادبى ، وعن اناشيد لها فى الشعر الشعبى بالغة القوة والاثارة ..

وقد سمعت هذا كله ، وظللت مع ذلك انتقد آثار اولئك الشاعرات، واسال كلما جدت مناسبة: متى يتاح لنا استكمال دراستنا للادب العربي المعاصر ، بهذا الشعر المفتقد ، الذى لا يزال مطويا عنا مجهولا لنا ..

واليوم يتاح لى ، **لاول مرة** ، ان اتعرف الى شاعرة من تونس ، كان للاديب التونسى ((الاستاذ الشاذلى زوكار)) فضل تزويدي بمجموعة من قصائدها ..

واسمها : **زبيدة بشير** ..

ويطلقون عليها فى تونس، لقب (**الشاعرة العواطف المكلومة**))

وزبيدة شاعرة شابة ، اتمت فى عامنا هذا ربيعها الخامس والعشرين ، فقد ولدت فى الثامن من فبراير عام ١٩٣٨ بساقية سيدى يوسف ، ونذر الحرب العالمية الثانية تتجمع فى الافق ، وتلقى ظلالها الربداء على جيل جديد من ابناء البشرية ، قدر لهم أن تهتز مهادهم على دوى القذائف ، وان تكون اغانى طفولتهم خليطا رهيبا من انين الضحايا ونواح الثواكل وجؤار اليتامى ، ابناء الملايين الذين حصدتهم الحرب قبل ان تبلغ ذروتها المشئومة فى هيروشيما ونجازاكى ..

ثم كان لزبيدة ، الى جانب نصيبها من الصدمة المشتركة المقدرة على ابناء جيلها ، نصيب آخر من صدمة عائلية مزقت شمل اسرتها وبعثرت جمعها ، ثم مد الموت يده فاختطف شقيقتها الكبرى انضر ما تكون شبابا ، فتهاوت بموتها مقبة امل فى انس وعزاء ..

وانطوت الصبية على نفسها ، تجتر اشجانها وتسامر احزانها ومواجعها ، ثم كان خيط النجاة التى تلوح به الحياة امام صرعى الاحزان : تعلقت زبيدة بالمطالعة وشغفها الشعر حبا ، فهامت مع الشعراء تصغى الى اناشيدهم وتتذوق مواجدهم وتتلمس جـراحهم وتلتقط رؤاهم ، حتى فاض وجدانها بالنغم الشجى ، فبدات محاولتها الشعرية وهى فى عامها الثالث عشر ، وظلت مع التجربة المتداة ، ثمانيها فى نشوة وقلق ، حتى ظهرت قصيدتها الاولى ((**نهاية قلب**)) .. وهى بنت ست عشرة سنة ، وفيها تقول :

لهف نفسى ، اكذا تمضى حياتى
بين آلامى وبؤسى !
كان امسى مصدر الشكوى
وانى الان اشتاق لامسى !
ما لكاسى اترعت خمرتها الايام
بأسا فوق يأسى !

ثم صاغت من خيالها المحروم وصباها الظامىء طيف حبيب تناجيه :

عندما تكشف الدموع شجونى
وترى الحزن واضحا فى عيونى
وترانى كاننى حين اغفو
يرسم الياس ظله فى جبينى
لا تلمنى ، فليس دمعى بكاء
بل حنينا وانت تدرى حنينى

ثم ترتاب فيه :

.... انني اسخر من نفسى
ومن امسى القريب
عندما كنت حبيبى
عندما كنت اظن الحب حقا
فاذا الحب خيال فى خيال

ووقعتها باسم مستعار ..

وظلت متواربة ، لا تجرؤ على اعلان اسمها ، وهى تغنى للحب ، فى بيئة طالما وادت المرأة عاطفيا ..

واتجهت بعيدا .

بعثت بقصائدها الى اذاعة باريس ، ففازت بجائزتها عامين متتالين ، وهزتها فرحة الفوز ، فتقدمت الى الميدان الادبى سافرة غير مقنعة ، واقبلت على الحياة بارادة مصممة على انتزاع حقها فى افراح الوجود ونعمة الشباب ، لكن صدمة حب يائس صهرتها فى بوتقة الالم ، وكادت تسحقها ، لولا ان تشبثت بايمانها بالحب وان كفرت بالحبيب :

كان لابد ان يمضى كلانا
فى طريق
ثم يسعى ليرى فى الفه
وجه صديق
وكانا لم يكن يجمعنا
حب عميق
وليال لم نزل منها سكارى
لا نفيق

●

انا فى نشوة احلامى غريقة
فليكن حبى وهما لا حقيقة
وليكن قلبى قد ضل طريقه
فانا فى نشوة الحب غريقه

وتظل ترفع نجواها فى محراب الحب وتذيب قلبها امام حطام التمثال الذى تهاوى وانهار :

اتراه يعلم اننى فى الليل
اذ اخلو بنفسى
تشتد آلامى ويجتاح الهوى
روحى وحسى
وخياله ابدا يناجينى فادرك
ان يأسى
لن يمنع المأساة ان تبدو،
كما كانت بامسى!
اتراه يهوى غيرنا يا قلب ، لا
هذا محال
لو كان هذا ممكنا فيم الذى
ابدى وقال
....
صدقته لكنه رجل ، متى
صدق الرجا
ومتى احبوا مخلصين كم
نحب ونغرم ؟
اتراه ؟ لا ، حسبى الذى قد قلت
فيه وحسبه
انى وان طال الجفاء والانتظار
احبه
ولسوف اخلص فى هواه وان
تغير قلبه
لا ، لن يبدل من شعورى
بعده او قربه
فلقد خلقت لكى اعيش
بحبه اترنم

وزبيدة» ماتزال تقع فى عثرات ماأسميه المراهقة الشعرية ، واعنى بها المرحلة التى تسبق النضج . ولكن خطواتها على الطريق واعدة ، فمعانيها شعرية فى الغالب الاعم وحسها الفنى مرهف ، وان خانها التعبير المواتى المسعف ..

ولست ادرى لم يخيل الى وانا اقرا شعرها ، انها تشدو به فى وجدانها بلغة فرنسية ، ثم تفضى به مترجما الى العربية ! ويسيطر هذا الاحساس على — ولعلى فيه واهمة — فاتلقى شعرها وكأنه قد مر فى طريقه الى ، بمرحلة ترجمة تمارسها الشاعرة تلقائيا ، قبل ان تنطق به !

وهى تمضى موغلة فى اعماق ذاتها كاشفة عن سرها المحجب . ولم تتجاوز فيما قرات من قصائدها — نطاق ذاتيتها الفردية ، ولا استطاعت فى هذه المرحلة من تجربتها الشعرية، وتحتضغط ظروفها ان توسع من افق ذاتيتها بروافد من وجدان الجماعة وضمير الامة ، على نحو مافعلت امنزار ، ونازك الملائكة وفدوى طوقان . لموقع «زبيدة» بين شاعراتنا المعاصرات مع هؤلاء اللواتى شغلتهن هموم حواء عن الانطلاق عبر حدودالفردية، الى حيث تغدو الذاتية الخاصة ذاتية جماعية اللهم الا اذا اعتبرنا شاعرة تونس معبرة بموقفها عن جيل من لداتها واترابها ، تضنيهن الحيرة والقلق ، ويكابدن الصراع المنهك ، بين شد الطموح وعجز الوسيلة

وهنا تقدم لنا «زبيدة» ملامح لفتاة الجيل فى هذه المنطقة من وطننا العربى حيث يستيقظ فوج الطليعة على دعاء اليقظة ودوى معركة التحرير ، فيقدر عليه ما يقدر على كل طليعة تسبق واقعها بطموحها ، وتخوض معركتها ضد رواسب من الرجعية لا تزال تلجم المرأة بباهظ الاغلال المتخلفة من عصر الحريم .

فلا عجب ان رأيناها تتوارى اول الامر خلف اسم مستعار ، وتغنى شجوها وظمأها متقنعة من وراء حجاب ، ثم لما رفعت القناع ، وجرؤت على البوح ، جاءت قصائدها معبرة عن شوق جائع الى حب تمثلته وذابت حنينا اليه ، ولم تجده فى واقعها الارضى ، حيث التبور الباهظة ، والظمأ العاطفى والضياع الروحى :

انى اهيم وليس لى
فى هذه الدنيا قرار
واود لو اسعى اليك
افر من دنياى ، لكن
لا سبيل الى الفرار
فانا مقيدة بآلاف القيود
تسد دربى كالجدار
ولقد صلبت على عمود القهر
حتى بت اخشى الانهيار
انى اتوه بلا دليل
فى الصحارى والقفار
فلاى صدر استريح
وكيف انجو من ضياعى
كلما شط المزار ..

فوارحمتاه للشاعرة فيما تكابد، وتكابده معها كل حواء شاعرة ، من هذا الجيل الذى وجد نفسه ، ففقد الراحة الوهمية التى خدرت امهاتنا وجداتنا فى عصر الحريم !

التاريخ : ١٤ / ٦ / ١٩٦٣

قضايا أدبية

المجال الفنى للشاعرة العربية

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

الحديث اليوم مقصور على الشاعرة العربية فى القديم ، ولست ارانى به ابعد من حاضرنا ، فواقعنا الادبى مرتبط بجذوره العميقة ، وفهمنا لحيثنا لايمكن ان يصح ويستكمل ، ما لم تجله اضواء من تاريخنا على مسار الزمن .

ولقد لفتنى فيما اشتغل به من دراسة تراثنا الادبى ، ان النقاد الاقدمين حددوا المجال الفنى للشاعرة العربية فقصروه على الرثاء وحده !

ويبدو — من النظرة المجلى — ان شاعرتنا «الخنساء» بتفوقها فى الرثاء ، قد صرفت النقاد من سواها ، بل صرفتهم كذلك من شعر لها فى غير الرثاء . فالناقد المشهور «ابن سلام» — يعترف بها الا راثية فحسب ، ومكانها فى كتابه «طبقات الشعراء» ثانية شعراء المراثى . و «ابن عبد البر» فى (الاستيعاب) يحدد ولعها شاعرة بموت اخيها صخر ، و «الاب لويس شيخو» يقول فى مقدمته لديوانها : «ان مجرد ذكرها صار عند العرب مثلا يضرب فى مناحة الاقوام وبكاء الاخوان الكرام»

والواقع ان الترتيب الزمنى لشعر «الخنساء» قد ابرز لها قصائد قالتها قبل فجيعتها فى اخويها ، منها مثلا ، قصيدة رائعة فى سباق بين ابيها واخيها ، وقد قال لها القوم : لئن مدحت احدهما هجوت الآخر ، فانشدت :

جارى اباه فاقبلا وهما
يتعاوران ملاءة الفخر
حتى اذا نزت القلوب وقد
لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس ايهما ؟
قال المجيب هناك : لا ادرى !
برزت صحيفة وجه والده
ومضى على غلوائه يجرى
اولى فاولى ان يساويه
لولا جلال السن والكبر
وهما كانهما وقد برزا
صقران قد حطا على وكر

وما ذكرت هذه القصيدة ، الا لانها ظفرت من خبير بالشعر كالاصمعى بشهادة تقدير لم تظفر بها قصيدة اخرى ، فقد سئل : لم لم يرو هذه الرائية بين المجموع من شعر الخنساء ؟ فاجاب : العامة اسقط من أن يجاد عليها بمثل هذا الشعر .

التاريخ : ١٤ / ٦ / ١٩٦٣

واقول مع هذا .. اننا نلتمس للنقاد كل العذر ، اذا علمنا أن «الخنساء» بعد موت اخويها تخصصت فى الرثاء واستفرغت فيه كل طاقتها الشعرية ، ولو كان النقاد قد قصروا حكمهم على الخنساء ، بتحديد الرثاء مجالا فنيا لها لما وجدنا فى هذا موضع غرابة او استنكار لكن الغريب حقا، انهم جاوزوا «الخنساء» الى شواعر العرب بعامة ، فلم يهتموا بغير الراثيات منهن ، والقيت الاخريات فى منطقة الظل ..

والفكرة قديمة ، ترجع — فيما أعلم — الى «ابن سلام» حين لم يعترف بشاعرة اخرى — غير الخنساء — فى (طبقات الشعراء) سواء منهم الجاهليون والاسلاميون .

وجاء «البحترى» فى حماسته ، فقصر باب الرثاء على النساء وحدهن واختاره كله من شعر الراثيات ، دون ان يكون فيه بيت واحد ، لرجل من شعراء العرب !

وانتقلت الفكرة عبر القرون الى عصرنا فوجدنا الاباء اليسوعيين فى بيروت يهتمون بجمع مراثى شاعرات العرب ، وذيلوا ديوان الخنساء بمختارات من هذه المراثى ، لستين شاعرة من الجاهلية وصدر الاسلام .

ولم ينج المستشرقون من سيطرة الفكرة، اذكر منهم «بروكلمان» فى (تاريخ الادب العربى) وكذلك «رودو كاناكيس» فى (الخنساء ومراثيها) المطبوع بالالمانية ، ويكفى ان انقل هنا مما يشهد بسيطرة الفكرة — والترجمة للدكتور النجار — :

«فاظهار الحزن لم يكن يناسب رجال القبيلة كما كان لائقا بنسائها وخاصة بالاخوات ومن ثم بقى تعهد الرثاء الفنى من مقاصدهن حتى عصر التسجيل التاريخى»

ونسوا هنا فحول الراثين ، الذين ملأوا ديوان الشعر القديم بروائع مراثيهم لاخوتهم بوجه خاص !

. . . . . .

وما من شك فى ان الشاعرة بطبيعتها تجيد الرثاء ، ولكن ماذا عن غير الرثاء ؟

هل لم تستطع الشاعرة العربية فى القديم ، أن تحقق وجودها الفنى والعاطفى الا فى هذا المجال ؟

او بعبارة اخرى :

هل كانت حواء العرب تظل ملجمة اللسان مغلقة القلب متحجرة المشاعر صماء الوجدان ، حتى تقوم مناحة فتحل عقدة لسانها ، وتفجر ينابيع الحس والشعور فى قلبها المغلق ووجدانها الاصم ؟

لقد رابنى الامر حين شق على ، ان اتصور وجود ستين شاعرة عربية ، فى زمن متقارب وبيئة واحدة او تكاد ، لم يظهرن الا فى المأتم . ولا كان لهن نشاط فنى وعاطفى خارج هذا النطاق الحزين .

ومع ذلك ، لم يكن لى بطبيعة الحال، ان القى برأى خاص فى القضية ، دون ان احتكم الى تراثنا الشعرى .

وفيما قرأت من تراثنا ، وجدت لشاعرات العرب رصيدا ذا بال ، فى غير الرثاء ، ولكنه توارى خلف الفكرة المسيطرة ، وغاب او كاد ، فى ضجيج المناحات !

بحيث كان على ، ان اهتدى اليه بمصباح ، تائها مبعثرا على الآن من الكتب .

وقدامى النقاد والمؤرخين ، قد عرفوه بلا شك قبل ان اعرفه . ولكنهم اهدروه فلم يلتفتوا اليه بالا .

اما لماذا اهدروه ، فلان حركة الاشتغال بتراث الشعر العربى : جمعا وتدوينا ، ثم تصنيفا ودراسة ونقدا ، نشطت فى العصر العباسى الذى عزل المرأة عن الحياة العامة وفرض عليها نوعا من الوأد العاطفى والاجتماعى ، وهؤلاء النقاد قد كانوا يعيشون بعقلية زمانهم ومزاج

بينتهم ، فلا عجب أن لم يكن للمرأة في نظرهم ، أن تعبر عن أسرار ذاتها أو تغنى أشواقها وهمومها !

الاماء وحدهن ، هن اللواتي أعفاهن الرق من هذا الوأد المعنوى المفروض على الحرائر ، فمارسن نشاطهن الفنى في الشعر والموسيقى والغناء ، وحققن الوجود الادبى لحواء العرب !

وتمردت بعض الحرائر — في ظروف خاصة — على اغلال رقهن المعنوى ، فوعى تراثنا الادبى حديث مشاعرهن وخفق قلوبهن ، وان يكن النقاد قد تجاهلوه !

واذكر منهن : علية بنت المهدى ، وولادة بنت المستكفى ..

• • • • • • •

ومن عجب ان المصادرة الوجدانية امتدت الى ما قبل العصر العباسى ، فجحدت شاعرات عربيات لم يدركن ذلك العصر ..

((ليلى الاخيلية)) مثلا ، جحدها ((ابن سلام)) فلم يجد لها مكانا ولو في ذيل الطبقة العاشرة من طبقات شعرائه ، وانما ذكر اسمها عرضا في ترجمته للنابغة الجعدى ، فاقر بان ((ليلى غلبت عليه))

والنابغة عنده في اول الطبقة الثالثة. اما التى ((غلبت عليه)) فلا موضع لها عنده ..

وكان من خبراء الشعر — كعبد الملك بن مروان ، والاصمعى — من يرى « ليلى » اشعر من الخنساء

وانما اهدرها عندهم ، انها جاوزت المجال الفنى الذى حددوه لشاعرية الانثى فمارست وجودها العاطفى والادبى بحرية وانطلاق

بل أن ((رابعة العدوية)) التى حررها الرق من الوأد العاطفى المفروض على الحرائر ، نالها ذلك الجحود ، فسقط اسمها من ديوان الادب العربى كله ولم يرد لها ذكر الا على قلم ((الجاحظ)) في معرض الحديث عن الزهد والعفة

وكتب التصوف — لا الادب — هى مرجعنا ، فيما وصل الينا من روائع نجواها ، واناشيد حبها الالهى !

و ((المقرى)) مؤرخ الاندلس الكبير ، رص شاعرات المغرب العربى في فقرات معدودات من كتابه (نفح الطيب) وكان كل همه ان يستشهد بهن على ان الشعر طبيعة اهل بلده، حتى النساء والصبيان !

• • • • • • • • •

وهذه الثغرة في تاريخنا الادبى يجب ان تسد ، لانها تهيىء لنا معرفة اوضاع المجتمع العربى ، وتقويم الموروث من مقاييسه النقدية وقيمه الفنية .

ثم انها التى تضىء لنا فهم ادبنا المعاصر بما خلفت من اثر في ذوق عصرنا واحكامه الادبية ، وبما تركت من رواسب محتكمة في النفس والمزاج ، لجيل الطليعة من اديبات العرب، وهو ما احاول ان اتناوله في فرصة اخرى ان شاء الله !

التاريخ : ٢١ / ٦ / ١٩٦٣

مقاييس الحكم الأدبي

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

كل مايعنيني هنا هو ان الفت النظر الى مدى حاجتنا الى ضبط مقاييس الحكم الادبي عندنا ، ابقاء على حرمته ، وحملا على شيء من الثقة به ، بحيث لايتفاوت تقديرنا على العمل الواحد بين ابيض واسود ، او بين الاهدار والامتياز !

ذكرت وانا اقرأ مقال الزميل الدكتور لويس عوض عن ثورة العروض ، ما نواجهه بين حين وآخر من اختلاف اعضاء لجان التحكيم على العمل الادبي الواحد ، يرفعه احد المحكمين الى مرتبة الامتياز ، ويرفضه آخرون منهم لهبوط مستواه .

واستعدت في خاطري ، كلمة سمعتها من « استاذنا الدكتور على مصطفى مشرفة » وهو مدير للجامعة ، وقد عرضت عليه قضية رسالة دكتوراه في كلية الاداب ، تفاوت تقدير الاساتذة المحكمين لها تفاوتا بعيدا ، فقال رحمه الله :

— المهم ان يختلف اثنان منا على ان هذا اللون ابيض او عاجي ، اما ان يصل الخلاف الى ما بين ابيض واسود ، فهذا ما لا افهمه ..

واختلاف الاحكام على العمل الادبي المبدع ، جائز وله مبرراته ، لانه قد يرجع آخر الامر الى مسائل تفسيرية او اعتبارية ، من تفاوت اذواق النقاد ومستوياتهم الفنية وبيئاتهم الفكرية .. ولكن الحكم على درس ادبي ، من ذوى التخصص في موضوعه ، لا يجوز في رايي ان يتفاوت ما بين الاهدار والامتياز ، لانه يستند — او يجب ان يستند — الى مقاييس مقررة ، قد تماثل مقاييس الحساب

ومن اجل هذا كان اهتمامي البالغ بمقال الزميل ، لاتصاله المباشر بمقاييس الحكم الادبي .

كان موضوع مقال ثورة العروض ، كتاب « قضايا الشعر العربي المعاصر » لشاعرة العراق « نازك الملائكة » .

وقد سبق لي ان قدمته الى قراء هذه الصفحة ، وحددت رايي فيه .

وكان تقديري للكتاب انه ممتاز

على حين راى الزميل الدكتور لويس عوض ، انه «كتاب جيد او لاباس به ، اذا اخذناه ماخذنا لخواطر شاعرة عربية لامعة في شعر الشعراء المعاصرين ورأينا فيه سجلا لما تحبه نازك الملائكة ولما لاتحبه في الشعر الحديث واعتبرناه دليلا الى ذوقها الخاص والى آرائها الخاصة في الشعر والشعراء . اما اذا حكمنا عليه وفي ذاكرتنا ما قالته بنت الشاطىء في وصفه من انه اهم كتاب ظهر في العروض العربي منذ الخليل بن احمد ، لم يسعنا الا ان نرفضه رفضنا لكتاب ردىء مهما كانت فيه هنا وهناك لمحات ثاقبة ونظرات صادقة »

لهذا التفاوت بيننا في التقدير ، عمدت اقرأ المقال مرة اخرى ، لعلى اغير به رايي في الكتاب ، الى حيث يتقارب مع راى الزميل ، وكنت على اتم الاستعداد للعدول من رايي السابق ، لو اقتنعت بانى كنت فيه على خطأ .

و (نازك) صديقتي ، لكن النقد امانة والحق فوق كل صداقة وقربى .

وبكل اخلاص اقول : انني تمنيت ان



نازك الملائكة

الشنع، لانى كرهت ان نلقى القراء هنا، برايين فى كتاب واحد متفاوتين ما بين ابيض واسود !

واهون على ، ان اكون على خطا ، من ان تهتز مقاييس الحكم الادبى امام القراء فيفقدوا بها الثقة فى الحساب النقدى ، ويهدروا حرمته ، ويتولوا فيه ما قال استاذنا الدكتور مشرفة ، رحمه الله .

بل انى مضيت فى الحرص الى مدى



د. على مصطفى مشرفة

ابعد من معاودة قراءة المقال . فتحدثت الى الزميل الدكتور لويس فى الموضوع ، رجاء ان يقنعنى بما لم يقنعنى به مقاله .

كانت المقاييس التى عرضت عليها كتاب قضايا الشعر ، واضحة ومحددة :

اولها : انه الكتاب الرائد الذى لم تتلق مكتبتنا قبله . كتابا فى الـ ـوابط العروضية للشعر . ذ وضـــع لتحليل علم العروض .

وكان على الزميل الناقد ، ان يصحح لى هذا المقياس ، بذكر كتاب فى الميدان ، قبل كتاب نازك .

لكنه اجابنى بأن الاوان لم يحن بعد لضبط قواعد الشعر الجديد ، ولعله لن يحين قبل خمسين عاما .

وما امنع ان يكون الحق معه ، لكنه بهذا لايرد بحال ما ، على مقياس الريادة الذى حكمت به للكتاب ، ولا يلغيه !

وثانى المقاييس : ان نازك بكتابها هذا قد صححت الفكرة الشائعة عن الشعر الجديد، بماضبطته له من موازين عروضية وفنية ، نرفض بها الادعياء الذين اقتحموا الميدان بموهبة فجة ، او بلا موهبة على الاطلاق ، وفى ظنهم انه يكفى احدهم ان يبعثر الكلمات ويمزق النسق ، ليحسب على شعراء الجديد ..

وكان رد الزميل الدكتور : ان نازك اقامت نفسها وصية على الشعر الجديد ولم ينديها احد لهذه الوصاية .

واقول : معه حق ، ولكنه بهذا لم يلغ (الصنجة) التى وضعتها فى الميزان النقدى ، حين قدرت للكتاب تحريره لمفهوم الشـعر الحر ، وضبطه لقيود حريته التى تشابه فيها الامر على كثير منا ، فحسبوها فوضى وعبثا .

التاريخ : ٢١ / ٦ / ١٩٦٣

وقدرت للكتاب ، أنه وصل هذا الجديد من الشعر ، بجذوره الاصيلة فى عروض الخليل ، على حين حسبه أكثرنا خروجا على أصيل العروض العربى .

كما وضعت فى ميزان التقدير ، هذا الحرص البالغ — المسرف — على حماية الشعر الجديد من العبث والفوضى ، لكن الزميل — فيما يبدو — حسب هذا على الكتاب لا له !

كذلك حسبت من مزاياه ان الدراسة فيه ، تتناول الموضوع بحس الشاعرة وذوقها المرهف ، على حين يرى الدكتور لويس ، ان العيب الجوهرى فى الكتاب ، ان « نازك » شاعرة ، فهى طرف فى الموضوع !

ولم اكن اتوقع ان يقول هذا ، وهو الذى يكتب المسرحية بالاقتدار ، ويعتبر مع ذلك من اكبر نقاد المسرح عندنا !

وطالت المناقشة بيننا دون أن نلتقى او نتقارب ، رغم حرصنا — كلينا — على هذا التقارب

وليس ما يعنينى اليوم ان ادافع عن كتاب قضايا الشعر العربى المعاصر ، ولا يعنينى كذلك ان ادافع من رأيى فيه !

فالزمن كفيل بان يحكم فى قضيته ، ويفصل فيما تنازعنا فيه !

ولكن الذى يعنينى حقا ، هو ان ألفت الى مدى حاجتنا الى ضبط مقاييس الحكم الادبى عندنا ، ابقاء على حرمته ، وحملا على شىء من الثقة به

وكنت اتصور اننا اوشكنا ان نصل الى هذا الضبط ، بعد أن استقرت أصول الدراسة الادبية عندنا ، وتقررت لها مناهج علمية ، بحيث يمكن ان يلتقى حكام الادب على موازين يقومون بها الدرس الادبى واصحابه .

ولكن يظهر انى اسرفت فى التفاؤل ، اطمئنانا الى ما أعلم انه استحدث فى الدرس الادبى من اصول علمية مقررة .

وضبط المقاييس النقدية لايعنى بحال ما اننا لن نختلف على تقدير العمل الواحد ، بل يصح مع هذا الضبط ان نختلف على التقدير ، لكن فى حدود منطقه وموازينه .

فهل يشق علينا ، بعد كل الذى حققته الدراسة الادبية من تقدم علمى ، ان نلوذ بضوابط للحكم الادبى تعصمنا من ذلك التصدع الذى يمثله ما نرى من تفاوت الاحكام بين ابيض واسود ، وما نسمع من اختلاف المحكمين فى لجان التقدير ، بين اهدار لقيمة كتاب ، والصعود به الى مرتبة التفوق والامتياز ؟

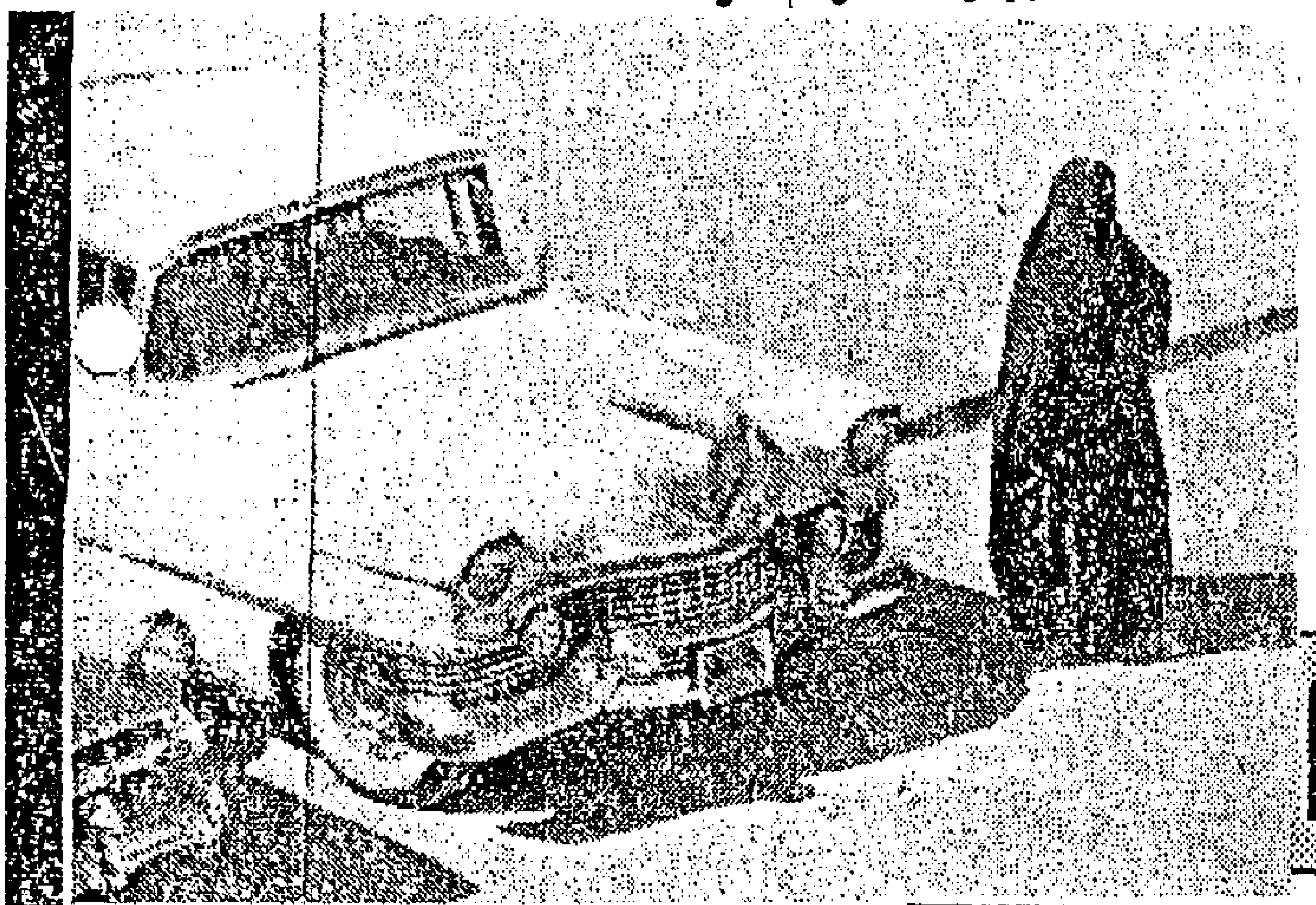
الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٥ / ٧ / ١٩٦٣

شاعرة من الجزيرة

النغم

وقفت ارقبها وهى تمضى بعيداالى حيث لا ادرى على وجه التحديد ..
دون ان تترك لى عنوانها ،او نتواعد على مراسلة او لقاء.
لكنها تركتلى انفاسها المكتومةواناشيدها المبعثرة، مكتوبة بانامل نحيلة مهتزة على صفحات منتزعةمن كراسة مدرسية .
ورجعت من حيث جاءت ، وقدتقنمت بجمودها الموهم ، وعادت



بقلم
الدكتورة بنت الشاطئ

كما يراد لها : دمية خرساء ..

وقبل ان تمضى ، استردت اسمها واسدلت عليه الحجاب ، واختارت ان استعير لها اسم ((السمراء)) اذا ما بدا لى ان اتحدث عنها من وراء ستار .

واستردت مع اسمها بضع قصائد لها اكتفت بانشادها على مسمعى ، ولو أنها تركتها لى ، لما جرؤت على ان اذيعها من هذا المنبر العام .

فقد جاوزت فى بعضها حدود المباح لحواء فى البوح والافضاء، ولعنت فى بعضها الاخر ماساة الشذوذ الجنسى ورجمت الممسوخين والممسوخات بحجر ...

★★★

واقبلت على اوراقها ، اصغى الى نبض وجدانها الحى ، ووجيب قلبها الخافق ..

ولم استطع ان ارد اناشيدها الى نوع من اساليب الصياغة الشعرية المقررة ..

فلا هى بقصائد موزونة على النسق القديم ، ولا هى من الشعر الحر الذى يتصرف فى التوزيع الموسيقى ويتخذ من وحدة التفعيلة اساسا لانطلاقه من قيد الشطرين ..

ولعلها اقرب ما تكون ، الى الشعر المرسل الذى يصوغ المعانى الشعرية فى طلاقة لا تعوزها موسيقية النغم ، وان لم يضبطها اى قيد من المصطلح العروضى ..

او هى انغام ممزقة واصداء حيرى ، لا يتردد ناقد ملتزم ، فى ان يعتبرها تجربة مبتداة لم تستوف حظها من النضج

وكنت وشيكة ان اصدر عليها مثل هذا الحكم ، لولا انى تمثلت «السمراء» وهى تشدو بهذه الاناشيد عندما زارتنى وكانها تذيب فيها قلبها ، وتتفاعل معها بكل كيانها .

اذ ذاك ادركت ان للسمراء وجدان شاعرة ، وعدت اقرا اناشيدها فى جو عالمها النفسى الرازح تحت وطأة واقعها المادى ، المضغوط باثقال الواد والكبت ..

★★★

ماذا تقول السمراء ؟

قصيدة «لحن تائه» :

لحن انا تائه
يا منشد الالحان .
نغم انا حائر
فى مهبط الوديان
معنى انا ذائب
فى عالم الحرمان
اصغى الى اصداء
من قلبى الظمآن
والمح الاطياف
فى رعشة الاجفان
وتعوى الرياح فتخنق الصدى
ويزحف الدجى ، فيخرس النغم

★★★

وقصيدة «ضياع» :

عمرنا ، حلمنا ، ايامنا ..
باتت خواء ..
قلبنا يبغى العطاء
وهو يبكى فى رجاء
حبنا ، غاب ، ذاب
لكن عطرنا
لم يزل عالقا باطراف السماء

فى جناح الطيف فى نجم المساء

روحنا ، مابزال
مزهرا فى الشتاء
مثمرا فى سخاء
رجع انفاسنا
ما يزال
عالقا بالرمال .
بالتراب ، بالهباء
عمرنا ، يمضى جفاء
فى متاهات الخواء

★

من قصيدة «عتاب فى الصحراء» :
صحراء واسعة كالافق
سمومها تلفحنى
ارضها جمرة
يلهبها عذابى
جبالها لا ترحم
يطربها انينى

رفقا يا صحراء بابنتك
انت كل دنياى
وعمرى كل ما لدى
فلا تقسى على

يومك قاس يا صحراء
وليلك طويل
وبقدر ما اتسع مداك
ضاقت نفوس بنيك
وهم يترصدون خطاى
داخل القضبان
ويحصون انفاسى
وان لم تنطق شفتاى

سلبوا عمرى
وخنقوا حياتى
بكلمة ترددها شفاههم :
حرام ..
كل شىء على ، حرام
وكل شىء لهم حلال
وانا مثلهم ..
انا ابنتك يا صحراء .

★★★

ومن قصيدة «ثقب فى الجدار» :
من نافذة ضريرة
من ثقب خفى
فى الجدران الصماء
وقفت اختلس جرعة من هواء
فى لحظة خرساء
من حياتى الفراغ

وضعونى بين هذه الجدران
وشحونى بعباءة سوداء
كانها ثوب حداد
على عمرى الذى مات
سوداء سوداء ..
مثل قلبى اليتيم .

ورددت الجدران اصواتهم :
لا تنظرى ، لا تبتغى ، لا تنطقى
انا منحناك الكثير
هذى ثيابك من حرير
هذا طعامك طيب
هذا فراشك حشوه
ريش وثير
فكفاك ، لا تطمعى
لا تنطقى ، لا تشتكى
انا منحناك الكثير
ما انت الا مراة
تحيا يسيدها الكبير
تحيا كما يهوى وكما يريد

ونظرت من ثقب الجدار

التاريخ : ٥ / ٧ / ١٩٦٣

لماذا الحياة تضج من خلف الجدار

كنت اختلست كتابا من اخى
فصحا به عقلى الغرير
وتفتحت عيناى للضوء المنير
اسلمت نفسى للخيال
اسلمتها للوهم يحملنى

باقصى ما يطيق
لاجوب آفاق الحياة
فى غشية الرؤيا
لذاك العالم المسحور

وصحوت من حلمى على وقع الخطى
مال الكتاب من يدى
وانسد ثقب الضوء فى ذاك الجدار
وطوانى الليل البهيم
فى شملة سوداء حالكة السواد .
كانها ثوب الحداد
يحكى ضياع العمر فى القفر اليباب .

★★★

هذا بعض ما لدى من نغم ممزق ، خنق به وجدان «السراء»

قد ترفضه موازين الشعر وتنكره قوالب العروض ، وقد يرى فيه سواى من النقاد عثرة البداية ..

ولكنى اجرؤ على ان اعد تمزقه مقياس اصالته الشعرية ، ومظهر صدقه الفنى .

فقيمته الكبرى عندى انه يسجل صليل القيد الباهظ ، ويأخذ منطلقه تحت ضغطة الصخور الجاثمة على وجدان الشاعرة فتصدر نغماته ممزقة حيرى ، لانها تعبير صادق عن معاناة مجهدة بالصراع المرير

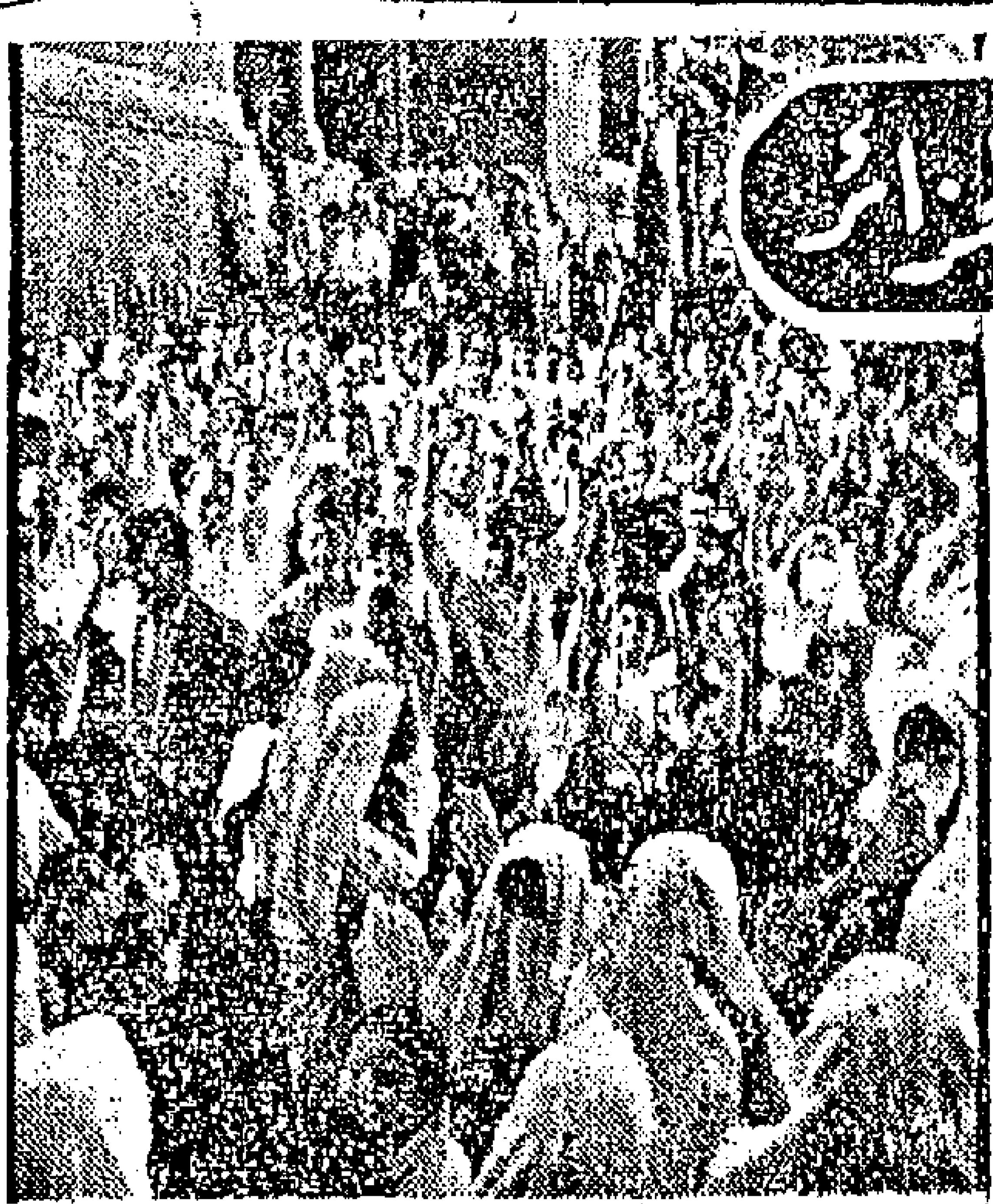
ولو قد جاء شعرها متسق النغم منضبط الايقاع ، لفقد سر قوته وسمة اصالته ، حين لا يحمل آثار الضغطة الخانق ، ولا يسجل تعثر الكلمات الاولى على شفتى حواء الجزيرة التى فرض عليها ان تعيش دمية خرساء ..

التاريخ : ١٢ / ٧ / ١٩٦٣

أغنية الانتصار!

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

١ رحلة إلى الجزائر



من بعيد كنت ارنو الى الجزائر
وانتظر اللحظة التى احج فيها
الى ارضها الطيبة
لاسجد على ثراها الطاهر
الذى روته دماء مليون شهيد

من بعيد ..
كان قلبى يهفو الى المزار المبارك
ويطيف بالمشاهد التى فرضت
على التاريخ المعاصر ..
ان ينحنى اجلالا لشرف الانسان
واكبارا لعزة بطولته ، ومجد
ارادته !
وعبر المسافات الشاسعة ..
كان ((اوراس)) يلوح لى شامخا
مهيبا
منارة تهدى المدلجين الحيارى
فى مبهمات المسالك ومنعرجات
السبل
حيث تتصارع القيم وتشتبه
المعالم
وحيث لا يزال شعوب من ابناء
البشر
يخوضون معركتهم ضد مهانة
الرق
واثم التفرقة العنصرية ، ولعنة
الاستعمار

★★★

ثم اذن الله فسعيت الى الارض
التى صارت مزارا ومنارا ...
ملء قلبى خشوع ، وحنين
مستثار
كمثل مسعاى يوم توجهت الى
البلد الحرام
والى المدينة المنورة ، والمسجد
الاقصى !
وتدانت الآماد والابعاد
وانا استقبل ارض الجزائر
حيث تجلت آية الله ..
فمحقت ظلمة البغى ..
وازهقت انفاس الباطل
وابطلت كيد الشيطان
والتقى الماضى بالحاضر
وانا اصلى الجمعة بحى القصبة
فى مسجد سيدى عبد الرحمن
ودعاء السماء ينطلق من مئذنته
العالية
فيلتقى عبر القرون بصوت(بلال)
وهو يؤذن للصلاة فى مسجد
المدينة
مستهل عام الهجرة ..
فتتصدع لجلاله صروح الوثنية

وتتهاوى قلاع الطغيان والإذلال

★★★

تماحت الآباد والابعاد والتقى الماضى بالحاضر

وانا اسعى بعد الصلاة مع ركب الحجاج الى « مقابر الشهداء » .

حيث استقبلتنا هناك ارواح الذين قتلوا فى سبيل الحق ..

فى كل زمان ، وفى كل مكان ..

وتالق الافق من حولنا بفيض من النور الاسنى،فخشع الكون وهو يرقب مبهورا تحقق « معجزة النار » التى اضرمتها الوثنية الباغية ، والقت فيها بابراهيم فاطفأهاايمانه وثباته على الحق ، وعادت بردا وسلاما على ابراهيم ..

كمثل هذه النار التى أججها ابالسه الفرنسيين ، فاقتحمها جنود الحق مستبسلين ، نورهم يسعى بين ايديهم فى طريقهم الى لقاء المجد والحياة ..

وحين شددت الرحال الى مدينة « تيزى ووزو » مقر الفرقة السابعة من جيش التحرير ..

مررت فى طريقى اليها بالجبال الشماء التى كانت معاقل الجهاد ..

وبلدان حميز ، ورويبة ، والما ، وبقية القرى التى سهرت مع المجاهدين ، وزودتهم بالمؤنة والسلاح .

واصغيت الى كلمة « ألكولونيل ولد الحاج » وهو يقدم الى « المشير عبد الحكيم عامر » بندقية البطل الشهيد « مراد ديدوش » احد الثوار التسعة الاوائل الذين اطلقوا نداء الجهاد المسلح عام ١٩٥٤ ، واول من استشهد من قادة جيش التحرير ..

فذكرت بكل هذا ، قصة الصراع الطويل بين الحق والباطل ، وكان الذى ارى واسمع ليس الا جولة من جولاته التى تتابعت على مسار الزمن ، وقدمت فيها البشرية قربانها الى الحق والخير ، لتحمى شرف الانسان وحريته وكرامته وكل ما به يكون انسانا !

واستقر بى المطاف حتى عدت الى « القصبة » فى قلب العاصمة ، ولبثت يوما او بعض يوم مع عشرات من اخواتى الجزائريات ، أصغى الى حديثهن عن المعركة ، وما منهن الا من شاركت فيها ، وقدمت لها الذخيرة الحية : ابا او اخا ، او زوجا او ولدا...فلا والله ما سمعت قط كلمة تفجع على شهيد ذهب ، او حسرة على عزيز مضى ، او اسف على متاع تبدد أو بناء دمر ، وانما كان الحديث كله اعتزازا بالتضحية الغالية ، للوطن الغالى ، ومن الدماء الزكية التى طهرت الحمى من دنس اللصوص ورجس الغاصبين ...

ومنهن عرفت من طبيعة المعركة ، مالم أعرفه من كل ما قرأته عنها ..

ومعهن رددت اغنية النصر التى سمعتها لاول مرة فى احتفال عيد الاستقلال ، يشدو بها مطربهم الكبير « محمود عزيز » .

وسمعتها من بعد ذلك تتردد على شفاه الجماهير من ابناء الشعب ، فى سامرهم ومحافلهم ، من اوراس الى القصبة ..

والاغنية من تأليف « **الشاعر عبد الرحمن عزيز** » وتستهل بهذا الهتاف المثير :

★ يا محمد مبروك عليك ★
★ الجزائر رجعت ليك ★

كاشفة عن السر الذى حير المستعمرين ودوخ جيوشهم لدى سبع سنين دأبا !

لقد خاضت الجزائر الباسلة معركتها المجيدة معتمدة على طاقة معنوية،يزودها الايمان بقوة لا تقهر ولا تغلب ..

وواجهت بسلاح ، لم تكن تملك منه عام ١٩٥٤ ، الا بنادق صيد واعواد كبريت ، جيشا مزودا بقنابل الشيطان ، مجهزا باحدث آلات التدمير ...

ولقد شاهدت فى القطاع الممتد من بادة حميز الى تيزى وزو ، مساحات كبيرة تغطيها دبابات فرنسية معطلة،لم تستطع ان تغلب بندقية صيد فى يد مجاهد مثل مراد ديدوش ، او العربى بن مهيدى ، او مصطفى بو عيد ، او اى جندى من مليون شهيد ، وجدوا فى الموت حياة ، وفى الاستشهاد مجدا وانتصارا ..

ومن وقع خطاهم على ساحة الجهاد، انبعث النغم الذى ترجعه اليوم معازف الاحرار فى عيد الانتصار :

★ يا محمد مبروك عليك ★
★ الجزائر رجعت ليك ★

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

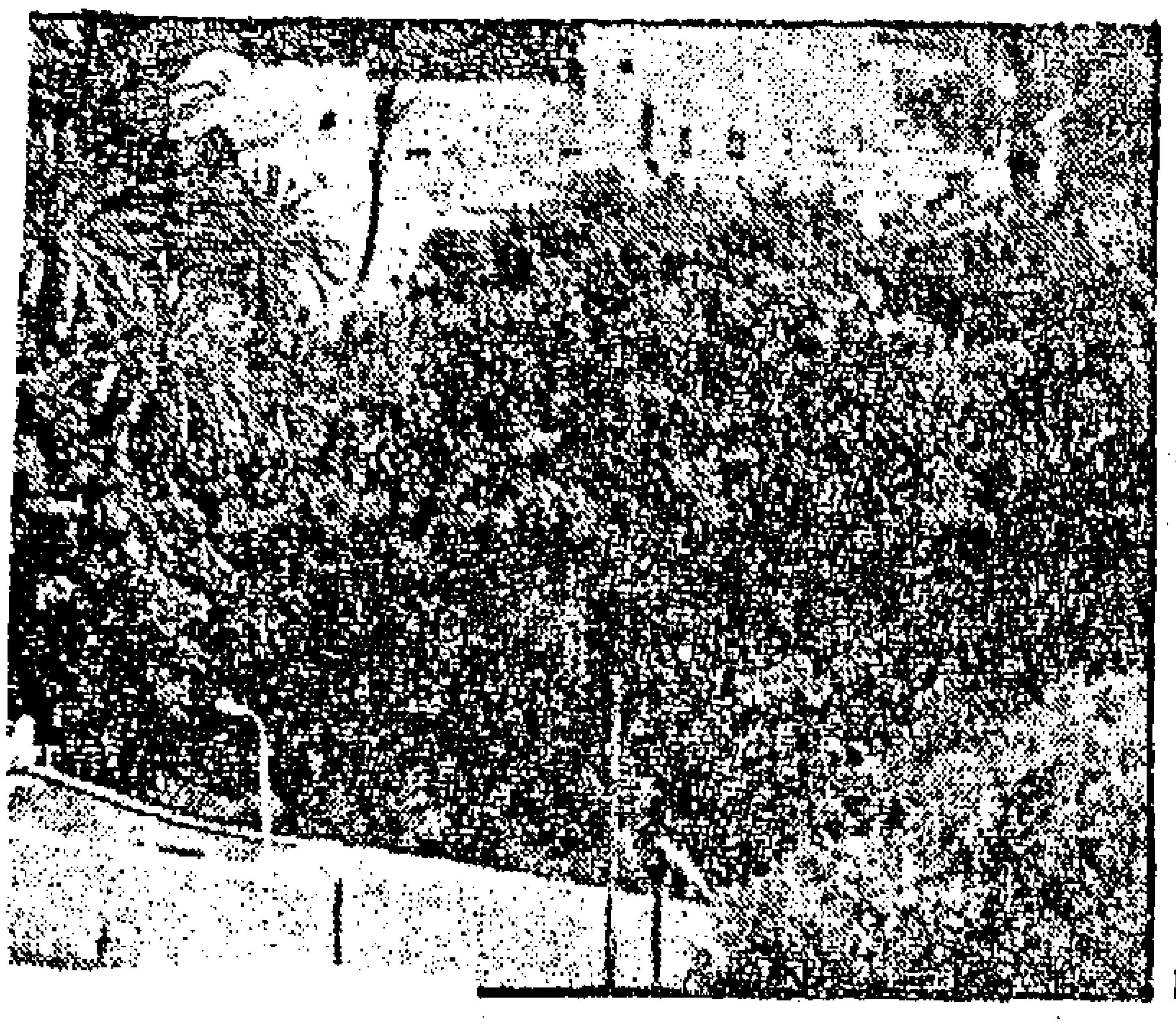
التاريخ : ٢٦ / ٧ / ١٩٦٣

رحلة إلى الجزائر ٢

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

قضية التعاصر الفكري في ضوء تجربتنا الثورية

لم يكن في حسابي قط ، يوم سعيت احج الى الجزائر ، ان اشغل بدراسة قضاياها الفكرية والادبية ، وانما أردت ان تكون رحلتي الاولى اليها ، خالصه للطواف بمزارانها المباركة ، وتحية اهلها الاحرار البواسل ، الذين قدموا اغلى فدية لحماية شرف الانسان ، وتحقيق وجوده الحر الكريم ..



غير انى لم اكد اصل الى حماها والقى الاصدقاء الاعزةمن اهلها ، حتى الفيتنى اندمج بكل كيانى فى حيـاة قومى هنـاك ، وأشغل — دون قصـد منى — بما يواجهون من اعبـاء عهدهم الجديد ، المثقل بمخلفات المـاضى ورواسب ليله الطويل ..

ومن اللحظة الاولى ، بدا لى ان قضية التعـريب من اخطر القضايا التى تشغل البال .

فلقد حرص الاستعمار طوال عهده المشئوم ، على ان يصبغ كل ما هو جزائرى بصبغة فرنسية ، واضله الوهم فخيل اليه ان مثل هذه الصبغة المستعارة الطارئة ، يمكن ان تنسخ قانون الطبيعة وتمحو صبغة الله !

ولم يعننى ان اتتبع اثر المحاولة ، فى المجال السياسى او الاقتصادى ، وانما الذى عنانى ان ارصد آثار الغزو الفكرى الذى طال مداه ، وعبثت له قوى عاتية فى ظاهرة مكشوفة ، ومقنعة خفية .

●

ولا انى بجديد يكشف عن مجهول ، اذا اشرت الى اصرار الاستعمار على ان يسرق لسان الامة ، باعتبـاره عنصرا جوهريا من عناصر ذاتيتها الاصـيلة

ومقوما اساسيا من مقومات وجودها ..

فالدنيا جميعا ، تعرف هذه الجريمة الاستعمارية التى تجوز فى شناعتها اختلاس ثروة الشعب وانتهاب خـيرات بلده . ذلك لان الخسارة فى هذا مادية يمكن ان تعوض بمجرد ان يسترد الشعب حريته ، ويطهر حماه من دنس الغاصبين ، ويبقى عليه بعد ذلك ان يخوض معركة طويلة لتعريب لسانه ومقاومة آثار الغزو الفكرى الذى لايلقى سلاحه ابدا ..

●

وقضية التعريب ، ادق واخطر من ان اتناولها جملة فى مقال ، ولذلك اكتفى منها اليوم بظاهرة عامة من ظواهرها ، وهى فقدان التعاصر الفكرى بين ابناء الجيل الواحد .

واعنى بها ان تجد الامة ابناءها ينتمون الى عصور فكرية متفاوتة ، اثرا لتفاوت الثقافات التى توزعتهم ، وتباعد المدارس التى تلقوا فيها تعلمهم ..

ويمكن القول انها ظاهرة مشتركة ، بين كل الشعوب التى امتحنت بالاستعمار ، غير ان من الخطأ ان نقيس هذه الظاهرة فى الجزائر ، بشبيهات لهـا فى اقطـار عربية اخرى ..

نحن فى مصر مثلا ، قد واجهتنا ازمة فقدان التعاصر الفكرى ، مع مخلفات ماقبل ثورة يوليو ١٩٥٢ ، لكنها كانت فى الواقـع ، اثرا للوضـع الاقطاعى الذى جعل التعليم الابتدائى والثانوى والعالى ، حقا لابناء الطبقة الثرية وقضى بان تكون القدرة المالية على دفع اجر هذا العلم جواز المرور الوحيـد ، من المرحلة الابتـدائية الى الجامعة ، اما جمهرة ابناء الشعب فحسبهم ان يتلقوا التعليم فى الكتاتيب والمدارس الالزامية ، التى تسلك طريقا موازيا لطريق المدارس الابتدائية ، بحيث لا يلتقيان ابدا ..

فنشأت من ذلك الوضـع اللئيم **طبقية ثقافية توازر الطبقية الاجتماعية .**

وكان وجود الازهر والمعاهد الدينية ، الى جانب معاهد الارساليات التبشيرية والبعثات الاجنبية ، عاملا خطيرا من عوامل فقدان التعاصر الفكرى بيننا . **وهى ازمة حسمتها الثورة وقضت على اسبابها بالقضاء على الوضع الطبقى ، والغاء ثنائية التعـليم وتقرير مجـانيته ورفع وصاية الرجعية على الازهر المجيد ، وانهاء سـيطرة العناصر الاجنبية على التعليم الخاص .**

والذى بقى من آثار الازمة ، فيما نشكوه من تصدع فكرى يتكفل به الزمن ، بعد ان قضينا على اسبابه

اما الوضـع فى الجزائر فيختلف عن ذلك : فالازمة لم تنشـأ فى الواقع عن ضراوة طبقية تحسمها ثورة اشـتراكية ولم تعن عليها سلطة رجعية تحسمها حتمية التطور ، وانما نشأ فى الحقيقة عن صدام بين سيطرة المستعمر ووعى الشعب ، بحيث يمكن اعتبـارها جولة من جولات الصراع الطويل بينهما فى ساحة الجزائر ، واحتسابها مظهرا من مظاهر ارادة الشعب الواعى واصراره على مقاومة الغزو الثقافى المسيطر !

فحين كان المستعمر دائبا على فرنسة المدرسة الجزائرية ، كان وعى الشعب يدفعه الى التماس كل وسيلة ممكنة لتحدى هذا التيار الغازى ..

وعمد الاسـتعمار الى اخبث سـلاح لقتل مقاومة الوعى الشـعبى : جعل المدارس الحكومية كلها فرنسية خالصة متفرنسة تبعا لذلك كل الشهادات

التاريخ : ٢٦ / ٧ / ١٩٦٣



خديجة خضر



هوارى بومدين

الرسمية ووظائف الدولة !

لكن الشعب لم يلق سلاحه ، بل مضى مصرا على المقاومة .

وتصف لى الاخت الصديقة « خديجة خضير » كيف امكن ان يستبقى الشعب شعلة عربية لاتنطفىء فى مهب هـذا الاعصار الجائح ، وكيف استطاع ان يسهر على حيوية بذرتها ، تحت ذلك الضغط الاستعمارى الباهظ :

أصر جيل الاباء ، وبخاصة اهل الريف والقبائل على لسانهم العربى ، وحين اضطروا الى ارسال ابنائهم ليتعلموا فى المدارس ، حرصوا ماوسعهم الجهد على أن يعيشوا فى بيوتهم ، فى جو عربى اللسان والطابع والمزاج وبذلوا محاولات مثيرة ، ليضيفوا الى ثقافة ابنائهم الفرنسية ، عنصرا عربيا قل او كثر ..

فمن الطلاب من كانوا يذهبون الى المدرسة الفرنسية فى الصباح ، ثم يخرجون منها بعد اليوم المدرسى الى احد الكتاتيب الاهلية ، ليتعلموا العربية ويقرأوا القرآن ..

ومنهم من كان يجد فى انتظاره بالبيت ، معلما من الشيوخ ، يلقنه القدر الضرورى من علوم العربية والاسلام ..

ومنهم من أمر اهله على مقاطعة التعليم الحكومى الفرنسى والحقه بمدرسة اهلية عربية ، مع علمه انها لاتعطى شهادة رسمية ، ولاتمنح رخصة للعمل فى وظيفة من وظائف الدولة

وأمام قصور التعليم الاولى المتاح لتلاميذ المدارس العربية، خرج فوج بعد فوج ممن انهوا الدراسة بها ، يلتمسون مجالا ارحب للتعليم ، خارج بلادهم : فذهب بعضهم الى تونس او المغرب ، وشد آخرون منهم الرحال الى القاهرة يطلبون العلم فى الازهر الشريف ، ملتحقين برواق المغاربة ..

ومن هؤلاء ، الاخ الكولونيل « هوارى بومدين » قائد جيش التحرير فى المعركة الفاصلة ..

●

وتحررت الجزائر بعد معركتها المجيدة الباسلة ، التى اشترت فيها حريتها بأكثر من مليون شهيد ..

فواجهت فيما واجهت من مخلفات الاستعمار ، ذلك الوضع الثقافى المتصدع الذى يكفى لبيانه ان اذكر هنا على سبيل المثال ، ان الجزائر لما استقلت بامر جامعتها ، لم تجد العدد الكافى من الطلاب الذين تعلموا فى الجزائر لمعهد الدراسات العربية فى الجامعة ، اذ كانت المدارس الجزائرية الثانوية ، المعترف بها رسميا تمنح طلابها شهادة (البريفية) ! وقل فيهم من اتيحت له ثقافة عربية خاصة منظمة تسمح له بمتابعة الدرس فى المعهد الجامعى للدراسات العربية ..

ومع هؤلاء ، دخل المعهد بضع عشرات من الطلاب الجزائريين لم توحد بينهم ثقافة مشتركة سابقة ، اذ كانوا تدر تلقوا علومهم الثانوية فى الزيتونة او الرباط أو القاهرة أو بيروت . فتفاوت اعدادهم وتوجيههم ، تبعا لتفاوت المناخ الفكرى والثقافى بين العواصم العربية .

●

افيمكن حسم هذه الازمة باجراء ثورى كالذى حدث فى مصر ، حين حسمت الثورة اسباب ازمتنا ، بتوحيد التعليم الابتدائى والغاء أجر العلم ؛ وتمصير المدارس الاجنبية ؟

الوضع هنالك مختلف ، لارتباطه الوثيق بمشكلة التعريب الكبرى ، وهى مشكلة لم تصطدم بها تجربتنا الثورية فى مواجهتها للازمة .

وحتى اليوم ، لم استكمل بعد دراسة هذه المشكلة .. ولكن الذى اعلمه يقينا ان معركة التحرير الكبرى قد احدثت اثرها الحاسم فى وقاية الامة من خطر ذلك التصدع ، بما صانت من جوهر اصالتها ، وبما اتاحت لها من وحدة فكرية ووجدانية ، يلتقى عندها افراد الشعب جميعا ، من فلاح الريف الى رئيس الدولة !

وهذا وحده يكفى لان يحتكم فى تكييف الجو الفكرى هناك ، ويكفل نوعا قويا من المعاصرة الفكرية بين ابناء هـذا الجيل الذى شهد مشرق الصبح الجديد !

التاريخ : ٢٨ / ٧ / ١٩٦٣

فاليتا .. والدمية الخرساء

شاعرة من الجزيرة ...
مهدرة الوجود مغطلة النطق
يفيض عالمها النفسي بشعور جائع من الشوق والشجو والظما
وترهقها شحنة عاطفية باهظة تكاد تمزق كيانها
لكنها لا تملك حق التنفس
فقد الجموا لسانها ، وفرضوا عليها أن تعيش دمية خرساء !.

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

لقيتها هنا في القاهرة على غير موعد .

وكان الظن الا القاها قبل سنين :
بعد ان طال بحثي عنها وانا اجوب ارجاء الجزيرة العربية ، وانتقل من الحجاز الى نجد ، ومن الاحساء الى القطيف ، ومن الدهناء الى الربع الخالي دون أن اهتدى الى اثر ينم عنها او اسمع صوتا يعلن عن وجودها .
وان رايت شبحها هناك خلف القضبان والاسوار ، تعيش وراء حدود الزمان . لاتنتمي الى عصرنا ، وان ولدت فيه ..
كانها بقية منسية من آثار القرون الخوالي
بقية تحجرت ، وتراكمت فوقها ضاريس الرجعية ، فخنقت فيها حس الحياة ، واخرست نبض الوجود
وان بدت لعيني كالاميرة الاسطورية المسحورة ، في نومها الطويل ..

وتساءلت يومها .
متى وكيف ياترى تحل منها عقده السحر لتصحو !
وظل السؤال يلاحقني وانا اطوف بمعامل الزيت في « الظهران وبقيق » وارقب ناقلات البترول الرابضة قرب الساحل عند « الدمام »
ايمكن ان تصحو النائمة ، على هدير الناقلات الصاخب ، وضجيج الالات المارده التي تزار في جوف الصحراء ، فتمزق صمتها المرهوب ، وترج دنياها رجا ؟
ورابني الامر ..
فلقد كان لهذه الرجة فعلا ، صداها الذي نفذ الى خدر النائمة ، دون ان يحل منها عقدة السحر !
تدفق سيل الذهب الاسود ، فاقتحم عليها الجدران الصماء ، يحمل اليها كل ما وصلت اليه مصانع اوربا وامريكا من مستحضرات التجميل وادوات الزينة وازياء العصر ، لكنه لم يحمل اليها ببريقه الكابي المتلفىء ، شعاعا من نور الوعي او خفقة من روح الحياة

ونقلت اليها الطائرات انباء مثيرة من هوليوود وباريس ، استطاعت ان تكشف غطاء بصرها ، وان تغزو فطرتها البدوية النقية بصور ومشاهد من حياة الغواني ونجوم الشاشة ، لكنها لم تنقل اليها لمحة مضيئة من افق المعرفة ، ولا حاولت ان تكشف الغطاء المسدل على بصيرتها وعقلها !

وكان الحراس هناك دائما ، يفحصون كل بضاعة تجتاز اسوار الحريم ، حرصا على بقاء النائمة مستمتعة بلذة الخدر ، سعيدة بخمول النعاس ، منتشية بصلصل اغلالها الذهبية ، وحقيقة ثيابها من النايلون والحرير ...

وعلى هذا الوضع تركت النائمة بعد رحلتي الى الجزيرة عام ١٩٥٠ .
وكتبت عنها ما كتبت ، وملء قلبي شعور بالرحمة لها والرثاء لما يكبلها من اصفاد ، اعلم يقينا انها لا تحسها ..
ومضت اعوام عشرة ،
نقلت البشرية الى عصر الذرة ..
ثم تبعها ما ، انتقلت فيها دنيانا الى عصر الفضاء
والنائمة المسحورة ماتزال هناك ، لم تنتقل خطوة واحدة على مدى العصرين ولم تغادر اسوار خدرها الى مدرسة ابتدائية تحل لها رموز احرف الهجاء ، وتحبو بها على مدرجة التطور ، ما بين حيوانيتنا العجماء ، وانسانيتنا الناطقة ..

ثم كانت المفاجأة ..
لقيتها على غير موعد ، غداة نشرت هنا مقالي عن « زبيدة بشير » شاعرة

التاريخ : ٢٨ / ٧ / ١٩٦٣

العواطف المكلومة كما يطلقون عليها و تونس

وقد بسمت الى لقائى على حذر واستحياء ، لتقول لى :

انا التى تبحثين عنها من زمن طويل وهذه اناشيد قلبى ، لا استطيع ان اشدو بها لاننى — بحكم التقاليد — دمية خرساء .

وقبل ان تذكر اسمها ، مضت تنشدنى بعض قصائدها بصوت يقرب من الهمس، وهى تتلفت الى الباب بين لحظة واخرى وكانها تخشى ان يباغتها مطارد ، او يقتحم علينا المجلس رقيب مترصد ..

ثم زايلها القلق ، فقدمت نفسها الى واندفعت تروى لى قصة تسللها من وراء القضبان ، وعبورها الصراط الممتد من متاهة الخدر الى منطقة اليقظة ..

بعد ان استوثقت من وعدى ، الا اكتب قصتها ، مخافة ان تشى بها لدى الحراس الاشداء من قومها ، فيرجعوها الى القفص الذى افلتت منه خفية وتسللا ويوصدوا عليها المنافذ والابواب ..

وكان مذياع قريب ، يحمل الينا انباء رحلة « فالنتينا » وهى تقود سفينتها فى مدارها الفضائى حول الارض ، فتلتقى انباء هذه الرحلة العجيبة فى مسمعى بصوت ضيفتى وهى تقص على ، حديث رحلتها الخطرة من غيابة عصر الحريم الى عصر الفضاء !

وعجيب للمفارقة المذهلة !.

كانت الرسائل تنتقل بين «الكرملين» وسفينة الفضاء فى افقها العالى الذى لا تدركه ظنوننا ولا يشارله خيالنا ، فيمسك التاريخ انفاسه ممنيا ، كيلا تفوته منها كلمة او بعض كلمة ..

وهنا فى القاهرة . كانت فتاة عربية شابة ، ولدت فى العقد الخامس من القرن العشرين ، تتلفت فى ذعر ، وتنطق فى همس ، ولا تجرؤ على تصور ما يحدث لها ، لو عرف قومها انها تتململ من قيد اغلالها الباهظة ، وتشتاق ان تتحرر من حكمهم الجائر عليها ، بان تعيش دمية خرساء !

ويتردد اسم «فاليا» ملء الكون الواسع مدللا حواء هذا العصر ، فيخفق به وجدان البشرية فى نبض من الحنان والاكبار وضيفتى هنا ، ترجونى ان ابحث معها عن اسم لها مستعار ، تتوارى خلفه اذا بدا لها ان تتنفس بشعرها ، او اذا بدا لى ان اعلن عن وجودها !

وكنت قد وقفت موقفها من زمن ..

تواريت خلف اسم مستعار ، خوفا من غضبة التقاليد ولكن «فاليا» لم تكن قد ولدت بعد !

ومن قبلى ، احتالت شاعرة الطليعة «عائشة تيمور» فغنت شجوها من وراء قناع موهم ، واستعارت لسان رجل تنطقه باشواقها ومواجدها ، وافرغت الشحنة العاطفية التى كبتها واد طويل لاجيال من بنات الشرق،وهى تؤكد للقوم انها « تتغزل فى غير انسان ، وان القصد تمرين اللسان » !!

لكن عائشة تيمور من بنات القرن التاسع عشر ..

وبينها وبين فاليا ، مائة عام فى حساب دورة الفلك

ومئات من القرون ، فى حساب دورة الفضاء !

ولست ادرى ، ماالذى سوف تكشف عنه « فاليا » من اسرار المجهول ..

ولا مدى ما قادتنا اليه سفينتها من مراحل حضارية لعصر جديد

قبل ان تتاح لى الفرصة ، لانقل الى قراء الادب نبض وجدان الدمية الخرساء ، واسمعهم صدى صوتها من وراء الحجب والاستار !!

التاريخ : ٢ / ٨ / ١٩٦٣

تراثنا والتخطيط الجديد للفكر العربي

كان لى نيتي ، ان اتابع هنـاما بداته منذ حين ، من حديث عنرحلتى الاولى الى الجزائر ، لكنى رانى مضطرة الى ارجاء هـذاالحديث لسببين :

اولهما : اننى اتهيا للسفر غدابمشيئة الله عائدة الى الجزائر،ولا ريب ان ستتاح لى فرصة اخرىلاستكمال ما لايزاليموزنيمنفهم لقضاياها الادبية والفكريهوالتقاء باساتذة جامعتها الذين لم يتح لى ان القى منهم فى الرحلةالاولى ، الا الاستاذ ((الدكتوربن شنب)) عميد معهد الدراسات العربية بجامعة الجزائر ..

والسبب الاخر : ان مشروعاثقافيا كبيرا ، اعلن عنه فىصحفنايوم ١٩٦٣/٧/١٦ ، وفيه مجال لكلام كثير يقال ..

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

.اعنى مشروع وزارة الثقافة، لتنفيذ التخطيط الذى وضعه للمكتبة العربية ، مجلسنا الاعلى لرعاية الاداب والفنون ..



عبد الوهاب عزام



عبد العزيز الاهوانى

كل الموضوع ... وقد صدر منها — فيما أعلم — ثلاثة
في الفصل السابع والعشرين من (مقدمته) مجلدات كل موادها في حرف الالف» وذيلت
يشير الى الضرورة التي تقضت بمثل هذا كل مادة باسم كاتبها ، كما ذيل المجلد
« بعد ان كثر التاليف وتعددت طرقه . الثالث بدليل — على حروف المعجم —
بحيث لا يفي عمر المتعلم لحفظ ما كتب للاسماء المعروفة وما يقابلها من اسماء
في صناعة واحدة ولو تجرد للتحصيل » غريبة ، في الاجزاء الثلاثة ، ودليل آخر
ويضرب مثلا لذلك الكتب المدونة في للاسماء والمصطلحات العلمية .
الفقه المالكي وما كتب عليها من شروح
«يلفني العمر ولا يستحضرها طالب» كما
مثل بكتاب سيبويه وما كتب عليه من شروح
متقدمة ومتاخرة ، في المشرق والمغرب

وقد اشتهر عندنا بهذا النوع من التاليف الحافظ جلال الدين السيوطي ، فكانت مؤلفاته التي زادت على مائتين ، تجميعا وتنسيقا لمطالعاته في علوم العربيــــة والاسلام .

غير ان الغرب اســـتحدث نوعا من دوائر المعارف ، لايقوم بها فرد واحد وانما توزع موادها على اعلام المتخصصين كل في مجال تخصصه ، وتذيل كل مادة بثبت لمصادرها واهم مراجعها ، كي تكون بين يدي من يريد التوسع في دراســــة المادة او الاتصال بمصادرها . وتتجدد الطبعات ، لتساير ما استحدث من جديد في مواد الدائرة ، وتنسق المواد على حروف المعجم ، وتشرف على اخـــراج الدائرة ، هيئة من كبار العلماء .

واخذنا نحن عنهم المظهر الشكلي في التنسيق ، دون ان ناخذ بمناهجهم . بل ظل الامر محصورا في النطاق الفردي، اعني ان فردا واحدا يتولى كتابة كل مواد الدائرة ، علمية وفنية ، على نحو ما فعل المعلم بطرس البستاني في دائرة معارفه التي صدر منها احد عشر مجلدا تنتهي عند مادة «عثمانية» ومن بعده اصدر الاستاذمحمد فريد وجدي «الدائرة معارف القرن العشرين » وقد انفرد بكتابة موادها

وواضح ان المنهج العلمي لا يسيغ ان يكتب المادة الا متخصص فيها ، خبير به بمصادرها ومراجعها

وهذا هو ما التفتت اليه « **دائرة المعارف الزراعية** » حيث بدا المشروع بتاليف لجنة من العلماء المتخصصين ، وزعت عليهم مواد الدائرة ، وتولت الاشراف على اخراجها ، هيئة علمية يراسها « **الدكتور احمد رياض** » عضو المجمع المصري للعلوم . ..

▲▲▲

والجهد المبذول، سخي وجليل. واساسه المنهجي سليم . وليس من حقي ولا في قدرتي ، ان انظر فيها نظرة موضوعية او ابدي رايا في موادها العلمية . وانما مبلغ جهدي ان أشير هنا الى ثلاثة ملاحظ

اولها : ان اللجنة التي تتولى العمل مؤلفة من ذوي التخصص العلمي في : الزراعــــة والحيوان والعلوم ، **ومعهم** عالم في الاثار هو استاذي «الدكتور عبد المنعم ابو بكر » عميد آداب القاهرة.

وليس فيها احد من فقهاء اللغة العربية مع وضوح الحاجة اليهم في عمل كهذا

ويبدو ان اللجنة اكتفت بأن تضع في مكتبتها معاجمنا اللغوية ، والمصطلحات التي نشرها المجمعان العلمي واللغوي ومؤلفات علماء اللغة مثل تذكرة الشيخ داود الانطاكي ، **والجامع للمفردات الادوية والاغذية** لابن البيطار **ومعجم اسماء النبات** لامين المعلوف **ومعجم الحيوان** لاحمدعيسى ، **والالفاظ الزراعيةبالفرنسية والعربية** لمصطفى الشهابي.

غير ان الامر في هذا ادق واصعب من ان يكتفى فيه بالمراجع ، دون ان يكون بين اعضاء اللجنة خبير بالعربية نقيه باسرارها .

واعلم ان الزميل « **الاستاذ محمد صبيح** » — وهو ينتمي اصلا الى اسرة اللغــــة العربية — يشترك في الاشراف على طبع الدائرة واخراجها ، لكنا لا ننسى مع تقديرنا له ، انه ترك الميدان اللغوي منذ تخرج في الجامعة ، الى ميدان الصحافة والدراســات القومية . ونحن ننفق العمر كله في ادق تخصص لغوي ، دون ان نجرؤ على ادعاء الفقه الكامل باسرار العربية . وحسبي ان اشير هنا الى ان لجان المصطلحات العلمية والقانونية في المجمع اللغوي ، يشترك فيها جميعا اعضاء من علماء العربية الى جانب اساتذة العلوم والقانون .

واعجب من هذا ، ما حدث بعد ظهور الطبعة الاولى من نص الغفران محققا ؛ وايداع خمس نسخ منه فى دار الكتب بمقتضى قانون الايداع . وفى الطبعة وصف «المخطوطة كوبريللى» التى اعتمدناها اصلا :

جاء « الدكتور سامى الدهان » الى القاهرة وعرض على دار الكتب ان تشترى منه نسخة مصورة من مخطوطة كوبريللى لرسالة الغفران ، وكادت الصفقة تتم ، لولا ان تفضلت الدار فعرضت المصورة على ، لابدى رايا فى قيمتها واصالتها

دون ان تدرى اننا نملك هنا فى مصر (ميكروفلم) من المخطوطة ، هو الذى بعثه المستشرق ريتر ، واودع فى مكتبة جامعة القاهرة ، بعد ان قمت باخذ صورة ايجابية منه !

وهذا المثل وحده يكفى لبيان وجه العذر حين اقرر هنا ، ان اى مشروع لاحياء تراثنا ، لا يمكن ان يجدى ، ما لم يتحد كل عقبة فى سبيل معرفة ما ابقى لنا الزمن من ذخائره ..

وتوقعت كذلك ، ان يتجه المشروع الجديد الى تنسيق الجهود المبعثرة ، التى تقوم بها هيئات شتى رسمية ، مثل دار الكتب ، والمجمع اللغوى ، والجامعات وادارة التراث بوزارة الثقافة ، ومعهد المخطوطات ..

والهيئات الخاصة التى لها عناية بنشر التراث ، مثل لجنة التاليف ، ودار الحلبى ودار المعارف التى نشرت بضعة وثلاثين كتابا فى سلسلتها المشهورة « ذخائر العرب »

بل لم استبعد ، ان يسبق كل عمل فى حقل التراث ، تاليف مركز خاص به تمثل فيه كل هذه الهيئات المختلفة ، ويشترك فيه ممثلون للدوائر العلمية فى اقطار الوطن العربى ، ويكون من اختصاص المركز ، الضبط والتخطيط والتنسيق ، والاشراف على كل ما ينشر من ذخائر التراث العربى ، بحيث لا يصدر كتاب منه قبل ان يجيزه المركز ..

ولكن المجلس الاعلى لرعاية الاداب والفنون ، **انفرد بالمشروع دون ان يفكر فى هذه الهيئات الرسمية والخاصة ذات الخبرة بالموضوع والتجربة فيه ..**

ويبدو خطر هذا الانفراد ، حين الفت هنا الى ما فى مشروع المجلس الموقر من اخطاء كان يمكن اتقاؤها ، لو قام به مركز خاص بالتراث ، يشكل من خبراء اصلاء ، وتمثل فيه كل الهيئات المتصلة بالموضوع .

واوضح الماخذ ، ان القائمة التى اعدها المجلس فى مشروعه ، تتضمن ذخائر سبق تحقيقها ونشرها **وليس الخطر هنا ان نجهل رصيد مكتبتنا من النصوص المحققة ، ولكن الخطر حقا ، ان يكون من بين النصوص المطلوب تحقيقها او اعادة طبعها** ، ما قامت بنشره هيئات رسمية مسئولة ، **منها وزارة الثقافة التى تتولى تنفيذ المشروع الجديد !**

وبعض هذ النصوص المحققة ، نشر حديثا او اعيد نشره بعد عام ١٩٦٠ .

فكتاب **((الذخيرة لابن بسام))** بدات جامعة القاهرة بتحقيقه ، والفت له لجنة من الاساتذة الزملاء «عبد العزيز الاهوانى وعبد القادر القط وبخاطره الشافعى » ونشر الجزء الاول منه باشراف استاذنا « الدكتور طه حسين » . وكان التنسيق يقتضى ان تتولى هذه اللجنة نشر باقيه بعد ان جمعت اصوله وقومتها ، وتوفر لها من الخبرة بخطوطها ومراجع خدمتها ، ما لا يصح اهداره لنبدأ العمل من جديد ،

وكتاب **((البخلاء للجاحظ))** . حققه « الدكتور طه الحاجرى » الاستاذ بجامعة الاسكندرية ، ونشرت طبعته المحققة منذ اعوام ..

و ((الشاهنامة للبندارى)) : حققها

الدكتور عبد الوهاب عزام استاذ الفارسية بجامعة القاهرة ، كما حقق ـ رحمه الله ـ كتاب «كليلة ودمنة» ونشرتها دار المعارف بالقاهرة فى طبعة ناضرة متقنة !

وكتاب «المكافأة لاحمد بن يوسف» حققه الاستاذ محمود شاكر ، وهو من الخبراء الثقاة .

وكتاب « **البصائر والذخائر لابى حيان** » : وضعه المشروع فى تراثنا من الفلسفة والاجتماع وهو من صميم التراث الادبى ، وقد حققه الاستاذان احمد امين ، والسيد احمد صقر ـ مدير **ادارة التراث بالثقافة !** ـ ونشرت لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الجزء الاول من نصه المحقق ، عام ١٩٥٣

وكتاب «قوانين الدولة لابن مماتى» توجد منه فى مكتبتنا طبعة محققة متقنة ، قام بتحقيقها الدكتور عزيز عطية سوريال استاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة الاسكندرية ، وطبع على نفقة الجمعية الزراعية !

وكتاب «التنبيه والاشراف للمسعودى» نشره الاستاذ عبد الله الصاوى ، عن **الطبعة الاوربية المحققة !**

وماذا اقول من « رسالة الغفران » التى حققت على ادق ضوابط المنهج العلمى وجمعت لها المخطوطات من شرق وغرب وقد نالت جائزة المجمع اللغوى لتحقيق النصوص عام ١٩٥٠ ، ونشرتها دار المعارف فى سلسلة الذخائر ذلك العام ثم نشرت طبعة ثانية فى عام ١٩٥٧ مرفقة بنص محقق لرسالة ابن القارح ، مفتاح فهمها . وتصدر فى هذا الشهر ، الطبعة الثالثة من الغفران ، مراجعة على جديد ما نشر من اصول لغوية وادبية !

بل ماذا اقول من كتاب «الفاخر» وقد نشرته ادارة التراث بوزارة الثقافة عام ١٩٦٠ ، وعهدت فى تحقيقه الى الاستاذ عبد العليم الطحاوى ، وفى مراجعته الى الشيخ محمد النجار عضو المجمع اللغوى ، ومازال نسخه فى اسواقنا وفى مخازن وزارة الثقافة نفسها !

احدى اثنتين :

اما ان يكون المجلس الموقر ـ وليس جهة اختصاص ـ يهدر الاعتراف بهذه النصوص المنشورة، وبنهم كفاية من حققوها وراجعوها واجازوها وهو فرض اذا لم يبطله اعتراف الدوائر العلمية المختصة باعمال هؤلاء المحققين ، ابطله ان المجلس اختار منهم من يقومون بتحقيق التراث فى مشروعه المعلن !

وبقى الفرض الاخر ، وهو ان يكون المجلس ليس لديه علم برصيد مكتبتنا من نصوص محققة ، وفيها ما نشرته وزارة الثقافة ذاتها ، وما حققه اعضاء فى لجان المجلس نفسه !

وهنا لا مجال لقول عما نشر فى غير مصر مما جاء بقائمة المشروع ، ككتاب **«كشف الظنون لحاجى خليفة»** وقد نشرته وزارة المعارف التركية فى طبعة بالغة الدقة والضبط والاتقان !

ولا مجال لقول عن احياء مطوى من ذخائر تراثنا ، وفى القائمة ما نشر بعد عام ١٩٦٠ ، وفيها ما ينشر للمرة الثالثة فى موسمنا هذا من عام ١٩٦٢

واعود فاقرر ، انه لا امل فى الوفاء بحق تراثنا ، اذا ظلت الجهود ـ التى لا اشك فى سخائها واخلاصها ـ تنفق على هذا النحو العقيم ..

والذى افتقدناه فيما مضى ، من تاصيل العمل وتنسيق الجهد ، عن طريق مركز خاص للتراث ينهض بالعبء الجليل ويحمل المسئولية الصعبة ، لا يجوز ان نظل نفتقده اليوم ، مع كل ما تهيأ لنا من وعى وارادة وطموح !

التاريخ : ٩ / ٨ / ١٩٦٣

قضايا فكرية

التفسير الديني لتاريخنا



توينبى



د. محمد كامل حسين

لبثت أعواما مشغولة البال بفكرة طالما الحت على ، وهى ان اضع كتابا فى ((التفسير الدينى لتاريخنا)) بعد ان لم يقنعنى فى فهم هذا التاريخ ، كل ما قرأت عن ((التفسير السياسى للتاريخ)) وهو ما اخذت به الجمهرة من مؤرخيناوعن ((التفسير الاقتصادى)) الذى استحدثه الغرب المعاصر ،وقرأت معه تاريخ ((ويلز)) للحضارة الانسانية ، وما كتبه((توينبى)) عن الاطوار الحضارية.

ولا يشق على ان اعترف ، باننى تهيأت فعلا للعمل فى هذا الكتاب ، وجمعت ما استطعت من مادته ، ثم حدث ان قدم استاذنا ((الدكتور محمد كامل حسين)) الى المكتبة العربية ، كتابه فى ((التفسير البيولوجى للتاريخ)) فبهرنى بسمة افقه وعمق تناوله وخصب مادته بحيث ادركت ان الاوان لم يحن بعد ، لاضع الى جانبه فى المكتبة العربية ،كتابا فى التفسير الدينى لتاريخنا ، مع قصور طاقتى ووسائلى ، من مشارفة المدى الذى بلغه استاذنا الجليل ..

وطويت اوراقى ، ونسيت الموضوع او تناسيته ..

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

التاريخ : ٩ / ٨ / ١٩٦٣

وفى عيد الثورة ، كنت اصغى الى خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى جامعة الاسكندرية فشدتنى كلمته ، عن اصالة التدين فى شعبنا ، بجاذبية آسره وذكرتنى بتلك الرغبة التى طويتها وظننت أنى فرغت منها ..

واذا كنت لا ازال منذ موقفى الاول من الاشفاق من تأليف الكتاب ، شعورا منى بجلال موضوعه وقصورى عن الوفاء بحقه ، فان هذا لا يمنع من ان اعرض فكرته فى مقال او اكثر ..

والفكرة تقوم اصلا ، على ملحظ لم اخطئه قط فيما قرات من تاريخنا على مسار الزمن ، وهو وضوح العامل الدينى ، ومشاركته الفعالة فى توجيه الاحداث التاريخية لشعبنا ، وتقرير مصايره على مدى العصور .

فتاريخ مصر القديمة مثلا لا يمكن فهمه مع تجاهل الطابع الدينى المسيطر على حضارتها ، والنفوذ القوى لكهانها او مع الغفلة عن دلالة ثورة «اخناتون» التى بشرت بالتوحيد ، ومصارع الشهداء فى عهد « دقلديانوس » وقصة الصراع المذهبى بين مصر وروما قبيل الفتح الاسلامى ، وما كان من انسحاب رجال الدين الى الاديرة فى الصحراء ، تحت ضغط الاضطهاد الدينى من الرومان ..

وتاريخ الشرق العربى ، لا يمكن ان يفهم حق فهمه ، مع تجاهل الحقيقة التاريخية الكبرى ، وهى ان هذه المنطقة كانت مهدا للانبياء ومنزلا لرسالات السماء ..

وتاريخ الاسلام نفسه ، لا يمكن ان يفهم بمعزل عن سلطان الوثنية الدينية فى الجزيرة وسموم الاسرائيليات التى داب اليهود على بثها فى الجو العربى كما لا يمكن ان يفهم بعد الفتوح الاسلامية الكبرى ، منفصلا عن الغزو الشعوبى للنحل والعقائد والمذاهب ، ومتجاهلا سلاح الدين فى خضم المعترك الصاخب على ساحة الشرق الاسلامى الكبير ..

وضلال ما بعده ضلال ، ان نؤرخ الحروب الصليبية دون تقدير العامل الدينى الذى حسم معاركها كما لم يحسمها عامل آخر ، وخطأ ما بعده خطأ ، ان ندعى فهم تاريخ الاستعمار الحديث ، ونحن نجهل انه اعتمد اول ما اعتمد على فهم مزاج الشعب المتدين ، وقراءة تراثه الدينى ، قراءة واعية

ومثل هذا يقال فى تاريخنا الاجتماعى والفكرى والادبى اذ ليس من المستطاع فهم اى جانب منه فى اى عصر من عصوره ، ان اعوزنا ادراك العامل الدينى الذى احتكم فى صنعه وتوجيهه الى مدى بعيد .

فعلوم العربية كلها ، قامت فى الاصل لخدمة القران الكريم كتاب الاسلام الخالد ومعجزتها البيانية الخالدة ..

والشعوب التى اظلها الاسلام بادرت الى التعرب بدافع دينى ، هو ان العربية

التاريخ : ٩ / ٨ / ١٩٦٣

لسان القرآن ، كتاب الاسلام الـذى ارتضته دينا .

والاوضاع الطبقية ، قد بررتها لدى الشعب فى عصور الغفلة ، رجعية دينية سلطها الاقطاعيون على وجدان الجماهير ليئدوا فيها دوافع الطموح ، ويزينوا لها نعمة الفقر الذى زعموا انه جواز مرور الى الجنة ((واكثر اهلها الفقراء)) !

واستبداد الطغاة ، قد مكن له نفر من محترفى الدين ، سهروا على تبرير الطغيان ومباركة اصحابه ..

والذى امتحنت به المرأة العربية لدى عصور ، من جهل ونبذ ومسخ ، كان يفرض على المجتمع العربى باسم الدين ، ليخنق كل محاولة للتحرر ..

وما ابتلى به الفـكر العربى — فى العصور الاسلامية الوسطى — من شلل وجمود وعقم ، كان اثرا لعاطفتنا الدينية التى استجابت لما خيل اليها بالتضليل والاستهواء والايحاء ، انه سنة السلف الصالح وحكم الشريعة الغراء وارادة الله سبحانه وتعالى ..

وحـرفت كلمات الله من مواضعهـا لصـالح الحـكم الاسـتبدادى والوضـع الطبقى ، فراجت فينا اباطيل ومفتريات باسم الاسلام ، اعتمادا على ما فى فطرتنا من تدين ..

وكنا بحيث نضيع تحت وطأة الرجعية المسلطة على وجداننا الدينى ، تكبه باغلال الجمود والاستسلام والتواكل والزهد ، لو لم يتح لنا فى ليلنا الطويل ، من يلتمسون من جوهر الدين شعاعا من نور ، يضىء فجرا جديدا لهذا الشعب المتمسك بعقيدته ..

والذين يربطون منا عصر النهضـة الحديثة ، بالاتصـال بالغرب وحده ، يفوتهم ان يقدروا ان اى اتصال بالغرب ما كان ليجدى ، لو لم تؤازره محاولات رواد اليقظة ، لاصـلاح الفكر الدينى ومقاومتهم الباسلة لاثار الرجعيـة التى تسلطت علينا ، فجمدت عقولنا وعوقت يقظتنا ، مستغلة ما تعرف من سلطان الدين على مشاعرنا ووجداننا ..

وبحسبى شاهدا على هذا ، ان الفكر دعاة مصلحين ، نعرفهم باسمائهم ، قاموا يبشرون فينا حديثا بالمذهب المادى ، بعد ان بلغ اتصالنا بالغرب اقصى المدى ، ثم لم يتح لهم مع ذلك ان ينجحوا ، بل ظلت دعواتهم بمعزل عن الشعب ، لانهم لم يقدروا ما فى فطرته من تدين ، ولم يحسبوا حسابا لذلك الميراث الاصيل المحتكم فى مزاجه ووجدانه وتفكيره ..

فهل اغلو او اسرف ، حين اقول انه اذا كان التـاريخ العام ياخـذ بنظرية التفسير الاقتصادى او البيولوجى ، فان تاريخنا يحتاج فى فهمه الى ان نضيف التفسير الدينى ، الى ما وصلت اليه المعرفة الانسانية من نظريات قديمـة ومحدثة ، فى تفسير التاريخ ؟

التاريخ : ١٦ / ٨ / ١٩٦٣

ديوان مجد الإسلام
أو الإلياذة الإسلامية

بقلم
الدكتورة بنت الشاطئ

تلقيت هذا الديوان من نحو شهرين ، وبالرغم من طول انتظارنا له ، شغلتني عنه الشواغل حينا حتى حلت ذكرى المولد النبوى الشريف ، فهيأت لي الجو النفسى لمطالعة الديوان وأغرتني بان التمسه من بين كتب عدة ، ظهرت فى هذا الموسم ولم اجد بعد الفرصة لقراءتها .


احمد محرم

وابادر فاقرر هنا ، اننى لا اتجه فى هذا المقال الى تقديم دراسة نقدية للديوان ، فهو من الاعمال الادبية التى لا اجيز لنفسى المبادرة بالكتابة الدارسة عنها ، عقب القراءة الاولى ، وانما حسبى ان اقدمه الى قراء الادب ممن طال انتظارهم لالياذة محرم الاسلامية ، والى الزملاء الدارسين ممن يعنيهم استكمال النصوص التى هى مادة الدرس الادبى .

ثم لا اتناول الديوان بعد هذا التقديم الا من حيث اتصاله بما يشغلنا من قضايا ادبنا المعاصر ..

ولست أخشى حين اعود الى الديوان فاتناوله فى دراسة او اكثر ، ان يقال ان موسمه قد فات وصار بعده بضاعة قديمة ، فالاثار الادبية ، ككل اثار الفن تظل ابدا مجالا لجديد من القول حتى بعد ان تمضى عليها القرون ذات العدد ذلك لانها فى حساب الحياة خيوط من نسيج عصرها ، وتعبير عن مرحلة من تاريخنا وتسجيل لنبض الحياة فى وجدان بيئة ومجتمع ..



احمد شوقى

واول مايعنيني ذكره فى تقديم هـذا الديوان ، انه يسجـل قصة ظهوره ، شهدا من مأساة الجحود للادب الذى لم يتمرغ على الأعتاب الملكية ولم يدر فى فلك اصـحاب السلطان فى معـترك الاحزاب ، فلقد مضى على الديوان حين من الدهر ، وهو مطوى مغمور ، لايجد سبيله الى الظهور مع ما امتلات به اسواقنا من رخيص المطبوعات وخبيث المخدرات المعنوية . وقضت عليه الاوضاع ان يتنقل مخطوطا من مكتب الى هيئة ومن مجلس الى مجمع ،فى حلقة صماء لا تنفذ به الى النور :

دخل مكتب وزير المعارف فاقام فيه حينا ، ثم اعيد الى الشاعر مرفقا بقرار اعتذار عن عدم نشره !

وطاف بعده بوزارة الاوقاف ، ثم بمشيخة الازهر .. بلا جدوى !

ووصل به المطاف الى المجمع اللغوى لما اعلن من تشجيعه للاعمال الادبيـة ..ات التيبة فرجع الى صاحبه وعليه اشيرة رئيس المجمع « محمد توفيق رفعت باشا » بان نص مشروع المجمع ، قاصر على تشجيع المطبوع من الاعمال الادبية خلال عامين ، وليس للمخطوط منها اى نصيب من ذلك التشجيع ، بنص القرار المجمعى ..

وانتقل الشاعر الى جوار ربه عام ١٩٤٥ ، بعد ان اجهده الدوار فى تلك الحلقة الصماء !

ومع عام الثورة – سنة ١٩٥٢ – لاح شعاع من الامل ، حين قامت دار الكتب بتصوير مخطوطة الديوان علـى (ميكروفلم) يصونه من التلف ويحميه من غائلة الضياع .

ومع هذا الامل الجديد ، تجددت محاولة طبعه ونشره ، ولكن المحاولة سـارت فى خطوات بطيئة متعثرة ، فقد بعها صحر « الاستاذ محمود محرم » ابن الشاعر ، لحمل الديوان الى دار العروبة واتفق معها على طبعه » بعناية «الاستاذ محمد ابرهيم الجيوشى» الذى اشرف على تصحيحه ومراجعته .

وظهر الديوان الى النور ، قبل شهر واحد من اعلان وزارة الثقافة من مشروعها الجديد لتخطيط الفكر العربى ، وفيه قرار للجنة الشـعر فى المجلس الاعلى لرعاية الاداب والفنون ، بنشر التراث

الشعرى لاحمد محرم .

ومع ان القرار جاء متاخرا بمدونات الأوان ، الإيوان شعاع الامل الذى لاح فى عام الثورة ، قد اضاء طريقا اخر للوفاء بحق الشاعر ..

وعلى هداه ، اتجهت محافظة البحيره الى احياء ذكرى شاعرها الكبير ، وكان المقرر ان يقام مهرجان الاحتفال به فى شهر مارس الماضى ، ثم تاجل الى شهر اكتوبر المقبل ..

وفى الفترة مابين الموعدين ، ظهر ديوان مجد الاسلام المعروف بالياذة محرم ، فبادرت لجنة الاحتفال الى اهداء نسخ منه الى الهيئات الادبية والى الادباء والدارسين الذين وجهت اليهم الدعوة للمشاركة فى المهرجان ..

وصنعت جميلا ..

ودلت بمثل هذا الصنيع ، على صحة فهمها لمعنى التكريم ، وتقديرها الواعى لجلال الذكرى ..

وافرغ من هذه التمة ، لاعرض لقضية ادبية ذات خطر ، تتصل بمكان هذا الديوان فى انواع الفن الادبى ..

وليس الامر فى هذا يسيرا . فالاعمال الفنية يصعب انتكون مبوبة مقسمة ، على النحو الذى نشهده من تصنيف المعادن والنبات والحيوان فى متحف التاريخ الطبيعى

وانما ياخذ العمل الفنى عنوانه وصفته من اوضح العناصر فيه ، فيندرج تحت صنف بعينه ، مع وجود عناصر فيه من اصناف اخرى ..

فمن الشعر مثلا ، مانعده من باب الحماسة ، وفيه قدر من الشعر الغنائى او الدرامى ..

ومنه مايندرج تحت الشعر الدينى ، وفيه ملامح من الشعر التعليمى او الحماسى ..

وهذا الديوان كله ، خاص بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، من مطلع نور الوحى ، الى اخر سرية من سراياه وهى التى وجهها الى مشارف بلاد الشام الخاضعة للروم ، وعقد لواءها لاسامة ابن زيد بن حارثة ، وفى الجيش صحابة ابو بكر وعمر !

ويطول نفس الشاعر ، حتى يملا بنشيده مايتجاوز اربعمائة صفحة من القطع الكبير ، متتبعا مراحل السيرة ومشاهد البطولة ، ومصارع الشهداء ممن باعوا الحياة فى سبيل العقيدة ومتتبعا كذلك جولات الصراع المرير بين الوثنية والتوحيد ، وهى تنتقل من مكة الى بدر واحد ، ومن الخندق الى خيبر ومن الحديبية الى البيت العتيق ومن حنين الى تبوك ..

ايمكن ان نعد الديوان نظما للسيرة النبوية ، وعرضا موزونا مقفى ، لتاريخ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

كلا .. فالشاعر وان اتخذ من السيرة مادة ديوانه كله ، وكان تاريخ العصر النبوى هو النبع السخى الذى تزود منه الا انه استطاع مع ذلك ان يصوغ المادة التاريخية ، صياغة فنية لاتخطىء فيها طابع ذاتيته ونبض وجدانه ورؤى الهامه ومن هنا ياتى الفارق الكبير بينه وبين ناظم للسيرة او راو لتاريخ العصر النبوى فى قالب متى تعوزه مع الوزن والقافية شاعرية التناول وفنية الاداء ..

فهل نعد الديوان، من رصيدنا الشعرى الفنى فى المدائح النبوية ، ونضعه مع لامية كعب بن زهير ، ورائية النابغة الجعدى ومدائح حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغيرهما من شعراء الرسول ، او مع همزية البوصيرى ونهج البردة ، ونبويات شوقى وحافظ والجارم ومن بعدهم من شعراء العصر ؟

كلا .. فالمادة التاريخية فى ديوان محرم ، ملتزمة بادق جزئياتها ، على نحو

لانعلم انه توفر فيما لدينا من المدائح النبوية التى يمضى الشاعر فيها مسلطها هذا الجانب او ذاك من عظمة الرسول او مترنما بموقف من مواقفه بطولاته ، فى ملتزم باستقصاء تاريخى للسيرة الغراء او يستجمع كل طاقاته للاصغاء الى وحى الاحداث الكبار التى كتبت التاريخ الاسلامى من مطلع النور ، الى السرية التى جهزها النبى فى السنة الحادية عشرة للهجرة ، وهو يتهيأ للقاء ربه ..

فهل نعده من الشعر الدينى ؟

كلا .. فهذا الشعر فى المصطلح النقدى لانواع الشعر ، يتجه الى تمجيد القوة الالهية غير المنظورة ، ويرفع اليها اناشيد الضراعة والابتهال ، والشكر على ما اولت من نعم ، والاسترحام مما تبتلى به العباد من نقم ..

فهل نعدها « الياذة اسلامية » وهى الصفة التى اشتهرت بها وعرفت ، فى دوائر الادب عندنا ؟

بعض النقاد يتحرجون من اطلاق اسم الالياذة على هذا الديوان ويؤثرون عليه اسم «ديوان مجد الاسلام» لينفوا منه العنصر الاسطورى حتى لا يبحث فى ملاحم الاغريق على نحو قل او كثر .

وآخرون منهم ، ينظرون فى فنية الالياذة من حيث الشكل والمضمون ، فلا يقبلون ان يعدوا قصائد محرم الاسلامية الياذة ، ويذكرون فى ذلك ماتفتقد من عناصر جوهرية للالياذة ، كالعقدة القصصية والوحدة التى تربط اناشيد الالياذة من مطلعها التقليدى للملاحم ، الى النشيد الاخير .

والواقع ان نشيد محرم ، قد يلتقى مع الالياذة فى كونهما من الشعر الحماسى المجد للبطولة ، مع اختلافهما الجوهرى فى تصور البطولة وتمثل البطل ..

فشعراء الاغريق ، تمثلوا البطل فوق البشر ، او نصف اله ، بحيث ساغ لبعض النقاد الغربيين ان يقرروا ان نشأة الشعر الحماسى فى مثل ملاحم الالياذة والاوديسا والاينياد ، كانت مرحلة انتقال من الشعر الغنائى الدينى القديم ، الذى مجد الالهة بابيات رنانة . ويقول الناقد الايطالى « لابارينى » : ان الانتقال من الالهة الى الابطال لم يكن صعبا فى فترة كان البطل على صورة اله الى حد ما ، بحيث اضفى الناس على ابطالهم من صفات العظمة اقصى ما فى طاقة خيالهم البشرى ان يتصوره ، ونسبوا اليهم من خوارق الاعمال ماجعلهم وسطا بين الالهة والبشر .

اما البطل فى التصور الاسلامى ، فلا يمكن ان يكون على هذه الصورة الاغريقية من قريب او بعيد ، وبخاصة اذا ذكرنا اصرار الاسلام على تقرير بشرية الرسل .

فتسمية ديوان محرم بالالياذة الاسلامية انما هى من التجوز الفنى الذى يقصد فيها انها من شعر الحماسة وتمجيد البطولة ، مع الفارق الجوهرى بين فكرة البطل عند الاغريق فى العصور الغابرة ، وبين فكرته فى التصور الاسلامى النقى بعد ان بلغت البشرية رشدها ، وحق لها ان تجرد البطل من ظلال اسطورية وثنية وان ترى فى الانبياء بشرا مثلنا ياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق !

التاريخ : ٢٢ / ٨ / ١٩٦٣

كتاب من تونس

الخيال الشعرى عند العرب

تأليف الشاعر أبو القاسم الشابى

تقديم الدكتورة بنت الشاطئ

عرفنا ((ابا القاسم الشابى)) شاعراً أصيلاً ملهماً ، تجاوز حدود أقليمه فرجعت آفاق الوطن العربى أناشيده وأغانيه ، وشغل بشعره عدداً غير قليل من الدارسين والنقاد فى المشرق والمغرب ..

وقل فينا من اتصل بآثاره غير الشعر، مع شديد حاجتنا اليها لنصح فهمنا له ونعرف اتجاه تفكيره ونستكمل ملامح شخصيته فى ضوء كل ما ترك من آثار..

وكنت أسمع عن كتاب له فى ((الخيال الشعرى عند العرب)) خلت منه أسواقنا بعد ظهوره بتونس فى طبعة محدودة عام ١٩٢٩ .

ولبثت أفتقده، حتى أعادت نشره حديثاً ((الشركة القومية للنشر والتوزيع فى تونس)) فأتاحت لى أن أعرف ما كنت أجهل من صراع كابده ((الشابى)) بين الثقافتين العربية والغربية ، ودفعه الى أن يقتحم معركة فكرية أخرى مع ما كان يجهده من أعباء نضاله : شاعراً قومياً يهز الوجدان العام لأمته ويحدوها الى الوجود الحر الكريم ..

وهذا الصراع يتصل من قرب بمأساة الضياع الفكرى التى كتبت منها فى هذا الموسم ما كتبت ..

فلقد تفتح أمام الشاعر الشاب ، أفق جديد من النافذة الغربية ، وأتيح له ان يتصل اتصالاً محدوداً بينابيع الأدب الأوربى ، فنهل منها ما استطاع . ثم لما آب الى دنياه يتفقد جذوره فى الأرض الطيبة التى أنبتته ، ويعيد النظر فيما تزود به من البيئة العربية ، الفى الذى يلكه ، أو الذى تيسر له منها ، ركاماً من آثار متلبات متحجرة ونفوس مختنقة ووجدان أصم فكفر بكل ما لدينا وأعلن ثورته على قديمنا ..

وقد دأب قومنا ان يتهموا كل ثائرعلى القدم بالمروق والكفر ، وان يصموه بوصمة الانسلاخ من قوميته : ولكني لاأتصور أن أحدا فينا يجرؤ على اتهام أبي القاسم بشيء من هذا ، وهو الذي ناضل بكل اصرار وايمان في سبيل قوميته ومضى شهيدا من شهدائها ..



ابو القاسم الشابي

وهذا هو ما يعطي كتابه عن «الخيال الشعري عند العرب» قيمته الكبرى ، من حيث هو مادة صادقة لتأريخ مرحلة الضياع الفكري لهذا الجيل من شباب العرب .ومع تقدير صدوره من شاعر شاب ، لا ترقى الى قوميته شبهة ولا تشوب اخلاصه لعروبته شائبة من ريب او اتهام !

والشابي في كتابه واضح المنهج محدد الفكرة في كل ما تناول من موضوعه . فلقد مضى يلتمس الخيال الشعري عند العرب ، في أساطيرهم ، وفي نظرتهم الى الطبيعة والمرأة كما ظهرت في أدبهم . ثم في فنهم القصصي .. مضى يلتمس هذا بعين تفتحت على الافق الغربي ؛ وعقلية ارتوت بقدر من ينابيع أدبه . بحيث لايخطىء القارىء في كل فصول الكتاب، اثر الانفعال بجمال الخيال الشعري وعناصر حيويته وخصبه في الاداب الاجنبية مقارنة بما بدا للشاعر من عقمه وجفافه وشلله ، في الادب العربي !

بل اكاد اقول : اننا من الفصل الاول الخاص بالخيال الشعري في الاساطير العربية ندرك مذهب «أبي القاسم» في المقارنة ومنهجه في التناول ، ونستبين خط سيره الفكري فيما يتلو من فصول الكتاب ، ونعرف مقدما ما سوف ينتهي اليه من نتائج !

ويبهرنا اخلاص الشاعر في دعوته الى التحرر من العقم والجمود ، كما تبهرنا جرأته في ايقاظ قومه من لذة الغفوة وخدر النعاس ، بقدر ما تروعنا هذه المكابدة التي عاناها الشاعر بكل فكره ووجدانه ، حين افتقد في ارضه النبع الذي يرويه ، والجذور التي تربطه بقديم له اصيل

وكانت معاناة شقية باهظة ، صدرت عنها الكلمات وكأنها جذوة تتلهب ، كاشفة عن ضرام متقد في أعماق كيانه

وانت تقرأ كل الذي قاله عن عقم خيالنا الشعري ، فلا يخامرك ريب في ان الشاعر الشاب ، خاض المعركة بايمان صادق ليفتح آفاقا رحبة امام الادب العربي ، ويبشر بعصر جديد ..

ولم تكن مأساة الشاعر ، انقطاع صلته بماضي تراثه وجذور وجوده فالشابي في كتابه قد عرف ادبنا العربي ووعاه وكان حظه من الثقافة العربية أوفى من حظه من الثقافة الغربية ، ولكن المأساة انه اطل على الادب العربي من جانبه المظلم ، وتصور أنه وصل الى النبع ثم عاف الورد الآسن ..

دون ان يدري — رحمه الله — أنه انما وقف عند حفر عفنة راكدة بعيدا عن المنهل الاصيل الصافي : فالذي قرأه من تراثنا هو الذي اختاره جامعون ينتمون الى العصور الوسطى زمنا او فكرا وذوقا . وهذه النصوص المختارة التي لاتزال تقدم أتعس النماذج الى طلاب الادب العربي ، قد اقامت الحجب والارصاد بين ابي القاسم وبين النبع الاصيل المغيب في منطقة الظل

وليس ذنب الشابي أن وجد في تلك النصوص البائسة ، عقم الخيال الشعري .

ليس ذنبه أن كان ما قرأ من أساطير العرب «اصداء جامدة لم تتذوق لذة الخيال ، وأوهاما شاردة لا اثر فيها لنبض الحياة وحس الوجود » — ٢٢ : ٤١ .

ولا أن كان ما قراه من ادب الطبيعة ، يؤكد له «أن العرب كانوا واقفين أمام مشاهد الكون ، لا وقفة المتهيب الخاشع المنتشي بنشوة الحس وسكرة الجمال ، بل وقفة الاخرس الذى لا ينطق ، والاعمى الذى لايبصر ضوء النهار » — ٥٣

ولا أن كانت تلك النصوص التعسة ، «لاتتحدث عن المرأة الا بما يتحدث به الفاسق الفاجر ، من اوصاف جسدية ولا تمثل عنده الا الغدر واللؤم وخساسة الطبع وحطة النفس وخبث الضمير وقد اعياه ان يبصر ماوراء جسدها من حياة عذبة ساحرة وعالم شعرى جميل » — ٧٥

كلا ، ولا كان ذنبه ان ما قدمه اليه معلموه ، «لامزية فيه للشاعر على غيره الا في رصانة التعبير وجمال الديباجة وخلابة الصنعة . وياخيبة الشعر وياسخف الحياة ، ان كان كثير من الناس لهم عقول يفهمون بها ، ثم لايزالون يحسبون ان رسالة الشاعر الفاظ منمقة نضيدة ، وعبارات مرصعة ، وكلام مرصوص ! » — ٧٤

«واشر من كل ذلك امة تقتني اثوابها من مغاور الموتى ، ثم تخرج في نور النهار متبجحة بما تلبس من اكفان الجثث واكسية القبور » — ١٠٦

وزاد في عنف المأساة ، ان ابا القاسم — رحمه الله — كان يتناول موضوعه تناولا خطابيا ، ويمابه بمزاج الشاعر ووجدانه المستثار ، فأعوزه ما يحتاج اليه الدارس من يقظة الذهن وطمأنينة التأمل ، وضبط الفكرة من الجموح العاطفى والحماسة الخطابية . وجاءت أحكامه حادة مرسلة، يشوبها الاطلاق والتعميم، وشاعت في اسلوبه الفاظ : «كل ، وجميع ، وعلى الاطلاق ، ودون استثناء» وامثال لها مما ينفر منه اسلوب الدرس الادبى ، ولاتحتمله طبيعة منهجه :

فهو يرى أن ادب العرب — على الاطلاق — « مادى لا سمو فيه ولا الهام ، ولا تشوف الى المستقبل ، ولا نظر الى صميم الاشياء ولباب الحقائق » — ١٠٢

والنظرة الدنيئة السافلة المنحطة الى المرأة : « هى النظرة الشائعة في الادب العربى كله ، والتى يتساوى فيها جميع شعراء العربية على اختلاف عصورهم وتباين طبقاتهم وتفاوت أوساطهم ، سواء في ذلك مفهم وفاجرهم . واولهم وآخرهم ! » — ٧٤

كما زاد في قسوة المأساة ان الشاعر ظل طوال حديثه مشدود البصر الى النافذة الغربية ، مبهورا بما يلوح له من رؤى الجمال ، مصغيا الى ما يخفق فيه من حس الحياة ونبض الوجود . ففى كل فصل من فصول الكتاب ، يقف ابيتلو في خشوع آيات مما سحره ، ثم ينتفض من نشوته بها ليصيح في ثورة وسخط :

« نبئونى ياسادة ، هل تجدون في العربية من يحدثكم عن تلك المعانى العميقة التى تلوذ برحاب الفكر وشعاب الخيال ؟ كلا . ولكنكم واجدون من يستطيع ان يحدثكم بكل اسلوب وصوت ، عن تلك المعانى الساذجة والافكار الداجنة ..

«نبئونى ياسادة ، هل تجدون في العربية من يستطيع ان يحدثكم عن تلك العواطف المنيفة التى تهز الحياة فينا هزا ؟ كلا .. ولكنكم واجدون من يستطيع ان ينضد لكم من المجازات الزائفة والكنايات المتكلفة ما تعجز من بعضه جن سليمان »

« خبرونى يا سادة ، اى شاعر عربى يستطيع ان يحدثكم حديثا شعريا صادقا من نشوة الحب وسكرة العواطف ومعنى الامومة ورحاب الامل ، او يريكم هجسات القلوب وخلجاتها ؟

« كلا .. ولكنكم واجدوه واكثر منه عند آداب الامم الاخرى » ص ١٠٧ : ١٠٩

ونقرأ كل الذى تلاه من الشعر العربى فنعذره !

ونصغى الى ما اختار من الادب الفرنسى فندرك لماذا أعوزه حياد الدارس وتجرد الباحث ..

ذلك لان الذى رواه من شعرنا ، ليس كل تراثنا ..

بل انه لاتمس ما فى ديوان شعرنا العربى !

ولو قد اتصل بالنبع الصافى ، لما عز عليه ان يجد مثل الذى وجده فى الادب الرومانتيكى الحالم المحلق فى وادى الخيال ! ولما اخطاه مثلا ان يحس فى مثل مرثية ابى العلاء ، ما احسه فى كلمات لامارتين من الصدى اقدام الزائرين تقع على مضاجع الموتى فى الدير لما ـ ٦٥

ولوجد فى نجوى شعراء الصوفية ومواجدهم مثلا شيئا آخر غير ما وجده فى الغزل العباسى ، والاندلسى « حيث تفشت المدنية الفاجرة على منبع الرجولة فى الشاعر ، فاصبح اكثر حديثه من المراة كاذبا لاتحس فيه حرارة الحب ولاصدق الهوى ، بالرغم من جمال رنته وخلابة نسقه .. ـ ٩٢

بل لعله لو القى السمع الى (مواويلنا) الشعبية ، لوجد فيها ما يهز الحياة فينا هزا !

ولكنه كما قلت لم يجد الا تلك النصوص البائسة ، وليس ذنبه ان كانت هى الرائجة فى دنيانا ، المعترف بها من حراس القبور !

ولن يجدى شيئا ان نرجم ابا القاسم بحجر ، فقد اعفاه الموت من لعنة الذين يوزعون على خلق الله صكوك التكفير وصكوك الغفران ، ولم يعد فى طاقتهم ان يزيفوا تاريخ شاعر خاض معركة الوجود القومى والادبى لامته ، فى فدائية واستبسال !

كما لن يجدى شيئا ، ان نصيح فى شباب الجيل بمثل تلك الصيحات المبتذلة عن قدسية القديم وروعة الماضى ، ولا ان نسحر عقولهم ووجدانهم بالحيل الساذجة ، من فخامة الديباجة ونصاعة الاسلوب ووقع الرنين واحكام الصياغة وجودة السبك ..

كلا ...

ولا فى طاقة قوى الرجعية مجتمعة ، ان تضع عصابة على عيون الشباب وآذانهم ، وان تخنق فيهم حس الحياة وروح العصر ونبض الوجود ..

وانما الذى يجدى حقا ان نبذل الجهد كله ، لنقدم الى الشباب روائع تراثنا ونستخلص قيما جديدة لادبنا غير تلك التى فرضتها علينا عقليات متحجرة ، واختارتها لنا اذواق جافية ونفوس مغلقة

وبغير هذا ، لا مجال لامل فى وضع حد لماساة الضياع الفكرى التى تضغطنا جميعا بين شقى الرحى وتمزقنا بين جمود عقيم كافر بالتطور لايحس سير الزمن ودعاء الحياة ، وبين حديث طارىء يمسخ قديمنا ويجحده ولا يرى فيه الا صناديق دمى واكفان موتى واكسية افرحة !

ورحم الله ابا القاسم ، ما اقسى ما كابد ، وما افدح ما احتمل وهو يسرى فى الليل معلنا دماء الفجر ، وموقظا ارادة الحياة !

التاريخ : ٣٠ / ٨ / ١٩٦٣

ولقد قرات هذا المشروع يوم الاعلان عنه ، وامسكت قلمي عن التعليق عليه كراهة ان اجرح جهدا مخلصا ، اعلم علم اليقين ان وزارة الثقافة تبذله في هذا الميدان ، ولا اضن عليه برعاية او بال ...

لكنني عدت فرايت من حقها علينا ، ان نلفت الى ما في هذا المشروع الكبير من ماخذ او اخطاء ، كيلا يضيع بعض جهدها عبثا ..

ثم اني بحكم عضويتي للجنة النشر في المجلس ، احمل نصيبي من التبعة ، فيما يصدر عنه من مشروعات ثقافية

واخون الامانة ، ان انا اغضيت عن نقد هيئة ثقافية انتمي اليها او اشارك في نشاطها .

ومن اجل هذا اكتب اليوم ما اكتب راجية ان يحسن قومي تقبله ، وان يعدوه اداء مني لواجب التعاون على الحق والخير ..

ورحم الله امرأ اهدى الي عيوبي ...

والذي يعنيني من المشروع بصفة خاصة هو ما يتصل منه بتراثنا الذي اشتغل به على وجه التخصص ، تحقيقا ودرسا ، منذ بدأت حياتي العلمية .

وكنت اتوقع ان يتجه المشروع الجديد **اول ما يتجه ، الى الكشف** من تراثنا المبعثر في شتى انحاء الدنيا ، وبذل كل جهد مستطاع ، في سبيل الظفر بفهرست جامع لما في خزائن الكتب بالشرق والغرب من مخطوطات هذا التراث ..

لكن المشروع لم يشر الى هذا من قريب او بعيد ، بل لا يبدو ان مثله مما خطر لواضعي المشروع على بال ..

واعرف ان المهمة بالغة الصعوبة ، بحكم ضخامة تراثنا وتوزعه . ووجود اكداس منه مدفونة مطوية ، لم تر الضوء بعد . و ..

وقد تفرض علينا قسوة الحال ان نتواضع فلا نطمع الان في الكشف عن كنوزنا المدفونة فيسراديب الخزائن التركية والكهوف اليمنية وامثالها . ونكتفي مؤقتا بان نبدا بحصر الموجود من تراثنا في فهارس دور الكتب المنظمة بالعالم . **لكن هذا المطلب المتواضع يبدو مسرفا في الطماعية ، اذا ذكرنا اننا حتى اليوم لا نعرف على وجه التحديد ما نملك في** مصر من ذخائر تراثنا ، **بل ما تزال كثرته مبعثرة في خزائن الكتب العامة والخاصة ، لم يحصها بيان دقيق ، ولم تحصرها سجل جامع**

اذكر هنا على سبيل المثال ، انني عندما تشغلت بتحقيق ((رسالة الغفران)) انفقت سنين عددا في البحث عن مخطوطاته وسافرت لهذا الغرض الى مكتبة ((**الاسكوريال**)) بمدريد ، و ((**المتحف البريطاني**)) في لندن ، و ((**الفاتيكان بروما**)) كما حاولت السفر الى تركيا لتصوير مخطوطة في « كوبريللي » ذكرها « بروكلمان » في كتابه تاريخ الادب العربي ، ثم لما تعذر السفر ، ارسلنا — عن طريق الجامعة ووزارة الخارجية الى المستشرق «ريتر» في تركيا ، فقام بتصوير المخطوط على (ميكروفلم) .

وكان هذا الجهد يبذل ، دون أن ندرى ان في ((مكتبة سوهاج)) نسخة خطية قديمة من الغفران ، رقمها في سجل المكتبة ٥٠٠ ، ومكتوب على غلافها . كتاب في الادب نادر الوجود جدا ، مجهول اسمه واسم المؤلف

وكانت الصدفة وحدها ، هي التي هدتني الي هذه النسخة المجهولة ، في رحلة لي الى الصعيد !

واخرى بمكتبة جامعة الاسكندرية كانت تحمل عنوان ((**رسالة في الادب لعلي بن منصور**)) المعروف بابن القارح عرفها علي هناك ، بعض الزملاء من امناء المكتبة ، لما يعرفون من صلة صاحبها بأبي العلاء ففوجئت بانها نسخة كاملة من ((**رسالة الغفران**)) التي املاها أبو العلاء ردا على رسالة تلقاها من ابن القارح !



مصطفى الشهابي

وعلى سبيل الدعابة ، الاحظ على دائرة المعارف الزراعية ، انهـا بدات **بحرف الالف** وادرجت تحته كل المواد المبدوءة **بحرف الهمزة** ، **وفرق بعيد عندنا نحن اللغويين ، بين الهمزة والالف .** وكل معاجمنا تبدا بحرف الهمزة ، **وتنتهى** بحرف **الالف** الذى هو فى الاصل واو او ياء !

وعلى سبيل الدعابة ايضا ، **الاحظ** على قائمة المراجع و الدائرة ، انها ذكرت قاموس «المنجد» مع وجود «لسان العرب» فيها ، وهو اصل ما فى المنجد من مواد لغوية ، ولا حاجة لوجود الفرع مع الاصل .

كما انها اكتفت بالمراجع الحديثة فى المصطلحات العلمية وفاتها ان تستانس بالقديم منها ، وهو كثير ، يعرفه خبراء المكتبة العربية ، ويستطيعون فى يسر ان يستخرجوه من مثل فهرست **ابن النديم وكشف الظنون لحاجى خليفة** ، وبقية الفهارس المسجلة لرصيد المكتبة العربية الى القرن الماضى .



عبد المنعم ابو بكر

الملحظ الثالث : ان الدائرة فى وضعها الذى ظهرت به مجلداتها الثلاثة ، اقرب الى المعاجم منها الى دوائر المعارف . واوضح ما يفرق بينهما ان دائرة المعارف فى المنهج الحديث ، تلتزم باثبات الاصل الذى نقلت منه كل مادة من موادها ، وتشير الى ما فى الميدان من جهود علمائها وتذيل المادة بامهات مصادرها ، [illegible] مراجعها .

وهو ما نفتقده تماما فى دائرة المعارف الزراعية التى لم تقدم لنا فى موادها اى مرجع ، ولا اشارت الى تاريخ ظهور المصطلح العلمى ، ولا اهتم محررو موادها بان يثبتوا اصول المصادر التى اخذوا منها !

اقول هذا دون ان يخطر ببالى ان اغض من قيمة المشروع الجليل ، او ابخسه حقه من التقدير الذى يكافىء ما بذل فيه من جهد سخى مثمر ، وما قدم الى قضية التعريب العلمى من خدمة لايجوز ان تجحد !

التاريخ : ١١ / ١٠ / ١٩٦٣

أضواء على تاريخنا

نداء من روما

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

أصغيت بملء وجداني الى ذلك النداء الذى حمله الينا من «روما» الزميل كمال الملاخ ، ونقل فيه عن استاذنا السفير « احمد نجيب هاشم » قوله :

« مازال تاريخ صقلية وتراثنا وحضارتنا التى عاشت فى ربوعها ٢٥٠ سنة ، تنتظر مزيدا من الضوء ومزيدا من الاهتمام »

والتقت كلمته فى مسمعى بكلمة سمعتها فى الجزائر منذ شهر تقريبا، من الاستاذ الوزير « احمد توفيق المدنى »

كنت يومئذ فى ضيافته الكريمة بوزارة الاوقاف ، ومعنا القائد الوزير «السيد محمدي سعيد.» نائب الرئيس بن بيللا ، والسيد « الاستاذ على خشبة » سفيرنا بالجزائر ، وعدد من صفوة علمائها . وقد امتد الحديث بيننا ساعات المساء ، ونحن نتذاكر امجاد ماضينا التى طواها ليل محنتنا فيما طوى من تاريخنا ،فغابت عن هذا الجيل من شباب العرب ،وكانت جديرة بان تكشف لهم عن عز اصالتهم وتغذى ثقتهم وطموحهم .

عندئذ سمعت الاستاذ المدنى يأسف لما فاته من متابعة الاهتمام بتاريخ العرب فى صقلية ، ثم يسألنى عما اذا كان هذا الموضوع الجليل مايزال يشغلنا بالقدر الذى يستحقه من عناية بالغة .

الاهرام
مركز الاهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ١١ / ١٠ / ١٩٦٣

ولم اعرف بم اجيب ! .

لمبلغ علمى ان محاولاتنا فيه ،اقتصرت على خطوات رائدة ، مشى عليهسا اكثر من ثلث قرن ، دون ان يتقدم بها الى حيث كان الظن ان تمضى قدما نحو غايتها

على حين تصدى الاجانب الغرباء لحمل هذه الامانة الصعبة ، ومضوا يتابعون الكشف عن اثار حضارتنا هناك ،باعتبارها جزءا من تاريخهم ، واساسا من اسس نهضتهم ..

وفيمسا يختص بصقلية ، اعلم ان المستشرقين الطليان :

نشروا فى ايطاليا ديوان شاعرنسا العربى ((ابن حمديس الصقلى)) كاملا ، فى طبعة محققة متقنة مع مقدمة وحواشى بالايطالية ، ووقف جهدنا نحن العرب ، عند مختارات قليلة من ديوان الشاعر ، نشرها ((الاستاذ مصطفى السقا)) فى كتيب شبه مدرسى ..

ونشر المستشرق الايطالى الكبسسير ((ميخائيل امارى)) كتابه الجليل ((المكتبة الصقلية)) فى مجلدين كبيرين ، جمع فيهما ماجاء عن صقلية فى الكتب العربيسسة المشهورة والمغمورة ، المطبوعة والمخطوطة

ونشروا كذلك مايتصل بايطاليا وصقلية من كتاب ((نزهة المشتاق فى اختراق الافاق)) لعالمنسا الجغرافى ((الشريف الادريسى))

وتعنى « جامعة باليرمو » فى صقلية ، عناية خاصسة بتراثنا الحضسارى الذى يضىء تاريخها فى العصر الوسيط، ويتتبع اساتذة قسم الدراسسات العربية بها ، اثار حضسسارتنا فى جزيرتهم ، وتتعسساقب الاجيال منهم على خدمة هذا الموضوع من « امارى » فى القرن التاسع عشر ، الى « ريتسنانو » المستشرق المعاصر ، والاستاذ بجامعة باليرمو .

ومنذ عام وبعض عام ، جاء (ريتسنانو)) من صقلية فالقى هنا فى المعهد الايطالى بالزمالك ، محاضرة عن الدراسات الخاصة بالعرب فى صقلية ، وماكان اشد خجلى وانا اراه يحاول ان يجد لنا فى الميدان رصيدا ذا بال ، فلا يذكر الا مقالا رائدا للاسسستاذ الخولى ، واشارات عارضة فى بعض مؤلفات الاستاذ عبد الله عنان ومحاولة واحدة للاستاذ احمد توفيق المدنى تقابلها دراسات « امارى » ومدرسته فى جامعة باليرمو ، وزملائه من مستشرقى الطليان !

يومها قال لى استاذنا ((الدكتور محمد كامل حسين)) ــ وكان ممن استمعوا الى محاضرة ريتسنانو :

ــ اين انتم ؟

واجبت فى استحياء :

ــ حيث تعلم !

واليوم اسمع ان استاذنا السيسسد ((احمد نجيب هاشم)) سفيرنا فى روما ، يشتغل بتاليف كتاب عن ايطاليا ، ويهتم بالابحاث التى تكشف عن تاثيرنا الحضارى فى اوربا ، عبر صقلية وايطاليا . !

وليس هذا بمستغرب من عالم مؤرخ كاستاذنا السفير ، ولكن المستغرب حقا الا تشغله اعباء منصبه السياسى من الموضوع الجليل ، فى الوقت الذى انصرف عنه اساتذة التاريخ المتفرغون .

واحسست مع ذلك ، ان هذا النداء من روما بمزيد من الاهتمام بتراثنسسا الحضارى فى صقلية ليس موجها الى اساتذة التاريخ فحسب ؛ وانما هو موجه كذلك الى اساتذة الدراسات الاسلامية والادب العربى .

ذلك لان الحضارة العربيةالتىازدهرت فى صقلية مايقرب من ثلاثة قرون ، قد شارك فيهارجال من اعلام الفقهوالحديث واللغة والادب .

وبحسبى ان اذكر منهم هنا :

امير البحر ((اسد بن الفرات)) فاتح صقلية ، وقد كان هذا القائد المظفر ، من كبار فقهاء المالكية .

و ((ابن برى)) الصقلى ، من ائمة النحو

و ((ابن ظفر الصقلى)) الذى وضع فى المكتبة العربية ، الكتاب الفريد عن الولاة العظماء .

والشاعر ((ابن حمديس الصقلى)) الذى سجل بديوانه الكبير ، بطولات العرب فى معاركهم الظافرة بالبحر المتوسط واوروبا !

والحافظ ((القللورى)) ــ نسبة الى كالابريا ــ والحافظ ((المازرى)) وقد كانا من كبار رجال الحديث .

فأين هـؤلاء وامثالهم فى دراسـات جامعاتنا ، وفى برامج مؤسساتنا الثقافية المشتغلة بتخطيط الفكر العربى ؟

واين تراثهم فيما ينشر فينا ويذاع ، من توائم هذا التخطيط ؟

من عجب اننا مانزال نبدا ونعيد ،ونحور وندور ، فى حلقة من كلام مكرر معاد عن موضوعات مبتذلة واسماء طنانة ، لها فى تاريخنا دوى الطبول الجوفاء ، ومكتبتنا خالية من دراسات لامثال اولئك الاعلام الذين نقلوا ثقافتنا الى اوربا فى ظلمات عصرها الوسيط .

بل انه ليعجزنا حتى الان ، ان نعى ماكتبه الغربيون عنهم وان نجمع ما فى مكتبة الاستشراق من تراثهم المضيع فينا .

و ((صقلية)) بوجه خاص ، تشغل فى تاريخنا مكانا جليلا ، حيث كانت المعبر الثانى ، بعد الاندلس ، لحضارتنا الى الغرب .

والدور الذى قامت به فى الاتصال بين الشرق والغرب ، ابان العصر الوسيط يشبه الدور الذى قامت به « كريت » فى التاريخ القديم ، فى اتصال الحضارتين المصرية واليونانية .

واذا كان الطليان والاسبان يعتزون بانهم الذين نقلوا الى اوربا مشاعل حضارتنا ، فنحن اولى بان نعرف ماضى دورنا الجليل فى تاريخ النهضة الحديثة وان نميز مكاننا فى قافلة المعرفة على مسار الزمن ..

ولقد يذكر الذاكرون منا ، ماكان يفاخر به « موسولينى » من اهمية مركز ايطاليا بالنسبة الى الحضارة الاوربية ، مما تلخصه كلمته المشهورة :

Nostro Mare !

وان تاريخ العصر الوسيط ، ليقرر ان هذا البحر كان ((بحيرة اسلامية)) كما قال ((ابن خلدون)) فى غير جلبة او ادعاء .

وليس الذى يعنينا اليوم ان نتشدق بهـذه الحقيقة التاريخية ، ولكن الذى يعنينا ان نعرف من نكون ، فذلك هو واجبنا الذى تفرضه علينا كرامتنا العلمية ويفرضه وجودنا الحر ، بما يعنى من ادراك لحقيقتنا ووعى لذاتنا ، واتصال بالجذور العريقة لاصالتنا ..

وتحية الى استاذنا السفير ((احمد نجيب هاشم)) ابعثها اليه من راس البر المطل على بحرنا الكبير ، الذى وعى قصـة حضارتنا وحديث تاريخنـا ، من قديم الاباد وعلى مر العصور والادهار !



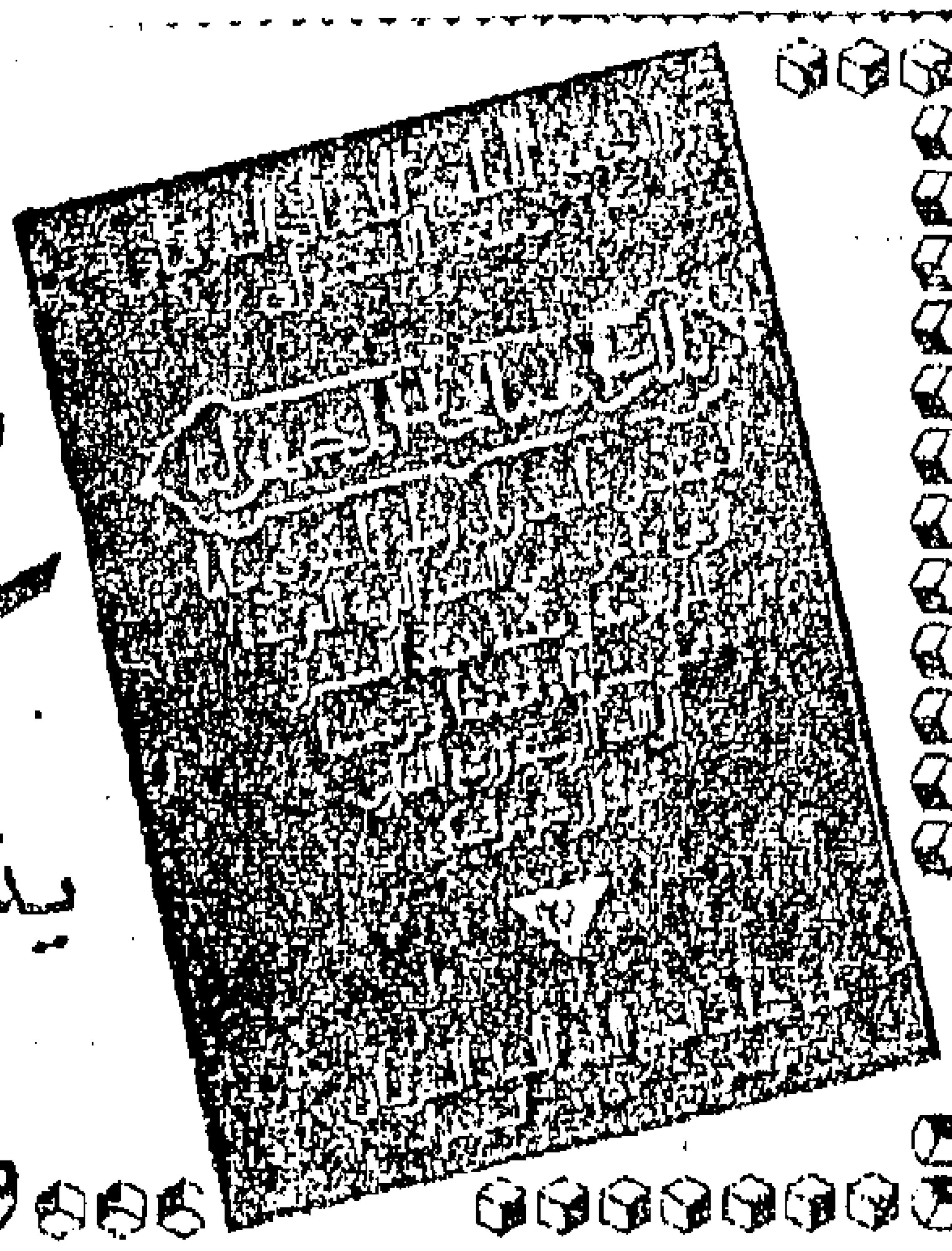
نجيب هاشم



توفيق المدنى

التاريخ : ١٨ / ١٠ / ١٩٦٣

قد يخجل المثقف منا ، الا يعرف الملاح البرتغالى فاسكو دى جاما ، ولايخجله ان يجهل اسم الملاح العربى ((ابن ماجد)) ربان سفينة فاسكو فى رحلته التاريخية المشهورة .



كتاب عربى قديم

ينشره المجمع العلمى بموسكو

وتقدمه الدكتورة بنت الشاطئ

من ((موسكو)) تلقيت كتابا عربيا من قديم تراثنا ، نشره المجمع العلمى للاتحاد السوفيتى

وقد تعمدت ان اغفل اسم الكتاب فى هذا العنوان الذى اخترته لمقالى ، كى اغرى بقراءته هؤلاء المحدثين الذين يجحدون قيمة تراثنا ، ويرون فى اشتغالنا به مضيعة للجهد ، وانفصاما عن العصر ، ورجعية مفتونة بصناديق الدمى واكسية الاضرحة واكفان الموتى ...

وواأسفا ! نحتاج هنا الى ان نبرر بمثل هذا عنايتنا بقديمنا ، وان نلتمس ما عليه من بصمات الغرب الجديد ، لكى نقنع قومنا باهميته وخطره ، ونثبت لهم ان غزاة الفضاء يجدون فيه ما يقدمونه لمكتبة العصر !

والاسى من هذا وامر ، اننى لن اجرؤ على تقديم الكتاب دون تعريف بمؤلفه !

وهذا مالم يفعله المستشرق الروسى ((تيودور شوموفسكى)) الذى حقق الكتاب ونشره ووضع فهرسه ، وترجمه الى الروسية !

لان المؤلف عنده ، فى غير حاجة الى تعريف ، لدى من يقراون النص العربى !

وربما جرح كرامة مستشرقى بلده ، لو ساق اليهم تعريفا بهذا العالم العربى الذى دخل التاريخ العلمى للانسانية واعتبر علما من اشهر اعلامه !

اما هنا ، فيندر ان تجد بين ابناء هذا الجيل من شباب العرب ، من سمع بابن ماجد ، فضلا عن ان يكون قد عرف تاريخه او قرا شيئا عنه !

انه ينتمى الى القرنين التاسع الهجرى ١٥٠٠ م ، وشباب هذا الجيل يحسبون ان كل من لا ينتمى الى عصرنا ، اثر متحفى لا يمت اليهم بصلة ، وجثة محنطة يفسد ريحها مناخ العصر !

والغريب العجيب ، ان اى مثقف عندنا يخجل اذا لم يعرف شيئا عن الملاح البرتغالى ((فاسكو دى جاما)) مثلا ، ولا يخجله الا يعرف اسم الملاح العربى ((ابن ماجد)) !

وابن ماجد ، كان ربان سفينة ((فاسكو دى جاما)) فى رحلته التاريخية المشهورة .

استطيع اذن ان اقدم الى قراء العربية هذا الكتاب وصاحبه !

بعد أن اقترن اسم الكتاب باسم اكبر مجمع علمي حديث ، وحمل بصمة مطبعة (الاكاديمية العلمية) في موسكو

وبعد أن اقترن اسم مؤلفه ، باسم الملاح البرتغالي ، مكتشف طريق رأس الرجاء الصالح !

أما الكتاب ، فعنوانه على الغلاف الخارجي للطبعة الروسية : «ثلاثة ازهار في معرفة البحار» على حين يحمل في الغلاف الداخلي هذا العنوان :

((ثلاث راهمانجات مجهولة لاحمد بن ماجد ، ربان سفينة فاسكو دي جاما))

والراهمانجات ، جمع راهمانج — او راهنامج — وهي كلمة اعجمية تعني كتاب البحر . وينسب اليها فيقال رهماني ، اي عالم بالبحار ..

نشرها المجمع العلمي للاتحاد السوفييتي من نسخة عربية فريدة ، بمكتبة معهد الاستشراق في لنينجراد ، وطبعت في مطبعة المجمع

ومن قبل نشرت ((باريس)) كتابا آخر في علم البحرية لابن ماجد ، هو ((كتاب **الفوائد في اصول البحر والقواعد**))

وبلغ من عناية المجمع العلمي في موسكو بهذا الكتاب القديم ، ان قدم النص المطبوع مصورا (بالزنكوغراف) عن المخطوط العربي ، ثم الحق به الترجمة الروسية وفهارس البلدان والمصطلحات الفلكية والبحرية ، مع مصور جغرافي يحمل هذا العنوان :

((صورة بحر الهند ، ولها البنادر التي ندخها احمد بن ماجد))

واحتاج منا ايضا الى تفسير لفظ « ندخها » فأقول أن الفعل ندخ في معاجمنا اللغوية ، بمعنى صدم ويستعمل في البحار بخاصة فيقول راكب البحر : ندخنا ساحل كذا ، وانبدخنا المركب الساحل .

ونشر النص العربي بالتصوير الزنكوغرافي ، لم يدع مجالا لهوامش وتعليقات في توثيق النص وخدمته ، ولعل شيئا من هذا قد اورده المحقق ((تيودور شوموفسكي)) في الملحق المطبوع بالروسية ، التي حال جهلي بها دون قراءتها ، فاكتفيت بالاصل العربي الذي لا يحمل من المعالم الهادية الى توثيقه سوى خطه ونمط اسلوبه .

وخط النسخة — فيما ارجح — من خط القرن التاسع الهجري ، أي من عصر ابن ماجد .

أما نمط الاسلوب ، فمن **النظم العلمي** الذي شاع التأليف به بعد أن استقرت العلوم ورسخت في العربية ، فهو على غرار ((**الفية ابن مالك**)) في النحو ، ((**وعينية ابن سينا**)) في الفلسفة ، و ((**متن السلم للاخضري**)) في المنطق ، و ((متن الشاطبية)) في القراءات ، وغيرها من المتون العلمية المنظومة في اكثر علوم العربية والاسلام .

وموضوع الكتاب ، ثلاث اراجيز فى علم البحار وارتباطه الوثيق بعلم الفلك ، والنظم فى مثل هذا ، اشق واعسر من النظم فى العلوم الادبية والفلسفية ، ومن عجيب ان «ابن ماجد» استطاع ان ينظم مادته العلمية وخبراته البحرية ، الحافلة باسرار الملاحة والفلك ، المشحونة باسماء المدن والموانى والجزر والخلجان والشعاب ، لكن هون عليه الامر ، انه ضحى احيانا بقواعد النحو ، واخل احيانا اخرى ببعض ضوابط الصرف والاشتقاق، لكى تسلم له المادة العلمية . كما احتاج الى اضافة الفاظ هنا وهناك ، لصقت بها تسوية صنعة النظم وحكم القافية ، وهى ضرورة قلما ينجو منهما ناظم من اصحاب المتون العلمية .

ومطلع الارجوزة الاولى ، المسماة بالسفالية ــ نسبة الى اقليم سفالة من بر الزنج ، على ساحل الصومال الجنوبى ــ السفلى :

الحمد لله الذى انشا الملا
من عدم ، جل تعالى وعلا
قد كلت الالسن عن اوصافه
وكم نرى فى البحر من الطافه

وعدة ابياتها سبعمائة وسبعة واربعون وفيها بيان دقيق لبحر الهند وسواحل افريقية الشرقية ، وجزيرة القمر بمدغشقر ، ووصف لسكان هذه المناطق واحوالهم الاجتماعية .

ومطلع الارجوزة الثانية ، المسماة بالملنية :

عزمت والعزم جيد فى السفر
لاسيما من بلدة فيها ضرر
طالب تحت السريع بالاذعان
فى مركب يطير كالعقبان
من ارض كالبكوت بالعنايه
باول الستين فوق المايه

وعدة ابياتها مائتان وواحد وسبعون وفيها بيان للملاحة من بر الهند الى بر سيلان وسمطرة والسيام وجاوة ، وما كان فى طريقهم من الجزر والشطآن وكذلك بلاد القور والصين الى الحدود الشارفة على البحر المحيط . . . .

ومطلع الارجوزة الثالثة :

سرت نسمة الفردوس من ارض مكة
بريح الصبا ، فاشتاقت النفس خلبتى

وعدة ابياتها خمسة وخمسون بيتا ، وترشد ربابنة البحار ، بادق بيان ، الى الملاحة فى بحر القلزم ــ البحر الاحمر ــ من جدة الى عدن .

لكن ما شأننا هنا بكتاب فى علم البحار وفن الملاحة واسرار الفلك !

الواقع ان المادة العلمية الكتاب لاتدخل فى نطاق هذه الصفحة ، وليس لى بها ادنى حظ من العلم . غير ان الكتاب يعنينا هنا من نواح اخرى ذات شأن :

فهو اولا : مرجع تاريخى هام لمعجم الفاظ عصره وانماط اساليبه ، كما انه يسد ثغرة كبيرة فى تاريخ المجتمع الشرقى بما يصف من احوال الناس وعاداتهم ومواسمهم واخلاقهم وامزجتهم ، فى كل منطقة مر بها ملاحنا العربى ، من الشرق الاسيوى الافريقى .. وكل ذلك مما يضىء لنا تاريخ ادبنا ..

وهو ثانيا : يغرى بالسؤال عن سر اهتمام علماء الروس المعاصرين ، بهذا الكتاب القديم الذى الفه ملاح عربى ، امضى فى البحار نحو نصف قرن من الزمان ، وخبر من اسرار الفلك ما لا نرتاب فى قيمته وجدواه ، للمشتغلين بعلوم الفضاء !

وهو ثالثا : يقدم الينا نموذجا اصيلا من العقلية العلمية للعرب ، وقد طالما ارتاب المرتابون فيها . كما يقدم الينا شخصية عالم عربى ، يستطيع ان يصحح الفكرة الشائعة عن مناهج الدرس العلمى فى البيئة العربية ، وان يهب المسلم الحديث ضوابط منهجية ، يحسبها كثير منا ، من بضاعة الغرب الحديث !

فابن ماجد ، كان يخضع فى دراساته وبحوثه ورحلاته بالبحر ، لادق منهج علمى ، ويجعل «التجريب» اساسا للعلم . يقول فى كتابه الفوائد ، ص ٤٨ ط باريس .

« ان التجريب شىء ما بعده شىء » .

وبلغت الى العلل التى تشرب القياس

التاريخ : ١٨ / ١٠ / ١٩٦٣

فى التجربة قائلا لربابنة البحار :

« فلو قاس هذه الانجم المجهولات احد منكم ، لايتكلم بها الا بعد تجربة مكررة ولم مكررة ، صافية من العلل . فربما جرب احدكم قياسا وفيه علة وما اطلع عليها ، فاذا رآه تكرر ينبغي ان ينطق به ، فو الله ما حققت هذه القياسات المنتخبات الا بعد ان كررت عليها التجربة عشرين سنة (ص ٨) ولم اترك فى السماء نجما الا وقد درجته ، وعرفت نقصانه وزيادته » ص ٢٥

ويحذر كذلك من استهواء المنطق ، فيما ادلته التجربة قائلا :

« فان اكثر الخطــا فى كثرة المنطق خصوصا فى هــذه الصنعة ، وخطؤها فى المنطق اكثر من خطئها فى العلم » ص٦٢ .

« واصل علم البحر : الفن والتجريب فان كان مجربا موافقا للعقل فهو صحيح تجزم بصحته ، لاستكمال الاصلين » ص١٨٦ .

ولابن ماجد فى فن الملاحة وراثة اصيلة ممتدة ، تلقاها من ابيه وجده « ربان البحرين » ومن الربابنة المحققين الذين ازدهرت به حلقات العــلم فى زمانه :

« جدى عليه الرحمة والغفران كان نادرة زمانه فى ذلك البحر ، واستفاد منه والدى عليه الرحمة والغفران ، وقد اخذت علم الرجلين مع كثرة التجربة ، وحضرت عشرين حلقة زاخرة بالمسائلة المحققين » ص ٥٦

ولهذا ، يحيد « ابن ماجد » موقف المتأخرين من المتقدمين ، فيلزم المتأخر بالاطلاع على جهود من سبقوه فى الميدان ليبدا من حيث انتهوا : « فان نهاية المتقدم بداية المتاخر »

وقد التزم الرجل بهذا السلوك العلمى فتتبع آثار السابقين واكبر جهودهم ، واختار لنفسه لقب « رابع الثلاثة » اعترافا منه بفضل ائمة من علماء البحرية العرب تقدموه : عبد العزيز بن احمد المغربى ، وموسى القندانى ، وميمون بن خليل . وقال فى ذلك :

« وقد عظمنا علم سابقينا وتاليفهم ، وجللنا قدرهم رحمة الله عليهم بقولنا انا رابع الثلاثة »

وفيه كذلك من شيم العلماء تواضع من لايرى نفســه قطب العلم ونادرة الزمان وعبقرية الدهر ، وما كان اعظمه حين قال عن بعض مخترعاته : ص٤٦

« ومن اختراعنا فى علم البحر ، تركيب المغناطيس على الحقة بنفسه ، ولنا فيه حكمة كبيرة لم تودع فى كتاب .. فاذا كان احد يعرف (غيرنا) فنحن مسبوقون » .

ثم اعود على بدء فاقول :

هذا رجل مــن علمائنا ضيعه اهله ونهض به الاجانب الغرباء ، وذاك اثر من قديمنا يحمل بصمة العصر الجديد ، فهل تراها تكفى لتبرير ما ندعو اليه من عنــاية جادة بتراثنا الضيع ؟

سؤال لا ادرى الى من اوجهه ، فهل من يدرى ؟

وقبل أن نعلم أن من أساتذة التاريخ الغربيين — مثل ترافيليان — من يقدرون القيمة التاريخية للأثر الأدبي ، وللآثار الأدبية بوجه عام ، قال المتخصص في دراسة الأدب : هو الذي [illegible] لنا من بطلان هذا القول ، وأكد لنا أن المؤرخين القدامى كانوا على حق حين اعتمدوا النصوص الأدبية مادة تاريخية .

وكشف لنا كذلك عن الصور الفهم لمعنى التخصص ، حين تقام حدود فاصلة بين دوائر ، هي بطبيعتها متداخلة متكاملة .

فنحن في دراسة النص الأدبي ، لا نستطيع بحال من الأحوال ، أن نتفهمه بمنأى عن تاريخ عصره وأوضاع مجتمعه ، ولا أن نستخلص دلالاته بعيدا عن الحياة العامة التي تنفس فيها الأديب وعاش ..

وهي قاعدة منهجية مقررة في دراسة الأدب ، لا أعلم أن أحدا منا يجرؤ على الإخلال بها أو الخروج عليها

على حين استغنى المؤرخون عن النصوص الأدبية ، وفاتهم أنها وثائق تاريخية ، من حيث هي خيوط في نسيج عصرها ، وتفسير وجداني لتاريخه .

وأبادر فأنفي شبهة قد توهم أنني أرمي مؤرخينا جميعا بتهمة الجهل بأدبنا حين أقول بعزلتهم عنه . وذلك بأنهم بدر بقلتي [illegible] ، وقد كان لي أساتذة منهم ، ذوو علم واسع بتراثنا الأدبي ، مع ذوق له مرهف . وحسبي أن أذكر هنا أستاذي الجليلين : « عبد الحميد العبادي ، ومحمد شفيق غربال » — رحمهما الله — لأستبعد كل شبهة اتهام بالجهل . وإنما أردت أن أقول : أن هؤلاء المؤرخين الأد[illegible] مع علمهم بتراثنا الأدبي ، يهدرونه حين يكتبون التاريخ . فأنت تقرأ مثلا بحوث أستاذنا شفيق غربال في تاريخ مصر الحديث ، دون أن تعثر على نص أدبي يستشهد به لحادثة معينة ، أو يعرض نصوصه خيوطا تاريخية أو يذكره بين المؤثرات الموجهة لهذا التاريخ ...

ولم أنس أن للسيد « الأستاذ عبد الرحمن الرافعي » كتابا عن « الشعراء الوطنية » يشهد بحسن اطلاع على مصير أدبنا المعاصر ، غير أني لا أنسى كذلك أنه أخرج هذا الكتاب بمعزل عن مكتبته التاريخية التي أرخ فيها للحركة القومية ، دون احتفال بالوثائق الأدبية ، أو اعتمادها مادة تاريخية ، مما يشعر بأن الأستاذ الكبير يرى في الاعتراف بها ، إقحاما على السياق التاريخي ...

والمؤرخون المعاصرون ، يعطون أهمية كبرى للمذكرات السياسية ، ويضعونها في أعز مكان من قائمة مصادرهم ومراجعهم ، وهذه المذكرات يكتبها عادة من لعبوا دورا على مسرح السياسة ، وقلما يبرأون من غلبة هوى مذهبي ، وسيطرة اتجاه حزبي ، لا رجاء معه في تسجيل الأحداث والوقائع بحياد مجرد يرتفع على الهوى وذلك ما يهز الثقة بها ويقتضي الحرص البالغ على فحصها بأدق موازين المنهج النقلي ، قبل الاطمئنان إلى شيء منها في كتابة التاريخ وتفسيره .

وحتى مع افتراض صدقها التاريخي ، فإنها لا تعدو أن تكون مادة لجانب واحد من تاريخنا القومي ، وهو الجانب السياسي ، وقد غبرنا زمانا لا نحفل بغيره ، ولا نتصور

الحياة الا دائرة فى فلك السياسة مشدودة الى عجلتها . وهو تصور خاطىء للتاريخ ابطلته الدراسات الحديثة التى هدت الى نظريات جديدة فى فهم التاريخ لاتعتبر السياسة وحدها صانعة الوجود بل لا تعتبرها الموجه الاول للتاريخ والعصب المركزى لحياة الشعوب والمجتمعات وانما السياسة فى الواقع نتيجة حتمية لمؤثرات فاعلة مختلفة ، منها ما هو مادى كالوضع الاقتصادى ، ومنها ماهو معنوى كامزجة الشعوب وعقلياتها ، وميراثها الروحى والحضارى ...

وهنا تبرز الآثار الادبية ، لتسد الثغرة الخطيرة فى تاريخنا المحصور فى نطاق السياسة ، ولتقدم لنا الدلالة الصادقة على ما اغفله كتاب التاريخ ، من تسجيل نبض الوجدان الشعبى ، ورصد المناخ النفسى للامة ..

واذا درست اليوم مثلا ، تلك ان مذكرات [illegible] وزعماء الاحزاب ..

ولا يهدر [illegible] الآثار الادبية من حيث هى وثائق تاريخية ، ان تكون [illegible] الاثر [illegible] المصريين [illegible]

[illegible] ، وفرضوا على [illegible] واشتروا [illegible] فى [illegible] والفن ، [illegible] والتفسير الادبى [illegible] على [illegible] الرأى العام .

وما [illegible] الاسئلة [illegible] فى [illegible] وحكايته .

[illegible] التى [illegible] ، [illegible] التى تولى الشعراء والكتاب ترويجها للترويج الوطنى العام .

وعندها [illegible] لبلدنا [illegible] .

شأنها فى ذلك — من حيث الدلالة التاريخية — شأن الآثار الادبية للثوار الذين حملوا امانة الفن وصانوا شرف الكلمة ورفعوا صوتهم ، فى داجى الظلمة بدعاء الفجر ، معلنا عن ارادة الشعب المكبلة بالاغلال ، وكاشفا عن الحوهر الحر المتألق فى ضمير الامة ، تحت ركام الكبت والقسر والاحتلال .

وللحديث بقية ارجو ان تاتى !

التاريخ : ١ / ١١ / ١٩٦٣

أضواء على تاريخنا

الشعلة التي لم تنطفيء !



احمد محرم



احمد شوقى



سعد زغلول

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

((ان قـوة الاحتـلال البريطـانى العسكرية ، ومؤامـرات المصـالح الاحتكارية والاقطاع ... ذلـك كله لم يستطع ان يطفيء شـعلة الثورة على الارض المصرية))

الميثاق

كتبت فى مقالى السابق : ان مذكرات سعد زغلول وغيره من الساسة والزعماء لايمكن ان تغنى عن الآثار الادبيـة لمن عاصروا ثورة ١٩١٩ وشهدوا محاولة وأدها ؛ لان هذه الآثار تقدم لنا من روح المجتمع وانفاس الشعب ، مالاتقدمه مذكرات ترصد الصراع المحتدم فى معترك الاحزاب ، وتعنى بتسجيل ماجرى ويدور على المسرح السياسى ..

وكان فى ذهنى وانا اكتب ماكتبت ، نصـوص معينـة من تراث ادبـاء جيل الثورة ، استطعت بها ان استشف المناخ النفسى لوطنى ، فى اعقاب ثورته التى كشفت الرماد عن الجذوة المتوهجة فى ضمير الشعب ، بقية باقية لم تنطفيء من عهد عرابى .

ولا مطمع لى فى ان ابسط هنا كل ما عدت اليه الوثائق الادبية من اشارة لتاريخ مابعد ثورة ١٩١٩ ، بعوزنا مثلها فى كتب المؤرخين ومذكرات زعماء الاحزاب واقطاب السياسة ، مصريين واجانب . وانما اتحرى ما استطيعه فى هذا المجال المحدود ، من ان اقدم نموذجا ومثلا يجلو الفكرة ويؤيد الدعوة .

وليكن النموذج من ديوان الشاعر ((احمد محرم)) الذى احتفلنا بمهرجان ذكراه منذ ايام ..

اعنى قصيدة له دالية ، نظمها عام ١٩٢٥ وقد راح عميد بريطانى وجاء عميد جديد ، كان قد لعب لعبته الاستعمارية فى الهند وهو يرتدى زى ((المسيح)) عليه السلام ، مخفيا وراءه المخالب والانياب!.

يومئذ تساءل المتسائلون فى مصر عما عسى ان يكون العميد الجديد قد حمل معه من خطط واساليب للمستعمر ، وسعى الساعون من وفود الاحزاب واقطاب العهد الى قصر الدوبارة ، وكل منهم يحرص على الظهور فوق مسرح الاحداث ويلتمس دوره فى الفصل الجديد من المسرحية ، وكل منهم يؤكد انه الخبير بفن السياسة واسلوبها المجدى مع هذا الشعب المتمرد العنيد ، وانه وحده القادر على قيادة السفينة وسط الانواء ، وتوجيه دفتها نحو شط الهدوء والاستسلام

وكتب المؤرخين ومذكرات الزعماء هى التى تستطيع ان تقدم لنا بادق تفصيل وبيان ، مشاهد المسرحية واسماء ابطالها ، وان تحدد لنا باليوم والساعة ، موعد رفع الستار عن كل مشهد ، وموعد اسداله .. وربما استطاعت كذلك ان تكشف لنا عن الايدى التى تمسك بالخيوط المحركة للدمى والشخوص المسرحية .

لكنها قلما التفتت الى نفسية الشعب الذى اوقف موقف المتفرج ، او رصدت وقع الاحداث على وجدانه المصدوم بمشهد زعمائه وقد تخلوا عن دورهم الثورى واستبدلوا به دور الساسة المحترفين ، وآثروا مهادنة المستعمر بالاشتراك فى الحكم على اساس الاعتراف بتصريح ٢٨ فبراير المشئوم ..

وانما حسبها ان تعنى ببيان ظاهر حاله ، وان تدون اقوال ((ابطال الموقف وطلاب الوقت)) وهم يتكلمون باسم الشعب ، ويخوضون المعركة الحزبية تحت شعار الدفاع عن حقوقه وامانيه ! .

فالنسمع اذن صوت شاعر من صميم الشعب ، لم يكن قط داعية لذى سلطان او ماجورا لحزب من الاحزاب ، ولا عرف الطريق يوما الى سوق النفعية والنفاق ، حيث تباع الكلمة ، والضمير ، والشرف ، لمن يدفع الثمن : مالا او رتبة او منصبا .. بل عاش عمره فى غمار الشعب ، ووقف مع الملايين من ابنائه الكادحين ، يتفرج على مشاهد المسرحية بوجدان يقظ وحس مرهف ، دون ان يخونه وعيه بان مايرى ويسمع لايعدو ان يكون تمثيلا فى تمثيل ، ودون ان يخذله ايمانه بما رسخ فى ضمير الشعب من القول المأثور :

((مصر كنانة الله فى ارضه ،
من ارادها بسوء قصمه الله)) .

وهو الايمان الذى عصم الامة من اليأس فى احلك المحن ، وامدها بطاقة عجيبة من الارادة والصمود ! .

لنسمع صوت واحد من الملايين ، يستقبل العميد الجديد بالنذير والوعيد ويمزق عنه الرداء المستعار الذى تزيى به فى الهند ، ويذكره — ان كان قد نسى — مصير طاغية من قومه ، عتا هنا وتجبر ، واطلق جنوده يستبيحون حمى الكنانة ، ويلهون بصيد البشر والحمام فى دنشواى ، ثم دالت دولته وبادت ، وبقيت مصر خالدة لاتبيد :

اتسال مصر ماحمل العميد !
وهل عند الرماة لها جديد ؟
هو السهم الذى عرفته قدما
وجرب وقعه الشعب الوئيد

((مسيح الهند)) ان بمصر شعبا
يشق عليك ان خدع الهنود
دع ((الزعماء)) ان لهم لدينا
بدين بقيره الشعب الرشيد
اذا ذكروا الزعامة فهى دعوى
يكيد بها الكنانة من يكيد
لمن تتالب الاحزاب شتى
وما هذى الصواعق والرعود

تداعوا للوغى فهوى صريعا
على ايديهم الوطن الشهيد
«عميد الغاصبين» نزلت ارضا
يبيد الغاصبون ولا تبيد
يذود « الواحد القهار » عنها
اذا قهرت جنودك من يذود
اتذكر اذ أتى قومك ما ارادوا
واذ « كرومر » الباطش الشديد
تطوف جنوده فتصيد منا
ومن سرب الحمائم ماتصيد
اتذكر « دنشواى » وكيف كادت
جوانبها باهليها تميد
تضج من العذاب ولا سبيل
الى غير العذاب ولا محيد
اتذكر ... نعاتبه فيطشى
ويهدر فى مقالته الوعيد
صندمنا ركنه فانقض يهوى
وذاب الصخر اجمع والحديد
هوى جبل من العدوان عال
وزلزل للاذى صرح مشيد
ونحن القائمون بحق مصر
اذا ما استسلم القوم القعود
نضن بمصر ان مدت الموادى
ولكنا بانفسنا نجود

«اخا السكسون» هل نبئت انا
جلاوزة لقومك او عبيد
لقد كذبوا عليك فليس فينا
لمن يبغى الهضيمة مستقيد
اذا سمت «الولود» اليك فاحذر
عواقب ماتقول لك الولود
فما احد بمسالك امر مصر
وما بالشعب جبن او جمود
بلاد ما تباع ، وباقيات
من الاثار معدنها الخلود

افلا يقدم لنا مثل هذا الاثر الادبى ، اضاءة تاريخية كاشفة للمناخ النفسى للامة ، ومسجلة نبض وجدانها الحى ، وصدى ايمانها الراسخ بالخلود ؟.

لنسمع معه اذن ، هذه الابيات من قصيدة لشوقى فى العام نفسه ، انشدها فى ذكرى مصطفى كامل ، وقال فيها يخاطب الزعماء :

الام الخلف بينكموا الاما
وهذه الضجة الكبرى علاما
واين ذهبتمو بالحق لما
ركبتم فى قضيته الظلاما
لقد صارت لكم حكما وغنما
وكان شعارها الموت الزؤاما
شببتم بينكم فى القطر نارا
على محتله كانت سلاما
وانظر جيشه من نصف قرن
على ابصارنا ضرب الخياما
ونلقى الجو صاعقة ورعدا
اذا « قصر الدوبارة » فيه غاما
اذا انفجرت علينا الخيل منه
ركبنا الصمت او قدنا الكلاما
فابنا بالتخاذل والتلاحى
وآب بما اشتهى منا وراما
ولينا الامر حزبا بعد حزب
فلم نك مصلحين ولا كراما
جعلنا الحكم تولية وعزلا
ولم نعد الجزاء والانتقاما
اذا « التصريح » كان براح كفر
فلم جن الرجال به غراما
وكيف يكون فى ايد حلالا
وفى اخرى من الايدى حراما

ثم يتجه بالخطاب الى روح الفقيد :

شهيد الحق لم تره يتيما
بارض ضيعت فيها اليتامى
اقام على الشفاه بها غريبا
ومر على القلوب فما الاما

هذه النصوص وامثالها من التراث الادبى للعصر ،لا غنى عنها لاستكمال صورة الوضع من شتى زواياها ومختلف ابعادها .

وفيها ما يعين على فهم مرحلة التحفز الثورى ،ويصحح مايقوله اساتذة التاريخ فى احدث ما كتبوا ، عن « ضرب ثورة ١٩١٩ ضربا نهائيا ، وتصفية كل آثارها » على حين يشهد تراثنا الادبى — مؤيدا بالواقع التاريخى — ان تلك الثورة لم يقض عليها القضاء المبرم ، ولا صفيت كل آثارها ، وانما الذى انتهى منها مشهد وجولة فحسب ...

وبقيت شعلة الثورة متوهجة فى ضمير الامة « لم تستطع كل قوى البغى ان تطفئها » حتى بلغت ذروة احتدامها عام ١٩٥٢ فسطع لهيبها فى حريق القاهرة ، مؤذنا بالجولة الحاسمة فى صراع مرير استغرق نحو قرنين من الزمان ..

وبها اسدل الستار على القصة ، ليكشف التاريخ المعاصر ان بطلها الاول كان هذا الشعب الذى خيل للواهمين انهم ابعدوه عن مكانه الحقيقى على مسرح الاحداث ، واوقفوه موقف المتفرج ...

التاريخ : ٨ / ١١ / ١٩٦٣

أضواء على تاريخنا

رُبّان السفينة على مسير الحضارة !

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



د. حسين فوزى



فردينان ديلسبس

... ((شهاب الدين احمد بن ماجد)) ربان سفينة ((فاسكو دى جاما)) فى رحلته التاريخية الى بحر الهند ،عبر راس الرجاء الصالح او راس الاعاصير ، الاسم القديم ..

دون ان أشعر اننى بمثل هذا الحديث ، ابتعد عن النطاق العام المحاولة التى بدأتها منذ حين ، واتجهت بها الى التاريخ الأدبى للحركة الوطنية ، التماسا لمزيد من الضوء الكاشف لتاريخنا ..

والذى يدفعنى الى استئناف الحديث عن ((ابن ماجد)) ان هناك بقية يجب ان تضاف الى ماسبق ان كتبته عنه ، حين قدمت كتابا له فى علم البحار ، نشره المجمع العلمى بموسكو

وكان كل همى ، أن ألفت الى ذخيرة من تراثنا تحمل بصمة الغرب الحديث ، لكى ابرر عناية لى بهذا التراث المضيع فينا ، واردت اليه اعتباره لدى من يحسبونه اكفان موتى ، يفسد ريحها مناخ العصر !

واصغيت الى صدى المقال بعد نشره ناذا به يتجاوز ما توقعت ، ويحمل الى جديدا من امر الكتاب وصاحبه ، لم اكن عرفته فيما مضى

وادركت ان الموضوع الذى شغلنى قد شغل عددا غيرى من كرام الزملاء ، وكنت احسبه لايعنى سوى الاجانب الغرباء

وعلمت بداية كنت أجهلها ، من قصة هذا الكتاب الذى وضعه المجمع العلمى بموسكو فى برنامج أعماله فى عصر غزو الفضاء !

واول ما عرفت من جديد فى الموضوع ان لاستاذنا السندباد المصرى العصرى ((الدكتور حسين فوزى)) عناية قديمة بابن ماجد ، منذ التقى به فى رحلاته عبر تاريخنا عن طريق مؤرخ عربى، سجل المشهد المثير لانتقال شعلة حضارية من الشرق الى الغرب ، وكان ((ابن ماجد)) بطل ذلك المشهد !

واسم المؤرخ العربى : ((قطب الدين النهروالى)) مؤلف كتاب ((البرق اليمانى)) وفيه يقول :

((وقع فى اول القرن العاشر من الحوادث الفوادح النوادر ، دخول الفرتغال — البرتغال — اللعين من طائفة الفرنج الملاعين الى ديار الهند وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبته فى البحر ويلججون فى الظلمات ، ويمرون بموضع قريب من السواحل فى مضيق ، أحد جانبيه جبل والجانب الثانى بحر الظلمات ، فى مكان كثير الامواج لا تستقر به سفاينهم وتنكسر ولا ينجو منهم أحد واستمروا على ذلك مدة وهم يهلكون فى ذلك المكان ولا يخلص من طايفتهم احد الى بحر الهند .. الى ان دلهم شخص ماهر من أهل البحر يقال له احمد بن ماجد ، صاحبه كبير الفرنج وعاشره فى السكر فعلمه الطريق .. واجتازوا المضيق الى ساحل الدكن وكثروا فى بحر الهند ، وصارت الامداد تترادف عليهم من الفرتغال ، فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسرا ونهبا ، ويأخذون كل سفينة غصبا))

واطال ((الدكتور فوزى)) الوقوف امام هذه السطور متأملا ، وتتبع آثار رحلة ابن ماجد على السفينة البرتغالية ، وهى الرحلة التى دخلت التاريخ خطوة حاسمة على معبر الحضارة من الشرق الى الغرب، وكانت ايذانا بمغيب شمسنا ، ليبدأ ليل الغزو الاستعمارى الطويل ، والاستغلال الاجنبى لخيرات الشرق الطيب ..

وكان هذا هو موضوع محاضرة للاستاذ الدكتور ، القاها فى الكويت عام ١٩٥١ وانطلق فيها السندباد يرتاد مجاهل تاريخ الملاحة العربية فى القرون الوسطى ، ويتلو هذه الصفحة المطوية من تاريخنا الحضارى .. وقد لاحظت وانا اقرأ المحاضرة الخصبة الممتعة أن استاذنا السندباد ، مر بمسألة سكر ابن ماجد مرتابا فيها غير مكترث بها ، لانها فى رأيه لاتهمنا فى قليل او كثير . على حين اراها بالغة الاهمية والخطر ، فى تفسير موقف الملاح العربى الذى قاد ((دى جاما)) الى بحر الهند واسلمه مفتاح الطريق الى كنوز الشرق ، مما جعل بعض المؤرخين العرب ، يحمله اثم النكبات التى لحقت بالشرق الاسلامى من ذلك الحين ، ويعده مسئولا عن مأساة الغزو البرتغالى والاسبانى للقارة الاسيوية .

واذا كنا بعقلية العصر الحديث ننظر الى الرحلة من حيث اثرها الحاسم فى التقدم الحضارى ، ولا نستطيع ان نلقى على كاهل فرد — من كان — تبعة حركة حتمية قضت بها ظروف وعوامل مادية ومعنوية ، فان للمؤرخين القدامى عذرهم ، حين ينظرون الى الرحلة من زاويتها القومية ، ويرصدون ما حل بالعالم الشرقى من جرائها . شأنهم فى ذلك شأن الذين اعتبروا حفر قناة السويس ، مسئولا عن النكبات والمحن التى حاقت بمصر ، منذ تسلم ((فردنان ديلسبس)) رخصة حفر المعبر الذى ظل موطئا لغول الاستعمار وقراصنة الراسماليين من يهود الغرب ، الى ان طهرته الثورة من كابوسهم الجاثم ، باعلان قائدها ((الرئيس جمال عبد الناصر)) تاميم القناة عام ١٩٥٦ ، لتعود معبرا مصريا عربيا، للتبادل الحضارى والتجارى بين الغرب والشرق ..

اجل ، للمؤرخين القدامى عذرهم ، اذا حملوا ((ابن ماجد)) وزر المأساة التى كان الشرق الاسلامى مسرحا لها منذ عرف البرتغال طريقهم الى ساحل الهند . فاذا قال مؤلف ((البرق اليمانى)) ان الرجل فعل ما فعل ، وهو مسلوب الارادة من اثر السكر ، وجب ان تستوقفنا هذه العبارة بدلالتها على محنة الملاح العربى الذى قاد الغزاة الى وطنه، ويكشفها [illegible] الوسيلة الخبيثة التى لجأ اليها ((كبير الفرنج)) ليحل عقدة لسانه ، ويستدرجه الى اذاعة ما خبر من اسرار البحر وفنون الملاحة ،

التاريخ : ٨ / ١١ / ١٩٦٣

ويتخذ منه دليلا مرشدا لرحلة الغزو الاستعماري ، التى هى فى حساب التاريخ رحلة انتقال للحضارة من الشرق الى الغرب ، قضت بها حتمية التطور ..

ومن الاستاذ ((الدكتور محمود كامل أمين ملش المحامى)) تلقيت خطابا علمت منه ان سيادته عرف ابن ماجد عندما كان يدرس القانون فى فرنسا ، بعد عام ١٩٢٢ ، واطلع على ما فى المكتبة الاهلية بباريس من ذخائر تراثه . ثم لما عاد الى مصر عام ١٩٢٦ ، لفت ((دار الكتب المصرية)) الى ضرورة تصوير هذه الذخائر . كما حرص من ذلك الحين ، على أن يتعرف الى رصيدنا التاريخى فى قوانين الملاحة البحرية

وقرأت للاستاذ الدكتور ملش محاضرة القاها بالازهر عام ١٩٦٠ عن ((الاساطيل الاسلامية ، والاصول العربية للتشريع البحرى الحديث)) وفيها اشارة الى ابن ماجد واثاره فى مجال العرض التاريخى الرائع لامجادنا البحرية مع دراسة مقارنة للتشريع البحرى الحديث وتقاليدنا الملاحية تكشف عن أثر باق للعرب فى هذا الميدان ، تشهد به المصطلحات العلمية العربية فى نصوص التشريع البحرى الحديث ، وقد بلغ ما احصاه السيد الاستاذ من هذه المصطلحات فى اللغة الفرنسية وحدها ، ثلاثمائة مصطلح لا تزال تحتفظ باصلها العربى على لسان الفرنجة ..

واترك ما بقى من المكان المحدد للمقال للسيد الاستاذ (محمد منير مرسى — مدرس اللغة العربية سابقا بجامعات الاتحاد السوفييتى »

وقد عرف « ابن ماجد » من طريق المستشرقين الروس ، وتتبع فى حرص ولهفة ، قصة الكتاب الذى نشره المجمع العلمى بموسكو ، وفيه ثلاث اراجيز طوال فى علم البحار ، لابن ماجد .

يقول الاستاذ مرسى :

« ان قصة هذه الاراجيز تبدأ عندما اكتشفها كراتشكوفسكى شيخ المستعربين الروس ، ضمن مجموعة مخطوطات فى معهد الاستشراق التابع للمجمع العلمى السوفيتى . ولم تكن لدى المستشرق حينذاك ، أية فكرة من شخصية مؤلفها احمد بن ماجد . ولم تسعفه المراجع التى بحث فيها ، مثل كتاب بروكلمان وكشف الظنون لحاجى خليفة ، وظلت شخصية ابن ماجد مجهولة لديه الى منتصف العقد الثانى من هذا القرن ، حيث اتيحت له فرصة التعرف الى جهود المستشرق الفرنسى «فيران» عن الجغرافية البحرية فى القرن الخامس عشر . وكان هذا المستشرق قد عثر فى المكتبة القومية بباريس ، عام ١٩١٢ ، على مخطوطين عربيين لابن ماجد ، يتضمن اولهما تسع عشرة أرجوزة فى وصف الملاحة بالبحر الاحمر والخليج الفارسى والمحيط الهندى . وظن «فيران» ان هذا المخطوط ، نسخة فريدة نقلت من اصل غير معروف ، الى ان تبين له بعد عشرة اعوام ، من مقالة فى مجلة المجمع العلمى بدمشق ، وجود نسخة مماثلة فى العاصمة السورية . اما المخطوط الثانى فيتضمن خمس مقالات أخرى لابن ماجد .. اثنتان منها مكررتان فى المخطوط الاول . وقد بدأ «فيران» فى دراسة المخطوطين منذ عام ١٩١٤ .

((وكان من المعروف ان ملاحا عربيا هو صاحب فاسكودى جاما فى رحلته الاولى سنة ١٤٩٨ من مالندى فى افريقية الشرقية الى كلكتا بالهند . وما ورد فى المصادر البرتغالية عن هذا الملاح ، مشوش ومتضارب . وكان « فيران » على معرفة بلغات الشرق الادنى والاقصى ولغة الملايو والهند ، وعندما ربط بين المعلومات البرتغالية وبين المعلومات العربية التركية استطاع ان يحدد الاسم الحقيقى لهذا الملاح ، وهو شهاب الدين أحمد بن ماجد بن معلق السعدى بن أبى الركائب النجدى ، واستطاع ايضا ان يحدد مسقط رأسه وهو مدينة جلفار بعمان .

«ولما كانت هذه الاراجيز التى اكتشفت فى مكتبة باريس ، تتشابه فى الشكل والمحتوى مع الاراجيز الثلاث التى عثر عليها كراتشكوفسكى ، بادر بالكتابة الى «فيران» يسأله عما اذا كانت لديه معلومات عن وجود نسخ اخرى لها . فرد عليه فيران بالنفى ، وذهب الى انها — فيما يعلم — تعتبر وحيدة فريدة . واشار كراتشكوفسكى على فيران ، بان يتولى مهمة تحقيق هذه الاراجيز الثلاث ونشرها

غير ان وفاة المستشرق الفرنسي حالت دون ذلك ، وبقيت الاراجيز تنتظر الى ان جاء شوموفسكي — احد تلاميذ كراتشكوفسكي — فتفرغ لتحقيق المخطوط ودراسته في رسالة علمية نال بها درجة الكانديدات عام ١٩٤٨ من كلية الاستشراق ، ثم قام المجمع العلمي في موسكو بطبع المخطوط مصورا ، ونشر الرسالة ، في الكتاب الذي تدمته صفحة الادب بالاهرام الى قراء العربية .

« ورسالة شوموفسكي ، تبدأ بمقدمة كتبها ((اولدروج)) ، تليها اربعة فصول . يعرض الاول منها الاصل العربي في صورته التي اكتشف بها ، ويقدم الثاني ترجمة روسية للاراجيز الثلاث ويبحث الثالث في مرسومها وقيمتها ، ويختص الفصل الرابع، وهو الاخير ، بلمح الروح العلمية وشخصية المؤلف في كتابه ، مع تعليقات الدارس الروسي .

« وانتقل هنا ماجاء في رسالة شوموفسكي من قصة التقاء فاسكو دي جاما باحمد بن ماجد :

« وهي تبدأ في مدينة مالندي على شاطىء افريقيا الشرقية ، حيث وصل دي جاما من جنوب افريقيا . وهناك اشار عليه احد سلاطين المنطقة ، بابن ماجد ، ربانا خبيرا يمكنه ان يقود السفن البرتغالية الى الهند ، بما له من خبرة طويلة ببحار الجنوب . واستطاع البرتغاليون بفضل ابن ماجد ان يعرفوا الطريق الى الشرق، فكان ذلك بداية مأساة حزينة عاشها الشرق: لقد استطاعت اسبانيا والبرتغال ، اعظم دولتين بحريتين في القرن الخامس عشر ، ان تمدا نفوذهما الاستعماري الى الشرق وتستعبدا شعوبه وعاش ابن ماجد ليشهد ابادة البرتغاليين للسلاطين العرب في افريقيا ، وتدعيم الاستعمار البرتغالي في الهند واندونيسيا .

((وفي الوقت الذي وصل فيه فاسكو دي جاما الى المحيط الهندي ، كانت هناك مدن مزدهرة وبلاد تجارية على شواطىء افريقيا الشرقية . ومع ان سفن التجار الهنود كانت تزور موانى البحر الاحمر وشرق افريقيا، كما وصلت السفن الصينية الى الجنوب العربي ومقديشو ومالندي ، الا ان السيطرة على المحيط الهندي كانت للتجار العرب وكان لهم النفوذ التجاري على الساحل كله ، من سفالية جنوب افريقيا ، الى جزيرة سومطرة .. فللعرب اذن ماض حضاري مزدهر في البحرية لكن عندما طوى هذا الماضي ، صارت الثقافة العربية تكاد لاتخرج عن كونها ثقافة بدو رحل في الصحراء ، او هذا هو ماتصوره احيانا في حين ان المعروف جيدا ان البحارة الاوربيين في القرن الخامس عشر كانوا تلاميذ للعرب ، وان الملاح البرتغالي ((انريكو)) الذي يرتبط باسمه اشهر الكشوف الجغرافية البرتغالية ، قد استفاد من تجارب العرب في رحلاتهم البحرية شرق افريقيا ، واستطاع البرتغاليون بفضل هذه التجارب والخبرات ان يبرعوا في صنع الادوات البحرية ورسم الخرائط وتشكيل هيئة القيادة البحرية وتصميم انواع جديدة من السفن . ولم يقتصر تاثير العرب في مجال الملاحة البحرية على البرتغاليين فحسب ، بل امتد الى الغرب الاوربي حيث نرى المصطلحات البحرية ماخوذة عن العرب .

« اما عن مؤلفات ابن ماجد فتشير رسالة شوموفسكي الى ان اولها كتاب ((حاوية الاختصار في اصول علم البحار)) ويرجع الى سنة ٨٦٦ هـ (١٤٦٢ م) ثم كتاب ((الفوائد في اصول علم البحر والقواعد)) ويصفه فيران بانه أوضح ما الف ابن ماجد »

ثم لا أعلق على هذا كله باكثر من كلمة شكر وعتاب :

أما الشكر فلهؤلاء الاساتذة الكرام الذين تفضلوا فزودوني بجديد من العلم لم أكن اعرفه ، واما العتاب فلقومي العرب الذين عقوا اباءهم وجحدوا ماضيهم ، واعوزهم حتى اليوم ان ينشئوا مركزا عاليا للتراث العربي ، على غرار كليات الاستشراق ومعاهده في الجامعات الغربية وكان الامر لايعنينا من قريب او بعيد ، في الوقت الذي يشهد مثل هذه الجهود الجادة المضنية لعلماء الغرب في الكشف عن كنوز تراثنا ، وتروح رسائلهم وتجيء ، ما بين موسكو وباريس ، سعيا وراء مخطوط عربي ، واستكمالا لوسائل تحقيقه ومعرفة شخصية مؤلفه ..

الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد !

التاريخ : ٢٢ / ١١ / ١٩٦٣

أضواء على

عقدة الموقف

تاريخنا الادبي قد لحقه ما لحق التاريخ السياسي من زيف وتشويه، والاجيال منا قد قراتهما ، كليهما ، على غير حقيقتهما ، ونحن مع ذلك نحتاج الى كل منهما لفهم الاخر وتصحيحه !

لم يغب عني وانا ادعو الى وضع تراثنا الادبي بين وثائق تاريخنا واسانيده ، ان اكثر رصيدنا من آثار الشعراء والكتاب ، يعوزه الصدق الفني الذي ترتهن به اصالته وقيمته.

ولا اتى بجديد ، حين اذكر ما يعرفه كل واع لتاريخنا الادبي ، من ان اكثر الذين اتيحت لهم الشهرة ، كانوا من حاشية الملوك ودعاة المذاهب والسنة الاحزاب ، وهؤلاء في الغالب ، لا يعبرون عن وجدان حر ، ولا ينطقون الا بما يرضى سادتهم الذين استاجروا السنتهم وضمائرهم.



الدكتور محمد صبري



الشاعر احمد شوقي

ومن السذاجة التي توشك ان تكون غفلة ، ان نلتمس لدى هؤلاء المأجورين ومن في حكمهم **كلمة حق** ، وقد طالما حملوا معازفهم يمجدون مولاهم او يبررون سياسة الحزب المتسلط ، فاذا ما سقط الحزب او هوى الملك من عرشه ، وانتقل صولجان السلطة الى غيره ، وانتقلت معه مفاتيح خزائن المال وصكوك الغنائم والالقاب ، دار الشعراء والكتاب مع الريح ، وسارعوا الى تغيير اوتار معازفهم كي تغني للحاكم الجديد .

وآخرون منهم لم يكونوا قط من حاشية صاحب التاج والصولجان ، او اتباع الحزب المتسلط ، لكنهم اشفقوا من الجهر بآرائهم الحرة ، **فلاذوا بالتقية والمداراة او تعلقوا بركب النفاق ، فكانت السنتهم مع الطغاة وقلوبهم** ليست معهم ، مثلهم في ذلك مثل اصحاب **«الامام علي»** — كرم الله وجهه — ممن انضموا الى الجيوش التي خضبت ساحة العراق والحجاز والشام بدماء الطالبيين ، وقاتلوا فيها

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

آل الامام وهم يتولون «سيوفنا مع بنى امية – او مع بنى العباس – وقلوبنا مع على ! »

فكيف يمكن أن نعد الاثار الادبية لهؤلاء وامثالهم وثائق تاريخية لعصرها ، والذى لاريب فيه انه متى كان ولاء الاديب لغير ضميره وفنه وامته ، اضطربت الموازين فى ايدينا ، بحيث يشق علينا ان نضبط بها سير التاريخ او نهتدى منها الى جوهر الحق فيه ! ؟

هنا عقدة الموقف !

فتاريخنا الادبى قد لحقه مالحق تاريخنا السياسى من زيف وتزوير ، والاجيال منا قد قراتهماكليهما ، على غير حقيقتهما ؛ ومادمنا نحتاج الى كل منهما فى فهم الأخر وتصحيحه ، فالمسالة فيها دور كما يقول اصحاب المنطق :

نحن اصحاب الدرس الادبى ننكر على المؤرخين ان يهدروا الدلالة التاريخية للوثائق الادبية ، ونطالبهم بان يستكملوا مادة التاريخ كى يصح فهمه ، وهم بدورهم بحيث ينكرون أن يكون الادب مادة للتاريخ ، ونبه ما فيه من زيف وباطل باعترافنا !

فهل نكف من المحاولة يائسين ؟

كلا .. بل نستطيع وسط هذا التيه الممتد المسالك المختلط الدروب ، ان نتعلق بالامل فى جدوى المحاولة ، اذا ما ادخلنا فى حسابنا اعتبارات ثلاثة يجب أن تظل نصب عيوننا ونحن نتلمس خطانا الى حيث نستبين حقيقة تاريخنا :

واول هذه الاعتبارات : انه قد كان هنالك دائما فى كل عصر وكل مجتمع ، من عصى ضميره على الاغراء والارهاب ، فقال كلمة الحق فى فدائية واستبسال ، او عمد الى الرمز والاحتيال الفنى ، حذرا من ان يخرسه طاغية أو استحياء من الجحود بنعمة له عليه وعلى آبائه، وليس «شوقى» منا ببعيد ...

والثانى . ان الاكاذيب لايمكن ان تظل ابدا بمنأى عن نور ثاقب يكشف زيفها وبطلانها . والكذب – كما تقول العامة بفطرتها وتجربتها – قصير العمر ، ويكاد المريب يقول : خذونى ! واذا كان الزور قد انطلى على كثرة من الغافلين ، فمن المستحيل ان ينطلى على كل ذى بصيرة ووعى ..

والاعتبار الثالث : اننا لانعنى ، بل لا نتصور ، ان تتخذ الاثار الادبية مادة للتاريخ، بمعزل عن مصادره الاخرى جميعا: المادية منها والنقلية ، المدون منها فى كتب المؤرخين ومذكرات الزعماء واثار العصر وفنونه ، والسائر منها على السنة الشعب من اغان وامثال وحكايات ، واقعية واسطورية ، تناقلتها الاجيال منا ووعتها ذاكرة الزمان ، دون ان ترجع فيها الى مصدر معين او اثر مكتوب .

وعرض الاثار الادبية على كل هذه المصادر ، كفيل بان يهدى الى الزائف منها والصحيح ، وان يصل بالمقابلة الدقيقة الى ما يطمئن اليه الواقع التاريخى ، مستخلصا من كل هذه الاثار والاسانيد المختلفة

ومتى استطاع الفحص الدقيق للنصوص الادبية ان يكشف عن كذب فيها ، فان هذا الكذب ذاته ، يضعها بين الوثائق المفسرة للتاريخ ، فمثلا : قصائد المدح التى تشغل أكبر مكان من ديوان الشعر العربى ، تعطينا الدلالة الصادقة على نفسية الحكام فى عصور الاستبداد ، وتهدينا الى مواطن التأثير والاستهواء فى نفوس الجماهير المحكومة بفردية مستبدة وطبقية متصدعة ، وتحدد لنا بمنطق التبرير الزائف للاوضاع الفاسدة ، عقلية العصر ومزاج المجتمع ، كما ترسم لنا – بادق التفاصيل – الصورة التى يجب الحاكم ان تراه فيها الجماهير ، وتصوغ المثال المختار للممدوح فى بيئة معينة ..

التاريخ : ٢٢ / ١١ / ١٩٦٢

ومن اجل هــذا ، لم نذهب مذهب

الداعين الى المساس بالنصوص الادبية وحذف اى جزء منها ، بدعوى أنه مما ترفضه اذواقنا وعقولنا ، او مما لم يثبت صدقه وامانته .. ذلك اجراء يمكن ان نلجأ اليه فيما نقدم الى تلاميذ المدارس وعامة الجماهير من الادب العربى ، حيث يجب الا نعرض عليهم الا النماذج الملائمة لاذواقهم المسايرة لروح عصرهم واوضاع مجتمعهم ، على ان تبقى النصوص وراء ذلك ، **سليمة لاتمس باى بتر او تعديل**

بين ايدى الخاصة من الدارسين ، يستخلصون منها بالاستقراء الكامل والنظر الناقب ، اصدق الدلالات المضيئة لعصرها المفسرة لاحداث تاريخه .

ومحاولة التفسير الادبى لتاريخنـــا ، **على ما نعرف من صعوبتها وتعقدها** ، يمكن ان تطوع وتلين ، فى مجال **التاريخ لعصرنا الحديث** ، حيث لايزال بيننا من عاصروا أحداثه وراقبوا مجرى تياراته الخفية والظاهرة ، وحيث نجد وثائقه الادبية مسجلة محفوظة ، فى الكتب والصحف والمجلات ، وفى اغانينا وحكاياتنا وامثالنا الشـعبية التى تعى اصداء وقع الاحداث على وجدان الجماهير ، وتكشف من انعكاسها على نفسية الشعب .

وتحضرنى فى هذه المناسبة ، تلك التجربة الجليلة التي قام بها الاستاذ المؤرخ .. ((الدكتور محمد صبرى)) فى السفر القيم الذى نشر فيه ((الشوقيات المجهولة)) وقام فيه بالعملية الشاقة المزدوجة المتكاملة : **تفسير الادب بالتاريخ ، وتفسير التاريخ بالادب .**

ومهما يكن من تصور هــذه التجربة من الاستيعاب الشامل لتراث العصر ..

ومهما يكن من اختلاف بينى وبين الاستاذ الجليل فى وجهات النظر ، مما اوضحته فى مقالين لى هنا من الشوقيات المجهولة ..

بل مهما يكن من اعتراضى على **اسقاط متعمد** لكثير من ابيات «شوقى» فى المدح ، فى كتاب **مقصود** به نشر المجهول والمطوى من ديوانه ..

مهما يكن من كل هذا ، فالتجربة فى ذاتها خير شاهد على امكان المحاولة الصعبة ، التى تقوم على استيعاب المؤرخ للآثار الادبية للعصر الذى يؤرخه ، وحل رموزها واستجلاء دلالاتها بالاحداث التاريخية واعتبارها من بين الوثائق الاصلية لتاريخ العصر .

والنتائج التى قدمتها تجربة ((الدكتور صبرى)) تغرى بالمضى فى المحاولة ، وتدعو الى الثقة فى جدواها لا على التاريخ العام وحده ، بل على التاريخ الادبى الذى لايمكن فصله عن الحياة .

المحاولة اذن ممكنة ، بالنسبة الى العصر الحديث الذى نعى احداثه ونملك تراثه الادبى مدونا او محفوظا ..

ولكن الامر يختلف تماما بالنسبة الى العصور الماضية وتراثها الذى نحتاج اليه دعامة لوجودنا ومادة لتاريخنا . فكل حديث عن هذا التراث وقيمته ، يجب ان يتاخر حتى نتحقق اولا من اننا فرغنا من جمعه وحصره ، او على اقل تقدير ؛ احطنا علما بما ابقى الزمن من ذخائره الموزعة فى شتى انحاء الدنيا ..

فهل فعلنا ؟

ذلك ما ارجو ان اجيب عنه فى مقال قريب ، والله المستعان ...

التاريخ : ٢٩ / ١١ / ١٩٦٣

بعد ليل طويل

كانت حركة احيــاء التراث ... يقظة، تعبيرا عن ارادة الحياة فى الفترة التى وصفهــا «الميثاق» بانها : «كانت من احصب ... رات فى تاريخ مصر ، بحثا فى اعماق النفس ، وتجميعــا لطاقات الانطلاق من جديد» .

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

اشرت فى مقالى الماضى الى امكان محاولة التفسير الادبى لتاريخنا الحديث، حيث نملك وثائقه : مدونة فى الكتب والمجلات والصحف ، او محفوظـة فى اغانينا وامثالنا وحكاياتنا الشعبية .

لكن الموقف يختلف بالنسبة الى العصور الماضية ، لان كل حديث عن استكمال فهم التاريخ بالتراث الادبى ، يجب ان يسبقه الاطمئنان الى اننا قد فرغنا من حصر ما لدينا من هذا التراث ، واحطنا علما بذخائره المبعثرة فى شتى انحاء الدنيا.

فهل فعلنا ؟

اليوم موعدى لاجيب على هذا السؤال.

بدا الاهتمام عندنا بالتراث ، مع حركة اليقظة التي لاحت بوادرها في القرن الثامن عشر ، حيث أدرك روادها أن ارتباط الحركة بالغرب وحده ، يفقدها عنصر الاصالة الذي ترتهن به صحتها وسلامتها ، وقرروا عقم الحركة اذا اقتصرت على جديد مستعار لاتربطه صلة بجذورنا الضاربة في أعماق الزمن .

في الوقت الذي قدروا فيه جدوى اتصالنا بالحضارة الغربية الحديثة ، وضرورة امداد حياتنا بروافد منها توجه تيار اليقظة مع ريح العصر ، وتغذي وجودنا بثمار التقدم ، وتساير به تطور الزمن .

ومن الواقع التاريخي ، ان مهمة السعي لاكتشاف جوهر شخصيتنا والبحث عن جذورنا ، لم يحمل عبئها الامسيون الذين يعيشون بعقلية الماضي ، وانما تولى المهمة عصريون مجددون ، ممن اتصلوا بالغرب الحديث أوثق اتصال ، ونهلوا من موارد ثقافته :

فالامام «الشيخ محمد عبده» الذي عاش في أوروبا زمنا هو نفسه الذي عكف على القرآن الكريم يفسره بعقلية جديدة ، ويلتمس منه أصول الدعوة الى تحرير الفكر الديني ، والاصلاح الاجتماعي والسياسي .

والشيخ «رفاعة الطهطاوي» امام البعثة العلمية في باريس ، نقل الينا مانقل من حضارة الغرب ، وحرص في الوقت نفسه على أن يجمع ما استطاع من مخطوطات عربية ، عمرت بها خزانة كتبه في سوهاج .

«واحمد زكي» عاد من أوروبا بعد ان تزود بالثقافة الغربية ، ثم لم يلبث ان قام برحلات عدة الى الخارج باحثا عن كنوز تراثنا ، وناقلا الينا ما تيسر نقله

« واحمد تيمور » العصري الثقافة والنشأة ، هو الذي أنفق ماله بسخاء في جمع ذخائر المخطوطات العربية ، ووهب حياته لها : جامعا ودارسا .

«وشوقي» ربيب القصر الذي تلقى دراسته العليا في باريس ، كان من أجهر الدعاة صوتا ، وهو يحدو الركب بندائه المثير ، مرتلا أناشيده في تمجيد أمجادنا وسالف حضارتنا .

لم تكن ، اذن حركة احياء تراثنا والدعوة الى الاتصال بقديمنا ، صخرة رجعية يلقي بها الامسيون في مجرى تيار التقدم ، وانما كانت بشهادة الواقع التاريخي . مددا سخيا لهذا التيار ، اراد به العصريون تعميق مجراه ، وتأمين حيويته وسلامته ، بصدوره عن نبع أصيل في أرضنا الطيبة .

ولكن الشعور بحاجتنا الجوهرية الى تراثنا الفكري والادبي ، جاء بعد فوات الاوان .

ففي ليلنا الطويل ، تسربت ذخائره الى الغرب على مرأى منا ومسمع ، ونحن في غفلة عن قيمة ما نضيعه .

في ليلنا الطويل ، كان الغرب متآمرا على جمع ذلك التراث ، وكان عملاؤه ينتشرون في أنحاء الشرق بحثا عن كل ما تخلف من بوائق الضياع ، بعد الاعصار التتري والغزو الصليبي . ونحن نعجب لحمقهم وغفلتهم ، حين يدفعون ثمنا ليشتروا أوراقا بالية صفراء ، عاثت فيها الفئران والحشرات وكفنها الزمن بالتراب !

يومئذ كان خدمة المساجد — حراس هذه الكنوز — يرحبون بمن يخلصهم منها نظير قروش معدودات ، وكانوا قبل مجيء سماسرة الغرب ، يتخذونها لباعة الترمس والفول والبطاطة ، كي يغلفوا بها بضاعتهم قبل ان تظهر الصحف وتحل محل المخطوطات لدى صغار الباعة !

وقد حدث شاهد عيان من أساتذة الجيل ، انه رأى بعينيه خادم «المسجد المؤيد بالقاهرة» يملأ السلال بما في خزانة المسجد من مخطوطات ، ويضعها بجانبه لدى الباب ، معروضة للبيع بأبخس الاثمان .

وذكر «الفيكونت فيليب دي طرازي» في كتابه الجليل «خزائن الكتب العربية» أن خادما يدعى «ابن السليماني» عين حوالى منتصف القرن الماضي ، خازنا لثلاث مكتبات كبرى في مساجد القاهرة ، وجعل له ديوان الاوقاف راتبا شهريا قدره خمسة وعشرون قرشا ، فكان الرجل يستعين على رزقه ببيع عيدان قصب السكر ، حيث اعتاد أن يقف في زاوية تحت سلم مدرسة السلطان حسن ، ويضع بجانب بضاعته من القصب أكواما من مخطوطات المساجد الثلاثة ، يبيع منها لمن يدفع القرش والقرشين !

ولم تقتصر البلوى على مصر بل كلنا في الهم شرق ! كتب العلامة السيد «محمد كرد علي» في المجلد السادس من «خطط الشام» ما نصه :

«ومن المصائب التي أصيبت بها كتب الشام ، أن بعض دول أوروبا ، ومنها

التاريخ : ٢٩ / ١١/ ١٩٦٣

فرنسا وجرمانياوبريطانيا وهولاندا وروسيا اخذت تجمع من القرن السابع عشر ، مخطوطاتتبتاعها بوساطة وكلائها وقناصلها والاساقفة والمبشرين من رجال الدين . وكان قومنا قد بلغ بهم الجهل والزهد — في هذه المخطوطات، ان يفضلوا درهما على انفس كتاب. وحدثني الثقة ان احد سماسرة الكتب في القرن الماضي ، كان يغشى منازل بعض ارباب العمائم في دمشق ، ويتردد على من يتولون خزائن الكتب في المدارس والجوامع ، فيبتاع منها ما طاب له باثمان زهيدة . وبقى السمسار هنا سنين يبتاع الاسفار المخطوطة من اطراف الشام ثم رحل الى بلاده فاخذتها منه حكومته وكافاته عليها .))

ومن المغرب العربي ، خملت مخطوطات بنوتها العد والاحصاء ، الى دور الكتب في الدول الاستعمارية . واحرق من بقيتها ما احرق ، في معارك التحرير !

وعلى هذا النحو ، تسربت ذخائر تراثنا الى الغرب ، فوجدت هنالك من ينفض عنها غبار الزمن ويحميها من براثن الضياع.

وبقيت منها مع ذلك في الشرق بقايا : لم يلبث سلاطين الدولة العثمانية — في عهد الخلافة — ان نقلوا منها الى تركيا اكداسا لاتحصى ، لالكي تدرس وتصان ، ولكن ليخزنوها في سراديب الجوامع التى بنوها استكمالا لمظهرية الخلافة ،واستهواء للجماهير المتدينة ، في الاقطار العربية التيكان آل عثمان يحكمونها باسم الاسلام .

وكذلك بقيت بقايا في خزائن الحجاز وكهوف اليمن ، ملكا خاصا للائمة الحكام لايفقهون فيها شيئا ولا يعرفون لها قدرا ، ويابون مع ذلك ان يعرضوها للضوء ، خشيةانتفسد عقول الجماهير بنور العلم!

وحين بدا لرواد اليقظة ، ان يدعموا الحركة باصيل تراثنا وجدوه مبعثرا في شتى انحاء الدنيا ، او مدفونا في اقبية الجوامع وسراديب القصور !

ولا نلومهم اذا حالت ظروف زمنهم دون ان يضعوا خطة منظمة لحصر هذا التراث ، فحسبهم ان بذلوا اقصى جهدهم لاستنقاذ بعض ذخائره ، ونشر ما يصل الى ايديهم منها .

وبفضلهم شهدت الفترة التى اعقبت ثورة عرابى حركة احياء للتراث ، اخرجت لنا فيها مطابع بولاق ودار الكتب وبعض دور النشر ، عددا غير قليل من امهات الكتب العربية التى بقيت بمصر ، او نقلها الناقلون من تركيا واوروبا ، وكان للمغفور لهم : رفاعة رافع الطهطاوى ، واحمد زكى ، واحمد تيمور ، فضل كبير في جمع ذخائرعربية ، امتلات بها خزائن كتبهم .

واعتقد ان هذه الحركة ، كانت من اهم مظاهر التعبير عن ارادة الحياة في الفترة التى وصفها ((الميثاق)) فقال :

((ان اصداءالمدافع التى ضربت الاسكندرية واصداء القتال الباسل الذى طعن من الخلف في التل الكبير ، لم تكد تخفت حتى انطلقت اصوات جديدة تعبر عن ارادة الحياة التى لاتموت لهذا الشعب الباسل وعن حركة اليقظة التى لمتقهرها المصائب والمصاعب ..

((ومن عجب ان هذه الفترة التى ظن فيها الاستعمار والمتعاونون معه انها فتره الخمود ، كانت من اخصب الفترات في تاريخ مصر بحثا فياعماق النفس ،وتجميعا لطاقات الانطلاق من جديد .))

وحركة احياء تراثنا ، كانت بحثا في اعماق النفس ، بقدر ما كانت مظهر تعبير عن ارادة الحياة ..

ومعسريان تيار اليقظة في الوطنالعربى شاركت الشام والعراق والمغرب في حركة احياء تراثنا المشترك ، كل على قدر طاقته ..

وترك جيل الرواد هذه الامانة في اعناقنا ، نفي بها على المستوى الذى بلغه نضج وعينا ورشد ادراكنا ، وتقدم زماننا ، وعلمنا بما وضع المستشرقون من مناهج لتحقيق التراث ونشره .

ولكن السنين مضت ، دون ان تظهر في الافق بادرة تقدير لمسئوليتنا ، حتى اوشك القرن الحاضر ان ينتصف ، وليست لدينا محاولة جادة لحصر التركة ، اللهم الا محاولة فردية جليلة ، قام بها «الفيكونت فيليب دى طرازى : مؤسس دار الكتب

اللبنانية » وانبرت سفرا قيما :فى مجلدات ثلاثة أحصى فيها الاستاذ الكبير ، ماوصل الى علمه من « [illegible] الكتب العربية فى الخالق [illegible]

ونا [illegible] تحركت [illegible] عليه بعضه [illegible] عام ظهور الكتاب . .

وفاتنى [illegible] مه ، [illegible] يصل الى علمى من خزائن هذا الرصيد الضخم ، الذى لايمكن ان تفى باحصائه جهود فردية مبشرة

ونقف اليوم فى أخريات عام ١٩٦٣ ، لننظر اين نحن من هذا التراث بعد ان دخلت ثورتنا عامها الثانى عشر ، فيلفتنا ما أعلنت عنه وزارة الثقافة من مشروع المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب فى «التخطيط الثورى للفكر العربى» حيث يصدمنا منه أن الموقف بالنسبة الى تراثنا لايزال متعثرا فى قيود الارتجال . .

ولا اعيد هنا ما سبق أن ابديته من مآخذ وملاحظات على هذا المشروع ، وانما يكفى ان اقرر اننا به ، ما نزال ابعد ما نكون من فكرة واضحة لحصر ذخائر تراثنا ، حتى الذى نملكه منها ! وعن خطوة مبدئية اولى فى طريق حمايته ، ومنهج تحليله وخدمته ونشره . .

كل ما نص عليه المشروع ، الاتجاه الى نشر عدد من كتب التراث ، لاندرى على اى اساس وقع عليها الاختيار ، بل لا يدري واضعو المشروع انفسهم ، ان فى قائمة مخطوطاتهم المختارة ، ماتم نشره حديثا على ادق منهج علمى للتحقيق ، وما اجازه المجمع اللغوى والجامعات — والمفروض انها جهة اختصاص — وما نشرته وزارة الثقافة ذاتها ، فى طبعة متقنة محققة !

والغريب العجيب ، ان الذين قاموا بتحقيق هذه النصوص المنشورة ، هم خبراؤنا الذين تعترف بهم الدوائر العلمية فى مصر والخارج ، وهم هم الذين اختارهم واضعو المشروع ، لعملية تحقيق ما فرغوا من تحقيقه ، وبذلوا له اقصى الجهد من ضبط واتقان ، مما يؤكد ان الامر لم يخرج من ارتجال ، ولم يزل بعيدا اقصى البعد ، من مجرد التصور لما يعرف بالتخطيط !

بل اخشى ان اقول ، اننا مانزال ابعد ما نكون عن تقدير جاد لاهمية هذا التراث وحاجتنا الماسة اليه : دعامة لوجودنا ومفسرا لتاريخنا وكاشفا عن جوهر حقيقتنا مما يقتضى ان نظل نتابع الحديث فى هذا الى ان تلقى الدعوة مسمعا !

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٦ / ١٢ / ١٩٦٣

تراثنا

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

رحلة مخطوط بين شرق وغرب

أريد ان اقدم هنا مثلا واحدا،يعطينا فكرة عن مصير تراثنا الذى بقى فى أيدينا ، والذىوصل منه الى ايدى الاجانب الغرباء . والمخطوط الذى اتحدث عنه،نسخة خطية قديمة من القرآن الكريم فى متحف ((طشقند)) يقال انهـا المخطوط الاصلى لمصحف عثمان رضى الله عنه .

ولا مجال هنا للقول فى توثيق هذا المخطوط فقد رايته فى مامنه عام ١٩٥٨ وارتبت فى ان يكون هو المصحف الذى كان الخليفة «عثمان» يقرأ فيه عند مقتله .

وكانت دواعى الارتياب ، ان ورقه ــ وهو من الكاغد ، لا من الرق كما يقال ــ ليس من الصنف الذى عرفناه فى مخطوطات عصر الخلفاء الراشدين ، كما ان خطه ليس الخط المالوف لنا ، فى نصوص مكتوبة صحت نسبتها الى ذلك العصر ، وانما هو فيما ارجح من الخط الكوفى لاوائل القرن الثانى الهجرى .

وغلب الارتياب ، عندما رايت تنسيق الكتابة فى المخطوط ، حيث يتساوى عدد الاسطر فى كل صفحة من صفحاته فى نظام دقيق يستبعد ان يكون من ذلك العهد المبكر .

لكن مخطوط طشقند . يحمل مع ذلك مهابة القدم وجلال السمعة ، منذ اشتهر منه انه «المصحف عثمان» والمسلمون فى آسيا السوفييتية ، لايشكون فى هذا وهم يرون على بعض صفحاته آثارا من بقع ، يقال انها من دم ((عثمان)) ، ونقول انها قد تكون اثرا من عرق ..

وعلى كل حال ، فالذى يعنينى اليوم من امر هذا المخطوط الاثرى ، أن اتتبع خط سيره فى رحلته الى حيث انتهى به المطاف فى متحف طشقند وان اقابل مصيره ،على مصير مخطوطات اخرى يقال انها كذلك «مصحف عثمان» وقد بقيت فى حوزتنا ، نحن العرب المسلمين .

كذلك لا مجال للبحث العقيم من المرحلة المجهولة التى قضاها المخطوط فى وطنه العربى ، قبل ان ينتقل الى ((سمرقند)) فى العصر المغولى ..

وهناك رواية تقول : ان ((تيمور لنك)) هو الذى نقله الى سمرقند ، فيما نقل من ذخائر الاسلام ..

فهناك رواية ذكرها المسلم الروسى ((م. الرمزى)) فى كتابة ((تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار ، فى وقائع قازان وبلغار)) المطبوع فى قازان عام ١٩٠٧ ، من «ختمة شريفة اهديت الى السلطان بركة ــ من ملوك التتار المسلمين ــ يذكر انها بخط الخليفة عثمان ، بغلاف اطلس مزركش ، ضمن درج احمر من الجلد ، على كرسى من ابنوس وعاج ، مطعم بالفضة . ولا يستبعد المؤلف ان يكون هذا المصحف ، هو الذى حمله تيمورلنك من مدينة سراى الى سمرقند فى حروبه .

وهناك رواية اخرى تقول ان طبيبا من

ارزبكستان عالج احد السلاطين الترك من مرض ، فلما خيره فى المكافأة ، اختار مصحف عثمان ، ومنه صار الى شيخ مسجد سمرقند :

ورواية ثالثة تقول ، ان السلطان التركى شفى ببركة ودعوات ولى الله « حاج احرار قسطنطينى » فاهداه هذا المصحف ، ثم رحل به الى سمرقند حيث عثر عليه فى مدفنه هناك .

ولا تزال هذه المرحلة — من رحلة المخطوط — مجهولة المعالم ، وان كان من المرجح ان المخطوط انتقل من وطنه العربى الى سمرقند ، حيث بدا المعروف من خط سيره :

ففى عام ١٨٦٩ غزت قوات قيصر روسيا اقليم « تركستان » وكان من نتائج الحملة ، ان نقلت ذخائر مخطوطاتها الى « بطرسبورج » وفيها هذا المخطوط الاثرى الذى تولى «الجنرال فون كاوفمان» مهمة نقله ، مما يشهد بان المسالة كان لها اعتبار سياسى وعسكرى يتصل بما عرف من اصل حركة الاستشراق .

وان كان الجنرال قد برر نقل المصحف بانه «ليست لديه قيمة عند اهله ، بل هو مجرد وثيقة رسمية تخص امراء بخارى وقد ظل بها مئات السنين ، دون ان يستطيع احد قراءته او الانتفاع به »

وهو تبرير ظاهرة حق ، وان اخفى وراءه الهدف السياسى لجمع المخطوطات .

وفى (بطرسبورج) بدات مرحلة جديدة

المخطوط ، حيث كان فى انتظاره ، مع المخطوطات الاخرى ، لجان من الخبراء عكفت على ترميمه ، وفحصه ، ودراسته وصيانته .

وكان المخطوط قد وصل من الشرق فى حالة محزنة : فمن بين صفحاته التى يبلغ عددها (٣٥٣ صفحة) لم يبق غير خمس عشرة صفحة سلمت من عبث الحشرات وأفاعيل البلى .

وبقى فى «بطرسبورج» مصونا ، نحو نصف قرن . الى ان استجاب « لينين » لرغبة المسلمين الروس فى ان ينقل المخطوط الثمين الى «طشقند »عاصمة اوزبكستان بعد أن صارت ولاية فى الاتحاد السوفييتى وتم النقل عام ١٩٢٢ ، حيث اودع فى متحف تاريخ شعوب اوزبكستان ، فى علبة من الخشب داخل صندوق حديدى غطاؤه من فولاذ ، والى جانبه وعاء من الزجاج ملىء بسائل كيميائى — اظنه الكافور — لوقاية المخطوط من الحشرات .

ولا يباح للزائرين لمس المخطوط ، كما لايباح نقله او اعارته وانما اخذت منه صورة (فوتوغرافية) طبع منها عدة نسخ وزعت على المراكز الاسلامية بالاتحاد السوفييتى ، بقصد التبرك ومصورة اخرى بمتحف طشقند ، فى متناول من يطلبها من الدارسين او الزائرين .

●

ولكى تتم الصورة ، اقابل بين المصير الذى لقيه هذا المخطوط منذ وصل الى

ايدى الاجانب الغــرباء ، وبين المصير المجهول لمخطوط اخــر ، قيل انه كذلك النسخة الاصلية للمصحف العثماني ، وان على صفحاته كذلك ، اثارا من بقع دماء الخليفة المقتول .

وكان هذا المخطوط فى حوزتنا حين العرب ، الى ما قبل قرن ونصــف قرن من الزمان ، ثم ضاع أثره واختلفت فى مصيره الظنون ، وتعددت الأقوال .

وكنا حيث نجهل ايضا خبر وجوده — قبل مائة وخمسين عاما — فى مسجد قلعة حلب ، لو لم تنشر «المجلة المجمع العلمى بدمشق» مقالا عنه فى عدد اكتوبر الماضي لمناسبة المقال الذى نشرته مجلة سوفييتية فى شهر ابريل ، عن « مصحف عثمان » الموجود فى طشقند .

وفى مقال مجلة المجمع ، ان «السيد محمد بن عمر الكيالى» ذكر فى كتابه «الحلة السنية للرحلة الشامية» — وهو مؤلف فى سنة ١٢٢٣ هـ — انه زار اطلال قلعة حلب ، وصلى الظهر فى مسجدها ثم تشرف بمشاهدة المصــحف العثماني ذى النور الساطع ، وراى فى بعض الكلمات اثار الدم ، التى هى براهين وبينات على شهادة عثمان رضى الله عنه .

وفى المقال كذلك ، اســتفسار من مصير ذلك المصحف : « الا يزال موجودا ؟ ام نقــل الى الاســتانة قبــل الحــرب الاولى وحفــظ فى متحــف الاوقــاف الاسلامية ؟ ام — على ما يقال — اخذه امبراطور المانيا يوم زار بلاد الشام حتى قررت معاهدة سيفر اعادته الى المسلمين ، وتسليمه الى الملك حسين — ملك الحجاز ؟ وهل استلمه الملك حسين او بقى لدى الالمان ؟ »

اسئلة حائرة ، لاتجد جوابا يكشف عن مصير هذا المخطوط الذى شوهد فى قلعة حلب ، حوالى سنة ١٢٢٣ هـ ، ثم لم نعد نعرف له اثرا ..

على ان الاسئلة الحائرة ، تلقى ضوءا على قضية تراثنا ، حين تذكر سلطان تركيا وملك الحجاز ، وامبراطور المانيا ، ومعاهدة سيفر ..

دون أن تثير فينا ادنى شعور بالاهتمام او تحملنا على مجرد التفكير فى البدء بعملية (جرد) نحصى بها ما لانزال نملك من بقية تراثنا ، وننقذ ما يمكن انقاذه من ذخائره ..

هل اقول ايضا ان فى القاهرة مخطوطا ثالثا يقال انه « مصحف عثمان » مخزونا فى ركن «المخلفات» بمسجد الامام الحسين؟

وان مخطوطا رابعا ، بهذا المصحف العثمانى ، قرانا فى الصحف منذ عام حين الاوقاف عليه ، مدفونا فى خزانة مهمله برواق المغاربة بالازهر

ولا علم لنا بالمصير الذى ينتظر هذين المخطوطين ، والوفا اخــرى من كنوز تراثنا ، مخزونة فى الزوايا والمساجد ملقاة مع سقط المتاع فى دور العلماء الراحلين حيث تمزق اوراقها لتغلف بها الاطعمة على نحو ما كانت اسرة أمى — رحمها الله — تفعل بما ترك جدها «الشيخ الدمهوجى : شيخ الجامع الازهر» من مخطوطات مكدسة فى مخزن المهملات بالبيت

⁂

ولست استبعد ان تكون هذه المخطوطات الثلاثة ، نسخا قديمة منقولة مباشرة من المصحف الامام . وهذا الاحتمــال ظل مجرد فرض ، الى ان يقوم احد فقهاء النصوص عندنا ، بفحص المخطوطات ومقابلتها مقابلة علميــة ، تجيب اجابة حاسمة عن الاسئلة الاتية :

— هل النسخ الثلاث ، مخطوطة على نوع واحد من الورق ؟

— وخطها ، هل هو بقلم ناسخ واحد ، او باقلام مختلفة ؟

— وعدد الصفحات ، واسطر كل صفحة : هل هى متماثلة فى كل النسخ ، او تختلف احداها عن الاخرى ؟

— ثم ، هل هناك توقيعات مؤلف ، او تملك على هذه المخطوطات ، او بعضها ؟

— وهل هناك صلة بينها وبين المصحف الاثرى بمعرض دار الكتب المصرية ، حيث بدا لى ان خطه الكوفى غير المنقــوط ، يشبه خط مصحف طشقند .

لكن هذه المهمة لا يمكن ان تتم بجهد فردى ، دون رعاية من الدولة ، تتيــح للدارس ان يطلع على «مخطوط طشقند» اطلاع فحص وتامل ، ثم يعود بنسخــة مصورة منه ، يعرضهــا على مخطوطى "القاهرة" ، فى أصليهما "، او فى مصــورتين منهما .

⁂

وابادر فأتقى — منذ الان — ما اتوقع ان يوجه الى ، من انكار للاشتغال بما يبدو لاكثرنا بعيدا عن روح العصر ، فأذكر هنا ان المستشرقة الروسية المعــاصرة « السيدة كراتشكوفسكى : زوجة عميد المستشرقين الروس » تقدمت بحثا الى مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى موسكو صيف عام ١٩٦٠ ، وكان موضوعه «النوادر المخطوطات القرآنية من القرن السادس عشر » وقد استغرق اعداده عشر سنوات كاملة برعاية « المجمع العلمى للاتحــاد السوفيتى » المشغول بأبحاث الفضاء

التاريخ : ١٣ / ١٢ / ١٩٦٣

في اللائحة الجديدة للجامعة ، ما يغرى بالامل في انشاء معهد عال للتراث ، يلبى حاجة الوطن العربى الى خبراء في المخطوطات ، ويكون مركزا لبحوث تراثية رائدة ، تضىء تاريخنا وتغذى وجودنا بقيم أصيلة ، غير مستوردة ولا مستعارة .

آن الأوان !..

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

منذ أحد عشر عاما ، في صيف عام ١٩٥٢ على التحديد ، كنا نزور المستشرق الدانمركى ((اندرسمن)) في بيته بمدينة كوبنهاجن ، حيث اختار ان يستقبلنا في قاعة كتبه التى اتخذها مقاما له بعد ان اقعدته الشيخوخة عن الذهاب الى الجامعة .

واخذنى منظره المهيب ، وهو عاكف على مخطوط عربى يدرسه بشغف وصبر ، ويسالنا الراى فيما غمض عليه من الفاظه : رغم ما يبدو من وهن قواه الجسدية . وشق علينا ان يجهد شيخوخته بمثل هذا العمل المضنى ، فسالناه في اشفاق وتاثر :

ــ اما آن لك ان تستريح من عبء المخطوطات ؟

فاجاب الشيخ من فوره :

ــ كلا يا ابنتى ، فما يزال تلامذتى في حاجة الى ، ولا استطيع ان اتخلى عن العبء قبل ان اطمئن الى قدرتهم على احتماله ، لكى يظل لوطنى وجوده العلمى في ميدان الاستشراق '


د . عبد العزيز السيد

ونفذت كلمته الى أعماق قلبى وفكرى ومن يومها وانا مشغولة البال بهم التفكير فيما سوف يؤول اليه حال ما بقى بايدينا من تراثنا ، عندما تمضى القلة التى لدينا من الاساتذة المتخصصين ...

المخطوطات ومنهج تحقيق النصوص .
واكثر هؤلاء الاساتذة ، موزعون على جامعاتنا فى مصر والخرطوم وبيروت ، حيث لاتتاح لهم فرصة اعداد جيل يخلفهم ، نظرا لتقيدهم بالمقررات التى تنص عليها لائحة الجامعة لطلاب الليسانس ، وليس فيها على الاطلاق مجال لمثل هذا التخصص الدقيق ، ولا هى بطبيعتها قادرة على احتماله ..

وكلهم بلا استثناء ، من الكهول ... وسوف يصلون حتما الى سن الاحالة الى المعاش ، واحدا بعد الاخر . دون ان يخلفوا من بعدهم ، من يتلقى الامانة الصعبة ويحمل العبء الجليل الباهظ ..

وكان المفروض ، ان يتجه عدد من طلاب الدراسات الادبية واللغوية العليا ، الى ميدان تحقيق النصوص المخطوطة ، فى رسائلهم التى يعدونها لدرجتى الماجستير والدكتوراه ، حيث يتلقون اصول منهج التحقيق ويطبقونه عمليا تحت اشراف الاساتذة المتخصصين ، **ولكن لوحظ بالتتبع الدقيق ، ان هؤلاء الطلاب يصدون عن هذا الميدان، ويؤثرون التخصص فى الفروع الاخرى للدراسات الادبية . وهى ظاهرة تثير فينا اشد القلق، لما يمكن ان تؤدى اليه من فراغ خطير، لاحت بوادره منذ سنين..**

وقد حاولت ان استبين موقف الطلاب من هذا التخصص ، عن طريق مناقشة نحو مائتى طالب وطالبة ، متقيدين بالدراسات العليا فى اقسام اللغة العربية بالجامعات ، فاتضح لى ان الكثرة الغالبة منهم ، اتجهوا الى موضوعات فى تاريخ الادب او النقد ، ولما سألتهم عن زهدهم فى تحقيق تراثنا : استخلصت من اجوبتهم ، ان ذلك يرجع الى اسباب ثلاثة :

اولها : اشفاقهم من صعوبة هذا التخصص ، ومن طول الزمن الذى يستغرقه تحقيق مخطوط ودرسه .

الثانى : جهلهم بقيمة هذا العمل وجدواه ، ومن جهل شيئا عاداه

الثالث : ادراكهم لضيق فرص التوظف امام الذين يتخصصون فى علم المخطوطات ، وهم يشهدون مأساة ضياع تراثنا فينا ، ويسمعون كل يوم صيحات الاستنكار للاشتغال بهذا القديم البالى ، ويقرأون ما يكتب وينشر ، عن رجعية من يحاولون تجميد تفكيرنا بصناديق الدمى التى تلهى بها اسلافنا فى طور الطفولة الفكرية والسذاجة الوجدانية ، وعن تخلف الذين ينشرون اكفان موتى ، يفسد ريحها مناخ العصر !

وعذرتم جميعا ..

والايام تمضى ..

واساتذة التراث يمضون معها ..

وكلما ودعنا واحدا منهم ، احيل الى المعاش او انتقل الى جوار الله ، ازداد شعورى بفداحة الخسارة ، وخوفى على تراثنا فى المستقبل القريب او البعيد ..

دون ان اجرؤ على الجهر بما فكرت فيه من عملية انقاذ ، تواجه نذر الخطر وتهيىء لتراثنا جيلا بعد جيل ، من الخبراء المتخصصين ..

لعلمى ان مثل هذه الدعوة لن تلقى سميعا ، واقصى ما يرجى لها ، ان تترك صدى عابرا لايلبث ان يتوه فى الضجيج الذى يرج دنيانا ، بصيحات المتزاحمين فى سوق الفكر ..

●

الى ان لاح شعاع امل فيما اعلنه استاذنا ((**الدكتور عبد العزيز السيد . وزير التعليم العالى**)) ، من تعديل جديد للائحة الجامعات ، صدر به قرار جمهورى

وكان الذى لفتنى من هذا الجديد بوجه خاص ، ما تقرر من انشاء **درجة وكيل لكل جامعة ، يختص بشئون الدراسات العليا فيها.** كما لفتنى ماتحدث به الاستاذ الوزير عن حق كل جامعة فى الاحتفاظ بمن تحتاج اليهم من اساتذتها الذين يبلغون سن المعاش : اساتذة غير متفرغين ، او ((**اساتذة بحوث**)) .

اذ ذاك رأيت ان لا مجال لليأس من تأمين مستقبل تراثنا ، مع هذا التقدير لاهمية الدراسات الجامعية العليا والاعتراف الجليل بحقنا فى ان يكون لدينا اساتذة بحوث ، وهو مالم تجرؤ امانينا على الطموح اليه !

وادركت ان الاوان قد حان ، لانشاء

التاريخ : ١٣ / ١٢ / ١٩٦٣

« معهد عال للتراث » — على غرار معهد الاثار — وذلك ماكنا نمده أملا عزيز المنال

وفى هذا المعهد ، يتاح لنا الانتفاع بخبرة اساتذة التراث الى أقصى مدى مستطاع ، ونعبىء كل طاقاتهم، لاعداد فوج جديد من المتخصصين . وسوف يقتضى الامر ، ان جمع هؤلاء الاساتذة من شتى جامعاتنا ، ولن يشق علينا ان نجد من يشغل اماكنهم فى المرحلة الجامعية الاولى ، من زملائهم المتخصصين فى فروع الدراسات الادبية ، وقد يقتضى الامر كذلك ، ان نحتفظ بمن يبلغون سن المعاش من علماء المخطوطات ليشتغلوا فى المعهد اساتذة بحوث تراثية

والمعهد المقترح ، لايمكن ان يلحق بالمرحلة الجامعية الاولى، قسما من اقسام كليات الاداب أو دار العلوم او كلية الدراسات العربية بالازهر ، لان الدراسة فيه نوع من التخصص العالى الدقيق الذى لاتسمح بهطبيعة المرحلةالاولى، بعموميتها ومستوى طلابها . وانما يبدأ التخصص لمن انموا دراستهم الجامعية العامة لعلوم العربية والاسلام ، وممن تخرجوا كذلك فى اقسام التاريخ والفلسفة والمكتبات .

وقد يكون من المجدى فى الفترة الاولى من انشاء المعهد ، أن يعتبر الملتحقون به طلاب بعثات داخلية على أن يوفد الممتازون منهم — بعد التخرج — فى بعثات علمية الى معاهد الاستشراق بأوربا ، واخص بالذكر منها «ليدن» بهولندا ، و «لينينجراد وطشقند » بالاتحاد السوفييتى ، «وروما وصقلية» بايطاليا ، يعودون بعدها ، اعضاء بهيئة التدريس فى معهد التراث .

اما بقية المتخرجين ، فيعينون فى وظائف امناء المخطوطات بدار الكتب وفروعها وفى مكتبات الازهر والجامعات التى تملك رصيدا من المخطوطات ، وخزائن الكتب الخطية بالمعاهد الدينية والمساجد التابعة لوزارة الاوقاف، وكذلك الوظائف المختصة بالتراث فى الهيئات والمؤسسات .

●

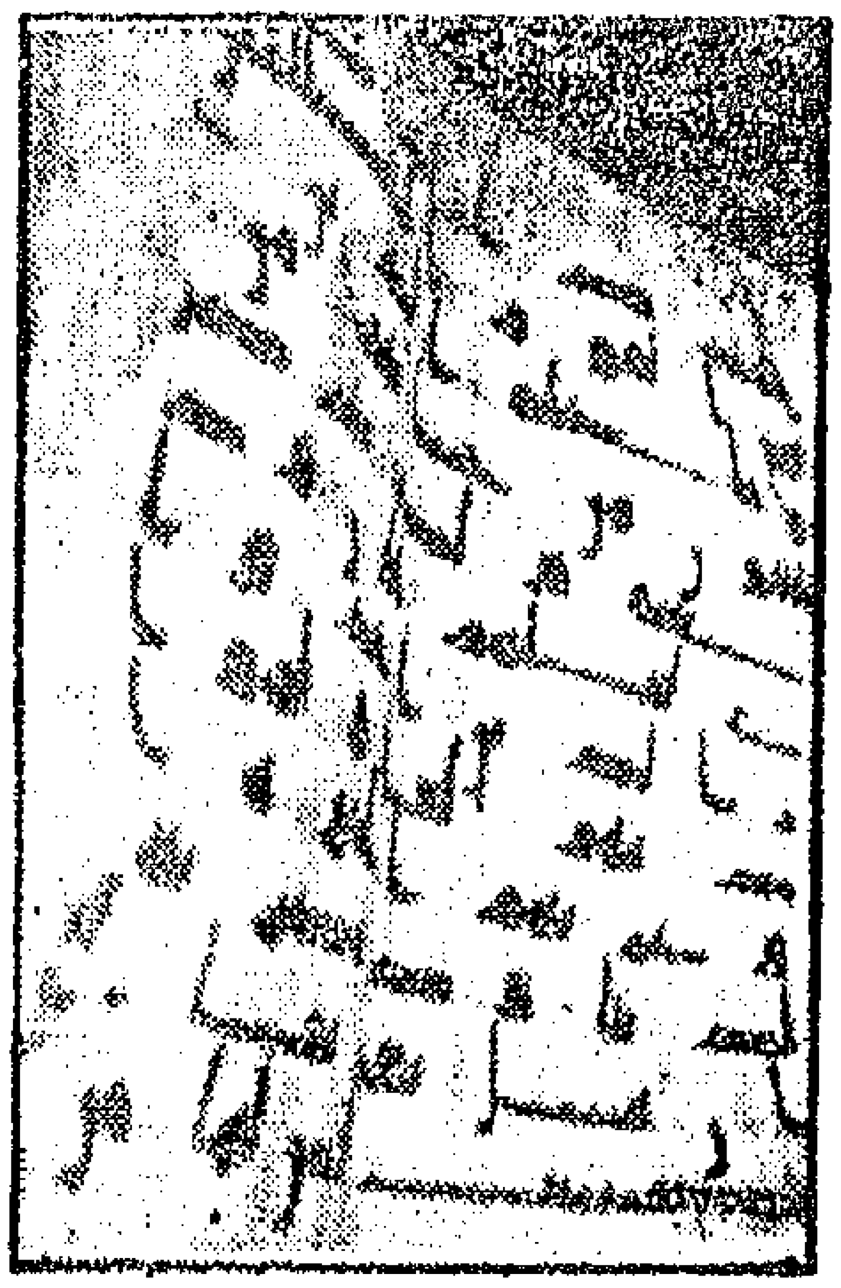
ولا ارتاب فى ان هذه الدعوة لن تضيع لدى استاذنا الدكتور عبد العزيز السيد» وانه لرجو فى أن يدرسها مع المجلس الاعلى للجامعات ، ليكون معهد التراث اول ثمرة للائحتها الجديدة التى توجه عناية خاصة، الى الدراسات الجامعية العليا ، وتقدر حاجتنا الى «اساتذة بحوث» يخصبون حياتنا العلمية ويفتحون امامها آفاقا رحبة .

●

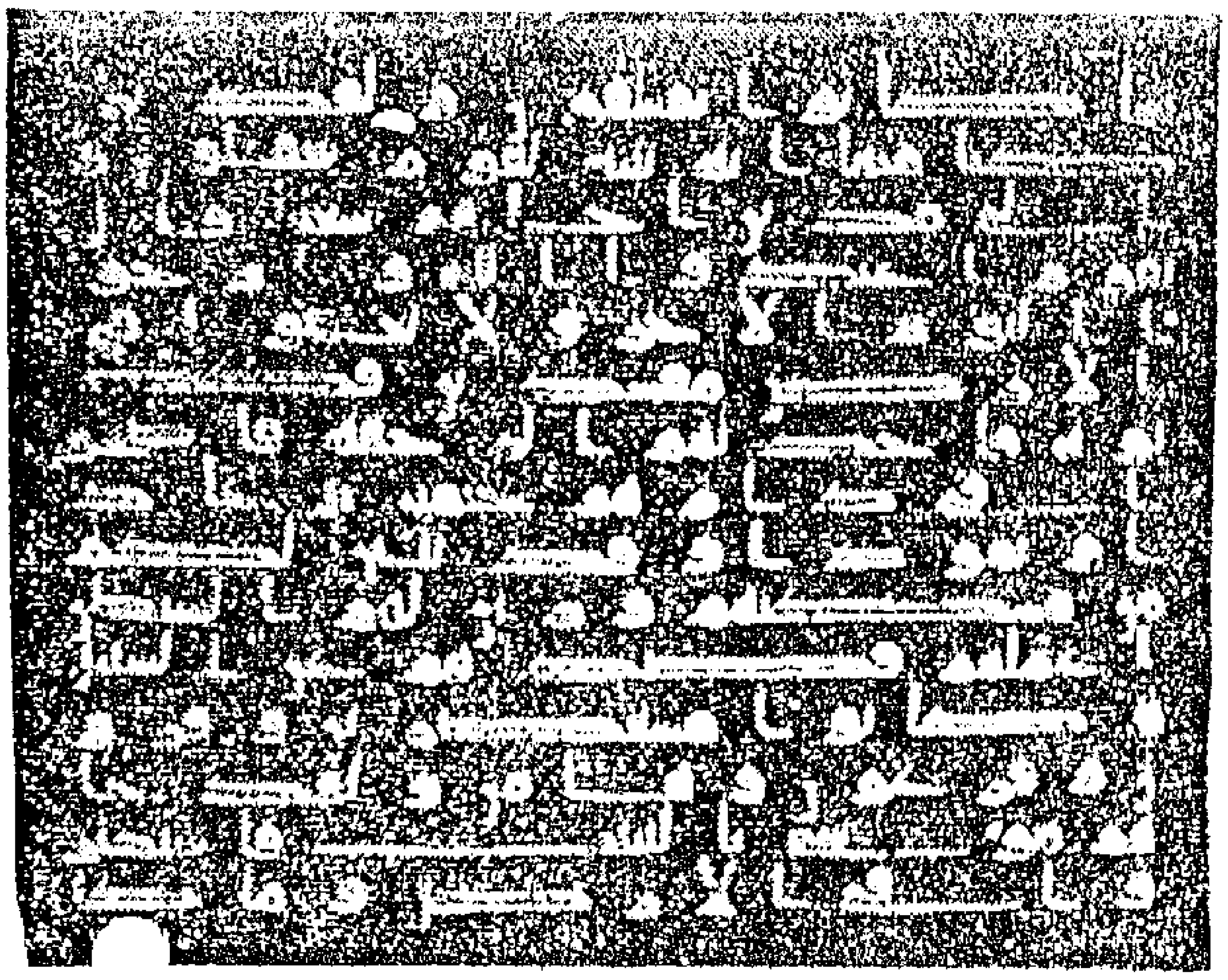
ولقد يبدو من المفارقة ، ان ادعو الى انشاء معهد للتراث ، مع عمق ادراكى لضيعة هذا التراث بيننا، لولا انني ارفض ان اتخلى عن الامل فى تصحيح وضعه التعس، الذى لايمكن ان تحتمله مسئولية وجودنا . ومهما تبلغ حدة الازمة فى الوضع الحاضر، فان حتمية التطور ستتكفل بحلها ، بما تؤصل من وعينا لقيمة تراثنا . عندئذ يغدو هذا المعهد مناط الرجاء للوطن العربى كله ، لا فى تزويده بخبراء التراث فحسب، ولكن باعتباره كذلك ، مركزا عربيا عاليا لبحوث تراثية رائدة : تكشف عن جوهر حقيقتنا وتضيء تاريخنا ، وتغذى وجودنا بمدد سخى من قيم اصيلة ، غير مستوردة ولا مستعارة !

التاريخ : ٣٠ / ١٢ / ١٩٦٣

صورة ... ومنهج



ورقة مصورة من مصحف طشقند



ورقة مصورة من مصحف القيروان

في رأى عدد من الاساتذة الزملاء ، ان ((قسم الوثائق والمكتبات)) في كلية اداب القاهرة ، يمكن ان يغنى عن المعهد العالى للتراث ، الذى اقترحت انشاءه فى مقالى المنشور باهرام الجمعة الماضي .

والواقع انني ما كتبت عن المعهد المقترح ، الا بعد ان درست الخطة الدراسية لهذا القسم ، فى اللائحة التنفيذية لقانون الجامعات ، فوجدته مختلفا عن الصورة التى اعددتها لمعهد التراث .

فالقسم من الاقسام الادبية للمرحلة الجامعية الاولى . ومدة الدراسة فيه أربع سنوات ، مقسمة الى فصول ثمانية لكل فصل منها اربع وعشرون ساعة فى الاسبوع . والمقررات موزعة بطبيعة الحال ، على اللغات الثلاث : العربية والاوربية الاولى ولغة اضافية ، تضم اليها لغة رابعة — يونانية او لاتينية — فى السنتين الثالثة والرابعة . ثم مقررات : المجتمع العربى ، والتاريخ والجغرافيا ، والاجراءات المكتبية ، والفهرسة والارشيف والمراجع ..

التاريخ : ٢٠ / ١٢ / ١٩٦٣

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

وفى اللائحة : ساعتان فى الاسبوع لكل من الوثائق والكتابة العربية ، فى فصل دراسى واحد للسنتين الثانيسة والثالثة . وفيها كذلك ساعة واحدة للنقوش ، وساعتان للمخطوط العربى ، فى فصل دراسى واحد ، من الفصول الثمانية ..

والدلالة الاحصائية لهذه الارقام تسجل ان نسبة الساعات المقررة لمواد متصلة بالتراث ، تبلغ نحو (١ : ٢٠) من مجموع الساعات المقررة على طلاب القسم ، فكيف نتصور اننا بهذه النسبة الضئيلة ، يمكن ان نعد الطلاب للعمل الدقيق الصعب ، فى ميدان التراث ؟

وادرك حق الادراك ، ان الدراسة فى هذا القسم لن تجمد على وضعها الحالى ، بل هى آخذة حتما باسباب التطور ، ولعلها بدات فعلا تمد اه .

لكنها ستظل ابدا ، فى النطاق المحدود بمستوى طلابها الذين اتموا الدراسة الثانوية ، كما ستظل ذلك مفيدة بطبيعة المرحلة الجامعية الاولى ، التى لايمكن ان تتسع لتخصص دقيق فى علم التراث ، يعتمد اصالة على رصيد من معرفة اللغات ومن الدراسات المنهجية لعلوم العربية والاسلام والفلسفة والتاريخ .

وتسم الوثائق والمكتبات ، بزود طلابه بالخبرة المكتبية ، من اجراءات ، وتصنيف وفهرسة وارشيف ، ومراجع .. ويدربهم على هذه الشئون المكتبية ، تدريبا عمليا فى دور الكتب ، والمكتبات الجامعيسة والمدرسية ودور الطباعة والنشر والتوزيع حيث الميدان الواسع الذى يعملون فيه بعد تخرجهم ، موظفين فنيين فى المكتبات وفروع الارشيف بدور الصحافة والنشر .

اما التخصص فى علم التراث ، فمجاله معهد جامعى عال ، يلتحق به من أتموا الدراسة فى هذا القسم وفى غيره من اقسام الدراسات العربية والاسلامية . والتاريخ والفلسفة ، بالازهر وجامعات الوطن العربى . حيث يقضون فى المعهد عامين ، يدرسون فى اولهما تاريخ الكتابة العربية ، وتاريخ حركة التدوين عند العرب ، وما لابسها من ظروف دينيسة وسياسية وشعوبية ، وقواعد المنهج النقلى : القديم والحديث ، كما يدرسون فهارس المكتبة العربية للقرون العشر الاولى بعد الهجرة ، وكتب الطبقات ومعاجم اعلام الاشخاص والبلدان .

ثم « علم الاستشراق » : تاريخه واغراضه ، ومراحل تطوره ، وميادين نشاطه ، ومراكزه واعلامه ، وكتبه ومجلاته ، ومانشر من ذخائر التراث العربى

ويتلقون بعد هذا علم توثيق المخطوطات وهو علم بالغ الدقة والصعوبة ، يضع القواعد المنهجيسة للتحقق من اصالة المخطوط : بفحص ورقه وخطه ومداده ، والتوقيعات التى قد توجد عليه ممن قراوا المخطوط او تملكوه او وقفوه . ولا يغنى عن هذا الفحص ، ان يحمل المخطوط توقيع مؤلفه او تاريخ تاليفه ، اذ من المحتمل ان يكون كل هذا منقولا بنسخ متاخر او مزورا بتقليد متقن

ولتقريب الفكرة ، اقول أن صورة من رسم رافاييل او مايكل انجلو او رامبرانت لايمكن أن يكتفى فيها بتوقيع للرسام قد يكون مزيفا بمهارة وانما بفحص الخبراء الخط والالوان والقماش واسلوب الرسم قبل ان يطمئنوا الى صحة نسبها . وبهذا التوثيق ترتهن قيمة اللوحة ، وتفترق الاصيلة عن المقلدة

والامر كذلك بالنسبة الى المخطوط لا قيمة له بغير التوثيق الذى يجب ان يسبق كل عمل فى مقارنة كل النسخ الخطية للكتاب وترتيبها حسب اصالتها ومستواها من الامانة والضبط ، ثم الترجيح بينها فى مواضع اختلافها ، طبقا للاصول المقررة لهذا الترجيح .

ويقسم الطلاب فى السنة الثانية الى شعب متخصصة ، تبعا لنوع الدراسة التى تلقوها فى مرحلة الليسانس .

ويتلقى طلاب كل شعبة المنهج العلمى لخدمة النصوص التى يتخصصون فيها : من تفسير الفاظ النص وتحديد الدلالة الخاصة من بين الدلالات المعجمية التى تتعدد فى اللفظ الواحد ، ثم التعريف باعلام النص ، وخدمة شواهده .

ويمارسون التطبيق النظرى للمنهج ، فى تقويم عدد من كتب التراث التى نشرت هنا او فى الخارج ، مما يدخل فى مجال التخصص لكل شعبة كى يميز الطلاب ما نشر منها على الاصول العلمية للمنهج وما اعوزه التوثيق او شابته شائبات من خطا او تشويه او قصور .

اما التطبيق العلمى ، فيمارسونه فى التدريب على مخطوطات يحققونها تحت اشراف اساتذتهم ، على ان تهيأ لهم وسائل هذا التحقيق ، من (الميكروفيلم) وجهاز قراءته ، وصور لنسخ المخطوط ونماذج تاريخية من انواع الورق والخطوط التى صحت نسبتها الى العصور المختلفة وما يمكن الاطمئنان اليه من معجم الفاظ عصر المخطوط واساليبه .

وعلى هذا النحو ، نطمئن الى اعداد متخصصين فى مخطوطات تراثنا على اختلاف انواعها ، ونؤمن مستقبل هذا التراث الذى لاغنى عنه لوجودنا .

وتاتى بعد هذا مرحلة ادق تخصصا ، لمن تسعفهم طاقتهم وموهبتهم على متابعة دراسة اعلى ، فى بحوث تراثية مبتكرة ، او نصوص محققة مدروسة ، يعدونها لدرجة الدكتوراه ، ويضيفون بها جديدا الى

علمنا بتراثنا الأصيل .

وعلى ذكر المعهد المقترح ، اقدم مع هذا المقال صورتين لمخطوطات قرآنية ، تفضل بارسالهما الى مشكورا ، السيد ((الاستاذ محمد ابراهيم : مدير مدرسة تحسين الخطوط ، واستاذ الكتابة العربية بكلية الفنون الجميلة فى الاسكندرية)) تعقيبا على المقال الذى نشرته هنا منذ اسبوعين عن ((مصحف طشقند)) الذى يقال عنه انه المخطوط الاصلى لمصحف عثمان الامام .

والصورة الاولى ، لورقة من هذا المصحف ، قام بتصويرها خلسة ، السيد مدير الفنون الجميلة بتونس ، فى رحلة له الى أوزبكستان .

أما الاخرى ، فصورها الاستاذ محمد ابراهيم ، من مصحف فى مكتبة مسجد عقبة بن نافع بالقيروان . وهو مكتوب بالذهب على رق ازرق نادر .

ونظرة سريعة الى الصورتين ، تكفى لاعطاء فكرة عن العبء الفادح الذى يجب أن نحتمله من اجل تراثنا ، حيث أن مجرد فك خطهما ، يحتاج الى خبرة بالكتابة العربية القديمة ، والى طاقة من الصبر والاحتمال ، لاتتوفر لغير المتخصصين الذين يرضيهم أن يهبوا حياتهم العلمية لخدمة هذا التراث .

والامر فيهما مع ذلك ، اهون بكثير مما فى مخطوطات اخرى من اصول التراث العربى ، التى دونت فى القرون الاربعة الاولى للهجرة ، حيث لا نجد بين أيدينا اصلا موثقا نراجع عليه ، كما هو الشأن فى المخطوطات القرآنية التى نستعين على قراءتها بالمقابلة على المصحف .

وصورة القيروان ، تعطينا نموذجا للخط العربى فى القرن الثانى الهجرى .

ويرى « الاستاذ محمد ابراهيم » شبها بينها وبين مخطوط طشقند . على حين يبدو لى أن هذا المخطوط ، اشبه بالمصحف الاثرى فى متحف دار الكتب بالقاهرة .

واكاد اطمئن ، الى أن مخطوط طشقند ، يرقى تاريخه الى اخريات القرن الاول ، اذ يشبه خطه خط برديات عربية صحت نسبتها الى ذلك العهد . والى مثل هذا اطمأن عدد من علماء المخطوطات الروسيين انفسهم ، ومنهم ((المستشرق خالدوف : مديرمعهد الدراسات الشرقية فى لننجراد))

ويرجو الاستاذ محمد ابراهيم الا نقف موقفا سلبيا من هذه المصاحف الاثرية التى تتنازع دعوى الاصالة للمصحف الامام ، كمثل موقفنا السلبى عندما حضر ((المستشرق اتيان بارتلمى)) الى مصر عام ١٨٥٠ ، وادعى أنه اكتشف المخطوط الاصلى للكتاب الذى بعث به النبى — صلى الله عليه وسلم — الى المقوقس عظيم القبط ، يدعوه فيه ، واهل مصر ، الى الاسلام . فلم تحرك دعوى « بارتلمى .» ساكنا هنا ، ولا اهتم بتحقيقها أحد من علماء الاسلام وفقهاء النصوص ..

والذى أراه ، أن قضية ((مصحف عثمان)) متصلة بالقضية الكبرى لتراثنا . ومن اجلها دعوت وادعو الى انشاء معهد جامعى عال لهذا التراث .

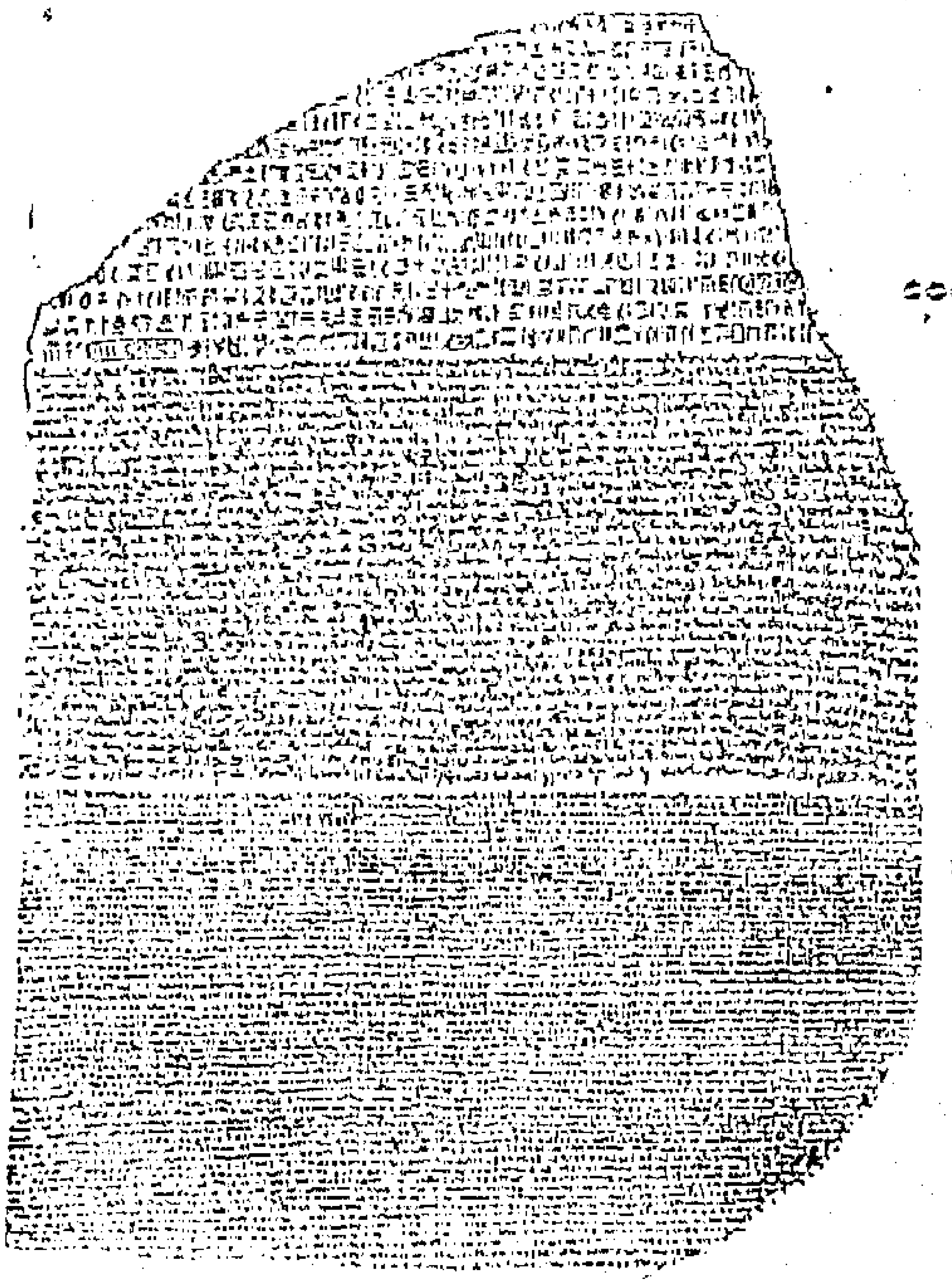
ففيه وحده نستطيع أن نمد من يستطيعون احتمال العبء الجليل ، وبه وحده يناط الامل الكبير فى أن يكون للوطن العربى وجوده فى الميدان الذى حرصت الدول الغربية على أن تحقق وجودها فيه بعلماء الاستشراق ..

وارجو أن اكون قد اوضحت فكرتى عن المعهد ، بما يجلو شبهة استغنائنا عنه بقسم الوثائق والمكتبات .

التاريخ : ٢٧ / ١٢ / ١٩٦٣

تراثنا

الحكاية طالت .. فمتى تنتهي ؟!



عندنا قانون يحمي الآثار ، الا أن تكون مكتوبة على ورق ، فكأن حجرية « حجر رشيد » مثلا ، هي مناط أثريته ، بحيث لو كانت نقوشه مخطوطة على ورق،لأهدر ذلك قيمته الأثرية ، وحرمه حماية القانون !

بقلم

الدكتورة بنت الشاطئ

التاريخ : ٢٥ / ١٠ / ١٩٦٣

القيمة التاريخية للآثار الأدبية

اكتب هذا المقال ، وقد فرغت من قراءة ديوان الشاعر احمدمحرم . وكنت ارجو ان اشارك في مهرجانه بدراسة لوجودنا القومى فى شعره ، ثم حالت ظروف قاهرة دون هذه المشاركة وان تكن قراءتى لديوانه ، هى التى لفتتنى الى ان الوقت قد حان ، لعرض تفسير ادبى لتاريخنا .

وما اكتبه اليوم ، ليس الامقدمة لهذه المحاولة التى ارجوان اتابعها ، بقدر ما تتساح لى الفرصة وتسمح الظروف ..



احمد محرم



بيرم التونسى



محمد شفيق غربال

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

والقضية هنا ، متصلة اوثق اتصال بالدعوة الى اعادة كتابة تاريخنا ، وهى دعوة لم تبق لى حاجة الى دفاع أو اقناع بعد أن تكفل بها « الميثاق » ونقلها من مجال الدعوة الى مجال العمل الملزم ..

انما الذى نحتاج اليه ، هو اللفت الى دقة الموضوع وصعوبته ، والتنبيه الى ما يعوزنا فيه من وسائل قد تغيب عن بال الذين يتولون اعادة كتابة تاريخنا

وأكبر الخطا فى رأيى ، ان نتصور امكان تنفيذ المشروع بمعزل عن التراث الادبى للامة ، او ان نكل المهمة الصعبة الى علماء التاريخ السياسى وحدهم ، وفى حسابنا ان للتاريخ الادبى دائرته المنفصلة يتولاها علماءالادب المتخصصون.

وهذا الخطأ ، هو فى الواقع من ميراث عصور انفصل فيها المؤرخون عن الادب ، ولم يعودوا يلقون اليه بالا ، متأثرين فى ذلك بفهم قاصر للتخصص التاريخى .

ولم يكن الامر كذلك عند مؤرخى الاسلام الاقدمين ، الذين اعتمدوا على النصوص الادبية اعتمادا جوهريا ، وعدوها مادة تاريخية اصيلة لا غنى عنها . نحن نقرا مثلا ، تاريخ «السيرة النبوية لابن هشام» أو « تاريخ الامم والملوك للطبرى » فنرى للنصوص الادبية دورها الهام فى تفسير الاحداث وفهم العصر ، بحيث لا يكاد يمر خبر تاريخى ، دون أن تحشد له وثائقه ومستنداته ، من نصوص الادب .

وقيل لنا ، أيام الدراسة : أن أولئك المؤرخين اعوزهم التخصص ، فخلطوا بين الادب والتاريخ ..

وصدقنا هذا الذى قيل ...

من اجل تاريخنا الذى قال عنه « الميثاق » ان اجيالا منا قراته على غير حقيقته ..

ومن اجل وجودنا الذى لا يمكن ان يصح ، ما لم نستكمل وعينا لحقيقتنا واكتشافنا لذاتنا ، ونميز خطانا الماضيات على درب الزمن

من اجل هذا كله ، أتابع الحديث عن تراثنا الذى اضاء للغرب المستعمر طريقه الينا ، بما كشف لنا من سر شخصيتنا ونوع عقليتنا ومزاجنا ، ومواضع القوة والضعف فينا .

والحديث اليوم متصل بمعهد التراث الذى اوضحت فكرتى عنه فى المقالين الماضيين ، بما ظننته كافيا لبيان حاجتنا اليه ، قوميا وعلميا ، وجلاء الشبهة فى امكان استغنائنا عنه بقسم الوثائق والمكتبات ..

لكن الرسائل التى تلقيتها فى بريد الاسبوع ، اكدت لى ان الموقف لا يزال فى حاجة الى جديد يقال ..

فهناك من يسألون : هل نسيت ان لدينا « معهد المخطوطات » التابع لجامعة الدول العربية ؟

وكان فى استطاعتى ان انساه ، وقد لبثت على اتصال به طوال السنوات الاربع الماضيات ، بحكم اشتغالى بتحقيق المعجم اللغوى الكبير «المحكم لابن سيده» الذى تنشره جامعة الدول العربية !

والحكاية تطول ، ان انا مضيت اقارن بين معهد التراث كما ينبغى ان يكون ، وبين معهد المخطوطات فى وضعه الحالى مكتبا ديوانيا تابعا لادارة الثقافة ، يشتغل فيه بضعة موظفين يرأسهم مدير ترك منصبه منذ سنوات ، ولم يشغل مكانه حتى اليوم !

ولعلى لو رويت حكاية معهد المخطوطات — بكل تفصيلاتها المثيرة — بما يجلو شبهة استغنائنا به عن المعهد العالى للتراث ، فلست استبعد ان افاجأ بعد ذلك بمن يسألنى عما تفعل دار الكتب وادارة **التراث بوزارة الثقافة .**

ومن يدرى لعل سائلا يبدو له ان يسائلنى كذلك عن «المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب» بعد هذا الذى اعلنه عن مشروعه الضخم لتخطيط الفكر العربى ، وفيه عن تراثنا ما فيه !

وعلى هذا النحو لن ننتهى من القصة . والحياة من حولنا تلفنا فى دوامة الشواغل والمشاغل ، ولا تسمح لنا ان نقف حيث نحن نقول ونعيد ، خضوعا لنداء : «محلك سر !»

***

المسألة فى بساطة ، مسألة تخطيط وتنسيق ، يضع الحدود والفواصل بين الهيئات المشتغلة بالتراث ، ويحدد لكل منها مجال عملها :

فوزارة الثقافة ، مسئولة عن حماية تراثنا ، بتعديل « قانون حماية الاثار » **لكى يسرى على المخطوطات كما يسرى على كل اثر تاريخى .**

وقد صدر القانون لاول مرة عام ١٩١٢ وعدل بقانون صدر سنة ١٩١٨ . ثم الغاهما قانون جديد صدر عام ١٩٥١ . أى أن القوانين الثلاثة صدرت قبل الثورة **وقد فاتها جميعا أن تحمى الكتاب المخطوط الا ان يكون مكتوبا على رق او قماش** او بردى ، مهدرة بذلك ما هو مكتوب على ورق ، وكأنه ليس اثرا تاريخيا بورقه وخطه وجلدته ، فضلا عن نصه المؤرخ لحياتنا العقلية والادبية والروحية .

وكأن « حجر رشيد » لم يقدم لنا بنصه مفتاح التاريخ المصرى القديم ، ونحن مع ذلك نعتبر أن مناط أثريته ، هو مادته الحجرية ، بحيث لو كان النص المنقوش عليه مخطوطا على ورق ، لاهدر ذلك كل قيمة اثرية له ، وحرمه حماية القانون !

وحدث عام ١٩٤٩ — فيما أذكر — ان عرضت سيدة اجنبية كتابا اثريا على وزارة المعارف ، وطلبت ثمنا فاحشا له ، فصادره الوزير «الاستاذ على أيوب» :



د . حاتم

رحمه الله)) بمقتضى قانون حماية الاثار لان الكتاب كان من البردى !

ومن يومها ونحن ندعو الى تعديل قانون ١٩٥١ بما يسد هذه **الثغرة الخطيرة** فيه . وقد اثيرت هذه القضية فى عدد من **المؤتمرات الثقافية واللجان الرسمية** ، مرة بعد مرة ، فكان كل الذى وصلنا اليه ((**مشروعا بقانون بشأن حماية المخطوطات**)) اعدته دار الكتب عام ١٩٦١ وتنص المادة الثانية منه على **الزام الافراد والهيئات ، بان يقدموا ما فى حوزتهم من مخطوطات الى دار الكتب لكى تقوم بتسجيلها** ، وتنص المادة الثالثة **على بطلان كل تصرف يرد على مخطوط ما ، لم يسجل فى دار الكتب** . كما تنص المادة الخامسة على حظر اخراج مخطوط من الجمهورية العربية المتحدة بغير ترخيص **رسمى** . ونصت المادة الثامنة على (**معاقبة من يخالف أحكام هذا القانون ، بالحبس مدة لاتزيد عن شهر ، وبغرامة لاتزيد عن خمسة وعشرين جنيها ، او باحدى العقوبتين**))

ثم لما عرض المشروع على المجلس الاعلى لدار الكتب ، بدا لاحد السادة الاعضاء ان يستأنس فيه بقانون حماية الاثار ، فاتضح ان هذا القانون يفى بكل اغراض المشروع ، وان الامر لا يستدعى اكثر من تعديل **المادة الخامسة عشرة منه** لتشمل الحماية القانونية كل المخطوطات ماكان منها على رق او قماش اوبردى ، وما كان على ورق ..

وحتى اليوم لا نزال حيث كنا ..

حتى اليوم ، لا يزال من حق الافراد ان يتصرفوا بمطلق حريتهم فيما لديهم من مخطوطات : بيعا وشراء وتنازلا ومبادلة ، دون اى تحرج . وادارة الجمارك ، تقوم وتقعد اذا ضبطت فى متاع احد المسافرين الى الخارج ، قطعة أثرية من خزف او حجارة او قماش ، ولا تبدى اى اكتراث بعشرات من المخطوطات يحملها المسافر !

فهل نطمع فى ان يبادر وزير الثقافة ((الدكتور محمد عبد القادر حاتم)) بحسم هذا الموقف الشاذ ، حماية لتراثنا ، وتقديرا لحرمته الاثرية !

عندئذ تتولى ((دار الكتب)) مهمتها فى **تسجيل** ما يحصر من مخطوطات مبعثرة ، ليست لدينا فكرة كاملة او تقريبية عنها . **ثم تبادر بترميم البالى منها** ، وتصويرها كلها تأمينا لها من عبث البلى واحتمال الضياع . ولقد حاولت فى هذا الموسم فحص مخطوط من القرن الرابع فى خزانة احد المعاهد الدينية ، ثم أمسكت عن المحاولة اشفاقا على المخطوط الذى لم يعد يحتمل مجرد اللمس الرفيق !

ودار الكتب مسئولة كذلك عن مهمة حصر لذخائر التراث فى فهارس علمية دقيقة تعى كل ما تعرف الدنيا من هذه الذخائر ، ونستكمل بها ما يعوزنا من سجل واف للمخطوطات العربية فى الشرق والغرب ..

والمهمة شاقة وعسيرة : يكفى لبيان مشقتها ان نذكر اننا لانعرف حتى اليوم ، حقيقة ما نملك هنا من بقية تراثنا ، ولا ندرى تماما ، ماذا فى خزائن تركيا او الحجاز واليمن ، وان فهارس المخطوطات العربية فى ((**مكتبة برلين**)) وحدها كانت تملأ عشرة مجلدات ضخمة ، الى ما قبل الحرب العالمية الثانية ، وان احد الاثرياء الامريكيين من طلاب (**الجامعة برنستون**)) القدامى اهدى الى جامعته مكتبة فيها **ستة آلاف مخطوط عربى** ، اشتراها من ورثة احد مستشرقى الانجليز بل يكفى ان نقرأ ما سجله المستشرق الالمانى ((**كارل بروكلمان**)) من مخطوطات عربية فى كتابه المشهور ((تاريخ الادب العربى)) لندرك خطر المهمة الصعبة المنوطة بدار الكتب ، فى حصر التراث العربى

ورصده فى فهارس علمية دقيقة ، يجب ان يرجع اليها من يشتغلون بتحقيق المخطوطات ، لكى نضع حدا لمحنة العبث بتراثنا ، حيث تصدر عن مؤسسة رسمية كتب منه لاترعى حرمة المنهج الذى صدر به قرار للمجلس الاعلى لدار الكتب عام ١٩٥٤ . ونص فيه على انه ((لايجوز ان يصدر عن الدولة كتاب دون ان تستقصى اصوله بقدر المستطاع وان يحقق على ادق قواعد التحقيق ، كما لا يجوز بحال من الاحوال ، ان تمس النصوص القديمة بحذف او نقص او .. والخير الا ينشر الكتاب ، فاما نشره مشوها او مبتورا فاثم عظيم ! وليس ينبغى ان ينهض الافراد من المستشرقين وغيرهم ، بنشر كتب التراث على ادق المناهج، وتقصر الدولة عن ذلك))

اما ((معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية)) فهو مسئول قبل كل شىء ، عن تنسيق العمل بين دول الوطن العربى لخدمة تراثها المشترك ، طبقا لخطة واضحة مرسومة تحمل فيها كل دولة عربية نصيبها من العبء الجليل ، على قدر ما تسمح به طاقتها .

هنا يبدو لى ان اسال السيد ((الاستاذ محمد عبد الخالق حسونة ، الامين العام للجامعة)) عن مصير قرار لمجلس الجامعة فى دورته الثالثة والعشرين سنة ١٩٥٥ ، وهذا نصه :

((١ ـ توصية الحكومات العربية بتسجيل ما فى بلادها من المخطوطات التى فى دور الكتب العامة والخاصة ، تسجيلا علميا دقيقا شاملا .

((٢ ـ ان تصور الجامعة العربية ، جميع المخطوطات غير المصورة ، فى المكتبات غير المفهرسة .

((٣ ـ العمل على وضع فهرس شامل لجميع المصادر والمراجع المخطوطة للثقافة العربية، تيسيرا على الباحثين والدارسين))

والى ان نعرف هذا المصير ، اقول ان معهد المخطوطات مسئول كذلك عن ابدال مجلته بنشرة دورية منظمة للتعريف بكل ما ينشر من ذخائر العربية على نطاق واسع، وبادق مايكون من التتبع والاستقصاء لتكون الدليل لمن يفكرون فى نشر شىء من تراثنا ، فلا نفاجأ بمثل ((مشروع لتخطيط الفكر العربى)) يعلن عن نشر مخطوطات سبق نشرها محققة على ادق منهج ، بمعرفة خبراء ثقات، ممن اختارهم واضعو المشروع لتحقيق ما فى قائمته من ذخائر أتموا تحقيقها ونشرها !

كما ارى معهد المخطوطات مسئولا عن اعداد مكتبة جامعة لكل ما ينشر من ذخائر العربية فى الشرق والغرب، على ان تفتح ابوابها لاستقبال الدارسين والباحثين من الصباح الى المساء ..

وتبقى مهمة جامعاتنا من حيث هى جهة الاختصاص المسئولة عن اعداد كل العاملين فى ميدان التراث ، مثلما تمد لميادين حياتنا العلمية والنظرية ، حاجتها من ذوى الخبرة والتخصص، لاتنازعها فى ذلك هيئة اخرى، بحكم طبيعة عمل الجامعة وسبب وجودها ..

ولن يتاح لها النهوض بهذه المهمة ، الا عن طريق ((معهد عال للتراث)) يزود الوطن العربى بالخبراء الذين يؤمن بهم مستقبل تراثه ..

المسألة اذن مسألة تخطيط يحدد اختصاص كل هيئة من الهيئات المشتغلة بالتراث ، وينسق جهودها بما يحميها من عبث الفوضى وعقم الارتجال ..

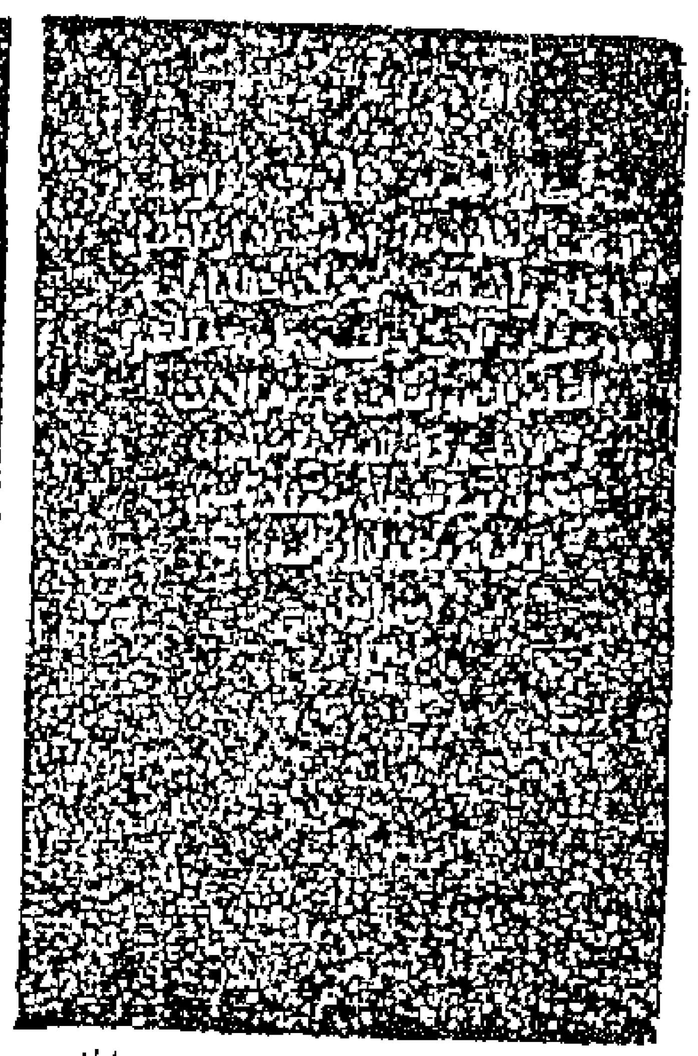
او هى قبل كل شىء مسألة ايمان بقيمة هذا التراث وادراك لحاجتنا اليه ، وتقدير لجدوى عبئه الباهظ الذى يطالبنا وجودنا بحمله ، كما نحمل آثارنا التاريخية ، دون ان نسمع قائلا يقول : لقد احنت المومياوات والتماثيل والصخور ظهورنا ويخشى ان تعوق انطلاق حركتنا ، او تلهينا بامجاد ماض غابر، عن بناء حاضر وصنع مستقبل.

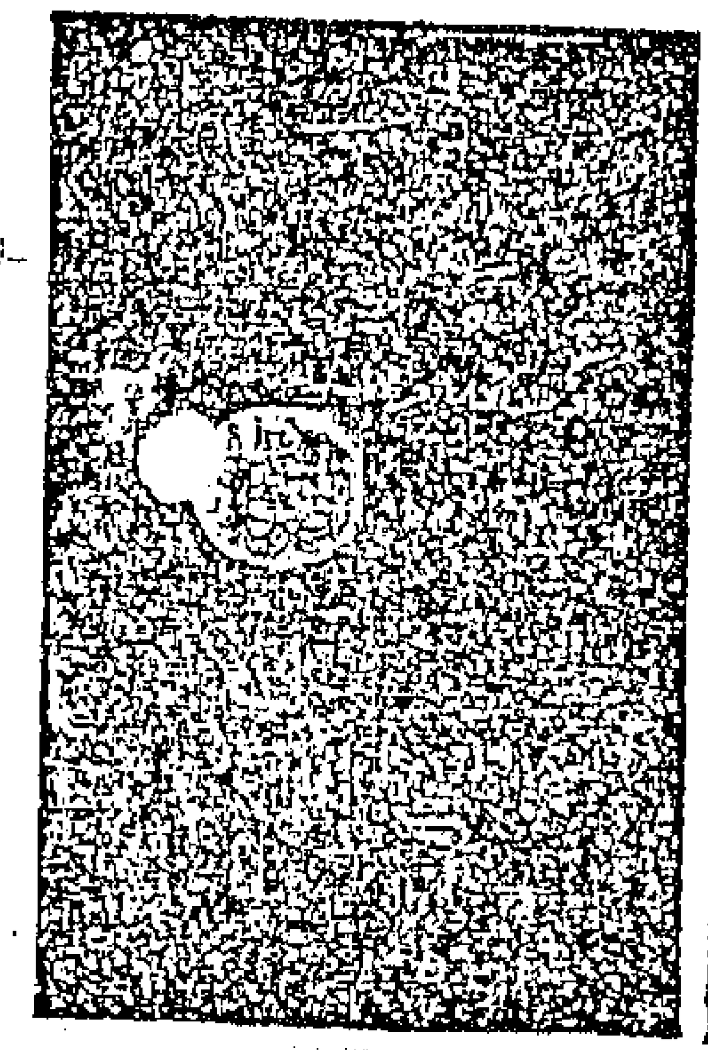
التاريخ : ٣ / ١ / ١٩٦٤

كتاب من تونس :
أبو الحسن الحصرى القيروانى

تقديم الدكتورة بنت الشاطئ

> يا ليل الصب متى غده
> أقيام الساعة موعده !





في مهرجان الحرية بميناء ((بنزرت)) تلقيت هذا الكتاب هدية غالية، حملها إلينا من تونس السيد الاستاذ ((الجيلانى بن الحاج يحيى : رئيس قسم المكتبات)) الذى اشترك فى تأليف الكتاب وتحقيقه ، مع السيد الاستاذ ((محمد المرزوقى رئيس قسم الادب الشعبى)) فى تونس .

ولست أدرى ما اذا كان ظهور الكتاب فى هذه المناسبة ، مقصودا بت أن يكون على موعد مع المهرجان؟ لكنها على كل حال ، مناسبة طيبة تحيى فيها تونس ذكرى شاعرها الذى ظلت أرجاء الوطن العربى ، ترجع صدى نغمه الساحر الشجى قرابة ألف عام !

فمنذ شدا « ابو الحسن الحصرى القيروانى » فى القرن الخامس الهجرى ، بقصيدته الغراء :

يا ليل الصب متى غده
اقيام الساعة موعده
رقد السمار فارقه
اسف للبين يردده
فبكاه النجم ورق له
مما يرعاه ويرصده
... ...
يا من جحدت عيناه دمى
وعلى خديه تورده
بالله هب المشتاق كرى
فلعل خيالك يسعده
ما ضرك لو داويت ضنى
صب يدنيك وتبعده
لم يبق هواك له رمقا
فليبك عليه عوده
وغدا يقضى ، او بعد غد
هل من نظر يتزوده

منذ شدا الشاعر القيروانى بهذه القصيدة ، وشعراء العربية قد سيطر عليهم نغمها ، فولعوا بمعارضتها والنظم على ايقاعها ، حتى بلغ عدد من عارضوها فيما احصيت — اربعين شاعرا وشاعرة تباعدت ديارهم واختلفت عصورهم .

فمن الذين عارضوها من الشعراء القدامى :ابن الابار القضاعى البلنسى ، واسماعيل الزبيدى اليمانى ، وشمس الدين الحصرى الدمشقى ، وناصح الدين الارجانى ، وابن مليك الحموى .

ومن المحدثين ، من شعراء المشرق احمد شوقى ، واسماعيل صبرى ، وولى الدين يكن ، ومحمود بيرم التونسى ، ومحمود رمزى نظيم ، وجميل صدقى الزهاوى ، وبشاره الخورى ، ونسيب ارسلان ، وقيصر وعيسى المعلوف ، وخير الدين الزركلى ..

ومن شعراء المغرب العربى الافريقى : ابو القاسم الشابى ، ومصطفى خريف ، والبشير العريبى التونسى ، وجعفر ماجد

ومن الشاعرات :

عاتكة الخزرجى (العراق) وامينة عباس ، وزينب عبد السلام (مصر)

وامتد صداها الى الغرب الامريكى فرجعته معازف عدد من شعرائنا المغتربين فى مهاجرهم ، أذكر منهم :

رشيد أيوب ، ومسعود سماحه ، وفوزى المعلوف .

وهكذا ظل النغم الشجى ملء سمع الزمان ، لم يغب صداه فى ضجيج الصراع بين قديم وحديث ، ولا تاه فى الميدان الادبى الصاخب بأصوات العصر !

وبقى الشاعر مع ذلك مغمور الشخصيه مبهم الملامح ، متناثر الاخبار مبعثر التراث فى عشرات من الكتب والدواوين قليل منها متداول ، وأكثرها مما لايوجد الا فى دور الكتب وخزائن الخاصة من علماء الادب العربى ..

بل ان امره التبس على كثير من ذوى الثقافة الادبية ، فخلطوا بينه وبين اديب آخر من اسرته ومصره ، هو «ابو اسحاق ابرهيم الحصرى القيروانى : مؤلف زهر الآداب »

ويبدو ان الالتباس قديم :فالنسخة الخطية الوحيدة التى وصلت الينا من ديوان ابى الحسن «اقتراح القريح واجتراح

التاريخ : ٣ / ١ / ١٩٦٤

الصفحة الاخيرة من ديوان المعشرات والخطا فيها ... ح بفهرس دار الكتب

الجريح)) موجودة في دار الكتب المصرية برقم (١٣ أدب) ويرجع تاريخ نسخها الى عام ٦٠٧ هـ وقد كتب على الصفحة الاولى منها تحت اسم ابى الحسن :

((وهو مؤلف كتاب زهر الاداب سامحه الله)) ونسخة اخرى من ديوانه ((المعشرات)) في دار الكتب المصرية كتب في آخرها مانصه :

((هذه معشرات الاديب ابى الحسن على بن عبد الغنى الحصرى الشاعر المشهور ، صاحب كتاب زهر الاداب وثمر الالباب ، وكتاب المصون في سر الهوى المكنون ، توفى بقيروان سنة ثلاث وخمسين واربعمائة ، رحمه الله برحمته ورضوانه))

وكان حقا للشاعر علينا ، أن يوجد بين دارسي الادب العربي ومحققي تراثه، من يفرغ لجمع ماتناثر من اخبار ابى الحسن وما تفرق من آثاره ، ليضع في المكتبة

الصفحة الاولى من ديوان الاقتراح ويرى الى اليسار تصحيح لخطا العنوان

العربية كتابا من ذلك الشاعر الذى رجع وطننا صدى شدوه على مر القرون وتتابع الاجيال ..

وهذا هو الكتاب ، تنشره مكتبة المنار بتونس بعد ان اشرق صبح الحرية ، وكان الاوان قد آن ليجيب الزمان عن سؤال الشاعر الذى لبثنا نرجعه اكثر من تسعة قرون :

يا ليل الصب متى غده ؟
اقيام الساعة موعده !

والكتاب قسمان متميزان :

اولهما ترجمة وافية لابى الحسن الحصرى ، تبدا بمقدمة تاريخية عن بلد الشاعر وعصره ، ثم تفصل الحديث عن حياته واسرته وشيوخه وتلاميذه ، ومن لقى من امراء العصر وحكامه .

ومادة الترجمة ماخوذة من اصيل المصادر وشتى المراجع ، مع تحرير المرويات وفحصها ومقارنتها .

اما القسم الثاني من الكتاب ، فيجمع التراث الادبى للشاعر منسقا في فصول :

رسائله ، ديوان المتفرقات ، النص الكامل لقصيدة ((ياليل الصب)) ومعارضاتها ديوان المعشرات ، ديوان اقتراح القريح ، ذيل الاقتراح .

على ان جهد السيدين المصنفين ، لم يقتصر على مجرد الجمع والتنسيق ، وانما هو جهد تحقيق منهجي وخدمة متقنة وقد تركا بعد ذلك المجال الواسع لدراسات جديدة خصبة ، يتولاها من شاء من الدارسين :

فهناك مثلا ، ماساة اليمة في حياة الشاعر ، تركت في اعماقه جرحا لم يندمل ، اذ هجرته زوجته الشابة وارغمته على طلاقها ، وهو مولع بها مستهام ، فراح يرجمها بحجر ، بلسان جارح ينم عن قلب مقروح .

ولقد قرات ((ديوان المعشرات)) فلمحت طيف هذه الحبيبة الهاجرة ، يسيطر على كل ما فيه من شكوى حب خاب ، وحنين الى حبيب هجر ، وتعلق بذكريات ماضيات تابى ان يفلتها النسيان .

بل انى لالمح طيفها كذلك ، يحوم حول الشاعر وهو ينظم ديوانه ((**اقتراح القريح واجتراح الجريح**)) في رثاء ولده عبد الغنى الذى مات صبيا في التاسعة من عمره . ولقد كان هذا الصبى ولده الوحيد من زوجته الهاجرة ، تخلت عنه لابيه عندما فارقته ، فآثره على اخوته بكل عواطف الابوة وحنانها ، وكأنه كان **يرى فيه صورة من احب ، والذكرى الحية لمن خانت وهجرت** ، فلما مات الولد افرغ الشاعر المحزون شحنة مواجعه واشجانه ، في ديوان كامل من الرثاء ، لعله الديوان الوحيد في العربية ، في رثاء ولد !

ولقد تفنن الاب الشاعر في هذا الديوان منفسا عن مكبوت اشواقه ، ومستمرئا مذاق احزانه ، ومصمما على أن يظل جرح قلبه داميا بالحسرة والعذاب ..

والكتاب لايربط بين هذه الماساة وبين الديوانين ، لكن حسبنا منه انه اعطانا عناصر القصة المثيرة ، وقدم لنا معها قصائد الديوانين ، ولمن شاء ان يجعل من هذا كله مادة لدراسة عن الشاعر ، تفهم تراثه بحياته ، وتلتمس طابع الماساة في شعره ، وتنفذ الى اسبابها الخفية

وجـذورها الغائرة ، تحت الظواهـر السطحية ، التى يبرر فيها الشاعر موقف زوجته ، بانها ضاقت بفارق السن بينها وبينه،او بأنها هامت بشاب شغفها حبا.

كذلك يفسح لنا نشر هذا الكتاب ، فرصة لاضافة جديدة الى ما تعلم من احتدام الصراع المذهبى الذى كان له عميق الاثر فى توجيه أحداث عصر الشاعر كما كان السبب المباشر لاغتراب ابى الحسن بعد ((الزحفة الهلالية)) وخروجه من القيروان محزونا يحمل معه قبضة من تراب الارض الغالية : مهد حداثته ومغنى صباه ، ومثوى ابيه وأجداده ..

وفى الصنعة الشعرية ، يقدم لنا الكتاب مادة لدراسة جديدة ، تضاف الى ما نعرفه عن النفوذ الادبى ((لابى العلاء المعرى)) فى المغرب الافريقى ، وتتبع أثره فيمن عاصره أو جاء بعده من الشعراء المغاربة ، فأبو الحسن الحصرى معاصر لابى العلاء ، وقد كان مثله ضريرا . وكل شعره فى قصائد « المعشرات » وذيل الاقتراح » متأثر بلزوميات أبى العلاء ، فى التقيد بما لايلزم من قيود النظم . فقصائد ((المعشرات)) مرتبة على حروف الهجاء ، وكل قصيدة منها عشرة ابيات ، تبدأ جميعها بحرف الهجاء فى القافية . فاذا كانت القصيدة من قافية الهمزة ، أو الثاء ، أو الظاء ، جاءت ابياتها العشرة ، مبدوءة بالحرف نفسه ! !

وقصائد ((**ذيل الاقتراح**)) عددها تسع وعشرون ، بعدد حروف الهجاء . كل قصيدة منها ،خمسة عشر بيتا ، يلتزم فيها الحرف الواحد فى اوائل الابيات واواخرها. فالقصيدة الاولى تبدأ أبياتها جميعا بحرف الهمزة ، كالقافية ، تتلوها قصيدة على حرف الباء ، يبدأ البيت الاول بالهمزة اتباعا لسابقه ، وينتهى بالباء ثم تمضى القصيدة على الباء بدءا وختاما . وعلى هذا النسق يمضى الشاعر فى القصائد كلها ، متتبعا حروف الهجاء بترتيبها المغربى . ولما كانت قصيدة الهمزة غير مسبوقة ، اكتفى لها باربعة عشر بيتا ، ثم عوض هذا النقص العددى فى قصيدة الياء ، فنظمها فى بستة عشر بيتا !

وأسعفته طاقته على تطويع النظم لكل هذه القيود ، كما اسعفه ثراؤه اللغوى على اختيار الالفاظ المناسبة ، فلم يتعثر الا قليلا ، فى سماجة التكلف وقلق الاقتسار والاضطرار .. !

وصياغته الاسلوبية ، متأثرة كذلك باسلوب ابى العلاء ، لكن اللافت هنا ، ان ابا الحسن لم يتاثر بشخصية ابى العلاء وسلوكه ! فبقدر ما كان ((ضرير المعرة)) عف النفس واللسان ، حر الطبع والقول كان((ضرير القيروان)) حاد الطبع واللسان عصبى المزاج مولما بالهجاء ((يتلفت اليه كما يتلفت الظمآن الى الماء)) ـ والعبارة لابن بسام .

وقد ارتزق بشعره . ولم يتحرج من طلب العطاء من ((**المعتمد بن عباد**)) فى محنته،حين مر بمدينة((سبتة))وهو فى طريقه الى منفاه **باغمات ، فبعث اليه الحصرى** مجموع قصائد نظمها فى مدحه ، وطلب عليها الاجر . **ولم يكن مع المعتمد الا ستة وثلاثون مثقالا ، ارسلها الى الحصرى** مع **أبيات من الشعر ، يعتذر فيها عن قلة المبذول !**

ويطول بى المقال ان أنا مضيت اشير الى ما يفتح الكتاب امامنا من مجال لدراسات جديدة ، بما قدم لنا من ترجمة محررة للشاعر وعصره ، وبما جمع لنا وحقق من بقية آثاره ، وهو ما نذكره للاستاذين «المرزوقى والجيلانى» بخالص التقدير ، والاعتراف بما أسديا الى تاريخنا الادبى من ثمرة جهدهما السخى الموفق .

وكنت أود لو ان الاستاذين احتملا مع هذا الجهد الرائع ما يقتضي به المنهج العلمي للتحقيق ، من وصف دقيق للمخطوطات التي نقلا عنها . فقد فاتهما مثلا : ان يشيرا الى ان دار الكتب المصرية ، قد تنبهت الى الخلط بين ابي الحسن وابي اسحاق الحصريين ، في فهرستها لديوان « المعشرات » حيث نقلت عبارة الناسخ :

« هذه معشرات الاديب ابي الحسن علي بن عبد الغني الحصري .. صاحب كتاب زهر الاداب وثمر الالباب ، وكتاب المصون في سر الهوى المكنون — توفي بقيروان سنة ثلاث وخمسين واربعمائة .. »

وعقبت الدار عليها بما نصه :

« والمعروف — كما في وفيات الاعيان وكشف الظنون — ان هذين الكتابين لابي اسحق ابراهيم بن علي بن تميم المعروف بالحصري القيرواني ، المتوفي بالقيروان سنة ٤٥٣ هـ »

— راجع المجلد الثاني من فهرس الدار — ط ١٩٢٧ —

كما فاتهما أيضا ، في وصفهما لمخطوطة دار الكتب المصرية من ديوان الاقتراح ان يسجلا امرين لهما اهميتهما في توثيق النص :

الاول : ان عبارة «صاحب زهر الآداب» ليست بخط الناسخ الاصلي للديوان ، وانما هي اضافة بخط آخر قديم .

الثاني : ان احد المفيرين — المفهرسين — القدامى لدار الكتب : «الشيخ احمد الميهي رحمه الله » كتب بخطه بجانب هذه العبارة « قوله : مؤلف كتاب زهر الآداب، هذا خطأ والصواب ان مؤلف هذا الكتاب هو ابو الحسن علي بن عبد الغني . ومؤلف زهر الآداب هو ابو اسحق ابراهيم ابن علي الحصري » .

ومع المقال ، صفحتان مصورتان نقلتهما من مخطوطتي دار الكتب ، عندما احتجت الى المراجعة وافتقدتهما في الكتاب المطبوع .

والاستاذان المرزوقي والجيلاني مرجوان لان يستدركا مافاتهما من ذلك كله ، في الطبعة الثانية لهذا السفر الجليل الذي نعده ذخيرة من ذخائر المكتبة العربية .

التاريخ : ١٠ / ١ / ١٩٦٤

كتاب من الجزائر

عيون البصائر

تأليف الشيخ البشير الإبراهيمي

تقديم الدكتورة بنت الشاطئ

> لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا
> قرآن كريم

لقيته فى الجزائر ..

وكنا على موعد ان نلتقى هناك حين طاف باصدقائه فى مصر مودعا ، قبل أن يئوب الى داره بعد غيبة سنين ، امضاها هنا بين اهل وعشيرة ، ملء القلوب والابصار مهابة ووقارا ..

ويوم ودعته بمصر الجديدة ، تواعدنا على أن نلتقى فى الجزائر الحرة ، بعد أن طهرت حماها من دنس الغاصبين ورجس المستعمرين .

ولم اكن نسيت هذا الموعد ، عندما سعيت فى الصيف الماضى احج الى ارض الجزائر ، وجاءنى السيد الاخ «الاستاذ محمد الغسيرى» رسولا من شيخنا البشير ا يدعونى لزيارته فى مصيفه بالشريعة !

واسرعت الى الدعوة، وملء وجدانى شعور غامر بالرضى والغبطة ، ان تحقق الوعد وصدق الامل .

ومن «البليدة» مدينة الزهور والرياحين انطلقت السيارة مصعدة بنا على سفح الاطلس البليدى ، وسط غابة من اشجار

الارز الباسقة ، الى ان بلغت لنا قمة ((الشريعة)) حيث تلبثنا برهة نملا عيوننا من روعة المشهد ، ونطل من ارتفاع الف وخمسمائة متر ، على الوادى الكبير بمروجه البديعة الخضر ، وحقوله المتالقة بنور الحرية وزهو النصر ، المنتشية بعودتها الى بنيها بعد ما طالت محنتها بالدخلاء ..

وسرنا فى خشوع الى مجلس الشيخ البشير ، فكانت تحية اللقاء بيننا ان تلونا معا ((آية الفتح)) :

((**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا**)) .

وكان الحديث كله عن «جمعية العلماء» ونضالها الطويل لحراسة عروبة الجزائر من مسخ الاستعمار ، وجهادها المبارك ليظل الاسلام هناك مرفوع اللواء ، فى مهب اعصار صليبى جائح ..

وطاب لنا السمر فى مجلس العالم الوقور ، وقد مضى يسترجع عبر ذكرى رفاقه فى الجهاد ، ويستعيد مشاهد الصراع العنيف بينهم وبين الاستعمار ، ويروى قصة التعبئة الثورية التى اعدت للجولة الفاصلة ..

ومنها ادركت — كما لعلى لم ادرك من قبل — **سر البطولة الفذة التى خاضت بها الجزائر معركتها الظافرة ، وقدمت لها اكثر من مليون شهيد ، سيظل مجد استشهادهم آية تتلى وحديثا يروى على مر الزمان !**

يومها وددت لو اتيح لابناء الوطن العربى ان يسمعوا ما سمعت فى ذلك المجلس ، ليدركوا ان شعلة الحرية لم تتوهج فجأة عام ١٩٥٤ ، وانما سهرت عليها اجيال من الجزائريين الكرام ، يغذونها بوقود من الايمان ، ويلهبون جذوتها فى ضمير الشعب الاصيل الابى ..

ولكى يستبينوا دعاء الثورة الذى ظل يحدو ابناء هذا الشعب فى مسراهم عبر الظلمات ، ويذود عنهم فى ليلهم الطويل لسنة الجمود وعار الاستكانة والخضوع

ولم اكن ادرى ان الشيخ البشير ، سبقنى الى ما فكرت فيه ، فعكف على جمع مقالاته الثورية التى نشرها فى «جريدة البصائر» الناطقة بلسان جمعية العلماء بالجزائر ، والمؤرخة لمرحلة التعبئة الروحية بكل تفصيلاتها المثيرة .

وهنا بعد عودتى الى مصر ، تلقيت كتابه الجليل ((عيون البصائر)) مطبوعا فى دار المعارف بالقاهرة

وامضيت الايام والليالى فى صحبته ، اطالع صفحاته السبعمائة ، ماخوذة بسحر « الكلمة » وسر «القلم» حين يأخذ دوره النضالى فى معركة الوجود الحر ، يؤجج ضرامها ويحشد لها جنودها الفدائيين الأبطال ..

وعشت مع الجزائر فى ليل محنتها ، مروعة بافاعيل المستعمرين ، مصغية الى نداء الحرية يتحدى الاستعمار ويؤرق الغاصبين الدخلاء :

« فى هذا الوطن الجزائرى شعب عربى مسلم ، ذو ميراث روحانى عريق وهو الاسلام ، وذو ميراث مادى شاده اسلافه وذو منظومة من الفضائل العربية الشرقية متنقلة بالارث الطبيعى من الاصول السامية الى الفروع النابتة ، لحفظ خصائصه الجنسية من التحلل والادغام ، وذو لسان وسع وحى الله وخلد حكمة الفطرة وحوى سر البيان وجلا مكنونات الفكر ، ثم خدم العلم وسجل التاريخ وشاد الحضارة ..

« جاء الاستعمار الفرنسى الى هذا الوطن كما تجيء الامراض الوافدة تحمل الموت .. والاستعمار سل يحارب اسباب المناعة فى الجسم الصحيح ، وهو فى هذا الوطن قد ادار قوانينه على نسخ الاحكام ومس بحرمة المعابد ، وحارب الايمان بالالحاد ، والفضائل بحماية الرذائل ،

الاهرام
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٠ / ١ / ١٩٦٤

والتعليم بانشاء الابنية والبيان العربى بهذه البلبلة التى لا يستقيم معها تعبير ولا تفكير ..

«والاستعمار كله رجس من عمل الشيطان سياسته الاحتيال على الضعيف ليؤكل ، وقتل مقوماته ليهضم ، والكيد للمستيقظ حتى ينام ، والهدهدة للنائم حتى لا يستيقظ

« وهذا هو معنى السياسة عند الحاكمين فينا ، عاليا ونازلا. اما عند المحكومين فاعلى معانيها احياء المقومات التى ضعفت او تراخت : من دين ولغة وجنس واخلاق وتاريخ وتقاليد ، وتصحيح قواعدها فى النفوس ، ثم المطالبة بالحقوق الضائعة فى ايمان ، ثم الاصرار والتصلب فى استماتة وتضحية ..

« جاءت فرنسا الى الجزائر بالجندى ففتح بالقوة ومهد بالقوة ، وسجل لها فى تاريخ الانسانية صحائف لا ندرى ما وصفها الا اذا قرانا **رسائل سانت ارنو** ، وتقرير **لجنة البحث البرلمانية** سنة ١٨٣٣ ، **وكتاب كريستيان** ، وكلام النائب **روجى** فى مجلس الامة الفرنسى ..

« ثم جاءت بعد الجندى بالمعلم والطبيب والراهب ، بعد ان **اجرت لهم عملية التلقيح بمادة الاستعمار** ، وهى مادة من خصائصها **تعقيم الخصائص !** فلم يبق المعلم معلما علميا ، ولا الطبيب طبيبا انسانيا ، ولا الراهب ابا روحيا ، وانما جاءوا فى **ركاب الاستعمار ليخدموه ويثبتوا** اركانه .

« ونظر الناس بعد مرور **مائة وعشرين سنة** ، الى هذه **الرحمات الثلاث** المرسلة الى الجزائر من سماء فرنسا ، فاذا تسعة وتسعون فى المائة من ابناء الامة الجزائرية اميون لم يروا مدرسة ولم يسمعوا بمعلم فقدوا قديمهم ببركة الاستعمار ولم يجدوا الجديد ، واذا الطب الاستعمارى لم يقض على المرض وانما قضى على الصحة ، فاربعمائة الف من مجموع الامة مسلولون والباقى معلولون .. واذا الراهب المبشر ذئب ثلاثة ، يتربص اليتم لينصر الابناء والمجاعات ليفتن الاباء .. »

فى هذا الجزء من « عيون البصائر »

افتتاحيات الشيخ البشير للجريدة ، منذ استأنفت الظهور عام ١٩٤٧ بعد ان عطلها الاستعمار فى سنوات الحرب العالمية الثانية وما بعدها، وتتوالى المقالات تباعا الى سنة ١٩٥٢ ، مقدمة لنا تاريخ ست سنوات ، هى فى الحساب الفرنسى من صميم عهد الاستعمار ، لكنها فى حساب الـواقع التاريخى ، من **صميم عصر الثورة على الاستعمار** .

والفرق بين الحسابين ، تجلوه لنا عيون البصائر » بما تكشف من صراع مرير بين باطل وحق ، وزيف واصالة ، وبغى واباء . وبما تسجل من صدام عنيف بين ارادة غاصب يعتنق شريعة الغاب، وارادة شعب عريق يؤمن بالحرية ويقدس الكرامة والشرف .

وهى تعطينا كذلك وثائق لاحداث المرحلة التى سبقت الثورة المسلحة ومهدت لها ، وفيها نلمح نذر التحفز والتجمع للمعركة الحاسمة ، يقابلها من المستعمر شطط فى العدوان والبغى ، وامعان فى التسلط والقهر ، وحمق فى محاولة يائسة لاطفاء الوهج الثورى الذى يتوهج فى كيان الامة الجزائرية .

ولولا ان اشق على شيخنا البشير ، لرجونه ان يزودنا بكتاب عن رفيقه العالم المجاهد «الشيخ عبد الحميد بن باديس » القائد السابق للتعبئة الروحية ، ومربى جيلين ممن حملوا لواءها فى فدائية واستبسال

لقد كان اسم «عبد الحميد بن باديس» يتردد فى مسمعى ، بولاء وحب ، حينما اتجهت وانى اقمت بالجزائر ، وكان طيفه الحى يعمر مجالسنا ومسامرنا هناك ، فى هالة مشرقة من العظمة والجلال ، حتى لقد خيل لى ، انى المحه فى موكب النصر واعياد الحرية ، يطل علينا من الافق الاعلى ليبارك بنيه البواسل الذين خاضـوا المعركة سبع سنين دابا ، وقدموا مليون شهيد ، فداء لحرية الجزائر وشرف الانسان

ثم لما قرات «عيون البصائر» تمثلت للشيخ عبد الحميد مع الشيخ البشير — بارك الله فى عمره — فى ميدان الجهاد الاعز ، وشاقنى ان يقرا قومى قصة «الابوة الروحية للثورة الجزائرية» استكمالا لكتاب هذه الثورة الباسلة التى ينحنى لها التاريخ المعاصر خشوعا واكبارا ..

تحية للجزائر الحرة وشعبها الكريم الاصيل ..

وتحية لشيخنا البشير ، فى ابوته المهيبة وجهاده المبارك ..

وعتابا لدار المعارف ، اذ فاتها ان تسجل على كتاب «عيون البصائر» تاريخ طبعه ، مع ما لهذا التاريخ من اهمية بالغة !

التاريخ : ٢٠/١/١٩٦٤



همايون كبير رئيس مؤتمر المستشرقين في الهند يقدم بنت الشاطئ الى نهرو والى جانبها د. رياض العتر مستشارنا الثقافي في الهند وعضو الوفد .

عودة بنت الشاطئ بعد محاضراتها في الهند .

عالم بريطاني يحاضر عن المحراب في الاسلام .

مؤتمر المستشرقين القادم سيعقد في امريكا . !

★ .. من الهند : عادت بنت الشاطئ (د. عائشة عبد الرحمن) الى القاهرة بعد ان امضت اسبوعين حيث اشتركت في مؤتمر المستشرقين الدولي الذي عقد في نيودلهي ومثل مصر وفد مكون منها ومن : د. عبد الرحمن بدوي . د. عبد المنعم ابوبكر . د.

التاريخ : ٢٠/١/٩٦٤



كريزويل : حمل شيخوخته وذهب الى الهند ليلقى محاضرة دراسية عن (المحراب في الدراسات الاسلامية) .. وقد وقفت بنت الشاطىء تحييه .

رياض العلى مستشارنا الثقافى فى الهند بينما كان د. يحيى الخشاب يمثل الجامعة العربية فى المؤتمر فى العلامة البريطانى المتعمر « كريزويل » حجة الآثار الاسلامية عالميا .

وهو المؤتمر الذى اشترك فيه ١٠٠٠ عضو يمثلون ٤٩ دولة وحضره ١٤٤ مراقبا ومندوبا عن الهيئات الدولية

وفيه القت بنت الشاطىء بحثها عن: « مشكلة الترادف فى ضوء القرآن » .. وقد طبعت منه نسخا اضافية مع ترجمة انجليزية فى مكتبنا الثقافى فى نيودلهى . كما تلقت دعوة من د. عبد العليم رئيس جامعة عليكرة الاسلامية ، وفيها حاضرت عن « النتائج الهامة التى هدى اليها التفسير البيانى للقرآن » .

والمعروف ان هذه هى الدورة الـ ١٢٦ لمؤتمر المستشرقين الذى يعقد كل ٣ سنوات . وقد اتفق على قبول دعوة امريكا لانعقاده فيها وعلى ارضها فى ١٩٦٦ .

وقد رجعت بنت الشاطىء وهى تحكى حفاوة الهند بالمؤتمر حيث دعت اعضاءه لرحلة لقطار خاص الى مدن ماتورا . واجرا . وفاتح بور سكرى . استغرقت ٣ ايام فى ضيافة الدولة . وفى حفل الافتتاح القيت كلمة رئيس الجمهورية رادا كريشنان الذى عبر عن شديد اسفه حيث لم تمكنه حالته الصحية من شهود المؤتمر .

ودعا اعضاء الوفود الى حفل استقبال فى حدائق القصر الجمهورى وهناك رحب بهم ذاكر حسين نائب رئيس الجمهورية .

وشهد الرئيس نهرو جلسة المساء من اليوم الاول . والقى كلمة عن المؤتمر ومسئولياته واهدافه ، ثم اختار المؤتمر همايون كبير رئيسا .

كما اقام احمد حسن القونى سفيرنا فى الهند حفل عشاء للوفد العربى فى المؤتمر حضره ذاكر حسين نائب رئيس الجمهورية الذى اقام حفل عشاء خاصا فى بيته .

الأهرام
مركز الدراسات والبحوث والمعلومات
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٤ / ١ / ١٩٦٤

من البيان المعجز

الآية الكبرى

سبحان ربي ...

كلما جد في حياتنا حادث جليل ، ألفيت آية من آيات القرآن الكريم تسيطر على فكري ووجداني ، معبرة عن الموقف الحاضر المشهود ببيان معجز ، وكأنها من وحي الساعة !

في الصيف الماضي كنت في الجزائر ، أشهد آثار المعركة الطويلة الباسلة ، وأرى الديار التي اغتصبها المحتلون قد خلت منهم ، وأنقاض صروحهم الاستعمارية قد تهاوت على الأرض المباركة تحت أقدام المجاهدين المؤمنين ، فلا والله ما امتى به المشهد ، إلا أن أتلو آية الحشر :

> "واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا ، واذكروا نعمةَ الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمتِهِ إخوانا ، وكنتم على شفا حُفرةٍ من النارِ فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياتِهِ لعلكم تهتدون"
>
> قرآن كريم

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

((هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ، ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين فاعتبروا ياأولى الابصار ، ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب النار))

وامس كنت بالهند ، اتابع في لهفة انباء اجتماع القمة ، حيث لبى ملوك العرب ورؤساؤهم دعوة السيد الرئيس جمال عبد الناصر : أن يتناسوا ما بينهم من خصومة وخلاف ، لكي يواجهوا خطــــر العدوان الصهيوني القاشـــم . واذكر انني سئلت مرة عن هذا الحدث الجليل ، في مجلس لنا مع عدد من كبار مسلمي الهند بدار سفيرنا ((**السيد احمد حسن الفقي**)) فالفيت البيـــان عصيـــا ولم ادر كيف اعبر عن الموقف ، حتى اسعفتني هذه الايات من الكتاب الخالد :

((واعتصـــموا بحبل الله جميعـــا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون .ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم)) الى قوله تعالى :

((لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لاينصرون))

سبحان ربي !

لكأن هذه الايات تنزل فينا اليوم وكأنما لا يفصلنا من وقت الوحي نحو اربعة عشر قرنا من الزمان ، جد فيها على أذواقنا وأســاليبنا ما جد ، واستحدثت العربية من فنون القول ما اســتحدثت ، واتصلنا بروائع البيان من شرق وغرب ، ومن قديم وحديث ، **ويبقى هذا القرآن فينا مناط الاعجاز البياني في كل عصر وكل جيل ، يبهرنا بسره الاكبر الذي بهر العرب في عز الفصحى ، فاعياهم ان يأتوا بسورة من مثله !**

اربعة عشر قرنا من الزمان ، اصغت فيها دنيانا الى معازف الشعراء واقلام الكتاب على مسار القرون ، وعلى امتداد آفاق الوطن العــربي من قلب الشرق الاسيوي الى اقصى المغرب الافريقي ، ثم في مهاجر العرب بالدنيا الجديدة .. واعترفت دنيانا لنفر من هؤلاء واولئك بالاصالة الفنية والاقتدار البياني ، وشغلت بهم لمدى طال او قصر ، **ويبقى هذا البيان القرآني محتفظا بكل روعته وسحره ، في الذروة العليا التي يقصر دونها كل بيان !**

وهذا رصيد الادب العربي بين ايدينا حافلا بذخائر تراثنا وروائع الاثار لشعرائنا وكتابنا ، فأين فيه ما يمكن أن يعبر عن الموقف الحاضر بكل خطره ومغزاه ؟ او ما يمكن ان يرقى الى مستواه الذي تعبر عنه آيات من القرآن الكريم ، تلقاها محمد صلى الله عليه وسلم من وحي ربه ، في دار هجرته بالمدينـــة ، **منذ نحو الف** وثلاثمائة عام :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا »

ونتدبر الاية الكريمة ، فيلفتنا من اسرارها البيانية ، ان جوهر التآلف هو الايمان الصادق ، وان مناطه القلوب والضمائر

فآية الوحدة، تبدأ بهذا الامر المساوى بالاعتصام بحبل الله . واصل العصام فى العربية ، الحبل تربط به القربة فيصون ما فيها أو هو الحبل تشد به الناقة او الفرس ليتعلق به الراكب والقائد . ومنه جاء الاعتصام بمعنى التماس الازر والحمى والارتباط بما يعصم من الخطر والهلاك والضلال . وليس فى القرآن كله اعتصام الا بالله ، ولا عاصم الا هو سبحانه .

يطرد ذلك فى كل المواضع التى وردت فيها المادة فى القرآن الكريم بتصنيفها المختلفة ، وعددها ثلاثة عشر موقعا . وذلك اما بصريح العبارة كما فى آيات :

« فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل » .

« ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم »

« واعتصموا بالله هو مولاكم »

« والله يعصمك من الناس »

واما باستبعاد أن يكون هناك عاصم من الله ، أو عاصم غير الله ، كما فى آيات :

« والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم »

« قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا » .

« قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء ، قال لاعاصم اليوم من امر الله الا من رحم »

« ولا تمسكوا بعصم الكوافر »

فحين يجعل القرآن الكريم تآلف المؤمنين وعدم تفرقهم اعتصاما بحبل الله يسبغ على هذا التآلف قوة ومهابة ، اذ يكون الامر فيه مسئولية ضمائر مؤمنة وارادة الهية تلتقى بها القلوب وتتآلف :

« واذكر نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا »

ويلفتنا هنا كذلك ، أن يعد القرآن الفة القلوب بعد عداوة وتفرق ،نعمة الله ولاشك أن اضافة النعمة الى الله ، ترقى بها الى أعلى درجات النعم ، وتدخلها فى نطاق ما جاء فى القرآن الكريم من تذكر بنعمة الله فى مثل آيات :

« واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة »

« واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به »

« اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم »

« اذكروا نعمة الله اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها »

كما يحف بنعمة الله فيما الف من القلوب ، جلال استعمالها القرآنى فى اكمال الدين وفى النبوة :

« اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى »

« واما بنعمة ربك فحدث »

« ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك »

وتتجلى لنا قيمة هذه النعمة الالهية بتألف القلوب بعد تفرق ، والاخاء بعد عداوة ، حين نتابع الاية الكريمة :

« وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

والشفا في العربية : حرف كل شيء .

ولم يرد هذا اللفظ في القرآن الكريم كله غير مرتين :

اولاهما ، **آية آل عمران** — هذه التي ندرسها اليوم — وهي ثالث سورة نزلت بالمدينة .

والاخرى ، **اية التوبة** ، وقد نزلت في اواخر العهد المدني ، قبل سورة النصر ، آخر ما نزل من القرآن الكريم .

ونص آية التوبة :

« افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ، والله لايهدى القوم الظالمين »

وكلتا الايتين تذكر بالاخرى ، وتلقى عليها ايحاءها المثير .

والتعبير من موقف المسلمين في تفرقهم واختلافهم ، بانه الموقف **« على شفا حفرة من النار »** يتلقى كذلك ايحاءه البياني ، من الاستعمال القرآني للفظ النار ، حيث يغلب مجيئها فيه علما على الجحيم ، واسما من اسمائها ، او وصفا لهول العذاب فيها . فلقد ورد اللفظ في القرآن فيما احصيت ، مائة وخمسا وخمسين مرة منها **مائة وثلاثون** مرة لنار الاخرة . وهذا بلا ريب ، مما يثير باللفظ ايحاء الرعب والهول . ثم ان القرآن في المواضع القليلة التي استعمل فيها لفظ النار **استعمالا مجازيا** ، لغير نار الاخرة او النار المعهودة لنا في الدنيا ، قد جاء بها في سياق قريب من ذلك الايحاء الرهيب في مثل آيات :

المائدة ٦٤ : **« وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا .. والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ، ويسعون في الارض فسادا ، والله لايحب المفسدين »**

البقرة ١٧٤ : **« ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا ، اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار »**

النساء ١٠ : **« ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا »**

وباستقراء هذا الاستعمال القرآني للفظ النار ، يتجسم لنا الخطر الماحق الذي ارتقى القوم على شفا حفرة من نار ، فانقذهم الله منها ، حين الف بين قلوبهم فاصبحوا بنعمته اخوانا ...

وامام هذا البيان المعجز ، تتضاءل اقلامنا وتقصر طاقتنا ، وتخشع بشريتنا مبهورة بالاية منه تتلى من وحي الساعة ، وكل ساعة ، فندرك سرا من اسرار خلود القرآن : معجزة نبي امي ، بعثه الله في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » .

وآية بشر رسول ، قد خلت من قبله الرسل ، وبقيت الاية الكبرى خالدة ، لاينال منها كر الغداة ومر العشى ، ولا يتعطل سرها الباهر ، على مر الحقب والدهور !

التاريخ : ٣١ / ١ / ١٩٦٤

الانسان ومسئوليته الاجتماعية

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

والعصر . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

قرآن كريم

في مجلس لنا بجامعة الجزائر ، في شهر أغسطس الماضي ، سألني عدد من الشبان المطلعين على حديث النظم الاجتماعية :

.. كيف يمكن أن نلقى مثل أصحاب ماركس ولينين ، بما نقرأ عن اشتراكية الاسلام ، بأن من مبادىء هذه الاشتراكية في ديننا ، ان يعير الجار اناءه لجاره ، وأن يشترك في صلاة الجنازة ، وأن يستوى الناس في الكلأ

قلت : ولم لا نلقاهم مثلا ، بما لا تعرف الانسانية في كل ما استحدثت من نظم وشرائع ، من تقرير الاسلام لمسئولية الانسان الاجتماعية على وجه الحسم والالزام ، وعده التخلى عنها خطيئة واثما وتكذيبا بالدين ؟.

ومن يومها وانا مشغولة بهذا الموضوع فيما أتناول من تفسير بيانى للقرآن الكريم . واحاول هنا أن أقدم منه خلاصة موجزة لتفسير سورة العصر ، يحتملها هنا المجال المحدود .

((والعصر))

والسورة من أوائل السور المكية ، وتبدأ بواو القسم . وعند المفسرين واللغويين انها لتعظيم المقسم به ، ومن ثم اتجهوا الى بيان وجه العظمة فى « العصر » على اختلاف الاقوال فى تفسير هذا اللفظ .

والدلالات المعجمية للعصر عديدة ، يمكن ان نردها الى معنيين :

اولهما : **العصر بمعنى الضغط** ، ومنه استخلاص عصير الفاكهة . والمعاصر احجار ثلاثة كانت تستخدم فى عصر العنب ونحوه . وقريب منه استعماله اللغوى فى المطر ، ومنه سميت السحب المطرة معصرات ، والآخر : **معنى الزمن** ، فالعصر الدهر ، أو الوقت المعروف من اصيل النهار الى احمرار الشمس .

وجمهرة المفسرين على أن العصر - فى هذه السورة - بمعناه الزمنى . فهو اما الدهر ، ووجه العظمة فيه « مافى مروره من اصناف العجائب » .

واما الوقت المعين من النهار ، ووجه العظمة فيه انه « الوقت الذى تجب فيه الصلاة الوسطى ، والتكليف بأدائها أشق ، لتهافت الناس فى تجارتهم ومكاسبهم آخر النهار » - كما قال الزمخشرى فى « الكشاف » ونقله عنه ابو حيان فى « البحر المحيط » وهذا فى راينا اقرب من تأويل الامام الشيخ محمد عبده حيث قال فى تفسيره لسورة العصر : « وكان من عادة العرب أن يجتمعوا وقت العصر ويتحادثوا ويتذاكروا فى شئونهم . وقد يكون فى حديثهم مالا يليق او مايؤذى به بعضهم بعضا ، فيتوهم الناس أن الوقت مذموم ، فأقسم الله به لينبهك الى ان الزمان فى نفسه ليس مايذم ويسب .. وانما قد يذم مايقع فيه من الافاعيل المقوتة » .

وما نعلم ان وقت العصر ، فى المألوف والعادة ، وقت اجتماع الناس وتذاكرهم وتحادثهم ، بل لعل وقت المساء اولى بهذا . ثم ان احتمال التحدث بما لايليق او بما يؤذى ، لايمكن فى تصورنا أن يختص به الحديث وقت العصر دون غيره من الاوقات ، اذ هو مما يحتمل وقوعه فى اى وقت من نهار او ليل ..

ونحتكم الى القرآن الكريم ، فنراه لايستعمل العصر اطلاقا بهذه الدلالة على الوقت المعين من النهار . بل انه حين ذكر الصلاة المفروضة فى هذا الوقت ، سماها « الصلاة الوسطى » لوقوعها وسطا بين صلاتى الصبح والظهر ، وصلاتى المغرب والعشاء .

واستعمل القرآن العصر بدلالته الحسية المألوفة فى آية يوسف : « انى أرانى أعصر خمرا » كما استعمل المعصرات للسحب المطرة فى آية النبأ : « **وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا . لنخرج به حبا ونباتا . وجنات الفافا** »

وكلا الاستعمالين من أصيل استعمالات المادة فى العربية .

والذى نطمئن اليه فى تفسير العصر هنا ، انه الدهر بعامة . ودلالة العموم تأتيه من سياق الآية التالية ، حيث « الانسان » فيها لعموم الجنس ، لا لفرد معهود منه .

ثم لا نتكلف وجها لبيان عظمة « العصر » فليس فيه هنا الا قوة اللفت بهذا الاسلوب البيانى ، الى « العصر » بما يبلو الانسان ويتقلب به ، وبما تمتحن فيه طاقته على احتمال مسئوليته ، تمهيدا للآيات التالية ، وفيها بيان لابتلاء الانسان فى هذه الحياة الدنيا .

« ان الانسان لفى خسر »

والانسان هنا ، كما اشرت آنفا ، مقصود به عموم الجنس . والقرآن الكريم يفرق بين **الانسان والبشر** ، تفرقة واضحة حاسمة . فمناط الانسانية فيه ، معنوية ذلك الكائن المدرك ، المكلف باحتمال مسئولية انسانيته . يطرد ذلك دون استثناء ، فى كل المواضع التى ورد فيها اللفظ بالنص القرآنى وعددها ٦٥ موضعا :

« **الرحمن . خلق الانسان . علمه البيان** » .

« علم الانسان مالم يعلم » .

« **انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا** »

« لقد خلقنا الانسان فى كبد . ايحسب

التاريخ : ٣١ / ١ / ١٩٦٤

ان لن يقدر عليه احد » .
« أن الانسان ليطغى . أن رآه استغنى » .
« قتل الانسان ما اكفره » .
« أيحسب الانسان أن يترك سدى »
« بل الانسان على نفسه بصيرة » .
« يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى . يقول ياليتنى قدمت لحياتى »
« ووصينا الانسان بوالديه » .
« انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا .

وللراغب الاصفهانى – فى مفردات القران – ملحظ دقيق فى اشتقاق لفظ الانسان ، اذ يربطه باجتماعيته التى تجعله يأنس الى الجماعة . وهوملحظ يقبله حس العربية بلا ريب ، وان كان استقراء الاستعمال القرآنى يلفتنا كذلك الى مايخص به « الانسان » من دلالة على اهليته لاحتمال التكليف والمسئولية، وبها يفترق افراد الانسان، وان التقوا جميعا وتماثلوا فى بشريتهم المادية التى ياكلون بها الطعام ويمشون فى الاسواق .

والخسر فى العربية : الغبن . استعملته فى التجارة ، ومنه جاء استعماله فى الجور والنقص ثم فى الهلاك . واندرج الهلاك – بالنسبة الى الانسان – الضلال عن الحق . وهذا هو المعنى الغالب فى استعمال القرآن لمادة خسر . اذ وردت فى نحو ٦٤ موضعا ، منها ٦٢ مرة فى الكفر والشرك والهلاك عن ضلال . والمرتان الباقيتان فى نقص الميزان . بآيتى المطففين والرحمن .

وجاءت صيغة « خسر » مرتين فى القرآن : آية الطلاق : « وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا . فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا » .

والخسر فيها هلاك ماحق عن ضلال وعتو . ومثله الخسر فى آية العصر ، للانسان يبتلى بالزمن ليطغيه الغرور ويغفل عن الحق ويخون الامانة التى حملها .

« الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات »

الايمان نقيض الكفر . والصالحات نقيض السيئات . او الصلاح ضد الفساد بعامة . واللافت هنا اقتران العمل الصالح بصريح لفظ الايمان . وهو ملحظ يتكرر فى النص القرآنى نحو سبعين مرة . كما جاء العمل الصالح معطوفا عليه النهى عن الاشراك بالله فى الآية الاخيرة من سورة الكهف :

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا » .

وجاء العمل الصالح مقابلا للكفر فى آية الروم :

« من كفر فعليه كفره ، ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون » .

ويأتى الخبر فى القرآن الكريم عن « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » – وقليل ماهم – بانهم :

خير البرية . اصحاب الجنة . طوبى لهم وحسن مآب . لهم حياة طيبة ، ومغفرة ورزق كريم ، واجر عظيم ، واجر غير ممنون ، وجزاء الحسنى . لاخوف عليهم ولا هم يحزنون . سيجعل الرحمن لهم ودا . ليكفرن عنهم سيئاتهم . سيخلفنهم فى الارض . فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله . لهم الدرجات العلى .

فعمل الصالحات فى القرآن الكريم قرين الايمان . وبهما تتحدد مسئولية الانسان الفردية، وعليه بعدها ان يحتمل مسئوليته الاجتماعية المنصوص عليها فى الآية :

« وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »

.. الحق هنا نقيض الباطل ، وقد ورد بهذا المعنى فى القرآن خمس عشرة مرة والعربية استعملت المادة حسيا فى : الطعنة المحققة لازيغ فيها ، والمحقق من الثياب المحكم النسج . واستعملتها معنويا فى : الصدق ، والعدل ، وواجد الحقوق . وهى دلالات متقاربة ، يضيف اليها القرآن الكريم ، استعماله الخاص للحق بمعنى الوحى او متعلقا به فى اكثر

من سبعين موضعا . كما استعمله اسما من أسماء الله او صفة من صفاته تعالى اكثر من عشر مرات ، ووصف به وعده الحق ، وقوله الحق . وذلك كله مما يضفى على كلمة الحق مهابة ، ويؤكد حرمتها فى تواصى المؤمنين بالحق .

والتواصى : أن يوصى بعضهم بعضا.

جاءت هذه الصيغة فى القرآن خمس مرات ، احداها آية الذاريات فى سياق التعجب والانكار لموقف الاقوام من رسل الله :

((كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون . اتواصوا به ؟ بل هم قوم طاغون)) .

والمرات الاربع الباقيات ، فى مسئولية الانسان نحو الجماعة :

آية البلد : ((لقد خلقنا الانسان فى كبد .... فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة . فك رقبة . او اطعام فى يوم ذى مسغبة . يتيما ذا مقربة . او مسكينا ذا متربة . ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة)) .

وآية العصر : ((وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)) .

ولم يصرح القرآن هنا بمتعلق الصبر الذى يتواصى به من آمنوا وعملوا الصالحات . وباستقراء مواضع الصبر فى النص القرآنى ، نجد الامر بالصبر موجها الى الرسول فى ١٩ موضعا ، يتعلق الصبر فى اكثرها بما يحتمل الرسول من اعباء تبليغ رسالته ، وما يلقى من تكذيب واذى بالقول او بالفعل

وجاء الصبر فى القرآن الكريم ، مسندا الى أولى العزم من الرسل (الاحقاف) ورسل من قبلك (الانعام) وائمة يهدون بأمرنا (الانعام) والمؤمنين، والفائزين برضى الله وثواب الآخرة ، كما جاء فى سياق النذير للمشركين فى آيتى (ابراهيم ١٢١ ، والطور ١٦) .

ومما يتعلق به الصبر فى القرآن الكريم :

الابتلاء : ((ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، وبشر الصابرين)) .

المصاب : ((.. والصابرين على ما اصابهم ، والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)) .

وفى الباساء والضراء : ((ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر .... والصابرين فى الباساء والضراء وحين البأس)) .

وفى الجهاد ولقاء العدو ــ وهو اكثر مايتعلق به صبر المؤمنين ، ومنه الآيات:

((يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)) .

((يا أيها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون. واطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين)) .

((كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)) .

((وان تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئا)) .

((ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ، ثم جاهدوا وصبروا)) .

((ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين)) .

وعدم ذكر متعلق الصبر فى آية العصر ، يعطيه دلالة التعميم فى حدود ماجاء فى القرآن الكريم من متعلقات الصبر على الابتلاء ، وحين البأس والشدة ، وفى الجهاد ولقاء العدو، وعلى مايفترى المبطلون ...

ويبقى بعد ذلك أن نقف عند هذه المسئولية الاجتماعية التى يفرضها القرآن على ((الانسان)) . فبعد ان حدد مسئوليته الفردية بالايمان وعمل الصالحات ، الزمه بواجبه نحو الجماعة فى التواصى بالحق والتواصى بالصبر .

وموقف القرآن الكريم من هذه المسئولية صريح واضح ، يقطع برفض السلبية التى يتصور فيها ((الانسان)) انه يكفى لنجاته من الخسر ان يؤمن بالله ويعمل صالحا ، دون أن يقضى حق

الجماعة في التواصي بالحق والتواصي بالصبر على احتمال أعباء انسانيته وتكاليفها .

وهذه المسئولية تتقرر بصورة حاسمة في آية العصر ، وفي آيات أخرى كثيرة منها :

« ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة » .

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

« يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين » .

« الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » .

والقرآن الكريم لايكتفي بتقرير هذه المسئولية الاجتماعية المفروضة على « الانسان » بل يلعن كذلك الذين تخلوا عنها او أخلوا بها :

« لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ماكانوا يفعلون » .

« المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ، نسوا الله فنسيهم »

كما يعد النكوص عن هذه المسئولية تكذيبا بالدين ، بصريح الآية :

« أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين »

ومعها آية الفجر :

« كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين . وتأكلون التراث أكلا لما . وتحبون المال حبا جما »

صدق الله العظيم

التاريخ : ٧ / ٢ / ١٩٦٤

من البيان المعجز

قل إنما أنا بشر مثلكم

"قُلْ إنّما أنا بَشَرٌ مثلكم يُوحَى إلى أنّما إلهكم إلهٌ واحد" قرآن كريم

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

فيما قدمت هنا منذ اسبوع ، من موجز للتفسير البيانى لسورة العصر ، حديث عن المسئولية الاجتماعية للانسان رجوت ان نلقى بها استحداث النظم الحديثة ، ليروا فيها الى اى مدى تقررت هذه المسئولية فى شريعتنا ، وعد التخلى عنها خطيئة واثما وتكذيبا بالدين ..

واليوم أتابع الحديث — فى ضوء ما اشتغل به من التفسير البيانى للقرآن — عن قيم انسانية عليا ، هدى اليها كتاب الاسلام منذ نحو اربعة عشر قرنا من الزمان ، ومازال حتى اليوم ، وعد بعده ، مناط اعتزاز البشرية ورجالها ، فى تطلعها الدائب الى عالم المثل ..

ويمسك موضوع الحديث ، بتنزيه الرسل الذين اصطفاهم الله للرسالات الكبرى وخاتمهم محمد بن عبد الله الذى تلقى من وحى ربه :

« قل إنما إنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا . »

وقالها محمد فى تواضع ..

وتلاها من بعده ملايين البشر على مر الدهور ، ممن آمنوا برسالته :

آية من كتاب دينهم يتعبدون بها ، وعقيدة اسلامية تخطو بالبشرية على مدارج التطور ، وتمنحها من العزة والتكريم ماتقاوم به اى امتهان لها او عدوان على كرامتها ..

والاية مكية ، من سورة الكهف

وقبلها نزلت آية الاسراء :

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا . او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتى بالله والملائكة قبيلا . او يكون لك بيت من زخرف او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا . »

واية فصلت :

« قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه ، وويل للمشركين . »

ثم تتابعت آيات الوحى بمثل هذا الاصرار على بشرية الرسل جميعا :

« قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله » — ابرهيم

« ماكان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله » — آل عمران

فما هذه البشرية التى يقررها القران الكريم فى نبى الاسلام ، وفى كل الرسل والانبياء ؟

حين نتتبع الاستعمال القرآنى للفظ «بشر» نجده ورد فى ستة وثلاثين موضعا منها ثلاثة وعشرون فى بشرية الرسل وثلاثة فى بشرية آدم ، الذى امر الله الملائكة ان يسجدوا له ..

وورد لفظ « بشرين » بصيغة المثنى فى آية المؤمنين (٤٧) والمقصود بهما موسى وهرون ..

واللافت هنا ان القرآن الكريم لم يستعمل قط لفظ « الانسان » فى سياق الحديث عن بشرية الرسل ، وكنت قد اشرت فى تفسيرى لسورة العصر ، الى الملحظ القرآنى فى «الانسان» حيث مناط انسانيته ، فى كل مواضع استعماله فى القرآن ، معنويته التى تحتمل أمانة الانسانية وأهليتها للمسئولية والتكليف، على حين يستعمل البشرية بدلالتها المادية الجسدية التى يستوى فيها الناس جميعا . وهو يوضح مناط هذه البشرية التى يقررها فى الرسل جميعا ، على وجه المماثلة لكل البشر :

فهم ياكلون الطعام : (آيات الفرقان ٨ ، ٢٠ — الانبياء ٨ ، المائدة ٧٥)

ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون (٢٢ المؤمنون) .

وهم يمشون فى الاسواق : (الفرقان ٧ ، ٢٠)

وهم يموتون ككل البشر ، وليس فيهم من يخلد جسدا :

« وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون . وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وماكانوا خالدين »

« وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، افئن مت فهم الخالدون » — الانبياء

« ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة ، كانا ياكلان الطعام » — المائدة

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افئن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم » .

وبمثل هذه التفرقة الحاسمة بين البشرية والانسانية ، يستوى الناس جميعا بما هم « بشر » ويتفاوتون بما هم « انسان »

ولقد كانت هذه البشرية فى الرسل هى التى فتنت الناس فى القرون الخالية فأنكروا ان يكون نبى بشرا :

« وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا » — الاسراء

وما من رسول ابلغ رسالته ، الا كانت بشريته موضع الارتياب فى نبوته والجدل فى اصطفائه :

« ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون . فقال الملا الذين كفروا من قومه ماهذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين » — ابرهيم

« ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين . فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون . وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم فى الحياة الدنيا ماهذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون . ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذن لخاسرون » — المؤمنون

« ماياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون . لاهيةقلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم » — الانبياء

« كذبت ثمود بالنذر . فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذنلفيضلالوسعر. االقى عليه الذكر من بيننا بل هو كذاب اشر » — القمر

« الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعادوثمود والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله ، جاءتهم رسلهم بالبينات ...... قالوا انانتم الا بشرمثلنا » — ابراهيم.

« واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون .... قالوا ما انتم الا بشر مثلنا » — المؤمنون .

ثم ارسلنا موسىواخاه هرون باياتنا وسلطان ......فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون »

اجل كانت بشرية الرسل فتنة الناس من قديم الزمان ، فما صدقوا أن يكون بشر مثلهم رسولا ، وهم الذين تعودوا ان يروا فى ابطالهم وملوكهم وحكامهم عنصرا الهيا يجعلهم فوق البشرية . وجاء القرآن الكريم ليحسم هذه الفتنة ، ويعلن

ان البشرية قد آن لها ان تبلغ رشدها وتتحرر من عبادة الابطال الذين كانوا فى تصورها على غرار الالهة .

واصطفى الله نبى الاسلام بشرا سويا ابن امراة من قريش تاكل القديد . وقد ولد يتيما وشب فقيرا وتزوج وولد قبل ان يبعث بالرسالة . ثم كانت معجزته كتابا فيه هذا الاصرار على تقرير بشريته وبشرية الرسل من قبله ، وتاكدت هذه البشرية — مطلبا — بما امتحن الله به الرسول المصطفى بعد مبعثه ، من ابتلاء بالاضطهاد ، وموت الزوجة والعم والهجرة وتجربة الهزيمة فى احد ومحنة الثكل المتتابع ، ومحنة الافك فى زوجته الحبيبة عائشة ، وتمرة الموقف فى الحديبية . كل ذلك لكيلا يفتتن به اصحابه فينسوا انه بشر مثلهم ، اوحى اليه انما الهنا اله واحد ..

((قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ، ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون)) .

وكان القرآن بهذا الاصرار على تقرير بشرية نبى الاسلام ، والرسل من قبله ، يقاوم بقايا ميراث نفسى تلقته البشرية من « عصر عبادة الابطال » ويخلصها من محنة الصراع المرير الذى كابدته من الخلاف المذهبى على طبيعة المسيح بن مريم عليه السلام

وكان المسلمون بحيث يقعون فى مثل هذه الفتنة لولا ان عصمهم القرآن الكريم منها . وفى الخبر ان ((عمر بن الخطاب)) انكر قول من قالوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات ، وهم بهم «عمر» فى سورة غضبه ، لو لم يتل عليه ((ابو بكر الصديق)) آية آل عمران :

((وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افئن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين))

وبلفتنا كذلك من الملاحظ البيانية فى النص ، هذا التعبير بالمثل فى اية الكهف :

« قل انما انا بشر مثلكم »

والقرآن الكريم يؤكد هذه المماثلة ، فى بشرية الرسل وبشرية الناس ، ثلاث عشرة مرة ، اما على لسان الرسل انفسهم واما على لسان من يجحدون نبوتهم لكونهم بشرا مثلهم .

واستعمل القرآن المماثلة كذلك فى : جزاء سيئة سيئة مثلها : (الانعام ١٦٠ ، يونس ٢٧ غافر ٤٠ ، الشورى ٤٠)

وفى العدوان يقابل بمثله : (البقرة ١٩٤ ، الحج ٦٠)

وفى تحديد أنصبة الوارثين ، للذكر مثل حظ الانثيين : (النساء ١١ ، ١٧٦)

وفى تكافؤ الحقوق والواجبات : (البقرة ٢٢٨)

وفى العبرة بمثل يوم الاحزاب (غافر ٣٠)

والنذير بمثل صاعقة عاد وثمود : فصلت ١٣)

ونفى ان يكون كمثله — تعالى — شىء (الشورى ١١)

وفى اعجاز القرآن ، ان يستطاع الاتيان بمثله : (الاسراء ٨٨ — يونس ٣٨ هود ١٣)

وفى كل هذا يستعمل القرآن الكريم صريح « المماثلة » بدلالتها الدقيقة التى تخطئها بعض معاجمنا اللغوية حين تفسر المثل بالشبه — كما فى القاموس — ولا يخطئها من يلتمس فى القرآن ذوق العربية الاصيل المصفى ، وحسها البيانى المرهف وفى ((مفردات القرآن)) اوضح ((الراغب الاصبهانى)) فروق الدلالات بين المثل وبين الالفاظ الاخرى الموضوعة للمشابهة كالند والشبه والمساوى والشكل : فالند يقال فيما يشارك فى الجوهر فقط ، والشبه يقال فيما يشارك فى الكيفية فقط ، والمساوى فيما يشارك فى الكمية ، والشكل فيما يشارك فى القدر والمساحة ، والمثل عام فى ذلك كله ، يعنى مشاركة المثلين فى الجوهر والكيفية والكمية والقدر والمساحة .

والقرآن يفرق تماما بين هذه المماثلة وبين المشابهة التى قد تجىء فى سياق التشابه كما فى آيات : (البقرة ٢٥ ، ١١٨ — الانعام ٩٩ ، ١٤١ — الزمر ٢٣)

كما قد تجىء فى سياق الاشتباه بدلالته على التخييل او الالتباس :

« ان البقر تشابه علينا — وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم — منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله »

وهذا الحس القرآنى يدقق دلالاته ، يؤكد بالمماثلة التى هى فى الاصل اللغوى من الشخوص والمثول ، مالاتؤكده المشابهة بما تحتمل من دلالة الاشتباه عن ظن وتخييل او عن وهم والتباس . مقررا بذلك ان بشرية الرسل مثل بشرية الناس جميعا . لايفترقون عنهم فيما هو من خواص البشرية واعراضها وانما اصطفاهم الله رسل هدى ودعاة توحيد ، لتحرير البشرية من مهانة العبودية لغير الله وضلال الشرك به :

« ماكان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله »

وكانت رسالة الاسلام ايذانا حاسما بتطور البشرية من عصر عبادة الابطال ، الى عصر الانسان الجدير باحتمال تبعات انسانيته وحرمة بشريته .

التاريخ : ٢١ / ٢ / ١٩٦٤

١ في مؤتمر المستشرقين

شرق وغرب

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

عام ١٩٥٧ ، كانت الدورة الرابعة والعشرون لمؤتمر المستشرقين في ميونيخ .

والتقينا في بهو الجامعة ، جمعا عجيبا مختلط الالوان والازياء ، متفاوت السمات والملامح ، متعدد الالسن واللهجات ..

يومها تنبهت لاول مرة ، الى ان المؤتمر عقد كل دوراته السابقات في بلاد اوروبية .

مرة واحدة ، عقد دورته في تركيا ، وتركيا قد انسلخت من الشرق وازدهاها الانتماء الى اوروبا ..

وخطر لى ان اسال لجنة تنظيم المؤتمر ، ان تفسر مابدا لى من شذوذ الموقف : فاختصاص المؤتمر بالدراسات الشرقية ، يجعل الشرق هو المكان الطبيعي لانعقاده . كما ان الصفة العلمية لمثل هذا المؤتمر الدولي العريق ، جديرة بان تعصمه من جموح التعصب لغرب على شرق .

وقيل لى ببساطة :

ليس الامر كما تتصورين ، فمفهوم الاستشراق هو تخصص علماء غربيين في الدراسات الشرقية على اختلاف فروعها ، وفكرة انعقاده ، اتجهت اصلا الى اجتماع هؤلاء المستشرقين لتبادل

ولم تشترك الصين الشعبية فى المؤتمر ولم تشترك فيه باكستان ..

وفى هذه الدورة ، تقرر عقد الدورة التالية بعد ثلاث سنوات ، فى الولايات المتحدة الامريكية .

دون أن تقحم السياسة باثارة احتمال عدم اشتراك الدول العربية فيه مثلا او فرنسا او الصين الشعبية او الاتحاد السوفييتى ! !

والجو السياسى مشحون بنذر مرهصة بمثل هذا الاحتمال ! .

فلماذا ساغ اقحام اسرائيل فى جو المؤتمر ، وليست القضية بينها وبين العرب قضية سياسية ، بقدر ما هى قضية ارض عربية مغتصبة بالتآمر والغدر؟

الجواب عند من حملوا اثم هـذا الاقحام ، متاثرين بخدعة مكشوفة ، ومحصورين فى افق ضيق ، لايقدر التبعة ولايحسب حسابا لما وراء هذا الاقحام من دلالات وعواقب خطرة ..

وعلى كل حال ، لم يكن غياب الصين وباكستان عن المؤتمر مفاجاة لى ، فقد توقعت — كما قلت — ان يحدث مثل هذا فى اى مؤتمر دولى يعقد باى بلد من بلاد الدنيا .

لكن الذى لم اترقبه ، ان اجد بين رؤساء اللجان العشر للمؤتمر ، علماء من غير الهنود ، ولم اكن اسمت كلمة « غفوروف » :

قسم الدراسات المصرية ، برئاسة استاذنا « الدكتور عبد المنعم ابو بكر »

قسم الدراسات الاسلامية برئاسة « الاستاذ ولفريد سميث » .

قسم دراسات جنوب آسيا ، برئاسة « الدكتور فولكنشتاين » .

قسم الدراسات الايرانية ، برئاسة « الاستاذ بور داوود » .

قسم دراسات جنوب آسيا برئاسة « الاستاذ زوينمولر » .

قسم الدراسات الافريقية ، برئاسة « الاستاذ بيشى » .

ولما سالت « غفوروف » عن رايه فى هذا بعد ان قال فينا ماقال ، راغ من الجواب .!

وماذا كان فى استطاعته ان يقول ؟

ان اى دولة لايضيرها اطلاقا ، ان تدعو عالما متخصصا فى شعبة ما من شعب المؤتمر ، ليراس اللجنة الخاصة بهذه الشعبة ..

ودولية المؤتمر ترتفع به عن هذه النظرة المحدودة ، الى الافق الرحب الذى تتآزر فيه جهود العلماء على اختلاف اقطارهم واجناسهم ، لخدمة البحث العلمى الذى تتماحى فيه هذه الفوارق ..

والهند قد ضربت المثل الصالح ، على التسامى بالمؤتمر الى افقه العالى حين دعت علماء غير هنود ، ليراسوا لجان مؤتمر يعقد فى ارضها .

دون ان تجد فى هذا المسلك ، مايمس قدر رجالها او يجرح سمعتها العلمية

ولقد كان رئيس دورة موسكو ، يباهى بان رؤساء اللجان العشر للمؤتمر من الوفد السوفييتى ..

وارى « الهند » قدمت بمسلكها درسا جديرا بشرقنا العريق ، وشهادة بمدى مابلغته من سعة الافق ونضج الشخصية ووعى للمسئولية تحميها من غرور الادعاء وسذاجة التعصب ، ويؤكد اصالة الروح العلمية فيها ، ميراثا عتيدا راسخا تلقته من ماضى تاريخها الحضارى .

الرأى فى الجديد من بحوث الاستشراق فكان من الطبيعى ان يعقد فى اى بلد اوروبى ، له نشاط فى هذا الميدان ، دون الغفلة عن اهمية اشتراك علماء الشرق ممن لهم تخصص فى الدراسات التى تهم المستشرقين .

قلت بصراحة :

ذلك لاينفى شذوذ الوضع ، بل لعله يؤكده : اذ يجعلنا نحن الشرقيين الاصلاء اشبه بضيوف مدعوين ، كما انه لايجيب عن السؤال : مادامت اعمال المؤتمر خاصة بالشرق فلماذا لايجتمع المستشرقون فى بلد شرقى ؟

وكان الجواب :

وجهوا الدعوة الى عقده فى بلدكم ان شئتم ، ولن نتردد فى عرضها على اعضاء المؤتمر ، فى جلسته العامة بعد يومين ..

واسرعت الى الزملاء المصريين — وكان عددنا سبعة اعضاء — اتشاورهم فى

التاريخ : ٢٨ / ٢ / ١٩٦٤

٢ في مؤتمر المستشرقين

نحن ... وهم !

من بين الف واربعمائة عضو ،يمثلون تسعا واربعين دولة من شتى انحاء الدنيا ، كان هنـــاك تسعـــة اعضـــاء يمثلون الوطن العربى بمختلف اقطاره :

عضوان من العراق ، ومثلهما من تونس ، وواحد من لبنان .

واربعة من مصر: احدهم مدعو بصفته الشخصية ، والثانى موفد من الجامعة العربية ، وعضوان يمثلان جامعة عين شمس .

وبحسبة بسيطة ، تقسم عدد الاعضـــاء على الدول الممثلة فى المؤتمر ، فيكون المعدل المتوسط لكل دولة نحو ثلاثين عضوا !

والوطن العربى ، من الخليج الى المحيط ، ليس له الا تسعة اعضاء فقط لا غير ...

اى بنسبة عددية، اقل من ثلث ما يخص دولة واحدة فى المتوسط !

وهذا وحده يكفى لتحديد الحيز الذى قررنا باختيارنا ، ان نشغله هنـــاك ، وبيـــان الموضع الذى حددناه لانفسنـــا ، فى مؤتمـــر دولى خطير ، يتغلغـــل فى صميم وجـــودنا ، وينبش عن عميـــق جـــذورنا ، ويـــكتشف ملامـــح شخصيتنا عبر التاريخ الطويل .

> أنامُ مِلْءَ جفوني عن شواردِها
> ويسهرُ الخَلْقُ جرّاها ويختصمُ !
> المتنبى .

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

وهو ايضا يكفى لتعرف به الدنيا جواب السؤال الذى كان يملأ جو المؤتمر ، ولو لم ينطق به لسان :

اين نحن ، واين هم ؟

اين نحن من حقيقة ذاتنا ومجلى وجودنا، وماضى سيرنا على درب الزمن ؟

واين هم ، من صميم الشرق ، واسرار مزاجه وعقليته ، وجوهر شخصيته ؟

بل اين نحن ، مما يقولون عنا ، ومما يذيعون من مطوى تاريخنا وينشرون من تراثنا ويحفرون عن آثارنا ، ومما يرسمون لنا من صور ، بعضها صحيح أعوزته الاصالة والمشاركة الفكرية والوجدانية ، واكثرها زائف عبث به الهوى والتعصب ، او مسخه سوء الفهم وقصور الادراك وخطأ التقدير ؟!

لاشيء من هذا عندنا بذي بال !

وبدور الصراع هنساك حول اخطر القضايا التي تتصل بوجودنا ، وتحتدم المناقشة حول الفكر الإسلامي ، والعقلية الشرقية ، والمزاج النفسي الذي تمثله آثارنا المادية وتراثنا الروحي والفكري والادبي ، وما حملته الاجيال المتعاقبة من ميراث هذا كله الى جيلنا المعاصر ..

يدور الصراع وتحتدم المناقشة ، وقومي بمعزل عنهما لا يعنيهم الامر في كثير او قليل ، ولسان حالهم ينطق ببيت لشاعرهم « المتنبي » قاله قبل الف عام :

انام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم

فليقل المستشرقون فينا ماشاءوا ..

ولتسهر الدنيا مشغولة بنا ، في نيودلهي او موسكو او ميونخ ، في تركيا او امريكا ..

وليختصم فينا الخلق من شتى الشعوب والاجناس ، ومن مختلف الملل والمذاهب ..

ولننم نحن ملء الجفون !

تمثلا بقولة شاعر ينفث سحره في اجيال متتابعة منا ، ويترك طابعه في ذوقها واثره في وجدانها !

واعجب العجب ، اننا ندرك هذا الاثر ونعترف به ، ونجحد مع ذلك كل ميراث الماضي فينا متأثرين بمفهوم خاطيء للعصرية يروجه فينا من يزعمون انها انفصال بات عن ماضينا ، وانبتار حاسم من اصولنا ، واقامة سد اصم بيننا وبين قديمنا الذي يتغلغل في اعماقنا ، رضينا او كرهنا ، ويترك فينا طابعه المميز لاصالتنا : به نفترق عن شعوب اخرى تعاصرنا ، وليست لها شخصيتنا التي تكونت على تعاقب الدهور وتتابع الاجيال !!

اجل ، نجحد كل ميراث الماضي فينا . فندع للاجانب ان يشغلوا به ويكشفوا عنه ، حتى اذا ما حاول منا ان يشارك في شيء من هذا ، بنشر نص من تراثنا او بحث في قديم العربية والاسلام اخذته الصيحات من كل جانب ، تنفي انتماءه الى عصرنا ، وتنكر عليه ان يعوق دفع التطور بالاشتغال بماض ولى وراح .

ونسألون : ماذا قالوا عنا في المؤتمر ؟

واجيب : لا ادرى !

فيما عدا الذي قيل في «قسم الدراسات الاسلامية » وهو لايعدو ان يكون احد اقسام عشرة للمؤتمر ..

فهل يدري سواي ، من الزملاء العرب ، شيئا مما دار في الاقسام التسعة الاخرى ؟

كلا .. ايضا !

فيما عدا قسم المصريات ، الذي كان برئاسة استاذنا ((الدكتور عبد المنعم ابو بكر))

اما بقية الزملاء ، فكانوا مثلي ، في قسم الدراسات الاسلامية . وحتى في هذا القسم ، كنا قلة بين اعضائه الذين قاربوا المائة عدا

وكان من الممكن ، أن نجتمع — نحن الاعضاء العرب — لتنسيق جهودنا ، لكنا وصلنا الى «نيودلهي» ليلة انعقاد المؤتمر بعد ان تم تسجيل كل منا في القسم الذي اختاره منفردا ، ودون أن يعرف ، على وجه التحديد ، أسماء زملائه ، واتجاههم ، وموضوع البحوث التي أعدوها للمؤتمر .

وذهبنا فرادى ، نمثل هيئات مختلفة ، او بالصفة الشخصية ، دون ان تتاح لنا فرصة لقاء او تفاهم او تعاون ، في مرحلة الاستعداد ..

لان الدولة لم تشترك في مؤتمر المستشرقين ، بوفد يمثلها على مستوى الجمهورية ..

وهو الوضع الذي ينسق الجهود الفردية ويوجهها، على النحو الذي شهدته في كل المؤتمرات التي اشتركنا فيها ونحن اعضاء وفد رسمي للجمهورية ، فلماذا هوم مؤتمر المستشرقين مثل هذه الصفة الرسمية ، وليس اقل اهمية وخطرا من باقي المؤتمرات ؟

سؤال ظل يشغل بالي ، وانا ارقب وفود الدول الاخرى متآزرة متفاهمة ، ينزل كل وفد منها في مكان واحد ، ويعقد بين حين وآخر جلسات خاصة ..

والاعضاء العرب ، كل منهم في حاله ، ولكل منهم برنامجه في الرحلة ، مستقلا عن بقية الزملاء ..

لانلتقي الا اللقاء العابر في قاعات قصر المؤتمر ، وفي حفلات الاستقبال ، وعلى موائد من تفضلوا بدعوتنا الى غداء او عشاء !

واخرى ، نتحدث عن وصولنا ليلة انعقاد المؤتمر ، بعد ان تم اعداد برامجه وتشكيل هيئات لجانه ، وتحديد الاعضاء الذين يشتركون في نشاطه العام ، خارج حدود اللجان !

دون ان تتاح لنا فرصة في هذا كله

بل دون ان تجازف لجنة تنظيم المؤتمر ، باختيار اي عضو منا في هيئات اللجان او الندوات الثقافية التي كانت جزءا جوهريا من برنامج المؤتمر ..

ذلك لانها لم تتلق منا ، حتى اللحظة الاخيرة ، ما الحت في طلبه من تحديد موعد وصولنا ، وتاكيد اشتراكنا الفعلي في المؤتمر ..

وتتابعت رسائلها الينا ، ونحن لانملك ان نجيب ، لان اجراءات سفرنا لم تتم الا في يوم السفر ذاته !

باستثناء الاستاذ الدكتور عبد المنعم ابو بكر ، الذي سافر قبل انعقاد المؤتمر بخمسة ايام ، واخذ مكانه عضوا في اللجنة الاستشارية للمؤتمر ، ورئيسا لقسم الدراسات المصرية !

ولم يكن بحيث يستطيع ان يرشح اي عضو مصري لعضوية اللجان او الاشتراك في الندوات ، وقد سافر ولا احد منا يدري ما اذا كان سيشترك فعلا في المؤتمر !

وكان في برنامج المؤتمر ندوتان :

احداهما : عن دور دراسات الاستشراق في الانسانيات ، برياسة الاستاذ همايون كبير ، رئيس الدورة

ولم يشترك فيها اى عضو عربي !

والاخرى : عن التعديلات الحديثة في تشريع الاحوال الشخصية للمسلمين ، برياسة الاستاذ شرى شاجلا

اشترك فيها عالمان اسلاميان من الهند وعضو من وفد ايران ، وآخر من تركيا ، والمستشرق اندرسون

وقدرت لجنة التنظيم ، اهمية اشتراك الجمهورية العربية في هذه الندوة ، فدعت سفيرنا ((السيد احمد حسن الفقي)) ليتحدث عن تشريع الاحوال الشخصية للمسلمين بمصر ..

وكان محض اتفاق ، ان يكون السيد السفير متصلا بهذا الموضوع الدقيق ، وعلى دراية به ، بحكم نشأته في بيت دين ، وقد كان ابوه من علماء الاسلام ، وكان خاله من علماء الازهر .. مما اتاح له ان يدرس تشريع الاحوال الشخصية ، في نصوصه المعدلة بقانون بعد قانون ..

ولولا هذا الاتفاق المحض ، لما كان من المستطاع ان تشترك مصر — بسفيرها — في الندوة .

ولتركنا المجال كله، للهند وايران وتركيا والمستشرق ((اندرسون))

وكان في برنامج المؤتمر ايضا ، اقامة معرض عام لنوادر المخطوطات ، والكتب المنشورة من تراث الشرق والاسلام ، والمؤلفات المتصلة ببحوث الاستشراق .

اشتركت فيه وفود وهيئات شتى ، من شرق وغرب ، ولم يشترك فيه اى قطر عربي ..

من الهند وحدها . اشتركت ثلاث (اكاديميات) وسبعة مراكز وهيئات ثقافية وخمس دور للنشر ..

ومن المانيا ، من الشمال الاوربي ، جاءت معروضات من ((فايزبادن ، وبرلين))

ومن اقصى الغرب الامريكي ، من الولايات المتحدة ، جاءت معروضات مركز البحوث اللغوية في ((واشنطون)) واتحاد الدراسات الاسيوية في ((ميتشيجان))

ونحن .. لسنا هناك !

ما من اثر في المعرض ، ادنى اثر ، يعلن عن وجود الشرق العربي في الميدان !

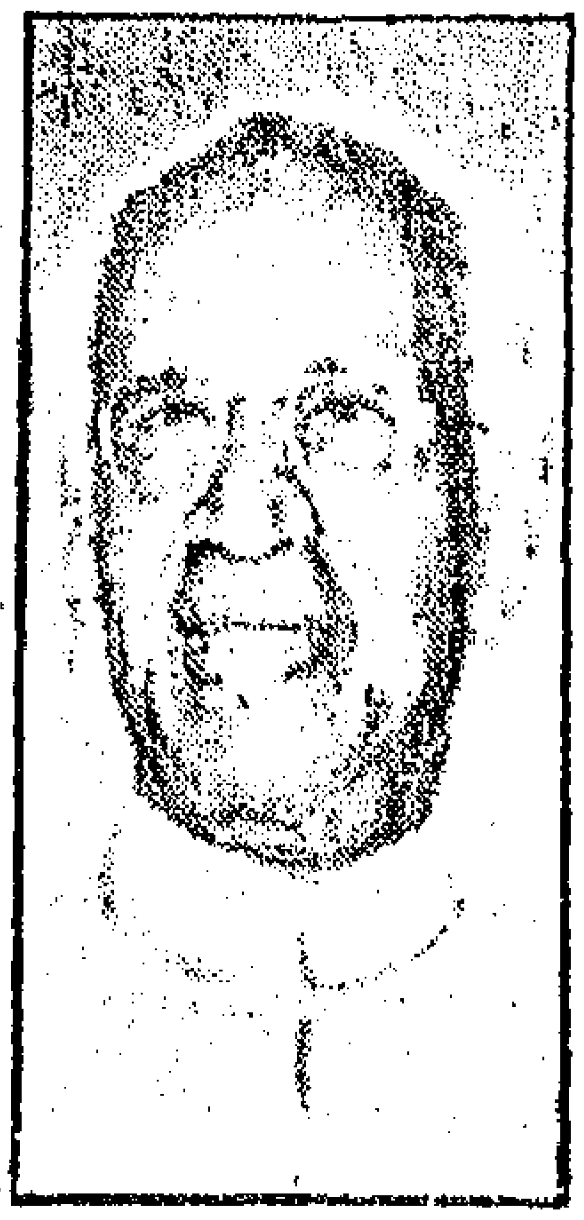
وكل ما في المعرض ، متصل بصميم وجودنا ..

وفي هذا ايضا ، سهر الخلق مشغولين بنا ، ونمنا ملء الجفون ، مخدرين برقية نفثها ذلك ((المتنبي)) في وجداننا من قبل الف عام !

التاريخ : ٦ / ٣ / ١٩٦٤

٣ في مؤتمر المستشرقين

تجربة ... وامتحان !



تقابلوا معا ، وتحادثوا معا
ولعل عقولكم تلتقى
فى تفاهم وقربى
ولتكن أفكاركم ، وعواطفكم ،
وأمانى قلوبكم
نابعة من ضمير الانسان
ومتجهة الى الخير العام
وعلى الطريق ، سيروا معا
نحو وحدة البشر ...

رادا كريشنان
من محاضرته فى المؤتمر

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

كانت هذه الدورة لمؤتمر المستشرقين ، اول دورة له تعقد فى بلد شرقى .

تجربة اولى ، واجهتها الهند ، لتحتمل عبئها الباهظ ومسئولياتها الصعبة ..

والمؤتمر قديم وعريق ، يحمل تاريخه تجارب خمس وعشرين دورة سابقة ، تنقل فيها بين عواصم اوروبا ، واغنت رصيده خبرات وجهود ، لدول تتنافس على المراكز القيادية ، فى عالم اليوم .

وبهذا الرصيد اتجه المؤتمر الى الهند وهو يرقب مصير التجربة بحساسية بالغة ، واستعداد يقظ لالتقاط اخفى المآخذ ، وتسجيل ابسط الاخطاء .

وذهب ممثلو الدول التسع والاربعين ومعهم مائة واربعة واربعون مراقبا موفدين من شتى هيئات الثقافة ومراكز الاعلام ، ومن هؤلاء كثرة غالبة ، تمرست بالمؤتمرات الدولية ، وشهدت دورات سابقة لمؤتمر المستشرقين فى دول غربية عظمى ..

التاريخ : ٢١ / ٢ / ١٩٦٤

١ فى مؤتمر المستشرقين

شرق وغرب

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

عام ١٩٥٧ ، كانت الدورة الرابعة والعشرون لمؤتمر المستشرقين فى ميونيخ .

والتقينا فى بهو الجامعة ، جمعا عجيبا تختلط الالوان والازياء ، متفاوت السمات والملامح ، متعدد الالسن واللهجات ..

يومها تنبهت لاول مرة ، الى ان المؤتمر عقد كل دوراته السابقات فى بلاد اوروبية .

مرة واحدة ، عقد دورته فى تركيا ، وتركيا قد انسلخت من الشرق وازدهاها الانتماء الى اوروبا ..

وخطر لى ان اسال لجنة تنظيم المؤتمر ، ان تفسر مابدا لى من شذوذ الموقف : فاختصاص المؤتمر بالدراسات الشرقية ، يجعل الشرق هو المكان الطبيعى لانعقاده . كما ان الصفة العلمية لمثل هذا المؤتمر الدولى العريق ، جديرة بان تعصمه من جموح التعصب لغرب على شرق .

وقيل لى ببساطة :

ليس الامر كما تتصورين ، فمفهوم الاستشراق هو تخصص علماء غربيين فى الدراسات الشرقية على اختلاف فروعها ، وفكرة انعقاده ، اتجهت اصلا الى اجتماع هؤلاء المستشرقين لتبادل

ولم تشترك الصين الشعبية فى المؤتمر ولم تشترك فيه باكستان ..

وفى هذه الدورة ، تقرر عقد الدورة التالية بعد ثلاث سنوات ، فى الولايات المتحدة الامريكية .

دون ان تقحم السياسة باثارة احتمال عدم اشتراك الدول العربية فيه مثلا او فرنسا او الصين الشعبية او الاتحاد السوفييتى ! !

والجو السياسى مشحون بنذر مرهصة بمثل هذا الاحتمال ! .

فلماذا ساغ اقحام اسرائيل فى جو المؤتمر ، وليست القضية بينها وبين العرب قضية سياسية ، بقدر ما هى قضية ارض عربية مغتصبة بالتآمر والغدر؟

الجواب عند من حملوا اثم هذا الاقحام ، متاثرين بخدعة مكشوفة ، ومحصورين فى افق ضيق ، لايقدر التبعة ولايحسب حسابا لما وراء هذا الاقحام من دلالات وعواقب خطرة ..

وعلى كل حال ، لم يكن غياب الصين وباكستان عن المؤتمر مفاجاة لى ، فقد توقعت — كما قلت — ان يحدث مثل هذا فى اى مؤتمر دولى يعقد باى بلد من بلاد الدنيا .

لكن الذى لم اتوقعه ، ان اجد بين رؤساء اللجان العشر للمؤتمر ، علماء من غير الهنود ، ولم اكن نسيت كلمة « غفوروف » :

قسم الدراسات المصرية ، برياسة استاذنا « الدكتور عبد المنعم ابو بكر »

قسم الدراسات الاسلامية برياسة « الاستاذ ولفريد سميث » .

قسم دراسات جنوب آسيا ، برياسة « الدكتور فولكنشتاين » .

قسم الدراسات الايرانية ، برياسة « الاستاذ بور داوود » .

قسم دراسات جنوب آسيا برياسة « الاستاذ زوبتمولر » .

قسم الدراسات الافريقية ، برياسة « الاستاذ بيشى » .

ولما سالت « غفوروف » عن رايه فى هذا بعد ان قال فينا ماقال ، راغ من الجواب !.

وماذا كان فى استطاعته ان يقول ؟

ان اى دولة لايضيرها اطلاقا ، ان تدعو عالما متخصصا فى شعبة مامن شعب المؤتمر ، ليراس اللجنة الخاصة بهذه الشعبة ..

ودولية المؤتمر ترتفع به عن هذه النظرة المحدودة ، الى الافق الرحب الذى تتآزر فيه جهود العلماء على اختلاف اقطارهم واجناسهم ، لخدمة البحث العلمى الذى تتماحى فيه هذه الفوارق ..

والهند قد ضربت المثل الصالح ، على التسامى بالمؤتمر الى الافق العالى حين دعت علماء غير هنود ، ليراسوا لجان مؤتمر يعقد فى ارضها .

دون ان تجد فى هذا المسلك ، مايمس قدر رجالها او يجرح سمعتها العلمية

ولقد كان رئيس دورة موسكو ، يباهى بان رؤساء اللجان العشر للمؤتمر من الوفد السوفييتى ..

وارى « الهند » قدمت بمسلكها درسا جديرا بشرقنا العريق ، وشهادة بمدى مابلغته من سعة الافق ونضج الشخصية ووعى للمسئولية يحميها من غرور الادعاء وسذاجة التعصب ، ويؤكد اصالة الروح العلمية فيها ، ميراثا عتيدا راسخا تلقته من ماضى تاريخها الحضارى .

الراى فى الجديد من بحوث الاستشراق فكان من الطبيعى ان يعقد فى اى بلد اوروبى ، له نشاط فى هذا الميدان ، دون الغفلة عن اهمية اشتراك علماء الشرق ممن لهم تخصص فى الدراسات التى تهم المستشرقين .

قلت بصراحة :

ذلك لاينفى شذوذ الوضع ، بل لعله يؤكده : اذ يجعلنا نحن الشرقيين الاصلاء اشبه بضيوف مدعوين ، كما انه لايجيب عن السؤال : مادامت اعمال المؤتمر خاصة بالشرق فلماذا لايجتمع المستشرقون فى بلد شرقى ؟

وكان الجواب :

وجهوا الدعوة الى عقده فى بلدكم ان شئتم ، ولن نتردد فى عرضها على اعضاء المؤتمر ، فى جلسته العامة بعد يومين ..

واسرعت الى الزملاء المصريين — وكان عددنا سبعة اعضاء — اشاورهم فى

التاريخ : ٢١ / ٢ / ١٩٦٤

بالأمر ، ففوجئت باننا لانملك حق توجيه مثل هذه الدعوة ، دون تفويض من الدولة او استئذانها عن طريق سفارتنا في [illegible] واليومان الباقيان ، لموعد الجلسة العامة ، لايكفيان للاتصال ببون ، ثم اتصال بون بالقاهرة .

وعرضت على استاذنا الجليل ((السيد حسن حسني عبد الوهاب)) ان يدعو المؤتمر الى عقد دورته التالية في تونس ، ونحن نؤيده بكل طاقتنا .. لكن موقفه كان مماثلا لموقفنا وضاعت الفرصة

وقرر المؤتمر قبول دعوة الوفد السوفييتي ، للانعقاد في موسكو .

وفي موسكو ، عام ١٩٦٠ ، تكررت المحاولة ..

بادر الاعضاء المصريون اثر وصولهم فاتصلوا بالسيد سفيرنا هناك ، واقتنع سيادته بالفكرة فكتب الى القاهرة يستأذن في توجيه الدعوة .

ومضت فترة انتظار ، لم يستطع اعضاء وفدنا خلالها ، ان يبذلوا جهدا لكسب التاييد لدعوة لم تتقرر بعد ، وكل ما استطاعوه هو ان يدعوا الى عقد المؤتمر في بلد شرقي .

ثم لما تلقوا الاذن بتوجيه الدعوة في عقد المؤتمر بالقاهرة ، كانت الفرصة هذه المرة ايضا ، قد افلتت ..

فاثناء فترة الانتظار ، كان بنو اسرائيل هناك ، يقحمون سياستهم على المؤتمر ويحذرون من عقده في اى بلد عربي لكيلا يحال دون اشتراك اسرائيل فيه :

وفي الجلسة العامة للمؤتمر ، عرضت عليه دعوات من : مصر ، والعراق ، والهند ، وامريكا ..

ووقف مندوب العراق ، فاعلن تنازله عن دعوته تاييدا لمصر ، فبغداد والقاهرة سواء ..

وادرك الوفد الامريكي ان التيار مع الشرق ، فتنازل عن دعوته تاييدا للهند ..

ومال « غفوروف : رئيس الدورة » بكل ثقة بعيدا عنا ، وقال في حديث خاص يبرر موقفه : ان مصر ليس لديها من العلماء المتخصصين ، من يمثلونها في الاقسام العشرة للمؤتمر ، والمفروض — في تقديره — ان يكون للدولة الداعية من يراس كل لجنة من لجانه . وقد يكون لمصر علماء في المصريات ، وربما في الاسلاميات والافريقيات ، لكن ماذا عن الدراسات الهندية والتوقازية والصينية ، والايرانية ، والعبرية .. ؟

واخذت الاصوات على الدعوة الموجهة من مصر والهند ، فظفرت الهند بالاغلبية ، وبقدر ما اغتبط الاعضاء الغربيون بنجاح دعوتهم الى عقد المؤتمر في بلد شرقي .. وبقدر ما تقبلوا كسب الهند للدورة بشعور الرضى والارتياح ، تقديرا لعراقة تاريخها واصالة شرقيتها ، واستجابة عاطفية لما يربطنا بها من ود متبادل وصلات مادية ومعنوية على مسار التاريخ ..

اقول : بقدر ماتلقى العرب هذه النتيجة بغبطة وارتياح ، ضاقوا بالتبرير الغريب الذي قدمه «غفوروف» كما انكروا اقحام السياسة على مؤتمر علمي ، تاثرا بالدعاية الاسرائيلية :

وغاب عن المؤتمر وهو يؤخذ بهذه الخدعة ان وضعا مماثلا قد حدث ويحتمل ان يحدث في اى مؤتمر دولي يعقد في اى مكان من الدنيا ..

ومؤتمر المستشرقين ، عقد في تركيا عام ١٩٥٤ ولم تشترك فيه مصر لاعتبار سياسي .

وعقد في ميونخ بالمانيا الغربية ، عام ١٩٥٧ ولم تشترك فيه المانيا الشرقية لاعتبارات سياسية كذلك ..

ولم تتعطل هذه الدورة او تلك ، ولا لتحت ثغرة في كيانه ، تهب منها ريح السياسة .

وحين تقرر عقده في الهند ، لم يواجه القرار باحتمال عدم اشتراك الصين فيه ، ولها من مجدها التاريخي ، والاصالة في موضوع المؤتمر ، ماليس لاسرائيل .

وهو ماحدث فعلا ..

ذهبنا الى الهند ، وقد انستنا فرحة اللقاء بشعبها الصديق وزيارتنا للبلد العريق الذي اهدى الانسانية تراثه الفكري والروحي من قديم الزمان ، [illegible] الموقف في الدورة الماضية ..

لكن واقع الاحداث ، ذكرنا بما حاولنا ان ننساه :

التقى الجمع في قصر المؤتمر بنيودلهي مختلط الالوان والازياء متفاوت الملامح والسمات ، متعدد اللغات واللهجات ..

الف وبضع مئات من الاعضاء ، وفدوا من شتى انحاء الدنيا ، يمثلون تسعا واربعين دولة شرقية وغربية ، عريقة وحديثة ..

ذهبوا بعيون مفتوحة ، وحس نقدى مرهف ، يسيطر عليهم جو التطلع والترقب وكانهم مدعوون لشهود امتحان مثير ، يؤديه هذا الشرق امام الغرب .

على مراى ومسمع من ذلك الجمع الحاشد ، تتنازع افراده عاطفتان مختلفتان :

الشرقيون منهم يواجهون التجربة بوجدان مشترك ، يخفق بلهفة الرجاء ، ويترمج بحرارة التجاوب ..

والغربيون يغلبهم شعور من الزهو ، توارى خلف قناع من المداراة وبرود اللامبالاة .

وبدوا كانهم جميعا يقومون بدور المراقبين ..

وبدونا كاننا جميعا نؤدى الامتحان مع الهند وان احتملت وحدها العبء ، واختيرت لتمثل الشرق كله فى الموقف الصعب .

وكانت قد استعدت له منذ وقت طويل ففى منتصف عام ١٩٦٣ ، قبل انعقاد المؤتمر بعام ونصف عام ، كانت لجنة التنظيم قد الفت وبدات تعلن عن وجودها على المستوى العالمى ، بتوجيه الدعوات الى الهيئات والاشخاص الذين رئى اشتراكهم فى المؤتمر ..

ومن ذلك الوقت ، تتتابعت نشرات اللجنة منبئة بالجهد المبذول استعدادا للمؤتمر ..

وقبل ان يحل موعده بنصف عام ، كان كل مدعو منا قد حدد القسم الذى اختاره ، ومن البحث الذى يعده ، وعرف اسم عضو لجنة التنظيم ، المشرف على مكاتبات القسم .

وحدد منتصف شهر اكتوبر الماضى ، اخر موعد لتلقى خلاصات البحوث المعدة للمؤتمر ..

وفى شهر نوفمبر ، كان البرنامج العام قد وزع على الاعضاء فى شتى انحاء الارض ، مرفقا ببيان دقيق عن الفنادق ومستوياتها واسعارها ، ولائحة الجمارك الهندية ، واسعار العملات المختلفة فى التبادل الرسمى ، وجو الهند فى فترة انعقاد المؤتمر ، سواء فى مقره بنيودلهى ، او فى المناطق السياحية بالشمال والجنوب ، لمن ينوى القيام بجولة فيها .

ومع البيان بطاقتان يضعهما عضو المؤتمر على حقائبه ، ليكون بهما موضع عناية وتكريم .

وكان هذا الاستعداد وحده ، كفيلا بان يبعث الطمانينة الى نفوسنا ، نحن الذين نواجه مع الهند ، تجربة الامتحان .

ومن المطار ، تلقانا مندوبو المؤتمر ، ومروا بنا فى طريقنا الى الفنادق المحجوزة لنا ، على مقر انعقاده ، لنسجل حضورنا ونستلم حافظة الاوراق الخاصة بكل منا . وكانت مفاجاة لاكثرنا ، ان نجد فى « نيودلهى » قصرا خاصا بالمؤتمرات ، بنى على احدث طراز وزود بكل مايمكن ان يخطر على البال من وسائل العمل والراحة .

ففى البهو الكبير ، اماكن منظمة لخدمة الاعضاء موزعين حسب ارقام عضويتهم بحيث يعرف كل عضو اين يجد ما يصل اليه من بريد ودعوات ومطبوعات ، والنشرات الدورية للمؤتمر

وبنفس البهو ، من الامام ، الى القاعة الكبرى الرئيسية ، ومن الجانبين الى مكاتب البريد والبرق والتليفون ، والمصرف وقاعات الاستراحة ، والمكاتب المخصصة لرؤساء اللجان ، وسكرتارية المؤتمر .

وفى الدور الارضى ، قاعة للطعام تتسع لكل هذا الجمع ، ويقوم بالخدمة فيها جهاز مدرب على اعلى مستوى .

اما الدور العلوى فخصص لمعارض الكتب ، والمخطوطات ، والاثريات ، والتحف الفنية ، ونماذج مختارة للصناعات الهندية .

وهنا وهناك ، ينتشر الادلاء والتراجمة يحملون على صدورهم شارة مميزة ، ويؤدون عملهم بروح عالية بقظة تامة .

وفيهم سيدات وآنسات ، فى زيهن القومى ، يضفين على المؤتمر جو الشرق الاصيل ، بكل سحره وسره ..

وعلمت ان هذا الجهاز الادارى كله جهاز دائم .. اعنى ان افراده يعملون فى قصر المؤتمرات بصفة مستمرة ، على استعداد متصل لاستقبال الوفود لاى مؤتمر يعقد فى نيودلهى .

دون ان يترك الامر لفوضى الارتجال وحيرة البحث عن مرافقين وادلاء وموظفين ينتقطون من هنا وهناك ، بصفة عارضة مؤقتة ، ويكلفون بالعمل الطارىء ، بلا تدريب او اعداد ، ودون اختبار لمدى صلاحيتهم لاستقبال الوفود ، وكفايتهم للمهمة الخطيرة من حيث هم ممثلون لبلادهم امناء على سمعتها ، بسلوكهم وثقافتهم وخبرتهم على المستوى الدولي ..

تلك كانت الجولة الاولى ..

وقفت حيالها استرجع ذكرى مؤتمرات لنا ، تعقد فى اماكن مستعارة وتقحم على الجامعات او دور الهيئات الثقافية او قاعات المجالس المحلية ..

وينتدب لها موظفون — معارون كذلك — من شتى الدواوين ، ومجموعون جمعا لما لقضاء المهمة الطارئة على اى وجه كان

وتتتابعت الجولات ، واحدة فى اثر اخرى ، والهند تواجهها بكل باقى طاقتها من جهد سخى باذل ، عن ادراك عميق لاهمية الموقف ، ووعى كامل لمسئوليته ..

واصبحنا يوم افتتاح المؤتمر ، وكان المقرر ان يفتتحه رئيس الجمهورية (الدكتور راداكريشنان)

وتوقعنا ان تكون كلمته ، مجرد تحية رسمية تقليدية ، يرحب فيها بضيوف الهند ، ويرجو لهم النجاح وطيب المقام

وقدرنا لكلمته خمس دقائق !!

لكن الرئيس اشترك فى المؤتمر ببحث خصب ، القاه نائب عنه واستغرق ساعة كاملة ..

بحث فى التاريخ الحضارى والروحى للهند ، وميراثها منه عبر آلاف من السنين تفاعل خلالها مع ماطرأ على الهند من حضارات وافدة ..

مطلا بنا ، فى محاضرته ، على الافق الانسانى الرحب ، حيث تلتقى جهود البشرية من مختلف الاجناس وعلى تتابع العصور ، وتغدو تراثا انسانيا مشتركا

وحيث تلتقى الروافد ، من شتى المناطق ، تصب فى النبع الكبير خلاصة تجارب الشعوب العريقة فى الحضارة والجديدة المحدثة .

وكان « الدكتور رادا كريشنان » فى محاضرته ، فيلسوفا معلما ، وشاعرا ملهما : تتجلى فكرته فى فيض من نور الايمان بانسانية البشر ، كل البشر ، وتخايله رؤى باهرة ، لعالم جديد تتهاوى فيه الفروق بين الاجناس ليرتل لنا نشيد الانسان ، ملء الخشوع والجلال :

تقاربوا معا ، وتحاوروا معا
ولعل عقولكم تلتقى
فى تفاهم وقربى ..
ولتكن افكاركم وعواطفكم وامانى قلوبكم
نابعة من ضمير الانسان
ومتجهة الى الخير العام
وعلى الطريق ، سيروا معا
نحو وحدة البشر ..

وفى نشوة الانفعال بالنشيد المؤثر ، توجهنا الى القصر الجمهورى ، حيث كان فى استقبالنا السيد « الاستاذ ذاكر حسين نائب رئيس الجمهورية » ليتدارس معنا قضايا الاستشراق ثم يودعنا على موعد للقاء ، فى بيته ، وفى دار سفيرنا بالهند لكى نبحث معا موضوع الفكر الاسلامى المعاصر ، وماذا يستطيع ان يقدمه الى الانسانية من مثل اسلامية عليا ، فى العدل الاجتماعى والاخوة البشرية .

وعدنا الى قصر المؤتمر ، لنلتقى فى جلسة المساء بالرئيس نهرو ..وكانت الانباء عن حالته الصحية قد شغلتنا ، فتوقعنا ان يعتذر .

لكنه اصر على لقائنا ليحاضرنا فى الاحداث الكبرى التى تشغل عالم اليوم ويهيب بالعلماء ان يجاهدوا لانقاذ هذا العالم مما يكابده من حدة التوتر ، ومما يجهده من قلق ، وما يروعه من مآسى التفرقة العنصرية والصراع الدامى بين المذاهب والعقائد ..

ونسى كل شىء ، الا ان يحمل نصيبه من العبء الذى اضطلعت به الهند لينجح المؤتمر ..

نسى صحته وشواغله ، وجاء يعلن دعاء السلام ، ويهيب بالعلماء رجاء كبيرا فى تحرير البشرية من شر الأثرة والتعصب والحقد ، ونكبة تسخير العلم للتخريب والتدمير .

وفتحت الهند قلبها لضيوفها فكان لبشارة المؤتمر على صدورهم اثر يشبه السحر فى كل من لقينا من عامة الشعب

وبدا كان كل فرد هناك ، من رئيس الجمهورية الى ابسط عامل ، يعد نفسه مسئولا عن نجاح المؤتمر ..

وانعكس الوضع :

فلم يعد الشرق يؤدى امتحانا امام هذا المؤتمر للمستشرقين ، وانما صار المؤتمر نفسه موضع امتحان ..

ليثبت طاقته على التسامى بالعلم الى افقه الانسانى ، متجردا من ضغائن العصبية وسلطان الهوى ..

وليكشف عن مدى استجابته لنشيد الانسان ودعاء السلام .

وكان امتحانا صعبا ..

علينا وعليهم ..:

على الشرقيين الذين دخلوا المؤتمر بحساسية مرهفة نحو التجربة الاولى التى فرضت عليهم ان يقفوا موقف اختبار .

وعلى الغربيين الذين جاءوا مزهوين بموقف الرقيب الفاحص .

وقد انفض المؤتمر

واقصى ماوصل اليه من نجاح ، ان بذل جهد المحاولة فى حدود طاقته ..

دون ان يبلغ بها المدى المرجو من تجرد

ولا ابرىء نفسى من قصور

فقد اعيانى فى الواقع ، ان انسى انتمائى الى الشرق

ومعذرة الى الدكتور رادا كريشنان والاستاذ ذاكر حسين والرئيس نهرو

فما زلت حتى اليوم اكتب ما اكتب عن المؤتمر فاقول : شرق وغرب ، ونحن .. وهم .

التاريخ : ١٣ / ٣ / ١٩٦٤

٤ في مؤتمر المستشرقين

بعض ما قالوا هناك !

قلت ان تجربة انعقاد المؤتمر للمرة الاولى فى بلد شرقى ، قد واجهتها الهند باقصى ما فى طاقتها من جهد سخى باذل ، عن ادراك عميق لاهمية الموقف ، ووعى كامل لمسئوليته .

دون أن اعنى — من قريب أو بعيد — أن نجاح الدورة من حيث دقة التنظيم وكفاية الاستعداد ، يدخل فيه الحكم بنجاحه من الوجهة العلمية الموضوعية .

فلهذا حديث آخر ...

احاول اليوم ان اعرض لجانب منه ، فى نطاق قسم الدراسات الاسلامية الذى اشتركت فيه وشهدت جلساته ، واصغيت الى ما القى فيه من كلمات .

راجية مع هذا ، الا يؤخذ حديثى عنه ماخذ التعميم ، وهو لا يعدو ان يكون قسما واحدا من اقسام عشرة للمؤتمر ، لا علم لى بما جرى فيها .

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

سجلت قائمة البحوث المقدمة الى قسم الدراسات الاسلامية ، خمسة وتسعين بحثا . وهو اعلى رقم فى الاقسام كلها ، باستثناء قسم الدراسات الهندية .

ولم ندر فى الواقع ، كيف يمكن أن تتسع جلسات عشر ، لعرض خلاصات لخمسة وتسعين بحثا ، مهما تبلغ من تركيز وايجاز ..

حتى أعلن رئيس لجنة القسم ، المستشرق الامريكى الاستاذ « ويلفريد سميث » فى مفتتح الجلسة الاولى ، أنه لا يجد حيلة امام ضخامة عدد البحوث وضيق الوقت ، الا ان يحدد لكل منا ربع ساعة فقط ، لالقاء خلاصة كلمته ، والمناقشة فيها .

وكان سؤال :

— ماذا لو استنفد المتحدث ، ربع الساعة كله ، فى القاء كلمته ؟

وأجاب « سميث » ببساطة :

— اذن لا تكون مناقشة !

التاريخ : ١٣ / ٣ / ١٩٦٤

ذلك وحده يعطي فكرة ما ، عن مستوى نجاح المؤتمر اذا قدرنا ما للمناقشة من أهمية حيوية وخطر بالغ ..

وقدرنا بعده ، بالابد أن يكون من تفاوت المستوى بين البحوث ، وما هي مظنة التعرض له من خطأ او قصور او انحراف في مجال دقيق صعب ، كالدراسات الاسلامية ..

وادخل في صميم الموضوع ، لاعطي قومي مثلا لما قالوا هناك ..

مركزة اهتمامي — هذه المرة — حول موضوع واحد من ذلك الحشد الكاثر الذي قدم الينا ..

لانه خاص بالقرآن الكريم : معجزة الاسلام الخالدة ، وكتاب العربية الاكبر .

ولانه كذلك مما يتصل بتخصصي في دراسة النص القرآني ..

وعنوان الموضوع . **فواتح السور .** او بعبارة صاحبه « الدكتور هاشم امير علي » :

The Mysterious Letters of the Quran

وقد وزع علينا قبل الجلسة ، مجموعة من خمس ورقات بالانجليزية ، ظننتها خلاصة للبحث ، لكني لم اجد بينها غير ورقة واحدة عن الموضوع ، والباقيات اعلان عن ترجمة للقرآن بقلم الدكتور هاشم ، مع مقتطفات منقولة من تقريظ صحف ومجلات لهذه الترجمة في الهند وانجلترا وامريكا .

والورقة المكتوبة عن فواتح السور ، اقتطع منها هامش للتعريف بالدكتور ، نقرأ فيه انه نال درجة الدكتوراه من **جامعة كورنيل ، وحضر حلقة الدراسة** الاسلامية في برنستون عام ١٩٥٤ ، وهو صاحب ترجمة القرآن التي نشرت في **نيودلهي ولندن ونيويورك بعنوان قرآن** الطالب :

(The Student's Quran)

وعميد معهد الدراسات الاسلامية العليا للجمعية الملية الاسلامية في نيودلهي ..

وانما انقل كل هذا ، قصدا الى بيان مركز الباحث ونوع ثقافته ومدى شهرته ، واهتمام دور النشر به ، لكي يعرف قومي أن ما يقوله مثله ، تتاح له فرصة الذيوع والانتشار ..

وقد قرأت ورقته عن فواتح السور ، في فترة الاستراحة التي اخذناها قبل أن يلقي كلمته ..

وكل ما فيها ، مقدمة تقول ان القرآن يستهل (! !) بحروف « الم » ثم تتابع سور عددها ٢٦ (! !) بافتتاحة بهذه الحروف الغامضة التي اعيا القدامى ان يفهموها ، حتى اهتدى الدكتور هاشم الى حل لهذه المشكلة التي لبثت اربعة عشر قرنا بغير حل .

ثم تقدم الورقة الحل في فقرة واحدة تقول ان هذه الفواتح الغامضة جاءت متلوة بسياق المخاطب في كل السور بلا استثناء (!!) ومن ثم يمكن فهمها على انها **نداء للنبي ، بحيث لو وضعنا « يامحمد** O Muhammed » مكان كل هذه **الفواتح ، لانجلى الموقف وحلت المشكلة .**

ويستطرد الدكتور هاشم في ورقته قائلا : ان هذه الفواتح تشترك في ظواهر منها انها جميعا بلا استثناء في سياق المخاطب(!) وانها جميعا لا تؤثر على معنى النص فيما يليها ، وان خمسا وعشرين سورة من السور التسع والعشرين المفتتحة بهذه الحروف الغامضة ، **نزلت في العهد المكي المتأخر حين كان النبي منبوذا** (Ostracised) من قومه ، وفي حاجة شديدة الى التأييد !

واضاف : انه لاحاجة بنا الى الوقوف عند الدلالة الاصلية لهذه الحروف ، مادامت لا تؤثر على فهمنا لسياقها ، باحلال (يا محمد) مكانها ، ولا تعطي اى مغزى آخر وراء ذلك ، والنبي لم يكشف لاصحابه عن حلها ، ربما عن تواضع ! .

وعلى ذلك ، ترجمة للآيات الاربع الاولى من سورة البقرة ، تستهل هكذا :

1. O MUHAMMED ;
2. THAT WHICH HAS BEEN RECORDED, THERE IS NO FLAW THEREIN: GUIDANCE FOR RIGHTEOUS
3. THOSE WHO BELIEVE IMPLICITLY' ATTENT – TO THEIR DUTIES,

واعدت ترجمتها الى العربية ، بنفس النسق :

يا
هذا الذى سجل (وانزل)
ليس فيه ثغرة او صد .
هدى المتقين
الذين يعتقدون بلا ريب
ويرعون فروضهم .

ثم لم استرح اليها ، حين قابلتها على النص القرانى الكريم :

((الم . ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة))

ووقفت عند الدليل الواحد الذى قدمه الدكتور هاشم وهو ان كل السور المدونة بالحروف الفاتحة ، تأتى الايات التالية للفواتح بها — بلا استثناء — فى سياق الخطاب (لمحمد) ثم استرجع فى ذهنى الايات الاولى من سور : العنكبوت ، الروم ، لقمان ، ص ، غافر ، الزخرف ، الجاثية ، الاحقاف ، ق ، يونس . حتى انهار ذلك الدليل ، لان سياق الايات التالي للفواتح فى هذه السور لا يأتى خطابا للنبى صلى عليه وسلم على الاطلاق .

وما قاله عن نزول خمس وعشرين سورة من ذات الفواتح فى اواخر العهد المكى — والاربع الباقيات مدنية — ينتقض كذلك من اساسه اذا ذكرنا ان عدد السور المكية كلها فى المصحف ، سبع وثمانون سورة . فاذا اعتبرنا المتأخر منها ما بعد السبعين ، لم نجد فى السور ذات الفواتح غير اربع فقط ، مما يمكن عده من متأخر السور المكية . وهذه الاربع هى على التحديد : ابراهيم ، والسجدة ، والروم ، والعنكبوت .

اما باقى السور المكية المفتتحة بحروف مقطعة ، فمنها ما يقع ترتيبه فى ... الاول من سور العهد المكى ، بل منها كذلك سورة القلم ، وقد نزلت ... بعد سورة العلق مباشرة ، اول سورة نزل بها الوحى !!

***

واستحضرت تلك كلمة ... ، وتهيأت لمناقشة الدكتور هاشم عندما تام ... كلمته ، وفى حسابى انها لن تستغرق خمس دقائق ، لو قرأ كل ما فى ورقته المكتوبة ..

ولكنه امضى عشر دقائق ، يزكى ترجمته للقران ، ويجرح ما سبقها من تراجم بالانجليزية ، مؤكدا ان ترجمته تلغيها جميعا . ثم ... نفد الدقائق الباقية ، فى كلمة عن فواتح السور ، لم يضف فيها شيئا الى ما قرأته فى ورقته منها ..

وهكذا لم يدع لنا دقيقة واحدة لمناقشته

وانتظرت حتى انتهت الجلسة ، فتعرضت له بالسؤال عما زعمه من ان كل السور ذات الفواتح ، موجهة فى سياق الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فكانت المفاجأة ان التمس منى محادثته بالانجليزية لانه لايعرف العربية ! وسألته فى دهشة :

— وتقول انك جئت بافضل ترجمة للقران الكريم ، وانت لا تعرف العربية ؟

فتبسم ضاحكا من قولى وهو يسألنى :

— وهل القران للعرب وحدهم ؟ .

قلت :

— كلا بالتأكيد ، ولكن ان تترجمه دون ان تفقه العربية امر غريب وعسير حقا !

فكان جوابه :

— فلنؤجل هذه المناقشة ، الى ان تطلعى على الترجمة ، لارى ما اذا كنت تنكرين منها شيئا .

وقلت على الفور :

— لقد فعلت ، وانكرت منها الكثير .

فسألنى :

— مثل ماذا ؟

واجبت :

ــ مثل ترجمتك للكافرين بذوى الايمان القليل : (With Little Faith) ؛

وترجمتك للاريب فيه من اية البقرة بلا منْدع او ثغرة فيه ، وترجمتك للذين يؤمنون بالغيب ، بالذين يعتقدون بلاريب !

ولم يبد عليه " بنهمنى

ولم يبد لى ، ان المضى فى مناقشته بجدى

وقد تتاح لى فرصة اخرى ، اعرض فيها بمزيد تفصيل وبيان ، لتلك الترجمة التى وضعها الدكتور هاشم ، وانتشرت على اوسع نطاق ، بنشرها فى نيودلهى ولندن ونيويورك ..

اما اليوم ، فحسبى ان يعرف قومى ماذا قيل فى المؤتمر عن فواتح السور ، على مسمع من ممثلى عشرات من الدول ، شرقية وغربية ..

ومر بلا مناقشة !

دون ان تتاح لمثلى فرصة تعلن فيها : ان هذا التاويل لفواتح السور غير مقنع ولا مقبول ،

وان الاقدمين كانوا اسلم مذهبا حين قالوا انها من المتشابه الذى لايعلم تاويله الا الله ، او انها كما قال الزركشى فى البرهان : ((كل سورة بدئت بحرف من الحروف المقطعة فان اكثر كلماتها وحروفها مماثل له)) ومثل لذلك ، باحصاء كلمات فى سورتى (ق ، ص) وردفيهاهذان الحرفان، كما احصى من سورة يونس ، مائتى كلمة فيها حروف فاتحتها (الر) .

وان المحدثين كانوا اهدى حسا واقرب الى روح النص وجو الاعجاز، حين اطمانوا فى هذه الفواتح ، الى أن القرآن الكريم يفحم العرب بها بيانا لاعجازه : فهو قد صيغ من مثل هذه الحروف الصماء البكماء (الم ، الر ، حم ، كهيعص ، طسم ، المر ، حم ، عسق) ! وهى الحروف التى يؤلف منها العرب الكلمات ويصوغون العبارات ، فلم يجحدون معجزة محمد ، وقد جاء بكتاب مؤلف من هذه الحروف وامثالها مما هو طوع السنتهم ، فاعياهم ان ياتوا بسورة من مثله ؟ !

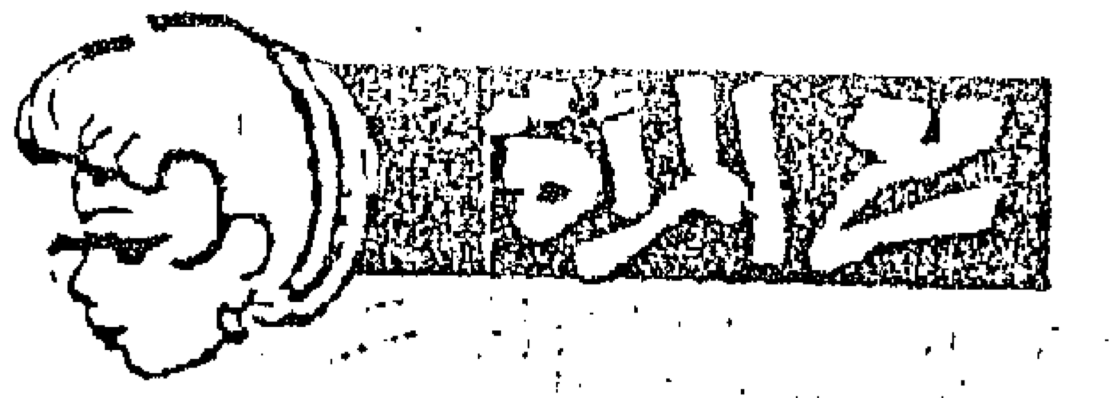
اجل ، مرت كلمة الدكتور هاشم ، واعلنت وسجلت ، ولعلها انتشرت فى الآفاق ولا حيلة لنا فى الامر

اريد . اقول :

ان المؤتمر بمثل هذا الوضع ، الذى حشد فى جلسات عشر خلاصات لخمسة وتسعين بحثا ، اضاع الكثير من جوهر اهميته باهدار فرصة المناقشة التى تمحص ما يعرض من افكار ، فلمصحح منها ما نصحح ونضيف اليها ما تضيف ، مما لدى بقية الدارسين المتخصصين .

والا ففيم كل هذا العناء الذى نتجشمه ونكابده لكى نلتقى ، اذا صار الوضع الى ان نجلس احيانا مستمعين لما يلقى علينا ، دون ان نملك سؤالا ولا ردا !

التاريخ : ١٤/٣/١٩٦٤



مات وقلمه الى جانبه : ((بنت الشاطىء))

● منذ مرض الاستاذ العقاد وانا اتتبع الاخبار عن صحته في قلق .

لم تكن الخصومة التي بيني وبينه سوى خصومة فكرية حرصت كل الحرص على ان لا تتجاوز نطاقها المحدود فتنسيني ما قدمه هذا الكاتب الكبير الى حياتنا الفكرية والادبية من ثمار دراساته ومطالعاته طوال حياته الخصبة العاملة .

ومات العقاد .

دون ان يكون موته مفاجأة لغير منتظره فذلك هو المصير المحتوم لكل البشر .

لكن متى كانت حتمية الموت تعفينا من الحزن على الراحلين منا ممن كانوا بيننا ملء الحياة ؟!

والعقاد قد عاش عمره ملء دنيانا . فمن المحزن حقا ان نتمثله وقد انطفأت فيه الحياة . وهو الذي ظل حتى ايامه الاخيرة يناضل في معركة الوجود بسلاحه الذي لم يلقه قط : بقلمه الذي عاش به وله !

وقد خاض بهذا القلم ما خاض من معارك ، وكلما انتهت واحدة استأنف النضال في اخرى بارادة ماردة . حتى كانت معركته الاخيرة مع الموت الذي لاغالب له ولا مفر منه .

ومات العقاد :

وقلمه الى جانبه ، كما يموت الجندي في الميدان .

مات وكتبه من حوله : ما الف منها وما طالع ودرس ، وقد كانت كل دنياه .

وسيبقى منه للتاريخ ما يبقى ..

ويرحمه الله .





بنت الشاطىء

التاريخ : ٣٠ / ٣ / ١٩٦٤

٥ في مؤتمر المستشرقين

الموضوع الذي شغلنا !

سئلت مرات ذات عدد ، عن أهم موضـــوع شغلنـــا في فترة انعقاد مؤتمر المستشرقين بالهند وأجيب ، في حدود ما أعرف :

هو موضوع القرآن الـــكريم وقضايا الفكر الاسلامي المعاصر

وقد يكون غيري من الزملاء ، أصحاب الدراسات الاسلامية ، شغلوا بموضوعـــات أخرى في ندواتهم الخاصـــة ومحـــادثاتهم الحرة ، لكني ما شهدت مجلسا خاصا ، الا كان هذا الموضوع مدار حديثنا ومناط اهتمامنا :

المستشرقون يعنيهم ان يتتبعوا ما يظهر من جديد في مجال تفسير القرآن ، ليعرفوا منه كيف يفهم المسلمون اليوم كتاب دينهم .

والمسلمون ، من غير العرب ، يعنيهم ان يدركوا على وجه الدقة قيمة التراجم القرآنية التي يقرأون فيها كتاب الاسلام ، بغير لغتـــه التي نزل بها .

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

والموضوع بهذه الصورة ، لم يكن مع ذلك من بين البحوث المقدمة الى المؤتمر لكنه فرض علينا أهميته واستأثر بالقدر الاكبر من تفكيرنا ومناقشاتنا .

واذا كانت الموضوعات الرسمية ، قد شغلتنا في الجلسات التي عرضت فيها ، وقد خص كل موضـــوع منها ربع ساعة على التحديد ، فقد بقي الوقت الحر لقضايا جديدة لم تكن تشغلنا قبل أن نلتقي ..

وطبيعي أن تختلف هذه القضـــايا باختلاف المشتغلين بالدراسات الاسلامية ..

وطبيعي كذلك ، أن تكون حلقات البحث والمدارسة في الوقت الحر ، يجذب كل منها فريقا من الاعضاء ، حـــول قضية تتصل بمجال تخصصهم .

ومن هنا حرصت وأحرص ، على أن أقيد ما أكتبه عن المؤتمر ، وما حوله ، بحدود ما أعرف !

ولقد شاءت الظروف ، أن يكون البحثان المقدمان الى المؤتمر في الدراســـات القرآنية ، على طرفي نقيض !

أولهما : من مشكلة الترادف اللغوي في ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم .

التاريخ : ٢٠ / ٣ / ١٩٦٤

ونبه اعلنت ان القرآن يحسم الخلاف الذى طال واحتدم ، بين من قالوا ان اللغة العربية تستعمل الفاظا عدة للمعنى الواحد ، وهم يحسبون هذا ميزة من مزاياها ، وظاهرة ثراء فى معجمها .

وبين من انكروا هذا الترادف الذى لايضبط دلالات الالفاظ ، وذهبوا الى ان العربية تحدد للمعنى الواحد لفظا واحدا

والتتبع الدقيق للالفاظ القرآنية فى سياقها ، **يرفض الترادف** ، حيث نرى اللفظ يستعمل بدلالة محددة ، لايمكن معها ان يقوم لفظ مقام آخر ، فى المعنى الذى تحشد له المعاجم وكتب التفسير ، عددا قل او كثر من الالفاظ المقول بترادفها .

فالقرآن مثلا يستعمل مادتى **حلف واقسم** وهما بمعنى واحد عند جمهرة المعجميين والمفسرين ، لكن استقراء مواضع استعمالها فى القرآن كله ، **يمنع هذا الترادف** ، لان مادة حلف تاتى دائما ، وبلا استثناء ، **فى موضع الحنث باليمين !**

والقرآن يستعمل لفظى **رقبة** ، وعنق مفردا وجمعا ، وهما مترادفان فى المعاجم على حين يفرق القرآن بينهما ، فلا يستعمل **الرقبة**) اطلاقا **بدلالتها الحسية المادية** ، وانما جاءت فى **دلالتها المعنوية المجازية** على الاسترقاق ، فى ((**تحرير رقبة ، وفك رقبة ، وفى الرقاب**))

والمعاجم تقول بترادف **(النأى والبعد)** والقرآن يخص (**النأى**) **بدلالة الاعراض والصد ، ولا يستعمله اطلاقا فى البعد المكانى الحسى !**

ليس هذا فحسب ، بل ان القرآن يفرق كذلك بين الصيغ المختلفة من **اصل لغوى واحد :** من ذلك مثلا ، انه يستعمل **شتى** فى معنى التنوع والاختلاف ، اما **اشتات** فتاتى فى معنى التفرق المقابل للتجمع ،

وكلمتا **(النعيم والنعمة)** المقول بترادفهما ليستا سواء فى الاستعمال القرآنى ، وانما تاتى **النعمة** مفردا او جمعا، **فى نعم الدنيا، يطرد ذلك فى كل المواضع التى جاءت فيها** وعددها نحو ثلاثة وخمسين موضعا ، اما صيغة **نعيم** فتختص دائما **بنعيم الاخرة** ، يطرد ذلك ايضا **فى كل الايات التى ورد فيها النعيم** وعددها سبع عشرة آية .

وواضح من هذا ، اننى اذهب الى رأى فى الاعجاز البيانى ، يشق علينا معه ان نفسر اللفظ القرآنى بلفظ آخر ، ولو كانا مترادفين لغة ، او من مادة لغوية واحدة!

وفى الطرف المقابل ، وقف « الدكتور هاشم امير على » ليلقى كلمته عن نواتح السور فاعلن غبطته بان قدم افضل ترجمة القرآن ، ثم نفاجأ بانه لايعرف العربية .

ويا ما ابعد ما بين الموقفين !

يعبينى — والعربية لغتى ، والنص القرآنى موضوع تخصصى — ان افسر لفظا منه بآخر من مادته ، او بمرادف له فى معجم العربية ، فارفض مثلا ان افسر حلف بالقسم !

ويهون على الدكتور هاشم ، ان يترجم هذا النص الى الانجليزية ، ولا دراية **له بلغة القرآن !**

وموقفه ، فى ظاهره، لايبدو شاذا :

فليس الدكتور هاشم بأول من نقل نصا فى لغة لايعرفها مترجما الى لغة يجيدها . واكثر مالدينا من نصوص اغريقية او هيروغليفية ، قد ترجم الى العربية من الفرنسية او الانجليزية ..

لكن الشذوذ بدا فى اوج حدته تجاه الذى عرضته من دراسة لموقف القرآن من مشكلة الترادف اللغوى .

ومن هذا التناقض بين الموقفين ، ظهرت حاجتنا القصوى الى فقه النص القرآنى قبل ان نترجم منه ما نترجم ، او نتناول ما نتناول من قضايا الفكر الاسلامى المعاصر ، التى لايمكن تحديد موقف الاسلام منها ، بمعزل عن كتابه الخالد ..

واقتصر اليوم على موضوع الترجمة فاقول اننا لم نختلف على ان الترجمة لا يمكن ان تكون **الا** لمعانى القرآن .

كما لم نختلف على اى ترجمة لهذه المعانى ، مهما تبلغ اعلى مستوى من الدقة والصحة ، **لايمكن ان تجلو اسرار اعجازه البيانى الذى تحدى طاقة العرب فى عز اصالتهم وذروة اقتدارهم على فن القول ..**

انما الذى اهمنا حقا ، **ان يقوم بالترجمة من لايؤتمنون عليها من غير المسلمين ، او من لا يفقهون نص القرآن من المسلمين !**

وشغل بالنا ، ان التراجم القرآنية العديدة التى نعرفها ، ليس فيها ترجمة لعربى مسلم !

فالميدان اتسع للمترجمين من مختلف الملل والاجناس فكانوا احد رجلين :

مسلم غير عربى ، مثل عبد الحكيم ميرزا ، ومحمد على ، وغلام سروار ، وعبد الله على ، وهاشم أمير ..

او غير مسلم ولا عربى ، من امثال : الكساندر روس، وجورج سيل، ورودويل، وبالمر ، وريتشارد بل ، وأربرى ..

ولم يظهر فيه ثالث ، ممن هم اولى به واقدر على فهمه ، **اعنى المسلمين من** أصحاب العربية ، لغة القرآن !

فهل كان احجامنا — نحن العرب المسلمين — لان فينا من رأوا فى محاولة ترجمة معانى القرآن ، بدعة مستحدثة لم تقل بها السلف الصالح ؟

او كان هذا الاحجام ، من تهيب واشفاق من حمل الامانة الصعبة ؟

ان كانت الاولى فالسلف الصالح لم يكونوا فى العصور الاسلامية الاولى ، يواجهون حاجة الى ترجمة معانى القرآن . اذ يقرر الواقع التاريخى ، ان الشعوب غير العربية التى دخلت فى الاسلام بعد الفتوح الكبرى ، بادرت الى تعلم لغة العرب ، كى تفقه كتاب الاسلام الذى ارتضته دينا .. لكننا نواجه اليوم وضعا شاذا من مخلفات الاستعمار الذى سرق لسان شعوب عربية مسلمة ، كى يعزلها من عروبتها ودينها . ومعها شعوب اسلامية أخرى ، السنتها غير عربية ، وقد فرض عليها الاستعمار لغته ، ذريعة غزو فكرى ووجدانى ، فلا سبيل لها الى قراءة القرآن الا مترجما الى اللغات الاوربية .

وان كانت الاخرى ، واحجمنا عن ترجمة معانى القرآن تهيبا واشفاقا من حمل امانتها الصعبة ، فنعم كان سكوتنا على ما ظهر من التراجم القرآنية ، ولماذا لم نهتم بمراجعتها وفحصها ، لنرى فى اى صورة نقل المترجمون كتاب ديننا ، الى من تتعذر عليهم قراءته فى نصه الاصيل ؟

ان اقدم ترجمة قرآنية الى الانجليزية هى فيما اعلم ترجمة « الكساندر روس » التى نشرت عام ١٦٤٩ . واحدث ترجمة لهاشم امير على ، وقد نشرت عام ١٩٦١ ، واقتصرت على خمس عشرة سورة من جزء عم

ولا اذكر انى قرأت او سمعت عن مقال ظهر على ذلك المدى الطويل يتعرض لاحدى هذه التراجم بنقد او تقويم ، وكأن الامر لايتصل بنا ولا يعنينا من قريب او بعيد !

وذكرنا فيما ذكرنا ، ونحن نتدارس هذه القضية ان دنيانا تهتز لخطأ فى ترجمة نص لجبران ، او تحريف لعبارة قالها شكسبير ! وليس العهد ببعيد ، من غضبة نقاد الادب عندنا ، حين عرض مسرحنا « تاجر البندقية » بنصها المترجم بقلم « مطران » الذى اخطأ فى فهم عبارات من النص ، فكانت خطيئة فنية لا تغتفر .

ولا بعد عهدنا ، بما أنكر النقاد على المنفلوطى من تصديه لترجمة قصص فرنسية ، وهو لم يكن يعرف لغتها !

فاذا لم يعننا ان نراجع التراجم القرآنية ، غيرة على ديننا ، او اداء لحق اخواننا المسلمين فى اقطار الدنيا ، ممن لايعرفون القرآن الا فى هذه التراجم ..

اقول : اذا لم يعننا شىء من هذا ، فلتكن القضية فيها قضية النص الاكبر فى لغتنا ، نتصدى للدفاع عن حرمته ، بفحص تراجمه التى قد تخطىء فهمه او تسىء توجيه عباراته او تحرف معانيه .

وليكن لنا من الحمية والغيرة ، على امجد نص للعربية فى انقى اصالتها واروع بيانها ، مثل ما لزملائنا المتخصصين فى الآداب الغربية ، يغضبون للنص منها يمسه فى الترجمة تشويه او تحريف !

التاريخ : ٢٧ / ٣ / ١٩٦٤

اقرأ

كيف فُسِّرت الكلمة الأولى للوحي ؟!

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

لا اريد ان انهى حديثى عن مؤتمر المستشرقين فى الهند ، دون ان اشير الى ما اتاحته لنا فرصة اللقاء هناك ، من اطلاع على جديد من تفسير القرآن باللغة الانجليزية ، لم نكن قرأناه او سمعنا به قبل هذه الرحلة .

ولقد عرضت فى مقال الاسبوع الماضى ، لما تشغلنا من امر الترجمات القرآنية العديدة التى ظهرت ، وليست بينها اى ترجمة لعربى مسلم ، وانما تركنا المجال كله لمن لا يؤتمنون على هذه الترجمة من غير المسلمين ، اولمن لا يفقهون نص القرآن ، من اخوان لنا فى الدين ، لا يعرفون العربية ..

والامر فى التفسير ادق من هذا واخطر ، لانه يحتكم فى توجيه النص القرآنى ، ويقدم الى مئات الملايين من المسلمين غير العرب ، تاويل كتاب دينهم ، ويحدد فهمهم له ..

ولو ان الامر اقتصر على الترجمة وحدها ، لوسع كل قارىء لها ان يفهم من النص ما تسمح به طاقته ومستواه . وخطؤه فى الفهم مقصور عليه لا يتجاوزه الى سواه . اما خطأ المفسر فيعم وينتشر ، ويؤثر فى اجيال من القراء ممن يطالعون هذا التفسير ، ويفهمون به او يحكمون ، على كتاب الاسلام .

وما اعرضه اليوم ، نموذج من احدث تفسير ظهر باللغة الانجليزية .

وصاحب هذا التفسير ، هو « الدكتور هاشم امير على » الذى قدمته الى القراء فى مقال سابق ، واشرت الى تصديه لترجمة خمس عشرة سورة من (جزء عم) دون ان يكون له علم بالعربية ..

وقد ارفق الترجمة بتفسير موسع ، وقامت بنشر الترجمة والتفسير معا ، عام ١٩٦١ ، « دار النشر الاسيوية » بفروعها الستة ، فى : بومباى وكلكتا ونيودلهى ومدراس ، ولندن ، ونيويورك ..

ولا ينتظر مني القراء ان اعرض هنا لكل ما جاء في هذا التفسير ، فاقصى ما يحتمله المجال ، ان اقف عند كلمة واحدة منه فحسب ؛ هي أول ما فسره الدكتور هاشم في كتابه الذي يبدأ بسورة العلق .

وهي أيضا ، أول ما نزل من الوحي اقرا

ونص الاية في القرآن :

« اقرا باسم ربك الذي خلق »

ترجمها الدكتور بلفظ : (Call) فعل امر من النداء ، وبمثل هذا ايضا ترجم الكلمة في آية : « اقرا وربك الاكرم » ..

ثم لما مضى يفسر الكلمة ، قال ما ترجمته :

«ان فعل الامر اقرا ، يجانس من قرب الكلمة الانجليزية : Cry — امر بالصياح — وهي هنا كانها قرع الطبل ، وتحمل أيضا معاني الامر : بالدعاء والاعلان والاشهار ، والاعلام والتعليم ، والتبشير»

وعجبت كيف لم يجد المفسر وهو يسوق كل هذا الحشد من التاويلات لكلمة اقرا مكانا لما يقابلها بالانجليزية Read وهي اول ما يخطر بالبال في ترجمة اقرا

غير أن عجبي زال ، حين مضيت اطالع ما جاء به الدكتور من تاويل للاية ، وتوجيه لكلمة الوحي الاولى .

ففي الفقرة التالية مباشرة ، ذكر ان هذا الامر بالصياح (Cry) موجود في « العهد القديم » خطابا « للنبي اشعياء » قبل القرآن بنحو ثلاثة عشر قرنا .

واستشهد لهذا ، بترجمة لاية من سفر اشعياء . فرجعت الى العهد القديم ، فاذا نصها في اول الاصحاح الثامن والخمسين من هذا السفر :

« ناد بصوت عال ، لاتمسك ، ارفع صوتك كبوق ، واخبر شعبي بتمديهم ، وبيت يعقوب بخطاياهم »

فيا من تعرفون العربية :

هل فيكم من يجد أدنى شبه بين عبارة العهد القديم ، وبين الاية القرآنية :

« اقرا باسم ربك الذي خلق » ؟

او هل فيكم من يدلني على اى وجه للتنظير بما في سفر اشعياء لاية العلق ؟

فاذا سألتم : وماذا بعد هذا الربط بين محمد واشعياء ؟ اجبت :

بعده أن الدكتور هاشم استطرد يتحدث عما كان يشغل محمدا ، لسنوات قبل المبعث — من تفكير في حال قومه ، « وما كان يحضر في ذهنه دائما من قصص قدامى الرسل ، للعرب واليهود . والمسيحيين ، وكيف جذبوا اتباعهم من الضلال ، فهل يقدر له ان يفعل مثل ذلك ، ويسلك في صف اولئك الرسل »

او بنص عبارة الدكتور :

(Ever present in his mind, the Stories of the old Prophets among the Arabs, the Jews and the Christians)

ومنها ينجلي وجه الربط بين اول الاصحاح الثامن والخمسين من سفر اشعياء ، والاية الاولى من القرآن الكريم .

ولا احد منا ينكر تطلع محمد صلى الله عليه وسلم قبل المبعث ، الى هداية قومه من ضلال وثنيتهم ..

أو يجحد ما نص عليه القرآن الكريم ، من أنه جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل ، لكن ليس على هذا النحو من شطط التأويل واعتساف الملحظ وتحميل

اللفظ القرانى (اقرا) مالا يحتمله ، من قرع الطبول لكى يرتبط بصوت كالبوق ، فى آية من سفر اشعياء ،وليس بينهما أدنى شبه لفظا او سياقا .

والقول « بان محمدا كان يستحضر فى ذهنه دائما قصص الرسل القدامى الى العرب واليهود والمسيحيين » هذا القول يوهم أنه صلى الله عليه وسلم ، قد تاثر بهذه القصص فيما أبلغ من رسالة ربه . وهذا ما ينفيه القرآن نفيا صريحا ، لان تلك القصص اما ان تكون مما هو مدون فى الكتب الدينية السابقة ، والقرآن يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم :

« وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذن لارتاب المبطلون » .

واما أن تكون من القصص الاسطورية للاولين ، والقرآن يقول فيها :

« وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا »

ويتابع الدكتور هاشم ، تأويله لكلمة اقرا ، فيوجهها فى ضوء ترجمته لها ، بما يجعلها سياسة للدعوة الاسلامية وخطة تبليغها ..

فلقد تحدث عن نزول الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم فى «غار حراء» فذكر أن الملاك امره قائلا: اقرا — وترجمتها هنا : Read — فسأله محمد : ماذا اقرأ ؟ وتكرر الامر والسؤال ثلاث مرات .

ونتجاوز هنا ، عن مخالفة هذا لما جاء فى المصادر العربية للسيرة وتاريخ القرآن من ان محمدا صلى الله عليه وسلم قال عندما سمع الوحى : ما انا بقارىء ..

لنمضى مع الدكتور هاشم ، اذ يقول بيانا لتأويله :

« وكلمتا اقرا والقرآن ، متجانستان . فالاولى فعل امر ، والثانية اسم عام . وسواء أكانت القراءة مستعملة آنذاك فيما يعلن جهرة Cried out ام لم تكن ، فهى هنا الاعلان الشفهى والاذاعة ، والخطاب أو الموعظة Sermon تنشر بكلمة فم !

« وعلى هذا يكون معنى فعل الامر : اقرا ، مشخصا لسياسة الدعوة ومتضمنا خطة تبليغها : فقوم محمد كانوا متفرقين مبعثرين وأميين . والكلمة المكتوبة التى خدمت الدعوات فى شعوب أكثر تقدما، لايمكن ان تصل الى الطبقات الفقيرة والعبيد فى المدن ، والبدو الضاربين فى الصحارى والواحات والكهوف . وانما تصل الى هؤلاء الكلمة المنطوقة وحدها .

« وفى مثل هذه الظروف ، يكون على الهادى الجديد أن يبلغ رسالته شفهيا . والكلمات ذات اجنحة ، والذى علمه الله بالقلم للقلة (المتعلمة) التى تجدى معها قوة القلم ، صار الان بحيث يذاع وينشر ويوصل الى الكثرة من الجماهير ، عن طريق الكلمة المنطوقة وحدها ، بكل مالها من سحر ، وسلطان عليهم .

« والراجح أن هذا كان فى أصل الديانات القديمة كلها — مزامير داود ، ووصايا زرادشت ، وأناشيد ريج فيدا البرهمية — وكل ما فى الامر Only أن طبيعة القوم الذين كان على محمد ان ينشر رسالته فيهم ، جعلت مهمته اشق وأصعب ؛ فلقد كانوا اكثر بدائية (؟!) واشد انفعالا وتاثرا بالشعر منهم بالنثر المرسل . وبالرغم من كون موضوع الرسالة الجديدة يختلف تماما عما ألفوه فى موضوعات الشعر من حب وحرب ونهب — Plunder — (؟ !) كان من الضرورى تبليغها بلغة القوم المنزلة فيهم ، وبمصطلحها فى التعبير وأسلوبها فى البيان) ليكون لها من قوة التأثير ما تنتشر به انتشار الشمس والرياح فى الصحراء ! »

التاريخ : ٢٧ / ٣ / ١٩٦٤

اين هذا كله من كلمة اقرا فى دلالتها العربية واستعمالها القرانى ؟

الذى تعرفه لغتنا ــ لغة القرآن ــ أن القراءة تلاوة لنص مكتوب او غير مكتوب . وللمادة دلالات معجمية اخرى ، ليس بينها ماجاء به الدكتور هاشم فى ترجمته وتفسيره، من قرع للطبول، وصياح وتبشير !

فاذا احتكمنا الى القرآن، نجده استعمل مادة قرا ،فىستةوثمانين موضعا لا تحتمل اطلاقا ما جاء فى هذا التاويل ، بل ان منها ما ينفيه نفيا باتا ، كآيات :

((لاتحرك به لسانك لتعجل به ،، ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه)) ــ القيامة .

((فاقراوا ما تيسر من القرآن ، علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرأوا ما تيسر منه)) ــ المزمل

ومنها ما يشهد بأن العرب ، فى زمن الوحى ، كانت تعرف القراءة بدلالتها المألوفة على التلاوة من كتاب كآيات :

الاسراء ٩٣ : ((وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا .. او ترقى فى السماء،ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا))

يونس ٩٤ : ((فاسال الذين يقراون الكتاب من قبلك))

الاسراء ٧١ : ((فأولئك يقراون كتابهم))

ومعها آيات الاسراء : ١٤ ، والحاقة ١٩ ، والحجر : ١ ، ٨٧ والنمل : ١ ، ٩٢ والواقعة ٧٧ ..

وفيها جميعا تقترن القراءة او القرآن او التلاوة ، بالكتاب .

واطلق لفظ الكتاب على القرآن الكريم او مقترنا به فى نحو سبعين آية .

((كتاب فصلت اياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون))

ونحن نجاهد منذ سنين ، لنؤصل منهجا فى التفسير لا يجيز أن يقحم على النص ما لايحتمله حس العربية اولايقبله الاستعمال القرانى . ويرفض هذا المنهج ان نفسر لفظا قرآنيا دون استقراء كل مواقع استعماله فى القرآن ، لنحرر فهمنا لهذا النص الجليل مما فى بعض كتب التفسير من مقحمات اسرائيلية وشوائب مذهبية واذواق اعجمية ..

وقبل ان نختصم مع الدكتور هاشم امير ، الى الاصول المنهجية لدراسة النصوص ..

وقبل ان نسأله ؟

هل يسوغ اى منهج ، بمثل هذه التاويلات فى فهم اى نص من النصوص ؟

علينا أن نسأل انفسنا :

ــ كيف نسمح بان تنشر تفاسير محدثة للقرآن الكريم ، دون ان نهتم بمطالعتها ، فضلا عن فحصها وتقويمها ؟

واين ماالتزمنا به حرمة هذا النص من مسئولية التتبع لكل مايكتب عنه، واخضاعه لرقابة نقدية ، دقيقة وصارمة ترد عنه تشطط المتأولين ؟

وماقلته عن الترجمة فى المقال الماضى ، اقوله اليوم عن التفسير :

اذا لم يعننا امر هذه التفاسير ، من حيث الحرمة الدينية لكتاب الاسلام ، فلا اقل من ان نتصدى لحماية هذا النص الجليل الاصيل للغتنا ، وأن نراقب ما ينشر عنه من شروح وتاويلات ، ولو بالقدر الذى نراقب به ما ينشر هنا من شروح لنصوص من الاداب الغربية، تجدهنا نقادا يسهرون على حمايتها من عبث المترجمين وخطا الشراح وعدوان المقتبسين .

والقياس مع الفارق البعيد !

التاريخ : ٣ / ٤ / ١٩٦٤

بعد عام

أحمد لطفي السيد بين الوفاء والعقوق



بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

سعيت مع الساعين الى مهرجان ذكراه :

في ارض مولده ومهد نشاته وربوع صباه .

وامسكت دمعي لا ابكيه .

الا لان حولا كاملا قد انقضى
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

ولكن لاني لزمته في ايامه الاخيرة ، وايقنت انه مل البقاء وتعب من الدنيا .

وقد شف جسمه ووهن، وعاد بيننا اشبه بطيف لطيف رقيق ، تخفق فيه الروح تواقة الى الافلات من سجن المادة ، والانطلاق من اسر الارض .

ومن البر به الا ابكيه ، بعدما افلت وانطلق ..

وكنت بحيث ابكي على نفسي فقد كان الفقيد لي ابا .

لكن محنة اليتم لامثالنا لا يطول معها البكاء ..

وانما يوغل الحزن في اعماقنا شجنا مكتوما مطويا ، يداريه التصبر والتجلد ، ويرهفه العجز والكتمان :

كان الاسى فرضا لو ان الردى
قال لنا : افدوه ، فلم نفده

وقد مضى به الردى دون ان يسألنا فيه فداء ..

وصحبناه في رحلته الاخيرة الى

مقابر الفقير .
وبايدينا ، اسلمنــــاه الى من
غيبوه تحت الثرى .
وخلفناه وحده .. ومضينا :

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ، ولم يسمر بمـــكة ســـامر
وفى المنصورة ..

تمهلت فى سيرى ، احاول ان التمس على ارضها آثار خطوات لى ، بعد المهد وطواها الزمان ..

ثم لاحت لى من اعماق الماضى ، تذكرنى بانها كانت خطواتى الاولى ، فى الطريق الى لطفى السيد !

ففى المنصورة التقيت به فكريا على البعد ، حين نزحت اليها من دمياط ، أول عهدى بالعمل ، معلمة بمدرسة البنات الملحقة بمعلمات المنصورة ، وفى جولتى الاولى بالمدينة ، قصدت الى « مكتبة السروى » ابتغى شراء كتاب أو كتابين ، على قدر ما تسمح به ميزانيتى ، وقوامها أربعة جنيهات وعشرة قروش ، مرتبا شهريا انفق منه على غذاء الجسم والعقل .

وقدم لى صاحب المكتبة كتاب « حياة محمد » لهيكل ، فتلهفت على شرائه ، لكنى رددته فى حسرة ، حين لم اجد معى ما يكفى ثمنه . ولم اصدق سمعى ، حين عرض على ، صاحب المكتبة أن استعير ما شئت من كتب ، اطالعها واردها ، نظير اجر زهيد .
ولم يدر « السيد السروى » انه بذلك العرض المفاجىء ، وضع نقطة تحول فى مجـــرى حياتى بما اتاح لى من مطالعة كتب حديثة ، لم يكن لى عهد بمثلها قط ، فى مكتبة بيتنا التى لا مكان فيها لغير كتب الشريعة والتفســير والتصوف ، وقديم علوم العربية وتاريخ الاسلام .

وتفتحت امامى آفاق جديدة للمعرفة والتقيت باحمد لطفى السيد وآخرين من مفكرى العصر وادبائه . وعند مفترق الطرق حولت اتجاهى من طريق التعليم الاولى ، الى طريق الجامعة .

وكان على ، لكى ابلغها ؛ ان اتقدم من المنزل لامتحان شهادات الابتدائية والكفاءة الثانوية والبكالوريا .

ثم لما قطعت الشوط الطويل المجهد ، ووصلت الى الجامعة وانا الهث من مشقة المسعى ووعورة الطريق ، الفيت بابها امامى موصدا .

والى الاستاذ الجليل « محمد حسن العشماوى » أدين — فيما أدين — بفضل لقائى الاول بمعلم الجيل ، مدير الجامعة فقد كان هو الذى تحدث اليه فى أمرى ، واستاذن لى فى ان القاه ، حيث امضيت معه ساعة واحدة ، خرجت بعدها ولى أب روحى ، ليس فى الناس مثله !
وكنت اشفق ان اشق على ذلك الاب الكريم بمتاعبى ، حتى قال لى كلمة لا انساها :
« كانك ظننت ان بنوتك عبء على ! فماذا لو علمت اننى احوج اليها منك ؟ »

نشدتني اليه هذه الكلمة المثيرة بأوثق رباط ، وفتحت لى من مغالق عالمه الخاص ، ما اخصب وجودى الانسانى بمدد سخى متصل ، من الشعور المرهف والفهم العميق لبطولة الانسان العظيم فى احتمال الالم .
وصار بيته بيتا لى ، أغدو اليه وأروح فأجد فيه الاب والمعلم والصديق ..

وفى حفل الذكرى ، كان مكانى بين الخطباء والشعراء مكان بنت للفقيد ، اصغى فى زهو وشجو الى ما تحدث به المتكلمون عن مجد ابى الراحل وعظمته ، استاذا للجيل ومعلما للامة ..

وتراءى لنا طيفه الماثل ، وهو يخرج من بلدته ((برقين)) فى ريف الدقهلية، ليقود امته فى معركة وجودها الفكرى ، ويحدو مسراها فى ليل محنتها الطويل ، بدعاء الحرية ، ونداء : مصر للمصريين ..

وليؤجج فينا ضرام الثورة ، بما حرر من عقولنا وضمائرنا ، وبما اثار فى أعماقنا من شوق الى الحرية ، وطموح الى التقدم ووعى للذات ، وايمان بمصر ، وادراك لحتمية التطور والارتقاء ..

وكان من بين الذين تكلموا فى الحفل ، ثمانية من الاساتذة الجامعيين ، ثلاثة منهم شغلوا منصب مدير الجامعة ، وقد تعاقبوا على المنبر يذكرون ما صنع الفقيد للجامعة ، ويتحدثون عما تدين له بوجودها المادى والمعنوى .

ثم لما دعانا السيد ((اسماعيل فريد : محافظ الدقهلية)) لنتدارس موضوع احياء ذكراه ، عرض علينا فيما عرض من مقترحات المحافظة .

● تشترى المحافظة مكتبة الفقيد ، وتنقلها الى المنصورة لتكون مركزا ثقافيا .
● انشاء متحف فى ((برقين)) يضم مؤلفاته ومخلفاته .

● تنشىء المحافظة جوائز سنوية باسم الفقيد للمتفوقين من طلاب الجامعات، فى الدراسات التى كانت موضع عنايته .
● وتقدم منحة دراسية سنوية ، للمتفوقين من ابناء الدقهلية .

● وتقيم تمثالا له ، فى أحد ميادين المنصورة .

وعجبت للمفارقة :

محافظة الدقهلية ، وهى جهة ادارية ، تأبى ان ينفض الحفل ولم نخرج منه الا بخطب تلقى وكلمات تقال وقصائد تنشد .
وتتجه الى مثل ذلك الاسلوب العملى المجدى ، فى التكريم والتخليد ..

والجامعة وهى المركز العلمي الاعلى ، قد اكتفت فى نحيبه بتعطيل الدراسة يوم وفاته لتشييع جنازته ، ولو كان بحيث يستشار فى هذا التعطيل ، لانكره وأباه !

ثم انفض موكب الجنازة ..
وطويت الذكرى ...

ومضى حول كامل ، لم نسمع فيه ان الجامعة فكرت فى اطلاق اسم ابيها على قاعتها الكبرى ، كما أطلقت جامعة الازهر اسم ((الامام الشيخ محمد عبده)) على اكبر قاعة بها .

ولاسمعنا انها انشأت ، او فكرت فى انشاء كرسى باسمه ، فى احد اقسام الفلسفة او الصحافة أو القانون او الفكر السياسى .

ومحافظة الدقهلية ، اعتزمت نشر كتاب يضم الكلمات والقصائد التي القيت في حفل الذكرى ..

ولم نسمع ان الاساتذة الجامعيين ، من تلاميذ الفقيد واصدقائه ، اجتمعوا على مشروع علمي تذكاري للرجل الذي علمهم وقاد خطاهم على الطريق حتى اوصلهم الى مناصبهم العالية !

وكان « محافظة الدقهلية » اولى من الجامعة بتكريم ذلك المعلم العظيم ، الذي لا اذكر انه زار بلدته في الربع القرن الاخير من حياته ، ولا اتجه بوجدانه اليها . وانما الذي اذكره انه ظل ما عاش يقدس الجامعة التي صنعها على عينيه ، لتكون منارا فكريا للامة ، ومركز تعبئة لطاقاتها العقلية ، وحراسة لوجودها المعنوي .

الذي اذكره ، انه ظل الى آخر لحظة من عمره ، خافق القلب بحب الجامعة ، يرنو اليها بكل وجدانه ، ويسميها « معبد الفكر » !

وكدت اسال :

هل فيمن اطلقت الجامعات المصرية اسماءهم على مدرجاتها ، من صنع للجامعة ما صنع ابوها لطفي السيد ؟

او فيمن سوف نطلق اسماءهم على قاعاتها او تنشيء منحا وجوائز دراسية لذكراهم ، من تدين له الجامعة بمثل ما تدين به للطفي السيد ؟

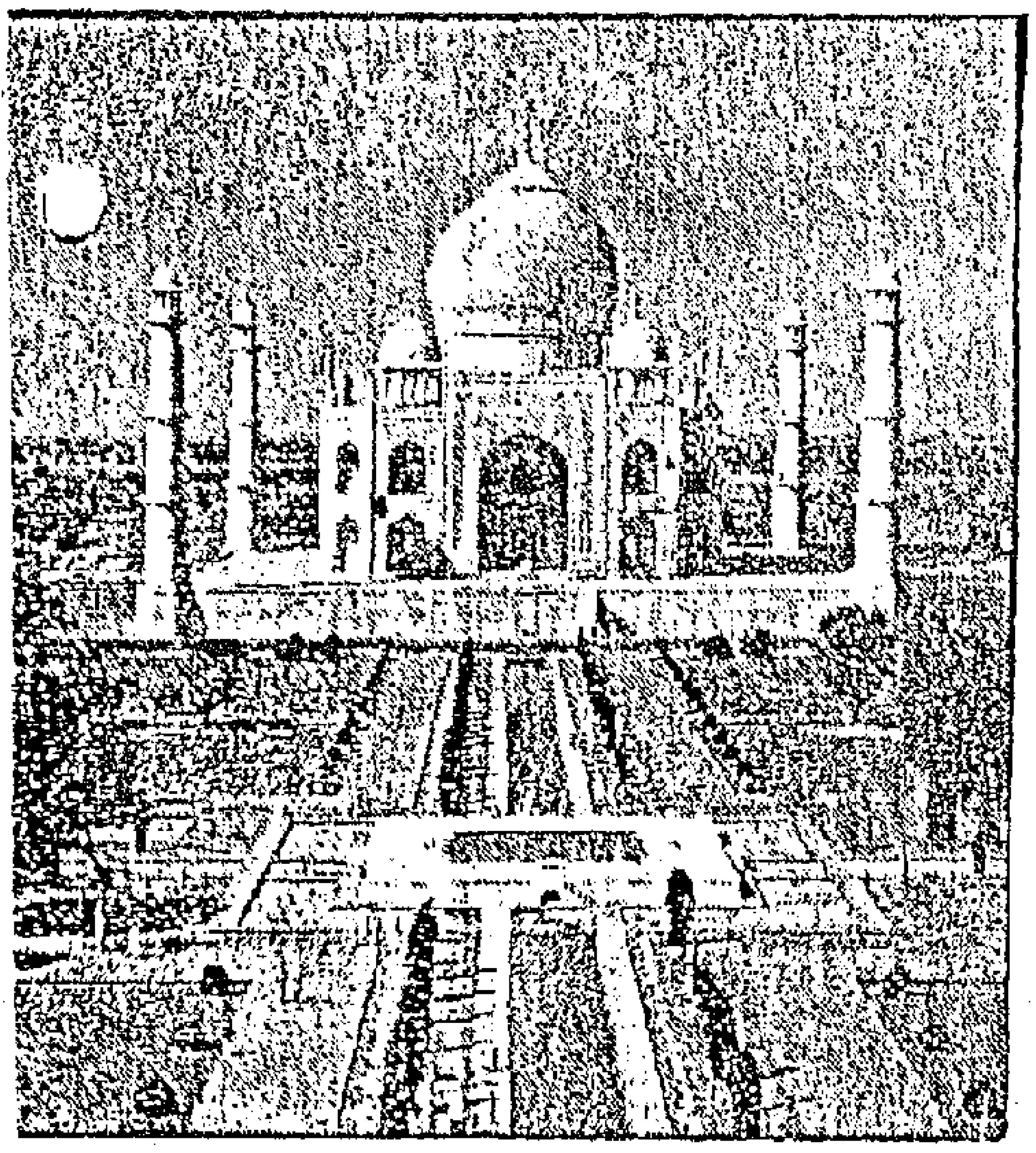
لكني ذكرت بعض ما علمني لطفي السيد ، فلم اجد جدوى من مثل هذا السؤال او ذاك ..

واني لاتمثله الان ، يصغي الى شكواي من ذاك العقوق والجحود والنكران ، فيبتسم ضاحكا من سذاجتي ، كما كان يفعل كلما شكوت اليه ما يصدمنا من اختلال القيم في حياتنا الفكرية ، واضطراب الموازين ، وضلال المقاييس !

وما احسبه كان يعلق على مثل ذاك العقوق ، الا بكلمته التي كان يعلق بها على الاخطاء والازمات : هذه طبيعة البشر !

ولبرحم الله معلمي ..
وليرحمنا من بعده !

التاريخ : ١٠ / ٤ / ١٩٦٤



خاتمة المطاف

عندما التقينا .. فى رحاب الحبّ!

الدكتورة بنت الشاطئ

فى المؤتمرات الدولية ، تحرص الدولة الداعية — عادة — على ان يشاهد الضيوف نموذجا يمثل حضارتها ويعبر عن شخصيتها

وقد اختارت الهند ، ان تدعو ضيوفها — اعضاء مؤتمر المستشرقين — الى منطقة ((اجرا ، وفاتح بورسيكرى)) ليروا ما بها من آثار تعبر عن روح الشرق ، وتعلن عن سره ، وترمز الى حضارته ..

والرحلة من نيودلهى الى اجرا طويلة ، تستغرق يومين كاملين ، مشحونين ببرنامج حافل .

وقد توقع اكثرنا ان تجهدهم بعد العمل الشاق فى ايام المؤتمر ، وكرهوا مع ذلك أن تفوتهم ، فلبوا الدعوة وهم مشفقون من مشقة الرحلة .

لكن الهند استطاعت بالتنظيم الدقيق والضيافة الكريمة والاستعداد الممتاز ، أن تجعل منها رحلة حافلة مثيرة ، توغلت بنا فى صميم روح الشرق ، ونقلتنا شبه مسحرين الى دنيا العجائب

وكل الاثار فى منطقة ((اجرا وفاتح بورسيكرى)) اسلامية ..

وتاريخها يرجع الى العصر المغولى ، وهو يلتقى زمنا ، مع العصور الاوربية الوسطى .

واسلامية هذه الاثار ، ترمز الى الطابع الدينى المميز لحضاره هذا الشرق ، مهد العقائد والاديان ، ومنزل الرسالات الروحية من قديم الآباد .

وعظمتها المادية ، ترمز الى المرحلة التى كانت شعلة الحضارة فيها تشع من هذا الشرق ، لتضىء ظلمات العصور الوسطى فى اوربا .

وجمالها العبقرى ، يرمز الى سر الروح ، يسرى فى الاثر المادى الجامد الاصم ، فينبض بالحياة ويتوهج بحرارتها ودفئها ...

وذلك هو طابع شرقنا العريق ، فى كل ماخلف من تراث فكرى وآثار مادية ..

التاريخ : ١٠ / ٤ / ١٩٦٤

وما اريد هنا ان اتحدث عما شاهدت من عجائب آثار المنطقة ، ونحن ننتقل من قلعة أجرا الى تاج محل وسيكاندرا ، ومن بوابة النصر فى بولاند داروزه الى مسجد « الشيخ سليم شيستى » وقصر فاتح بور سيكرى ..

كلا .. وانما يكفي ان اقف عند « تاج محل » اعجوبة الدنيا ..

لا لاصف روعة صرحه الشامخ ، وعبقرى هندسته ، ولا لانقل ما سمعته من تفاصيل البناء ، ومواده ، وابعاده ، ونفقاته وعدد المهندسين وألوف العمال الذين تفرغوا لتشييده ، مدى سبعة عشر عاما .

فالواقع انى كنت القى ظاهر سمعى الى ما يذكره لنا الدليل من كل هذا وانا مشغولة البال عنها ، فى تأمل مستغرق يشدنى بعيدا عن الزملاء الذين امسكوا باقلامهم ومفكراتهم ، وراحوا يدونون فى حرص وتتبع ، ما يملى الدليل من شروح وارقام ..

كنت بينهم حاضرة غائبة ..

أصغى الى ايحاء هذا الصرح العجيب ، ينقلنى عبر مئات السنين الى مسرح الاحداث لقصة حب خالد قهر الزمان وتحدى الفناء وفرض سلطانه على التاريخ ..

وتراءت لى اطياف ابطالها الثلاثة الذين رحلوا عن الدنيا ، وبليت منهم الاجساد ، وبقيت ذكرى الحب الذى خاض معركته مع شهوة السلطان وجبروت المادة ، وانتصر عليهما ..

انتصر على القوة التى تسحق عواطف الانسان ..

كما انتصر على الزمان الذى يُبلى البشر وعلى الموت الذى يسلم الاجساد لعبث البلى والفناء ..

تراءت لى اطيافهم تتهادى فى فيض من نشوة الحب ، ثم تمتد اليها يد النوى تمزق الشمل وتبدد النشوة وتلقى بهم فى دوب اعصار جائح يستنفذ كل طاقاتهم المادية ، ولا يبقى منهم الا وهج الروح ، وذكرى حب أبدى منتصر !

وعشت قصتهم بكل قلبى ، وكأن لم تكر عليها الايام والليالى ، ولا نسج الزمان بينى وبينها حجابا كثيفا ، مداه أربعمائة عام !

عشتها ، منذ جاءت الى قصر اجرا ، الشابة « البيجوم بانو بنت الوزير يمين الدولة » عروسا رائعة الجمال باهرة الحسن ندية الصبا فى ربيعها التاسع عشر ، لتزف الى ابن عمتها الامبراطورة نورجيهان : « الامير خورام ولى عهد الامبراطور جاهانجير » ، وحفيد السلطان أكبر مؤسس الدولة المغولية بالهند .

ومنحها الامبراطور لقب « ممتاز محل » وعاشت ستة عشر عاما مع زوجها الامير ينهلان من نبع الحب الصافى ، لاتعكره مسئوليات الحكم واعباء التاج ..

حتى مات الامبراطور الاب «جاهانجير» فى لاهور عام ١٦٢٧ ، وفى العام التالى اقيم حفل التتويج فى قصر قلعة اجرا ، واعتلى الامير خورام العرش باسم « الامبراطور شاه جاهان »

وزوجته الحبيبة « ممتاز محل » الى جانبه تحميه وترعاه ، وتشاركه اعباء منصبه : حاملة لخاتم الدولة ، ومستشارة اولى لكل شئونها .

ولا احد يدرى ، أكان حبها النادر لزوجها ، هو الذى اغراها بحب رعيته من أجله ، ام كان قلبها الكبير الرحيم ، قد اتسع لحب الزوج والشعب ؟

كل الذى يذكرونه ، انها امضت عاما على العرش ، ملء القلوب محبة واجلالا وقد استطاعت ان تلطف بحبها من ضراوة السلطان ، وان تجمع قلوب الشعب حول زوجها الامبراطور ، بجاذبيتها الآسرة ،

التاريخ : ١٠ / ٤ / ١٩٦٤

ونبل شمائلها ، وتصديها لحماية المظلومين ورعاية البؤساء ..

عاما واحدا ، ماتت بعده !

وقدمت حياتها هبة للحب ..

صحبت زوجها — وهي مثقلة بالحمل — حين توجه لاخماد ثورة حاكم لاحدى المقاطعات ، وهناك في مدينة « بورهاربر » بالهند الوسطى ، اغتالها الموت وهي تضع طفلتها « جوهرة » .

ومن قبلها ، كانت قد ولدت ثمانية بنين وخمس بنات ، اختطف الموت سبعة منهم في حياتها !

واودع الملك المحزون جثتها قبر «امانة : بحدائق زنداباد » ثم عاد بعد ستة اشهر لنحمل رفاتها الى مدفن مؤقت في «اجرا» ليأنس بقربها ، ريثما يبنى لها «تاج محل»

وعبث به الحزن ، فرفض أن يتقبل في فقيدته اى عزاء ، وانصرف عن شئون الدولة ، واعلن الحداد العام في كل انحاء المملكة فحظر سماع الموسيقى ، واستعمال العطور ، ولبس الحلي ، والثياب الزاهية

ومضت تسعة اعوام ، تم خلالها تشييد المدفن في تاج محل ، ونقل رفات الحبيبة الى مثواها الاخير

وواصل الوف العمال عملهم ، ثماني سنوات اخرى ، لاتمام تشييد الصرح العجيب .

وشحنات المرمر الابيض تحمل من جابور ، والجواهر والاحجار الثمينة تجلب من بقاع الهند وفارس وعبر جبال همالايا وخزانة الدولة مفتوحة الابواب ، تجبى اليها ملايين الروبيات ، لتتدفق سيلا يصب في تاج محل

والملك سادر في حزنه ، لم يعد يعنيه من الدنيا الا أن يتم تشييد البناء ، ليرقد الى جانب الحبيبة الراحلة .

وطالت سنوات الانتظار ، وهو يمضي لياليه الطوال أشبه بروح هائمة ، تطيف بمثوى الراقدة الغالية ، وتتجول في حديقة التاج ، حيث حفرت بحيرة تحف بها اشجار الحور الحزينة ، يصغي الملك الى نواحها كلما هبت ريح ، ويحدق في مياه البحيرة وهي تبدو لعينيه بحرا من الدموع .

وقد تم تشييد «التاج محل» عام ١٦٤٨ ، وأن لشاه جاهان أن يعود الى شواغل الدنيا ؛ ولكنه لم يعد ينتمي الى هذه الدنيا منذ رحلت عنها ممتاز محل ..

بل لم يعد يعنيه ان يفقد صبر ابنه « أورانجزب » فيثب على العرش بعد عشر سنوات ، ويسجنه في قاعة ضيقة بقلعة اجرا ..

كل ما عناه ، ان يجد في جدار محبسه كرة صغيرة يطل منها على مرقد « ممتاز محل » وان يخلو الى طيفها في وحدته ، يناجيها الى أن يحين اللقاء ..

وقد كان اللقاء بعد تسع سنين ، فاضجعه ولده الى جوارها جنبا الى جنب ، في المثوى الخالد الذى ظل على مر السنين وتتابع القرون ، مزارا للاحياء من كل جنس وديت ..

يشهدون فيه اعجب صرح شيده الحب

ويحنون رؤوسهم خاشعين امام مغزى الرمز ...

ويستردون به ايمانهم بسر الحياة ..

ويحيون لحظة في معبد الروح ، قبل ان تشدهم الدنيا باثقالها ، وتلفهم دوامة الوجود المادى بدوارها العنيف وهديرها الصاخب ..

وهناك التقينا !

نحن الذين جئنا من شتى اقطار الارض ، جمعا مختلطا ، متفاوت الازياء والالوان ، مختلف الملامح والسمات ، متغاير المذاهب والعقائد ..

هناك التقينا ..

بعد ثمانية أيام قضيناها في المؤتمر ، لم نستطع خلالها أن ننسى لحظة ، اننا ننتمي الى شرق او غرب ، وانا منا المسلمون ومنا المسيحيون والبوذيون ومن لادين لهم ..

ولا افلحنا في تجاهل ما بيننا من فروق وفواصل ...

حتى التقينا في المعبد :

تتماحت كل الفواصل ، وتوارت كل الفروق

بنفثة سحر من روح الشرق ..

تجلو عن جوهر الانسان فينا ، ما تراكم فوقه من احقاد التفرقة واثقال الملل واعباء الصراع وكثافة المادة ..

وتسرى في كياننا روحا علوية متألقة بنور الايمان وحرارة الحب ..

كما سرت في المرمر الاصم ، والهيكل المادي الجامد للصرح الشامخ ، فبثت فيه معنى الوجود وسر الحياة ..

وفي رهبة الصمت الخاشع ،
تنامى الى مسمعي من بعيد
صدى من دعاء «الدكتور راداكريشنان»
يوم افتتاح المؤتمر :
تقابلوا معا ، وتحادثوا معا
ولعل عقولكم تلتقي
في تفاهم وقربى ..
ولتكن افكاركم وعواطفكم
وأماني قلوبكم
نابعة من ضمير الانسان
ومتجهة الى الخير العام
وعلى الطريق ، سيروا معا
نحو وحدة البشر

فهل كان هذا اللقاء بين افراد الجمع الحاشد المختلط ، مقصودا لذاته من رحلة اجرا ، التي ختم بها برنامج المؤتمر ؟

هل اريد بها ان تكون تجربة استجابة لدعاء الانسان ؟

من يدرى .. !

ولقد كانت رحلتنا هذه ، خاتمة المطاف لمؤتمر المستشرقين بالهند ، وارجو بعدها ان ادع الحديث عن المؤتمر الى حين ، لعلي أفرغ للرد على ما تلقيت وتلقى بريد الاهرام من رسائل ، حول الذى كتبته عن القرآن الكريم في ترجماته وتفاسيره الاجنبية .

فالى لقاء ...

التاريخ : ١٧ / ٤ / ١٩٦٤

في تفسير القرآن

مقال في المنهج

فيما كتبت هنا عن الترجمات والتفاسير الاجنبية للقرآن الكريم، عجبت لمن يتصدون لمثل هذه المسئولية الصعبة دون ان يكونوا اهلا لها ، وانكرت على ((الدكتور هاشم امير على)) ان يجرؤ على ترجمة القرآن وتفسيره ، وهو يجهل العربية ، على حين يعييني — والعربية لغتي والنص القرآني موضوع تخصصي — ان افسر لفظا منه بآخر ، ولو كان مرادفاله في المعاجم ، او من نفس مادته اللغوية . وضربت لذلك مثلا فقلت اني لااستطيع ان افسر حلف باقسم وهما مترادفان في المعاجم وكتب التفسير — لان القرآن يستعمل (حلف) دائما وبلا استثناء في اليمين الكاذبة ، كما لا استطيع ان افسر رقبة بعنق ، والقرآن يستعمل رقبة دائما وبلا استثناء بدلالة مجازية ، لا بدلالتها الاصلية الحقيقية . بل لا استطيع ان افسر النعمة بالنعيم — وهما من مادة واحدة — والقرآن امامي لم يستعمل النعمة قط الا في نعم الدنيا ، كما لم يستعمل النعيم الا بدلالة خاصة ، على نعيم الآخرة .

دون أن اقصد الى عرض قضية الترادف اللغوي وموقف القرآن منه ، لعلمي أن الموضوع ادق من ان يعرض في مثل هذا المجال ؛ وانما تكفي الاشارة اللافتة والشاهد الموضح .

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

غير انى لما قرأت ما تلقيناه من ردود المعلقين على ما كتبت ، وجدت أن الموقف يحتاج الى مزيد تفصيل وبيان ، لأن القضية فيه تتعلق بالقرآن الكريم ، وأى اشتباه فيها أو لبس ، يجب أن يلقى كل العناية رعاية لحرمة النص الجليل ..

والأمر يتصل قبل كل شيء بمنهج تفسير القرآن من حيث هو كتاب العربية الأكبر ومعجزتها البيانية الباهرة ..

التاريخ : ١٧ / ٤ / ١٩٦٤

وهو منهج دقيق صارم ، لايدع للراى مجالا فى تفسير اى لفظ من القرآن ، لانه يحتكم دائما الى استعمال القرآن لهذا اللفظ ، باستقراء كل المواضع التى جاء فيها ، وتحديد دلالتها من سياقها ..

كيلا نقحم عليه مالا يقبله من دلالات دخيلة ومفاهيم طارئة .

ولكى نحمى النص من مفتريات التاويل وشطط الهوى ..

ولكى نتخلص فى فهمنا لكتاب العربية والاسلام ، من المقحمات الاسرائيليـــة والشوائب المذهبية والاذواق الاعجمية .

ويقول قائل :

اليس القرآن كتاب المسلمين جميعا ، فمن حق كل مسلم ان يفهمه كما يشاء ؟

ونقول : بلى ..

لكل من شاء ان يفهمه على قدر طاقته ومستواه ..

ولكل مصر ان يطيل التامل فى هذا النص الخالد ، ليعرف موقفه من قضايا العصر ومشكلات المجتمع ، ولست اتصور اطلاقا ، أن نجمد فهمنا لكتاب ديننا عند مجهود القدامى دون أن نستشرف لافاق ارحب ، ولا ان ~~نتحجر~~ فوقهم وعقليتهم ، وقد عاشوا فى زمان غير زماننا ، ولم يواجهوا ما نواجه ، من عقد وازمات معاصرة كتصادم المذاهب وصراع القوى ، والغزو العلمى الظافر لمتاهات المجهول وآفاق الفضاء واسرار الكون ..

مثلا ، اتى على قومنا حين من الدهر ، فهموا فيه من «التواصى بالصبر » فى القرآن الكريم ، انه مطلق الصبر ، بحيث يدخل فيه الصبر على عسف الطغاة وجبروت المستبدين ، والرضى بما سامتهم عصور الفساد والاقطاع من ضروب البغى والهوان ، ومن حقنا ان نفهمه فهما جديدا فى ضوء ماوصلنا اليه من رقى عقلى ودقة منهجية ، فنتتبع كل آيات الصبر فى كتاب ديننا ، لنحدد ما يتعلق به ، وندرك على وجه اليقين ما يعنى القرآن بالصبر الذى هو قرين الايمان ، وبالصابرين الذين يحبهم الله

واذا كان من الاقدمين من فهموا آية «الرجال قوامون على النساء» على ان القوامة حق للرجل بما هو مطلق ذكر ، على المراة بما هى مطلق انثى ، متأثرين فى هذا الفهم بعقلية زمانهم واوضاع مجتمعهم ، فمن حقنا أن نفهم الاية فهما جديدا ، يتتبع استعمال القرآن الكريم لالفاظ رجل وذكر ، وامراة وانثى ، لنحدد مناط القومية : اهى الذكورة ام الرجولة ؟

واذا كان الاقدمون فهموا من بلاغة القرآن ، أنها جارية على أحكام الصنعة البلاغية وقواعد علمائها فى التشبيـــه والاستعارة والمجاز والكناية والزخرف البديعى ، متأثرين فى ذلك بمفهومهم للبلاغة ومستجيبين لذوق عصورهم ، فلنا ان نتحرر من اغلال هذه الصنعة الذهنية ، لنلمح اسرار الاعجاز البيانى للقرآن الكريم من حيث هى قضايا فنية وظواهر اسلوبية ، يجلوها ما جد على ذوقنا من صقل فنى ، وما هدت اليه البحوث من خفايا عالم النفس واسرار القيم الجمالية !

ذلك كله من حقنا ، بل من واجبنا !

لكن ليس من حق اى انسان ان يقول فى القرآن الكريم برايه ، وانما يستنبط فقهاء النص دلالاته ، محتكمين دائما اليه ، وتاركين له القول الفصل فيما يهتدون اليه من قيم واحكام ..

كمثل ما يفعل فقهاء القانون فيما يدركون من أسرار تغيب عن سواهم ، فيكون اقصى جهدهم ان يأخذوا من النص ما يؤيد دعواهم ويفصل فى قضاياهم ..

ولا احد منا يتصور ان يترك اى قانون لاهواء الشراح ، ولا ان يتصدى لشرحه — دفاعا او اتهاما او قضاء وحكما — غير ذوى الدراية والاختصاص ..

ويشق على أكثرنا مع ذلك ، ان يقدروا حرمة النص القرآنى ، فيحسبوا ان القول فيه مباح لكل من هب ودب ، وان من حق اى انسان ان يفسره كما شاء ، ولو لم يكن له علم بالعربية وفقه لنص الكتاب المعجز!

ويسأل سائل :
اليس القرآن كتابا عربيا ،فلنا ان نفسر الفاظه بمعجم العربية ؟

واقول : بلى! ذاك هو الاصل الاول من اصول المنهج ، اذ لاسبيل لنا الى فهم اى لفظ من القرآن مالم نتقه الحس الاصيل له فى لغته العربية ، وندرك الملحظ الذى راعته فى استعمالها لمختلف صيغه واشتقاته ...

لكن دون ان يفوتنا ان للكلمة فى اى **نص بليغ** ، ايحاءها الخاص ودلالتها التى تفوت الدلالة المعجمية ، فالكلمة الواحدة تستعمل فى موقفين ،فيكون لهافى كل منهما وقعها وايحاؤها . والعبارة الواحدة تستعمل فى مقام فيتفاوت وقعها عنه فى مقام آخر . وعلى سبيل المثال ، اذكر ان **السواد** يأتى وصفا للعين اوالشعر ؛ كما يأتى وصفا للقلب أو الضمير ، فهل يستويان ؟ وعبارة ((**طال علينا الوقت**)) نقولها شكوى من محنة فراق ، ونقولها تعبيرا عن الضيق بمجلس أو الملل من اجتماع ، فهل تستويان ؟

ثم أن دلالات الالفاظ والعبارات تختلف باختلاف البيئات وتتغير مع الزمن : **فالامهات** فى الاستعمال المطلق ، تدل على الوالدات وهى فى الدراسات العلمية تعنى أصول المراجع والمصادر ، وكبرى الكتب المؤلفة فى ميدان الدرس . وما نسميه ((الشمسية)) فى بلادنا ،حيث نتقي بها الشمس ،يقابلها ((**المطرية**)) فى لغات بلاد لاتستعملها الا لاتقاء المطر .

وعبارة ((فى الحراسة)) لها اليوم مفهوم يختلف تماما عن مفهومها قبل الاجراءات الثورية والقوانين الاشتراكية ، وقد كان الداعى يدعو لمن يحب بالحراسة ، فاصبحت دعاء عليه !

ونضل ضلالا بعيدا ، اذا نحن فهمنا من **كون القرآن يصلح لكل زمان ومكان** ، أنه يعنى فيما يعنى أن نحمل ألفاظه مفهومات طارئة على العربية بعد عصره ، اودلالات لم تعرفهالغته فى بيئتها الاصيلة ، كأن نفسر القرية والقرى فيه ، بمفهومها فى عصرنا ، وهو يختلف تماما عن دلالته فى عصرالقرآن الكريم ، حيث كانت ((القرى)) فى الجزيرة العربية ، هى **الحواضر الكبرى كمكة ويثرب والطائف** ، وسميت ((مكة)) **ام القرى** ، بهذه الدلالة ، وهى متعينة فى مثل آيات :

((**ولتنذر ام القرى ومن حولها ، والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به**)) ــ **الانعام ٩٢**

((**وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها ، وتنذر يوم الجمع لاريب فيه**)) ــ **الشورى ٧**

((**وكاين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم**)) ــ **محمد ١٣**

التاريخ : ١٧ / ٤ / ١٩٦٤

ومنها آيات تشهد بأن القرية فى القرآن الكريم ، تتسع دلالتها ، فتطلق على البلد والاقليم ، وعلى الامة والقوم ، مثل آيات :

النمل ٣٤ : ((قالت أن الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة أهلها اذلة ، وكذلك يفعلون))

الاسراء ١٦ : ((واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا))

سبأ ٣٤ : ((وماارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بماارسلتم به كافرون. وقالوا نحن اكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين)).

الطلاق ٨ : ((وكاين من قرية عتت من أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا))

الشعراء ٢٠٨ : ((وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون . ذكرى وماكنا ظالمين))

هود ١١٧ : ((وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)).

فهل نفسر القرية والقرى فى هذه الايات وامثالها ، بما نفهمه من دلالة مستحدثة ، فى التقسيم الادارى والمصطلح العام !

أو هل نفسر ((الساعة)) فى القرآن الكريم بما نفهمه اليوم من الالة الضابطة لسير الوقت ، أو الجزء من الزمن مقداره ستون دقيقة ، والعربية لم تكن قد عرفت هذا الاستعمال فى عصر القرآن ، والساعة فى الكتاب الكريم تأتى معرفة بال للعهد ، اربعين مرة ، كلها بلا استثناء ، فى ساعة البعث والنشور ، على التخصيص والتعيين

والكتاب ؟ أنفهمه فى القرآن الكريم بدلالته فى البيئة النحوية على « كتاب سيبويه » أو بدلالته اللغوية العامة على مطلق جنس الكتاب ؟

أم نحتكم الى استعمال القرآن ، لنراه قد استعمل « الكتاب » — معرفا بال — بدلالة خاصة من المصطلح الدينى والشرعى واضطرد ذلك الاستعمال فى كل المواضع التى وردفيها «الكتاب » وعددها نحو ١٧٥ موضعا ، منها ١٧١ للكتب السماوية المنزلة ، وثلاث مرات لصحيفة الاعمال يوم الحساب ، ومرة واحدة لما فرض الاسلام من الاجل المقرر شرعا للعدة فى الطلاق ، فهى جميعا من الاستعمال الاسلامى فى السياق الدينى والشرعى ..

ليس امامنا اذن ، الا ان نحتكم الى القرآن الكريم فى بيان دلالاته على وجه الاستقراء المنهجى الدقيق لالفاظه ، وتحديد معانيها بالسياق

دون ان ندع ثغرة ينفذ منها اى تاويل مبتدع او قول مرتجل او هوى غالب او تعصب جامح ..

فبهذا وحده نصون حرمة النص الذى يقدم لنا العربية فى اصفى ذوقها واعلى بيانها ، بقدر ما يقدم لنا الفهم الحقيقى للاسلام فى جوهره الاصيل ..

وارجو ان تتاح لى فى فرص اخرى ، ان اشير الى ماهدى اليه هذا المنهج من ... حاسمة لقضايا ادبية ولغوية واجتماعية مما يشغلنا فى هذا العصر .

التاريخ : ٢٤ / ٤ / ١٩٦٤

كتابنا الاكبر

العربية والقرآن

القرآن كتاب الاسلام ، لكنه فى الوقت نفسه كتاب العربية الاكبر . وقد تم تدوينه فى عهد نزوله ، ولم يترك الامر فيه لذاكرة الحفاظ وامانه الصحـــابة ، فوضعه ذلك بمناى عن اى شك ، وصار لنا منه وثيقة لاصل نص للعربية ، فى انقى حسها واصفى ذوقها واعلى بيانها .

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

ترددت طويلا قبل أن أحاول عرض القضايا القرآنية هنـــا ، تقديرا لدقتها وصعوبتها . غيـــر أنى عدت فرايت من حق قرائنـــا أن يتصلوا بجديد الدراسات فى كتاب العربية والاسلام ، على نحو مـــا يتصلون بالمستحـــدث من المذاهب السياسية والاجتماعيه والفنية ، حيث يتناول الكتاب منها ما شاءوا من دقيق الموضوعات ، دون أن يعـــترض معترض بأن المجال العام لا يصلح لعرض مثل هذه القضايا .

وقد آن لنا أن ندرك أن حياتنا الفكرية يجب أن تساير التطور الثورى الذى جد على حياتنـــا العامة ، فنقدر حق الجماهير فى الاتصال بكل مـــا يتصل بصميم وجودنا القومى . ولا أتصور أن احدا منا يرتاب فى حيوية القضايا اللغوية والادبية ، لكنى أعلم أن بيننا من يظنـــون أن « القـــرآن الـــكريم » لا يعني الا أصحـــابه المسلمين ، فيخطئهم بذلـــك أن يدركوا أنه كتاب العربية الاكبر ، فى أصفى بيانها وآصل معجمها ، وأن يلمحوا حتمية صلته بمشكلات وجودنا اللغوى والادبى .

واذا كان لكل لغة فى الدنيا نصـــوصها الاصيلة العالية ، التى يرجع اليهـــا أصحابها فى فقه أسرارها وكسب ذوقها فلسنا نعرف فى تراث العربية كله ، نصا يدانى القرآن اصالة ونقاء :

وكان المفروض أن نلتمس العربيـــة الاصـــيلة فى كل تراث العصر الجاهلى وصدر الاســلام ، قبل أن تخرج اللغة من بيئتها الخالصة او تشوبها شائبة من عجمة . لكن الذى بين أيدينا من النصوص الجاهلية ظل يروى شفاها وينتقل على السنـــة الرواة جيلا بعد جيل ولم يبدأ تدوينه الا فى وقت متأخر ، وقد بعد العهد بقديمه وضاع أكثره ، فلم يبق الا القليل الذى رعته ذاكرة الزمن وحفظته من متاهـــة النسيان وغوائل الضياع ، وهذا القليل تعرض لعوامل التغيير والتحريف ، ولحقت ببعضه تهمة الوضع والانتحال بفعل دواع سياسية ومذهبية واجتماعية . وهى تهمة تضخمت فى ماضينا القريب حتى ألقت ظلا من الشك على ادب العصر الجاهلى كله ، لم يتخلص منه ميدان الدرس الادبى إلا منذ عهد قريب ، وبعـــد جهود مضـــنية حصرت الشـــك فى نطاقه المحـــدود ، وان لم تمنع ان يكون من هذا الشـــعر الذى نطمئن اليه ، ما زيف بمهارة تفوت خبرة علماء الشعر العربى .

أما القرآن الكريم ، فقد تم تدوينه فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، حيث كانت هناك هيئة متخصصة من كتاب

التاريخ : ٢٤ / ٤ / ١٩٦٤

الوحى ، يدونون ما يمليه الرسول مما انزل عليه من القرآن الكريم ، تحت اشرافه ورقابته ، فوقاه ذلك مما تعرضت له النصوص الاخرى من شوائب الرواية الشفهية ، التى لا تسلم — مع كل الامانة والحرص والتحرج — من اداء لفظ بآخر فى معناه ، وهو ما يعرف فى مصطلح الحديث بالرواية بالمعنى .

معنى هذا ، ان لدينا من عصر اصالة العربية قبل ان تخرج من بيئتها وتشوبها عجمة ، نصا عربيا تم تدوينه منذ نحو اربعة عشر قرنا ، باشراف النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم يترك الامر فيه لذاكرة الحفاظ وامانة الصحابة ، كما كان الشأن مع الاحاديث النبوية .

وقد أودع القرآن ، مدونا فى صحائفه لدى ام المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر ابن الخطاب ، ثم لما اتسعت الدولة بعد حركة الفتوح الكبرى واقتضى الامر ارسال نسخ من المصحف الى الامصار ، كان الخليفة عثمان بن عفان هو الذى اشرف على كتابة المصحف الامام ، ونسخ صورا منه وزعت على الامصار الاسلامية واحرق ما عداها من مصاحف كان فيها احرف من لغات القبائل العربية ، متحدة المعنى مختلفة اللفظ ، ورأى الخليفة ان يوحدها على حرف واحد، يقرأ به المسلمون جميعا ، حسما لكل شبهة أو خلاف .
وهذا المصحف الامام هو الاصل الذى نقلت منه كل المصاحف على تتابع القرون

فاذا قدرنا مع ذلك ، ان هذا القرآن هو النص المعجز الذى بهر العرب فاعياهم ان يأتوا بسورة من مثله ، والعربية فى عز مجدها وذروة نقائها ، ادركنا ما لهذا النص من خطر وجلال ، من حيث هو النموذج الاعلى والاصيل للغة العربية .

وادركنا معه ان كل دراسة ادبية او لغوية للنص القرآنى ، لاتعنى المسلمين وحدهم ، بقدر ما تعنى اصحاب العربية جميعا ، ممن يريدون ان يتصلوا بلغتهم فى ذوقها المصفى وجوهرها النقى وبيانها العالى .

والعربية تواجه اليوم مشكلات كبرى ، بحكم ما جد على حياة اهلها من تطور وما تضج به الدنيا حولهم من احداث العصر . ومن هذه المشكلات ما يتصل اقوى اتصال بواقعنا الثورى الذى يعنيه ان تكون اللغة فى خدمة الحياة ، لا ان تظل بمعزل عنها . ويكفى لبيان حتمية صلة اللغة بالحياة ، ان نذكر كفاح الاستعمار لكى يسرق السنة الشعوب التى امتحنت به ، مسخا لقوميتها وذريعة لغزوها روحيا وفكريا . وحين اعياه ان يسرق لسان شعب منا ، عبأ قواه لتدمير حيوية لغتنا ، لتظل كما اراد لها : **لغة اوراد قديمة ومتون صفراء وبقايا اثرية من مخلفات الموتى ..**

وراجت فينا اقوال شائعة ودعاوى مرسلة ، تلح على عقلنا ووجداننا بتقرير أن العربية لاتصلح ان تكون لغة علم ، لعجزها عن تحديد دلالات الالفاظ وضبط مفاهيمها ، ولاتصلح ان تكون لغة العصر لانها ترفض الاستجابة للتطور وتنكر الجديد حرصا على الحرمة الدينية للغة القرآن والحديث ! كما لاتصلح ان تكون لغة فن ادبى معاصر ، لقصور بيانها من التوغل فى اعماق الوجود ، ولمح اسرار الحياة ورؤى الجمال ، وانما قصارى جهدها البيانى ان يعنى بالشكل ويحتفل بالصورة وأن يقف عند الظواهر البادية ويلمح السطوح الترببة !

وكنا نسمع هذا ومثله ، فيداخلنا ريب فى طاقة لغتنا على مجاراة روح العصر ، ومعالجة قضاياه العلمية والفكرية والاستشراف لما يحلق فيه من آفاق فنية .

وكان عذرنا فى هذا الارتياب قصورا فى معاجمنا اللغوية ، وسقم اكثر النصوص التى اختارها لنا نقاد الادب العربى ومؤرخوه ، باذواق عصورهم واوضاع مجتمعهم .

وكان الخطأ الاكبر ، تنحية القرآن الكريم عن ميدان الدرس الادبى ومشكلات وجودنا اللغوى ، بدعوى ان لا شأن له الا بقضايا الشرع ولا مكان له الا فى الدراسات الاسلامية !

وفاتنا انه النص الاصيل الذى يجب ان نحتكم اليه فى ادراك جوهر العربية وتحديد طاقتها البيانية ..

فاتنا انه ليس من حق اى دارس ، ان يقضى فى العربية الاصيلة بحكم لغوى او ادبى ، دون ان يكون كتابها الاكبر حجة ومرجعا .

ولست اتردد فى ان اعلن هنا ، اننى ما عرفت لغتى قط ، كما عرفتها فى هذا الكتاب . ولا وجدت مجالا للمح اسرارها وفقه بيانها ، أرحب واخصب من مجال العكوف على دراسة النص القرآنى فى اعلى مراحل التخصص !

ثم اننا فى حاجة الى ان نقدر ما للقرآن الكريم من اثر بالغ فى ذوق الملايين من ابناء العربية على تتابع الاجيال والعصور، وهو اثر لايجيز لنا العلم ان نهدره او نتجاهله ، فيما يفرضه علينا العصر من جدية النظر فى قضية اللغة والحياة ، لان تجاهل هذا الاثر ، يعزل القضية عن وجودنا ، ويعطل ما قد نصل اليه من حلول لم تحسب حسابا لما فى تكويننا الذوقى واللغوى من تأثر بالكتاب الذى يسيطر على وجداننا ونصغى اليه ، بملء اسماعنا وقلوبنا ، صباح مساء !

وارجو ان اكون بهذا المقال ، قد جلوت شبهة من ضاقوا بما اشتغل به من دراسة للنص القرآنى وما انشر منها ، من هذا المنبر العام ، متوهمين اننى انفصل بها عن روح عصرنا !

التاريخ : ١ / ٥ / ١٩٦٤

العربية والقرآن

احاول منذ اليوم ، ان اعرض بين حين وآخر ، احدى القضايا اللغوية او الادبية التى تشغلنا ، محتكمة فيها الى كتاب العربيــة الاكبر الذى يقدمها الينا فى ذروة ثقافتها واصالتها ..

ومن مشكلات حياتنا اللغوية اليــوم ، البحث فى مــدى طاقة العربيــة على مجـــاراة اسلوب العصر ، فى دقة تعبيره ووضوح معناه وضبط دلالاته ، مع ماشاع فينـــا وذاع ، من أن العربيــة تستعمل عددا من الالفاظ للمعنى الواحد ، وهو ما يعرف بالترادف

دلالات الألفاظ

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

والمشكلة قديمة ترجع فيما اعلم الى عصر التدوين والتاليف فى القرن الثانى الهجرى ، حيث ظهر الخلاف حول وجود المترادفات فى اللغة العربية . ولاخلاف بين علماء اللغة فى وجود الترادف . اذا كان تعددالالفاظ راجعا الى اختلاف لغات القبائل العربية . كذلك لايشغلنا الترادف ، اذا كان بين الالفاظ المتول بترادفها قرابة صوتية ، اما ان تتعدد الالفاظ فى اللغة الواحدة ، دون قرابة صوتية ، فذلك موضع الخلاف من قديم :

والاصمعى كان يباهى بانه يعرف للحجر مثلا ، سبعين اسما ، على حين انكر « ابن الاعرابى » ــ وهو كالاصمعى من لغويى القرن الثانى ــ وجود الترادف فى العربية فقال :

« كل حرفين ــ لفظين ــ اوقعتهما العرب على معنى واحد ، فى كل منهما معنى ليس فى صاحبه ، ربما عرفناه فاخبرنا به ، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله »

وانكره كذلك « ثعلب والمبرد » من ائمة العربية فى القرن الثالث

وقد ظهرت فى الميدان من عصر مبكر كتب تنفى وجود الترادف ، وتقطع بان «اختلاف المعانى يوجب اختلاف الالفاظ» اذكر منها كتاب «فقه اللغة» لابى منصور الثعالبى ، و «الصاحبى» لابن فارس ، و «الفروق اللغوية» لابى هلال العسكرى من القرن الرابع الهجرى .

والى جانب هؤلاء ، وجد عدد من اللغويين القدامى ، يقول بوجود الترادف ويعده فضيلة فى اللغة العربية دون سائر اللغات (!!) ويراه ظاهرة ثراء فى معجمها وسعة فى قدرتها على التصرف ونقلت الينا اقوال لاصحاب هذا المذهب يباهون فيها بما يعرفون للشيء الواحد من عشرات الالفاظ ومئاتها . !

وهذا المذهب هو الذى كتب له الذيوع والرواج ، فمال اكثر مصنفى المعاجم اللغوية الى حشد الالفاظ المتعددة فى المعنى الواحد ، ومنهم « الفيروزابادى » ــ صاحب القاموس المحيط ــ وقدذكروا فى فهرست مصنفاته كتابا فى الترادف عنوانه : « الروض المسلوف ، فيما له اسمان الى الوف »

وجاء عصرنا فورث هذه المشكلة ، بعد ان جاوزنا مرحلة المفاضلة الساذجة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات ،واتجهنا الى البحث المنهجى فى خصائص لغتنا منتفعين بما هدت اليه البحوث الحديثة فى اللغويات والصوتيات وعلم الاجتماع اللغوى ، فلم تعد كثرة الالفاظ الدالة على المعنى الواحد مدعاة فخر ومباهاة بقدر ما اصبحت مشكلة تلتمس حلا .

ويبدو ان اكثر الدارسين المعاصرين ممن تعرضوا للقضية بداوا من نقطة التسليم بوجود الترادف . فمضوا يعالجون هذه الظاهرة اللغوية بتفسيرها والنظر فى اسبابها وانواعها (مجلة المجمع اللغوى بالقاهرة ــ المجلد ٨) او اقتراح حل يخلصنا من عبئها الباهظ الثقيل .

وذلك ((باستبعاد كثير من المترادفات التى لاحاجة اليها)) وهو اقتراح تقدم به المرحوم الاستاذ احمد امين الى مجمعنا اللغوى ، وانتهت لجنة الاصول الى رفضه فى تقريرها الذى عرض على مؤتمر المجمع فى دورته الحالية (فبراير ١٩٦٤) مرفقا بثلاثة بحوث فى الترادف .

وقبل أن نعرض القضية على القرآن الكريم ، يجب أن نتفق على معنى الترادف ضبطا للتناول وتحديدا للدلالات .

والعربية قد استعملت الردف فى الراكب مع راكب اخر ، واردفته اركبته معه والردف ايضا ، جليس الملك عن يمينه يخلفه اذا غزا ، ومن هذا الملحظ فى قيام الردف مقام اخر ، جاء الترادف اللغوى فى ((تعدد الالفاظ الدالة على شىء واحد)) ــ كعبارة القاموس ، او هو فى المصطلح : ((الالفاظ المفردة الدالة على شىء واحد ، باعتبار واحد)) كما فى كتاب المزهر .

وبهذا لايكون من الترادف ان يكون بين اللفظين ملحظ مشترك فى الدلالة ، لكن لا على وجه التعادل التام الذى يقوم به احدهما مقام الاخر ، فلا يتغير المعنى . فقولنا مثلا : محمد بشر ، لايعنى ترادف اللفظين لمجرد ان بينهما ملحظا مشتركا فى الدلالة .

ولعل القراء يذكرون انى بينت فيما نشرت هنا ــ فى شهر رمضان ــ من موجز التفسير البيانى لسورة العصر ، ان القرآن يفرق بين بشر وانسان فيستعمل الانسان بدلالته على الرشد واحتمال التكليف ، لا بدلالته على البشرية التى تاكل الطعام وتمشى فى الاسواق . ولا وجه للاعتراض بان كل انسان بشر فهما مترادفان بل ينتفى الترادف باختصاص احد اللفظين بدلالة لايشاركه فيها سواه .

وبمثل هذا الفهم للترادف تلت واقول ان القرآن يفرق بين حلف واقسم ، أو رقبة وعنق ، او نعمة ونعيم . وهى جميعا من الالفاظ المترادفة فى المعاجم وعند جمهرة المفسرين .

وانما خصصت هذه الالفاظ هنا بالذكر لارد على من انكروا استشهادى بها لنفى الترادف ، دون ان يقدروا اننى ماكنت لاجرؤ على تقرير مثل هذا لولم استقرىء كل مواضع استعمال القرآن لهذه الالفاظ

ففى حلف ، واقسم :

استعمل القرآن مادة حلف ، بصيغ مختلفة ، فى ١٣ موضعا كلها بلا استثناء فى اليمين الكاذبة ، منها خمس آيات من سورة التوبة :

«ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم» . هـ ٥٦

« .. والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم . يحلفون بالله لكم ليرضوكم ، والله ورسوله احق ان يرضوه » ــ ٦٢

« يحلفون بالله ماقالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر » ــ ٧٤ .

« يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » ــ ٩٦

« وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ، والله يشهد انهم لكاذبون » ومعها ايات :

النساء ٦٢ : ((واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول ، رايت المنافقين يصدون عنك صدودا . فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا))

المائدة ٩٢ : ((كفارة ايمانكم اذا حلفتم))

المجادلة ١٤ ، ــ ٢٨ : ((ويحلفون على الكذب وهم يعلمون)) ((يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم .. الا انهم هم الكاذبون))

التاريخ : ١ / ٥ / ١٩٦٤

القلم ١٠ : « ولاتطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم .مناع للخير معتد اثيم»
وليس فيها على الاطلاق ، الا اليمين الكاذبة ..

ولايجوز القول بترادف حلف واقسم الا اذا كان القران يستعمل القسم ، دائما وبلا استثناء فى اليمين الكاذبة ، مثل حلف ٠لكنا نراه استعمل المصدر فى آية الواقعة مؤكدا عظمته « **وانه لقسم لو تعلمون عظيم** » واستعمل الفعل المضارع « اقسم » **مسندا الى الله تعالى** فى ايات ثمان ، حيث لامجال لشبهة فى صدق اليمين .

وجاء الفعل مسندا الى غير الله تعالى فى مواضع اخرى لاتحتمل كذلك اى ريب فى صدق اليمين مثل ايات :

الروم ٥٥ : « **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة** »

النحل ٣٨ : « **واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت** » وكانوا فى قسمهم صادقين لانهم لو امنوا بالبعث لما اقسموا ان الله لايبعث من يموت .

ويكفى ان ياتى القسم فى اليمين الصادقة ولو مرة ، لينتفى الترادف مع حلف التى تاتى دائما وبلا استثناء فى اليمين الكاذبة .

وانتقل الى رقبة وعنق : فاقرر ان استقصاء مواضع استعمالهما فى القران كله ينفى ترادفهما باستعمال رقبة دائما وبلا استثناء بدلالة مجازية .

فقد جاءت رقبة — بصيغة المفرد — فى ستة مواضع : ثلاث منها فى آية النساء ٩٢ : « **فتحرير رقبة مؤمنة** »
وآية المائدة ٨٩ : « او تحرير رقبة »
« المجادلة ٣ : فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا »
« البلد ١٣ : فلا اقتحم العقبة . وما ادراك ما العقبة . فك رقبة »
وكلها بلا استثناء مع الفك والتحرير من الرق .

وجاءت رقاب — جمعا — فى ٣ايات اثنتان منها بهذه الدلالة فى ايتى البقرة ١٧٧ والتوبة ٦٠ . وتبقى اية القتال :
« **فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما منا بعد واما فداء** »

وقد قال فيها « **ابو حيان** » فى «البحر المحيط » مانصه :

« **ولا يراد خصوصية الرقاب ، فانه لايكاد تتاتى حالة الحرب ان تضرب الرقاب وانما يتاتى القتل فى اى موضع كان من الاعضاء .** »

واذن فهى مستعملة هنا **بدلالة مجازية** من اطلاق الجزء على الكل ، فتزيد الملحظ القرآنى فى استعماله الرقبة والرقاب فى كل الايات الثمانى الاخرى بدلالتها على مقتل الانسان معنويا بالرق والاستعباد

اما « **عنق** » فيكفى لنفى الترادف بينها وبين رقبة ان تاتى مستعملة بدلالتها الحقيقية الاصلية فى مثل ايات :

سبأ ٣٣ : « **واسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا** »
يس ٨ : « **انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون** » .
ص ٣٣ : « **... فطفق مسحا بالسوق والاعناق** »
غافر ٧١ : « **اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون . فى الحميم ثم فى النار يسجرون** »

وماذا عن النعمة والنعيم ؟

الكلمتان صيغتان من مادة واحدة ، والمعاجم وكتب التفسير لاتفرق بين احداهما والاخرى ، فهل كذلك صنيع القران فى **دقة حسه وعالى بيانه ؟**

اعترف بانى لم التفت الى اى فرق بينهما ، قبل ان اشتغل بالتفسير البيانى لسورة التكاثر ، التى تختتم بالاية : «ثم لتسالن يومئذ عن النعيم »

التاريخ : ١ / ٥ / ١٩٦٤

وباستقراء مواضيع استعمال المادة فى القرآن ، وجدته استعمل نعمة – مفردة – ٤٧ مرة ، كلها بلا استثناء فى نعم الدنيا .

وكذلك اطرد استعماله لصيغ نعماء (هود ١٠) ونعم وانعم – جمع نعمة – (لقمان ٢٠ ، النحل ١١٢ ، ١٢١) فى الحديث عن نعم الدنيا .

اما صيغة النعيم ، فانفردت بدلالتها الخاصة على نعيم الاخرة ، فى كل مواضع استعمالها فى القران الكريم اعنى ايات :

التوبة ٢١ : « يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم »

الطور ١٧ : « ان المتقين فى جنات ونعيم »

المعارج ٣٨ : « ايطمع كل امرىء منهم ان يدخل جنة نعيم »

الواقعة ٨٩ : « فاما ان كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم » .

الواقعة ١٢ : « اولئك المقربون فى جنات النعيم » .

الانفطار ١٣ : « ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم »

المطففين ٢٢ : « ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون . تعرف فى وجوههم نضرة النعيم »

الانسان ٢٠ : « واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا .. ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا »

المائدة ٦٥ : «ولادخلناهم جنات النعيم»

يونس ٩ : « تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم »

الحج ٥٦ : « الملك يومئذ لله ، فالذين امنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم »

الصافات ٤٣ : «اولئك لهم رزق معلوم .. فى جنات النعيم »

لقمان ٨ : « ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم »

الشعراء ٨٥ : « واجعلنى من ورثة جنة النعيم »

ن ٣٤ : «ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم »

وامام اطراد استعماله للنعيم بهذه الدلالة الخاصة دون ان يتخلف عنها فى اى موضع ، لم يبق الا النزول على حكم القرآن ، فلسنا مخيرين فى تاويل لفظ النعيم بما يحتمله لغة او مجازا ، والنص القرانى امامنا لم يستعمله قط فى وصف نعمة من نعم الدنيا ، وانما هو فيه دائما وبلا استثناء نعيم الاخرة ..

وسر البيان فيه ، ان هؤلاء الذين الهاهم التكاثر فى متاع الدنيا الفانية عن التزود لاخرتهم ، سيسالون يوم يعلمون علم اليقين ، ويرون الجحيم عين اليقين عن النعيم الحق ماهو ؟

وعجيب حقا ان يعترض معترض : هؤلاء لن يدخلوا الجنة فكيف يسالون عن نعيم لايعرفونه ؟

وكان الذى يصلى نار الجحيم فى حاجة الى ان يدرك حق اليقين ان النجاة من عذاب النار ، نعيم مابعده نعيم

الى هذا المدى من دقة الحس وروعة البيان يفرق القرآن بين صيغتين من مادة لغوية واحدة .. فهل لى ان اقول :

ان العربية فى كتابها الاصيل الاكبر تحسم هذا الخلاف الذى احتدم وطال حول الترادف ، وتنفى الشك فى دقة حسها وقدرتها على ضبط الدلالات ، والزعم بانها وضعت للمعنى الواحد عشرات ومئات من الالفاظ ؟

وبعد فلست استبعد – ومايزال امامى عمل طويل فى دراسة النص القرآنى ، يستغرق العمر كله – ان تواجهنا منه الفاظ تبدو لنا مترادفة ويغيب عنا الملحظ الدقيق للقرآن فى استعمالها ..

حينئذ اقول فيها ماقاله «ابن الاعرابى» منذ اثنى عشر قرنا .

« كل حرفين – لفظين – اوقعتهما العرب على معنى واحد ، فى كل منهما معنى ليس فى صاحبه ، ربما عرفناه فاخبرنا به ، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله »

التاريخ : ٥ / ٥ / ١٩٦٤

دائرة المعارف

أدب

رسالة الغفران

حوالى ١٠٣٢ (سنة ٤٢٢ هـ) تلقى «ابو العلاء» وهو معتزل فى داره بمعرة النعمان رسالة ادبية اخوانية من اديب حلبى معاصر هو «ابن القارح : ابو الحسن على بن منصور» ولم يكن بينهما تعارف سابق ، اذ كان ابن القارح منتظما لخدمة آل «الوزير المغربى» فى مصر ، ثم تنكر لهم بعد نكبتهم ، فلما قدم «حلب» فى شيخوخته ، كتب رسالة الى شيخ المعرة ، يعرفه بنفسه ، ويلتمس مودته ويبرر مسلكه من آل المغربى ، ويعرض بضاعته من العلم والادب .

واملى «ابو العلاء» رده على ابن القارح فى رسالة مطولة تجرى مجرى الكتب المصنفة وسماها «رسالة الغفران» .

والرسالة تبدا بمقدمة يعرب فيها ابو العلاء عما يضمر قلبه لابن القارح من مودة ، مصطنعا اسلوب الالغاز : يلغز فيه عن القلب بعدة اسماء ، ثم يفسر اللغز مع شروح لغوية

وتاتى الرسالة بعد هذه المقدمة فى فصلين اولهما : رحلة خيالية طويلة الى العالم الاخر ، استطرد اليها عندما ذكر وصول رسالة ابن القارح اليه ، فالقاها مفتتحة بتمجيد الله ، وفى قدرته تعالى ان يجعل الفاظها اشباح نور تعرج بكاتبها الى السماء ، وتغرس له ببركتها اشجارا فى الجنة ، يجلس ابن القارح فى ظلها ان شاء الله ، وقد اصطفى له من ندامى الفردوس عددا من ائمة اللغة المتقدمين ، ويدور الحديث بينهم من اخبار الشعراء فاذا جاء ذكر « الاعشى » وتمنوا ان يكون بينهم ينشدهم قصائده ، وجدوه امامهم شابا احور العينين . فيعجبون لوجوده فى الجنة وقد مات كافرا . ويساله ابن القارح : بم غفر له ؟ فيجيب بان قصيدته الدالية التى نظمها فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم قد شفعت له ! وحينئذ يطمع « ابن القارح » ومن معه من ندامى الفردوس ، فى ان يحظى بالمغفرة كثير من شعراء الجاهلية والاسلام .

ويتوم « ابن القارح » برحلة فى ارجاء الجنة ، حيث يلتقى عددا من مشهورى الشعراء ويتفنن فى وصف ماينعم به ادباء الجنة ، مما لاعين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ويعقد المجالس الادبية واللغوية ثم يبدو لابن القارح ان يطلع على النار ليلقى من فيها من الشعراء ، وهناك يدور بينه وبينهم واحدا بعد الاخر ، حوار ادبى حول المروى من اشعارهم . . فاذا ماانتهى من ذلك ، عاد الى محله المشيد فى الجنة

وتستغرق هذه الرحلة نحو نصف الرسالة وبعدها يبدا الفصل الثانى منها وفيه يرد «ابو العلاء» على ماجاء فى رسالة ابن القارح فقرة فقرة ، بحيث ينفذ بنا متابعة حديث ابى العلاء ، مالم تكن رسالة ابن القارح بين ايدينا .

والرحلة الى العالم الاخر ، هى التى اكسبت «رسالة الغفران» شهرتها فى العالم الغربى وبخاصة بعد ان شاعت فكرة قائلة بتاثر « دانتى » بها فى الكوميديا الالهية ، لم تلبث ان دخلت ميدان الدراسة الجادة ، منذ نشر المستشرق الاسبانى «ميجويل اسين بلاسيوس» كتابه المشهور « الاسلام والكوميديا الالهية » وقرر فيه ان اصولا اسلامية من بينها رسالة الغفران كانت منابع للكوميديا الالهية . وايد رايه بنصوص مترجمة من الغفران ، قابلها على نصوص مشابهة من الكوميديا . واحدث كتابه ثورة فى الدوائر الادبية باوروبا ،

واذا كانت القضية لاتزال موضع بحث ومناقشة ، فالذى لاشك فيه ان لرحلة ابى العلاء فى رسالة الغفران ، اهميتها الخاصة من حيث كونها تصويرا فنيا فريدا للعالم الاخر كما تمثله اديب ضرير محروم ، عاش سبعة واربعين عاما حبيس بيته بمعرة النعمان .

فابو العلاء الاديب ، لايجعل فى عالمه الاخر مكانا لغير الشعراء وائمة اللغة ومن هؤلاء الشعراء من غفر له بقصيدة كالاعشى ، او ببيت واحد من الشعر كالحطيئة . وحور الجنة ترقص على ايقاع الشعر ، والقيان يغنين بقصائد للشعراء ، وحديث اهل الجنة حوار ادبى ومناقشة لمسائل لغوية . والامر كذلك فى جهنم : كل الذين لقيهم هناك ، شعراء مشهورون . والحديث معهم عن الرواية والشعر .

وابو العلاء المحروم الحبيس ، يتفنن فى عرض الشهوات والملذات المادية الحسية ، ويملا عالمه الاخر حركة وانفعالا ، من صيد ورحلة ورقص وغناء ، وغضب وسخط وشجار ومنافرة

ومن هنا تضىء لنا الرسالة نفسية صاحبها وتصحح ماشاع قبلنا عن كراهته للدنيا وزهده فى ملاذها ، وقهره لاهواء بشريته . كما تجلو لنا موقفه من عصره ، اذ نرى فى رحلته انسحابا من عالم ضج بالفساد والنفاق ، الى عالم اخر يتمثله مبرءا من السياسة ، لا نلقى فيه احدا من اهلها الا المعذبين فى المحشر .

اما القسم الثانى ، فترجع اهميته الى ما قدم من اخبار الزنادقة ، وماروى من اشعارهم وما حفل به من امال لغوية واراء نقدية فى الادب والمجتمع . . .

ولم تنشر « رسالة الغفران » فى الغرب كاملة ، وانما نشر المستشرق الانجليزى «نيكلسون» فصولا منها فى المجلة الاسيوية الملكية مابين عامى ١٨٨٩ ، ١٩٠٢ . كما ترجم «بلاسيوس» قطعا منها الى الاسبانية ، فى كتابه عن «الاسلام والكوميديا الالهية» الذى نشر بمدريد سنة ١٩١٩ وترجم بعد ذلك الى الانجليزية وغيرها . على ان فى مكتبة الاستشراق ، عددا كثيرا من البحوث والدراسات الخاصة برسالة الغفران .

وفى المكتبة العربية ، نشر نص رسالة الغفران محققا لاول مرة ، فى سلسلة ذخائر العرب ، عام ١٩٥٠ ثم اعيد نشره عام ١٩٥٧ مع نص محقق لرسالة ابن القارح ونشرت طبعة ثالثة عام ١٩٦٢ . وقد حققته « بنت الشاطىء» وقدمت كذلك دراسة نقدية له بعنوان « الغفران » — لدرجة الدكتوراه فى الاداب — وطبعت هذه الدراسة فى دار المعارف مرتين (١٩٥٤ — ١٩٦٢) . كما نشر الدكتور امجد الطرابلسى كتابا عن « النقد واللغة فى رسالة الغفران » طبع فى دمشق سنة ١٩٥٠ .

د. بنت الشاطىء
جامعة عين شمس

التاريخ : ٨ / ٥ / ١٩٦٤

أمير البيان شكيب أرسلان



شكيب ارسلان

الشيخ احمد الشرباصي

الدكتورة بنت الشاطئ

كنت اوثر ان ارجيء الاشتغال بهذه القضية حتى افرغ لها بعد حين . غير انى شهدت عددا من المجالس الادبية ، كان كل الحديث فيها عن الامير شكيب ارسلان ، وكتابه الذى الفه فضيلة الشيخ احمد الشرباصى . وقد تعارضت فيه وجهات النظر واختلفت الاراء ، فلم اشأ ان اظل بمعزل عن القضية بعد كل الذى سمعته .

ويعنينى قبل كل شيء ، ان الفت الى ان موضوع الكتاب محدد بعنوانه : ((امير البيان : شكيب ارسلان)) وهذا التحديد يعفى الدارس من واجب الاستيعاب لتاريخ شكيب الحافل ، او جوانب شخصيته الرحبة . وان لم يعفه من الاتصال بكل اثاره ، والاطلاع على ماوعى العصر من اخبار ومرويات عنه .

وقد ولد شكيب ارسلان عام ١٨٦٩ وامتد به العمر فعاش سبعا وسبعين سنة مليئة خصبة ، شارك فيها فى حياة قومه ، وخاض معاركهم الكبرى ، وشهد احداث عصرين من عصور التحول والانقلاب فى تاريخهم : اولهما العصر العثمانى فى مرحلة احتضاره التى حسمتها الحرب العالمية الاولى ، والاخر عصر التمار دول الاستعمار الغربى على انتهاب ماحسبوه ((تركة الرجل المريض !)) التى تقاسموها فيما بينهم بالحماية والانتداب والاحتلال وكان الشعوب ثورت ، والاوطان تدخل فى نطاق التركات . وقد بدأ هذا العصر ينحسر ايضا امام موجات اليقظة وثورات الحرية التى تاججت فى الوطن العربى فى اعقاب الحرب العالمية الثانية .

وشكيب ارسلان قد عاش تلك الاحداث ولم يكف عن النضال حتى آب من غربته عام ١٩٤٦ مثخنا بجراح المعركة ، ليدفن فى ثرى ارضه وارض قومه واجداده .

وترك ميراثا ضخما من اثار قلمه ، ملأت نحو اربعين كتابا مطبوعا ، ومئات من المقالات مبعثرة فى شتى الصحف والمجلات ، فضلا عن الرسائل المخطوطة التى يحتفظ بها اهله واصدقاؤه .

وقد جمع الشيخ الشرباصى من ذلك كله ماجمع ، محتملا فى سبيل ذلك ، مشقة مضنية لايعرفها الا من يكابدها ، ثم عكف عليه طويلا ، فاحصا متاملا ، يستجلى ملامح شخصية شكيب ارسلان وعصره ،

واصغى الى ما وصل الى مسمعه من اصداء باقيــة ، للمعارك التى خاضها غير انه لما فرغ للكتابة عن ((امير البيان)) اكتفى بالمام سريع بعصره وبيئته ، ليفرغ للجانب الادبى من شخصيته ، غير مكثر بحشد كل ماقرا وجمع ، على نحو مايفعل اكثر الدارسين ، ممن لا يطيقــون ان يتخلوا من كلمة واحدة مما قراوا حول الموضوع الذى يدرسونه .

ونقول مع ذلك ، ان الفصل بين الاديب والسياسى ، امر بالغ الصعوبة فى شخصية الامير شكيب ارسلان الذى كانت السياسة محور حياته ، بحيث يشق علينا ان نفهم شخصيته الادبية بمعزل عن حياته السياسية . ولعل حرص الشيخ الشرباصى على الاقتصار على الجانب الادبى من شخصية شكيب ، هو المسئول عن قصور تناوله الجانب السياسى منها ، خلال نظرته الى " عصر شكيب " فهذا الباب ياخذ صورة العرض التاريخى السريع للعصر ، شبه مستقل عما نقرا بعده من ابواب خاصــة بادب شــكيب

وتعوزه هنا احيانا دقة المؤرخ واصالة المصادر : فكتاب ((شعراء الحماسة والعروبة فى الشام للدكتور امجد الطرابلسى)) ليس مصدرا تاريخيــا لاحداث مشانق جمال باشا فى الشام فى ايار ١٩١٦ او ولاية فيصل لعرش سورية سنة ١٩٢٠ (ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨)

وكتاب ((الوحدة فى الشرق : للاعظمى وعبد الكريم)) لامكان له بين المصادر الاصيلة لاحداث الثورة الســورية عام ١٩٢٥ ، او اعلان ميثاق الدول العربية (ص ٥٠ ، ٥٢)

وكتاب ((الاتجاهات الادبية فى العالم العربى الحديث لانيس المقدسى)) لا مكان له ايضا بين المصادر التاريخية للحرب البلقانية ، وفقد الدولة العثمانية لجزيرة كريت (ص ٣٧)

والقضية النقدية الهامة التى يثيرها الكتاب ، هى قضية الحياد العلمى للدارس فالشيخ الشرباصى يقدم الينا كتابه ، مصدرا باعتراف صريح بما يحمل للامير شكيب من حب واعجاب . منذ كان يقرا له فتبهره قوة بيــانه وروحه الاســلامية العــربية . وبعد ان ابرا ذمته بهــذا الاعتراف ، قرر انه حاول قدر استطاعته ان يتجرد للبحث فى نزاهة علمية ، متحررا من ســحر الاعجاب بصاحبه .

ودون ان انصدى الان للحكم على مدى توفيقه فيما حاول ، ارى اننا فى حاجة الى ان نعيد النظر فى موقفنا من قضية الحياد العلمى فى الدراسة الادبية ، حيث تعوزنا ــ فيما اقدر ــ شجاعة الاقرار بعجز بشريتنا عن التجرد المطلق والحياد التام . وانما اقصى مانستطيعه هو جهد المحاولة المخلصة . وهذا التفسير لصعوبة الحياد المطلق، سيجعل التعاطف الوجدانى والفكرى بين الدارس والمدروس ، امرا طبيعيا نقابله بالفهم والتسامح لابالتجريح والازدراء .

واذن فلا لوم على الشيخ الشرباصى فيما يبدو من تعاطفه احيانا مع الامير شكيب ، بل يكفينا منه انه اعترف بادىء ذى بدء باعجــابه بالرجـل ، ثم حاول التجرد والحياد قدر طاقته فنقل الينا من اقوال خصوم شكيب ارسلان مانقل (ص ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٠) واثبت من الماخذ النقدية عليه ما اثبت (ص ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠١ ، ٢٨٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨) والتفت الى ماكان من تكسبه الادبى بالشعر يجامل به كبار الكتاب ويتقرب الى اعلام الجيل (ص ٣٠١) ورفض اعتذاره عن توارد الخواطر (٢٩٨) واطال السؤال عن راى شــكيب فى السلوك الخلقى الذى يدعو اليه « ابن المقفع » فى رسالة «الدرة اليتيمة» التى نشرها شكيب ارسلان كما سجل من مواقفه ، ونصوص اقواله ماهو عرضــة للوم والمؤاخذة والتجريح مثل رسالته الى صديقه على الغاياتى التى برر فيها استرضاءه للسفاح جمال باشا، خوفا على الاهل والجماعة (ص٤٤) ونص اللائحة التى فاوض بهــا منـدوب الاحتلال الفرنسى فى سورية (ص ٩٧) ومقابلته لموسولينى سعيا وراء حل سلمى للقضية الطرابلسية (ص ١٠٧) ومابدا من موقفه من الثورة العربية ضد الترك العثمانيين (ص ٤٦)

واذا كان الشيخ الشرباصى ، قد حاول تبرير بعض هذه المواقف بفهم الظروف المحيطة بها والدافعة اليها ، فلاباس على الحق التاريخى من مثل هذا ، لانه لايعدو ان يكون كلمة دفاع وليست ملزمة وان تكون الكلمة الاولى ولا الاخيرة فى الموضــوع .

وشكيب ارسلان كان ملء الحياة العامة لقومه ، فطبيعى ان يكون له خصوم واعداء ثم انه قد عاش فى عهود تحول حرجة تتصادم فيها التيارات وتتعارض المبادىء

التاريخ : ٨ / ٥ / ١٩٦٤

ولا تؤمن المهشرات والزلات . واذا كنا نرفض ان تعرض علينا شخصيات الاعلام الراحلين فى سير منقبة تجردهم من ضعف بشريتهم واهوائها واخطائها ، فنحن جديرون بان نرفض معها ، ان يقف الدارس من احدهم موقف الخصم الذى يلذ له ان يتصيد العثرات ويضخم الاخطاء ثم لا يلبث ان يقف موقف الحكم ممن اتخذه خصما !.

واذكر للشيخ الشرباصى بكل التقدير انه لم يرض لنفسه ان يقف من شكيب ارسلان موقف الخصم والحكم ولم يتخذ من العثرات والاخطـــاء التى ذكرها ،

فرصة للاعلان عن نفسه والزهو بمبادئه على حساب الفقيد الراحل ..

وننظر فى الكتاب من حيث هو دراسة لادب شكيب ارسلان ، فنرى الدارس لم يتمثل موضوعه على النحـــو المنتظر من مثله فى ســـعة افقه وخصب مادته . فالمفروض ان تـــكون القضية الاولى فى الكتاب هذه الامارة البيانية التى تحدد بها موضوع البحث ، لكنه اكتفى بالحديث من لقب امير البيان ، فى ذيل الباب الثالث من الكتاب ، وكان كل همه ان يبحث فى تاريخ اطلاق هذا اللقب على شكيب ومن الذى اطلقه عليه . وجاء الحديث عن اللقب بمعزل تماما عن الشخصية الادبية للرجل .

ثم انه فى عرضه لهذه الشخصية تحدث عن شكيب الناثر والشاعر والناقد واللغوى ، فى قوالب تقليدية تستقرىء الظواهر وتاتى لها بالشواهد ، دون ان تمتد بها الى ابعاد فنية نحس فيها نبض وجدان الاديب ونستجلى اسرار مايبدو من ظواهر اسلوبه ، ونلمح المؤثرات الخفية التى صنعت ادبه واحتكمت فى توجيهه ، فهناك مثلا ، فى باب ((شكيب الناثر)) فصل من ((السجع)) يتتبع هذه الظاهرة فى دقة واستقراء ، ويقدم نماذج من نثره شاهدة عليها ، لكن دون ان يكشف لنا عن سر الظاهرة الاسلوبية ، وهو سر لا يجلوه ان يقال ان للعصر ولعا بالسجع ، وشكيب حريص على اثبات اقتداره عليه . لان مثل هذا من تفسير الظاهرة بنفسها ! فولع العصر بالسجع — ان كان — يحتاج ايضا الى تفسير !.

وفى باب ((شكيب الشاعر)) نقرأ فصلا فى ((المحسنات البديعية)) كل مافيه بضعة ابيات من ديوان شكيب ، فيها جناس وثلاثة ابيات فيها مطابقة ، وبيتان فيهما تورية ، واخران فيهما تقسيم وازدواج

وهــــذا فيمـــا ارى تنـــاول سريع ، يلتقط شاهدا من هنا واخر من هناك ، على ظواهر قل ان يخلو منها اى ديوان لاى شـــاعر ليمكن عدها من الخصائص الاسلوبية لشعر شكيب او غيره !

وبمثل هذا التناول السريع للظواهر نرى الدارس يلم بموسيقا الشعر ، فى نطاق سعة العروض وحروف القافية (ص ٣١٦) دون ان يصـــل بهـــا الى بعد فنى ، يربطها بموضوع القصيدة ويلمح الصلة بين ايقاعها وبين النغم الداخلى فى وجدان الشاعر .

ومضمون الشعر عنده ليس الا اغراض الشعر من مدح ورثاء وشكوى ومواعظ (ص ٣١٣) والرثاء فى رايه لون من المدح (ص ٣١١) كما كان راى نقاد سلفوا ذاقوا الشعر بمزاج عصورهم وبيئاتهم

وقصيدة شكيب ارســلان فى ((مفاخر العرب بالاندلس)) تدخل عنده فى (محاولة صنع الملحمة الشعرية) — ص ٢٩٠ — دون ان يــكون فيها ادنى اثر للطـــابع الملحمى ..

ولعل الاستــاذ الشرباصى ، لو تناول ادب شكيب فى مراحل تساير مراحل حياته ، وتستجيب لوقع الاحداث على وجدانه ، لكان فى رايى جديرا بان يمنح موضوعه مزيدا من الخصب والحيوية والعمق ، الى جانب ما اتيح له من سخاء الجهد وخصب المادة ، ونزاهة البحث ، ونقاء العبارة ووضوح الاداء .

اما الجزء الثانى من الكتاب ، فقد افرده الدارس للحديث عن اثار شكيب المطبوعة والتعريف بمختارات من اثاره المخطوطة . وما بذله الشيخ الشرباصى من الجهد المرهق المضنى ، فى استقصاء هذه الاثار ، يجعلنا لانعفيه من واجب التفرغ ، لتحقيق مالم ينشر من اثار شكيب ارسلان ، ونشر نصوصها الكاملة ، على نحو مافعل الاستاذ ((الدكتور محمد صبرى)) فى نشر ((الشوقيات المجهولة)).

وقد وعد الشيخ الشرباصى ان يتابع دراسته للامير شـــكيب ارســلان ، وكل رجائى ان يبدا اولا بتحقيق هـــذه الاثار المطوية ونشــرها . واؤكد لفضيلتـــه ان هذا العمل ، هو اجل خدمة يسديها الى الامير شكيب والى تاريخنا الادبى بوجه عام . وما كنت لاشق عليه بمثل ذلك ، لو لم يكن اهلا للنهوض بالعبء الجليل وحمل امانته الصعبة !

أمير البيان شكيب ارسلان

تفضلت الناقدة الجليلة الدكتورة بنت الشاطىء فخصصت مقالها فى جريدة « الاهرام » يوم الجمعة الثامن من مايو الحالي لنقد كتابى « امير البيان شكيب ارسلان » ، وصدرته بانها شهدت عددا من المجالس الادبية كان كل الحديث فيها عن شكيب ارسلان وعن كتابى فيه ، وان الاراء قد اختلفت فى هذا المجال . والاختلاف هنا لايضير ، بل لعله مما يذكر للكتاب — لا عليه — انه اثار وجهات النظر المختلفة فيما عرضه من موضوعات ومسائل .

وواجب العرفان يقتضينى ان اقدر واشكر ماتفضلت به الناقدة من كلمات تنويه بالكتاب وصاحبه ، حيث وصفتها بالنزاهة العلمية ، والحياد قدر الطاقة والتحرر من سحر الاعجاب بالشخصية المدروسة ، وحيث ذكرت ان المؤلف قد اتيح له « سخاء الجهد ، وخصب المادة ونزاهة البحث ، ونقاء العبارة ، ووضوح الاداء » .

ثم استميح الناقدة عفوا اذا راجعتها فى بعض ماذكرت من نقود ، فهى اولا قد ذكرت ان الكتاب محدد بعنوانه : «امير البيان شكيب ارسلان» ومعنى هذا ان يكون بحثه فى هذا اللقب ، ولكنى اقول ان موضوع الكتاب فى الحقيقة هو ادب شكيب وكتاباته ، وقد ابنت ذلك بوضوح فى صدر الكتاب . وفى موطن اخر قلت اننى ساعنى فى الكتاب بالنواحى الادبية اكثر من غيرها «ص ٢١» وكلمة « امير البيان » التى ناسبت مجيئها فى عنوان رسالتى عن شكيب بعد ان صارت الرسالة كتابا يسعى الى الناس لاتعنى ابدا اننى ساشغل نفسى بهذه الكلمة خلال الرسالة اكثر مما تستحق ، فانما الكلمة لقب اطلقوه على شكيب حتى صار كالعلم بالغلبة عليه .

وقد عادت الناقدة الفاضلة فذكرت ان « الامارة البيانية » يجب ان تكون القضية الاولى فى الكتاب . واقول : انه اذا كان المقصود بالامارة هنا هو لقب « امير البيان » فانى اخالف رايها ، لان هذا اللقب لم ابخسه حقه ، بل وفيته ذلك الحق الملائم له من البحث ، حيث استغرق ثمانى صفحات من الكتاب « ص ٢٣٢ — ٢٣٩ » . وذكرت ان هذا اللقب كان نوعا من التقدير الادبى لشكيب ، وان الالقاب قد اخذت تزول بعده من دنيا الادب والادباء .

واذا كان المقصود بالامارة البيانية المكانة الادبية لشكيب فالواقع اننى تحدثت من هذه المكانة فى اغلب فصول الكتاب فحينما تحدثت عن شكيب الناثر ، والشاعر واللغوى ، والمؤلف ، والناقد ، كنت ادور حول هذه المكانة ، فاقول مالها وماعليها قدر طاقتى .

وذكرت الناقدة ان البحث اعوزه اصالة المصادر احيانا ، واستشهدت على ذلك ببعض كتب لم اخذ منها اراء ولا افكارا ولا معانى : بل اخذت عن كل منها حادثة من الحوادث او واقعة من الوقائع مما هو قريب العهد بنا ، وهذه الوقائع من الشهرة بحيث تستغنى عن كثرة المصادر واصالتها ، وانما ذكرتها توثيقا وخشية من الاعتماد على الذاكرة . وليت الناقدة حين عنيت بالتماس شواهد على ما اسمته « عدم اصالة المصادر » عنيت بالتنويه بكثرة المصادر التى تسلم باصالتها ككتب شكيب نفسه ، وتاريخ الاستاذ الامام وصحيفة لسان الحال ، ومجلة المنار ، ومجلة منبر الشرق ، وكتاب يقظة العرب ، وكتاب عبرة وذكرى ، ورسائل شكيب الخطية .

وقالت الناقدة ان هناك قصورا فى تناول الجانب السياسى ، لاننى حرصت على الاقتصار على الجانب الادبى من حياة شكيب ، ومع تسليمى بان الجانب الادبى كان اهم ، لم اقتصر عليه ، ولم افصل بينه وبين الجانب السياسى كما ذكرت فقد قلت الكثير عن الجانب السياسى فى البابين السابق ذكرهما هنا ، وحينما تحدثت عن شعر شكيب جاء ذكر متكرر للجانب السياسى مثل ماجاء فى حديثى عن مدائحه للسلطان والدولة وعن تكسبه الادبى بالشعر وعن مراثى شكيب ، اذ فيها ظلال سياسية لان كثيرين ممن رثاهم لهم صلاتهم بالسياسة « ص ٢٦٢ » . وفوق هذا احب ان اذكر باننى توسعت فى الحديث عن جانب شكيب السياسى فى كتابى الاخر منه وعنوانه « شكيب ارسلان داعية العروبة والاسلام » الذى صدر ضمن سلسلة « اعلام العرب » وهو غير الرسالة التى عرضتها الدكتورة .

وقد تمنت الناقدة الفاضلة ان اتعرض لوجدان شكيب ، واسرار مايبدو من ظواهر اسلوبه كالسجع ، والمؤثرات الخفية التى صنعت ادبه . والواقع اننى حققت امنية الدكتورة حيث تعرضت لهذه الامور فى اكثر من موطن : تعرضت لها حينما تكلمت عن الرجال الذين اثروا فى اسلوبه ، وعن مصادر ثقافته ، وعن اسباب مقاربته للجملة القرآنية « ص ١٧٨ »

والتشابه فى هذا بينه وبين الرافعى « ص ١٨١ — ١٨٧ » .

وقد ذكرت الناقدة اننى اوردت سببين فقط لسجع شكيب هما ولوع العصر بالسجع ، وحرص شكيب على اظهار اقتداره ، والواقع اننى اضفت الى هذين السببين اسبابا اخرى منها انه شاعر تؤثر فيه اوزان الشعر وقوافيه حين ينتقل الى النثر — وقد حدث مثل هذا لاحمد شوقى — وان امير البيان ادمن النظر والحفظ فى المقامات الملتزمة للسجع وانه تاثر بابى اسحاق الصابى الذى اكثر من السجع احيانا ، وانه مولع بتقليد القدماء . ثم عدت فى موطن تال فاضفت الى ماسبق ان « حب الزخرفة » كان يسوق امير البيان فى بعض الاحيان الى هذه الصنعة البيانية والصبغ البديعى ، وكذلك كان يدفعه الحنين الى ماضيه الادبى حيث كان السجع يملأ عليه دنياه ، فهو يستروح ذكرى ذلك الماضى الادبى العزيز ، وقلت ان بعض مايكتبه شكيب من هذا اللون يمكن حذف نصفه دون ان يضيع المعنى الاساسى الذى يريده « ص ٣٢٨ » . وكذلك نقدت سجعه فى اكثر من موطن .

وطالبتنى الناقدة الفاضلة بتقديم الصورة النفسية والملامح الشخصية والسمات العاطفية لشكيب ، وذكرت انها افتقدتها فى كتاب « امير البيان شكيب ارسلان » واحب ان اذكر اننى قد عرضت لهذه الامور فى كتابى السابق عن شكيب : «شكيب ارسلان داعية العروبة والاسلام» الذى صدر فى سبتمبر ١٩٦٣ ، وخاصة فى الصفحات « ٥٦ — ٥٩ » وفى باب « اخلاق شكيب » « ص ٢٣٥ — ٢٨٠ » .

وقالت الناقدة الفاضلة اننى اكتفيت بالتناول السريع للمحسنات البديعية فى شعر شكيب ، واكتفيت بذكر شاهد من هنا وشاهد من هناك . والواقع اننى ذكرت اربعة عشر شاهدا على هذه المحسنات فى شعر شكيب الذى لايجاوز ديوانا صغيرا ، ومع هذا قلت ان هذه المحسنات إحدى جملة ظواهر نراها فى شعره ، وذكرت معها هذه الظواهر كتقليده للسابقين والمعاصرين ، واقتباسه من القرآن ، ومحاولته صنع الملحمة ، ومدائحه للسلطان والدولة ، والتكسب الادبى بالشعر .. الخ ، وقلت ان هذه « ظواهر » ولم اقل انها « لوازم » !.

التاريخ : ٢٩ / ٥ / ١٩٦٤



شكيب ارسلان

وكانت الناقدة تتوقع ان يتسع حديثى من اغراض شعر شكيب ومضمونه وموسيقاه ، وماعبرت عنه بالخصائص الاسلوبية والابعاد الفنية ، والنغم الداخلى فى وجدان الشاعر ، ولكن ماذنبى اذا كنت لم اجد او لم ار فى شعر شكيب غير ماذكرت !

حسبى انى « توخيت » ماوجدت ، وقلت ماله وما عليه حسبما قدرت ، ولقد ابنت فى باب « طريقته فى نظم الشعر » الصنعة التى كان يبهرها شكيب فى نظمه وقلت : « الظاهر ان شكيب كان يقول الشعر بعقله اكثر مما يندفع اليه بعاطفته ، وكان يحمل نفسه على نظمه حملا فى كثير من الاحيان ، واوردت شواهد على ذلك « ص ٣١٩ — ٣٢٣ » .

وقد ذكرت الدكتورة اننى اعتبرت قصيدة شكيب عن «مفاخر العرب بالاندلس» محاولة صنع بها الملحمة الشعرية ، وحكمت الدكتورة بانه لارائحة فى القصيدة للملحمة واحب ان اذكر هنا نص عبارتى التى قلتها عن القصيدة وهى : « من الظواهر التى نلاحظها فى ديوان شكيب انه حاول ان يتشبه بشعراء الملاحم » « ص ٢٨٨ » فاحتطت فى عبارتى كما ترى ، فوصفت عمل شكيب بانه «محاولة» وبانه «محاولة للتشبه» **ومع هذا فالباحث الادبى مارون**

عبود قال — كما ذكرت — عن هذه القصيدة انها رائعة « وهى بالملاحم اشبه » . وفوق هذا اخذت امير البيان على تناقضه فى تحديد الملاحم « ص ٢٩٢ »

ومع هذا فالناقدة الجليلة الدكتورة بنت الشاطىء مشكورة على عنايتها بالكتاب والحديث منه ، واذا كانت قد ابتغت بما كتبت وجه الحق فارجو الا اكون بكلماتى هذه بعيدا من مبتغاها ، وعلى الله قصد السبيل .

احمد الشرباصى

وددت لو اعفانى فضيلة الشيخ احمد الشرباصى من مثل هذا الرد ، فما اراه هنا لفتنى الى شىء غاب عنى حين كتبت ماكتبت ، او جاء بما يقنعنى بالعدول من راى لى فى الكتاب ، واجدنى بعد هذا مضطرة الى مناقشته فى جديد كلامه واقتصر من ذلك الجديد على مسالتين :

اولاهما : فهمه لاصالة المصادر ، حيث يقول انه لم ياخذ من المصادر — التى نبهت على عدم اصالتها — اراء ولا افكارا ولا معانى ، بل اخذ « حادثة من الحوادث او واقعة من الوقائع » .

واقول لفضيلته :

ان اى كتاب يصح ان يكون مصدرا لراى او فكرة او معنى فيه ، اما الحوادث والوقائع فلا يجوز بحال ما ، ان تؤخذ من غير مصادرها الاولى ووثائقها الاصيلة ومن هنا لم يصح عندي ان تكون مؤلفات حديثة فى الدراسات الادبية ، مصادر لوقائع تاريخية وحوادث سياسية مضى زمنها. والامر فى هذا مما لا مجال لخلاف عليه ، لانه من مبادىء المنهج التى لاتحتمل مناقشة ولاتقبل وجهات نظر .

والمسالة الاخرى : قوله فيما انتقدت فى كتابه « امير البيان شكيب ارسلان » من ملامح نفسية واجواء وجدانية : «احب ان اذكر اننى عرضت لهذه الامور فى كتابى السابق عن شكيب ارسلان داعية العروبة والاسلام الذى صدر فى سبتمبر ١٩٦٣ ، وبخاصة فى صفحات . . . »

واقول : ان الماخذ النقدى كان على كتاب امير البيان وليس على اى كتاب آخر سواه .

ولسنا بحيث نلتمس فى كتاب عن شكيب ارسلان داعية للعروبة والاسلام ، ما نفتقده فى كتاب عنه اميرا للبيان ، من ملامح نفسية وعوالم وجدانية ؟

والامر فى هذا ايضا ، ليس فى حاجة الى مزيد بيان او مناقشة ، فلعل فضيلة الاستاذ يتقبل كلمتى بما اعهده فيه من رحابة صدر وسماحة خلق ، وله منى تحية التقدير الصادق .

بنت الشاطىء

وزارة الثقافة والارشاد القومي
وزارة الاعلام والثقافة والفنون
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٥ / ٦ / ١٩٦٤

على المعبر الجديد

بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ

وقفت خاشعة على شاطئ النيل .
عند مصبه في اقصى الشمال .
حيث يلتقى بالبحر المتوسط .
على حافة الوادى ، عند راس البر

ولم اشعر انى بعيدة عن اسوان ..
فلقد تدانت الابعاد النائية
وطويت المسافات الشاسعة
وانا اصغى الى خفق امواه النهر
آتية من اقصى الصعيد
مرددة نبض الحياة الجديدة التى
صنعها ابناء بلدى هناك ..
ومشلطة في سمعى ووجدانى بهدير
صاخب .
طالما ارقنا في صبانا
وشرد احلامنا ومزق رؤانا
نحن الذين عشنا على حافة البر
نطل كل عام في موسم الفيضان
على مشهد مياه النيل في عنفوان حيويتها
تندفع مقهورة نحو مصيرها
ليبلعها موج البحر العاتى
ويطويها في اكفان بيضاء
بعد ان يسلبها عذوبتها ، وسمرتها
الحمراء
ويسقى اسماكها الملح الاجاج
فتنوب مذعورة في انتفاضة احتضار
ثم يلفظها الموج على الساحل
ركاما من جثث هامدة
قد اختنقت فيها الحياة ..
ويظل النهر ينزف ماءه
الى ان تنتهى دورة الفيضان
فيروعنا مشهد آخر
حين يهبط منسوب النهر عن مستوى
سطح البحر .. فتطغى المياه الملحة على
المجرى

وتعلو حوض النيل ، ما بين راس
البر ودمياط
وتجهدنا حرقة وظما ...
بعد ان اجهدنا الفيضان قلقا وذعرا .
في دورة موسمية منتظمة ..
لم تتخلف عن موعدها ، على مر الحقب
وتعاقب الادهار ....

ثم كان للماساة آخر ..
وحان الموعد في اسوان
وتدفقت اليها الجموع ساعية من شتى
ارجاء الدنيا ..
في ارتقاب لحظة التحول الحاسمة .
وانا على الشاطئ في اقصى الشمال
في رحلتى السنوية الى بلدتى دمياط
اشاركها افراح عيدها القومى
واتابع الجديد من معالم نهضتها
ومشروعات عمرانها
واطوف بربوعها الغالية التى كانت
لطفولتى مهدا ، ولصباى ملعبا ..
والتمس نفسى التائهة في الزحام
واعيش ذكريات عهد لى هناك ، مضى
وراح
واسلمنى من بعده الى دوامة الزمن
بدوارها العنيف القاسى واعبائها الفادحة
الثقال ..

وعند راس البر
وقفت ارنو الى مصب النهر
حيث يتجلى سر التحول التاريخى
بالسد العالى
وتتضح الرؤية باجلى ملامحها وكل
ابعادها .

التاريخ : ٥ / ٦ / ١٩٦٤

ويبلغ التجاوب غايته القصوى
بين ذلك الصرح الشامخ فى اعالى الصعيد
وبين مصب النيل على حافة البحر
فى الموقع الذى كان على مدار الزمن
مسرحا لماساة المصير ..
فى ذروتها الفاجعة ومشهدها الختامى

ولى اللحظة الحاسمة التى شهدت تحويل مجرى النيل ..
وسجلت انتصار ارادة الانسان المصرى الذى صنع الحضارة من فجر التاريخ ، وفرض خلوده على الدنيا والزمان ..
تناهى الى مسمعى وقع الخطوات الاولى على المعبر الجديد ، الى حيث يلتقى النهر مرة اخرى ببنيه
فاحسست ملء وجدانى انها لحظة تحول تاريخى فى صلتنا بنيلنا الخالد :
عبده اجدادنا فى قديم الحقب وغابر الزمان ..
وقدموا له القرابين استجداء لخيره
وخوفا من جبروت نقمته وغضبه
وتتابعت محاولاتهم لتطويعه واسترضائه
واجهدهم السعى وراء المكنون من سره
وعبرنا اليه متحررين من كل اثر لخوف او رهبة او استجداء .
لنتلقى هبته السخية فى فيض من الحب الغامر ..
ومزجناه بعرق كدحنا وذوب قلوبنا ..
لتغدو كل قطرة منه عطاء الحب ورمز الاندماج .
ومنحناه اقصى ما فى طاقتنا من ارادة وولاء ..
كيلا تمسخ آيته بفيضان مغرق او جفاف محرق
ولم نكن فى هذا كله جبابرة تخضع النهر ونكبله بالقيود ..
ولا كنا خائفين نتقى غضبه ونحتمى منه بالسدود
وانما اسرناه بالحب والعرفان
فهدمنا ما قام بيننا من حواجز العزلة والجحود ..
وحولنا مجراه بسواعدنا الى صميم وجودنا
ضمنا بمياهه المباركة على الضياع والاهدار
ولنتيح له ان يهب مزيدا من الخصب والنماء
ويحمى واديه من العقم والجدب
وعلى المعبر الجديد

كانت خطوتنا الاولى نحو الملتقى الجديد
متحررين بالحب من العبودية والخوف
ومن هناك تعالى هتاف النصر
فخفقت له امواه النهر فى اقصى الشمال
على حافة البحر عند رأس البر
حيث يتجلى سر التحول
وتتضح الرؤية بكل ابعادها
فى الموقع الذى اطل منذ كان
على مشهد إختناق الحياة بالملح الاجاج
وروعه هدير ارتطام المياه الحلوة السمراء بالامواج الباطشة ..
وتمطل فيه سر النيل فآب شمعية ممسوخة من البحر الملح !

وعلى مد البصر الى بعيد الافاق
ومن وراء الحجب تلوح لى رؤيا الغد
فاجتلى مشهد اتصال نهرنا الميمون ببحرنا الكبير حين يلتقيان على سلام
فيشق كلاهما مجراه محققا سر وجوده وآية عظمته ..
احدهما يصنع الحياة الطيبة فى واديه ، ويسخو بالعطاء على احبابه ..
والاخر ينقل حضارة الانسان بين شرق وغرب ، ويصل جديدها المستحدث بقديمها العريق ..

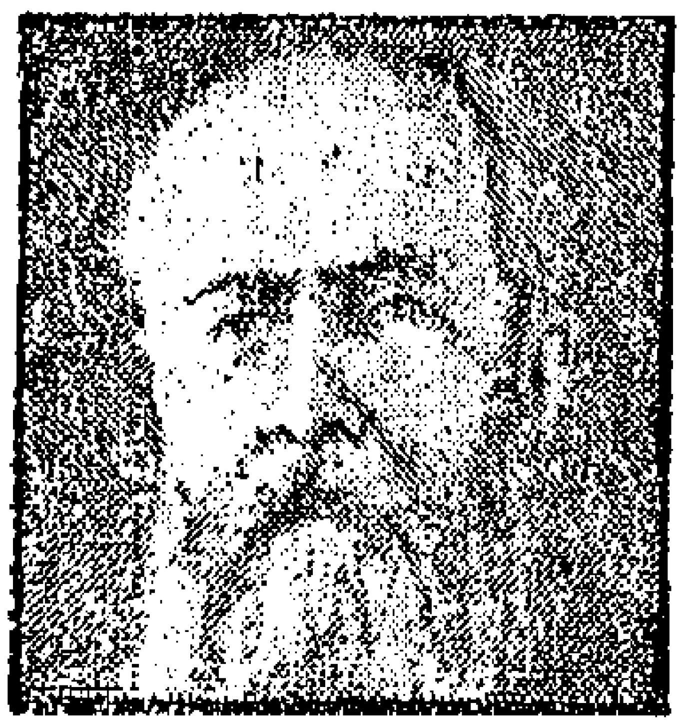
التاريخ : ١٩ / ٦ / ١٩٦٤

تاريخ الأدب الجغرافي العربي

كتاب من موسكو

تأليف : المستشرق الروسى كراتشكوفسكى
ترجمة : الدكتور صلاح الدين هاشم
تقديم : الدكتورة بنت الشاطئ

رحلة مثيرة فى أعماق تاريخنا الجغرافى على مسار الزمن ، يرويها لنا شيخ المستعربين الروس بكل عجائبها وغرائبها ، ويضع بين ايدينا فى كل مرحلة من مراحلها ، دليلا غنيا بالمصادر والمراجع التى كشفت له عن معالم الطريق الطويل ، وأضاءت دروبه ومسالكه ...



كراتشكوفسكى

هذا كتاب يحمل آثار جهد شاق صابر ، وعمل مخلص دائب استغرق ثلث قرن من الزمن ، امضـــاه المستشرق الروسى (كراتشكوفسكى) فى جمع مادته الخصبة من تاريخ الادب الجغرافى عند العرب ، من الايماءات الاولى فى قديم ما وصل الينا من الشعر الجاهلى ، الى قريب من العصر الحديث .

ويأخذنى العجب ، وانا اتمثل هذا العالم الكبير ، يستقرىء مئات المصادر الادبية والعلميـة ، ويراجع دواوين الشـعراء واساطير العرب ، ويطـالع فى القرآن الكريم والاحاديث النبوية ، ويتتبع قصص الرحلات والاسفار وكتب البلدان ومؤلفات العرب فى الجغرافيا الوصفية والرياضية والاقليمية ، ليستخلص منها جميعا معالم تاريخنا الجغرافى على امتداد سيره الطويل وليسجل ما وعى الزمان من خيالاتنـــا الاسـطورية وتصوراتنا الادبية وبحوثنا العلمية وكشوفنا الجغرافية ، متتبعا مجرى التيار على درب الزمن ، ليرقب روافده الاصيلة التى انطلقت الى الخارج تحمل الى الدنيا ثقافة العرب ومعارفهـــم الجغرافية ، ويميز فى الوقت نفسه ، ماتلقى التيار من روافد خارجية ، على مر العصور والادهار .

وبالها من رحلة حافلة مثيرة ، يرويها لنا شيخ المستعربين الروس بكل ماحوت من عجائب وغرائب . ويضع بين أيدينا بعد كل مرحلة من مراحلها ، حشدا من المصادر والمراجع التى كشفت له من معالم الطريق واضاءت مسالكه ، ووجهت خطوات السير فيه فما انتهت الرحلة الا وقد اجتمع لنا الفهرست الجامع لمراجع البحث فى تاريخ الجغرافيا عند العرب ، دليلا مرشدا للمتخصصين فى الدراســـات العربية الاسلامية ، ولمؤرخى الحضارة الانسانية بوجه عام .

التاريخ : ١٩ / ٦ / ١٩٦٤

ولقد عجبت أول الأمر لاهتمام «كراتشكوفسكى» بهذه الرحلة الجغرافية عبر تاريخنا ، وهو الذى تخصص فى دراسة الادب العربى وتاريخه . غير انى مالبثت ان ادركت انه اتجه الى هذا الميدان الذى قد يبدو فى ظاهره بعيدا عن مادة تخصصه — وهو يقدر حق التقدير ان الادب خيط من نسيج الحياة ، ويعى اتم الوعى ، مدى ارتباطه الوثيق بحضارة الامة فى مختلف فروعها وشتى انواع نشاطها .

ومن هنا لم يجز عنده ان يتخصص فى دراسة الادب العربى بمعزل عن تاريخنا الحضارى . وكانت عنايته بالتاريخ الجغرافى للعرب ، ضرورة لاغنى عنها لفهم عقليتهم ووجدانهم وتصوراتهم لكى يصح فهمه لادبهم .

واذا كان «كراتشكوفسكى» قد سحرته روح الشرق من عهد طفولته فى (**طشقند**) **حيث كانت ترعاه حاضنة من اوزبكستان** ، **فما شب عن الطوق حتى اتجه بكل فكره وعاطفته الى دراسة الشرقيات** ، ثم تخصص فى اللغة العربية وآدابها الفصحى والشعبية ، فكذلك كان اهتمامه بالجغرافيا عند العرب ، **مبكرا يساير هذا التخصص** من اول عهده بالحياة العلمية : ففى عام ١٩٠٧ اوفدته جامعة بطرسبورج فى رحلة دراسية الى اقطار الشرق العربى ، حيث امضى سنتين فى ربوع مصر والشام ، يلقى العلماء العرب ويزور دور الكتب والمعاهد والجامعات ، ويوغل فى صميم الاحياء الشعبية ودروب الصحراء . فلما عاد من رحلته بدأ من عام ١٩١٠ ، يحاضر طلاب جامعته عن ((**الادب الجغرافى عند العرب**)) ومضت الاعوام وهو يواصل دراسته للموضوع فى مجال تخصصه ، فكانت محاضراته فى العام الجامعى ١٩٣٥ : ١٩٣٦ عن ((**التاريخ والجغرافيا عند العرب**)) ايذانا باكتمال ذلك البحث الطويل ، فى تاريخ الثقافة العربية والحضارة الاسلامية

وانتخب «كراتشكوفسكى» سنة ١٩٠٩ **عضوا فى الجمعية الجغرافية الروسية** ، ثم عين نائبا لرئيسها من سنة ١٩٢٩ ، الى جانب عضويته العاملة للمجمع العلمى **السوفييتى** ، ومنصبه الجامعى **استاذا اول للدراسات العربية فى لننجراد** .

وخلال هذه السنين الطويلة الخصبة ، جمع مادة كتابه من تاريخ الجغرافيا عند العرب ، ثم اشتغل بتنسيقها وتدوينها من سنة ١٩٣٨ الى سنة ١٩٤٥ مع فترة توقف اثناء حصار الالمان لمدينة لننجراد .

ومات «كراتشكوفسكى» فى يناير سنة ١٩٥١ ، وهذا الكتاب مخطوط مودع فى خزانته ، مع بحوث أخرى فى العربية ، مخطوطة لم تنشر . فلم تمض على وفاته بضعة اشهر ، حتى اصدر المجمع العلمى للاتحاد السوفييتى قرارا بنشر اثار المستشرق الكبير ، تألفت بمقتضاه هيئة علمية من زملاء كراتشكوفسكى وتلاميذه ، عكفت على اعداد آثاره للنشر ، واستطاعت ان تصدر منتخبات منها فى ستة مجلدات ، فيما بين عامى ١٩٥٥ ، ١٩٦٠ .

وكتاب ((تاريخ الادب الجغرافى العربى)) هو المجلد الرابع من هذه المنتخبات ، وقد اعدته للنشر لجنة رباعية من علماء الاستشراق الروس ، من بينهم المستشرقة ((**كراتشكوفسكايا**)) ارملة المؤلف .

وظهر الكتاب فى موسكو عام ١٩٥٧ بعد أن طال ترقب الدوائر العلمية له . وكان الزميل السودانى ((**الدكتور صلاح الدين عثمان هاشم**)) هناك ينتظر ظهوره فى لهفة ، لطول ما حدثه عنه كبار المستشرقين الروس الذين لقيهم اثناء مقامه فى الاتحاد السوفييتى ، مشغولا بالدراسة والبحث الى جانب عمله فى (السلك الدبلوماسى) ولم يلبث ان اشتغل بترجمته الى العربية ، وقام المستعرب الروسى ((**ايغور بيليايف**)) بمراجعة الترجمة

والكتاب يبدأ بمدخل عام فى الدور الحضارى للعرب وأثرهم فى النهضة الاوربية الحديثة بوجه عام ، وفى العلم الجغرافى بوجه خاص . وتأتى مادته بعد ذلك منسقة فى ستة عشر فصلا ، اولها فى الجغرافيا عند العرب قبل ظهور المصنفات الجغرافية الاولى ، وهو مذيل بثبت للمراجع ، وعددها ١٥٧ مرجعا . والفصل الثانى خاص ببداية الجغرافيا عند العرب ، وعدد مراجعه ١٧٤ مرجعا يتلوه الفصل الثالث عن جغرافيى المدرسة اليونانية والزيجات الفلكية الكبرى ، مذيلا بنحو ١٢٠ مرجعا ، والفصل الرابع ، خاص بالجغرافيين اللغويين ورحالة القرن التاسع الميلادى (٣ هـ) وقائمة مراجعه تضم ٢١٥ مرجعا ، ثم تتتابع الفصول بعد ذلك على الترتيب الزمنى ، الى القرن السادس عشر ، مؤرخة لتطور الجغرافيا العربية ومدارسها وروادها وانماطها .. على ذلك المدى الطويل .

التاريخ : ١٩ / ٦ / ١٩٦٤

وأظلم اريحية « الدكتور صلاح الدين هاشم » اذا شكرت له نقل هذا الاثر العلمي الهام الى مكتبتنا ، فمثله من لاينتظر شكرا على اداء واجب مفروض ، تهيأت له وسائل النهوض به ، بامانة واقتدار .

وكنت بحيث انني على ما بذل من جهد في ترجمة الكتاب ومراجعة ما فيه من نصوص على مصادرها العربية ، لولا ما أشعر به من خجل ، حين اذكر ذلك العبء الفادح الذي احتمله ذلك المستشرق الروسي ، واذكر معه ما قدم الى مكتبة الاستشراق من رصيد ضخم ، يربو على مائتي كتاب وبحث في دراسة تراث العرب ونحن هنا نستثقل عبء تراثنا ، ونرى في الاشتغال به عزلة عن الحياة وانفصالا عن العصر ومجافاة لروح التقدم واتجاها مضادا لحركة التطور ..

واذا لم يتسع المجال اليوم لتقديم دراسة نقدية لكتاب « كراتشكوفسكي » فحسبي أن ألفت قومي مرة اخرى ، الى ما سبق لي لفتهم اليه عندما قدمت هنا كتاب اراجيز أحمد بن ماجد في علم البحار ، الذي نشره المجمع العلمي للاتحاد السوفييتي فيما نشر من ذخائر تراثنا ، دون أن تزهده فيها قضايا العصر او تشغله عنها اعباء غزو الفضاء ، ودون أن يتصدى له من ينكر مثل هذا البحث عن تراث العرب الماضين ، او يسأل عن جدوى الاشتغال بمخلفات القرون الخالية !

التاريخ : ١٠ / ٧ / ١٩٦٤

١ـ كتاب الجزائر
لأحمد توفيق المدني

٢ـ تاريخ المغرب الكبير
لمحمد علي دبوز

تقدمها الدكتورة

بنت الشاطئ

البلد الطيب الذى احببناه ، وعشنا معه معركته الباسلة ، وشدت اليه قلوبنا وضمائرنا وهو يقدم على اغلى فدية لشرف الانسان وجهلناه مع ذلك .

فلم نعرف من تاريخه، وطبيعة ارضه ، وحياة شعبه ، شيئا ذا بال .

لطول ما عزله الاستعمار عنا، ليحول دون تبادل الافكار وامتزاج الثقافات ، بين ابناء الامة الواحدة .

ولقد كان يخجلني ، وانا احيا في رحاب الجزائر ، عمق شعوري بالتقصير نحو اهلي الكرام بها ، واحساسي ان ماغاب عني من تاريخها واحوالها ، يوشك ان يردني غريبة في بلدي ، وبين قومي وعشيرتي ..

حتى تلقيت هدية غالية من جديد مطبوعات الجزائر العربية، تحدثني عن ماضيها العريق وحاضرها المرجو، وتصلني بجذورها في اعماق الزمن ، وترتاد لها معالم طريقها على مسار التاريخ .

ثمرة مباركة من ثمار المعركة المجيدة التى لم تطهر الحمى من دنس الغاصبين فحسب ، بل حطمت كذلك اسوار العزلة الفكرية بيننا ، وردت الى الكتاب العربي اعتباره المهدر ، فبدا ياخذ مكانه الطبيعي في البلد الطيب الذى لبث لمدى قرن ونصف قرن من الزمان، مستباح الحمى للبضاعة الاجنبية ، مادية وفكرية .

و«كتاب الجزائر» الفه السيد «الاستاذ احمد توفيق المدني» عام ١٩٣١ ابان فراوة الاستعمار وتسلطه ، وكان الهدف من تاليفه ، ان يعرف شباب الجزائر بلده واهله . وقد راى الاجيال الجديدة منهم ، تجهل تاريخ البلد وطبيعته ونظمه واحواله ، «فكانهم بذلك يعيشون غرباء في ديارهم ، وكانها ارض لم تنبت اباءهم واجدادهم ، او كانهم خلقوا على ارض مبتورة الاصل مجهولة النسب .»

وجعل شعار الكتاب :

«الاسلام ديني — العربية لغتي — الجزائر وطني» ثم مضى يروى لابناء الجزائر ، المعالم الكبرى لتاريخ بلدهم — السياسي والعلمي والادبي — من قديم العصور الى الثلث الاول من القرن العشرين ، ويفرغ بعدها للحديث عن عناصر السكان ، الاصلاء منهم والطارئين والدخلاء ، مبينا اصل كل عنصر ونظمه واعرافه وتقاليده وعقيدته ولسانه، وملامح شخصيته العامة ، ومكانه بين العناصر الاخرى من حيث النسبة العددية ، والوضع الاقليمي ، والنشاط الاقتصادى .

ويستغرق الحديث عن هذا ، ابوابا خمسة من الكتاب ، تتلوها ابواب تسعة عن الجغرافية الطبيعية لاقليم الجزائر ، وتقسيمه الادارى ، وكبريات مدنه وقراه ونظم الحكم فيه ، والتعليم العام ، واحوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية .

والكتاب على هذا النحو ، **دليل موجز امين للقطر الجزائرى وتاريخ شعبه وطبيعة اقليمه** . وهو غني المادة ، دقيق التناول ، مع بساطة العرض ووضوح الاداء ويسر الاسلوب ، وقد استطاع استاذنا « السيد احمد توفيق المدني » ان يرسم صورة بلده واهله ، بملامحها الاصيلة وسماتها المميزة، **متخففا من عبء الاطالة واثقال التزيد والحشو** ، وليس في

الكتاب كله ، اثر لحماسة خطابية او انشائية إستهوائية ، فاستاذنا المدني بطبيعته ، مهذب القلم واللسان ، متزن الراى والكلمة ، رصين التفكير والتعبير ولم اره حاول ان يتكلف الحماسة او يفتعل الاثارة ، وانما ترك للحق التاريخي

والواقع المشهور والارقام ذات الدلالة المعبرة ، مهمة الاثارة والاقناع . وقدم ما . في وقار الباحث وامانة الدارس واثقا انها لغنيه من اى جهد خطابي لاجتذاب قارئه ، فلا عجب ان اضطهد الكتاب من الاستعمار الباغي ، واوصدت امامه سبل الذيوع والانتشار ، فمضى على ظهور الكتاب في طبعته الاولى ثلث قرن من الزمان ، والبقية الضئيلة من نسخة ، مطوية في خزائن الكتب . الى ان انجلى الليل الطويل ، فبادرت «دار الكتاب في البليدة بالجزائر» الى نشره في طبعة جديدة متقنة ، لتتيح لابناء العربية ان يقرأوا «كتاب الجزائر» ويعلموا ماغاب من تاريخها وجغرافيتها وحياة اهلها .

وهذه الطبعة الثانية للكتاب ،طبق الاصل من طبعته الاولى . وكنت اتمنى لو اضاف اليه الاستاذ الجليل ، فصلا جديدا يصل به مابين الجزائر عام ١٩٢١ ، والجزائر اليوم ، ويسجل احداث الصراع مع الاستعمار في عنفوان ضراوته ، واصداء الجهاد الباسل في معركة التحرير الظافرة لكني فهمت من السيد الاستاذ — عندما التقينا في الجزائر — ان شواغل منصبه وزيرا للاوقاف وجنديا عاملا في معركة التعمير والبناء ، تجعله يترك لغيره من ابناء هذا الجيل والاجيال المتتابعة ، مهمة استكمال الفصول الجديدة من «كتاب الجزائر» وقال فيما قال :

«انا جديرون باحياء التقليد العلمي لسلفنا الصالح ، ممن تتابعوا على التاليف في الموضوع الواحد : يبذل المؤلف منهم جهد طاقته ،ثم يعقبه اخر من بعد اخر فيستكمل مافات الاول : تذييلا او تتمة او استدراكا» .

وتذاكرنا يومئذ ، مافي رصيد تراثنا الفكرى والادبى والتاريخى ، من كتب تحمل عناوين «التكملة ، والصلة ،والفوات والذيل ، والمستدرك ، ...» شاهدة بتعاقب الاجيال من علمائنا على حمل الامانة والوفاء بالتبعة ، كانها الشعلة المضيئة تتلقاها يد عن يد ، جيلا بعد جيل ..

ورقرات مع كتاب الجزائر ، «تاريخ المغرب الكبير» للاستاذ «محمد علي دبوز استاذ العربية والاسلام بمعهد الحياة في الجزائر» وقد صدر منه جزءان طبعا في القاهرة باشراف الاستاذ المؤلف الذى اقام هنا عاما كاملا بعد استقلال بلاده ، يتصل بالحياة الفكرية والادبية في هذه المنطقة من قلب الشرق العربي ، ويلتقى علماءها وادباءها بعد طول فراق ، ويجدد عهده بمصر مذكان يطلب العلم فيها الى عام ١٩٤٨ .

وقد اتجهت فكرته الى كتابة تاريخ المغرب الكبير في مختلف العصور ، لما راى من عبث المستعمرين بهذا التاريخ وتجريدهم دور الكتب الجزائرية من كنوزها القيمة ، فلم ينج منها الا بعض خزائن الخاصة من العلماء ، الذين حموها من العدوان الغاشم ، في مخابىء بعيدة بجنوب الجزائر .

وبدا الاستاذ دبوز من عام ١٩٥١ ،يطوف بهذه الخزائن ويجمع منها مادة كتابه ، فلما اتم اعداده في صورته الاولى ، تمهل حتى زار تونس صيف عام ١٩٥٨ ، فاطلع على ما في خزائنها من تاريخ المغرب الكبير ثم سعى الى القاهرة استكمالا لمادته من ذخائر مخطوطاتها ، ومن بينها مخطوط الجزء الثاني والعشرين من «نهاية الارب للنويري» وفيه من تاريخ المغرب القديم مالم يجده الباحث في كتاب غيره .

ويقع «تاريخ المغرب الكبير» في عشرة مجلدات كبار ، اتم الاستاذ المصنف طبع الثاني والثالث منها ، لاختصاصهما بتاريخ المغرب الاسلامي من الفتح الى القرن الثالث الهجري ، مرجئا نشر الجزء الاول الذى يؤرخ للمغرب قبل الاسلام ..

وسمعت من سيادته ، انه انما عجل بنشر التاريخ المغربي الاسلامي ، لحاجة بلاده اليه في معركتها الجديدة ضد رواسب الاستعمار ، حيث لحق تاريخها الاسلامي مالم يلحق سواه من تشويه وبتر وتحريف ، لما عرف الاستعمار من رسوخ العقيدة الاسلامية في اهل المغرب .

كما سمعت منه انه سوف يعجل كذلك بطبع الجزء التاسع ،وهو خاص بالحلقة المجهولة من تاريخ الجزائر ، من منتصف القرن التاسع عشر الى قيام الثورة . لان هذا الجزء يؤرخ لمرحلة التعبئة الثورية التي سهر عليها ابطال كرام من العلماء والمجاهدين ، وهى لم تدون بعد لكن مصادرها لاتزال باقية لدى الاحياء من شيوخ الجزائر الذين ادركوا تلك المرحلة ووعوا اخبارها ، وعرفوا قادتها وشاركوا فيها ..

واذا كان الاستاذ المدنى فى كتابه الجزائر ، وجه اكثر عنايته الى **العصر الحديث** ، فان كتاب الاستاذ دبوز ، يملى لنا ماضى تاريخها **بتفصيل واستيعاب** ، فيؤرخ فى الجزء الثانى لحركة الفتح الاسلامى والعهد الاموى فى المغرب .. ، ثم يؤرخ فى الجزء الثالث العصر العباسى وعصر الدول الاسلامية المستقلة فى القرنين الثانى والثالث للهجرة ، وهى الدول الرستمية والادريسية ، وبنى واسول بجنوب المغرب الاقصى والدولة الاغلبية .

و«الاستاذدبوز» فى موسوعته التاريخية يذكرنا باعلام الاخباريين والمؤرخين الماضيين ممن قضوا اعمارهم فى جمع مادةتاريخنا وتدوينها ، بصبر عجيب وتفان مخلص . وان كان يحصر اهتمامه فى التاريخ السياسى ، على حين عهدنا الاقدمين يقدمون معه التاريخ الادبى باعتباره مادة من مواد التاريخ العام تلازمه ، على نحو مافعل «المقرى» فى نفح الطيب ، الذى ارخ فيه للاندلس سياسيا وادبياواجتماعيا

وواضح ان الاستاذ دبوز ، آثر ان ياخذ بمنهج المؤرخين المحدثين ،فى تناول التاريخ السياسى على وجه التخصيص وهو المنهج المتبع فى الدراسة التاريخية الحديثة . وفى الحق ان الاستاذ استطاع ان يجلو لنا هذا الجانب باوفى مايكون من ايضاح وتفصيل ، وجمع لنا الحشد الكاثر من اخبار ومرويات ، مبعثرة فى مئات من المصادر ، قليل منها معروف متداول ، **واكثرها مما لاسبيل اليه الا بمشقة لايحتملها سوى الخاصة من الباحثين**

واقول مع هذا اننى كنت اوثر ان ياخذ الاستاذ دبوز بمنهج القدامى من المؤرخين العرب ، حيث كانوا يعدون النصوص الادبية وثائق لفهم التاريخ وتفسيره ، ويسجلون منها نبض الوجدان الشعبى ، وماكان هذا بعسير على مثل الاستاذ ، فى احاطته بالتاريخ الادبى للمغرب ، ولكنه فيما ارى ، ركز جهده على التاريخ السياسى وتتابع الولاة والحكام ، بمعزل عن الحياة الادبية ، فلم ينقل الينا من اصداء وقع الاحداث التاريخية على الوجدان الادبى ، او من تاثير هذا الوجدان فى توجيه الاحداث ، الا بضعة نصوص ضئيلة ليست بذات بال : ففى الجزء الثانى بعض ابيات من شعر «**الاحوص**» و«**الفند الزمانى**» مما غنته «**حبابة**» **ليزيد بن عبد** الملك ص ١١٧ وابيات اخرى من شعر «**عمرو بن الاطنابة**» تمثل بها «**معاوية**» فى صفين يوم الهرير (٢٢٤) . وفى الجزء الثالث اهتم الاستاذ بنقل ابيات لابن حماد **القاهرى** ، من كتاب المسالك والممالك (ص ٢٧٣) مع انها لا تبدو ذات صلة واضحة بالحدث التاريخى . ولست ارتاب فى ان المؤلف فيما طالع من تاريخ المغرب الكبير ، مرت به مواقف شارك فيها الادب مشاركة حاسمة ، وانه لرجو عندنا الا يضن علينا فى الاجزاء الباقية من تاريخه الكبير ، بتقديم النصوص الادبية التى نستكمل بها فهم تاريخ المغرب ، اضاءة وتفسيرا ..

واتجه بالحديث الى قومى فى مختلف اقطار وطننا العربى فاقول : هذا تاريخنا فاقرؤوه ، واذا كان احدنا يستحى من الجهل بتاريخ الغرب ، فانه لعار علينا ان نجهل تاريخ بلادنا ، ونعيش غرباء عن آباء لنا واجداد ، **تجرى دماؤهم فى** عروقنا ، **ونجد ميراثهم فى كياننا مهما يقدم بهم العهد وتفصلنا عنهم آماد وآماد** ■

وزارة الثقافة والارشاد القومي
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٧ / ٧ / ١٩٦٤

كتاب من المغرب العربي

الأدب المغربي الحديث

للاستاذ عبد الله كنون

[illegible]

روشك الموسم الادبى ان ينقضى ، ولا تـزال امامى بضع عشرات من كتب جـديدة ، لبثت طوال الشهور الماضـية التمس فرصة تقديمها الى قراء الاهرام ، فحال دون مارجو ، عبء فادح من الشـواغل والهموم ، لم تدع وقتى ملكا لى .

وقد اثرت ان اقتصر على تقديم الكتب التى تلقيتها من اقطار الشرق العربى . لايمانى بضرورة الاتصال الفكرى بيننا وبين اخواننا فى المشرق والمغـرب ، وحرصى على ان نعوض ما فاتنا فى ليلنا الطويل .

وزملائى المؤلفون المصريون ، اهل لان يغفروا لى هذا الموقف ، فهم بيننا نتابع نشاطهم الفكرى والادبى ، ونقرأ ما ينشر عنه فى الصحف والمجلات ، ونصغى الى ما يذاع فيه من مناقشات . وليس الامر كذلك مع اخواننا كتاب الاقطار العربية الاخرى ، اذ قل فينا من يسمع نشاطهم ، بل اخشى ان اقول ان الجمهرة منا قلما سمعوا عنهم او عرفوا اسماءهم . وانها فيما ارى لخطيئة كبرى ، ان نظل بمعزل عن اخوان لنا ، وكان لم تكف تلك العزلة الطويلة التى فرضها الاستعمار علينا تمزيقا لوحدتنا وحيلولة دون تجاوبنـا والتقائنا عبر الحواجز والحدود .

ويذكـر القـراء انى قدمت لهم فى الاسـبوع المـاضى كتابين من الجزائر ، واليوم يسرنى حقا ان اقدم لهم « احاديث عن الادب المغربى الحديث » وهى مجموعة محاضرات القاها السيد الاستاذ عبد الله كنون : عضـو المجمع اللغوى بالقاهرة ، على طلاب معهد الدراسات العربية العالية ، واضاف بها حلقة جديدة الى سلسلة دراسات فى «النبوغ المغربى» وقد نشر منها ثلاثة اجزاء ، سدت فى مكتبتنا فراغا كبيرا ، يكفى لبيانه ان نذكر ان المصنفات الحديثة فى الادب العربى وتاريخه اغفلت ذكر ادب المغرب ، وكانه ليس من الادب العربى !!

واذا كان جمع مادة التاريخ الادبى الماضى المغرب عملا شاقا ، فان دراسة ادبه الحديث اشق واعسر . فاكثر هذا الادب غير مدون ، وعلى من يتصدى لدرسه ان يسعى الى لقاء الادباء الاحياء ممن لم تطبع اعمالهم بعد ، وان يرجع الى آلاف من الصحف والمجلات التى نشرت نصوصا من هذا الادب ، فى زمن يستغرق ثلاثة ارباع قرن . ولاسبيل الى درس الادب المغربى الحديث ، قبل ان تتم حركة الجمع والتدوين .

وهذا الوضع الذى جعل « الاستاذ كنون » يتردد طويلا قبل ان يقبل المحاضرة فى الادب المغربى الحديث ، هو نفسـه الذى حسم تردده ، وفرض عليه الا يتخلى عن مسئولية التعريف بادب بلده المطوى عنا والضيع فينا .

وعلى الرغم من ضيق المجال المحدد لمحاضراته ، استطاع ان يقدم لنا صورة واضحة المعالم لادب المغرب من اخريات القرن الماضى الى وقتنا الحاضر ، مع عرض موجز للعوامل السياسية والدينية والاجتماعية التى اثرت فيه وتاثرت به .

وهذا الايجاز فرضته طبيعة المؤلف ، حيث كان من المجدى ان يوجه اكثر اهتمامه الى عرض نماذج كافية من الادب المغربى الحديث والمعاصر ، فى مختلف فنونه وشتى انواعه : خطابة ومقالة وقصة ومسرحية نثرا وشعرا .

ولم يكن اختيار النماذج هينا لالتشتت النصوص فى نحو عشرة الاف مجلة وصحيفة فحسب ، ولكن لان الاستاذ الباحث ، حرص كذلك على ان يكون مايختاره منها ممثلا لمختلف التيارات والاتجاهات الادبية ، وان يصنفها بحيث تجلو التطور الادبى من جيل الطليعة الى الجيل المعاصر .

والكتاب يقدم لنا ادباء مغاربة كنا نجهلهم ويصحح لنا القليل الذى عرفناه عن الحياة الادبية فى القطر المغربى الشقيق .

من ذلك مثلا ، اننا كنا نتصور ان النهضة الادبية الحديثة فى المغرب ، ارتبطت بادب الفرنجة وتاثرت به الى حد بعيد ، بحكم عزلتها عن المشرق ، لكن «الاستاذ كنون» يؤكد لنا ان السياسة الاستعمارية التى عزلت المغرب عـن المشرق ، واجهت فى الوقت نفسه بمقاومة من قادة الفكر ورواد الادب « جعلت المغرب يلزم الحذر فى علاقاته بها ، ويبتعد عن طريق اللقاء معها ما امكن .. وهكذا نجد المغرب فى عصر الاحتلال منعزلا عن اصدقائه فى الشرق ، وعن جيرانه فى الغرب » فلم يجد امامه فى مطلع العصر الحديث الا تراثه القديم الذى اعتز به اباؤنا حفاظا على قوميتهم فى مهب الريح الاستعمارية ، « ومن ثم فان الحياة الفكرية والادبية بقيت على حالها من تمثل الماضى »

ـــ ص ١٧

وكنا نتصور ان الطباعة ــ بمالها من دور خطير فى النهضة ــ دخلت المغرب مع المستعمرين الفرنسيين ، دون ان يخطر ببالنا ان المغرب عرفها اول ما عرفها عن طريق مصر الشقيقة فان السيد الطيب الروداني قاضي تارودانت ، رآها بمصر فاعجبته ، وكان ذهب الى الحج ، فاقتنى آلتها وتعاقد مع فنى مصرى للعمل فيها فصحبه الى المغرب . ولما راى ان الدولة احق بها ، اهداها للسلطان محمد الرابع فقبلها واكرمه بان ولاه عليها . وشرع فى طبع الكتب المهمة وخاصة الكتب الدراسية مما يستعمل فى جامعة القرويين وفروعها . وكان يعتنى بالتصحيح وينتقى الخطوط الجميلة ــ اذ كانت مطبعة حجريه فاكتسبت مطبوعاته سمعة طيبة واشتهرت باسم السلطان فكان يقال لها مطبوعات المطبعة المشهدية . وانتشر فن الطباعة

بعد ذلك وصار من عمل الافراد ، وكثرت المطبوعات المغربية المعروفة بالفاسية لان مطابعها كان مقرها فى فاس . واشتملت على جميع الفنون من عربية وفقه وادب وتاريخ وعلوم ، وكانت حافزا لكثير من اهل العلم على التاليف والنشر " ــ ١٤

والذين ارخوا للصحافة العربية ، ذكروا نشاط اللبنانيين فى الصحافة بمصر والشام ، دون ان يشيروا من قريب او بعيد الى نشاطهم الصحافى فى المغرب الاقصى . ويقول الاستاذ كنون :

" على ان مطابع اخرى من ذوات الحروف المركبة ، مالبثت ان عززت المطابع الحجرية فى فاس وغيرها . واهم مايلفت الانظار فى نتاجها ، هو ظهور اول جريدة عربية تحمل اسم المغرب ، فى طنجة سنة ١٨٨٩ ، وهى جريدة اسبوعية اصدرها بعض اللبنانيين ولم تعمر طويلا . ثم صدرت بعدها فى طنجة أيضا جريدة المغرب الاقصى سنة ١٩٠٠ فجريدة السعادة سنة ١٩٠٥ ، فمجلة الصباح سنة ١٩٠٦ ، فجريدة لسان المغرب سنة ١٩٠٧ وكلها لصحافيين لبنانيين نزحوا الى المغرب فى هذا العهد ، ولم يبق منها الا السعادة التى اصبحت فيما بعد لسان حكومة الاحتلال ! " ــ ص ١٥

وماذا عن الادب المغربى المعاصر ؟

النصوص التى اختارها لنا " الاستاذ كنون " تمثل فيما ارى تيارا واحدا هو التيار العربى فى الشكل والمضمون ، سواء منها ما كان جاريا على النسق التقليدى الموروث ، وما جرى على النمط الجديد المستحدث : فالقصائد القومية للدهوى والجندى والسوسى والدكالى والناصرى والحلوى ، تذكرنا بوطنيات شوقى وحافظ ومحرم والرصافى وشفيق جبرى . والشعر الاجتماعى وبخاصة ما حمل منه لواء الدعوة الى تحرير المراة ، يذكرنا بمثله عند كبار شعراء المشرق . والشعر الوجدانى ليس بعيدا عن شعر ناجى والشابى وعلى محمود طه ، وشعر الطبيعة يذكرنا بشعر الهمشرى والتيجانى وعتيق ، ولشعراء الجديد فى المغرب انصار ذوو عدد ، والنماذج التى اختارها ينا المؤلف منه الشعر الحر ، تقسم المرسى الجاى ومصطفى المعداوى والهوارى والسميحى ، مع انداد لهم نظراء من اصحاب الشعر الحر فى العراق والشام ومصر . وثمة " كعب بن مالك " لعلال الناسى ، وهى شعرية تاريخية ، تذكرنا من قرب ، باسلاميات شوقى وعمرية حافظ والياذة محرم . اما المسرحية الشعرية ، فالذى تراناه منها يبدو اقرب الى مسرحيات " باكثير وعبد الرحمن الشرقاوى " منه الى مسرحيات "شوقى" واتباع مدرسته .

ليس هذا فحسب ، بل ان شعر الخضرمة بين الجيل الماضى والجيل المعاصر ، لايبدو كذلك بعيدا عن ادب المشرق روحا واسلوبا . فللشاعر "القباج" وهو من اواخر الجيل الماضى ، وللشاعر " محمد بن ابراهيم " وهو اقرب الى المدرسة المعاصرة ، شعر فكاهى ساخر ظريف ، يذكرنا بلتبيننا " بيرم التونسى " وشعراء الفكاهة المصرية وانقل هنا ــ لمناسبة ازمة المساكن ــ من قصيدة " كرا البيت " للشاعر القباج :

الى الله اشكو ما الاقى من الاسى
ومن فزع قد حل بى من كرا البيت
كرا البيت مثل الموت ياتى الى الفتى
ويذكره يوم الحساب كرا البيت

اذا قيل هذا آخر الشهر قد اتى
ترانى ماسوفا لاجل كرا البيت
وان حرك الباب الهواء حسبته
مسكان رب البيت يبغى كرا البيت
وان جاءنى يوما صديق يزورنى
فلست اناجيه بغير كرا البيت

هنيئا لكم يا ساكنين بلا كرا
فقلبى لفقرى قد كواه كرا البيت
ولو ان بيتا فى الجحيم بلا كرا
لطابت به السكنى لاجل كرا البيت
ولو رات المطلوب عيناى فى الهوا
لقلت لهم هذا نجا من كرا البيت

اقول وعندى من كرا البيت لوعة
وقلبى جريح موجع من كرا البيت
كرا البيت والفانى الى كل بلدة
فمالى وربى مهرب من كرا البيت
وخمس دجاجات وديكان بعدهم
واهم الصفرا لاجل كرا البيت
قلعت بساط الدار ايضا وبعته
فلم يبق للجبابى سواى مع البيت

ومن قصيدة " المطعم البلدى " لمحمد ابن ابراهيم :

ان كان فى كل ارض ما تشان به
فان طنجة فيها المطعم البلدى
تبدت روحك بالاحلام فى رعب
ان نمت فوق فراش المطعم البلدى
اما الطبيب فعجل بالذهاب له
اذا اكلت طعام المطعم البلدى
وليلة زارنى فى الفجر صاحبه
فقلت من ؟ قال رب المطعم البلدى
وكالمدافع خلف الباب سعلته
يهتز منها جدار المطعم البلدى
وكم ثقيل رات عينى فما بصرت
فيهم مثلا لرب المطعم البلدى
وقلت خيرا فقال : الخير اعرفه
وتعرف الناس خير المطعم البلدى
ان كان عندك قل لى من ملاحظة
تزيد حسن نظام المطعم البلدى

فقلت ما لى ارى هذا الذباب غدا
مثل السحاب بافق المطعم البلدى
فقال ان فضول الناس يقلقنى
هذا الذباب ذباب المطعم البلدى
فقلت والبق ؟ قال البق ليس به
باس اذا كان بق المطعم البلدى
فقلت هذى البراغيث التى كثرت
ما بالها كثرت بالمطعم البلدى
فهزنى كصديق لى يداعبنى
وقال تلك جيوش المطعم البلدى

وترانا كلمة الاديب ((محمد ديب)) فيها يكابد من محنة التمزق ..

((اشعر كانني منفى داخل اللغــــة الفرنسية)) ناين امثال (الحداد وديب ، وكاتب يس ومولود معمرى وآسيا جبار وآسيا جبار » فى الادب المغربى !

ان كتاب الاستاذ كنون ، لايشير من قرب ولا من بعد ، الى ادب هذه الفئة المعذبة التى برمتها أن تعبر عن وجدانها بلسان مستعار .

★

يا من غـــدا ينتسوى لطنجة ســـفرا
ايساك ابساك قرب المطعم البــلدى
ننسى الفتسى كل مقـــدور يلم به
الا مبيت الفتسى بالمطعــم البلـــدى

وابادر فاستدرك تاللة : ان وضوح التيار العربى والروح المصرية فى شـــعر المغرب الحديث ، لايعنى القول بالتقاليد والاتباع ، فالقباج مثلا اسبق زمنا من بيرم ، وما اظن محمد بن ابرهيم قد قرا ديوان شاعرنا ((البهاء زهير)) مع ما فى قصيدته من روح البهاء وخفة ظله . ومسرحية الشاعر ((البقالي)) فى احداث ثورة المغرب ملكا وشعبا على الاستعمار عام ١٩٥٣ ، اسبق زمنا من مأساة جميلة للشرقاوى ، على قرب ما بينهما . وذاتية ادباء المغـــرب تبدو واضـــحة متميزة . فالقضية هنا ليست قضية تقليد ومحاكاة وانما هى قضية وحدة وجدانية يلتقى عندها ابناء الوطن العربى ، مشارقة ومغاربة .

ونفتقد فى الكتاب النماذج الممثلة للتيار الاجنبى الوافد ، دون ان يفسر لنا الاستاذ الجليل سر هذه الظاهرة . لقد اشار فى الفصل الاول الى مقاومة الجيل الماضى للغزو الروحى والفكرى ، لكنا هنا أمام الجيل المعاصر الذى فرض عليه الاستعمار ثقافته ولسانه ، وعزله عن بقية اخوانه العرب ، فكيف استطاع تحت ضغط السيطرة الثقافية للمستعمر ان يقاوم ويتحدى ويغلب ، مع أننا وجدنا اخواننا ادباء الجـــزائر المعاصرين ، يجـــأرون بالشكوى من غربتهم المعنوية ، وسمعنا الشاعر ((مالك حداد)) يقول ما ترجمته :

لاتلمنى ياخى
اذا لم يطربك غنائى
انا لااغنى
لقد سرقوا لسانى
فانا اصرخ واصيح ..

واغلب ظنى ان الاستاذ تجاهلها عن عمد لسبب أو لاخر . فالذى أعرفه ان هناك معركة عنيفة ، حول الغزو الفكرى والادبى الذى تعرض له الشباب المغربى فى عهد الاحتلال . ويصفه ((الدكتور محمد عزيز الحبابى)) رئيس اتحاد كتاب المغرب فى مجلة آفاق ، بانه ((غزو منظم لم تقف اخطاره عندالحدود التى اشرنااليها، حيث نجد اللغة القومية تعيش على هامش الحياة فى وطنها .. وفى بلد ، هذا وضع لغته الوطنية فيه ، يكون من السخف والسخرية ان نتحدث عن ازدهار ثقافة وطنية به ، او ان نتساءل عن اسباب ركودها الادبى والفكرى ، مالم نتجه بباشرة لتصحيح الوضع الخطير الذى تعانيه هذه اللغة اولا . وعندما ترغم امة على ترك لغتها القومية الى لغة اجنبية فان هذا يعنى ان جدارا يقام بينها وبين ماضيها ليفصلها عن جذورها الفكرية والثقافية والروحية ، ويعنى ان تصدعا هائلا اخذ يزلزل كيانها وبنــاءها الاجتمــاعى كاملة موحدة ، ويعنى انها تواجه عملية تحويل خطيرة ، تهدف لمسخ وتشويه ما تملكه من مقومات وتراث وقيم وتقاليد واخلاق ، ويعنى انتزيفا وتمزيقا يعصف بالشخصية الوطنية لابنائها ، ويعنى اخيرا تكوين عقدة نقص لدى الامةكلها تجاه تاريخها وحضارتها وثقافتها التقليدية ، هذه العقدة النفسية لعلها اخطر عقبة تقف دون تقدم وازدهار المجتمع فى سائر الميادين .))

والاستاذ كنون ، فيما اعلم ، يعيش فى صميم المعركة ، فليس بحيث تغيب عنه آثار الغزو الفكرى فى ادب المغرب المعاصر فهل كان موقفه السلبى منها ، تهوينا من شانها واطمئنانا الى المستقبل ؟ او كان لانه لايريد انيعترف بغير العنصر العربى الاصيل فى هذا الادب ؟

ايا ما كان الامر ، فانى مع احترامى لموقف الاستاذ الجليل ، اخالفه عليه بحق ما يجب للتاريخ الادبى من استيفاء ، وبحق ما يطالبنا به وجودنا من الحاح فى تعقب آثار هذا الغزو ، وتعبئة قوانا لمقاومته والقضاء عليه .

كذلك لميتعرض ((الاستاذكنون))للادب الشعبى وكنا نود لو انه اعطانا فكرة عنه ، تصلنا بوجدان الجماهير ، وان كنت فى الوقت نفســه ، التمس له كل العذر فى اقتصاره على ادب الفصحى ، مناط وحدتنا الذوقية والفكرية ، واللغة المشتركة التى يلتقى عندها ابناء العرب على اختلاف اقطارهم وتعدد لهجاتهم .

وزارة الثقافة والارشاد القومي
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٧ / ٨ / ١٩٦٤

فى فيينا

سباق على الكنز

وقد قرات قصته المثيرة ، فى الوثائق والسجلات التى تحتفظبها ((قاعـــة البرتينا)) فى مكتبة فيينا ، حيث توجد اكبر مجموعةمن ذخائر هذا الكنز !

الوف لا تحصى مـــن أوراق البردى التى تسجل حياة اجدادنا وتضىء للانسانية تاريخ مرحلة طويلة من ماضى حضـــارتها ، وتعطى التاريخ وثائق مـــادية ، كاشـــفة لما فيـــه من غموض ، ومصححة لكثير مما شابه مـــن أخطاء ، ومكملة لقصور المرويات النقلية التى تتسع للزيف والعبث ، وتتعرض للتجريح والاتهام

ومعهـــا ذخـــائر نادرة مـــن مخطوطات على الرق والخشب والطوب والقماش : ودائع تركها الماضون من اهلنا ، وطوتها ارض الوادى واطلال مبانيه القديمة ، لمدى قرون ودهور .

ثم لما بدات تكشف عنها فى القرن التاسع عشر ، ازدراها قومنا فلم يجدوا فيها سوى خرق رثة واوراق بالية ونفـــايات رخيصة ، ورابهم ما عليها من نقوش وكتابات ، لاحتمـــال ان تكون مـــن ((الكفريات)) التى لا تحل مطالعتها فى ديار الاسلام!

ولم تكن ذخائر هذا الكنز فى مكان واحد ، بل كانت موزعة فى مواضع شتى من المدن والقرى والنجـــوع ، مدفونة فى المقابر القديمة او مودعة فى الاطـــلال والخرائب ، على ان القدر الاكبر منها كان فى الفيوم والصعيد ، بحكم جفاف المنطقة وقدرتها على الاحتفاظ بمثل هذه الودائع . .

التاريخ : ٧ / ٨ / ١٩٦٤

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

وكان ضغط الحاجة ، هو الذى دفع الفلاحين الفقراء الى التنقيب فيما حول قراهم من خرائب وأطلال ، التماسا لبعض السماد او بغية العثور على ما يمكن ان يرجى منه اى نفع . وبين حين وآخر ، كانت تقع لاحدهم سلال او قدور قديمة ، مليئة بلفائف من البردى او الرق، مثقلة بالطين ، فينديب على الماثر ، ويطرحها في عينا ، اذا لم يجدها صالحة لان يتخذ منها سمادا للارض او حطبا للنار !!

ولا يدرى احد على وجه التحقيق ، كم من هذه الودائع تلف وضاع ، قبل ان يلتفت اليه بعض الغربيين ممن كانوا يجوبون انحاء الديار ، بحثا عما تطوى من كنوز اثرية . ومن ذلك الحين ، بدأ سباق عجيب على هذه الذخائر ، اشترك فيه ملوك وامراء وقناصل وتجار ، وعلماء وسائحون ، من المانيا والنمسا وانجلترا وايطاليا وفرنسا والنرويج وبولندا وتشيكوسلوفاكيا وروسيا ، ثم تسامع الامريكان بهذا السباق فدخلوا الميدان وجالوا فيه جولة ظافرة !

ووقفنا نحن نتفرج على هؤلاء الحمقى الذين تهافتوا على الظفر بمثل تلك الاوراق الملوثة بالطين ، والخرق البالية من اكفان موتانا ! ثم لما رأيناهم يساومون على شرائها بالمال ، انتهزنا فرصة غبائهم وغفلتهم ، فاقبل تجار الآثار ، وكان اكثرهم من الاجانب او المتمصرين — على جمع اوراق البردى من الفلاحين ، وعرضوها للبيع مغالين في ثمنها ، واسعف الفلاحين ذكاؤهم الفطرى ، فآثر بعضهم ان يحتفظ بالبضاعة ليبيعها للاجانب دون وسيط ، ومنهم من كان يمزق البردية الواحدة الى قطعتين ، كى يبيعها مرتين ! فحدث في كثير من الاحيان ان بيعت نصف بردية الى مشتر المانى ، وبيع نصفها الآخر الى مشتر من الانجليز او الامريكيين !

وآخرون ممن عثروا على ذخائر من هذا الكنز الغالى ، تحرجوا من المال الحرام الذى يأتيهم من بيع « الكفريات » فآثروا ان يحرقوها بالنار تقربا الى الله تعالى، والتماسا لثواب الآخرة ! كما فعل اهل بلدتى « دمياط » في مجموعة من البردى ، مقدارها مائة بردية ، عثروا عليها في خرائب المدينة سنة ١٧٧٠م ، والقوا بها في النار بامر من شيوخ القاهرة ، قبل ان تقرأ كلمة واحدة من النصوص المدونة فيها !

⁂

وعلى وهج النيران التى التهمت مجموعة دمياط ، تفتحت عيون الاوربيين الذين لبثوا قبل ذلك عشرات من السنين ، في انتظار ظهور برديات بعد التى عثر عليها احد البدو بمنطقة سقارة عام ١٨٢٤ ، في ابريق من الخزف ، كانت به برديتان عربيتان تلقاهما قنصل فرنسا في القاهرة ، وسارع بتقديمهما الى المستشرق « البارون دى ساسى » الذى كان مشغولا في ذلك الحين ، بدراسة برديات عربية اخرى ، أهداها القنصل « هنرى سولت » الى الملك « لويس الثامن عشر » . وقد مرت ست واربعون سنة مجدبة ، قبل ان يذاع نبأ العثور على مجموعة دمياط واحراقها، فكان ذلك الحدث الذى هز الدوائر العلمية في اوروبا ، ايذانا ببدء السباق الدولى على ما تطوى مصر من ذخائر البردى .

وكانت الجولة الاولى فيه لالمانيا ، حيث استطاع قنصل الرايخ الالمانى بالقاهرة « ج — ترافرس » ان يظفر بمجموعة نادرة من البردى عثر عليها في الفيوم صيف عام ١٨٧٧ ، وبعث بها الى المتحف المصرى في « برلين » الذى اضاف اليها بعد اربع سنوات مجموعة اخرى قيمة، اشتراها له « شترن » وسجل رصيد المتحف عام ١٨٨٥ رقم ٢٦٣٦ بردية ، منها ستمائة عربية ، وثلاثمائة قبطية ، والفان وخمسمائة بردية يونانية مصرية . ثم ظل رقم الرصيد يرتفع ، بما تلقى المتحف من برديات عثرت عليها البعثة الالمانية . الى جانب ما تلقته جامعتا « هامبورج وهايدلبرج » من لفائف البردى التى عثر عليها العالمان الاثريان « هانت وجرنفل » عام ١٨٩٤ .

وكانت النمسا قد دخلت الميدان، فظفرت بالقدر الاكبر من ذخائر الكنز . ويسجل رصيدها من البردى ، عام ١٨٨٥ في فيينا وحدها ، ١٠٠٤ ٢ برديات، ارتفع في عام ١٩٢٢ الى ٧٠٠٦٣ بردية ، منها نحو ٤٦ الفا باللغة العربية !

ثم تتابعت البعثات من شتى اقطار اوروبا ، تنبش قبور موتانا ، وتتحصى بقايا الاطلال الدارسة، وتفتش في اكوام القمامة بالخرائب المهجورة بعيدا عن الاحياء المسكونة ، فاتجهت بعثات شتايندورت، وهانت ، وجرينفل » الى الفيوم واستخلصت من خرائبها ومقابرها ذخائر لا تحصى ، وعثرت البعثة الالمانية برياسة « شوبارت وشوكر » عام ١٩١٠ على مجموعة من البردى هناك ، ترجع الى القرن الرابع المسيحى ، بينما ظلت البعثات الايطالية تعمل في المنطقة من سنة ١٩٠٢ الى ١٩٣٧ وظفرت بنتائج باهرة ، واتجهت بعثات اخرى ، المانية ونمساوية وانجليزية وفرنسية وبولندية ، الى اطلال منف ، والاشمونين ، واهناسيا ، واخميم ، واسيوط ، وأدفو ، وطيبة والنوبة ، والى الفسطاط والدلتا وكوم القلزم قرب السويس . والى جانب البعثات — ما ذكرت منها وما لم اذكر كان هناك التجار والسماسرة والعلماء وهواة الآثار يشتركون في السباق ويجوبون انحاء الوادى بحثا عن لفائف البردى عند التجار والفلاحين ، وكانوا يشترونها في بادىء الامر باسعار رخيصة زهيدة ، لكن الثمن ظل يرتفع الى ان بلغ سبعة جنيهات لبعض اللفائف التى كانت لدى تجار طما والاقصر واخميم .

⁂

ونسأل عن دورنا في هذا السباق فنجيب عالم البردى المشهور « ادولف جروهمان » في كتاب له عن قصة البردى نشر هنا عام ١٩٥٤ ولم يصل الى القاهرة حتى اليوم فيما اعلم ، بأن تاجرا عربيا اسمه الشيخ حسن قام بحفريات خفية للسرقة (؟!) في اطلال مدينة قديمة ومقبرة مهجورة على شاطىء النيل في مواجهة الفشن ، فيما بين عامى ١٨٩٥ ، ١٨٩٦ ولم يذكر لنا جروهمان الغنيمة التى ظفر بها هذا اللص الذى اشترك مع الاجانب في البحث عن ودائع أهله وكنوز وطنه

اما رصيدنا من ذخائر البردى ، فلا يتجاوز الفى بردية، ويكفى لبيان ضآلة عددها ، ان نذكر ان مجموعة الارشيدوق راينر في فيينا ، تقرب من نحو مائة الف بردية . ويسجل جروهمان في كتابه ، ان الفضل الاكبر في ظفرنا بهذا القدر الضئيل من كنزنا الضائع ، يرجع الى « الاستاذ موريتس B. MORITZ » الذى كان مديرا للمكتبة الخديوية بالقاهرة ، من سنة ١٨٩٦ : ١٩١١ ، وتفضل فاشترى لمكتبة العاصمة قدرا من لفائف البردى المكتشف في صعيد مصر ، الى جانب ما كان يشتريه لمجموعته الخاصة

وللحديث بقية تطول ، فالى لقاء .. م

التاريخ : ١٤ / ٨ / ١٩٦٤

في فيينا
المصير المجهول

ليس الذى يحزننى ان ودائع اجدادنا من ذخائر البردى ، تسربت الى الخارج فنجت من التلف والضياع . وانتقلت فى حال يرثى لها ، من اكوام السباخ والخرائب المهجورة والاطلال الدارسة ، الى قصور الملوك والامراء ومكتبات الجامعات ومتاحف العواصم الغربية ، حيث كان فى انتظارها هنا من بذلوا اعمارهم فى اصلاحها وصيانتها ودراستها ، وقدموا منها الى تاريخ الحضارة الانسانية ما يخصبه ويثريه

ولكن الذى يحزننى حقا ، اننا حتى اليوم لم نكترث بتتبع مصيرها ومعرفة مواضعها فى شتى انحاء الدنيا ، ولا عنانا ان نتصل بما نشر من نصوصها ، وكانها لا تمت الينا بسبب قريب او بعيد ..

وما كان ذلك ليكلفنا اكثر من اقتناء نسخة من السجلات والوثائق التى نشرت هنا ، وبادرت الهيئات العلمية باقتنائها فنفدت نسخ الكثير منها قبل ان تصل الى عاصمة مصر ، صاحبة الكنز ووارثته

وكنت بحيث ارجو ان نستدرك ما فات فنحاول تصوير هذه المطبوعات والمنشورات حيثما وجدت ، لكنى اشفق على قومى بمثل هذا ، حين القى هنا جديدا من كتب علماء البردى ، تكشف عن مصيره المجهول لنا ، ولا اعلم ان فى بلادى نسخة منها وتوشك هذه الكتب الجديدة ان تنفد ايضا ، قبل ان يخطر ببالنا انها مما لا يجوز ان تخلو منه المكتبة المصرية .

اذكر منها على سبيل المثال ، كتابا جديدا لعالم البردى المشهور « **الدكتور ادولف جروهمان** » طبع فى « براج » سنة ١٩٥٥ وعنوانه — مدخل ومختارات فى علم البردى العربى —

وهو يسجل فى الباب الثانى ، خطوات الكشف عن وثائق البردى من اوائل القرن الماضى الى سنة ١٩٢٧ ، واماكن العثور عليها فى خرائب وادينا ، والعصور التى خلفتها ، واللغات التى كتبت بها مع العربية ، واسماء التجار والقناصل والعلماء الاوربيين الذين حملوها من مصر وبعثات الحفر التى تخصصت فى البحث عنها لمدى نصف قرن ، والدول التى تقاسمتها ، والاماكن التى استقرت فيها .

ومنه نعرف القصة المثيرة للمجموعة الكبرى التى ظفرت بها **فيينا** ، وما تملكه **المانيا** فى متحف المصريات ببرلين وفى جامعات هامبورج وهايدلبرج وليبزج والمكتبة البافارية بميونخ . وما تملكه **فرنسا** فى متحف اللوفر والمكتبة الاهلية بباريس وجامعة ستراسبورج . وما تملكه **ايطاليا** فى ميلانو ومعهد البردى بجامعة فلورنسا ، **وانجلترا** فى المتحف البريطانى بلندن ومكتبة جون رايلاند بمانشستر ومكتبة بودليانا فى اكسفورد . وما اقتنته **بولاندا** فى جامعتى وارسو وبرسلاو ، ومجموعة المعهد الشرقى فى براج **بتشيكوسلوفاكيا** ، ومجموعات المجمع العلمى فى ليننجراد ومتحف الفنون الجميلة بموسكو فى **روسيا** ، وما اشترته جامعة متشجان والمعهد الشرقى فى شيكاجو **بامريكا** ، وما بقى **لمصر** فى دار الكتب ومتاحف الاثار بالقاهرة . **وقد سمعت من احد خبراء البردى هنا ، ان من الخائف البردى فى متاحفنا ، ما لا يزال على حالته البائسة التى وصل بها ، مما يعرضه حتما للتلف وطمس نصوصه .**

ونعرف منه ، نبذة كل مجموعة ، وعدد قطعها بالتحديد او التقريب ، واهم النصوص التى نشرت منها ، والنتائج التى وصل اليها دارسوها . ويستغرق هذا البيان الحافل ، بابا واحدا من اربعة عشر بابا فى الكتاب ، يشرح فيه ـــ

التاريخ : ١٤ / ٨ / ١٩٦٤

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

« جروهمان » مصطلحات علم البردي العربي ، واشاراته ورموزه ، ومجال العمل فيه ، وانواع البردي ، ومواد الكتابة وادواتها ونسقها ، والمداد والخط فضلا عن الفهارس العلمية والملحقات الهامة ..

و ((الجروهمان)) مع ذلك غير مجهول لنا

لقد ظل يتردد على مصر منذ عشرات السنين بحثا عن البردي لمجموعته الخاصة وللهيئات والمعاهد العلمية التي يتصل بها ، وبدأ من عام ١٩٢٥ يهتم بدراسة مجموعة دار الكتب بالقاهرة ، وقد اتم اعداد عشرة مجلدات عنها ، نشرت منها الدار سبعة مجلدات ، ابتداء من سنة ١٩٣٤ ..

واقرا هنا مع كتاب جروهمان ، كتابا جديدا ((من تاريخ مجموعة البردي في مكتبة النمسا الاهلية)) ولا اعلم ان في مصر نسخة منه . وقد نشر هذا الكتاب في فيينا سنة ١٩٦٢ بقلم ((الدكتور هربرت هونجر)) المدير السابق لمجموعة البردي في البرتينا .

وفيه نصوص الرسائل التي تبودلت في اخريات القرن الماضي واوائل القرن الحالي ، بين رجال ثلاثة — عالم وامير وتاجر — تدين لهم النمسا بالظفر باكبر واغنى مجموعة من البردى المصرى في العالم كله ، وهي المجموعة التي لا ازال اقرأ هنا تفاصيل رحلتها من خرائب الفيوم واطلال الصعيد ، الى القصر الامبراطوري بفيينا ، ومنه انتقلت الى المكتبة الاهلية .

ثم انى لا ادرى ، ماذا كانت مصر تلقتني شيئا من بحوث العالم النمساوي « كرابانتشك » التي نشرها بين عامي ١٨٨٢ : ١٩١٧ عن مجموعة الارشيدوق راينر بفيينا ؟ ماناشره المستشرق الانجليزى « مرجليوث » في اكسفورد سنة ١٩٠٩ عن المجموعة الثمينة التي اشتراها « ايرل كراوفورد » من مصر عام ١٨١٩ وحملها الى قصره في اسكتلندا ، ثم اشترتها مكتبة « جون رايلاند » بمانشستر سنة ١٩٠١ ، او ما نشره « بكر » من نصوص عربية اغريقية ، من مجموعة ستراسبورج ، وهى نصوص من بردى « كوم اشقوه » كانت في حوزة تاجر للاثار في القاهرة اسمه « ميخائيل كازيرا » ؟ او مانشره « جروهمان » من مجموعة « نيبلى » وعددها ٨١٨٢ بردية ، اشتراها من تاجر ارمنى بباريس بسنة ١٩٠٤ ، وآلت بوصية منه الى الاستاذ « هونتور » الذى باعها الى المعهد الشرقي في « براج » واغلبها من بردى الفيوم والاشمونين ، ومنها اختار جروهمان ٩٦ نصا ، نشرها فيها بين عامى ١٩٢٨ : ١٩٤٢ ؟

كما لا ادرى ، ماذا كانت لدينا نسخة من بحوث ((مؤتمر علماء البردى)) الذى انعقد في اكسفورد ، في سبتمبر ١٩٢٧ ؟

لكن .. فيم كل هذا التساؤل وليس بمستغرب ان تتشارك ودائع ابائنا من البردى ، مصير تراثهم الفكرى والادبى من المخطوطات التي هانت علينا وتسابقت دول الغرب الحديث على اقتنائها وصيانتها وخدمتها ، دون ان نبذل محاولة جادة لتتبع مصيرها وتقصى انبائها ، او نحرص على تزويد مكتبتنا العربية بنسخة واحدة مما ينشره علماء الاستشراق من ذخائر هذا التراث .

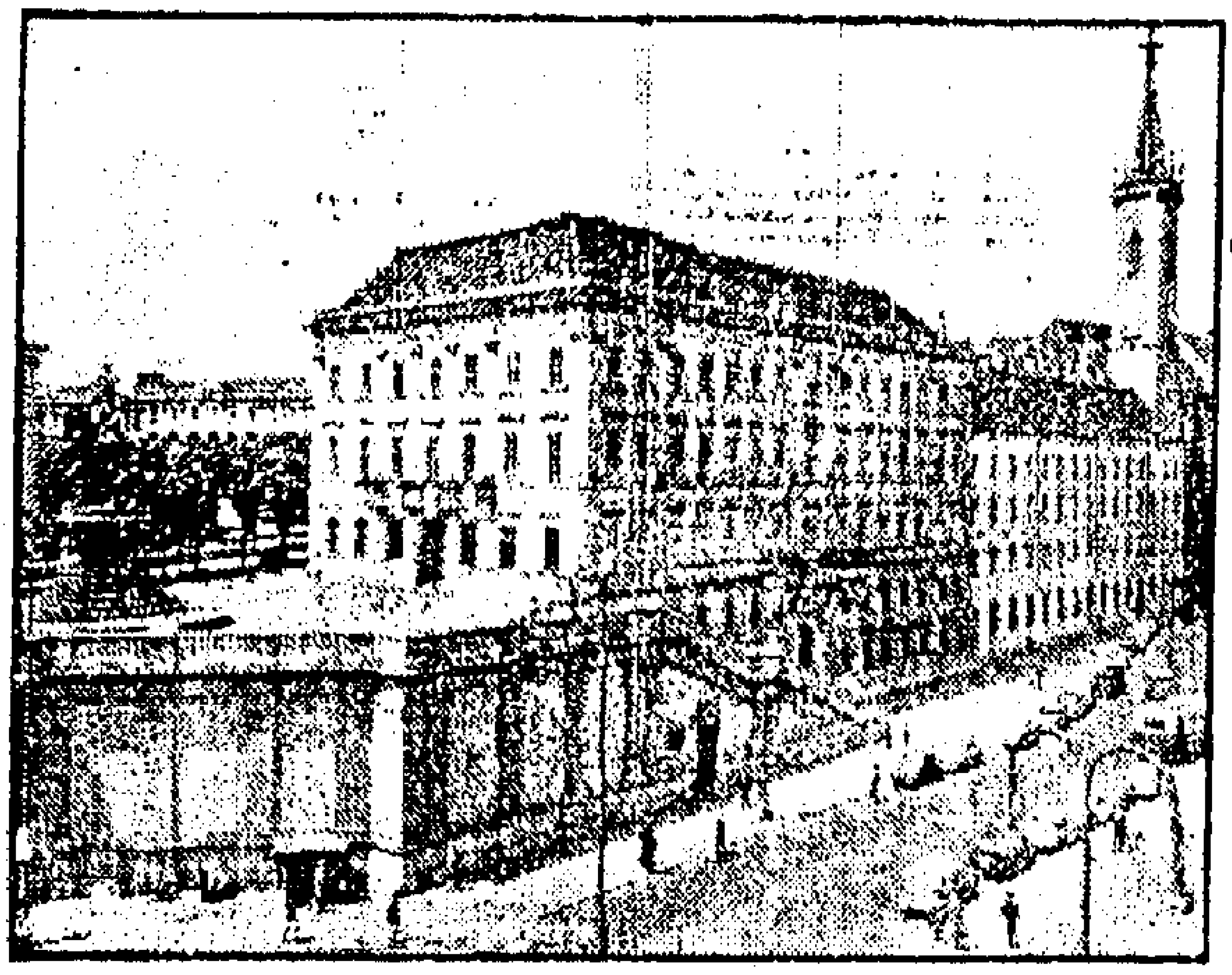
التاريخ : ٢١ / ٨ / ١٩٦٤

٣ من فيينا

القصة من أولها !

من خلال دراسة الوثائق والسجلات الخاصة بمجموعة بردى فيينا ـ اكبر واغنى مجموعة فى العالم ـ نستطيع ان نتتبع القصة من اولها ، حيث يتكرر المشهد بصورة او باخرى ، فيما آل الى بقية الدول الغربية التى اشتركت فى السباق على الظفر بودائع هانت علينا من تراث اجدادنا . .

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



« البرتينا » مقر المجموعة الكبرى من البردى المصرى

ومن الغريب ان النمسا لم تتجه الى الاشتراك فى السباق على البردى منذ بدا فى اوائل القرن الماضى . وحتى حين بلغ ذروته فى الربع الاخير من ذلك القرن كانت لاتزال زاهدة فيه منصرفة عنه ! وفى الوقت الذى تنافس فيه قناصل المانيا وفرنسا وانجلترا وايطاليا على شراء ما يعرض من البضاعة فى اسواق القاهرة والصعيد ، وقف قنصل النمسا بمعزل عن السباق ، وترك زملاءه الاخرين يتقاسمون الغنيمة !

بل أن العالم النمسوى المستشرق «كراباتشك» والتاجر « تيودور جراف » اللذين كسبا للنمسا مجموعتها الكبرى ، لم يهتما بالبردى فى بادىء الامر ، وانما كان اولهما مشغولا بهوايته لفن النسيج الشرقى وكان الآخر منصرفا لتجارة السجاجيد ، يحمل منها الى فيينا روائع القطع الاثرية النادرة فى رحلاته التجارية الى مصر . حيث اقام سنوات طويلة مستشارا لبيت تجارى كبير فى الاسكندرية . ومن هنا نشأت الصلة الوثيقة بين تاجر السجاجيد وبين المستشرق الهاوى للمنسوجات الاثرية فكان «جراف» يربط كل رحلة تجارية له الى مصر بالغرض العلمى الذى يهم صاحبه . واستطاع قبل الثورة العرابية ان يرسل الى فيينا مجموعة نادرة من السجاجيد الشرقية ، لم تشاهد النمسا لها مثيلا من قبل .

التاريخ : ٢١ / ٨ / ١٩٦٤

وبلغ من اهتمام « كراباتشك » بهذه البضاعة الاثرية ، ان اغرى « جراف » بالحفر في المناطق الجانة بالصعيد، من مقابر العصور التى تلت عصر الفراعنة بمصر ، املا في العثور على خرق من النسيج من عهد الاغريق والرومان ! وكانت مفاجأة لكراباتشك ، ان بعث اليه صاحبه في عامي ١٨٨١ ، ١٨٨٢ **بعض خرق البردى ،** ضمن مجموعة من قطع النسيج القديمة ، ومن هنا بدا اهتمام «كراباتشك» بالبردي المصرى ، وبدأت في الوقت نفسه قصة المجموعة الثمينة التى تعدها النمسا اليوم، من امجد ماثرها على تاريخ الحضارة

ذلك ان العالم المستشرق ، لفت صديقه التاجر الى اهمية هذه الخرق، والح عليه في بذل اقصى الجهد للظفر باكبر قدر منها. **ولم يكن للقناصل الاوربيين الذين جندتهم** دولهم للسباق على الكنز قبل تنظيم البعثات الحفرية — من **الخبرة** بالسوق والصلة بابناء البلد، مثل ما لهذا التاجر الخبير الذى لم يكد يدخل الميدان ، حتى خرج من الجولة الاولى بمجموعة من لفائف بردى الفيوم واهناسيا مقدارها عشرة آلاف بردية . ظهر بعد الفحص انها مكتوبة بست لغات ، **ومنها ثلاثة آلاف بردية عربية !** وعرفت برديات هذه الصفقة في الدوائر العلمية بأوروبا ، **بمجموعة جراف ، او مجموعة** الفيوم الاولى .

وتلقى «كراباتشك» هذه البضاعة وهو لايكاد يصدق انها صارت اليه . لكنه حين حاول فحص نصوصها ، ألفى البرديات في حالة تعسة : فالى جانب ما تآكل منها وعبث به الدود ، كانت هناك الوف من اللفائف المتحجرة لطول المدى على طيها مع ما تراكم فوقها من الطين الجاف، ومنها ما كان مربوطا بخيوط من ... او مخيطا من احد جوانبه على هيئة كراسات . وكانت محاولة فكها تعرضها للتمزق والتلف، مالم تبذل اقصى العناية لازالة الطين عنها وتطريتها ، كى يمكن فردها وفحصها !

وكان المعروف ان قدرا هائلا مما عثر عليه البدو والفلاحون في خرائب الصعيد قد تلف تماما عندما حاولوا فك اللفائف بغمرها في الماء ! ومن هنا اتجهت محاولة « كراباتشك » اول الامر ، الى تطرية اللفائف شبه المتحجرة ، بتعريضها لبخار الماء الساخن ، لكنه مالبث ان عدل عن هذه الطريقة التى طمست بعض النصوص الى طريقة التطرية الباردة التى جربها الالمان بنجاح ، في صفقة « القنصل ترافوس» سنة ١٨٧٧ . وبعد عمل شاق متواصل ، وجهود مضنية ، امكن فك اللفائف الملتوية ، وفتح الكراسات الملتصقة .

وكشف الفحص السريع لما تم تنظيفه وتطريته ، عن وجود نصوص ذات اهمية **لاتقدر !** فكانت الخطوة الثانية ، تصنيف برديات المجموعة ، في فئات متجانسة لغة **او متقاربة زمنا ، او متكاملة قطعا ونصا** واقتضى تعدد لغاتها ، الاستعانة بعلماء في اللغات العربية والسامية والفارسية البهلوية والقبطية واليونانية . وكلما تم

تجهز احدى البرديات ، وضعت بعناية فى اطار بين لوحين من الزجاج ، برقم مسلسل ، وتقدم العمل بفضل الجهود المتآزرة مع الخبرة الفنية والعلمية ، بحيث امكن اعداد مئات من البرديات التى تم فحصها وتنسيقها ، واقيم لها معرض فى السابع والعشرين من مارس سنة ١٨٨٢ بالمتحف النمسوى للفنون . والقى « كراباتشك » فى حفل الافتتاح محاضرة عن قيمة هذه الوثائق واهميتها ، والنتائج الاولى لبحوثه وبحوث زملائه من العلماء ، كما قدم ثمرة العمل فى دليل مفصل بعنوان

لكن المتحف النمسوى لم يبد مع ذلك رغبة ما فى شراء هذه المجموعة الثمينة واقتنائها ! وعبثا حاول « كراباتشك » ان يقنعه بضرورة شرائها ، وبخاصة بعد ان تحرج الموقف : فالتاجر « جراف » قد دفع ثمنها من ماله الخاص ، وقد طال انتظاره للبت فى موضوع شراء النمسا لها ، فى الوقت الذى تعرض فيه لضغط الحاح شديد ومساومة مرهقة ، من بعض الدول الاوربية ، وبخاصة المانيا التى ابدت استعدادها لشراء المجموعة بالثمن الذى يرضيه !

وبدا كان النمسا توشك ان تفقد ما وصل الى عاصمتها من كنز البردى ، لولا ان سعى « كراباتشك » لدى **الارشيدوق (راينر : راعى المجمع العلمى)** فى ذلك الوقت ونجح المسعى لدفع الامير ثمن المجموعة كلها ، وابقاها باسمه فى متحف فيينا ، ثم اضاف اليها المجموعة التى اقتناها كرال : اثناء مقامه بمصر سنة ١٨٨٢ ، كما آل الى راينر بعد ذلك مجموعة العالم الاثرى « شنايدنورت التى عرضها للبيع فى سوق القاهرة سنة ١٨٨٦ ، ونجح التاجر جراف فى شرائها . وهى التى تعرفنا **بمجموعة الفيوم الثانية** وظل الرصيد ينمو بما اضيف الى مجموعة راينر بما كان جراف او غيره يرسلونه الى فيينا ، من جديد ما يعثر عليه من البردى المصرى ومنه **كتاب الموتى** الذى جاء به **فاينريش** ومخطوطات من **هوميروس** جاء بها **فسيلى** فضلا عما اشتراه العالم الاثرى **جراف** لاندبرج الذى كان يقوم اذ ذاك بحفريات فى الجنوب العربى موفدا من مجمع فيينا للعلوم ، وقد الح عليه زميله «كراباتشك» أن يمر بالقاهرة لشراء ما يمكن شراؤه من البردى العربى ، فاستجاب لاندبرج لرجاء زميله ، ومر بالقاهرة فى خريف عام ١٨٩٨ .

وقد تم فى هذا العام شراء آلاف من بردى الاشمونين ، تمتاز بدقتها ونعومتها ولونها البنى الفريد . وكانت كل هذه المشتريات تتم لحساب «الارشيدوق راينر» وتضاف الى مجموعته التى بقيت فى متحف الفنون بين ايدى الخبراء والدراسين .

وقبل ان تلتفت مصر الى تسرب هذا الكنز من ارضها كانت مجموعة راينر قد بلغت نحو سبعين الف بردية . وفى اغسطس سنة ١٨٩٩ قدمها الامير الى « مكتبة البلاط الامبراطورى » هدية عيد الميلاد للقيصر « فرانسوا يوسف » وكان « كراباتشك » قد عين مديرا للمكتبة قبيل ذلك ، حيث عاش مابقى من عمره متفرغا للمجموعة ، ينميها ويرعاها يفحصها ويدرسها بمعونة عدد من العلماء والخبراء الى ان مات فى التاسع من شهر اكتوبر سنة ١٩١٨ . وبقيت المجموعة من بعده فى قاعة البرتينا بمكتبة فيينا : ذخيرة قومية عالمية ، ومزارا للعلماء والسائحين من انحاء العالم الغربى المعاصر .

التاريخ : ٢٨ / ٨ / ١٩٦٤

من فيينا ٤
السر المذاع

لاشيء مما كتبت عن مجموعة البردى الكبرى فى فيينـا ، كان مجهولا للمستشرقين وعلماء المصريات ومؤرخي الحضارة من الغربيين ، فمنذ عام ١٨٨٣ تتابعت المنشورات من البحوث والوثائق ، كاشفة عن قيمة هذا الكنز ، ومحصية ذخائره ، ومعلنة عن أشخاص الابطال الثلاثة الذين كسبوا للنمسا اكبر جولة فى السباق ، وجعلوا من فيينا ، العاصمة الاولى لدراسة البردى .

لكن بقي وراء هذا المعلوم من القصة ، اسرار خفية لم يكن احد يدرى بها سوى اولئك الثلاثة ، وكان الظن انها طويت بموتهم ، حتى ظهر كتاب ((الدكتور هربرت هونجـر : H. Hunger)) فى فيينا سنة ١٩٦٢ ، فاذاع كل الاسرار المطوية ، بنشر نصوص الرسائل التى تبودلت بين تاجر السجاجيد ((تيودور جـراف)) والمستشرق ((يوسف كراباتشك)) والارشيدوق ((راينر)) .

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

وانقل الى قومى ترجمة امينة لمختارات من هذه الرسائل، لا لكى نتحسر على ما ضاع منا ، او نغضب لما كان من غفلتنا ، فلا الحسرة تجدى فى استرداد ما ضاع ، ولا الغضب بشافع لنا لدى الوطن العريق الذى ابحنا حماه ، او التاريخ الحضارى الذى رأينا نقف بمعزل عن الجهود المبذولة للكشف عن معالمه ، ونحن ورثة مفاتيحه ومصابيحه !

وانما انشر ما انشر منها ، مدفوعة بأمل ضعيف فى أن نتلقى منها درسا ينفعنا فى حماية ما بقى لدينا من مخطوطات تراثنا الفكرى والادبى ، وهى معرضة حتى الساعة ، لمثل ما تعرضت له وثائق البردى من قبل . واعلم أن قانون حماية الاثار قد تكفل — بعد فوات الاوان بحراسة ما بقى فى بلادنا من البردى ، أن كان قد بقى منه شيء . لكن القانون ضن بهذه الحماية على النصوص المدونة على الورق وكان القيمة الاثرية للمخطوط، فى صنف المادة المدون عليها ، لان النصوص ذاتها ! او كما قلت مرة من قبل : كان مناط الاثرية فى مثل حجر رشيد ، هى مادته الحجرية ، لا نقوشه المدونة عليه !

ولا اريد ان استطرد هنا الى حديث لى مكرر ومعاد ، عن مأساة مخطوطات تراثنا المضيعة فينا ، فالمجال اليوم للرسائل التى اذاعت المطوى من اسرار كنزنا الضائع !

وتبدأ الرسائل من عام ١٨٨١ ، حيث بدأ « كراباتشك » يحث صديقه العزيز «تيودور جراف» على البحث عن البردى فى خرائب الصعيد وأطلال الفيوم ، دون أن يكون للتاجر ادنى خبرة بقيمة البضاعة المطلوبة ، والثمن الذى يجوز لمثله ان يدفعه ، ومن القاهرة ، بعث جراف الى صديقه الاستاذ المحترم ، خطابا مؤرخا فى ٧ — ٣ — ١٨٨١ جاء فيه :

((.. بعد رسالتى الاخيرة التى طلبت فيها نصيحتكم بخصوص شراء السجادة الدمشقية القديمة ، يسرنى أن ابلغكم اليوم ان بحثى عن قطع البردى انتهى بنجاح ، وان تكون قطعا صغيرة فقط . ولعل قيمتها فى انها مكتوبة بعدة لغات من اقدم العصور . ومن الصعب على اى حال ، العثور على برديات كبيرة سالمة من الضرر وانا اتابع حاليا ، البحث بحماس مع الامل فى النجاح . وقد ارسلت اليكم هذه

التاريخ : ٢٨ / ٨ / ١٩٦٤

القطع فى البريد المسجل ، وآمل ان تخبرنى قريبا عما اذا كانت لها قيمة ؟ وما قيمتها ، وهل استمر فى ارسال القطع الصغيرة اذا لم اوفق فى العثور على البردى الكبير ؟ والواقع التى لاادرى هل تستحق القطع المرسلة اليك ، الثمن الذى دفعته فيها ؟. وسوف اسافر الى اسيوط بعد ثلاثة ايام او اربعة ، ولعلى اعود من رحلتى بنتائج طيبة .. »

ومن فيينا ، جاء رد «كراباتشك» مؤرخا فى ٩ — ٤ — ١٨٨١ .

«.. والان الى البردى ! كنت على حق فى ارسال هذه القطع الصغيرة ، ففيها قطع جميلة لايزال خطها واضحا جديداً ! وبعض القطع كاملة ، ومنها بردية مؤرخة فى عام ١٦٢ هـ ٧٧٩ م — وهى صك جزية وفى الجزء الاخير منها صيغة كاملة ، وردت مبتورة فى بردية اخرى بتاريخ ١٨٠ هـ ، ولم يكن من المستطاع اكمالها لولا الظفر بالصيغة نفسها ، تامة ، فى هذه القطعة . ومع سرورى البالغ بجمال هذه القطع وقيمتها ، لاازال الح فى طلب مزيد منها ، فان قطعة صغيرة من صك ما ، يمكن ان تضىء لنا ماظل غامضا علينا لمدى طويل . واكتب لى فى خطابك التالى ، بيانا عن حالة الاختام على البرديات ومقدار سلامتها — وعشرون فرنكا للقطعة ، قد تبدو غالية ، لكن سوف نرى ، وعلى اى الاحوال ، لن تصاب بخسارة ما ! ولى رجاء : تجد على زاوية الصفحة الاخيرة من خطابى هذا ثلاث عبارات عربية ، لها دلالة خاصة فى العربية القديمة ، وتستطيع ان تستفسر لى من بعض اصحابك العرب ، عما اذا كانت لاتزال مستعملة حتى اليوم بدلالتها القديمة ؟ وثق اننى سوف ادين لك بكثير ، اذا ما قمت لى بهذه المهمة ، لكن يجب الا تذكر اطلاقا ان هذه العبارات من نصوص البردى ، بل يكفى القول بانها وردت فى مخطوط قديم »

— يعلق ناشر الرسائل « الدكتور هونجر » على هذه الفترة بقوله : كل ما يتعلق بالبردى ، كان يتم فى الخفاء بصورة أو باخرى ، وقد حذر « كاراباتشك » فى خطابه رقم ١١ الى تيودور جراف ، من الكلام فى مصر عن وصول بردى الى فيينا —

والرسائل التى بعثها جراف من مصر فى عام ١٨٨٢ ، تنم عن قلقه البالغ بسبب احداث الثورة العرابية وما يمكن ان تسبب من تعطل التجارة ، بعد أن تقدم العمل بسرعة مذهلة ونجاح باهر . لكنه استطاع أن ينظم العمل بفضل رجاله من الاعراب الذين كانوا يجوسون خلال الديار ويحملون البضاعة اليه — حيثما كان — فى حرص وأمان ، فنقرأ فى رسالة منه ، الى كراباتشك ، بتاريخ ١١ — ٤ — ١٨٨٢ .

«... رجالى العرب Meine Araber .

— قد تعلموا الان جيدا ، وحتى فى حالة اضطرارى الى الغياب عن مصر ، فانهم سوف يحفظون لى كل ما يعثرون عليه من البردى . ومنذ ثمانية ايام وهم غائبون عن القاهرة لجمع البضاعة ، وانتظر عودتهم بصبر نافذ ، واطمع فى ان يحضروا لى هذه المرة شيئا رائعا ..»

ثم كتب من القاهرة ، بعد خمسة أيام :

« ... وقد تسلمت خطابك اللطيف ، ويؤلمنى حقا أن الطرد الذى بعثته اليك ، وفيه اقمشة قديمة وبردى وعملات ذهبية ، لم يكن قد وصل الى فيينا حتى اليوم الخامس من ابريل . ولابد ان رحلة الباخرة كانت سيئة فتاخر وصولها الى تريستا . وانتم ترون اننى اسير فى الطريق السليم وارجو ان اوافيك قريبا باشياء هامة مما نعثر عليه . وقد احضر لى رجالى العرب تحفا مصرية اثرية ستاخذ طريقها الى فيينا ، ثم عادوا الى الصعيد يستانفون بحثهم . وقد انتظم العمل بحيث يجد ما يعثرون عليه ، طريقه المامون الى ، ولولم اكن موجودا بمصر .. وقد زرت القنصل العام بالاسكندرية « البارون كوزيبك » ولم تتح لى فرصة لقائه ، لكن البارونة استقبلتنى بلطف زائد ، ولما كانت مهتمة بالسجاد القديم ، اهديت اليها نسخة من كتابك .. وارجو أن يصلنى يوم الخميس خطاب منك عن الاقمشة والبردى والنقود الاثرية التى بعثت بها اليك ، فانت لاتتصور مبلغ لهفتى على وصولها ومعرفة رايك فيها بالامس كنت فى طنطا ، وعدت الى هنا فى المساء . ونحن نعيش فى وقت عصيب بسبب الاحداث السياسية . وقد اكتشفت مؤامرة على حياة «عرابى باشا» — البطل الاسطورى . فى اليوم الحادى عشر ، ولا يدرى أحد ما تاتى به الايام القادمة وان شاء الله سأسافر اليوم الى الاسكندرية ، ومنها أبحر الى تريستا حيث ارجو ان أكون عندك بفيينا ، فى آخر الشهر »

ووصل «جراف» الى فيينا ، فلم يجد صديقه «كراباتشك» هناك . فبعث اليه رسالة مؤرخة فى ٨ — ٥ — ١٨٨٢ ، يقول فيها :

الصديق العزيز .. وصلنى فى بريد اليوم من مصر نبأ سار اذ تم شراء مقدار جديد من الاقمشة القديمة قد تصل الى فيينا فى الاسبوع القادم . وكتب الى وكيل اعمالى فى القاهرة . أن من بينها قطعة طولها نصف متر وعرضها نحو ٢٠ سم ، مطرزة بنقوش رائعة ، ويمكن ان تعد اجمل القطع التى اشتريت الى الان على الاطلاق الاطلاق . وسوف يسرنى أن تكون هذه القطعة ، من الصناعة الساسانية ، حتى تثرى مجموعتنا — ولقد يواتينا الحظ فنعثر على روائع اخرى رومانية او اغريقية قديمة ، فالذى لاشك فيه ، أن كثيرا منها مدفون فى رمال مصر »

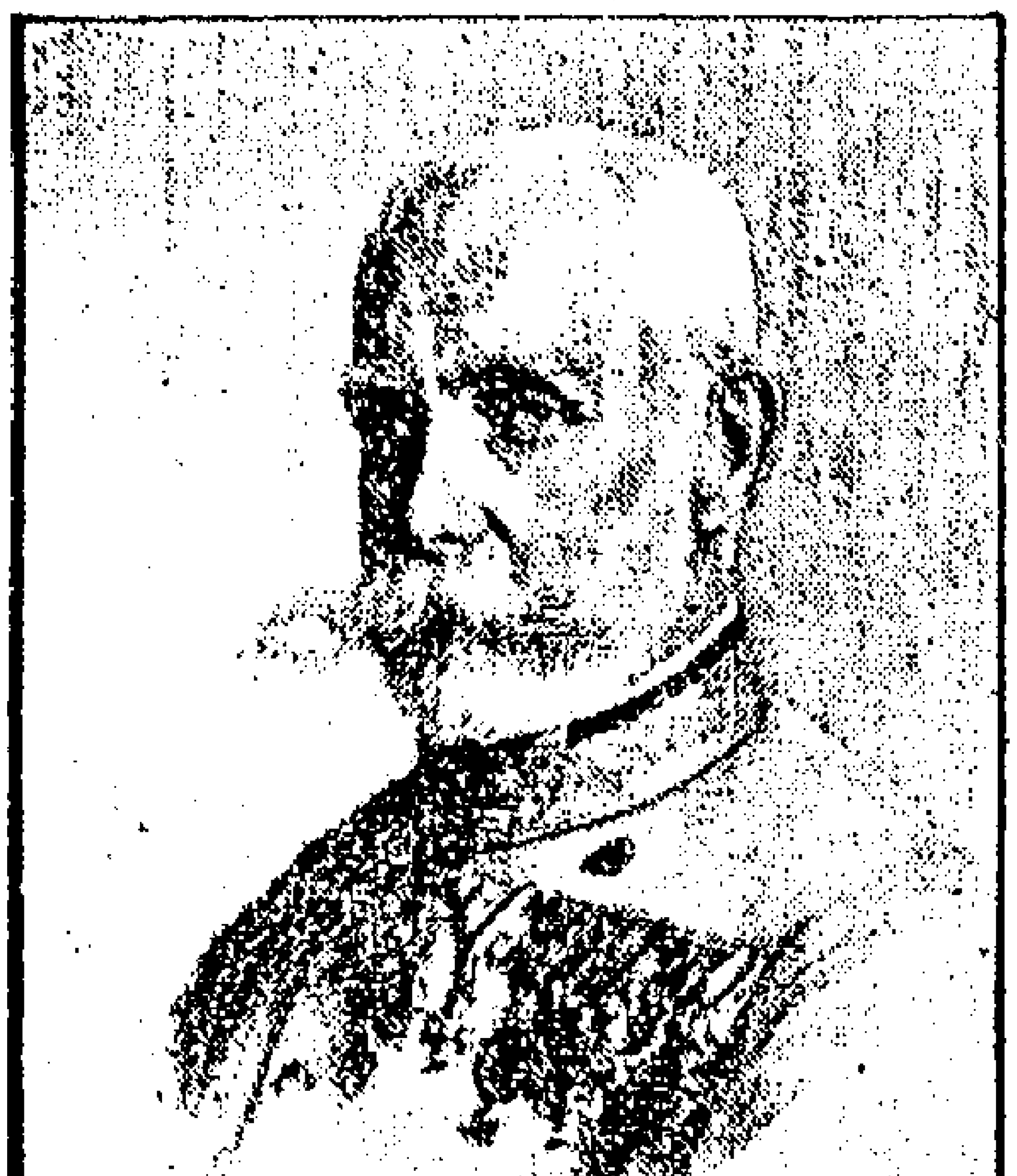
وظل جراف فى فيينا ، ينتظر الانباء عن مجرى الاحداث فى مصر ، وهو مطمئن الى ان رجاله هناك يواصلون البحث عن الكنز وفى رسالة منه الى « كراباتشك » مرسلة من فيينا بتاريخ ٢٠ — ٩ — ١٨٨٢ يقول :

« الصديق العزيز .. يبدو أن الامور فى مصر ، تسمح لى — لحسن الحظ — باستئناف نشاطى هناك عن قريب . بعد غد يستمر نشيد ترنتى : 'Trenti تريستا الى الاسكندرية والقاهرة ، وانا واثق تماما ، من ان رجالى العرب ، قد جمعوا فى الشهور الاخيرة ، كثيرا من التحف والبردى والمنسوجات ، ولهذا فانى انتظر ان اتلقى قريبا طرودا كبيرة من القاهرة .. والى اللقاء »

التاريخ : ٢٥ / ٩ / ١٩٦٤

من فيينا ٥

ثمن الصفقة



الارشـيدوق رايـنـر
(من محفوظـات مكتبة فيينا)

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

كم دفعت فيينا ثمنا لمجموعتها الكبرى من ذخائر البردى المصرى ؟ او بتعبير ادق : كم دفع « الارشـيدوق راينر » للتاجر (تيودور جراف) فى الصفقة التاريخية التى لايعرف العصر لها مثيلا ؟

لم يكن الثمن معروفا على وجه التحديد، حتى كشفت عنه الرسائل التى نشرها «الدكتور هونجر» فى فيينا عام ١٩٦٢ ، وكشفت معه عن الظروف التى تمت فيها الصفقة ، والمساومات التى جرت بشأنها ، والمكاتبات التى تبودلت حولها ، ما بين القاهرة وفيينا وبرلين !

لقد كان جراف يطلب لمجموعة بردى الفيوم الاولى — **وتبلغ عشرة الاف بردية بست لغات ، ومعها مجموعة من الاقمشة الاثرية** — ثمانين الف جولدن ، ثم تنازل عن هذا الثمن الاول ، وقبل من **«الارشيدوق راينر» خمسين الف جولدن فقط** . والجولدن عملة هولندية ، لا أعرف كم كانت تساوى فى زمن الصفقة ؛ ولكنها تساوى اليوم شلنين انجليزيين ؛ فيما اخبرنى به مدير البنك الاعلى هنا . أى **أن الصفقة بيعت بخمسة الاف جنيه انجليزى تقريبا** ، بالسعر الحاضر .

والرقم هنا لايعطى دلالته كاملة ، الا اذا رجعنا الى سجلات وزارة المعارف المصرية حوالى عام ١٩٥٠ ، لعلها تكون قد حفظت المكاتبات التى دارت بين الوزير وبين سيدة أجنبية من هواة الاثار ، حول كتاب واحد من البردى المصرى كان فى حوزتها، وعرضته على وزارة المعارف، وطلبت ثمناله عشرة آلاف جنيه، فيما اذكر . وكنت قد سمعت بقصة هذا الكتاب من الاستاذ الوزير « **على ايوب** » رحمه الله ثم شغلتنى الشواغل فلم اعلم ماذا تم فيها .

وصفقة مجموعة بردى فيينا ، ليست بذات اهمية لنا اليوم ، الا بقدر ماتضيء لنا ظروف الجولة الكبرى في السباق الدولى على كنزنا المستباح ، وترد الاعتبار الى ((اكفان موتانا)) ومخلفات اباءنا ، لدى الجيل المعاصر من ابنائهم ، وفيهم من ينكر كل قديم لنا ، ولا يجد فيه الا رائحة البلى المفسدة لمناخ العصر الذى نعيش فيه ..

كمانعلم منهذه الرسائل، انه حتى عام ١٨٨٣ ، لم يكن ((الارشيدوق راينر)) ظهر على المسرح ، ولا عرف له اى دور في القصة التى بدات أحداثها تدور مابين الفيوم واهناسيا والقاهرة وفيينا ، من عام ١٨٨١، وانما كان الدور كله للمستشرق « يوسف كاراباتشك » وتاجر السجاجيد الشرقية «تيودور جراف» الذى جازف بدفع الوف من الجنيهات في البضاعة ، وطال عليه المدى في انتظار استرداد هذا المال المعطل ..

وكان الامر — كما اشرنا في المقال الماضى — يتم في الخفاء ملفقا لتعليمات كراباتشك ، لكن صفقة جراف كانت من الضخامة بحيث لا يسهل ان تظل لدى ملوين على الكتمان: فلاتذهب الظنون كل مذهب، في البيئة التى تتوارى خلف التاجر النمساوى! وشاعتشائعة فى الافق الدولى، تقول ان «جراف» لايهتم بجمع البردى لحسابه الخاص ، وانما يعمل لحساب متحف فيينا ، والرسالة التالية — وقد بعث بها جراف الى كراباتشك فى ١٤—٦— ١٨٨٣ — تسجل صدى ماشاع من امر الصفقة ، فى اكبر العواصم الاوربية حينذاك :

((الصديق العزيز ... منذ فترة قصيرة تلقيت من اخى الدكتور برنارد جراف ، هذا المقال المنشور فى صحيفةبرلين اليومية بتاريخ ٢١ مايو ، عن مجموعة البردى الكبيرة التى عندى . وحين قرات فيه اننى جمعتهذا الكنز لحساب المتحف النمساوى، وجدتمن مصلحتى اناكتب الى الصحيفة، مطالبا بتصحيح هذا الخطا ، ومؤكدا

اننى جمعت هذا البردى لنفسى ، لا للمتحف النمساوى . واليوم صباحا ، تلقيت من برلينخطابا بعث به السيد جورج بورس ، وسانقله لك هنا :

— برلين فى ١٢ — ٦— ١٨٨٣ .

السيد المحترم : تلقيتمن ادارة صحيفة برلين اليومية ، التى اتشرف بالعمل فيها ، خطابك الكريم المؤرخ فى الثالث من هذا الشهر . وكانت دهشتى ودهشة زملائى كبيرة، حين علمنا منه انه لم يتم اى اجراء فى فيينا لشراء المجموعة الهامة التى جئت بها من البردى، لحساب الدولة. وارجو ان تاذنلى فى ان اتقدم اليك بنصيحة، وهى ان تتوجه الى الادارة العامة للمتاحف فى برلين وتعرض عليها شراء البردى ، وانا واثق تماما ، ان عرضك سوف يتقبل على الفور ، وساكون مدينا لك بالشكر اذا ابلغتنى قرارك فى هذا الامر .

((وواضح من هذا العرض باصديقى ، انهم فى برلين مهتمون بمجموعتى من البردى، بحماس شديد. على اننى لن اعرض هذا البردى للبيع خارج النمسا ، الا اذا طال الوقت ولم يتم هنا شىء ، وعندئذ ارسله الى برلين ، واطلب ثمانين الف جولدن ثمنا له ، وهو ثمن ليس مرتفعا بحال ما ، اذا قدرنا ضخامة المجموعة ، وما فيها من قطع قيمة . ولك تحيات قلبية من صديقك : جراف))

ولم تمض سوى أيام معدودات ، حتى أتبع « جراف » خطابه هذا ، بالخطاب التالى ، المؤرخ فى ٢٦—٦—١٨٨٣ :

((صديقى العزيز : السيد فون ايتلبرجر مستشار البلاط ، ارسل اليوم الى ، يرجو أن اتوجه لمقابلته فى المتحف هذا الصباح وقد اخبرنى ان سمو الارشيدوق راينر ، قد كتب اليه لكى يتولى عنه المفاوضة فى شراء مجموعتى من البردى والنسيج ، وعلمت أن السيد فون أيتلبرجر والاستاذ فون هارتل ، كتبا اليك بهذا الشأن وسئلت ان أقابل الاستاذ فيسيلى بعد ظهر اليوم، وابلغه قرارى النهائى عن الموقف، والثمن الذى اطلبه على وجه التحديد . وقد ابديت للسيد المستشار الامبراطورى ، استعدادى لقبول ثلاثين الف جولدن لمجموعة البردى ، وعشرين الف جولدن لمجموعة الاقمشة، اى خمسين الفا للمجموعتين ...))

على هذا النحو ، تمت الصفقة الكبرى ودفع «الارشيدوق راينر» ثمنها، ومنذلك الحين ، بدأ حرصه على تنميتها ورعايتها ، ومتابعة دراسة العلماء لنصوصها . فنقرا فى خطاب له ، ارسله من قصره الصيفى الى « كراباتشك » فى ١٨٨٤/٦/١٦ ، ماترجمته :

((الاستاذ العزيز .... الايام القليلة التى امضيتها فى فيينا لم تتح لى فرصة زيارتك فى مكان عملك . وامسك بالقلم الان ، لاعبر لك عن جميل شكرى على النشرات الاخيرة والصور التى تفضلت بارسالها الى. ويسعدنى جدا، العثور على بردیات جديدة، باللغة الاغريقية ، او الرومانية او العربية ، مما يقدم دليلا جديدا على اهتمامنا بهذا العمل الجليل. واتمنى ان يتم بنجاح فك اوراق كتاب البردى الذى حدثتنى عنه ، كى تتاح لنا قراءته كله ، وماشك فى انه سوف يعطينا مادة تاريخية هامة . واذ اكرر لك شكرى ، اتمنى لعملك الجليل احسن النتائج . وسابقى المخلص : راينر))

واتابع قراءة الرسائل ، فاجد بينها رسالة من « جراف » فى القاهرة ، بتاريخ ١٩ — ١ — ١٨٨٥ ، تنبىء أن الفيضان الكبير للبردى فى مصر قد انحسر ، وترك لدى التجار بقايا ، يود جراف أن يعود بها الى وطنه، لكنهم يغالون فى ثمنها، فيطلبون ثلاثين فرنكا ، لثلاث او اربع اوان — جمع اناء — مليئة بلفائف البردى !! ويستطرد جراف قائلا : ((وقد رفضت لوحات اثرية من الخزف، عليها كتابات اغريقية وقبطية ، وديموقيطية وهيروغليفية، عرضت فى السوق بسعر سبعين فرنكا (!!) وهى الان فى طريقها الى متحف اللوفر بباريس . ونقص المال الذى ماتنيه حكومتنا اصبح معروفا هنا، ونفوذنا يتقهقر بسرعة الى الوراء .. وقد سمعت هنا قصصا مثيرة ومع ذلك يقولون: ان الشرق لنا !))

ثما أجد بعدها رسالة كتبها جراف — وهو بفيينا — الى صديقه المستشرق ، تاريخ ١٥ — ١٢— ١٨٨٥ ؛ وفيها يقول :

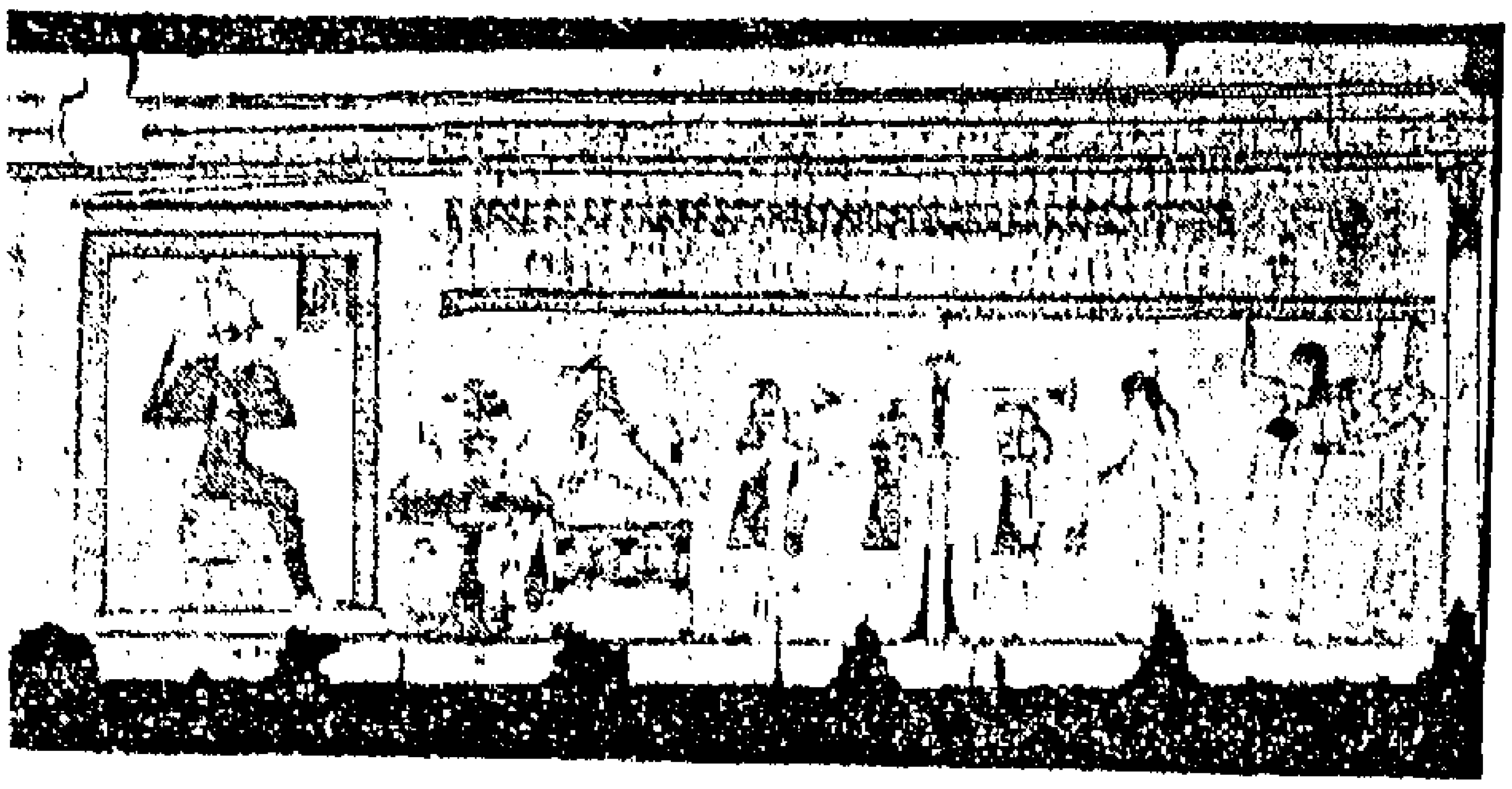
((الصديق العزيز ... علمت مما كتبه لى نائبى بالقاهرة ، ان الاهتمام بالبردى ثار من جديد . وقد انتشرت هناك شائعة تقول انه تكونت فى برلين جمعية برئاسة هاينريش شليمان ، رصدت نصف مليون مارك ، لاجتلاب البردى من مصر ...))

وبعد ، فلعل هذه الوثائق التى نقلتها هنا، تشفع لى لدى نفر من قومى، يجحدون كل قيمة لتراث ماضينا ، ويتساءلون عما يغرينا بالاهتمام به ، وانا هنا فى ((البرتينا)) اتساءل معهم: اليس من المحزن والمخجل، ان يكون هذا صنيع الغرب الحديث بتراثنا ، ونحن نستكثر ان يكون منبيننا من يعنيه امر هذا التراث ؟ !

التاريخ : ٣ / ١٠ / ١٩٦٤

من فيينا ٦

نهبت الدنيا ونام الحراس



الم تفكر حكومة مصر – حين كانت غارقة فى مخلفات (اسماعيل) من الديون الباهظة ، فى ان يكون لها نصيب من الغنيمة التى نهبها تجار الاثار من ثمن البردى ؟

سؤال خطر ببالي مرة بعد مرة ، منذ اشتغلت بمجموعة بردى فيينا . ولم يتجه ذهنى بطبيعة الحال ، الى القيمة التاريخية لهذه الوثائق الاثرية ، فذلك مالا مجال لاحتمال دخوله فى حساب حكام مصر لذلك العهد ! ولكن البضاعة – بصرف النظر عن قيمتها العلميــة التى لا تقدر بمال – كانت لها سوق رائجة ، وقد غالى التجار – من متمصرين واجانب – فى ثمنها ، مما كان جديرا بان يثير اهتمام الحكومة ، الا أن تكون قد بلغت من السفه ما يزهدها فى هذا المورد السخى للمال ، فى عهد شحت فيه الموارد بفضل صندوق الدين المشئوم !

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

وآن لى اخيرا ، ان اجد الجواب عما طالما تساءلت عنه ، فاعلم ان الحكومة ظلت فى غفلة من الامر ، الى أن ذاعت اخبار سوق البردى ، وانتشرت قصص مثيرة عن المساومات التى كانت تجرى فيها والهدايا التى كانت تحمل منها الى الملوك والقياصرة ، فبدا للحكومة أن تفرض رقابة على السوق ، لكى تحتكر البضاعة وتستأثر بالثمن المجلوب .

ويبدو ان عزم الحكومة على التدخل فى الموقف ، قد ازعج الاوربيين الذين حسبوا ان الرقابة الحكومية جد لاهزل فيه ، فتوقف نشاطهم فترة ، خوفا من العقاب الصارم كما يظهر ذلك بوضوح ، فى رسالة بعث بها « تيودور جراف » الى «كراباتشك» فى منتصف ديسمبر عام ١٨٨٥ وقال فيها :

« ... وكتب لى نائبى فى القاهرة ، انه قد بلغه أن الاستاذ ادولف ارمان – من علماء المصريات المشهورين – يبحث الان فى كل مكان عن البردى ، ويسأل عنه كل من يلقى ، لكن دون أن ينجح الى الان فى الوصول الى شىء منه ، وليس هذا بمستغرب ، فالبردى اولا لا يعوم بالقاهرة فى الهواء ، وثانيا : معروف هنــا أن جواسيس الحكومة المصرية منتشرون فى كل مكان ، يحاولون أن يعرفوا اين عثر على البردى ومن الذى عثر عليه . ولهذا فان مصادر البردى لابد أن تتوقف وتسكت لفترة طويلة ، واعتقد انه بمجرد نشرك ما اعددت عن مجموعتنا من البردى – وفيها وثائق بالغة الاهمية عن غزو المسلمين لمصر ! – فسيكون من الخطر المجازفة بالسؤال عن البردى فى مصر ، فما بالك بمحاولة تصديره !

« وعلى اى الاحوال ، لنا أن نعد انفسنا سعداء ، لاننا استطعنا لحسن الحظ ان ننقل الى فيينا فى الوقت المناسب هذه الكمية الضخمة من وثائق البردى الموجودة لدى سمو « الارشيدوق راينر » وتتجمع الان فى مصر سحب العاصفة ، آتية هذه المرة من السودان . متى نتمتع بالهدوء فى هذا البلد ، كى تسير الامور التجارية ، على الاقل ، سيرا حسنا ؟

لكن فترة التوقف لم تطل ، الا ريثما كاسنت الايام عن عقم هذه الرقابة، وغفلة الحراس الاداريين الذين نام منهم من نام التماسا للراحة وايثارا للعافية ، وآخرون منهم اغمضوا عيونهم وقد اعشاها بريق المال ، نصدق فيهم المثل: حاميها حراميها

ودب النشاط من جديد فى السوق ، بعد ان أدرك المتعاملون فيها عبث الرقابة الحكومية ، واطمانوا الى أنهم يستطيعون استئناف نشاطهم فى البحث عن بقايا الكنز فى غفلة من الخفراء الحراس او بالتواطؤ معهم ! وعاد البردى يتدفق من مصر الى أوروبا . وحقق التاجر المحنك « تيودور جراف » جولات جديدة ظافرة فى الميدان ، فنقرا فى رسالة منه الى صاحبه . بتاريخ ١١ — ٢ — ١٨٨٧ خبرا من مجموعة جديدة من البردى ، حملها بنفسه من مصر الى فيينا ، وطلب من صديقه المستشرق عرضها على الارشيدوق راينر ثم التفضل بافادته عن راى سموه فيها . وختم خطابه قائلا :

« ... ولن يسعدنى فقط ، فى هذه الاحوال التجارية السيئة ، ان تتم الصفقة بل انى ارحب كل الترحيب باتمامها فى أقرب فرصة،ذلك لانى اود ان اسافرخلال هذا الشهر الى القاهرة ، وارى من الضرورى تاجيل سفرى الى أن ينجلى الموقف بالنسبة الى هذه المجموعة الجديدة من البردى والرق . ولو ساورنى ادنى ريب فى تردد سمو الارشيدوق راينر فى شرائها ، لكنت قد عرضتها — مضطرا — للبيع فى مكان آخر ، لانى دفعت فيها من راسمالى مالا استطيع الاستغناء عنه طويلا فى مثل هذه الظروف ... »

وقد تم بالفعل شراء هذه البضاعة الجديدة لحساب راينر الذى ضمها الى مجموعته ، وكتب الى « كرابانشك » بتاريخ ١٣ — ٤ — ١٨٨٧ ماترجمته :

«الاستاذ العزيز .. ويسعدنى كذلك ان اسمع عما فى هذه المجموعة الجديدة ، وان اعلم ان العمل فيها يتقدم بنجاح ، بفضل جهدك وجهود السادة زملائك المشتغلين بها . وأنا مقدر بطبيعة الحال ان العبء تضاعف بالزيادة المطردة فى مجموعتنا التى ترجع الوثائق الاخيرة منها الى عام ٨١٨ م ، ولاشك أن ترقيم هذه المجموعة وتصنيفها ، يحتاج وحده الى جهد شاق .. وأحييك الى اللقاء : راينر »

ونستطيع أن نتصور مدى عقم الرقابة وغفلة الحراس ، اذا علمنا ان جراف لم يشعر بأدنى خوف أو حذر ، من القيام برحلة معلنة الى مناطق الكشف عن البردى فى الصعيد ، بعد عامين اثنين من تفيش الرقابة التى حسبها اول الامر ، تجعل مجرد السؤال عن البردى فى مصر مجازفة خطرة ! وهو يبدو فى عام ١٨٨٧ أقوى تفاؤلا وارحب املا ، فى العثور على بقايا ما سماه «الكنز الراقد تحت الارض»!

ومن الفيوم بعث الى فيينا هذه الرسالة المؤرخة فى ١٩ — ١١ — ١٨٨٧ :

« الصديق العزيز .. اليوم ابعث اليك تحية قلبية من الفيوم ، مكان العثور على بردينا ! — Unsere Papyri — فلقد قمت أمس بزيارة مناطق الكشف عنه فى كوم فارس ، تل من أطلال ارسنوحى العاصمة القديمة للفيوم ، وتبعد عنها نحو ربع ساعة . ولست أشك فى انه اذا اتيح لنا البحث الجاد فى الاكوام والاطلال الدارسة،فسوف نعثر على بقايا ممتازة من اثار العصور القديمة . فهنا يرقد الكنز تحت الارض ، ولا نحتاج الا الى المال فقط لنخرجه ! والبردى فى السوق قليل ، لكن الحظ حالفنى فاستطعت الظفر بكمية منه كادت تفلت من أيدينا ، اذ من المنتظر ان ياتى الاستاذ « اولريش فيلكن : Ulrich Wilcken » قريبا لزيارة المنطقة فلولا سبقى الى هذه البرديات ، لكانت فيما أعتقد ستأخذ طريقها الى برلين وقد وصلت الى هنا يوم الخميس ، وسأسافر عصر اليوم عائدا الى القاهرة ولعلى استطيع الوصول الى فيينا فى اوائل ديسمبر ، حيث يسعدنى أن أتعرف الى الجديد من كنوز البردى ... »

ثم اتبع هذه الرسالة بأخرى بعد يومين قال فيها لصاحبه :

« ... من القدوم ارسلت اليك امس الاول تحية،الحقها اليوم ببضعة اسطر : ذكر لى رجالى العرب ، انه قد عثر فى خرائب منزل قديم باخميم ، على نحو مائتى لفافة مقفولة من البردى ، وتدل الكتابة المقروءة بوضوح على الاجزاء الخارجية منها ، على انها ترجع الى عصور قديمة . وأبادر فأرسل اليك اليوم ، فى طرد بالبريد المسجل ، اربع لفائف منها لكى تفحصها وتحكم عليها . وهى تبدو صعبة الفتح ، ولا أحد يدرى شيئا عن النصوص المدونة

التاريخ : ٢ / ١٠ / ١٩٦٤

فيها ، لكن من السهل عليك فتحها وقراءة نصوصها . فاذا بدت لك ذات قيمة ، فانى أستطيع أن أوافيك بالكثير منها ، وهو من نفس الحجم والصنف تقريبا . والعرب هنا تحت أمرى الى ان التقى برقية منك .. »

أجل .. كان العرب هنا تحت أمر «جراف» وزملائه رغم الرقابة المفروضة، وظل المرعى مباحا ، والحكومة عاجزة عن الوصول الى سر الكنز ، وكان يحدث احيانا ان يسمع موظفوها المكلفون بالحراسة ، بنبأ العثور على بردى فى جهة ما ، فيجرون الى هناك لكنهم لايكادون يصلون حتى يكون قد أفلت منهم ! ويروى « الدكتور أدولف

جروهمان » فى كتابه الجديد من البردى العربى — براج ١٩٥٥ — حادثة طريفة من هذا النوع ، لعلها كانت فكاهة الموسم: « ففى بداية عام ١٩٠١ ، اصطدم سكان قرية كوم أشقوه ، مركز طما ، بكمية من البردى فى احدى المقابر الاسلامية ، قرب الجانب الايمن من كنيسة القرية . ولم يكونوا يقدرون قيمته فأحرقوا بعضه وتركوا الباقى مدفونا فى مكانه . لكن عمدة القرية كان قد سمع بعض التجار يلحون فى السؤال عن البردى ، فنقل الى داره قدرا كبيرا منه ، وترك للخفير بعض القطع وعندئذ طالب الفلاحون بنصيبهم مما عثروا عليه ، ولم يسكتوا حتى كان كل من سكن القرية تقريبا ، يملك لفافة او أكثر من هذا البردى . وتسامع تجار طما والاقصر وأخميم بالحادث ، فتوافدوا على البلدة وتسابقوا على شراء ما فيها من البردى حتى وصل سعر بعض القطع الى سبعة جنيهات ، وأخيرا وصلت الاخبار الى مفتش الاثار فى ابيدوس فاستعان بمامور المركز الذى ذهب الى القرية مع جنوده وراحوا يفتشون دور القرية بحثا عن البردى فلم يعثروا على شىء منه ، اذ كان الفلاحون قد خبأوا ما بقى لديهم او أحرقوه خوفا من الحكومة ورابطت قوة بوليسية لحراسة المنطقة حيث استؤنف الحفر لحساب الحكومة باشراف « كويبل : Y.E. Quibell فلم يسفر بعد ثمانية عشر يوما الا عن ثلاث قطع من البردى ، وقطع اخرى من الرق القبطى والاغريقى ، ثم مضت عدة أسابيع ، ظهر بعدها لدى تاجر بالقاهرة لفائف اغريقية جيدة من البردى المختفى ، كما اشترى « الاستاذ موريتس » لفائف عربية منه ، قدم بعضها لدار الكتب الخديوية — وكان مديرا لها — واحتفظ بالباقى لمجموعته الخاصة . وبعد فترة من الزمن ، اعلن عن وصول كميات من بردى كوم اشقوه ، الى برلين وهايدلبرج ولندن وشتراسبورج وموسكو ، الى جانب القطع الرائعة التى اشتراها من تجار القاهرة الاستاذان ايبشر وتاشنر » !

وأرانى قد أطلت ، لكنى استحى مع ذلك من الاعتذار عن الاطالة ، فليس بالكثير أن نتحمل قراءة قصة كنز لنا نام عنه الحراس ، فلم يبق لنا منه الا ذكريات تروى وحديث ذو شجون !

التاريخ : ٤ / ١٠ / ١٩٦٤

دائرة المعارف

خديجة بنت خويلد أم المؤمنين الأولى

« والله ما أبدلني الله خيرا منها : آمنت بي حين كفر الناس ، وصدقتني اذ كذبني الناس ، وواستني بمالها اذ حرمني الناس ، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء » .

حديث شريف

ابوها: خويلد بن اسد بن عبدالعزى بن قصي ، ولدت في مكة قبل الاسلام ببضع وخمسين سنة ، من اسرة قرشية عريقة . وتزوجت في شبابها الباكر من اثنين من سادة العرب واشرافهم : فلما توفيا عنها ردت الخطاب من سراة مكة ، واستثمرت اموالها في التجارة .

وسمعت بما اشتهر به محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، من امانة وصدق وعفة ، واحبت أن يخرج بمالها الى الشام ، وتحدثت في ذلك الى عمه «ابي طالب» على أن تعطي محمدا ضعف ما كانت تعطي سواه .

وسافر «محمد» في قافلة قريش الى الشام ، بصحبه «ميسرة» تابع السيدة خديجة . ثم لما آبت القافلة ، استقبلت السيدة محمدا ، وصغت الى حديثه عن نجاح الرحلة وربح التجارة ، مأخوذة بمخايل عظمته ونبل شمائله . ثم اقبلت بعد انصرافه ، تصغي الى تابعها ميسرة وهو يحدثها عن محمد حديثا عجبا .

ومن اللقاء الاول ، عرفت خديجة في محمد ، نموذجا فذا من الرجال لم تلتق بمثله من قبل . وأحست نحوه شعورا فياضا من اعجاب وتقدير ، فتفتح له قلبها المغلق ، وتمنت لو انها ظفرت به زوجا .

وسرعان ما تلقى دعوتها ، فذهب اليها خاطبا ، وفي صحبته عماه ابو طالب وحمزة .

وتم الزواج في احتفال مشهود : نحرت الذبائح ، ودقت الدفوف ، وفتحت دار خديجة للمهنئين من الاهل والاصدقاء .

وفي هذه الدار ، نعما بحياة زوجية هانئة مستقرة ، وارخى لهما الزمن فيها خمسة عشر عاما ، ورزقا خلالها بالبنين والبنات : القاسم ، وعبد الله ، وزينب ورقية وام كلثوم وفاطمة .

وقد امتحنا بالثكل في الولدين العزيزين ، فكان لهما من نعمة الحب وانس العشرة ، ما اعانهما على التصبر والاحتمال ، وقد كان هم كل منهما أن يخفف عن صاحبه وطأة المصاب ، وأن يعزيه عمن فقد ...

ثم كان الحادث الجليل الخطير ، لا في حياة هذه الاسرة السعيدة فحسب ، ولا في حياة قريش والعرب وحدهم ، بل في حياة الانسانية كلها :

تلقى محمد رسالة السماء ، وجاءه الوحي بأمر ربه أن يقوم في الناس بشيرا ونذيرا

وكانت ساهرة تفكر فيه ، حين عاد اليها من «غار حراء» في غبش الفجر خائفا شاهدا ، فما بلغ مأمنه حتى حدث زوجته بما رأى وما سمع ، فهتفت في حنان وايمان :

« الله يرعانا يا أبا القاسم . ابشر يا ابن عم واثبت ، فو الذى نفس خديجة بيده ، انى لارجو أن تكون نبي هذه الامة . والله لا يخزيك الله أبدا .. انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق »

واشرقت اسارير محمد وزايله روعه ، فاوى الى فراشه مجهدا ، ومضت خديجة الى ابن عمها «ورقة بن نوفل» — وكان متحنفا يقرأ في الكتب — فحدثته بأمر محمد ، فهتف قائلا :

« قدوس قدوس ... لقد جاءه الناموس الذى كان يأتي موسى وعيسى ، وانه لنبي هذه

الاهرام
مركز الدراسات والتوثيق والمعلومات
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٤ / ١٠ / ١٩٦٤

الامة ، فقولى له فليثبت ! »

وعادت الى زوجها فرحة مستبشرة ، وجاءه الوحى يأمر ربه ان يبلغ رسالته ، فكانت خديجة اول من آمن برسالته ..

وبدأ الرسول نضاله من اجل الدعوة ، محتملا فى سبيلها ما يحتمله من الاذى والاضطهاد وزوجته المخلصة المؤمنة الى جانبه ، تشد أزره ، وتعينه على احتمال مايلقى من قريش ، حتى بلغ الاضطهاد اقصى ذروته ، حين أعلنت قريش على محمد وبنى هاشم حربا مدنية لاترحم ، وتعاقدت على مقاطعتهم فى صحيفة علقت فى جوف الكعبة ، فخرج محمد — صلى الله عليه وسلم — ومن تبعه من أهله وصحابته الى شعب ابى طالب ، بظاهر مكة ، وخرجت خديجة معه حيث امضوا بالشعب نحو ثلاث سنين فى حصار منهك ، ثم فشل الحصار أمام الايمان الراسخ الصامد ، ومزقت صحيفة المقاطعة ، وعادت السيدة خديجة الى بيتها ، وقد نال منها الاعياء فى عامها الخامس والستين ..

ومرضت اياما ، وزوجها الرسول الى جانبها يمرضها ويرعاها ، ومن حولها بناتها الاربع : «زينب» وقد تزوجت من ابن خالتها هالة ، ابى العاصى بن الربيع ، و « رقية » وقد تزوجت من عثمان بن عفان بعد طلاقها من ابن ابى لهب ، وكانت قد هاجرت مع عثمان الى « الحبشة » ثم عادا حين غلب الظن ان قريشا قد يئست من جدوى اضطهاد المسلمين ، و «أم كلثوم» وكانت تزوجت ايضا من ابن لابى لهب ، ثم طلقها بعد المبعث ، و «فاطمة» فى ربيعها الخامس عشر ، لم تتزوج بعد .

وفى رمضان ، قبل الهجرة بثلاث سنين ، اسلمت ام المؤمنين الاولى الروح بين يدى زوجها الذى احبته منذ رأته ، وآمنت به نبيا قبل أن يؤمن به اى فرد آخر ، رجلا أو امرأة .

واوحشت دنياه منها ، وسمى عام موتها « عام الحزن » .

وظل يذكرها ماعاش ..

وظل مكانها فى قلبه وفى دنياه عامرا بذكراها ، حتى لقد ضاقت زوجته «السيدة عائشة» بفرط تعلقه بهذه الراحلة ، فما ملكت نفسها أن قالت له مرة : « كأن لم تكن فى الدنيا امرأة الا خديجة »

فرد عليها وقد رق قلبه : انها كانت وكانت ... فتقول عائشة :

« ماحسدت امرأة ماحسدت خديجة .. »

« وماغرت من امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماغرت من خديجة ، لما كنت أسمع من ذكره لها ، وما تزوجنى الا بعد موتها بثلاث سنين »

ودخلت خديجة تاريخ الاسلام : أم المؤمنين الاولى ، والزوجة التى جاهدت مع الرسول فى اشق مراحل الدعوة ، وكانت له ما عاشت ، ملاذا وسكنا ..

ولا يخلو مصدر لسيرة الرسول وتاريخ المبعث ، من ذكر السيدة خديجة . ولها ترجمة منفصلة فى كتب طبقات الصحابة (طبقات ابن سعد ، والاصابة ، والاستيعاب) وتشغل المكان الاول ، من الكتب التى الفت عن نساء النبى ، امهات المؤمنين* .

د . بنت الشاطىء
جامعة عين شمس

الأهرام
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٩ / ١٠ / ١٩٦٤

من فيينا ٧

أكفان موتانا



خبير البردى انطون فاكلمان مع الجثث والاكفان

كنت اسعى الى مكتبة ((البرتينا)) كل صباح من هذا الصيف، فلا يفوتنى قبل ان ابدا عملى فى دراسة مجموعة البردى ، ان اتمهل بضع دقائق لاتفرج على الاستاذ ((انطون فاكلمان)) وهو عاكف فى معمله على فك لفائف البردى وخرق النسيج الاثرية ، ممنا اضيف الى المجموعة بعد وفاة ((كراباتشك)) او مما ضاق عمر المستشرق الراحل عن العمل فيه

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

وكنت املى هذه الدقائق ، مشدودة العينين الى الاصابع الماهرة وهى تعالج اللفائف المتحجرة فلا تلبث ان تلين لها ، مستجيبة لخبرة اصيله ، كسبها فاكلمان عن اجيال من الاساتذة ، فى اكبر مركز عالمى لبحوث البردى .

وربما طالت وقفتى احيانا لاتابع عملية تجميع القطع المتعددة للبردية الواحدة ، وهى عملية شهدتها تجرى فى برديات مكتوبة باللغة اليونانية التى اجهلها ، دون ان تتاح لى مشاهدة مثلها فى البرديات العربية التى كان عمل ((فاكلمان)) فيها — وهو يجهل لغتها — يقف عند تطرية اللفائف وفكها والصاقها على ورق مقوى ، دون متابعة الفحص والتجميع .

وكنت أعرف أن اثينا وأكسفورد وعواصم غربية أخرى ، دعت هذا الخبير النمساوى لتستعين بخبرته فى فك ما لديها من لفائف البردى ، وهذا ما لم نفكر فيه مصر ، صاحبة الكنز ووارثته ، ولديها منه بقايا أفلتت من [illegible]

التى جاء بها من الخرائب والقبور المهجورة ، معرضا للطمس والبلى ..

وقلما كان يدور بيننا حديث بحكم خشوع الصمت وحرمة الهدوء فى معمل البحث ، وانما كانت فرصة الكلام تتاح لنا عندما يترك «فاكلمان» معمله ويمر بالدارسين فى قاعة المجلات والوثائق ، [illegible] أحدهم [illegible]

وما أكثر ماكنت أحتاج اليه فى استجلاء غوامض الرموز والاشارات المدونة على وثائق البردى العربى ، أما التعليقات والشروح التى كتبها «كراباتشك» على ما أتم فحصه منها، فقد أعرب «فاكلهان» عن شديد أسفه لعجزه عن مساعدتى فيما اعوزنى أحيانا من فهم الصلة بين النص وبين الشرح والتعليق .

وقال فيما قال : ان فحص نصوص البرديات العربية فى المجموعة، وقف عند القدر الذى قام به كراباتشك وجروهمان من بعده ، بحيث يمكن القول ان دراسة البردى العربى تدمات أو بنص عبارته Ist Schon Tot على حين استمرت دراسة البردى اليونانى واللاتينى حية ، لوجود علماء متخصصين يواصلون فحصها واستقراء نصوصها . ثم سألنى : « لماذا لايهتم قومك العرب بالمشاركة فى هذا الميدان واللغة لغتهم والتاريخ تاريخهم ؟ وهلا يوجد من علماء التراث العربى من ينتدب لهذه المهمة الجليلة ؟ »

وتحاملت حتى رغت من الجواب عن سؤاله ، وفى سمعى صدى مما امتلأ به افقنا حديثا ، من صيحات الانكار للاشتغال بتراث ماضينا ، والخوف من أن يغدو عبئا باهظا يعوق انطلاقتنا ويحد من استجابتنا لدعاة التطور وينفى انتماءنا للعصر الحديث .

وقد ظل ذلك الصدى يلاحقنى عبر الابواب الموصدة والجدران العازلة، مختلطا فى سمعى بصوت «الدكتورة لوبنشتاين» وهى تطوف بى بين قاعات الكنز وخزائن ودائعه، وتشرح لى نظام تصنيفها وتبويبها، ووسائل حراستها من أيدى العابثين، وحمايتها من عدوان البلى وأثر الرطوبة وتسلل الحشرات ..

ورددت فيما بينى وبين نفسى كلمات قرأتها فى كتب مطبوعة وصحف منشورة ، تسخر ممن يهتمون بأثقال الموتى ويعيشون مع سكان القبور ، فى الوقت الذى منحنا فيه جائزة الدولة لترجمة لبرديات ودراسة فى تراث اليونان ، كأنهم ليسوا من سكان القبور !

وتذكرت مصير دعوتى لانشاء معهد جامعى عال للتراث العربى بعد ان تخلت ادارة الثقافة بجامعة الدول العربية عن مهمتها الاصيلة المنصوص عليها فى وثيقة انشاء الجامعة ، فرصدت مارصدت من الوف الجنيهات لتعيد لنا ما سبق ترجمته من اثار الادب الاوربى، فى العصور الخوالى .

وساغ فى منطقنا ان يكون الاشتغال بالتراث العربى وصمة رجعية جامدة تاباها روح التطور ويرفضها مناخ العصر ، اما الاشتغال بتراث اليونان ومخلفات الموتى من ابناء الغرب ، فمسايرة لذوق العصر ، وتقدم مابعده من تقدم !

فى الوقت الذى تمتز فيه دول الغرب الحديث بالنشر من ذخائر مخطوطاتنا ، وما تقتنى من تراث اجدادنا واكفان موتانا، وليس ماينشره المجمع العلمى السوفيتى من هذا التراث عنا ببعيد ، ولا مايرصد له من جهود سخية بمجهول لنا، مع ما يشغله من جبروت السباق على غزو الفضاء !

أجل ، ماتت دراسة البردى العربى فى فيينا ، لان الوطن العربى من الخليج الى المحيط، عز عليه أن يقدم الى مركز البحوث هناك ، عالما واحدا متخصصا يتابع الجهد المضنى الذى بذله كراباتشك وجروهمان وزملاؤهما .

ولم تمت دراسة البردى الاغريقى واليونانى ، لان فى الميدان جنودا من العلماء الخبراء ، يتبادرون على حمل العبء جيلا بعد جيل ..

وفى مجلس لنا بدار سفارتنا فى فيينا ، تفضل السيد السفير « حسن النهامى » فأبدى رغبته الصادقة فى ان يتطوع ببذل جهده ، لتصحيح هذا الوضع الشاذ .

وهممت بأن أقول لسيادته :

— لا تتعب نفسك ، فالامر فى تراثنا لا تنهض به جهود فردية مهما تبلغ من كفاية واخلاص ، وانما يحتاج أول مايحتاج الى وعى قومى عام لاهمية هذا التراث الكاشف عن حقيقة ذاتنا وجذور اصالتنا ، المضىء لماضى خطواتنا على درب الوجود الحضارى ..

وعى يشعر المثقفين منا بالخزى والعار، لجهلهم بتاريخ وطنهم والعناصر الجوهرية المكونة لشخصيتهم القومية ..

ويفرض على الدولة فى مرحلة التطور الثورى ، ان تخطط لمعرفة تراث الامة وحمايته واحيائه ، من حيث هو جوهر الكيان العربى ، والجذر الاصيل لحاضره ومستقبله ..

ويدفع المجلس الاعلى للجامعات ، الى المبادرة بانشاء معهد عال للبحوث التراثية، يعد أجيالا من المتخصصين فيها ، على غرار المعاهد التى نجدها فى روما وصقلية وموسكو ولنينجراد، ولا نجدها فى القاهرة ودمشق وبغداد وتونس والرباط ، او اية عاصمة اخرى من عواصم الوطن العربى ..

والى أن يتحقق لنا مثل ذاك الوعى القومى العام، سيظل كل جهد فردى عقيما او يكاد، وكل محاولة لنا فى هذا المجال محدودة قاصرة ...

ذلك ماهممت بقوله للسيد السفير ، لكنى استحييت أن أرد بمثل هذا الكلام على عرضه الكريم ..

وبدا لى حين أصبحت ، ان اتسلى فى فترة استراحة من العمل ، بقراءة سجل الزائرين لمكتبة البرتينا ، حيث توجد أكبر وأغنى مجموعة فى العالم ، من البردى المصرى باللغات المصرية والنبطية والهيروغليفية والفارسية واليونانية واللاتينية والديمتراطية . وتفضلت السيدة « الدكتورة لوبنشتاين : مديرة المجموعة » فجاءتنى بسجلات زائريها من عام ١٩٥٠ ، فلم أجد بين الوف الزائرين من شتى أقطار الارض ، سوى اربعة من العرب ، فقط لاغير ، على مدى أربعة عشر عاما !

وأكاد اتمثل الان من يهزون رؤوسهم استخفافا أثناء قراءة هذا الكلام ، وهم يعجبون كيف تبلغ بنا الرجعية والتخلف ، ان نفكر فيما تضم سراديب البرتينا من آثار عصورنا الخوالى ، ونحن على بعد أمتار من معرض فيينا الدولى ، ودار الاوبرا الشهيرة، وملهى مكسيم، ومتاجر الشوارع جراين) الزاخرة بمعروضات تخطف الابصار بأناقتها !! ولله فى خلقه شئون !

التاريخ : ١٦ / ١٠ / ١٩٦٤

أضواء على تاريخنا

بعد كل الذى كتبت هنا عن ذخائر تراثنا من البردى فى فيينا وغيرها من عواصم الغرب الكبرى بقيت كلمة لابد ان تقال ، خاتمة لتلك الجولة التى طالت ، ورداً على ما تلقيت من رسائل ، يسألنى فيها كاتبوها : وماذا فيما طالعت من هذا البردى ، من جديد نحتاج اليه فى حاضرنا ؟

والسؤال على هذا النحو ، قد يحمل ظل الارتياب فى جدوى مخلفات عصورنا الخوالى ، لكنه قد يحمل كذلك قصد الاستفهام البرىء وطلب الايضاح المقنع . وعلى الحالين ، ارى من حق السائل ان يتلقى الجواب ، مادمنا قد فرضنا الموضوع على مثل هذا المنبر العام ، وشغلنا به الميدان الفكرى فى مرحلة ثورية ، يجب ان تعبىء طاقاتها لبناء الحاضر والتخطيط للمستقبل .

بقلم الدكتورة بنت الشاطىء

وليس السؤال جديداً على اى حال ، فلم تكن الدول الغربية الحديثة التى اشتركت فى السباق على الكنز ، لتتلق ما انفقت من اموال خزائنها وجهود علمائها وخبرائها دون ان تواجه بادىء ذى بدء بسؤال مستفسر او مرتاب . والسجلات التاريخية للبردى ، تشير الى محاولات شاقة ، بذلها الرواد من العلماء كى يجلوا امام الرأى العام ، القيمة المادية والادبية لهذه اللفائف المتحجرة والخرق البالية ، ولكى يبرروا امام الشعوب والحكومات ، ما ينفقون من اموال عامة ، لا يجوز ان ينفق فلس واحد منها عبثاً .

وكان يكفيهم لمثل هذا التبرير ، ان يشهدوا بما فى وثائق البردى من جديد ما يضىء التاريخ الحضارى للانسانية بوجه عام ، وما يسد ثغرات فيه ظلت خاوية منبهمة ، دون ان يتكلفوا امام شعوبهم المتحضرة ، جهد الاقناع بان كل خطوة خطاها اى شعب على درب الوجود الحضارى ، انما هى فى الواقع مرحلة من مراحل السير الانسانى العام ، وحلقة لا تنفصل من حلقات التطور للامم ، قديمة او حديثة ، شرقية او غربية ، وتراث تاريخى مشترك لا يسمح أن تتخلى دولة متحضرة عن مسئوليتها فى الكشف به عن معالم التطور البشرى ما بين ماض وحاضر ..

كما لم يكونوا بحاجة الى تبرير الجهد المبذول لهذا التراث ، بما يكشف لهم عن سر وجودنا وطبيعة مزاجنا وملامح عقليتنا ، ومن قبلهم سعت رسل الغرب الى اقطار الشرق ، باحثين عن كنوز مخطوطاته ، وجاء ((نابليون)) معه بجنود من العلماء ، لدراسة احوال الشعب المصرى والكشف عن اسرار تاريخه القديم

فكيف بنا ، والتراث لنا والتاريخ تاريخنا ؟

ألسنا فى حاجة الى ان نكتشف عن حقيقة ذاتنا ، ونهتدى الى معالم وجودنا منذ شهدنا التاريخ نقود البشرية على درب الحضارة والتمدن ؟

أيستغنى حاضرنا عن تجارب ماضينا ، وعن الفحص الدقيق لارضه التى نقوم عليها البناء الجديد ؟

ما سمعنا فى الاولين ولا فى الآخرين ، بأمة ذات تاريخ عريق ، تنسى قديمها بشواغل العصر وصراع الوجود ، وترى فى الالتفات الى ماضيها عبثاً باهظاً يثقل خطاها !

بل الذى سمعناه وعرفناه ، ان الامم المحدثة فى الحضارة — كأمريكا — تحاول بكل ما وسعها من جهد ان تصطنع لها ماضياً

« ان الحديث عن فلسفة ثورة ٢٣ يوليو ، يلزمه اساتذة متعمقون فى البحث عن جذورها الضاربة فى اعماق تاريخ شعبنا»
فلسفة الثورة

فى التاريخ ، تتوهم او توهم به ، أنها ليست طارئة محدثة !

و « فلسفة الثورة » قد سجلت من الفترات الاولى «حاجتنا الى اساتذة علماء يبحثون عن جذورنا الضاربة فى اعماق الزمن» واكدت ان « قصص كفاح الشعوب ليس فيها فجوات يملؤها الهباء ، كذلك ليس فيها مفاجآت تقفز الى الوجود دون مقدمات »

ثم جاء «الميثاق» فبين فى ضرورة الثورة مسئولية القيادات الشعبية التى تلزمها « بأن تتأمل فى تاريخها ، وان تنظر الى واقع عالمها ، ثم تقدم على صنع مستقبلها واثقة فى ثبات على أرضها »

كما اشار « فى درس النكسة » الى أن اجيالا متعاقبة من شباب مصر قرأت تاريخها الوطنى على غير حقيقته »

وتراث البردى فى جملته ، يعطى وثائق مادية لهذا التاريخ الذى نحتاج الى استجلاء اسراره فى مرحلة اكتشاف الذات .

وفيه مفاتيح لكثير مما غاب من تلك الاسرار ، واضاءة لدور الشعب فى صنع حياته ، وهو الدور الذى اغفله أغلب مؤرخينا ممن داروا

فى تلك القصر وشدت عيونهم الى البلاط يرصدون حركات الملوك والسلاطين ومن حولهم من حاشية وجند ووزراء وشعراء وندماء فجاء تاريخنا السياسى حلقات مسلسلة من اسماء اسر وحكام تتابعوا على العروش ، وسردا مفصلا لاعمالهم ومعاركهم الحربية والمذهبية . كما جاء تاريخنا الادبى ديوانا جامعا لما قاله المرتزقة من شعراء المدح فى تمجيد اصحاب التيجان ، وتبرير أفاعيل طغيانهم أمام الجماهير المحكومة حكما فرديا مستبدا .

ولقد استطاع المستشرق النمسوى «يوسف كاراباتشك» أن يفحص بضعة آلاف من البرديات العربية فى «مجموعة راينر» من بداية الفتح العربى لمصر ، الى عصر المماليك

وقدم فى اول كتاب نشره عن البردى ـ طبع فيينا ١٨٩٤ ـ الفا واربعمائة بردية عربية ، تعطى مادة تاريخية لحياة هذا الشعب الاجتماعية والاقتصادية :

رسائل أفراد من عامة الشعب ، عن حاجاتهم وشكاواهم ، وعن عواطفهم واذواقهم ، ومستواهم المادى والعقلى .

ومذاكر طبية ، تحدد أصنافا من الدواء وطرق العلاج ، فى تواريخ معينة ، من العصر الاسلامى .

وطلبات سلع وبضائع ، من الاهالى والتجار ، حملها البريد من اشمون الى الفيوم ، ومن دمياط الى الصعيد ، فى شراء اصناف من الاطعمة والملابس والحلى والعطور ، يتطلبها السوق او يحتاج اليها بيت أو تجهز بها عروس .

وحجج لوفاء النيل ، فى سنوات بعينها من عصر الولاة .



صورة للخليفة المتوكل فى عامه السادس والثلاثين « من مجموعة بردى فيينا »

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٦ / ١٠ / ١٩٦٤

واحصاء لعدد السكان بمصر ، من عهد عمرو بن العاص ، وهشام بن عبد الملك . وعقود زواج وايجار ، وصكوك معاملات رسمية واهلية ، بين الشعب ومندوبى بيت المال ، أو بين الناس بعضهم وبعض .

وشكاوى من ازمات القحط وفحش الغلاء ، ومنشورات ثورية ، للتمرد على جور الجباة وعسف الولاة ..

وكل هذا مما يحتاج اليه تاريخنا تصحيحا لخطأ ، او اكمالا لنقص ، أو كشفا عن تزييف وتزوير ..

الى جانب ماتقدمه هذه الاثار المادية الى التاريخ الحضارى ، العام والخاص ، من اضاءة لتطور المواد المستعملة فى الكتابة ، وأنواع المداد ونسق الخط ، واشكال الزخارف والرسوم ، وطرق اللف والتجليد .

ويقول «كراباتشك» فى مقدمته لهذا البردى العربى ، بعد اشارة الى ما كانت مصر تعانى تحت حكم الرومان من عسف واضطهاد :

« كلما اقترب بردينا الاغريقى من العصر البيزنطى ، تغير مايظهر لنا منه عن تاريخ مصر ، واتضح لنا الى اى مدى كان هذا البلد العريق الذى جمع من أقدم العصور بين اخصب الاراضى وازهى العمران والتفوق التجارى ، كان به شعب يتحمل المصاعب بصبر ، كما ترينا صكوك البردى كيف شل الفقر الطبقة الشعبية ، وكيف خلق الضغط الضريبى أزمات عميقة ..

« وهى تفسر لنا ، كيف وقع اكثر بلد على الارض بركة ، كالثمرة الخصبة بين ايدى الفاتحين العرب ، ويعتبر نجاح الفتح فى تلك الفترة القصيرة ، من اغرب الاحداث فى التاريخ العام . وقدجاءنا البردى العربى بمعلومات قيمة فريدة عن مصر ، ونقل الينا صورة للحياة فيها بطريقة دقيقة ، نشعر معها كاننا نعيش فيها ! ومن نصوص البردى لذلك العهد ، تظهر لنا ان فكرة غزو العرب لمصر ، كانت تحمل طابعا آخر غير مانعلم ، وان الكتابة الحديثة لتاريخ تلك الفترة ، وقعت فى اخطاء جسيمة ومتعمدة .

« كم يظهر لنا فاتحو مصر — بفحص هذه الوثائق — فى صورة جد مغايرة الصورة المعروفة انهم لم يكونوا مجرد غزاة جياع ، ولا كانوا جماعة مغامرين من البدو راكبى الجمال ، بل كانوا محاربين منظمين أقوياء ، يحملون أسلحة من الحديد والرصاص ، ويحاربون ببسالة فى سبيل عقيدة اعتنقوها باخلاص وقد تحررت مصر بهم من الضغط البيزنطى ، ورحبت بابناء الصحراء الذين نادوا فيها بحرية العقيدة ، كما تشهد بذلك وثائق من البردى ، تحمل احداها تاريخ ٨ يناير سنة ٦٤٢م . وتشهد نصوص اخرى ، من عصر الفتح ، بأن العرب الفاتحين حموا دماء المصريين واملاكهم ، واحترموا شخصية البلد العريقة ، النابعة من حضارة قديمة . وفى كتابة للاسقف يوحنا — المعاصر لتاريخ الفتح — اعتراف بان عمرو بن العاص ، لم ينزع شيئا من املاك الكنيسة »

واقدم الوثائق العربية مما فحصه كراباتشك من البردى العربى ، يرجع الى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، ومنه البردية رقم ٥٥٨ ، نقرأ عليها بوضوح ، أنها كتبت « فى شهر جمدى الاولى من سنة اثنتين وعشرين » هجرية . واحدثها من عصر المماليك ، ومنها البردية رقم ١٤٠٠ المؤرخة فى سنة ٧٨٠ هـ ؛ من عهد السلطان الملك المنصور على

وندعى مع ذلك ، اننا عرفنا تاريخنا واحطنا باسراره علما ، ولا احد منا قد اطلع على ماكشف الاجانب الغرباء من وثائق مادية لها مثل تلك الاهمية ، الى جانب الوف غيرها من اللفائف التى لاتزال مطوية هناك ، فى انتظار خبير عربى يفحص نصوصها ويكشف عن أسرارها المغلقة ، ويجلو بها ظلمات ليل التاريخ !

ولست أدرى كم يمتد بها الانتظار ، وان كنت أخشى أن يطول عليها الليل ، فانا اردد قول شاعرنا القيروانى الضرير ، ابى الحسن الحصرى :

ياليل الصب متى غده ؟
اقيام الساعة موعده !

الانحياز الفكرى
مواجهة [illegible] الخطر

تيارات الانحياز لا تتصارع فى
الميدان السياسى المكشوف
فحسب ، ولكنها تتصارع بأشد
ضراوة واقوى اثرا واعمق نفاذا
فى المجال الفكرى . ومن هنا كان
مستقبل الدعوة لعدم الانحياز ،
بل مستقبلنا كله : معركة فكرية !

النجاح المشهود للجهود المخلصة التى بذلها
قادة عدم الانحياز ، لاتعنى بحال ما ان
المهمة قد انتهت !
بل انى لاجرؤ على القول بان قرار المؤتمر
مع المأمول من تحقيقه ، لن يضمن لنا
النجاة والامان ..

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

بل ستظل هناك ثغرة ماكرة ، ينفذ منها الخطر من حيث ندرى ولا ندرى ! مهددا كل مانبذل من جهد لاتزان العالم الحر ، ومعوقا خطواتنا نحو النجاح المأمول والهدف المرجو .

ولقد كان من الطبيعى ، فى هذه المرحلة التاريخية ، ان يتجه اهتمام المؤتمر الى انقاذ البشرية من محنة التمزق بين شد وجذب ، وتحريرها من دوار الصراع المذهبى والسياسى بين شرق وغرب ..

ولن يجحد التاريخ المعاصر ، موقف هؤلاء الذين احتفظوا برشدهم فى دوامة الصراع ، متحررين من جموح التعصب وهوى الانحياز ، ومتعاهدين على نصرة الشعوب فى كفاحها للتحرر من مهانة الرق وعار التفرقة ، ومتواصين بالحق والعدل بعد ماطال ليل العدوان والظلم ، وانتهاب ثروات الشعوب المستضعفة ، وانتهاك حرمة الادمية فيها وكرامة الانسان ..

وليس قليلا ان يلتقى على هذا العهد قادة امم ورؤساء دول ، قارب عددها ستين ، يمثلون قوة لها حساب فى السياسة الدولية لعالم اليوم .

فمن اين اذن ياتى الخطر ؟

تيارات الانحياز لا تتسارع فى المجال السياسى او الحربى او الاقتصادى فحسب ولكنها تتسارع باكثر حدة واقوى اثرا واعمق نفاذا ، فى المجال الفكرى .

وكلما حققت دعوة عدم الانحياز نجاحا سياسيا ، انسحب الخطر من هذا الميدان المادى المكشوف ، ليمارس لعبته الخبيثة فى ميدان غيرمكشوف، وعبا تواء ليتسلل الى عقولنا ووجداننا ، ونحن فى غفلة منه ، مشغولين ببقايا جولات معركة التحرير ، لتطهير الارض دنس الاستعمار ، وتحطيم مابقى له عليها من قواعد حربية ، ومناطق سيطرة ونفوذ .

واكثر الشعوب غير المنحازة معرضة لهذا التسلل الخطر ، يشدها بالرغم منها الى يمين او يسار ، ويتسلط عليها بالغزو الفكرى الذى هو ذريعة الاستعمار الجديد .

ومن هنا كان مستقبل دعوة عدم الانحياز ، بل مستقبلنا كله ، معركة فكرية !

بعد ان انتهى زمن الاستعمار العسكرى ، او اوشك ان ينتهى الى مصيره المقرر بمقتضى حتمية التاريخ ، وحكم العصر وقانون الحياة ،

اما المعركة الفكرية فممتدة الى اعماق المستقبل ، ومصيرها مطوى فى ضمير الغيب ، لا نملك ان نتكهن به ؛ لانه رهن بمدى ادراكنا لخطر الغزو المعنوى ، ووعينا لاساليبه واسلحته ، وطاقتنا على مقاومته ..

والميدان ، كما قلت ، غير مكشوف ..

واسلوب المعركة معقد وغامض ، ، يتشعب فى صميم وجودنا كاذرع الاخطبوط بدهاء وخبث يفلتان المشهود من ذكائنا والمعروف من وعينا، وتبدو معالمنا حيالهما طرة ساذجة .

فى هذا الميدان الخفى ، تتصادم المذاهب وتتصارع التيارات متجاذبة منا الى شرق او الى غرب ..

ونحن نفتح ابوابنا لها ، دون ادنى حرس او حذر ، محكومين بعقدة نقص تشعر معها ان وجودنا العصرى يتطلب ان نستعير كل ثقافتنا وفكرنا وادبنا ، من الغرب القوى الغالب ..

عقدة ادركها فينا ، مؤرخنا الاجتماعى « ابن خلدون » حين سجل فى (مقدمته) فتنة المغلوب بالغالب ، وولعه بتقليده فى كل اعماله واقواله وعاداته واساليب حياته ، ظنا منه بان فى هذا الذى يقلده ويحاكيه ، سر القوة والغلبة !

والغرب فى ليل الاستعمار الطويل ، قد عزلنا عن ماضينا وبترنا من جذورنا ، لكى تتوه عنا حقيقة ذاتنا وجوهر اصالتنا وسر وجودنا وبقائنا ، فلما صحونا مع انحسار الليل ، الفينا فراغا رهيبا لايملؤه فى تصورنا الا المستحدث المستعار ، واعمين ان شرقيتنا علة تاخرنا ، وان تراث الماضى فينا ، سمة تخلف وظاهرة رجعية وجمود .

وباسم التزود من ثقافة العصر، ومجاراة الامم القوية الغالبة ، ابحنا الحمى لدعاة كل الانحياز وعملاء الاستعمار الجديد ، وقد جاءوا هذه المرة متنكرين قد استبدلوا بالزى العسكرى اللافت الجارح المهين ، اقنعة خدام علم ورسل ثقافة ، ومبشرين بالتفاهم المشترك والتقارب بين شعوبهم وبيننا !

وزيفوا الشعار !

فنادوا بانسانية تتخطى الفواصل الاقليمية والحدود الطبيعية ، وتلغى العصبيات القومية وتتسامى على فوارق الاجناس والعناصر والاديان والالوان ..

ولو انهم كانوا صادقين، لبداوا جهادهم الشريف النبيل هناك : فى انجولا وروديسيا والكونجو وفلسطين والجنوب العربى .. حيث تمتحن الانسانية بابشع صنوف المسخ والاضطهاد ، وتسرق الاوطان ويرتزق جنود بقتل اخوتهم من بنى البشر !

او هنالك فى امريكا وجنوب افريقيا ، حيث تقترف جرائم التفرقة العنصرية فتصم العصر كله بوصمة عار !

وباسم التقارب الفكرى والتفاهم المشترك ، غزتنا مؤسسات هائلة قوية النفوذ ، بعضها يعتمد على ذكاء الحيلة وبراعة الخبرة ، واخرى فاحشة الثراء، تعتمد على كرم البذل وسخاء العطاء والاقتدار على وسائل النشر وافانين الدعاية والاعلان .

وقيل : اننا ابحنا المجال الفكرى للجميع على سواء ، فلسنا متحازين فيه الى شرق او غرب ..

واقول : كيف نتصور ان ننجو من الانحياز ، والريح تهب علينا من كل جانب دون ان يكون لنا من اصيل فكرنا مايعصمنا من الحيرة والضياع ، ويضمن لنا الرشد والاتزان فى مهب الريح ؟ !

واذا كان لنا شىء منه ، فاين فرص التكافؤ بينه وبين البضاعة الاجنبية الوافدة ، تغزو اسواقنا ببراعة واقتدار، فتدق لها طبول الدعاية واجراس الاعلان، وتتالق فى طبعاتها الانيقة الفاخرة ومظاهرها الآسرة الخلابة ، معروضة للبيع بابخس الاسعار ، او موزعة هدايا بلا ثمن ، لانها تصدر عن « مؤسسات غير تجارية » مهمتها ان تنفق وتروج وتنشر وتغزو، وليس من مهمتها ان تحقق اى ربح ، او تسترد شيئا مما انفقت ؟

ولعلنا لاننسى هنا ، ان شعوبا منا ذات عدد، سرق الاستعمار لسان قوميها وفرض عليها لسانه وثقافته لدى اجيال ، ثم لما آن لها ان تستعيد حميتها المتحمسة وتتصل المهدر فى الوجود الكريم ، شق عليها مع ذلك ان تسترد لسانها القومى الضائع ؛ فيما عاد فى وسع الجمهرة من مثقفيها الا ان يتفاهموا بلغة المستعمر، ويتسللوا عن طريقها بالالحاح والجبار ، والان يلمسوا لديها زاد عقولهم ووجدانهم ، متسابقين بالرغم منهم الى ماتفره من انحياز !

على ان اخطر ما فى هذه المعركة الفكرية غير المتكافئة ، ان نغفل عن الخطر ، وان نستمرىء نشوة انتصارنا فى معارك التحرير ، والعدو يقظ لايغفل ، ساهر لاينام !

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٦ / ١١/ ١٩٦٤

الانحياز الفكرى

لسنا سواء!

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

دول الأحلاف الكبرى تمارس نشاطها الفكرى بيننا ، وتسمح لنا بإقامة مراكز ثقافية على أرضها بمقتضى نظام المعاملة بالمثل ، المقرر فى العرف الدولى ، فهل نحن سواء ؟

المقال الذى كتبته هنا فى الاسبوع الماضى عن الانحياز الفكرى ، يحتاج الى مزيد ايضاح وبيان ، ثم الى اضافة ضرورية لابد منها .

فمن القراء من لايزالون يتصورون أن مقاومتنا لخطر الاستعمار الفكرى يقتضى بالضرورة العزلة عن الفكر الخارجى .

وهذا التصور نفسه ، ليس الا اثرا من اثار العقدة التى نعانيها ، وبقية فينا من رواسب الاحتلال الاجنبى .

بحيث لم نعد نفرق بين روافد تاتينا من الخارج فتخصب وجودنا الفكرى وتزيد ثقافتنا رحابة واتساعا ، وبين ان تطغى هذه الروافد على المجرى الحيوى الاصيل فتدفنه او تبدده !

او بعبارة اخرى : لم نعد نميز بين المخصبات المستوردة ، وبين النبت المزروع فى ارضنا ، من بذرة تستمد مقومات حياتها من عناصر التربة المحلية .

ويسأل سائل :

أما تحرص دول الغرب الكبرى على الاتصال بثقافات غيرها من الشعوب ، وتترجم ادابهم ، دون أن يتهمها أحد بالغفلة ، أو يطالبها بالعزلة والاستقلال الفكرى ؟

وغريب حقا أن يكون فينا من يتصور امكان العزلة الفكرية ، ونحن نعيش فى عصر (الترانزستور) الذى يقتحم أمنع الحدود ويعبر كل الاسوار . مع أن هذه العزلة الموهومة لم تتحقق تماما فى عصر الناقة والسفن الشراعية . ودارسو الحضارة يعلمون كيف كانت الشعلة تضيء فى منطقة ما ، فيشع ضوؤها بعيدا عبر بحار الظلمة ومتاهات الصحارى ، لاتحجبه موانع ومخاطر ، ولا تعوقه عزلة ما بين الشعوب . والفكر اليونانى قد استمد عناصر جوهرية من تراث قديم للفرس

والهنود والمصريين ، والفكر الاسلامى قد ترجم تراث اليونان وعربه واعطاه الروح الاسلامية ، والفكر الاوروبى الحديث قام اساسا على مانقل اليه من علوم العرب وثقافتهم ، أيام كانوا حملة منار المعرفة الذى اضاء لاوروبا ظلمات عصورهـــا الوسطى ، والفكر الشرقى المعاصر ، قد استمد بلا ريب زادا خصبا من الحضارة الغربية . وكل هذا التبادل كان وسائل المواصلات لم تذلل ، وطرق الانتقال وعرة مرهوبة ، فكيف يتخيل واهم أننا نتادى بعزلة فكرية ، وسفن الفضاء تقطع رحلتها حول الارض فى دقائق معدودات ، والرسائل تأتينا عبر المسافات الشاسعة بأسرع من لمح البصر ومجرى الخيال !

وأغرب منه ، أن يتشابه الامر علينا ، فيستوى عندنا أن يكون لدولة كيان فكرى متميز راسخ لا تمسخه الطوارئ ، ولا تزلزله التيارات الوافدة ، وان تقف أخرى فى مهب الريح قبل ان تحقق وجودها الفكرى وترسخه فى عقول ابنائها وضمائرهم .

وكان الاولى ، قبل المقارنة بيننا وبين دولة أخرى من كتل اليمين او اليسار ؛ ان نستيقن أولا من أن شبابنا لديهم مفهوم واضح لفكرنا القومى ، وولاء لاصيلهم منه كيفما كان ؛ لتتجه حركة الاخذ والاقتباس والاستيراد الى تقوية هذا الاصيـــل ، وتطويعه لروح العصر وقانون التطور ، لا الى مسخه وتبديده واضاعته !

وابعد فى الغرابة ، أن يذكرنى بعضهم بأن دول الانحياز الكبرى ، تسمح لنا او لغيرنا باقامة مراكز ثقافية على ارضها ، نمارس عن طريقها ما شئنا من دعاية لمبادئنا ونشر لفكرنا وثقافتنا ، بمقتضى نظام المعاملة بالمثل ، المقرر فى العرف الدولى !

وما نسيت هذا قط !

غير انى لم انس كذلك ، أن المماثلة بيننا وبين هذه الدول معدومة فى الواقع :

فهى أولا : ذات وجود فكرى يستطيع أن يصمد لاى تيار وافد ، ويميز منه مايأخذ ويختار ويضيف ، عن وعى وبصيرة . ثم ما زلنا نتناسى أن هذه الدول قد حرصت فى المراحل الاولى للصراع المذهبى ، على أن تقيم الاسوار الحديدية فى وجه الفكر المعارض ؟ وتاريخ العصر يشهد أن كتب دعاة الشيوعية كانت محرمة فى المنطقة الراسمالية ، كما كان الاتصال بالفكـــر الراسمالى يعد جريمة فى المنطقة الشيوعية ولم تخف قيود العزلة والحصار الفكرى الا بعد أن اطمأنت هذه الدولة أو تلك الى وعى ابنائها لفكرهم القومى ، والى أن مبادئ المذهب قد اخذت فرصتها مـــن الحماية ريثما ثبتت على ارضها ، بحيث يستطيع المواطن أن يعى ما يدور حوله من صراع !

وهى ثانيا ، تملك من وسائل الدعاية والنشر لبضاعتها واساليب غـــزو الاسواق بها مالا نملك ، وتستطيع ان تنفق على ترويج افكارها ومبادئها ما تعجز عن بعضه خزائن الدول غير المنحازة ، والكثرة الغالبة منها لم تنج الا حديثا من براثن الاحتلال ، وهى جميعا مشغولة بمعارك تصفية الاستعمار العسكرى والقرصنة الدولية والتفرقة العنصرية ، مثقلة بما تحمل وتواجه من تبعات الحرية وأعباء التنمية .

ونعامل دول الانحياز الكبرى بالمثل ، فى التبادل الفكرى كاننا سواء !

ماخوذين ببريق المماثلة يخطف ابصارنا فيعشيها عن زيفه وخداعه ، ومن ثم يخطئها أن تدرك فقدان التكافؤ بيننا وبين تلك الدول ، فى معركة الثقافة والفكـــر ، وصراع المبادئ والقيم !

وحرية الفكر هى جوهر انسانية الانسان وأدنى مساس بها ، عدوان على كرامة بشريته !

ومن مظاهر هذه الحرية ، أن ندع الافكار المختلفة تتصارع وتتلاقى علـــى ارضنا ، وان نفتح الابواب لكل تيار فكرى سواء أكان اتيا من يمين أم من يسار !

لكن بشرط ان نتحقق من صلابة كياننا المعنوى ورشد وعينا الثقافى وصحة تمثلنا لفكرنا القومى ، كيلا نتوه فى ضجيج

المعترك ، ويأخذنا الدوار في دوامة الصراع ..

ومن مظاهر حرية الفكر أيضا ، أن يكون لانسان هذا العصر ، حق الانحياز الفكرى الى هذا الجانب أو ذاك !

لكن هذه الحرية تغدو زيفا وضلالا وتمسخها اغلال الرق ، اذا لم تكن له اهلية الاختيار الحر الرشيد .

وهى اهلية لايمكن أن يدعيها من يجهل الشخصية المعنوية لامته . ويعوزه فهم فكرها القومي بكل ماله من خصائص وسمات وكل ما فيه من ميراث فهو تلقاه من آباء واجداد، منذ خطوتهم الاولي على درب الوجود .

ذلك لانه بهذا الجهل ، يكون عرضة للغواية والتضليل ، والاستهواء والاستعباد لما يتسلط على عقله ووجدانه من غزو ، دون حصانة أو رشد !

وبخاصة بعد أن انحرفت المعركة الفكرية عن صراع قيم ومبادىء الى سباق على استعمار جديد ، وتنازع على مناطق النفوذ ، القلة فيه لاترتهن بتفوق الفكرة او قيمة المبدأ ، وانما ترتهن بمكر الدهاء ودهاء الاسلوب ، أو براعة الدعاية وسخاء الانفاق !

ومن هنا لم يصح لدينا ، امكان عدم الانحياز الفكرى ، او الانحياز الحر الواعى ما لم يكن الصراع الدائر صراع مبادىء وقيم وافكار ، ومالم نطمئن الى أن منا فكرا قوميا يصمد لمنافسة حرة في السوق

ويأخذ فرصته المتكافئة في النضال !

وماذا عن التقارب الفكرى ؟

مطلوب منا ان نتصل بكل ماتلفظ مطابع الغرب من جد وهزل ، وأن نفتح قلوب ابنائنا وضمائرهم لكل زاد مستورد ، ولو كان فيه السم المذاب .

واننا لفى عزلة فكرية عن الاخ الشقيق ، والجار القريب أو البعيد .

لقد التقى في مصر زعماء العرب ورؤساء حكوماتهم . ويسأل كبير من شعرائنا في محفل أدبى باحدى العواصم العربية عن رأيه في «نازك الملائكة» فيسألهم هناك من تكون ؟ والى أي قطر تنتمى ، وهل نشرت عملا ادبيا ، قصة او مسرحية ؟

ويسأل استاذ كبير ، في مجلس علمى ، عن « مالك بن نبى » فيهز رأسه لايحير جوابا ، ويتطوع آخر — لم يوجه اليه السؤال — فيقول : انه الامام مالك . صاحب المذهب المالكى !

ومكتباتنا الخاصة ، تباهى بما تقتنى من بضاعة اجنبية ، وليس فيها كتاب واحد لمفكر عربى من قطر شقيق ، أو من حى مجاور قريب !

ونتابع الدوريات الثقافية الغربية وتتدفق في مجالسنا بما التقطنا منها وندر فينا من يقرأ نشرات الموسوعة الافريقية التى تصدر " اكرا " بل قل فينا من سمع بمجلة اسمها البينة تصدر في المغرب العربى ، أو الفكر الاسلامى تصدر في الجزائر بعد استقلالها ، أو مجلة اسمها « الفكر » التونسية !

ذلك لان مثل هذه البضاعة الغربية ، ليس وراءها مؤسسات فاتنة القراء ، تستطيع بمالها السخى الذى لاينفد ، ان تغمر السوق بمطبوعاتها ومترجماتها ، وان تلح علينا بالاعلان عنها والدعاية لها صباح مساء ، بل انها لقادرة على أن تجند مما لخدمتها من لاتنوم وطنيتهم ..

من حيث ندرى ولا ندرى ! !

ولهذا حديث يطول ، فالى لقاء ..

التاريخ : ١٣ / ١١ / ١٩٦٤

هدية من الجزائر

الفكر الاسلامى

بقلم الدكتورة بنت الشاطىء

فى تصورى ، أن مجال النضال الجديد ، تحرير الفكر الاسلامى من رواسب الاستعمار وشوائب الرجعية معا : اعنى مخلفات الغزو المعنوى الضارى لعصر الاحتلال ، ومخلفات ما قبله من عصور تخلف ، سلبت الفكر الاسلامى حيويته ، وجمدته باغلال تعوق انطلاقه فى فسيح الآفاق ، وعطلت فيه طاقته المبدعة على النماء والازدهار ، وافقدته مرونته العجيبة التى تطوعه للتطور ، وتجعله صالحا للبقاء على مسار الزمان .

سعيت مرتين الى الجزائر الباسلة المنتصرة ، حيث عشت على ارض المعركة المجيدة اياما تعد بالعمر كله ، فلمحت سرها فى الوجدان الشعبى النابض بالايمان وفهمت كيف تضحى امة بالملايين من ابنائها نضالا عن عقيدة .

وعدت من هناك لاتتبع جهاد الجزائر الحرة فى معركتها الفكرية ، ونضالها الشاق من اجل التحرر مما يسمونه ((سجن مالك حداد)) يشيرون به الى الصيحة المؤثرة للاديب الجزائرى الذى سرق المستعمر لسانه ، وكبل انطلاقه الحر بحصره فى سجن الفرنسية ، فهو عاجز عن ان يشدو لقومه بلغتهم الام ، مغلول عن ترجيع نبض وجدانهم الاصيل ، محروم من الاتصال بالنبع الصافى لكل ما صنع شخصية امته وتاريخها ..

ومنذ ايام ، تلقيت العدد الاول من ((مجلة الفكر الاسلامى)) لاصغى فيها الى اصداء الجهاد الجديد . وقد ظهر هذا العدد فى شهر ربيع الاول ١٣٨٤هـ — اغسطس الماضى — فلم نسمع به هنا ، ولا قرانا عنه اى خبر فى صحافتنا التى لايفوتها ان تصلنا بكل جديد غربى .

وتتابع صدور الاعداد الشهرية للمجلة خلال شهور اربعة كانت بحيث تطول وتمتد ولا علم لنا بها ، لو لم يتفضل ((الاستاذ محمد على دبوز : صاحب كتاب تاريخ المغرب الكبير)) فيحمل المجلة الى ، هدية من ((دار الفكر الاسلامى)) التى قامت منذ عام ، وبدات تمارس نشاطها على الارض الحرة ، فى ميدان الطباعة والنشر .

ولاحس عنها هنا ، ولا خبر ..

وضجيج الاعلان عن المؤسسات الاجنبية الثقافية ، يدوى فى آذاننا فيخطف سمعنا وبريقها الساطع يبهر عيوننا

ومجلة الفكر الاسلامى صدرت والافق حولنا يتجاوب بانباء مؤتمر اللغة العربى وتوصياته ، ولا احد منا يعنيه فى كثير او قليل ، ان يتصل بجديد التيارات الفكرية على الصعيد العربى . ثم تجاوب الافق العالمى بانباء مؤتمر عدم الانحياز ، وما فينا من يخطر على باله ان يسال :

اين الفكر الاسلامى فى الصراع الفكرى المذهبى لعالم اليوم ؟

وأقول : ((الفكر الاسلامى)) وانا لا اخص به تعاليم الشريعة الاسلامية كما يتشابه الامر على كثير منا . فالشرع الاسلامى بما هو اصول عقيدة ودين ، خاص بالمسلمين منا . اما الفكر الاسلامى فاعم واشمل ، بما يمثل من العقلية الاسلامية ومنهج تفكيرها وطابع منطقها وجوهر نظرتها الى الكون والحياة ، وبما تمثل وهضم من ثقافات قديمة وحديثة ، نقلتها اليه الترجمة والتعريب ، اوجاءت بها الشعوب التى دخلت فى الاسلام ، بكل تراثها الفكرى والحضارى . ويشارك فى هذا الفكر الاسلامى ، من عاشوا ويعيشون فى رحاب العالم الاسلامى على اختلاف عقائدهم

ومن ذلك الافق الرحب ، نظرت فى العدد الاول من «مجلة الفكر الاسلامى» وانا اقدر انها تتنفس فى الجو الحر ، وتخطو الى الميدان على ارض كريمة طهرتها دماء الشهداء من دنس الاستعمار

واقدر معه انها جاءت بعد ان سبقتها اختها الكبرى ((البصائر)) فسهرت على الوجود المعنوى للشعب الجزائرى فى ليل المحنة ، وحملت اليه دعاء قادته الروحيين من جماعة علماء الجزائر .

اريد ان اقول : اننى قدرت ان لمجلة الفكر الاسلامى وهى تتقدم الى مراكز القيادة الفكرية فى الجزائر الحرة ، مهمة اخرى غير مهمة ((البصائر)) التى حدت الركب السارى فى ظلمات ليله الطويل

لقد كان على ((البصائر)) ان تجاهد لتدفع عن الجزائر المحتلة ، سطوة مستعمر خبيث يحاول أن يمسخ شخصيتها كان عليها ان تعبىء قوى الشعب المعنوية وطاقاته الروحية ، لمعركة جهاد مستبسل يحيا به كريما او يموت كريما .

اما مجلة الفكر الاسلامى ، فعليها — وعلى زميلتها مجلة المعرفة — دور مابعد معركة التحرير الظافرة ، وليس اقل من الدور السابق ولا اخف تبعة وعبئا .

ومجالها فيه ، مجال تحرير للفكر الاسلامى من رواسب الاستعمار وشوائب الرجعية معا .

اعنى مخلفات الغزو المعنوى الضارى لعصر الاحتلال ، ومخلفات ماقبله من عصور التخلف التى سلبت الفكر الاسلامى حيويته وجمدته باغلال تشل انطلاقه فى نسيج الافاق ، وعطلت فيه طاقته المبدعة على النماء والازدهار ، وافقدته مرونته العجيبة التى تطوعه للتطور ، وتجعله صالحا للبقاء على مسار الزمان .

والعبء باهظ ، والامانة صعبة ، لكن اخواننا مفكرى الجزائر اهل لاحتمالها لكى يجلوا ملامح الفكر الاسلامى الاصيل فى صميم هذا الجيل ، فذى البطولة ووارث مجد مليون ونصف مليون شهيد بذلوا الحياة نضالا عن عقيدة ، ودفعوا اغلى فدية عرفها التاريخ لشرف الانسان

هذا ماقدرته وتصورته ، مجالا لجهاد « الفكر الاسلامى » بالجزائر ..

لكن يبدو لى من مطالعة العدد الاول ان الميدان لا يزال فى حاجة ماسة الى متابعة النضال الذى حملت ((البصائر)) لواءه من قبل . فعندما قرات مقالات ((هذه سبيلى)) للاستاذ محمد الحاج حسين ((ومن يبتغ غير الاسلام دينا)) لسماحة الشيخ بيوض ابراهيم ، و ((الفكر الاسلامى)) لسماحة الشيخ ابرهيم ابو اليقظان ، و ((تحية وسلاما للفكر الاسلامى)) لسماحة الشيخ عبد الرحمن بن عمر ، عندما قراتها استرجعت بها ذكرى ماكان يكتبه سماحة ((الشيخ عبدالحميد بن باديس)) — رحمه [illegible] ينجلى فجر الحرية وتنسخ اية النور ظلمات الليل المدلهم . ودلالة هذا عندى ، ان معركة الامس لا تزال ممتدة ، تطهيرا للمناخ من انفاس الغزو الروحى الذى تسلط على الجزائر قرنا وثلث قرن من الزمان

وكان الظن ان دور النضال عن العقيدة قد انتهى ، ليبدأ دور النضال عن الكيان الفكرى للجزائر الحرة المسلمة ، تاصيلا لدعائمه وترسيخا لاصوله وتجديدا لرحابه وتمكينا لحيويته من مسايرة التطور .

وفى الحق ان المجلة الجزائرية الجديدة فيها محاولة واضحة مخلصة من هذا كله او بعضه لكنها فيما ارى تبدو محدودة النطاق تتصل بقديم الجهود لتجديد الفكر الاسلامى منتهية بها عند اقبال والشيخ محمد عبده وعذرها فى ذلك ان الجزائر المعاصرة عزلت منذ قرن عن المحاولات الجديدة فى الفكر الاسلامى ، فلم تكد تعرف منها الا المحاولة الاصيلة للمفكر الجزائرى الكبير ((مالك بن نبى)) الذى عاش خمسين عاما فى سجن مالك حداد ، ثم افلت منه وانطلق لياخذ مكانه فى القيادة الفكرية لامته العربية ، وكانت كتبه فى « مشكلات الحضارة » و «فكرة الافريقية الاسيوية والظاهرة القرآنية » تصل الى قرائه فى السجن الكبير ، لانها كتبت بالفرنسية ، لغتهم المستعارة الطارئة ، التى اغتصبت مكان لسانهم القومى .

واقول مع هذا ، ان المحاولة مهما تبد فى اول الطريق محدودة الطاقة ، فانها لن تلبث ان تنطلق لترتاد آفاقا جديدة رحبة للفكر الاسلامى ، معتمدة على حر تراثها منه ، ومزودة برصيد الجهود المخلصة لمفكرى الاسلام على امتداد الزمان والمكان ، ومضيفة اليها روافد سخية من الفكر الانسانى يتمثلها اصيلنا دون ان يمسخ بها او يذوب فيها .

والخطوة الاولى واعدة .

والرجاء فيما بعدها كبير .

التاريخ : ٣٠ / ١١ / ١٩٦٤

بين الأمس واليوم

إرادة الحياة ... بمنطق الثورة !

((.. ان الديمقراطية ليست ان ينفس الشعب عن نفسه بالشكوى ، ولكن ان يستطيع بارادته تغيير الظروف التي تجعله يشكو ..))

من حديث الرئيس جمال في مجلس الامة

قبل الثورة باكثر من عشر سنين ، في عام ١٩٤٠ على التحديد ، اذاعت مصلحة الاثار المصرية نبأ اكتشاف مقبرة الفرعون ((بسوسنس)) في صالحجر ، بمعرفة الاثرى الفرنسى ((مونتيه)) وبعد ايام من اذاعة النبأ ، نشرت المصلحة في الصحف انهم ارادوا نقل المومياء الفرعونية الى متحف الاثار ، فما كادوا يلمسونها حتى وجدوها قد تحللت وصارت بين ايديهم هباء

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

يومها فكرت طويلا في هذه الظاهرة غير المألوفة ، احاول ان اهتدى الى سر المومياء التي تحللت ، وعهدنا بمثيلاتها من قبل ، ان تقاوم افاعيل البلى وعوادى الزمن وتعصى على الفناء ، الوفا من السنين ذات عدد

وفي سبيل الاهتداء الى هذا السر ، لم اذهب الى علماء (البيولوجيا والفسيولوجيا والجيولوجيا) اسألهم عن التفسير العلمي الذي يتقدمه فحص طبيعة التربة في صالحجر ورفات المومياء ، وعملية التحنيط ، واسمع كلمتهم في تعليل الظاهرة التي كانت تبدو لنا شاذة ، بخروجها على المألوف من تحدى اجساد الفراعنة للبلى في انتظار البعث ، وتشبثها بالبقاء على صورتها الاولى حين دفنت ، كيلا تضل الروح طريقها اليها .

لم افكر في هذا ، لانى كنت بحكم نشأتى في بيئة دينية ، من ابعد الناس عن الجو العلمى ، وقد اجتزت مرحلة الدراسة الثانوية دون ان ادخل معملا او ارى اى جهاز من الاجهزة العلمية التي يعرفها كل طلاب المدارس الثانوية .

ومن ثم اتجه تفكيرى وجهة اخرى لا تتصل بالعلم التجريبى المعملى من قريب او بعيد .. فمنذ قرأت الخبر ، سيطرت على بالى فكرة رفض هذا الفرعون للبقاء الذى طمح اليه ، وحين يتصل الامر برفض الحياة فلن يكون السر عند علماء الاحياء والتشريح وطبقات الارض ، وانما يجب ان يلتمس من ظروف الحياة التى رفضت المومياء ان تعود اليها ..

في ذلك الحين ، كنت مشغولة بقضية الفلاح اكتب فيها على صفحات الاهرام يوما بعد يوم ، وقد فرغت من قبل اكتشاف مقبرة (بسوسنس) من نشر كتابين لى من الريف المصرى وقضية الفلاح فلم يكن غريبا ان ترتبط ظاهرة تحلل المومياء بالقضية التى تستأثر بكل اهتمامى وتشغل منى الضمير والفكر والبال .

وشددت رحالى الى الصعيد ، حيث اتيح لى أن التقى (بمونتيه) في معبد الاقصر وأن اسمع منه كل ظروف الحفر عن المقبرة واكتشافها ، ووقع مفاجأة التحلل على نفسه . ثم اتممت جولتى في الصعيد اطوف بآثار الماضى واعيش في جوه التاريخى العريق ، ومضى زاد من كتب التاريخ المصرى القديم اجتلى منها ملامح الشخصية المصرية وامضى الى نبض وجدانها والتمس روح عقيدتها

وعدت من جولتي لاكتب قصة !
رجعة فرعون
المصرى القديم الذى كانت فكرة البعث محور تاريخه ، وقد امضى عمره كله يدبر له ، ويلتمس كل الوسائل لحفظ جسده من البلى بعد الموت ، كي تهتدي اليه روحه عندما يمضى الى حياته الاخرى .

وكانت ارادة الحياة هي التي مكنته من تحدى عوامل الفناء خمسة آلاف سنة ، ثم لما اكتشفوا قبره عام ١٩٤٠ ، طافت روحه بالوادى الطيب ، فانكرته واحست فيه بالغربة ..

وعبثا حاولت ان تهتدي الى معالم دنياها في الامس البعيد ، فقد تنكرت المعالم كلها ومسخت الوجوه ، وامست الارض غير الارض ، والناس غير الناس !

وتاهت الروح في جولتها ..

حامت حول القصور تفتقد الاهـــل والاحباب ، فما وجدت فيها من يمت اليها بأوهى سبب او ادنى صلة ..

وحلقت فوق أرض الوادى من ادناه الى اقصاه ، حيث الشعب الذى صنع الحضارة وعلم البشرية ، فما وجدت في الارض الطيبة غير مقابر الاحياء ، يخيم عليها البؤس والشقاء .

هنالك احست بالاختناق في الجو الغريب ولم تحتمل فكرة العودة الى مثل هذه الدنيا .

وتحللت المومياء ..

عندما اضاعت الروح ارادة الحياة .
وسجلت بتحللها موقف الاحتجاج على فساد العصر ! وتركت الهباء ..

لعل ذراته تنتشر في الافق ، فتطهر الجو العفن ، وتهيئه لبعث جديد ، يعيد الحياة الى هذه الارض التي طمحت الى الخلود من قبل ان يولد التاريخ ...

تلك كانت القصـة ، في جوهرها ، كما كتبتها في ذلك الحين ..

ولكن فيم هذا الاسـترجاع لذكرى ظاهرة تحدثت عنها الصحف عام ١٩٤٠ ؟

وفيم العودة الى رجعة فرعون التى نشرتها دار المعارف عام ١٩٤٤ ، ثم طويت فيما طوى من حديث ما قبل الثورة ، وتاهت
ل مسجيج الجديد بالميدان الادبى !

كلمة سمعتها وانا اصغى الى الرئيس جمال ، في حديثه الى الامة من مجلس الامة :

((ان الديمقراطية ليست ان ينفـس الشعب عن نفســه بالشكوى ، ولكن ان يستطيـع بارادته تغييـر الظروف التـى تجعله يشكو)) .

لقد انطلقت بي هذه الكلمة بعيدا ، وردتني عبر السنين الى الامس الذى مضى وراح ..

حتى خشيت ان اشغل بها عن متابعة الرئيس ..

وبصعوبة ومشقة تابعته حتى اتم حديثه
ثم اسلمت نفسي الى التامل
ومضيت مع الذكريات ...

ومن عام ١٩٦٤ ، الذى احيا نبه ، وقفت اطل على عام ١٩٤٠ كما يلونه وصورته ورويت قصته :

والح السؤال على :

اكان ينبغي في ذلك العهد الماضى ، ان ادع ارادة الحياة هي التي تغلب وتنتصر ؟

لقد يبدو هذا هو الحق والواجب ، بمنطق اليوم ، ورئيس الدولة يثير في الشعب ارادة التغيير لما يشكو منه ، ويجدد طاقته الثورية بهذا الحفز الدائم على فرض ارادته والاحتكام في صنع حياته وتوجيهها

ويبدو سهلا ، ونحن نلتقي بالرئيس جمال لقاء اهل وصحبة ، فنلمح وراء ما يأخذنا من الله ، شخصية الثائر الذى يلهب في الشعب ارادة النضال لتغيير ما يشكو منه او ينكره ! ويستبقى شعلة الثورة متوهجة مخافة ان تطفئها انفاس النفاق بما تنفخ فيها من روح الاستسلام ، وحماية لها من تبدد طاقتها بالشكوى العقيم .

ولكن منطق مرحلة الانطلاق ، لم يكن يصح في عام ١٩٤٠ ، حين كانت الطاقات الثورية في ضمير الامة ، لاتزال تجتاز مرحلة التجمع والتحفز ..

ومنطق المرحلة ، كان : رفض الحياة احتجاجا على فسادها وتعفنها .

لم .. من قال ان ارادة الحياة لاتنتصر الا بالبقاء ؟

كلا ...

انها لتنتصر كذلك بالموت !

لان الموت في سبيل الوجود الكريم حياة وانتصار وكان يجب قبل الثورة ، ان نتعلم كيف نموت لنحيا ..

كما مات شهداء لنا على مر العصور وتعاقب الاجيال ، فعاشت بهم مصر حية لاتموت

وبعد فلقد خطر ببالى وانا اصغى الى كلمة الرئيس جمال ، ان قصة رجعـــة فرعون لم تتم فصولا على صورتها التى رويت بها منذ بضعة وعشرين عاما ، بل انها في حاجة الى ان تستكمل بفصل جديد يتجمع فيه رفات المصرى الذى تحلل جسده : ذرة ذرة ، حتى يتجسم كيانا واضح المعالم جلى السمات ، تهتدى اليه الروح دون ان تضل او تتوه ..

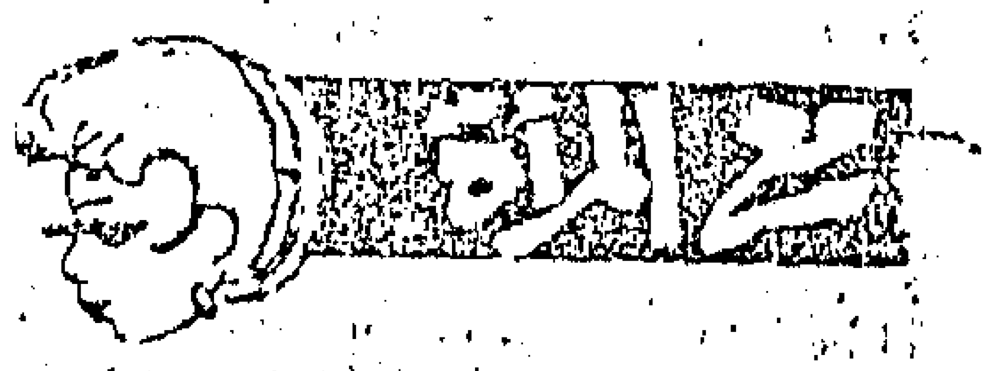
وانى لارجو ان افعل ..

تعبيرا عن انتصار ارادة الحياة لمصر الخالدة .

اجل ، قد يبدو هـــذا هينا ، وقائد الامة يرفض لهـــا منطق الشـــكوى وهى تملك ارادة التغيير !

التاريخ : ١٩٦٤/١٢/١





تعليق من بنت الشاطئ حول الانتخابات

● قالت د. بنت الشاطئ تعليقا على انتخابات المجمع المكان بعدها بلا ريب ان الفوز على اعتبار ان ذلك شرف كبير يتوج كفاحها العلمي الطويل في ميدان الدراسات اللغوية والاسلامية. لكن نتيجة الانتخابات: « وان لم تسعدني لكن قد ارضتني الاصوات العشرة التي نلتها وبقاء اسمي بين المرشحين الى آخر جولة من جولات الانتخاب » ثم استطردت؛ بل انى اعتبر مجرد ترشيحي كان فتحا امامنا نحن السيدات، والواقع انى كنت اتطلع من زمن الى مكان لنا في المجمع.

التاريخ : ١١ / ١٢ / ١٩٦٤

معالم ثورتنا الثقافية فى مجتمعنا الاشتراكى

« ان العمل الديمقراطى سوف يتيح الفرصة لتنمية ثقافة نابضة بالقيم الجديدة ، عميقة فى احساسها بالانسان ، صادقة فى تعبيرها عنه ، قادرة بعد ذلك على اضاءة جوانب فكره وحسه وتحريك طاقات كامنة فى اعماقه، خلاقة ومبدعة، ينعكس اثرها بدورها على ممارسته الديمقراطية وفهمه لاصولها ، وكشفه لجوهرها الصافى النقى »

الميثاق

بحث الدكتور عبد القادر حاتم

[illegible] الدكتورة بنت الشاطئ

ياخذ هذا البحث قيمته واهميته ، من خطر موضوعه ، ومن مكانة الباحث فى القيادة الثقافية للامة ، فى هذه المرحلة الحاسمة من تطورها .

والسيد الرئيس جمال عبد الناصر ، قد وضع تقليدا ديمقراطيا اصيلا ، حين قدم «الميثاق» مشروعا للمناقشة الحرة .

وبهذا التقليد آخذ نفسي فيما اتصدى له من مناقشة ذلك البحث الهام ، اداء لامانة النقد ، والتزاما بالمسئولية التى تفرضها علينا ضمائرنا ووجودنا الثورى ..

كان المتوقع ان يعالج هذا البحث قضية ثورية الثقافة ، وان يعبر عما تتطلع اليه المرحلة من قيادة فكرية لاتقنع بالحاضر ولا تقف عنده ، وانما تناضل دائما من اجل غد افضل . لكن الدكتور حاتم - فيما ارى - وجه اكثر اهتمامه الى عرض ما تقوم به « وزارة الثقافة والاعلام » من نشاط لانختلف على وفرته وسخائه، وان كنا نختلف على (تقييمه) بالقياس الى ثورية المرحلة ومنطق التطور ..

وقد بدأ السيد الدكتور فافترض ان كثيرا من الناس جروا « على تصور الثورة من خلال مفهوم ضيق يقصرها على المجال السياسى وحده . وجرى آخرون على توسيع هذا المفهوم قليلا ، ليشمل التغيير الجذرى فى العلاقات الاقتصادية .

« ومن اجل ذلك فاننا نحن العرب ، لنا فى الانسان تصورنا الخاص ، نؤمن معه بان لهذا الانسان الى جانب المشاكل والاحتياجات الاقتصادية - على اهميتها الكبرى - احتياجات اخرى نفسية وروحية وفكرية، ونعتقد كما قال السيد المسيح عليه السلام : ليس بالخبز وحده يحيا الانسان . »

ولست مع الدكتور فى ان تقدير حاجات الانسان المعنوية ، خصوصية لنا نحن العرب . وشعبنا يشهد ماحققته ثورات غير عربية من تطور ظافر وانتصار حاسم وتقدم علمى وباهر. وهو يتطلع - بماله من ميراث عريق فى السبق الحضارى - الى ان ياخذ مكانه الى جانب الدول العظمى التى تفرض وجودها على الدنيا والتاريخ . وربما لايجدى ان نقول لهذا الشعب اننا نحن العرب - وحدنا - لنا فى الانسان تصورنا الخاص نؤمن معه، باحتياجات له نفسية وروحية وفكرية ، وانما يجدى ان نكشف له عما قدرت الثورات الكبرى من هذه الحاجات ، وان تكون ثورتنا الثقافية قائمة على تاصيل الفهم العميق للدور الجوهرى للفكر والعقيدة - ماكانت - فى تحقيق التطور الحاسم للشعوب الصانعة لحضارة العصر ..

والذى اخشاه ، ان نحن تجاهلنا اهتمام الثورات غير العربية بحاجات الانسان المعنوية ، وسهرها على الثورية الفكرية وقلنا ان هذا الاهتمام خاص بنا نحن العرب . الذى اخشاه ان يجحد الجاحدون منا كل قيمة للفكر ، وان يتعلقوا بوهم خاطىء فى امكان اللحاق بالدول العظمى ، التى يظن بعضنا انها جردت ثوراتها من سلاح الفكر واهدرت الحاجات النفسية للانسان !.

والدكتور حاتم نفسه ، فى مستهل بحثه ، قد ذكر ثورة غير عربية ، شاهدة على صلة الثقافة بالثورة فقال :

« واذا كنا نلمس الرابطة القوية بين ثقافة الانسان كفرد وكعضو فى مجتمع وبين اسلوبه فى الحياة فان هذه الرابطة تبدو اوضح ماتكون فى المجتمعات التى تجتاز مرحلة التحول الثورى . ونستطيع ان نضرب مثلا بسيطا على ذلك بمرحلة ظهور الاسلام فى تاريخ الامة العربية ومرحلة الثورة الفرنسية فى التاريخ الاوربى »

وانتقل الدكتور حاتم الى الحديث عن التخطيط الثورى فذكر وسيلته واهدافه وكان المقام يقتضى ان يجلو مفهوم ثورية

الثقافة قبل ذكر وسيلتها واهدافها . لان مرحلة التحول بطبيعتها ، فى اشد الحاجة ـ لكى تستوضح الرؤية وتستبين الهدف ـ الى ضبط الدلالات وتحديد المفاهيم لما استحدثت الثورة من جديد النظرة الى الحياة ، والى قيمها ومقوماتها وكثير منا يخلطون بين الثقافة والفكر والاعلام ، كما يخلطون بين الثورية والنهضة ، وبين النمو والتطور .

وفى بيان التخطيط يقول سيادته :

« تتجه ثورتنا الثقافية الى تحقيق هدفين كبيرين هما : توسيع قاعدة الثقافة الشعبية من ناحية ، وتعميق خطوط الثقافة ورفع مستواها من ناحية اخرى . »

ونحن نؤيده فيما ذهب اليه من ان

« الاستفادة بالتنمية الثقافية حق اصيل للجماهير لايجوز حرمانها منه واستئثار فئة قليلة من اصحاب المقدرة المالية به . فان احتكار فئة محدودة من المواطنين للثروة الثقافية يعتبر عملا وموقفا مناقضا للاشتراكية ومتعارضا مع مفاهيمها الثقافية كما ان الثقافة هى المدخل الطبيعى الوحيد لاستقامة ونجاح التنظيمات السياسية والاقتصادية . »

ذلك حق لا نختلف عليه .

لكن الدكتور حاتم استطرد فاشار الى قضية «عزلة المثقف» دون ان يعطيها حقها من البيان والايضاح . قال :

« اننا نريد ان يدرك المثقفون جميعا ان المثقف المنعزل لايخدم وطنه ، وان الخروج من العزلة لايعنى ان يلقى المثقف بعلمه الى الجماهير وهو بعيد عنها ، وانما نريدهم ان يدركوا تماما ، ان صورة المجتمع قد تغيرت ، وان الشعب الذى يجب ان يتصلوا به ويكتبوا له ويتحدثوا عن مشاكله ليس هو شعب القاهرة او المدن الكبرى وبيئاتها الاجتماعية ذات الطابع الخاص انما هو الشعب الذى يتكون منه جمهور هذه الامة ، هو مجتمع القرية ، مجتمع الحقل ، مجتمع المصنع .. »

وربط عزلة المثقف بالاتصال المباشر بالجماهير واداء حقها من الزاد الثقافى يخشى معه ان يتشابه الامر على بعضنا فيعد من ظواهر العزلة الثقافية ، عدم الاتصال المباشر بمجتمع القرية والحقل والمصنع . مع ان المثقف منا قد يؤدى (ضريبة العلم والثقافة) دون ان يتصل بهذه المجتمعات اتصالا مباشرا ، ودون ان يشارك كذلك فى عملية (اشاعة الثقافة) التى هى من اختصاص دور التعليم والعبادة ومراكز الثقافة واجهزة الاعلام على اختلاف انواعها .

ويصل السيد الدكتور قضية العزلة ، بقضية الادب للادب ، وصلا سريعا يحتاج كذلك الى مزيد بيان ووضوح . يقول :

« ومن نتائج هذا ايضا ان فكرة الادب للادب والثقافة للثقافة لايجوز بحال من الاحوال ان تقف حائلا دون وصول هذا الزاد الثقافى الى جموع الشعب . وليذكر الذين يسمعون منا هذا القول اننا لانريد ان نقيد ارادة الكاتب او نقتحم عليه مواهبه وملكاته وانما نريد أن يؤدى ضريبة هذه المواهب وان يصلها بالمبادىء والمثل التى يؤمن بها ، وان يفىء بها على اخوانه المواطنين . خاصة وان الثورة قد اوجدت حقلا خصبا للادب البناء ، بتطبيقاتها العملية فى مراحل الاشتراكية والحياة السياسية فضلا من القاعدة الكبرى التى اوجدتها الثورة الثقافية فى وسائل الثقافة من الاذاعة المسموعة والمرئية والنهضة المسرحية وغزارة الكتب الامر الذى ادى الى خلق سوق ادبية تساعد الاديب على الانتاج المتواصل ، رغم ميل الاديب بطبيعته الى التأنى والتفكير .. »

ووجه الدقة فى القضية انه مامن اديب لايحرص تلقائيا على ان يصل ادبه بما يؤمن به من مبادىء ومثل ، ويسعى تلقائيا كذلك ، الى ان يفىء على قرائه بها . فاذا احجم الاديب عن نشر مبادئه ـ وقد اتيحت له وسائله ـ فان الموقف يحتاج الى تفسير اكثر مما يحتاج الى ان نحث الاديب على اداء ضريبة لم يؤدها من تلقاء نفسه عن طواعية واختيار .

ومن اهم ماتعرض له البحث فى معالم ثورتنا الثقافية ، موقفنا من تيارات الفكر والثقافة الاجنبية . والذى فهمته ان الدكتور حاتم ياخذ فى التخطيط لثورية الثقافة بمذهب فتح الابواب لكل التيارات . «وآية ذلك ان سلاسل الكتب العالمية ـ التى تنشرها وزارة الثقافة ـ تضم مؤلفات وآراء لكتاب اشتراكيين وفلاسفة عاشوا فى مجتمعات راسمالية ، كما تعرض نظما سياسية واقتصادية متعارضة ، وهدفنا من وراء ذلك ان تطلق لفكر المواطن العربى عنانه ، حتى يكون التكوين الثقافى تكوينا حرا اصيلا ، وحتى تتبلور معالمنا الفكرية والثقافية من تجربة ودراسة بعيدا من اخطار العزلة والانغلاق الفكرى وبعيدا من خطر التوجيه الثقافى الذى يصل الى حد التسلط الفكرى . »

وكنت ارجو لو ان الدكتور حاتم حدد هنا موقف القيادة الثقافية من المؤسسات الاجنبية التى تغزو اسواقنا ببضاعتها الفكرية ، وتنفق بسخاء على ترويجها والدعاية لها . ويشارك فى هذا النشاط عدد من ذوى المناصب الرسمية للفكر والتعليم ، بتكليف من المؤسسات نفسها وباجر مدفوع من خزائنها .

وما يقوله الدكتور حاتم بحق ، من « تعميق خطوط الثقافة على محاور ثلاثة : الاتقان وجدية العمل ، والدراسة المقارنة والثقافة العالمية ، والشخصية العربية التى يجب ان تكون محور ثقافتنا الخاصة» يحتاج الى دراسة حق الفكر القومى الاصيل فى ان ياخذ مكانه مع هذه البضاعة الاجنبية ، وليس له مثل فرصتها فى النشر والترويج ، والنشر والاعلان .

وبقى ان اقول : اننى فى هذه المناقشة لمعالم ثورتنا الثقافية ، كنت متاثرة بقيمة البحث واهميته من ناحية ، ومن ناحية اخرى بكلمة (الميثاق) عن الديمقراطية السليمة

« ان العمل الديمقراطى فى هذه المجالات سوف يتيح الفرصة لتنمية ثقافة نابضة بالقيم الجديدة ، عميقة فى احساسها بالانسان ، صادقة فى تعبيرها عنه ، قادرة بعد ذلك على اضاءة جوانب فكره وحسه وتحريك طاقات كامنة فى اعماقه ، خلاقة ومبدعة ، ينعكس اثرها بدورها على ممارسته للديمقراطية وفهمه لاصولها ، وكشفه لجوهرها الصافى النقى . »

التاريخ : ١٨ / ١٢ / ١٩٦٤

قضايا فكرية

الدكتورة بنت الشاطئ

شعرنا المعاصر ومنطق التطور

التطور فى جوهره ليس الا تدرج الكائن الحى فى الصعود الى أفق كماله ، وسعيه الدائب نحو تحقيق وجوده الاسمى بكل أصالته والفن تعبير عن وجدان الامة ... فاذا أبينا بمنطق التطور ان نعيش بمزاج عصور خلت ، فنحن نرفض بالمنطق نفسه ، أن نستعير مزاجا أجنبيا ، لان الامة لا يمكن أن تحيا بوجدان مجلوب مستعار !

كشفت الخصومة حول الشعر الجديد عن اخطاء جوهرية فى فهمنا للقضية من حيث هى قضية تطور محتوم ، يعوزنا فيه ان نضبط مفهومه ودلالته ، حسما لخصومة ماكان يجوز ان تقع بيننا لو اننا فهمنا القضية على وجهها الصحيح .

فتتعطل حركة التطور ريثما تسترد الحياة من قوى الصحة ماتقاوم به عوادى المرض ، ثم تستأنف السير بعد أن تكون قد

، والخطأ الاول فى تقديرى ، ان فينا من لايزال يجحد حق الشعر المعاصر فى ان يضيف جديدا مبتكرا الى رصيده من عصور خلت، وهوحق مقرربمقتضى قانون التطور الذى يسرى على الادب كما يسرى على كل كائن حى . وعندما يقف الادب عند مرحله التقليد والمتابعة دون أن يتجاوزها الى الابتداع والابتكار فانه يقضى على نفسه بالجمود والعقم ، لايعصمه منهما ان تصخب حركته المغلولة بنداء «محلك سر » وان يتضخم انتاجه مادام قد اعوزه الابتكار الاصيل الذى يخصب الوجود الفنى للامة ، وينقلها خطوة على مدارج التطور !

والتطور ليس من اختصاص الكثرة التى تقتحم الميدان بموهبةهزيلة اوبوهم الموهبة، فتظل فى المرتبة الدنيا تستنفد طاقتها فى التقليد والمحاكاة، وتملأ الساحة الهابطه بركام من محاولات فجة متعثرة ، وانما هو من عمل قلة من الصفوة ، عرجت على السفح الى القمة العالية ، مستشرفة بالانسانية الى آفاق لم يرتدها احد من قبل ، وملبية هيامها الدائم الى الكمال ، وسعيها الدائب نحو عالم المثل ...

وليس من طبيعة الاشياء ولا من سنة الحياة ، أن تقف الانسانية عند مرحلة بعينها تعدها غاية المسعى ونهاية المنطلق ، بل انها ما تكاد تصل الى ماتمثلته وسعت اليه، حتى يلوح لها أفق أبعد لم تكن تستشرف له فيما قطعت من مراحل الطريق ، واذ ذاك تدرك أن ماحسبته بالامس مثلا أعلى للحق والخير والجمال ، لايعدو أن يكون تمثلا مرحليا يرتقى بها درجة الى حيث تميز غاية أبعد ، وتستجلى من رحاب الكون ما لم يكن يبدو لها فى مرحلة مضت !.

ولا يمكن ان تخطو البشرية خطوة فى مراقى تدرجها دون ان يساير هذا التدرج تطور فى ادراكها وغاياتها ومثلها ، ومن هنا كان تطور الفن سنة الحياة وقانونها الطبيعى. ولكن الذى يحدث احيانا ان تقوم معوقات فى وجه التطور ، تحاول ان ترده عن مسعاه، أو تضلله عن مساره الصحيح.

خسرت كثيرا وتكبدت تضحيات باهظة....

ومع ايماننا الراسخ بأن الوقوف فى وجه التطور تأباه طبيعة الحياة ، وأن كل محاولة لتجميد حركة الكائن الحى لابد أن تنسخها اية الكون ، فالذى لاشك فيه أيضا، أن مثل تلك المحاولة — على عقمها — تعوق خطانا ، وتبدد طاقات ليس من حق أى جيل أن يضيعها على الامة عبثا .

ووعى التطور هو الذى يمنح الصفوة من أدباء القمة ، — دون سواهم — حقهم فى ارتياد آفاق من عالم الفن لم يستشرف لها قديمنا . واذا كان فى القضية الزام فهو الزام بالقيادة الوجدانية نحو شوط جديد يبدأ من حيث انتهى شوط سابق ، وليس لزاما بأن يسيروا بنا حيث سار رواد مرحلة مضت ، اتموا رسالتهم فى كشف اسرارها وانشاءة معالمها ، والاستشراف بها الى الافق المساير لمستوى التدرج الانسانى فى عصورهم .

وماتخلف أدبنا فى عصور خلت ، الا لانه وقف يجتر قديمه ويحاول ان ينسج على منواله دون دراية باسراره ، ويرى فيه غاية المسعى وقمة الطموح وذروة الكمال والجمال. ذلك حين كان مجد الاديب يقاس بمقدار مايبلغه من شوط ائمه فحول الماضين، وحين كانت غاية مناه ان يقال انه «متنبى» زمانه او «جاحظه » او « أبو نواسه» او « أبو تمامه» او «وليده البحترى»..

دون ان يمد الادب تطلعه الى من بعد هؤلاء الذين لبوا حاجة بيئاتهم وارضوا مزاج عصرهم وسايروا موقفه على مدرجة التطور ..

أجل ، تلك كانت علة التخلف الفنى ، نجد صداها وتفسيرها فيما فشى حياتنا فى تلك العصور من انحطاط عام وجمود مسيطر ، لطول ما افتتنت من مجد غابر لم تمنحه من وجودها نبض حياة او حس حركة !

وكانت العبرة الكبرى أن سنة الحياة استطاعت بعد حين ان تكتسح تلك المعوقات، وأن قانون التطور غلب منطق الجمود المقيم ، لكن بعد أن تكبدت الامة خسائر فادحة، وفاتتها مراحل من التقدم جاهد رواد النهضة فى تعويضها بجديد من حيويتهم ،

ووصلوا بنا الى حيث ينبغى ان تمتلئ مع التطور بأقصى ما نستطيع من طاقة ...

ونقطة الانطلاق يجب أن تبدأ بالتسليم... بان أدبنا المعاصر يجب أن يضيف جديدا الى قديمنا، وان يرتاد لنا افاقا لم يستشرف لها أمسنا ، خضوعا لقانون التطور .

واذا اعتبرنا ((احمد شوقى)) قمة المرحلة السابقة ، فليس الذى يعنينا ان نحاول عبثا أن نكرره — وهيهات — وانما الذى يعنينا ان ينقلنا الشعر المعاصر الى مابعد شوقى !

وشاعرنا العظيم لم يدخل تاريخنا الادبى بقصائده التى قفى بها على آثار الاقدمين ، ولا استحق تمجيدنا بأن كان امتدادا للبارودى ، وانما ارتقى قمة المرحلة ، بما أضاف الى رصيد الشعر العربى من جديد لم يسبق اليه ، وما ارتاد له من أفق لم يشارفه شاعر قبله، فاستطاع بذلك ان يعبر بنا شوطا على مدارج التطور .

ونخون وجودنا كله ، اذا نحن كررنا ماساة عصور التخلف وعشنا بمنطقها فى (تقييم) الشعراء بما تصل اليه محاولاتهم من تقليد الكبار السالفين! وعبث مابعده عبث ، أن نعد قمة فى الشعر المعاصر ، من كل همه أن يقلد شوقى ويحاكيه ، وينسج على منواله كقولتهم المشهورة .

ان شوقى لن يتكرر أبدا ..

ولن يتكرر البارودى ، وابن الفارض ، وابو العلاء ، وابو تمام ...

مهما يقطع مقلدوهم انفاسهم ، فى تكرار الشوط الذى قطعه كل واحد من اولئك العظام ، وبلغوا به اقصى مداه ..

ودعاة التقليد يحسبون انهم بمحاكاة الخالدين من شعرائنا ، يقضون حقهم علينا من الوفاء والاكبار !

ويغيب عنهم أن ((اعادة الشوط)) تعنى الاقرار بان المنافسين من شعراء القمم ، قصرت بهم شاعريتهم عن بلوغ غاية الشوط ، بحيث نحتاج الى ممن يكرر المحاولة !

وذلك مايتماق به وهم المقلدين الذين لاترى فيهم الحماة غير نسخ ممسوخة شوهاء ، يعوزها الاصالة ، ويلزمها التقليد مكانها فى أدنى الصف ، حيث الكثرة من حكاة الصدى ، والناسجين على منوال غير مبتدع ..

بعيدا عن القمة التى تتطلع اليها الصفوة المؤمنة بالتطور القادرة على الانطلاق نحو آفاق جديدة لم تكن بالوح لعصر سلف !

ويصدق هنا على الشعراء الصفوة ، ما يصدق على الابطال من صناع التاريخ وقادة التطور ، ولم يكن أحد منهم كان نسخة مكررة من سابق ، ولا عاد فتكرر فى لاحق !

وتحضرنى هنا كلمة رائعة للرئيس جمال عبد الناصر حين سألته صحافية امريكية عن أى شخصية فى التاريخ تستأثر باعجابه واعتمامه ، فكان جوابه :

« ان الرجال لا يكررون انفسهم فى التاريخ ! »

وضلال كذلك ، أن يتصور بعضنا أن التطور يمكن أن يعنى أن نبتر من اصولنا وننفصل على ماضينا ونهدد تراثنا ..

ويخطئهم ان يدركوا ، أن جديدنا لايمكن ان يتوم على هباء ، كما لايمكن أن تستمار له جذور أجنبية من ارضه غريبة على مناخه !

والفن تعبير عن مزاج الامة ووجدانها

ومن المستحيل ان تحيا امة بمزاج مجلوب، او تتذوق الوجود بوجدان مستعار !

ومثل الذين يضلهم الوهم ، فيتصورون ان تطورنا الفنى يمكن أن يبدأ منطلقه بمعزل من تراث ماضيه ، وأن يخطو فى فراغ تائه ليس فيه اشارة الى معالم خطواتنا السابقة على درب الوجود ، مثل هؤلاء كمثل من يتصور ان البشرية اليوم تتطور منطلقة من مرحلة بدائية ، ضاربة فى فراغ لاأثر فيه من تجارب ماضيها الطويل ، او انها تحاول اليوم أن تتطور الى عصر الذرة ، بمعزل من معالم المراحل السابقة فى تطورها من عصر البخار الى عصر الكهرباء !

والزعم بأن تراث ماضينا رجعية تعوق تطورنا وتشل انطلاقتنا ، كالزعم بأن تراث البشرية من أمسها الذى حلقت فيه بالطائرة فوق السحب ، يشل انطلاقتها الى مجهول الفضاء !

والدعوة الى ملء الفراغ بتقليد النماذج الفنية للامم التى سبقتنا على مرقاة التطور ، افدح شرا ونكرا من الدعوة الى تقليد قديمنا ! فلئن وقف بنا هذا التقليد عند مرحلة مضت من وجودنا ، فان تقليد النماذج الاجنبية يمسخنا مسخا ، بما يفرض علينا ان نستعير للامة مزاجا غريبا طارئا ، لايمت الى وجدانها الاصيل بسبب من الاسباب !

والتطور يفقد كل معناه ، اذا اهدر عنصر المكان ، كما يفقد طاقته باهدار عنصر الزمان» . وذلك ماالتفت اليه « الرئيس جمال » فى فلسفة الثورة :

« نحن الان لانستطيع ان نعود الى القرن العاشر ، نرتدى ملابسه التى تبدو لعيوننا غريبة مضحكة ، ونتوه فى افكاره ...

« وكذلك نحن الان لانستطيع أن نتصرف على اننا قطعة من الاسكا المتعلقة باقصى اصقاع الشمال ، او على اننا جزيرة ويك النائية فى تيه الباسفيك

« الزمان يفرض علينا تطوره

« والمكان أيضا يفرض علينا حقيقته »

خلاصة ماأريد ان أقوله اليوم ، هو ان وجودنا يفرض علينا ان نضيف جديدا مبتكرا الى تراثنا الشعرى ، فتلك هى سنة التطور ...

ومن هذا التراث — لامن سواه — يكون منطلقنا الى مرحلة تبدأ من حيث انتهى أمسها، لتتقدم بنا خطوة نحو عالم المثل الذى يمتد كلما دنونا منه .

واذا كان الوقوف عندما انتهى اليه قديمنا خروجا على قانون التطور ، فان بتر ذلك القديم لايعنى الا الضياع فى متاهة عمياء ، والا المسخ لفكرة التطور بما هى — فى جوهرها — تدرج الكائن الحى فى الصعود الى افق كماله، وسعى دائب نحو تحقيق وجوده الاسمى بكل اصالته !

التاريخ : ٢٥ / ١٢ / ١٩٦٤

أدبنا والحياة

من الثورة .. الى المعركة !

بقلم الدكتورة بنت الشاطىء

كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ حاسمة فى تاريخنا القومى ، بما نفذت من ارادة التغيير التى كانت تؤرق الامة وتهدر فى اعماقها ، منذ انتصر القصر والاستعمار على حركتها الوطنية فى الثورة العرابية

وبها انتهت فى تاريخنا الادبى مرحلة الارهاص الثورى التى سهر فيها الادب الحر على يقظة وجدان الامة ، وحدا مسراها فى ظلمة الليل بدعاء الفجر الجديد

وبدات مرحلة جديدة ، لم تكن الطليعة الثورية فى انقضاضها الظافر على صروح الفساد ، قد استوضحت بعد رؤية طريقها الثورى ، ولا اجتلت ابعاده المترامية وكان على الادب ان ياخذ دوره القيادى الاصيل ، طليعة ترتاد الطريق المزدحم بانقاض العهد البائد ، وتنفذ الى اعماق وجدان الامة ، كاشفة لها عن خفى همومها واسرار ذاتها وابعاد تطلعها وطموحها ..

لكن الظاهرة التى سادت مرحلة مابعد الثورة ، ان الادب فى جملته ترك العبء كله لقائد الثورة ، واكتفى بالوقوف خلفه وهو يضطلع بمخاطر التحول الثورى ، يستلهما روح امته ، وواعيا لسر وجودها على مسار تاريخها الطويل

وسبقت الثورة الادب
وعاش هو فى ظلالها

فكان جهد الكثرة من ادباء المرحلة ان يلعنوا النظام الملكى بعد اعلان الجمهورية وان يسخروا باصحاب الدولة والرفعة بعد ان دالت دولتهم وسقطت رفعتهم وان يرجموا الاقطاع بالاحجار بعد ان تقوض وانهار !.

والثورة منطلقة بنا ..

والادب تابع بمكانه وراء الاحداث :
ففى اثر كل اجراء ثورى ، اغنية فرح ونشيد هتاف وقصيدة تمجيد ودعاء ، وقصص تجتر صورا شاحبة لاوضاع الماضى ، وتستبسل فى طعن جثته الميتة ، مفتقرة الى حرارة الانفعال وصدق المعاناة !.
مستجيبا فى ذلك لانفعال الجماهير الحماسى بكل اجراء ثورى ..
ومتخليا فى الوقت نفسه ، عن مكانه فى الطليعة قائدا وجدانيا لامة

والجماهير يخطئها احيانا ان تستبين رؤية مافى اعماقها من خفى الاسرار ومبهم الرؤى وآماد الطموح . وقد حدث لها هذا فى ليل المحنة تحت ضغط واقعها الشقى ، وبتاثير عملية التخدير التى سلطت على وجدانها بالتضليل ، ونسجت باقلام المأجورين والسنة الخائنين ، غشاء كثيفا على وعيها الكامن ، وجندت الرجعية الفكرية والادبية لواد طموحها ، فكانت رسالة الادب الحر فى مثل ذلك الوضع ان يمزق عن وعى الجماهير غشاوة الوهم وان يكشف عن بصيرتها حجاب الزيف ، وان يسهر على حراسة وجودها المعنوى
ولكنها كذلك ، قد تتعرض لما يشبه التخدير الحائل دون وضوح الرؤية ، فى نشوة

الفرح بتحقيق بعض احلامها وامانيها حيث يخشى عليها ان تطيل استرخاء لـذة الظفر ، لتلهو عما لا يزال فى اعماقها من خفى الهموم والامال ، ويكون على الادب حينئذ ان يسهر على يقظة طموحها ...

والى ماقبل عام ١٩٥٦ ، كانت الثورة قد حققت للامة امالا كبارا ، بالقضاء على الوضع الملكى الفاسد الدخيل ، ودك حصون الاقطاع ، واجتثاث جذور الرجعية

وبقى الهم الاكبر مستقرا فى ضمير الامة يشغل منه ادباء المرحلة ممن عاشوا ((فى ظلال الثورة)) لاامامها ، لاهين عما كان يشغلها ويشغل الامة من وجود بقايا جيش الاحتلال رابضا على ضفاف القنال، وغافلين من الجرح الغائر فى الوجدان الشعبى المؤرق بثأر الشهداء .

وكثرت اعيادنا بما تم من اجراءات ثورية ، وفى وعينا الكامن ، صدى من صوت « شوقى » وهو يحدو مسرانا فى اعقاب ثورة ١٩١٩ :

والله ما دون الجلاء ويومه
يوم تسميه الكنانة عيدا

وكانت الثورة قد ارجأت مواجهة الاحتلال ريثما فرغت من دك ركائزه على ارضنا ، وعقدت معه عام ١٩٥٤ اتفاقية لم تحقق امل الامة وادباء المرحلة قد حال موقفهم وراء الاحداث دون تطلعهم الى مراميها ، فراحوا قبل الجلاء يغنون للشعب :

★ بنى مصر قد راح ليل العبيد ★

ويطربونه بهزات النشوة :

ياحبيبى نامت الشمس وراء الهرم
وتهادى القمر النشوان بين الظلم
ملكا يختال تيها فوق عرش الانجم
وينادى كل لهفان الى الحب ظمى
وسنا البدر على الوادى يميل
والها يلعب فى شمر النخيل
راقصا فى مسرح المرج الجميل
بشعاع شاعرى ملهم
فتمتع بليالى الهرم !

وقليل من شعراء المرحلة ، من وقع على الوتر الخفى فى وجدان الامة ، فمثلها ((شنق زهران)) او هتف بالشعب المخدر بالنشوة :

كنت فى صمتك مرغم
كنت فى صبرك مكره
فتكلم ، وتألم
وتعلم كيف تكره

ارضك الغالى على الظالم هان
ومشى العار اليه واليك ..
ارضك الحرة فطاها الهوان
وطغى الظلم عليها وعليك
فاحترم بالثار ذكرى شهدائك
بذلوا ارواحهم بذل السخى.
وانتقم ، ان هنا ازكى دمائك
وهنا امى ، واختى ، واخى ....

وفى هذا القليل ، اصغينا الى نبض وجداننا الاصيل ، الذى كاد يغيب فى ضجيج الكثرة الواقفة وراء الاحداث ، تغنونا وتطربنا وترقصنا .

وانطلقت الثورة ، مستجيبة لوحى الامة فاجلت العدو عن ارضنا .

وانسحب جيش الاحتلال من القنال بسلام دون ان يؤدى حسابا عما كان ..

ووقف الادب وراء الحدث ، يغنى للنصر الابيض ويهتف بالجلاء بعد ان تحقق، ويغنى للحرية وقد وهم انها فتحت له بابها بيد بيضاء ، على غير ماتوقع ((شوقى)) حين قال :

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مخضبة تدق !

وفى العمق الغائر من ضمير الامة ، بقى ثار سبعين عاما لم يشتف ، وظلت ارضنا الطيبة ظامئة الى دماء تطهرها من الدنس الذى تركته عليها بصمة الاحتلال وتعطى حريتنا قيمتها وجلالها .

فى العمق الغائر من وعينا ، بقى الجرح يقتات الشجن من قصص شهداء ثورة عرابى وثورة ١٩١٩ وفاجعة دنشواى وحادث السردار ، ومصارع الفدائيين الذين تساقطوا على الساحة وكانوا وقود النضال القومى فى الفترة مابين معاهدة الاستقلال المزيف سنة ١٩٣٦ وحريق القاهرة سنة ١٩٥٢ ..

وطال عليه الامد ، وهو يلعق المر من اشعارنا واغانينا التى رجعت لمدى نصف قرن من الزمان ، نوح حمامة دنشواى، وعطشان ياصبايا ، والتى صبغت مزاج الامة بصبغة من الحزن والشجن ، غاب عن الاكثرين ادراك سرها .

يوم شنق زهران
كان صعب وقفانه
وابوه معاه
وقت الشنق لم فاته
وامه على السطح
تبكى مع اخواته

وبعيدا ، وراء الحدود
كان العدو يأتمر بتجربتنا الثورية

التاريخ : ٢٥ / ١٢ / ١٩٦٤

الرائدة ، ويستجمع قـواه للوثوب على استقلالنا ، فما مضى شهر واحد على اتفاقية الجلاء الابيض ، حتى ظهرت بوادر الشر فى نكوص البنك الدولى عن تمويل بناء السد العالى ..

وقبل ان يتحرك الادب ليلمح ماوراء ... البوادر ، كان قائد الثورة قد التقط القفاز ، فاعلن تاميم شركة قناة السويس فى عيد الثورة يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ .

ولزم الادب مكانه وراء الحدث فامتلا افقنا باناشيد « الفلذة المقتطعة من حشا الوطن » وراجت فينا قصص سريعة ، تجتر ذكريات لعبة « ديلسبس » الماكرة على غفلة «سعيد» ومصرع مائة الف من ابناء البلد الذين سيقوا مسخرين لحفرها وحفلات «اسماعيل» الباذخة التى كبلتنا بالديون والتهمت نصيبنا من اسهم القناة وشدتنا الى نير الاحتلال ..

دون ان يسبق الادب الحدث القومى ، فيروى فصول المأساة

ودون ان يمد تطلعه فيلمح نذر العاصفة

بل دون ان ينفذ الى اعماق الامة ، فيحس فيها الشحنة الثورية التى لم يتح لها الجلاء الابيض ان تنفجر ..

وكان الادب لايزال منهللا بفرحة تاميم القناة ، مشغولا باجترار قصة حفرها لم يفق منها الا على زئير طائرات العدو تقتحم حمانا ، وتقذفنا بالقنابل ..

وتلاحقت الاحداث ، فاذا بنا نواجه بين يوم وليلة ، عدوانا ثلاثيا من القاعدة الاستعمارية فى اسرائيل ..

وفى اسرع من لمح البصر ، كان الشعب قد تاهب لخوض معركته ..

وتمت التعبئة الثورية ، وقرر الشعب مصيره وعرف طريقه ، وصمم على ان يبلغه او يموت دونه ..

استثار التحدى كامن غضبه وميراث ثاره فتفجرت الشحنة التى لبثت لمدى سبعين عاما تنتظر هذا اليوم المشهود .

وبقوة الانتفاضة الثورية ، تحرك الادب من موقفه وراء الاحداث ، الى مكانه فى الطليعة ، معبرا من الطاقة الكامنة فى وجدان الامة ، وملهبا لضرامها .

وعلى ايقاع النغم :

والله زمان ياسلاحى
اشتقت لك فى جراحى
انطق وقول انا صاحى
ياحرب والله زمان

زحفت جماهير الشعب للقاء العدو ، مشوقة الى رى ظمئها ، مسلحة بايمانها ،

★ الله اكبر فوق كيد المعتدى ★

ومضت «الى المعركة» مستبسلة وعلى واديها رجع النداء :

سنمضى جميعا الى المعركة
وصوت المدافع ملء الفضاء
ونرجع والنصر يشدو لنا
واعلامنا قبلتها السماء ..

ومع دوى القنابل فى ساحة القناة ! كان دوى النذير يرج الفضاء :

دع سمائى فسمائى محرقة
دع قناتى فقناتى مغرقة
واحذر الارض فارضى صاعقة
هذه ارضى انا
وابى ضحى هنا
وابى قال لنا
مزقوا اعداءنا
فيجاوبه هدير راعد !
انا النيل مقبرة للغزاة
انا الشعب نارى تبيد الطغاة
انا الموت فى كل شبر اذا
عدوك يامصر لاحت خطاه
يد الله فى يدنا اجمعين
فصبوا الهلاك على المعتدين
سنمضى لهم فى لهيب الشرر
ونزحف للنصر زحف القدر
سنمضى رعودا ونمضى اسودا
نردد انشودة الظافرين

وظاهرة التحول هنا ، ان الادب بالشعر والاغنية — ولهما فرصة المبادرة اثرا لسرعة الاحداث — لم يقف وراء المعركة يتتبع خطواتها ويلهث على اثرها ..

ولم ينتظر نهايتها ليحيى الظافر ويغنى للمنتصر

وانما سبق الحدث ، فنفذ الى العمق الوجدانى للامة فسبر غوره ولمس جرحه واكتشف المشحون من طاقته ، ولمح مصير المعركة من اللحظة الاولى للتحدى والعدوان

حتى اذا تم النصر ، لم يقف الادب ليجتر ذكريات باهتة ويتكلف لها صورا متخيلة ، بل اعطته المعاناة حرارة الانفعال وصدق التجربة ، فكانت نبع الهام سخى لاعمال ادبية نابضة بالحيوية والاصالة .

ومن يومها ، بدأ الادب الحر منطلقا وعرف طريقه ، ولايزال عليه ان يكافح طويلا ليخلص حياتنا الادبية من بقايا «ظاهرة الاجترار» المقيم وجواذب الوقوف وراء الاحداث ويضطلع بعبء القيادة الوجدانية للمرحلة الحاضرة ، ويكتشف ابعادها المترامية ، ويمد تطلعها الى جديد من الافاق .